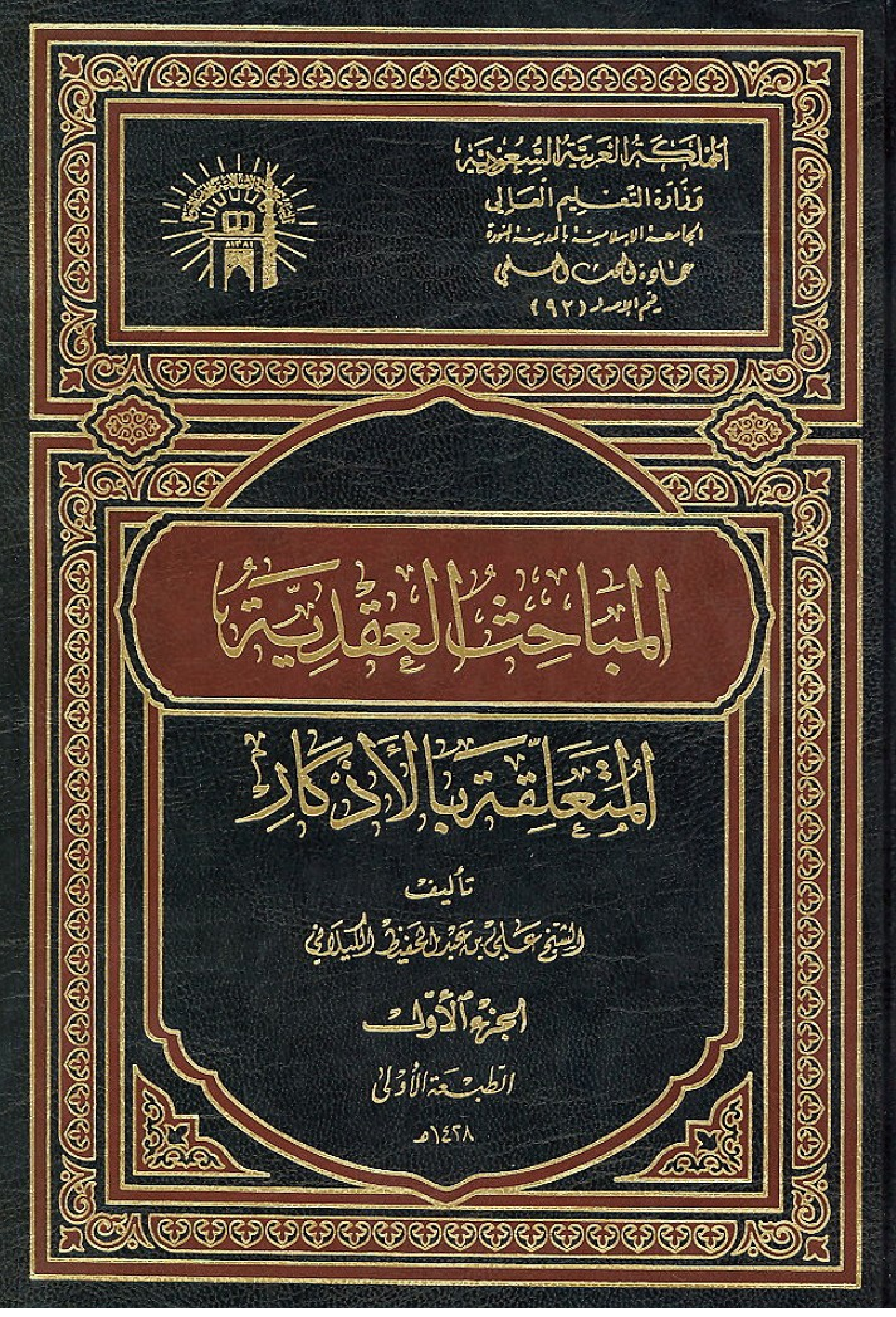
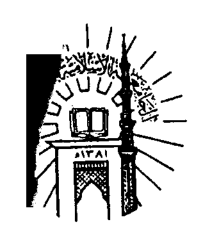

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٩٢)
المباحث العقدية
المتعلقة بالأذكار
تأليف
الشيخ علي بن عبد الحفيظ الكيلاني
الجزء الأول
الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٩٢)



المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار

تأليف

الشيخ علي بن عبد الحفيظ الكيلاني

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ


بسم الله الرحمن الرحيم


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة


المباحث العقدية
المتعلقة بالأذكار
١

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٧هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

الكيلاني، علي بن عبدالحفيظ

المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار./ علي بن عبدالحفيظ الكيلاني.- المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ

..ص ؛ ..سم

ردمك: ٥-٥٧٠-٠٢-٩٩٦٠

١-العقيدة الإسلامية ٢-الأدعية والأوراد أ.العنوان

ديوي ٢١٢,٩٣ ١٤٢٨/١٩٢٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/١٩٢٠

ردمك: ٥-٥٧٠-٠٢-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصَّلاة والسَّلام على رسول الهدى الذي أمر بالعلم قبل العمل، فبه ارتفع وتقدّم، وعلى آله وأصحابه ومَنْ بأثره اقتفى والتزم. وبعد:

فإنَّ الاشتغال بطلب العلم والتفقّه في الدّين من أجلّ المقاصد وأعظم الغايات وأولى المهمّات؛ لذلك ندب إليه الشَّارع الحكيم في كثير من نصوص كتابه، وأمَرَ نبيّه ﷺ بالزيادة منه؛ فقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال جلّ وعلا: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤].

وقد رتّب النبي ﷺ الخير كلّه على التفقّه في الدّين فقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقّه في الدين**» متّفق عليه. وقال ﷺ: «**النَّاس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**» متّفق عليه. وهذا مما يدلّ على أهميته وعظم شأنه.

لذلك كان الاهتمام بالعلم الشّرعيّ المستمّد من الكتاب والسنّة وفهمِ السَّلف الصَّالح هو الهدف الأسمى لمؤسس هذه الدّولة المباركة الملك عبدالعزيز –يرحمه الله– وكذلك أبناؤه من بعده الذين كانت لهم اليد الطولى وقَدَمُ السبقِ في الاهتمام بالعلم وأهله؛ فأولوه عنايةً فائقةً، وخصّوه بجهود مباركة، ظهرت آثارها على البلاد والعباد.

وكان لخادم الحرمين الشَّريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز –حفظه الله- جهودٌ واضحةٌ استوتْ على سوقها ووفّقتْ لمقصودها، ومن ذلك أمره بزيادة عدد الجامعات، وفتح جميع الوسائل ذات العلاقة بالتطوير والتنقيح والتأليف والنَّشر كعمادات ومراكز البحث العلميّ في شتّى الجامعات وعلى رأسها الجامعة الإسلاميَّة –العالمية العلمية- التي أولت البحث العلميّ اهتماماً بالغاً وجعلته غاية من غاياتها وهدفاً من أهدافها.
ومن هنا فعمادة البحث العلميّ بالجامعة تهتم بالبحوث العلميَّة نشراً وجمعاً وترجمة وتحكيماً في داخل الجامعة وخارجها؛ من أجل النُّهوض بالبحث العلميّ، والتشجيع على التَّأليف والنّشر، ومن ذلك كتاب:

[المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار] تأليف: **الشيخ/علي بن عبدالحفيظ الكيلاني**.

أسأل الله أنْ يوفّقنا جميعاً لما يحبّ ويرضى ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

معالي مدير الجامعة الإسلاميَّة

أ.د/ محمد بن علي العقلا

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3]. أما بعد:

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠، ٧١.

فإن الله ﷻ لم يخلق الخلق سدى، ولم يتركهم هملا، بل خلقهم ليعبدوه، وبالإلهية يفردوه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١]، وقد شرع الله سبحانه لعباده عبادات تختلف في الزمان والمكان، وتتفاوت في القدر والثواب والإحسان.

ومن تلك العبادات التي شرعها الله -ﷻ- وأمر بها، وحثَّ على الإكثار منها، بل لم يأمر بالإكثار من شيء مثل ما أمر بها: عبادةُ الذِّكْر.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٢].

ففي المداومة على الذِّكْر امتثالٌ لأمر الله سبحانه ومدعاةٌ لمحبته ومعرفته، وعونٌ للعبد على فعل الخيرات، وكف اللسان عن الكلام القبيح والمنكرات.

والذِّكْر أصل الإيمان، وأفضل الأعمال وأكبر من كل شيء... ؛ قال تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٣].

وللذكر منزلة رفيعة، ودرجة سامية، وأهمية عظيمة، وهو أفضل من الصدقة بالمال والجهاد في سبيل الله كما قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير**

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤١.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٤٥.

أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله»[(١)].

وأعظم الذِّكْر القرآن العظيم؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[(٢)]، فهو ذو قدر عظيم؛ إذ هو المُذكِّر للعباد بكل ما يحتاجون إليه من العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والأحكام الشرعية والمعاد، فهو مذكِّرٌ للأمور الظاهرة والباطنة، وأصول الدين وفروعه.

فالقرآن العظيم ثناءٌ على الله -عز وجل- وتمجيد له، فبدايتُه حمدٌ لله وثناء وتمجيد، ونهايتُه كذلك اشتملت على أنواع التوحيد.

ولما كان للذكر تلك المترلة العالية والقدر العظيم؛ إذ هو متعلق بأعظم مذكور، وأجلِّ مقصود هو الله تبارك وتعالى، شرع اللهُ تعالى على لسان نبيه ﷺ من الأذكار ما يجعل المسلم مرتبطاً بربه ليلاً ونهاراً، وعلى مدار الأزمان والأعمار في يومه وليلته، وقيامه ويقظته، وأكله وشربه، وذهابه وأوبه، وغير ذلك مما يجعله يوثق الصلة بربه، فلا يغفل عن ذكره أبداً،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند(٤٤٧/٦)، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر (٤٥٩/٥) ح٣٣٧٧، والحاكم في المستدرك (٦٧٣/١)، وصحح إسناده، وحَسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٤/٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٩).

(٢) سورة ص الآية ١.

فتضعف الشهوات، وتسمو النفس، وتزكو بالقربات والطاعات لتنال بذلك ثواب الله ورضاه في الدنيا والآخرة.

ومما لا يخفى أن العبادات كلها شرعت لإقامة ذكر الله ﷻ فالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها ذكر لله ﷻ.

ولهذا سأل موسى عليه السلام ربه أن يجعل أخاه هارون نبياً، ووزيراً له لفائدة وغرض مهم ألا وهو إقامة ذكر الله ﷻ، قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَـٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ ﴾.... إلى قوله تعالى: ﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[1]، فعلِمَ كليمُ الله ﷺ أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله ﷻ.

وللذكر فوائدُ كثيرة، ونتائج لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان. وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- بعضها وأوصلها إلى نيف وسبعين فائدة، وأعظم هذه الفوائد التي يجنيها الذاكر هي: ذكر الله له، فالله ﷻ يذكر من ذكره كما قال: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[2].

والذِّكْر حصنٌ حصين من عدو الإنسان الأول: الشيطان الرجيم وجنوده، وهو نجاة وسلامة من النفاق، فالمنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا.

---

(١) سورة طه الآيات: ٢٩- ٣٤.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

وهو شجرة تثمر معرفة الله ومحبته، وكلما عظمت تـــلك الشجرة ورسخ أصلها؛ كان أعظم لثمرها، فهي تثمر أصل الأصول، وأعظم مأمول توحيد رب العالمين، الذي هو قاعدة يبنى عليها كل شيء، كما يبنى الحائط على أسه، فيكون أصلها ثابتاً، وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين من أطايب الثمر.

ومما يقطفه الذاكر من شجرة الذِّكْر تمجيده لربه ﷻ، وتقديسه ورقابته وخشيته والإنابة إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والاستعاذة به، والتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وبهذا يعلم الغرض والسبب الذي شرع من أجله تكرار الذِّكْر الواحد وهو ترسيخ العقيدة في نفوس العباد.

ثم ثمرة أخرى يقطفها الذاكر من شجرة الذِّكْر هي زيادة الإيمان، واطمئنان النفس والجنان؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[1]، وطمأنينة القلب زيادة في الإيمان؛ كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾[2]، قال سعيد بن جبير[3] رحمه الله في هذه الآية: "أي ليزداد إيماني"[4].

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، أحد الأعلام روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٢١)، وتهذيب التهذيب (١١/٤).

(٤) وفسره بذلك أيضاً مجاهد وإبراهيم النخعي أخرجها كلها البيهقي في شعب الإيمان (٧٩/١).

وقال الحواريون أصحاب عيسى عليه السلام في قصة المائدة: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾[١] أي: نزداد إيمانا ويقينا.

وقال الصحابي الجليل عمير بن حبيب الخطمي[٢] ﷺ: "والإيمان يزيد وينقص، قيل له: وما زيادته وما نقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فتلك نقصانه"[٣].

وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه: "هلموا نزداد إيماناً، فيذكرون الله ﷻ" [٤].

كما يجني الذاكر ثمرة أخرى وهي الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم والاطمئنان واليقين، فإذا ما نزل بالمرء مصيبة أو همٌّ أو حزن ذكر الله ﷻ قائلا: (ماض في حكمك عدل في قضاؤك). (لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت)، ويتذكر أن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بمقدار. فلا يجزع ولا يسخط، بل يرضى ويسلم.

---

(١) سورة المائدة الآية: ١١٣.

(٢) عمير بن حبيب بن خُماشة بن جويبر بن عبيد بن عنان بن عامر بن خطمة الأنصاري الخطمي قال: البخاري بايع تحت الشجرة. وهو جد أبي جعفر الخطمي ولم نجد له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ثابت.

انظر: الإصابة لابن حجر (٧١٤/٤) (ط١٤١٢/١هـ، دار الجيل، بيروت، تحقيق علي محمد البجاوي).

(٣) يأتي تخريجه ص٣٢٦.

(٤) يأتي ص٣٢٧.

ولو مضيت في تعداد ثمار شجرة الذِّكْر لطال بنا المقال، وأكتفي بما ذكرت وأترك التوسع في الكلام على ذلك في حينه، فكل هذا يدعو المسلم إلى البدار، والمسارعة في معرفة الأذكار الشرعية، والاعتناء في فهمها ومدلولاتها وكيفيتها، والتأثر بما فيها من عقائد ومعان وفوائد.

وليعلم المسلم أن شجرة الذِّكْر لا تؤتي أكلها إلا إن ارتوت بماء معين زلال لا كدر فيه ولا خبث، وذلك الماء يأتي من ينبوع الكتاب والسنة، فإذا تضلع الذاكر من معين هذا الينبوع الصافي سمت نفسه وزكت، وحصل مطلوبه ومناه، وجنى جناه، وذاق حلاوة الذِّكْر، وانشرح صدره وذهب غمه وحزنه، وثقل في الميزان عمله، وبذلك يذكر الذاكر ربهَ بذكرٍ مباركٍ فيه صفاء التوحيد، وبركة الإتباع، ونقاوة اللغة، وظهور معانيها في مفرداتها وتراكيبها.

ولكن من المؤسف والمحزن أن كثيراً من المسلمين تركوا الينبوع الصافي، ووردوا على ينابيع شتى مكدرة معكرة مشوبة بالبدع والأهواء والشبهات، فتمسكوا – هداهم الله – بأذكار مسجوعة، وبأنواع من الشرك موبوءة، منها ما لا أساس له ومنها ما أساسها أحاديث موضوعة، مع ما يرافقها من حركات شنيعة معها ترنيمات مطربة، وقفز ووثب، ونط وجذب، وانحناء للأمام ورفع، والتفات عنيف ودفع، مما تنكره الفطر السليمة، وتنبو عنه، ويتبرأ القلب الخاشع منه، مع مخالفته لكتاب ربنا، وسنة نبينا ﷺ.

كما أنهم تمسكوا بما ألفه شيوخ الضلالة، حيث إنهم وضعوا لهم أوراداً وأذكاراً عدد الأيام، ونسبوا للأنبياء والصالحين أذكاراً ما قالوها، مثل: ذِكْر آدم، ونوح، ويونس، وداود، وسليمان، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والولي الفلاني، والقطب والغوث...إلخ وسموها بأسماء ما أنـزل الله بها من سلطان، مثل: ذكر الفاتح لما أغلق، الذِّكْر الكبير، ذكر السيف... إلخ، ووّرثوها لمن خلفهم، فصار شر خلف لشر سلف.

وصار كل من ينكر عليهم يتهمونه بتهمٍ باطلة من: تشددٍ، وكراهة للأولياء، وتفريق لجماعة المسلمين، وغير ذلك، ويحذرون الناس من أهل الحق والتوحيد، ويقصون عليهم الحكايات والمنامات لإثبات صحة ما هم عليه من باطل؛ ليروج مذهبهم، وتنتشر بدعتهم؛ فعلى كل من يعرف الحّق أن يقوم بالنصح والتبيين، وإظهار الحق والدين، كل على حسب طاقته واستطاعته، متوكلاً على الله في دعوته.

ومن هذا المنطلق، ولِما مَنّ الله علي وأكرمني بمواصلة تلقي العلم الصحيح في هذه الجامعة المباركة، وكان لزاماً على طالب الدراسات العليا أن يتقدم بموضوع في تخصصه؛ أحببت أن يكون موضوعي حول:

«المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار».

أحاول فيه التبيين، وإظهار الحق والنصح للمسلمين، مستعيناً بالله رب العالمين، راجياً منه الفوز يوم الدين.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: علو درجة الذِّكْر، وقدره من بين العبادات.

ثانياً: شمولية الذِّكْر لأبواب العقيدة؛ إذ فيه ترسيخ العقيدة الصحيحة من: توحيد الله في أسمائه، وصفاته وربوبيته، وألوهيته، وزيادة الإيمان، وترسيخ للإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والقضاء والقدر، والبعث والنشور والجزاء.

ثالثاً: لما في الذِّكْر من فوائد جليلة تزكي النفوس وتطهرها.

رابعاً: تبيين لما وقع فيه الناس من تناقض؛ فالكثير منهم يذكر الله ويخالف معتقده ذكره. فالمسلمون كلهم يقولون مثلا: "**سبحان ربي الأعلى**" في سجودهم ولكن بعضهم يعتقد أن الله في كل مكان، أو حل بالأجسام، وينفون علو ذاته ﷻ، فمن لسانهم ندينهم، وكذا بيان ما وقع فيه كثير من الناس من ابتداع أذكار قد ملئت بأنواع من الشرك والمخالفة.

خامساً: مما دفعني لهذا الموضوع أيضا أمر مهم أثر في نفسي تأثيراً بالغاً، عرفت من خلاله أهمية الذِّكْر في هذا الموضوع، وهذا الأمر هو اهتمام السلف بأحاديث الأذكار في أبواب العقيدة. فالبخاري - رحمه الله - ضمّن كتابه التوحيد في صحيحه أحاديث كثيرة من أحاديث الأذكار، وكذلك ابن خزيمة في كتابه التوحيد وأئمة الهدى غيرهما كانوا يستدلون بأحاديث الأذكار لتقرير العقيدة الصحيحة، والرد على المخالفين.

سادساً: أن هذا الموضوع لم يفرد برسالة علمية -حسب استفساري عنه في باقي الجامعات- تستوفي أطرافه، وتجمع شتاته، من بطون الكتب، وكلام العلماء.

سابعاً: إن ذكر الله ﷻ أصل الإيمان، وأصلٌ لكل علم؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ذكر الله يعطي الإيمان، وهو أصل الإيمان، والله سبحانه هو رب كل شيء ومليكه، وهو معلم كل علم وواهبه، فكما أن نفسه أصل لكل شيء موجود؛ فذكره والعلم به أصل لكل علم"(١).

ثامناً: التشجيع الكبير الذي تلقيته من مشايخي للكتابة في هذا الموضوع، والعمل فيه.

تاسعاً: أن هذا الموضوع في الأذكار باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى؛ وبيان ذلك: أن من أصول ومبادئ الدعوة إلى الله تعالى أن يُدعى الناس من الباب الذي يحبونه فيكون ذلك أدعى لقبول الحق والعمل به، والأذكار هي مما يحبه المسلمون أجمع وهي مما يلهجون به في صلواتهم وصباحهم ومسائهم وذهابهم وإيابهم، فيمكن للداعية إلى الله وإلى عقيدة التوحيد وما عليه أهل السنة والجماعة أن يدخل العقيدة الصحيحة من خلال الأذكار فيلقى بإذن الله تعالى صدراً رحباً واسعاً وقبولاً لدعوته لأنه لم يخرج عن المألوف، فيوضح للناس عقائدهم من خلال الأذكار والله أعلم.

عاشراً: انتشار كثير من الطرق الصوفية التي تزعم أنها على الحق وأن الأوراد والأذكار التي تبنى عليها هذه الطرق هي من مشكاة النبوة،

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٨).

واغترار الناس بها، فمن الواجب أن يُبّين زيف ما يدعون ويُكشف عن سوء ما ينطوي تحت أورادهم وأذكارهم المبتدعة من اعتقاد فاسد وضلال واضح وزيغ عن الجادة.

ولهذه الأسباب وغيرها اخترت هذا الموضوع المهم ؛ وإني لأرجو الله، وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يكون وافياً نافعاً لي وللمسلمين، مقبولاً عند الله رب العالمين إنه سميع مجيب الدعاء.

خطة البحث:

قد قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة: فتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه.

وأما الباب الأول: في معنى الذِّكْر وأنواعه وآدابه وفوائده وحُكمه الشرعي ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: تعريف الذِّكْر والكلمات الدالة على معناه وفيه مبحثان:

المبحث الأول:في معنى الذِّكْر اللغوي والشرعي ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في أصل الذِّكْر.

المطلب الثاني: في معنى الذِّكْر اللغوي.

المطلب الثالث: في المعنى الشرعي للذكر والمناسبة بينه وبين المعنى اللغوي.

المبحث الثاني: في الكلمات الدالة على معنى الذِّكْر.

الفصل الثاني: في أقسام الذِّكْر ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الذِّكْر باعتبار مشروعيته.

المبحث الثاني: أقسام الذِّكْر باعتبار مصدره ومحله.

المبحث الثالث: أقسام الذِّكْر باعتبار تقييده وإطلاقه.

المبحث الرابع: أقسام الذِّكْر باعتبار معانيه.

الفصل الثالث: عناية القرآن والسنة بالذِّكْر وذكرُ فوائده وقواعده وآدابه ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: عناية القرآن الكريم بالذِّكْر.

المبحث الثاني: عناية السنة المطهرة بالذِّكْر.

المبحث الثالث: فوائد الذِّكْر وآثاره على الفرد والمجتمع.

المبحث الرابع: قواعد مهمة في الذِّكْر وآدابه.

الفصل الرابع: في حكم الذِّكْر الشرعي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: في أقوال العلماء في حكم الذِّكْر.

المبحث الثاني: الترجيح بين الأقوال.

وأما الباب الثاني ففي منـــزلة الذِّكْر من العقيدة الإسلامية من بين سائر العبادات ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: الذِّكْر يزيد في الإيمان ويرسخ التوحيد بأقسامه في نفس الذاكر ويشتمل على أربعة مباحث:

المطلب الثالث: بيان ما اشتملت عليه الأذكار من أنواع العبادات.

الفصل الثاني: في كون الذِّكْر يرسخ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذِّكْر على ترسيخ الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: دلالة الذِّكْر على الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث: دلالة الذِّكْر على الإيمان بالرسل وعلى بعض حقوق المصطفى ﷺ.

الفصل الثالث: في كون الذِّكْر يرسخ الإيمان باليوم الآخر في نفس الذاكر وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذِّكْر على عذاب القبر ونعيمه.

المبحث الثاني: دلالة الذِّكْر على الجنة ونعيمها.

المبحث الثالث: دلالة الذِّكْر على النار وعذابها.

الفصل الرابع: في كون الذِّكْر يرسخ الإيمان بالقضاء والقدر وفيه الرد على الطوائف المخالفة في هذا الباب وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذِّكْر على تحقيق القدر وإثباته والدلالة على العدل والحكمة.

المبحث الثاني: دلالة الذِّكْر على الرد على الطائفتين المخالفتين في هذا الباب القدرية والجبرية ومناقشتهما في عدة مسائل خالفتا طريق الحق فيها.

المبحث الثالث: أحكام الرضى بقضاء الله وقدره.

المبحث الرابع: اشتمال الذِّكْر على مراتب القضاء والقدر.

المبحث الخامس: بيان معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله).

وأما الباب الثالث: في الذِّكْر غير المشروع وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب انتشار الذِّكْر غير المشروع وآثاره السيئة ومظاهر الغلو فيه، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أسباب انتشار الذِّكْر غير المشروع في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة.

المبحث الثالث: مظاهر الغلو في الأذكار.

المبحث الرابع: ذكر بعض المخالفات العقدية في الأذكار غير الشرعية.

الفصل الثاني: في الأذكار المبتدعة وما ورد في التحذير من الابتداع في الذِّكْر وغيره من العبادات وذكر جملة من نماذج وصور من الذِّكْر غير المشروع وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فيما ورد في التحذير من الابتداع عموماً وفي الذِّكْر خصوصاً من

المطلب الثاني: الذِّكْر الراتب.

المطلب الثالث: الذِّكْر الجماعي.

وأما الباب الرابع: شُبه القائلين بالذِّكْر غير المشروع ومناقشتها والرد عليها ... ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: شبههم فيما احتجوا به من الأدلة الصحيحة ومناقشتها ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: شبههم فيما احتجوا به من القرآن الكريم ومناقشتها.

المبحث الثاني: شبههم فيما احتجوا به من السنة الصحيحة ومناقشتها.

الفصل الثاني: شبههم فيما احتجوا به من الأدلة غير الصحيحة ومناقشتها ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الضعيفة والرد عليها.

المبحث الثاني: شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الموضوعة والرد عليها.

المبحث الثالث: شبههم فيما احتجوا به من الحكايات والمنامات والرد عليها.

وقبل الخاتمة جعلت ملحقاً يشتمل على نماذج من الأذكار الشرعية المقيدة والمطلقة.

وأما الخاتمة: فتحتوي على أهم النتائج.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث منهجاً توضحه النقاط التالية:

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من مظانها على حسب استطاعتي، وتقسيمها على حسب فصول ومباحث خطة البحث.

٢- عزو الآيات الواردة بذكر رقمها، وذكر اسم السورة.

٣- عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، مع ذكر أقوال أهل العلم من أهل الحديث في بيان درجة الحديث، إن كان في غير الصحيحين، أما إن كان في الصحيحين؛ فأقتصر عليهما غالباً، لأنه جاز القنطرة، وكذلك أصنع في آثار الصحابة والتابعين. وإن لم أقف على كلام لهم اجتهد في الحكم على الحديث وفق قواعدهم.

٤- أستخرج المباحث العقدية من الأحاديث الصحيحة.

٥- توثيق النقول من مصادرها التي نقلت منها.

٦- الإشارة إلى المصدر برقم الجزء والصفحة والباب إن احتيج إليه.

٧- ترجمة للأعلام غير المشهورين.

٨- التعريف بالفرق والطوائف والمصطلحات التي ترد في الرسالة.

٩- شرح المصطلحات الغربية من كتب غريب الحديث وشروح السنة.

١٠- تكرار الحديث في مواضع عدة من الرسالة ؛ لأنه قد يحتوي على أكثر من مسألة عقدية، وكذلك أقوال العلماء قد أكررها حسب الحاجة.

١١- الخاتمة. وفيها أهم النتائج والوصايا.

١٢- الفهارس العلمية: ١- فهرس الآيات القرآنية. ٢-فهرس الأحاديث النبوية. ٣-فهرس الآثار. ٤- فهرس الأعلام. ٥-فهرس المصادر والمراجع. ٦ - فهرس الموضوعات.

كلمة شكر

فالحمد لله أولاً وآخراً والشكر له سبحانه وتعالى على جميع نعمه الظاهرة منها والباطنة التي لا تحصى، وأشكره سبحانه وتعالى على توفيقه وتيسيره لجميع الأمور.

ثم أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله تعالى لوالدي الكريمين اللذين كانا يكثران من الدعاء لي بالتوفيق والسداد والرضا، واللذين شجعاني على طلب العلم، ومواصلة الدراسة، فأسأل الله أن يبارك لهما في عمرهما، ويختم لهما بأحب الأعمال إليه، ويدخلهما الجنة، ثم أشكر القائمين على الجامعة الإسلامية المباركة والتي أسأل الله العلي القدير بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلها على مرّ الأيام والدهور حصناً منيعاً، وطوداً شامخاً، ومنارة هدى، ومنبع خير لجميع المسلمين، والشكر موصول للقائمين على هذه البلاد المباركة، بلاد التوحيد والسنة.

كما أتوجه بالشكر الخاص لشيخي وأستاذي الفاضل فضيلة الدكتور عبد الله بن سليمان الغفيلي، المشرف على هذه الرسالة، والذي لم يألُ جهداً ولم يدخر وسعاً إلا وبذله، فأشكره على نصائحه القيمة وتوجيهاته السديدة، فجزاه الله عني خيراً، وأجزل له الأجر والمثوبة وبارك الله في علمه وعمره.

ثم أشكر جميع المشايخ والأخوة الذين استفدت منهم، وقدموا لي بعض التوجيهات والنصائح والذين وفّروا لي بعض المراجع فجزاهم الله خيراً ووفقهم لكل خير، وأخص بالذكر منهم شيخي الفاضل أ.د/عبد الرزاق العباد، الذي شجعني على هذا البحث، وأفدت منه كثيراً في كثير من المسائل، ثم أشكر الشيخين الفاضلين اللذين ناقشا رسالتي الشيخ: يوسف السعيد، ومحمد بن عبد الوهاب العقيل، كما أشكر زوجتي أم الحسن التي ضحّت وبذلت وسعها ووقتها في توفير الوقت لإخراج هذه الرسالة، فجزاها الله عني خيراً وأجزل لها الأجر والثواب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

۞ ۞ ۞

الباب الأول:

في معنى الذِّكْر وأنواعه وآدابه وفوائده وحُكمه الشرعي.

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في تعريف الذِّكْر والكلمات الدالة على معناه.

الفصل الثاني: في أقسام الذِّكْر.

الفصل الثالث: في فوائد الذِّكْر وآدابه.

الفصل الرابع: في حكم الذِّكْر الشرعي.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailiilmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الأول

في تعريف الذِّكْر والكلمات الدالة على معناه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في معنى الذِّكْر اللغوي والشرعي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في أصل كلمة الذِّكْر

المطلب الثاني: في معنى الذِّكْر اللغوي.

المطلب الثالث: في المعنى الشرعي للذكر والمناسبة بينه وبين المعنى اللغوي.

المبحث الثاني: في الكلمات الدالة على معنى الذِّكْر.

١



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

في معنى الذِّكْر اللغوي والشرعي.

المطلب الأول: في أصل كلمة الذِّكْر:

أصلُ كلمة الذِّكْر مصدرٌ لفعل (**ذَكَر**)، وهو مصدر سماعي، وهو المصدر المشهور للفعل (ذكر).

وذكر العلماء مصادر أخرى للفعل (ذكر) منها:

١- (ذُكْر)[١] يُقال: اجعله منك على ذُكْر، بضم الذال أي: لا تنسه واذكره على الدوام، ويقال: هو مني على ذِكر وعلى ذُكر لغتان[٢].

٢ - وهناك مصدر ثانٍ وهو(تِذْكار)، يُقال: ذكر الله يذكره ذِكراً وتذكاراً على وزن تِفعالاً [٣].

٣ - وهناك مصدر ثالث وهو: (ذكرى) تقول ذكر يذكر ذكراً وذِكرى[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٤٨/٥) (ط١٤١٧/٢هـ إحياء التراث العربي بيروت)، وانظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٤٨٩/٦)، (ط١٣٩٢/١هـ، المكتبة التجارية لمصطفى الباز) ومعجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس(٣٥٨/٢) (ط/١٣٩٩ هـ، دار الفكر، تحقيق عبد السلام هارون).

(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ١٦٨ (ط/دار المعارف).

(٣) القاموس المحيط (٩٤/٢). ط١٤١٥/١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) جمهرة اللغة لابن سيده (٣١٠/٢)، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد)، =

ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

أي يُذكرون ذكراً حسناً، أو أخلصناها لهم بذكرهم لها[2].

ومن ذلك قول الشاعر:

يا قلب دع ذكرى بثينة إنها وإن كنت تهواها تظن وتبخل[3].

٤ – والمصدر الرابع هو: (الذِّكْرة)، ومنه قول الشاعر:

أنّى ألمّ بــك الخيال يطيف ومطافه لك ذُكرة وشغوف[4].

أي ذكر و شغوف.

۞ ۞ ۞

= والمحكم له أيضاً (٦/٤٩٠)، وإصلاح المنطق ص ١٦٨، ونحوه في لسان العرب (٥/٤٨).

(١) سورة ص الآية: ٤٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٤٣١)، (ط١/١٤١٩ هـ مكتبة دار السلام الرياض)، وانظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦٦١، (ط١/١٤١٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت)، وتهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٦٥)، (مطابع سجل العرب، القاهرة، تحقيق علي حسن هلالي).

(٣) الشاعر هو: جميل بن معمر انظر ديوانه ص١٥٩، وانظر ترجمة جميل في وفيات الأعيان (١/٣٦٦).

(٤) هذا البيت لكعب بن زهير، انظر ديوانه ص٩٤ بشرح ودراسة د. مفيد قميحة، ط ١/١٤١٠هـ الناشر: دار الشواف، الرياض، وانظر: لسان العرب (٥/٤٩).

المطلب الثاني: في معنى الذِّكْر اللغوي.

وردت مادة (ذ ك ر) في الكتاب والسنة وكلام أهل اللغة وأُريد بها معان مختلفة:

فأما أصل الذِّكْر في اللغة فقد قال الواحدي[1]: "أصل الذِّكْر في اللغة التنبيه على الشيء ومن ذكّرَك شيئاً فقد نبّهك عليه، وإذا ذَكرته فقد نبهته عليه، ومعنى الذِّكْر حضور المعنى في النفس، ثم يكون تارة بالفعل وتارة بالقول، وليس بشرط أن يكون بعد نسيان"[2].

وقال ابن سيده[3]: "الذِّكْر الحفظ للشيء والذِّكْر أيضاً يجري على اللسان"[4].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، له مؤلفات كثيرة في التفسير واللغة والأدب منها أسباب النـــزول (ت:٤٦٨هـ)، انظر ترجمته: في وفيات الأعيان (٣٠٣/٣)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣٩/١٨)، (ط١٠/١٤١٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت)، وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٧٨.

(٢) نقله عنه النووي في تهذيب الأسماء واللغات (١١١/١) (طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) هو علي بن إسماعيل الأندلسي الضرير إمام في اللغة العربية (ت: ٤٥٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤٤/١٨-١٤٦)، والعبر في خبر من غبر (٣٠٨/٢).

(٤) المحكم لابن سيده (٤٨٩/٦)، وانظر: كتاب العين للفراهيدي (٣٤٦/٥) (ط/ ١٩٨٩م، دار الشئون الثقافية، بغداد)، ولسان العرب (٤٨/٥)، وتاج العروس للزبيدي (٣٧٦/١١)، (ط/١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت).

وقال ابن فارس[١]:" (ذكر): الذال والكاف والراء أصلان عنهما يتفرع كلم الباب... والأصل الآخر ذكرت الشيء خلاف نسيته ثم حُمل عليه الذِّكْر باللسان ويقولون: اجعله منك على ذُكر بضم الذال أي لا تنسه"[٢].

وقال القرطبي[٣] رحمه الله: "وأصل الذِّكْر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له، وسمي الذِّكْر باللسان ذكراً لأنه دلالة على الذِّكْر القلبي غير أنه لّما كثر إطلاق الذِّكْر على القول اللساني صار هو السابق للفهم"[٤].



---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المحدث كان إماماً في الأدب متفقهاً
على مذهب الإمام مالك متكلماً على طريقة أهل الحديث (توفي:٣٩٥هـ)، انظر:سير أعلام النبلاء (١٠٤/١٧- ١٠٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣٥٨/٢).

(٣) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله، من كبار المفسرين صالح متعبد من أهل قرطبة صاحب الجامع لأحكام القرآن في التفسير. انظر ترجمته في: مقدمة الجامع لأحكام القرآن، ونفح الطيب (٤٢٨/٢)، والأعلام للزركلي (٣٢٢/٥) (ط/دار العلم للملايين بيروت).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧١/٢) (ط/دار إحياء التراث العربي).

وأما المعاني التي أطلقت على الذِّكْر فهي كثيرة:

وقد أوصلها أصحاب كتب الأشباه والنظائر إلى عشرين وجهاً تقريباً وسأذكر تلك المعاني مع ذكر شواهد من استعمالها في الكتاب أوالسنة أو كلام العلماء وأهل اللغة.

وأبدأ الآن بسردها مستعيناً بالله عزوجل.

فأول إطلاقات الذِّكْر:

يطلق ويراد به: الذِّكْر باللسان:

قال الفراء[١]: الذِّكْر ما ذكرته بلسانك وأظهرته[٢].

وقال ابن منظور[٣]: الذِّكْر أيضاً الشيء يجري على اللسان والذِّكْر جَرْيُ الشيء على لسانك[٤].

---

(١) يحيى بن زياد الديلمي مولى بني أسد إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب (١٤٤-٢٠٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠)، ووفيات الأعيان (٢٢٨/٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢١٢/١١).

(٢) المحكم لابن سيده (٤٩٠/٦)، و لسان العرب لابن منظور (٤٨/٥).

(٣) هو محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي أبو الفضل بن منظور الإمام اللغوي الحجة وهو صاحب لسان العرب (توفي: ٧١١ هـ).

انظر ترجمته: فوات الوفيات (٢٦٥/٢)، والدرر الكامنة (٢٦٢/٤)، وشذرات الذهب (٢٦/٦).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٤٨/٥).

وقال أبو البقاء الكفوي[١]: الذِّكْر بالكسر له معنيان: أحدهماالتلفظ بالشيء...[٢]. وذكر هذا غير واحد من أهل العلم[٣].

والفعل (ذكر) إذا استعمل بهذا المعنى يتعدى بعلى كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٤][٥].

ومما استُعمل في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٦].

---

(١) أيوب بن موسى الحسيني الكوفي كان من قضاة الأحناف عاش وولي القضاء في عكفة بتركيا، وبالقدس وببغداد (توفي: ١٠٩٤م)، انظر: هدية العارفين ص ٢٢٩، والأعلام (٣٨/٢).

(٢) الكليات للكفوي ص٤٥٦، (ط٢/١٤١٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، عناية د/عدنان درويش).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٦٢/١٠)، و العين للفراهيدي (٣٤٦/٥)، والمحكم لابن سيده (٤٨٩/٦)، والنكت والعيون للماوردي (٥٢٦/١)، (ط/دار الكتب العلمية) ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص٣٠١ (ط١/١٤٠٤هـ مؤسسة الرسالة،بيروت)، وزاد المسير لابن الجوزي (٣١٣/٣) و(٤٦٣/١). (ط٣/١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت)، والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها لأبي عبد الله الدامغاني (٣٤٢/١) (ط١/١٤١٩هـ، مكتبة الفارابي، دمشق، تحقيق فاطمة الخيمي)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٩٤/٢)، والعلم الهيب للعيني ص٤٨، وضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم (١٢٠/٢) تأليف محمد باي بلعالم (ط/مطابع عمار فرفي، باتنة، الجزائر).

(٤) سورة الأنعام الآية:١٢١.

(٥) الكليات للكفوي ص٤٥٦.

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٠٠.

قال العيني: "أي فاذكروا الله باللسان"[١].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٢]

قال ابن كثير[٣] رحمه الله: "أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم وسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم"[٤].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[٦].

وكذلك قوله: ﴿۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾[٧]، كل هذه الآيات تدل على ذكر اللسان.

---

(١) انظر: العلم الهيب للعيني ص٤٨.

(٢) آل عمران:١٩١.

(٣) هو الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الدمشقي صاحب التفسير المشهور باسمه والمعدود من أحسن ماكتب في التفسير (توفي: ٧٧٤ هـ).
انظر ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر (٣٩٩/١)، وطبقات المفسرين للداوودي (١١٠/١)، و النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١٢٣/١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢١٥/٢) (ط١٤١٤/١هـ، دار الراية).

(٥) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٦) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

(٧) سورة البقرة الآية: ٢٠٣.

ثانياً: يطلق الذِّكْر ويراد به الذُّكْر بالقلب: ويكون مضموم الذال، والكاف ساكنة (ذُكْر).

قال الفراء: "والذُّكْر بالقلب يقال مازال مني على ذُكر أي لم أنسه"(١).

فالمذكور يكون حاضراً في النفس والذهن لايذهب عن البال.

وذكر هذا المعنى غير واحد من أهل العلم(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ ﴾(٣).

قال الماوردي(٤) عن هذا الذُّكْر: "فيه قولان: أحدهما أنهم ذكروه بقلوبهم فلم ينسوه ليعينهم ذكره على التوبة والاستغفار"(٥).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾(٦).

---

(١) لسان العرب (٥/٤٨).

(٢) انظر: الوجوه والنظائر (١/٣٤٣)، ونزهة الأعين النواظر ص٣٠١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١١١)، ولسان العرب (٥/٤٩)، والكليات لأبي البقاء ص٤٥٦، وضياء المعالم (٢/١٢٠).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٥.

(٤) علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي من أشهر قضاة عصره (٣٦٤ -٤٥٠ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٤).

(٥) النكت والعيون للماوردي (١/٤٢٤)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي لهذه الآية (١/٤٦٣).

(٦) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

فقد فُسِّر الذِّكْر فيها على قول بعض المفسرين بأنه ذكر القلب واستدامة الفكر، كما قال الماوردي: "وفي هذا الذِّكْر ثلاثة أوجه ...والثاني: أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته"[(١)].

ثالثاً: بمعنى الثناء:

قال الزجاج[(٢)]: "وفلانٌ يذكر الله أي يصفه بالعظمة ويثني عليه ويوحده"[(٣)].

ويكون الثناء باللسان، وذكر هذا المعنى غير واحد من العلماء[(٤)].

والثناء على الله يكون بذكر جميع محامده وصفاته وأسمائه وتقديسه وتسبيحه وتهليله ومن ذلك قوله تعالى:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٥)].

---

(١) النكت والعيون للماوردي (٢/ ٢٩٠)، وذكر ابن الجوزي للآية هذا المعنى في تفسيره (٣/٣١٣).

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة كان من أهل العلم والأدب والدين (توفي: ٣١٣ وقيل ٣١٠ هـ) في بغداد. انظر: معجم الأدباء (١/٤٧)، تاريخ بغداد (٦/٨٩)، وفيات الأعيان (١/٤٩) (ط/دار الثقافة، بيروت) والأعلام (١/ ٤٠).

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١٠/ ١٦٤)، ولسان العرب (٥/ ٥٠).

(٤) انظر: المحكم لابن سيده (٦/ ٤٩٠)، ونزهة الأعين النواظر ص٣٠٥، ولسان العرب (٥/ ٥٠)، والقاموس المحيط (٢/ ٩٤)، والكليات ص٤٥٧.

(٥) سورة الشعراء الآية: ٢٢٧.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[1].

قال صاحب الكشاف: "اذكروا الله: اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتمجيد والتهليل وما هو أصله وأكثروا من ذلك"[2].

وذكر ابن الجوزي وجهاً من التفسير لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾[3]. قال: والوجه الثاني: أنه الثناء على الله والحمد له[4].

رابعاً: الذِّكْر بمعنى الصلاة:

قال ابن سيده: "الذِّكْر الصلاة لله"[5]. وكذا ذكره غيره[6].

وقد جاء لفظ الذِّكْر بمعنى صلاة الجمعة تارة، والصلوات الخمس تارة، وصلاة العصر تارة أخرى.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

(٢) الكشاف (٣/٥٤٥).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٩.

(٤) زاد المسير (١٠/٢٨٥).

(٥) المحكم لابن سيده (٦/٤٩٠)

(٦) انظر: العين للفراهيدي (٥/٣٤٦)، و تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٦٢)، ومشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٢٦٩)، (ط/دار التراث بالقاهرة)، ونزهة الأعين ص٣٠٥، ولسان العرب (٥/٥٠)، والقاموس المحيط (٢/٩٤)، والوجوه والنظائر (١/٣٤٦)، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٣/١٣-١٥)، والكليات للكفوي ص٤٥٧.

قال ابن جرير[١] رحمه الله: "قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾[٢]: فإذا أمنتم فصلوا الصلاة كما افترض الله عليكم وقوله هاهنا: فاذكروا الله، قال: الصلاة"[٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا﴾[٤]، وفسره ابن مسعود -رضي الله عنه- بقوله: "إنما يعني بهذا الصلاة المكتوبة إن لم تستطع قائماً فقاعداً وإن لم تستطع فصل على جنبك فالمراد نفس الصلاة لأن الصلاة ذكر لله تعالى وقد اشتملت على الأذكار المفروضة والمسنونة"[٥].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد، له كتب أهمها تاريخه وتفسيره، قال عنه ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، كان مجتهدا في أحكام الدين لايقلد أحداً. انظر ترجمته: تاريخ بغداد (١٦٢/٢)، وتذكرة الحفاظ (٣٥١/٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٢٠/٣)، والوفيات (٤٥٦/١).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٩.

(٣) تفسير الطبري المسمى جامع البيان (٥٧٧/٢)، (ط٣/١٣٨٨هـ مصطفى البابي مصر)، وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢٨٥/١).

(٤) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٥) نقله عنه القرطبي في تفسيره (٣٧٤/٥) وفي (٣١١/٤)، وابن الجوزي في تفسيره (١٨٧/٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[١]، قال ابن جرير:"وقال بعضهم معنى ذلك: لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيع عن الصلوات المفروضة عليهم. ونقل عن ابن عباس قوله: يقول عن الصلاة المكتوبة"[٢]. وبه قال عطاء وسالم وابن عمر[٣].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٤]،

قال ابن جرير: "وقيل: عَنَى بذكر الله جل ثناؤه في هذا الموضع: الصلوات الخمس ونقل هذا التفسير عن الضحاك[٥].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[٦].
قال ابن السائب: إنه الصلوات الخمس[٧].

---

(١) سورة النور الآية: ٣٧.
(٢) تفسير الطبري (١٨/١٤٧).
(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٤٨).
(٤) سورة المنافقون الآية:٩.
(٥) تفسير الطبري (٢٨/١١٧).
(٦) سورة الأحزاب الآية:٤١.
(٧) زاد المسير لابن الجوزي (٦/٣٩٦)، وانظر تفسير أبي المظفر السمعاني (٤/٢٩١) (ط/دار الوطن).

وأما صلاة الجمعة فقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾[١].

قال ابن الجوزي[٢]: "في المراد بذكر الله قولان: أحدهما: أنه الصلاة قاله الأكثرون..."[٣].

وقال السمعاني[٤]: "إلى ذكر الله"فيه قولان: أحدهما: أنه الخُطبة والآخر أنه الصلاة وهو الأصح"[٥].

وأما صلاة العصر ففي قوله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾[٦].

قال ابن الجوزي: والمفسرون على أن المراد بذكر ربه: صلاة العصر، قاله علي وابن مسعود وقتادة في آخرين"[٧].

---

(١) سورة الجمعة الآية: ٩.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي أبو الفرج، علاّمة عصره في التاريخ والحديث كثير التصانيف مولده ووفاته ببغداد (توفي سنة ٥٩٧ هـ) من كتبه تلبيس إبليس ونزهة الأعين النواظر.

انظر ترجمته: البداية والنهاية (١٣/٢٨).

(٣) زاد المسير لابن الجوزي (٨/٢٦٥).

(٤) الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبـد الجبار التميمي السمعاني المروزي. انظر: السير (١٩/١١٤)، وطبقات المفسرين للداوودي (٢/١٣٩).

(٥) تفسير السمعاني (٥/٤٣٥).

(٦) سورة ص الآية:٣٢.

(٧) زاد المسير (٧/١٢٩)، وانظر تفسير الماوردي النكت والعيون (٥/٩٢)، وتفسير القرطبي (١٥/١٩٥- ١٩٦)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٤٢٢)، (ط/دار السلام).

والصلاة لغة الدعاء والدعاء ضرب من الذِّكْر.

خامساً: بمعنى الشرف.

قال ابن فارس: "الذِّكْر: العلاء والشرف وهو قياس الأصل"[١].

وذكر هذا المعنى غير واحد من العلماء[٢]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ﴾[٣]. قال ابن الجوزي:"أي شرف وثناءٌ جميل يُذكَرون به أبداً"[٤].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[٥].

قال ابن جرير: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك...وقال آخرون: بل عنى بالذِّكْر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه شرفكم"[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٥٨/٢).

(٢) انظر: كتاب العين للفراهيدي (٣٤٦/٥)، والمحكم لابن سيده (٤٨٩/٦)، ولسان العرب (٥/٥٠-٥١)، وتفسير القرطبي (٣٣١/١)، والوجوه والنظائر (٣٤٦/١)، ونزهة الأعين ص٣٠٤، وبصائر ذوي التمييز (١٤/٣)، والقاموس المحيط (٩٤/٢).

(٣) سورة ص الآية: ٤٩.

(٤) تذكرة الأريب في تفسير الغريب (١٢١/٢) لابن الجوزي، وتفسيره زاد المسير (١٤٨/٧).

(٥) سورة الأنبياء الآية: ١٠.

(٦) تفسير ابن جرير الطبري (٦/١٧)، وتفسير القرطبي (٢٧٣/١١).

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾: شرفكم(١).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾(٢)، قال ابن جرير رحمه الله: "وقال آخرون: بل معنى ذلك بل أتيناهم بشرفهم وذلك أن هذا القرآن كان شرفاً لهم لأنه نزل على رجل منهم"(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝﴾(٤).

قال ابن جرير: "قال بعضهم: معناه ذي الشرف"(٥).

فالقرآن الكريم شريف ذو منزلة عالية كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝﴾(٦)، ومن حفظه وعمل به وتلاه وتدبره رفع الله ذكره وأعلى شأنه، فالقرآن ذو شرف كما أنه يشرف أصحابه وأهله.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٨٤٠)، (ط/دار السلام).

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٧١.

(٣) تفسير الطبري (١٨/٤٣).

(٤) سورة ص الآية: ١، ٢.

(٥) تفسير الطبري (٢٣/١١٨)، ونقل ابن جرير هذا المعنى عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وأبي حصين والسدي وابن عيينة وإسماعيل بن أبي خالد، وانظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٤١٢)، وكذا فسره السمعاني في تفسيره (٤/٤٢٣)، وابن الجوزي في تذكرة الأريب (٢/١١٧).

(٦) سورة الزخرف الآية: ٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[(١)].

"يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش إذ نـــزل بلغتهم على رجل منهم نظيره: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[(٢)] أي: شرفكم"[(٣)].

وإنما وضع الذِّكْر موضع الشرف لأن الشريف يذكر[(٤)].

سادساً: الطاعة.

وذكر هذا المعنى غير واحد من العلماء[(٥)].

قال الزجاج:"الذِّكْر: الطاعة"[(٦)].

واستشهد مَنْ ذكَر هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[(٧)].

وفسره بالعمل الصالح والطاعة [(٨)].

---

(١) سورة الزخرف الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٣/١٦).

(٤) زاد المسير لابن الجوزي (٣١٨/٧).

(٥) انظر: المحكم لابن سيده (٤٩٠/٦)، والوجوه والنظائر (٣٤٢/١)، ونزهة الأعين النواظر ص٣٠٤، والكليات ص٤٥٧، وبصائر ذوي التمييز (١٥/٣)، ولسان العرب (٥٠/٥).

(٦) لسان العرب(٥٠/٥).

(٧) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٨) الوجوه والنظائر (٣٤٢/١).

قال سعيد بن جبير[١] رحمه الله: "اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي"[٢].

وقال أيضاً: "فالذِّكْر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر الله ومن لم يطع فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن"[٣].

ولما كان الذِّكْر مصاحباً لجميع العبادات والطاعات في أولها وأوسطها وآخرها - سواء ذكر اللسان أم ذكر القلب- سميت الطاعة به.

سابعاً: القرآن.

ذكره غير واحد من العلماء[٤].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٥].

قال القرطبي: "وهم بذكر الرحمن، أي: القرآن"[٦].

وقوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[٧].

---

(١) سبقت ترجمته ص١١.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٧٨).

(٣) الفتوحات الربانية (١/١١٣).

(٤) ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص٣٠٤، والكفوي في الكليات ص٤٥٧، والأصبهاني في المفردات ص٣٢٨ (ط١/١٤١٢هـ دار القلم، دمشق)، والقرطبي في تفسيره (١١/٢٨٨)، والدامغاني في الوجوه والنظائر (١/٣٤٤).

(٥) سورة الأنبياء الآية: ٣٦.

(٦) تفسير القرطبي (١١/٢٨٨).

(٧) سورة الأنبياء الآية:٢.

قال ابن الجوزي: "وفي هذا الذِّكْر ثلاثة أقوال: أنه القرآن، قاله ابن عباس، فعلى هذا تكون الإشارة بقوله:(محدث) إلى إنــزاله له لأنه أنــزل شيئاً بعد شيء[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَـٰهُ ﴾[2].

قال ابن كثير: "يعني القرآن العظيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ ﴾[4].

قال ابن كثير: "يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بإنزال القرآن عليه من بينهم كلهم"[5].

وقوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ ﴾[6]، فسّره بعض العلماء بأن الذِّكْر هنا هو القرآن الحكيم[7].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ ﴾[8].

---

(١) زاد المسير (٣٣٩/٥)، وانظر تفسير الطبري (٣/١٧)، ونقل قول قتادة في ذلك.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٥٠.

(٣) تفسير ابن كثير (١٨٤٩/٣).

(٤) سورة ص الآية: ٨.

(٥) تفسير ابن كثير (٢٤١٥/٤).

(٦) سورة الزخرف الآية:٥.

(٧) نقله ابن الجوزي عن قتادة وابن زيد في زاد للسيير (٣٠٣/٧)، وانظر تفسير ابن كثير (٢٥٢٢/٤).

(٨) سورة يس الآية:١١.

قال ابن كثير: "إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذِّكْر، وهو القرآن العظيم"[١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[٢].

قال ابن كثير: "ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذِّكْر وهو القرآن"[٣].

ثامناً: التوراة والإنجيل والكتب السابقة التي فيها تفصيل الدين

ذكر هذا المعنى غير واحد من أهل العلم[٤].

قال الفراهيدي[٥]: "والذِّكْر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل كتاب للأنبياء ذكر"[٦]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٣٥٨).

(٢) سورة الحجر الآية:٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/١٥٤٤).

(٤) الخليل في العين (٥/٣٤٦)، وابن الجوزي في نزهة الأعين ص٣٠٤، والراغب في المفردات ص٣٢٨، والكفوي في الكليات ص٤٥٧، وابن منظور في اللسان (٥/ ٥٠)، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٣/١٥).

(٥) الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض وهو شيخ سيبويه. انظر: تهذيب السماء واللغات (١/١٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩)، وأنباه الرواة (١/٣٤١).

(٦) العين (٥/٣٤٦).

(٧) سورة الأنبياء الآية: ٧.

قال ابن جرير: "فسئلوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل"[١].

وقال ابن كثير: "أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوئف، هل كان الرسل الذين أتوهم بشراً أو ملائكة؟!"[٢].

وفسر بعضهم الذِّكْر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[٣] أنه التوراة[٤].

تاسعاً: العيب.

قال الفراء: "وأنت قائل للرجل: لئن ذكرتني لتندمنّ وأنت تريد بسوء، فيجوز ذلك، قال عنترة:

لا تذكري فرسي وما أطعمتُه فيكون جلدُك مثل جلد الأجرب[٥]

أراد لاتعيبي مهري، فجعل الذِّكْر عيباً[٦].

(١) تفسير الطبري (١٧/٥) ونقل عن قتادة مثله.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٨٤٠).

(٣) سورة الأنبياء الآية: ١٠٥.

(٤) نقله ابن جرير (١٧/١٠٣) عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير، ونقل ابن كثير ذلك في تفسيره (٣/١٨٧٦) عن الحسن وقتادة والشعبي وغيرهم.

(٥) انظر: مختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا ص٣٩٦ (طبعة/الحلبي)، وشرح ديوان عنترة (ص ١٨)، (ط/دار الكتب العلمية. بيروت).

(٦) لسان العرب (٥/٥٠).

قال الزجاج: "ويقال فلان يذكر الناس أي يغتابهم ويذكر عيوبهم"[١].

وذكر هذا المعنى غير واحد من العلماء[٢].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٣].

قال ابن جرير: "يعني بقوله يذكر آلهتكم بسوء يعيبها...والعرب تضع الذِّكْر موضع المدح والذم، فيقولون: سمعنا فلاناً يذكر فلاناً وهم يريدون سمعناه يذكره بقبيح، ويعيبه ومن ذلك قول عنترة ...لاتذكري فرسي ..."[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[٥].

قال ابن جرير:"سمعنا فتىً يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم. ثم نقل قولَ ابن جريج قال: يذكرهم: يعيبهم. وقولَ ابن إسحاق: سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزيء بها"[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كأصحاب الكتب التالية: الوجوه والنظائر (٣٤٦/١)، ونزهة الأعين النواظر ص٣٠٥، والكليات ص٤٥٧٠، وبصائر ذوي التمييز (١١/٣)، والغريبين للهروي (٦٧٨/٢). (ط١/١٤١٩ هـ.مكتبة الباز، مكةالمكرمة).

(٣) سورة الأنبياء الآية:٣٦.

(٤) تفسير الطبري (٢٥/١٧).

(٥) سورة الأنبياء الآية:٦٠.

(٦) جامع البيان للطبري (٣٩/١٧).

فمن هنا نلحظ أن الذِّكْر أحياناً يأتي للمدح والثناء، وأحياناً يأتي للشتم والعيب والتقبيح، فإن كان فيمن يحب فهو مدح وثناء، وإن كان فيمن يُكره فهو سب وتقبيح.

عاشراً: العظة والتذكير.

وذكر هذا المعنى غير واحد من أهل العلم[١]، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٢].

قال ابن كثير: "أي تذكيراً لهم وعظة"[٣].

وقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه: "تركوا ما وعظوا به"[٥].

ورجح ابن جرير معنى قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾﴾[٦]

---

(١) ابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص٣٠٣، والكفوي في الكليات ص٤٥٧ والدامغاني في الوجوه النظائر (٣٤٥/١)، والفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز (١٣/٣) والقاموس (٩٣/٢).

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٤٨

(٣) تفسير ابن كثير (١٨٤٩/٣).

(٤) سورة الأنعام الآية: ٤٤.

(٥) تفسير ابن الجوزي (٣٩/٣).

(٦) سورة ص الآية: ١-٢.

بأنه ذي التذكير، فقال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ذي التذكير لكم"(١).

وقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ ﴾(٢).

قال ابن جرير: "يقول: أو عجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة"(٣).

كما أن ابن جرير اختار في قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٤): "أنه موعظة الإمام في خطبته"(٥).

وقوله:﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾(٦) أي: سيتعظ.

وقوله تعالى: ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾(٧): أي عظة وعبرة...

وغير ذلك من الأيات كثيرة.

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/١١٨)، وانظر: تفسير زاد المسير (٧/٩٨)، ونقل فيه عن الضحاك أنه بمعنى التذكير.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٦٣.

(٣) تفسير الطبري (٨/٢١٤).

(٤) سورة الجمعة الآية: ٩.

(٥) تفسير الطبري (٢٨/١٠٢)، ونقل هذا المعنى عن مجاهد وسعيد بن المسيب رحمهما الله.

(٦) سورة الأعلى الآية: ١٠.

(٧) سورة غافر الآية: ٥٤.

الحادي عشر: الخبر.

وقد ذكره غير واحد من علماء الغريب[١]، ومن شواهده قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾[٢].

قال ابن جرير: "سأقص عليكم منه خبراً"[٣].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾[٤].

قال ابن جرير: "﴿ذِكْرُ مَن مَّعِىَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به ...﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾، يقول: خبر من قبلي من الأمم التي سلفت"[٥]. وكذا قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦٨﴾[٦].

الثاني عشر: الرسول.

وقد ذكره غير واحد من العلماء[٧].

---

(١) الدامغاني في الوجوه والنظائر (٣٤٥/١)، وابن الجوزي في نزهة الأعين ص ٣٠٣، والكفوي في الكليات ص ٤٥٧، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (١٣/٣)، وصاحب الألفية بلعالم (١٢٣/٢).

(٢) سورة الكهف الآية: ٨٣.

(٣) تفسير الطبري (٨/١٦).

(٤) سورة الأنبياء الآية:٢٤.

(٥) تفسير الطبري (١٥/١٧)، ونقل هذا المعنى عن قتادة وابن جريج.

(٦) سورة الصافات الآية: ١٦٨.

(٧) انظر: المفردات ص ٣٢٨، والوجوه والنظائر (٣٧٤/١)، ونزهة الأعين ص ٣٠٦، وبصائر ذوي التمييز (١٥/٣)، والكليات ص ٤٥٧.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[1].

قال ابن الجوزي: "وقال ثعلب: الرسول هو الذِّكْر"[2].

وقال ابن جرير: "وقال آخرون: الذِّكْر هو الرسول. والصواب من القول في ذلك أن الرسول ترجمةٌ عن الذِّكْر أي تفسيرٌ له، ولذلك نُصِبَ لأنه مردود عليه على البيان عنه والترجمة"[3].

الثالث عشر: اللوح المحفوظ وأم الكتاب.

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ۝ ﴾[4].

قال ابن كثير: "وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية القدرية فهو كائن لا محالة"[5].

---

(١) سورة الطلاق الآية: ١٠، ١١.

(٢) تفسير ابن الجوزي (٢٩٨/٩).

(٣) تفسير الطبري (١٢٥/٢٨)، ونقل القرطبي في تفسيره عن الحسين بن الفضل في قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ ﴾ قال: إن الذِّكْر هنا الرسول نفسه بدليل ما في الآية: من السياق: ﴿ هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾. انظر: تفسير القرطبي (٢٦٨/١١).

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٠٥.

(٥) تفسير ابن كثير (١٨٧٦/٣).

وقد نقل المفسرون عن غير واحد من السلف أن الذِّكْر هنا بمعنى اللوح المحفوظ وأم الكتاب[١].

وجاء في الحديث عنه ﷺ: **«وكتب الله في الذِّكْر كل شيء»**[٢].

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: "قوله: (وكتب) أي قدر (في الذِّكْر) أي في محل الذِّكْر أي في اللوح المحفوظ، (كل شيء) أي من الكائنات"[٣].

الرابع عشر: الحديث.

أو ذِكرُ الأمر أو التحدث بالشيء.

وذكرهذا المعنى غير واحد من أهل العلم[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠٣/١٧) حيث نقل عن سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الرحمن ابن زيد والثوري وابن عباس وانظر: تفسير القرطبي (٣٦٧/١١)، (ط/دار الحديث)، وتفسير ابن كثير (٣٧٩/٥-٣٨٠)، وممن ذكر هذا المعنى أيضاً الأصفهاني في المفردات ص ٣٢٩، والدامغاني في الوجوه والنظائر (٣٦/١)، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص ٣٠٦، وأبو البقاء الكفوي في الكليات ص ٤٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (٢٦٩٩/٦) ح ٦٩٨٢.

(٣) فتح الباري (٢٩٠/٦).

(٤) الدامغاني في الوجوه والنظائر (٣٤٣/١)، و ابن الجوزي في النزهة ص ٣٠٣، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (١٤/٣)، والكفوي في الكليات ص ٤٥٦، وصاحب الألفية بلعالم (١٢٢/٢).

ومن شواهده قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾[١] أي حدثه بحالي.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ﴾، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ﴾، ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ﴾[٢]. أي: اذكر أمرهم لأهل مكة وحدثهم بحديثهم.

الخامس عشر: الحفظ.

وقد ذكره بعض العلماء[٣]، قال ابن سيده: "الذِّكْر الحفظ للشيء"[٤].

ومن شواهده قوله تعالى: ﴿ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٦].

---

(١) سورة يوسف الآية: ٤٢.

(٢) سورة مريم الآيات: ٤١، ٥١، ٥٤، ٥٦. على الترتيب.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين (٥/٣٤٦)، وابن سيده في المحكم (٦/٤٨٩) والهروي في الغريبين (٢/٦٧٨)، وابن الجوزي في النـــزهة ص ٣٠٤، والزبيدي في تاج العروس (١١/٣٧٦)، وابن منظور في لسان العرب (٥/٤٨)، والكفوي في الكليات ص٤٥٧.

(٤) المحكم لا بن سيده (٦/٤٨٩).

(٥) سورة البقرة الآية: ٦٣.

(٦) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

قال الهروي: "أي احفظوا ولاتضيعوا شكرها، كما يقول العربي لصاحبه اذكر حقي عليك: أي احفظه ولاتضيعه"[(١)]، وفسّر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[(٢)]، أي احفظن[(٣)].

فالذِّكْر لا يكون فقط عن نسيان بل يكون أيضاً من غير نسيان وهو إدامة الحفظ[(٤)]، واستحضار المذكور.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾[(٥)] أي للحفظ[(٦)].

السادس عشر: البيان.

ذكره أصحاب الغريب[(٧)]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ ﴾[(٨)].

---

(١) الغريبين للهروي (٦٧٨/٢).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٣١/١).

(٤) انظر: المفردات ص ١٧٩.

(٥) سورة القمر الآية: ١٧.

(٦) ضياء المعالم شرح الألفية في الغريب لابن العالم للشيخ بلعالم (١٢٣/٢).

(٧) الدامغاني في الوجوه والنظائر (٣٤٦/١)، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص٣٠٥، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (١٤/٣-١٥)، والكفوي في الكليات ص ٤٥٧.

(٨) سورة الأعراف الآية: ٦٣.

وبقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[١]، وبقوله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[٢].

وقد نقل الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[٣]، معناها: بيّنا لهم"[٤].

ونُقل عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾[٥] أنه البيان[٦].

ولا شك أن القرآن جاء مبيناً وتبياناً لكل شيء فقد بين التوحيد والأحكام وأمور المعاد أحسن بيان.

السابع عشر: الوحي.

وقد ذكره بعض العلماء[٧]، ومثّلوا له بقوله تعالى: ﴿ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[٨].

---

(١) سورة ص الآية: ٤٩.

(٢) سورة يوسف الآية: ١٠٤.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ٧١.

(٤) تفسير الطبري (١٨/٤٣).

(٥) سورة ص الآية: ١، ٢.

(٦) زاد المسير (٧/٩٨).

(٧) الدامغاني في الوجوه والنظائر (١/٣٤٦)، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص ٣٠٥، والفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز (٣/١٤-١٥)، والكفوي في الكليات ص ٤٥٧.

(٨) سورة الصافات الآية: ٣.

وفي المرسلات: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝﴾[١].

وبقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾[٢].

وبقوله: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[٣].

وقد ذكر بعض العلماء زيادة على تلك المعاني معانٍ أخرى واستدلوا لها بأدلة محتملة الأوجه، وأعرضتُ عن ذكر شواهد لها لقلة استعمالها، منها العذاب والإيمان والتوحيد والخيرُ والتورية والخطبة والتوبة والاستثناء والشعر والجزاء[٤].

وقد نظم هذه المعاني كلها أحد العلماء بنظم جيد فقال[٥]:

الذِّكْر بالقلبِ أواللســـان ... والحفـــظ والطاعة والبيان

والصلوات والجزاء والعظة ... وفي الصلاة والدعاء والجمعة

والعصر والكتاب والتوراةِ ... وفي الحديـــث والقرآن آتِ

---

(١) سورة المرسلات الآية: ٥.

(٢) سورة الحجر الآية: ٦.

(٣) سورة ص الآية: ٨.

(٤) انظر: مشارق الأنوار للقاضي عياض (١/٢٦٩) (ط/دار التراث القاهرة، مصر)، والنهاية لابن الأثير(٢/١٦٣)، (ط/١٣٨٣ هـ المكتبة الإسلامية)، وألفية الغريب مع شرحها لابن العالم (٢/١٢٠).

(٥) ناظمها هو محمد بن العالم الرحلاوي، انظر: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم للشيخ محمد بلعالم (٢/١٢٠).

والوحي والرسول والثناء والعيب والخبر والسناء

ولوحه المحفوظ والإيمان وحفظ أوتلاوة القرآن

وقول الاستثناء والعذاب والشعر في الطاعة من ذا الباب

فهذا حاصل ما وقفت عليه من معاني للذكر، والله أعلم.



المطلب الثالث:

في المعنى الشرعي للذكر والمناسبة بينه وبين المعنىاللغوي.

لقد عّرف العلماءُ قديماً وحديثاً الذِّكْر بتعاريف عديدة، وكلهم رام توضيح حقيقته الشرعية، وممن عرّفه:

١- صاحب منازل السائرين[١] رحمه الله، حيث قال: "والذِّكْر هو التخلص من الغفلة والنسيان"[٢].

٢ - ابن منظور رحمه الله: حيث قال: "يراد به تمجيد الله وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده"[٣].

٣- ابن القيم رحمه الله[٤] حيث قال:"الذِّكْر ثناء على الله عزوجل

---

(١) صاحب منازل السائرين: عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي أبو إسماعيل شيخ خراسان في عصره، من كبار الحنابلة، كان بارعاً في اللغة حافظاً للحديث عارفاً بالتاريخ والأنساب مظهراً للسنة داعياً إليها، امتحن وأوذي، من كتبه (ذم الكلام وأهله). انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٣)، والأعلام (٤/١٢٢)، والذيل على طبقات الحنابلة (١/٦٤).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٥١).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٥/٥٠) — ذكر-.

(٤) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين، كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، يغلب عليه حب ابن تيمية، حتى كاد أن لا يخرج عن شيء من أقواله بل غالباً ينتصر له، وكان كثير العبادة حسن الصلاة.

انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/٢١) ترجمة رقم (٣٥٨) والبداية والنهاية (٤/٢٣٤).

بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه"[١].

وقال أيضاً:"ذكر الله يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والإيمان به و بصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لايتم إلابتوحيده، فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمة وآلائه وإحسانه إلى خلقه"[٢].

٤ - ابن حجر رحمه الله[٣]، قال في تعريفه للذكر:

"والمراد بالذِّكْر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار والدعاء بخيري الدنيا والآخرة.

ويطلق ذكر الله ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أوندب إليه كتلاوة القرآن وقرآءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة"[٤].

---

(١) الوابل الصيب ص١٢٠. (ط١/١٤٠٥ هـ الناشر:دار الكتاب العربي، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض).

(٢) الفوائد لابن القيم ص١٢٨ (ط٢/١٣٩٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) هو أحمد بن حجر بن علي بن محمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني المصري الحافظ، صاحب التصانيف النافعة في الحديث وعلومه، ومنها فتح الباري شرح صحيح البخاري الذي هو من أحسن شروحه توفي (٨٥٢هـ). انظر: البدر الطالع للشوكاني (٨٧/١).

(٤) فتح الباري (٢١٣/١١)، (ط/دار الريان للتراث القاهرة ط ١٤٠٩/٢ هـ).

٥- ابن علان[١] رحمه الله حيث قال:

"إن الذِّكْر يطلق على كل مطلوب قولي وأما أصل وضعه فهو بما تعبدنا به الشارع بلفظه مما يتعلق بتعظيم الحق والثناء عليه"[٢].

٦ - أبو البقاء الكفوي[٣] رحمه الله، قال في تعريفه للذكر:"هو الإتيان بألفاظ ورد الترغيب فيها ويطلق ويرادبه المواظبة على العمل بما أوجبه الله أو ندب إليه كالتلاوة وقراءة الأحاديث ودرس العلم والنفل بالصلاة"[٤].

٧- الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي[٥] رحمه الله حيث قال:

"وإذا أطلق ذكر الله شمل كل ما يقرب العبد إلى الله من عقيدة أوفكر أو عمل قلبي، أو عمل بدني أو ثناء على الله، أو تعلم علم نافع وتعليمه ونحو ذلك فكله ذكر لله تعالى"[٦].

---

(١) محمد بن علي محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي، مفسر عالم بالحديث من أهل مكة، له مصنفات ورسائل كثيرة، من أشهرها الفتوحات الربانية على الأذكار النووية (ت ١٠٥٧ هـ)، انظر: إيضاح المكنون (٥٧٨/١) والأعلام (٢٩٣/٦).

(٢) الفتوحات الربانية (٣٩٦/١)، (ط/دار إحياء التراث العربي، بيروت)، بدون تاريخ الطبعة ورقمها.

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٣٤.

(٤) الكليات للكفوي (٤٥٦) (ط ٢/مؤسسة الرسالة)،

(٥) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر التميمي السعدي من أبرز علماء القصيم مفسر ومحدث وأصولي وفقيه توفي سنة ١٣٧٦ هـ انظر: معجم المؤلفين (٣٦٩/١٣) وقد بسط الشيخ عبد الرزاق العباد ترجمته في أول رسالته (الشيخ ابن سعدي وجهوده في العقيدة).

(٦) انظر: الرياض الناضرة (ص ٢٤٥).

وأطلقه بعضهم على الصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والدعاء والشكر والطاعة [١].

ومما سبق من التعاريف يتبين لنا أن الذِّكْر بمعناه الشرعي له إطلاقان عام وخاص:

فأما الذِّكْر بمعناه العام: فيطلق ويراد به جميع أنواع العبادات القلبية والبدنية وأعمال اللسان من صلاة وصيام وحج ودعاء وثناء وقراءة للقرآن وتسبيح وتحميد وتمجيد وغير ذلك من أنواع العبادات التي تقرب العبد إلى ربه.

وأما الذِّكْر بمعناه الخاص: فهو ما يجري على لسان العبد وقلبه من ألفاظ متضمنة الثناء على الله عزوجل بجميل أوصافه وأسمائه وأفعاله وآلائه وتمجيده وتحميده وتهليله وتسبيحه وتكبيره ونحو ذلك مما ورد الترغيب فيها والحث عليها من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ على اختلاف الأحوال والمناسبات واختلاف الزمان والمكان من غير غفلة ولا نسيان.

وهذا هو المراد من هذه البحث.

وأما المناسبة بين المعنى اللغوي والشرعي: فبيّنةٌ واضحة إذ إن الذِّكْر في اللغة -كما تقدم- يطلق على جريان الشيء على اللسان وعدم النسيان، كما أنه يطلق على الثناء والطاعة وهذه المعاني موجودة في المعنى

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٠/١٦٣)، ولسان العرب (٥/٥٠).

الشرعي للذكر؛ إذ إن الذاكر على الدوام يجري على لسانه ذكر الله ويتفكر بقلبه، ولا ينسى ربه ومولاه كما أنه مثنٍ على الله تعالى جل في علاه من أول استيقاظه إلى نهاية يومه وهو بذلك مطيع لربه عزوجل.

وبعد هذا، فليعلم المسلم أن ما ورد من الذِّكْر الشرعي لايُراد به تلفظه فحسب، بل وأيضاً يُراد به الوقوف على حقائقه ومعانيه وما يقتضيه، والتأثر بما يدل عليه حتى يمتلىء القلب خشية وخوفاً وحباً ورجاءً وتوكلاً وإنابةً، فيصبح القلب يقظاناً بعيداً عن النوم والغفلة، فإذا استيقظ القلب من غفلته وانجلى عنه صداه وأشرق نور الإيمان في حناياه، وأخبت إلى مولاه علم علماً يقينياً أن الله حافظٌ رقيبٌ قائمٌ عليه مُطّلعٌ حسيبٌ عالمٌ بكل الأحوال والخفيات والحركات والسكنات، فيذكر الله إذا زُيّنت له المعاصي فينزجر ويرتدع، ويذكر حق الله وشرعه وما أوجب عليه فيقوم به أحسن قيام، ويذكر ربه في حكمه إذا حكم، وهمّه إذا همَّ، وقوله إذا قال، وفي جميع الأحوال، ويبقى مستديم الفكر والذِّكْر.

كما أنه ينبغي على المسلم أن يكون معتقده وفقاً لما يتلفظه من الأذكار النبوية، ولايكون معتقدُه في وادٍ وذكره في وادٍ آخر، فكم من مُسَبِّح لم ينفعه تسبيحه بل يكون تسبيحه حجة عليه وكما قيل: "ليس كل تسبيح بمحمود"[١]؛ لأن هناك طوائف ينتسبون إلى الإسلام ويزعمون

---

(١) تفسير سورة النصر لابن رجب الحنبلي (٧٣).

أنهم مسبحون لله وحقيقة أمرهم واعتقادهم أنهم معطلون لكثير من صفات الله تعالى فإنهم نفوا عن الله صفات الكمال والجلال ولم ينـــزهوه عن النقائص، ثم ليعلم المسلم أن الفضل الوارد في أحاديث الأذكار وما يترتب عليها من أجور وثواب -كما ذُكر عن بعض العلماء[(١)]- إنما هو لأهل الفضل في الدين والطهارة من الجرائم العظام وليس من أصر على شهواته وانتهك حرمات الله بلاحقٍ بالأفاضل المطهرين في ذلك ويشهد له قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٢)].

---

(١) انظر فتح الباري (١١/٢١١).

(٣) سورة الجاثية الآية: ٢١.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الثاني:

في الكلمات الدالة على معنى الذِّكْر.

ويشتمل على تمهيد ومطلبين:

المطلب الأول: في الكلمات المرادفة للذكر.

المطلب الثاني: في الكلمات الخاصة بنوع معين من أنواع الذِّكْر.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الثاني:

في الكلمات الدالة على معنى الذِّكْر.

تمهيد:

اللغة العربية -والتي نزل القرآن بها- لغة واسعة، فهي بحر لا ساحل له، ومن سعتها أنك تجد الكلمة الواحدة لها معانٍ عدة، وذلك لأن العرب كانت تسمي الشيء ببعض أجزائه أو خصائصه أو ما يرادفه ويشابهه ويشاركه في بعض صفاته، فمثلاً سميت الصلاة بالسبحة والركعة والسجدة، وعلى ذلك فإنه ينبغي معرفة(١) ما جاء به الشرع من معاني الأسماء ومراد الشارع الحكيم منها سواء كانت الأسماء قد بيّنها الله ورسوله كاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج والإيمان والإسلام، أم كانت معروفةً في اللغة كالسماء والأرض والبر والبحر، أم ما يعرفه الناس وترجع معرفته للعادة كاسم البيع والدرهم والدينار، ومن المعلوم "أن من أشرف العلوم منـــزلة وأرفعه درجة وأعلاه رتبة معرفة معاني الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودعائهم وتسبيحهم وتقربهم إلى ربهم وهم غير عالمين بمعنى ما يتكلمون به من ذلك"(٢).

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٩/٢٣٥).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (١/٩٥).

فإذا اتضح معنى ما يقوله المصلي والذاكر والداعي من تكبير وتحميد وتهليل وتسبيح و استغفار ونحوه كان "المصلي عالماً بمعنى الكلام الذي يتقرب به إلى خالقه ويكون الداعي فَهِماً بالشيء يسأل ربه ويكون المُسبِّح عارفاً بما يعظم به سيده"[١].

ولهذه الأهمية في معرفة ما يحتاجه الذاكر والمصلي والعابد طوال يومه، حيث إنه بحاجة إليها أكثر من حاجته للطعام والشراب، سأقوم بشرح معاني بعض الكلمات التي تشترك مع الذِّكْر ولها دلالة على معناه، فقد استُخدمت بعضُ الكلمات بمعنى كلمة الذِّكْر أو ببعض معناها، وتعاقبت معها في موضوعات متشابهة، وسأبيّن النسبة والعلاقة بينهما وبين كلمة الذِّكْر، وقد تكون هذه النسبة ترادفاً[٢] أوعموماً وخصوصاً مطلقاً[٣]، وبمعرفة معاني هذه الكلمات والعلاقة بينها وبين الذِّكْر يزداد القارىء الكريم علماً ومعرفة في معنى الذِّكْر وإطلاقاته، ويتضح له معنى ما يتلفظ به في صلاته وعبادته، كما أنه قد جاءت الأحاديث النبوية التي عنيت بالأذكار وفضائلها مليئة بهذه الكلمات، فينبغي الإحاطة بمعناها وإدراك مغزاها واعتقاد مقتضاها.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الترادف: عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد. التعريفات للجرجاني ص ٥٦.

(٣) العموم والخصوص المطلق أن يجتمعا في مادة وينفرد أحدهما في مادة أخرى.

وبالنظر إلى هذه الكلمات التي سأقوم بشرح معناها يمكن تقسيمها إلى قسمين:

١- قسم مستعمل مرادف للذكر ومن ذلك كلمة الدعاء والثناء والشكر.

٢ - قسم خاص بنوع معين من أنواع الذِّكْر ومن ذلك التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل.

وسيكون ذلك في مطلبين:

المطلب الأول:

في القسم الأول: الكلمات المرادفة للذكر.

ومن ذلك:

أولاً: الدعاء.

"وقد ورد في الأحاديث وآثار السلف وكُتب أهل العلم إطلاق الذِّكْر على الدعاء أو العكس وكذلك عطف أحدهما على الآخر"[1].

إذاً فما هي الرابطة بينهما وأوجه إطلاق كلٌ منهما على الآخر؟

لمعرفة ذلك لا بد من معرفة معنى الدعاء لغة وشرعاً.

---

(١) الدعاء ومنـــزلته من العقيدة الإسلامية لجيلان بن خضر العروسي (١/٧١)، (ط١/ ١٤١٤هـ، مكتبة الرشد، الرياض).

فمعنى الدعاء لغة: "الطلب"(١)، والرغبة إلى الله عزوجل(٢)، وله معانٍ عدة في اللغة ترجع إلى ما قاله ابن فارس: "دعو" الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيءَ إليك بصوت وكلام(٣).

أما معناه في الشرع:

فقد قال الخطابي(٤) رحمه الله: "ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عزوجل العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(٦) رحمه الله: "إن دعاء المسألة هو

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٨١٥/٢)، وفتح القدير (٤١٨/٤)، وابن منظور في اللسان (١٣٨/٣)، وابن الجوزي في نزهة الأعين النواظر ص ٢٩٤.

(٢) القاموس المحيط (٣٥٨/٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٧٩/٢).

(٤) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطابي البستي أبو سليمان فقيه محدث من نسل زيد ابن الخطاب أخي عمر ابن الخطاب صاحب معالم السنن في شرح سنن أبي داود وله غيره من المصنفات توفي سنة ٣٨٨هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧).

(٥) شأن الدعاء للخطابي ص ٤.

(٦) هو تقي الدين العالم العلامة أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي أحد الأئمة الأعلام وله آثار كثيرة في إبراز العقيدة السلفية وتوضيح معالمها والرد على المنحرفين وله تآليف كثيرة نافعة (توفي: ٧٢٨ هـ) وترجم له كثير من العلماء. انظر ترجمته موفية في العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بن عبد الهادي المقدسي، وانظر بقية مراجع ترجمته في معجم المؤلفين (٢٦١/١).

طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه"[١].

وعرّفه بعضهم تعريفاً يجمع بين دعاء المسألة ودعاء العبادة بقوله:

"الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه في تحقيق المطلوب أو دفع المكروه والابتهال إليه في ذلك إما بالسؤال أو بالخضوع والتذلل والرجاء والخوف والطمع"[٢].

والدعاء قسمان:

١- دعاء عبادة ٢- ودعاء مسألة[٣].

وذكر الزجاج أنه ثلاثة أضرب فقال:

"معنى دعاء الله عزوجل على ثلاثة أضرب فضربٌ منها: توحيده والثناء عليه كقولك يا الله لا إله إلا أنت وكقولك ربنا لك الحمد فقد دعوته بقولك ربنا ثم أتيت بالثناء والتوحيد.

ومثلُه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[٤] فهذا ضرب من الدعاء..."[٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٠).

(٢) الدعاء للعروسي (١/٤٨).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٧).

(٤) سورة غافر الآية: ٦٠.

(٥) معاني القرآن (١/٢٥٥)، ولسان العرب (٣/١٣٨٥).

والثناء على الله عزوجل وتمجيده هو نوع من أنواع العبادة.

وأما دعاء المسألة: فهو سؤال العبد ربه لجلب نفع أو دفع ضر في دنياه وآخرته فإن السائل هو ذاكر لربه إذ لابد له عند مسألته هذه تقديم الثناء على الله عزوجل وذكره بأسمائه وصفاته وتنـزيهه وتقديسه بين يدي دعائه ولقد وردت نصوص كثيرة وأقوال لأهل العلم في إطلاق الدعاء على الذِّكْر وتسمية الذِّكْر بالدعاء منها قوله تعالى: ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فجعل الحمد دعاء.

ومنها حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: **«يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً»** الحديث[2]... فسمى التكبير دعاءً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عند شرحه للحديث:

---

(١) سورة يونس الآية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب القدر باب لاحول ولا قوة إلا بالله ح(٦٦١٠) (١١/٥٠٠) مع الفتح، ونحوه في كتاب الدعوات: باب الدعاء إذا علا عقبة رقم (٦٣٨٤) (١١/١٨٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر باب استحباب خفض الصوت بالذِّكْر (٤/٢٠٧٦) ح(٢٧٠٤) (ط/دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، والإمام أحمد في المسند (٤/٤٠٢).

"قوله: (لا تدعون) كذا أطلق على التكبير ونحوه دعاء من جهة أنه بمعنى النداء؛ لكون الذاكر يريد إسماع مَن ذكره والشهادة له"(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا و النبيون من قبلي:لا إلا إله الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»(٢).

وقوله ﷺ: «أفضل الذِّكْر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»(٣).

وقوله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له»(٤).

---

(١) فتح الباري (١١/٥٠١).

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ عن طلحة بن كريز مرسلا (١/٤٢٢)، وجاء مسندا من حديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص كما قال ابن عبد البر في التمهيد (٦/٣٩)، وذكر الألباني شواهد كما للحديث في الصحيحة (٤/٦) رقم (١٥٠٣)، وحسنه في صحيح الجامع رقم (١١١٣).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب: الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة، (٥/٤٦٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٤٨٠) ح٨٣١، ح ٣٣٨٣، قال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه: كتاب الأدب باب فضل المدين (٢/١٢٤٩)، والحاكم في مستدركه (١/٤٩٨)، وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٤٨٤) صحيح الجامع برقم ١١١٥.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه(٥/٥٢٩) ح(٣٥٠٥)، والإمام أحمد في المسند (١/١٧٠)=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً وجه كون هذا الذِّكْر دعوة: "سماها (دعوة) لأنها تتضمن نوعي الدعاء؛ فقوله: «لا إله إلا أنت» اعتراف بتوحيد الإلهية، وتوحيد الإلهية يتضمن نوعي الدعاء فإن الإله هو المستحق لأن يُدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا إله إلا هو.

وقوله: « **إني كنت من الظالمين** » اعتراف بالذنب، وهو يتضمن طلب المغفرة، فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب، وتارة يسأل بصيغة الخبر، إما بوصف حاله، وإما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين..."[(١)].

إذاً دعاؤه عليه السلام لم يكن فيه تصريح وإنما كان فيه تلميح.

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: **«لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»**[(٢)].

= والنسائي في عمل اليوم والليلة ح(٦٥٦)، والحاكم في المستدرك (٥٠٥/١)، وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح(٣٣٧٨) وتخريج الكلم الطيب ح(١٢٢) ص ٧٤.

(١) مجموع القتاوى (٢٤٣/١٠- ٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب، ح(٦٣٤٥) (١٤٥/١١) مع الفتح، ومسلم في صحيحه كتاب الدعاء باب الدعاء عند لكرب ح (٢٧٣٠) (٢٠٩٢/٤).

وذكر العلماء الفضلاء السر في تسمية هذه الأذكار التي مضمونها تعظيمٌ لله تعالى وثناء عليه بالدعاء وأدلى كل بدلوه مبيناً وجه ذلك.

١- فهذا سفيان بن عيينة[١] رحمه الله لما سأله أحدهم عن أفضل الدعاء يوم عرفة وقال له هذا ثناء وليس بدعاء فأجاب سفيان بقوله: أما تعرف حديث مالك ابن الحارث وهو تفسيره: يقول الله عزوجل: «إذا شغل عبدي ثنائي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين»[٢].

فهذا تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال سفيان أما علمت

---

(١) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، الإمام الكبير، حافظ العصر شيخ الإسلام ولد بالكوفة ١٠٧هـ توفي ١٩٨هـ انظر ترجمته: تاريخ بغداد (١٧٤/٩)، والسير (٤٥٤/٨) وتهذيب التهذيب (١١٧/٤).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٠٥، عن عمر بن الخطاب وأخرجه القضاعي في مسنده (٣٤٠/١) رقم (٣٧٨) عن جابر وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن حذيفة (٣١٣/٧)، وأخرجه الترمذي في سننه (١٨٤/٥) ح (٢٩٢٦) وقال: حسن غريب، والدارمي في مسنده (٣١٧/٢) رقم (١٣٥٩)، والبيهقي في الإعتقاد ص٩٧، وفي الأسماء والصفات (٣٧٢/١)، وأخرجه الطبراني كما في الفتح (١٣٤/١١) عن عبد الله بن عمر، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده لين. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٧/١٠) رقم (٩٣٢٢) عن عمر بن مرة مرسلا، وأخرجه أيضا عن مالك بن الحويرث موقوفاً عليه، وفي أسانيد هذه الروايات من تكلم فيه لكن بمجموع الطرق يتقوى الحديث إن شاء الله ويرتقي إلى درجة الحسن لغيره، وقد كان السلف يكثرون الاستدلال بهذا الحديث.

ما قاله أمية بن أبي الصلت[١] حين أتى عبد الله بن جدعان[٢] يطلب النوال والفضل قال أمية:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

وعلمك بالحقوق وأنت فضل لك الحسب المهذب والسّناء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء[٣]

ثم قال سفيان: يا حسين هذا مخلوق يكتفي بالثناء عليه دون مسألته فكيف بالخالق؟![٤].

فحصل بالثناء هنا أفضل مما يحصل به الطلب والسؤال.

٢- وقال الطبري في معرض كلامه على حديث ابن عباس في دعاء الكرب: "كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب، فإن قيل: كيف يسمى هذا دعاء وليس فيه من معنى الدعاء شيء وإنما هو تعظيم لله تعالى وثناء عليه؟ فالجواب: أن هذا يسمى دعاء لوجهين أحدهما

---

(١) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة أبو عثمان الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وكاد أن يسلم. انظر: البداية (٢/٢٠٥).

(٢) هو عبد الله بن جدعان أحد الكرماء المشهورين وهو جاهلي. انظر: البداية (٢/٢٠٢).

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت (٣٣٣)، والتمهيد لا بن عبد البر (٦/٤٤)، والبداية (٢/٣١٣)، وهناك رواية أخرى للبيت الأول: حباؤك إن شيمتك الحباء. بالباء.

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٦/٤٣)، وشرح مسلم للنووي (١٧/٤٨)، ومجموع الفتاوى

(١٠/٢٤٥)، وفتح الباري (١١/١٤٧-١٥١)، والفتوحات الربانية(٤/٣و ٢٤٧).

أنه يستفتح به الدعاء ومن بعده يدعو بما شاء"[١]

ثم ذكر الوجه الثاني وهو جواب سفيان بن عيينة المتقدم ذكره.

٣- وقال القرطبي رحمه الله: "إن ذلك لنكتتين:

إحداهما: كرم المُثْنَى عليه فإنه اكتفى بالثناء عن السؤال لسهولة البذل عليه وللمبالغة في كرم الخلق.

وثانيهما: أن المُثنِي لمَّا آثر الثناء الذي هو حق المُثْنَى عليه على حق نفسه الذي هو حاجته بُودِرَ إلى قضاء حاجته من غير إحواج إلى من له السؤال مجازاة له على ذلك الإيثار، والله أعلم"[٢].

٤- ومن العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد اعتبر الدعاء ذكراً متضمناً للطلب والثناء، فهو ذكر وزيادة فقال رحمه الله:

"إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه و أسمائه فهو ذكر وزيادة كما أن الذِّكْر سمي دعاءً لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: «**أفضل الدعاء الحمد لله**»[٣]، فسمى الحمدَ لله دعاء وهو ثناء محض ؛ لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب فالحامد طالب للمحبوب فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب فهو دعاء

---

(١) نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (٣/٤).

(٢) نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (٣/٤).

(٣) سبق تخريجه ص٧٥.

حقيقة بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذِّكْر يتضمن الآخر ويدخل فيه"[1].

٥- وقال ابن القيم رحمه الله:

"الدعاء يراد به دعاء المسألة ودعاء العبادة والمُثْنِي على ربه بحمده وآلائه داعٍ له بالاعتبارين فإنه طالب منه طالب له فهو الداعي حقيقة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[2]"[3].

٦- وذكر ابن علان أوجهاً في سبب تسمية الذِّكْر يوم عرفة دعاءً وهي:

١) أن ما يحصل بالثناء أفضل مما يحصل في الدعاء.

٢) أن معنى الحديث أفضل ما يستفتح به الدعاء على حذف مضاف.

٣) أفضل ما يستبدل به عن الدعاء: لا إله إلا الله...قال: والأول أوجه"[4].

قلت: والوجه الثاني والثالث فيهما بُعْد، ومعنى الأول أن بالذِّكْر يحصل المرء على مطلوبه سواء كان دنيوياً أو أخروياً.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٩)، وقد تقدم كلامه قبل قليل في تعليله دعوة ذي النون مع أنها ثناء محض ولابن القيم كلام مشابه له. انظر: بدائع الفوائد (٣/١٩).

(٢) سورة غافر الآية: ٦٥.

(٣) مطالع السعد أو صيغ الحمد ص٩٠.

(٤) الفتوحات الربانية (٤/٢٦٤).

فهذه بعض إجابات أهل العلم عن إطلاق الذِّكْر والعكس.

إذاً: نخلص مما سبق أن بين الذِّكْر والدعاء علاقة وهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أن كل واحد من الدعاء والذِّكْر يتضمن الآخر ويدخل فيه"[١].

"والحاصل أن العلاقة بين الدعاء و الذِّكْر إما ترادف وإتحاد وإما عموم وخصوص مطلق وإما تلازم، ولا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر فلهذا كانت أغلب الكتب المصنفة في الأذكار تشتمل على الأدعية وبالعكس، فمن تلك المؤلفات سميت بعنوان كتاب الذِّكْر أو الأذكار وأخرى سميت باسم الدعاء أو الأدعية ..."[٢].

ولما عرفنا هذه العلاقة بين الدعاء و الذِّكْر قد يتسآءل المرء أيهما أفضل الدعاء أم الذِّكْر؟!

الجواب: لا شك أن الذِّكْر أفضل من الدعاء[٣]، وذلك من أوجه عدة[٤] وهي:

الوجه الأول: أن الثناء مقدم على الدعاء، كما في سورة الفاتحة وحديث الشفاعة والتشهد في الصلاة، وكذلك جميع الأدعية لابد أن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٩).

(٢) الدعاء ومنـــزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي (١/٧٧- ٧٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٣٧٦)، والوابل الصيب (١٢- ١٢٢).

(٤) هذه الوجوه لخصتها من مجموع الفتاوى (٢٢/٣٧٦-٣٨٨).

تستفتح بالثناء على الله ثم بعده يأتي السؤال.

الوجه الثاني: مما يبين فضل الذِّكْر على المسألة ما ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[(١)].

الوجه الثالث: نوع الثناء أضافه الرب إلى نفسه ونوع السؤال أضافه إلى عبده فقال:

«إذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله:حمدني عبدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم، قال: أثنى علي عبدي،...فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم ...إلى أخر السورة قال: هؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل»[(٢)].

الوجه الرابع: جماهير العلماء على إيجاب الثناء[(٣)]، فيوجبون التشهد الأخير، وكذلك التشهد الأول يجب مع الذِّكْر عند مالك وأحمد فإذا تركه عمداً بطلت صلاته ويوجبون تسبيح الركوع والسجود، وكذلك تكبير الانتقال، وأما الدعاء فلم يجب منه دعاء مفرداً أصلاً بل ما وجب من الفاتحة وجب بعد الثناء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأدب، باب النهي أن يسمى بأفلح ورباح ويسار (١٧٢/٦) ح (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٦/١) ح ٣٩٥.

(٣) أي في الصلاة.

الوجه الخامس: الدعاء لم يشرع مجرداً، فلم يشرع إلا مع الثناء وأما الثناء فقد شرع مجرداً بلا كراهة.

الوجه السادس: الثناء يتضمن مقصود الدعاء كما في حديث:

«أفضل الذِّكْر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[1].

فإن ثناء الداعي على المدعو بما يتضمن حصول مطلوبه قد يكون أبلغ من ذكر المطلوب كما في حديث دعاء الكرب ونحوه.

الوجه السابع: أن الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله، وأما الدعاء فقد لا يستلزمه؛ إذ الكفار يسألون الله فيعطيهم كما أخبر الله بذلك في القرآن، فإن سؤال الرزق والعافية ونحو ذلك من الأدعية المشروعة هو مما يدعو به المؤمن والكافر بخلاف الثناء على الله من التسبيح والتحميد والتقديس فإن هذا لا يثني به إلا المؤمن.

الوجه الثامن: أن السائل غاية مقصوده حصل مطلوبه ومراده فهو مريد من الله وقد يبرد إذا حصل له مطلوبه، إذ كان مراده هو مطلوبه فحسب، وقد يعرض عن الله عزوجل إذا نال مطلوبه كحال الكفار عندما كانوا يدعون الله في الشدائد ونزول المصائب في البر والبحر فإذا نجاهم الله كفروا ورجعوا إلى عدوانهم، وذلك بخلاف المؤمنين فقد يزدادوا حباً لله ومعرفة به إذا حصل مطلوبهم.

---

(١) سبق تخريجه ص٧٥.

أما المُثْنِي فهو ذاكر لنفس محبوب الحق من أسمائه وصفاته، فالمطلوب بهذا معرفة الله ومحبته وعبادته، وهذا مطلوب لنفسه لا لغيره وهو الغاية التي خلق لها الخلق.

والأدلة على فضل جنس الثناء على جنس الدعاء كثيرة، وهذا لا نزاع فيه بين العلماء ولكن المفضول قد يكون أحياناً أفضل[1].

فالصلاة مشتملة على القراءة و الذِّكْر والدعاء، فهي أفضل من كلٍّ من القراءة والذِّكْر والدعاء بمفرده، وقراءة القرآن أفضل من الذِّكْر، والذِّكْر أفضل من الدعاء، والمفضول قد يعرض له حال يكون فيه أولى من الفاضل وأفضل منه لأسباب متعددة إما مطلقاً كفضيلة القراءة وقت النهي عن الصلاة وإما لحال مخصوص.

والتسبيح في الركوع والسجود أفضل من قراءة القرآن فيهما بل قراءة القرآن فيهما منهي عنه، وكذلك إجابة المؤذن وجميع الأذكار المقيدة بحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذِّكْر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، فالدعاء أفضل إذا وقع المرء في حاجة ضرورية، فيجتمع قلبه

---

(١) انظر:مجموع الفتاوى (٢٢/٣٨٤)، والوابل الصيب: ص١٢٢.

على الله ويحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة فيعطي على الله ويحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة فيعطي كل ذي حق حقه ويوضع كل شيء موضعه[1]. والله أعلم.

ثانياً: الشكر.

الشكر لغةً: مصدر شكر يشكر هو مأخوذ من مادة (ش ك ر)، والتي تدل على الثناء على الإنسان بمعروف يوليكه[2].

ويقال: شكره وشكر له يشكر شكراً وشكوراً وشكراناً، وشكر الله وبالله ولله[3].

"وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها، وقيل: أصله مِنْ عين شكرى أي مليئة، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه"[4].

وقيل: إن أصل الشكر في وضع اللسان ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان يقال: شكرت الدابة تشكر شكراً على وزن سمنت تسمن سمناً إذا ظهر عليها أثـــر العلف... وكذلك حقيقته في العبودية وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان

---

(١) الوابل الصيب ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٠٧).

(٣) لسان العرب (٧/١٧٠)، والقاموس المحيط (٢/١٣١).

(٤) المفردات ص ٢٦٥، ولسان العرب (٧/١٧٦).

عبده ثناءً واعترافاً وعلى قلبه شهوداً ومحبةً وعلى جوارحه انقياداً وطاعة[١].

"وكل ما هو جزاء لنعمة عرفاً فإنه يطلق عليه الشكر لغة"[٢].

والشكر من العبد عرفان الإحسان ومن الله المجازاة والثناء الجميل[٣].

وأما الشكر اصطلاحاً:

فقال الليث[٤] رحمه الله: "الشكر عرفان الإحسان ونشره وحمد موليه[٥].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: "والشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه"[٦]

وقال ابن القيم رحمه الله:"فحقيقة الشكر هو الثناء على المنعم ومحبته وطاعته"[٧].

وفي بصائر ذوي التميز[٨]: "فقيل: حده أنه الاعتراف بنعمة المنعم

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢٤٤).

(٢) الكليات ص ٥٤٣.

(٣) لسان العرب (٧/١٧٦) والقاموس (٢/١٣١).

(٤) هو الليث ين مظفر حسب تسمية الأزهري وقال عنه الأزهري إنه هو الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله ولكن الأزهري أكد أنه لا ينسب شيئاً جازماً إلا إذا تأكد من صحته وإلا فيشير إلى الشك، قيل اسمه: الليث بن نصر أو ابن رافع انظر ترجمته في مقدمة كتاب تهذيب اللغة للأزهري (١/٢٨).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري(١٠/١٢).

(٦) تفسير الطبري (١/٤٦).

(٧) طريق الهجرتين (ص ٥٠٨) وعدة الصابرين (ص ٨٨ و ١٢٢).

(٨) (٣/٣٣٨)، وانظر مدارج السالكين (٢/١٨٨) وتاج العروس (١٢ — ٢٢٤، ٢٢٥).

على وجه الخضوع وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وقيل:هو عكوف القلب على محبة المنعم والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه، وقيل: مشاهدة المنّة وحفظ الحرمة".

وقال القرطبي رحمه الله: "الشكر الثناء على المشكور بما أولاه من إحسان"[(١)].

وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى وصونها عن صرفها في المعصية، وكفر النعمة هو ضد ذلك [(٢)].

فالشكر إذاً: ثلاثة أضرب[(٣)]:

١ــ شكر القلب: وهو أن تعلم أن النعم كلها من الله عزوجل وتتصورها وتحب المنعم وتعظمه.

٢ــ شكر اللسان: الثناء على الله بهذه النعم والاعتراف بها أنها منه وحده سبحانه، وعدم إنكارها أو كفرانها مع مداومة الحمد له عليها.

٣ــ شكر سائر الجوارح: أن لا يستعمل جارحة من الجوارح إلا في طاعة الله بعد أن عافاه الله وأتم عليه الصحة فيها وأن لا يستعمل ما أنعم الله عليه من النعم في معصية الله.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ٣٣ و٣٧٦ و ٦٢٣).

(٣) انظر: شعب الإيمان للبهقي (٤/١٣٥) والمفردات (٤٦١).

"والثناء على المنعم المتعلق بالنعمة نوعان: خاص وعام، فالعام: وصفه بالجود والكرم والبر والإحسان وسعة العطاء ونحو ذلك.

والخاص: التحدث بنعمه وإخبار وصولها إليه من جهته كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾[(١)]"[(٢)].

ويتبين مما سبق أن الشكر ثناء من الشاكر على المشكور، وكذلك الذِّكْر ثناء من الذاكر على المذكور، وقد ورد في القرآن الكريم استعمالهما في موضوع واحد وهو الأمر بذكرالله وشكره والثناء عليه لما يوليه من نِعَم، وورد استعمال الذِّكْر بمعنى الشكر في مواضع منها:

قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ... ﴿٩﴾ ﴾[(٣)]، فمعنى هذا الذِّكْر: الشكر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الآية[(٥)].

---

(١) سورة الضحى الآية:١١.

(٢) مدارج السالكين (٢/١٨٩) وذكر ابن القيم أن الشكر مبني على خمس قواعد:

١- خضوع الشاكر للمشكور. ٢- حبهم له. ٣ – اعترافه بنعمته. ٤- ثناؤه عليه بها. ٥- أن لا يستعملها فيما يكره. فمتى عُدم منها واحدة اختل من قواعده وأركانه قاعدة. المدارج (٢/٢٤٤).

(٣) سورة الأحزاب الآية:٩.

(٤) تفسير القرطبي (١٤/٣٢١).

(٥) سورة المائدة الآية:١١.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾[١] والمراد ذكرها بالقلب اعترافاً وباللسان ثناءً وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه [٢]، وهو معنى الشكر.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ.... ﴾ الآية[٤].

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٦]

وقوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٣.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٤) سورة المائدة الآية: ٢٠.

(٥) سورة فاطر الآية: ٣.

(٦) سورة الأعراف الآية: ٦٩.

(٧) سورة الزخرف الآية: ١٣.

فهذه مجموعة من الآيات فيها الحث على ذكر النعم والقيام بواجباتها تجاه المنعم عزوجل وهي من متصرفات الذِّكْر، وجاءت آيات متشابهة في موضوع تلك الآيات من الاعتراف بها بنعم الله عزوجل والثناء بها عليه وهي من متصرفات الشكر:

منها قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

وبعد أنْ عدّد النعمَ على داود وآله –عليهم الصلاة والسلام– أمرهمبشكره فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ ﴾[5].

(١) سورة النحل الآية:١١٤.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٢.

(٣) سورة النحل الآية: ١٢٠-١٢١.

(٤) سورة سبأ الآية: ١٥.

(٥) سورة سبأ الآية: ١٣.

ومما ذُكِر في معناها:"قولوا: الحمد لله"[١].

وأثنى الله على عبده ورسوله نوح بقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾[٢].

وورد عن السلف سبب ثناء الله عليه ووصفه بأنه شكور وذلك لكثرة ذكره لله عز وجل وحمده له في شأنه كله فقد كان يحمد الله إذا أكل وشرب أو لبس وفي جميع أموره[٣].

وقد ورد الأمر بهما معاً -الذِّكْر والشكر- في سياق واحد إثر امتنان الله عزوجل على المؤمنين بنعمة هي من أكبر النعم ألا وهي إرسال رسول منهم فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ۝١٥١ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾[٤].

وكذلك ورد الشكر معطوفاً على الذِّكْر في وصية رسول ﷺ لحبيبه معاذ ابن جبل ﷺ حين قال: **« أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »**[٥].

---

(١) نقله البيهقي عن ابن شهاب في شعب الإيمان (٤/١١٥).

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣.

(٣) شعب الإيمان (٤/١١٤) وانظر تفسير ابن كثير (٣/١٦٤٤).

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥١-١٥٢.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (٢/١٢٢) ح (١٥٢٢) =

مما يدل على وجود علاقة بينهما فما هي تلك العلاقة والنسبة بينهما؟.

العلاقة بين الذِّكْر والشكر:

لقد تبين معنا فيما مضى أن الذِّكْر له معنيان المعنى العام والمعنى الخاص فإذا أُريد بالذِّكْر المعنى العام وهو يشمل كل مايقرب العبد إلى الله من عمل قلبي أو بدني أو ثناء على الله عزوجل ففي هذه الحالة يكون بين الذِّكْر والشكر نسبة إتحاد من جهة الأمور التي يقع بها كل منها فكل منهما يكون بالقلب أو اللسان أو الجوارح.

وبينهما عموم وخصوص من جهة الأسباب التي يقع عليها كل منهما، فالذِّكْر أعمُّ من هذه الجهة لأنه يشمل ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه بها وتنـــزيهه، وذكر أمره ونهيه وأحكامه وتلاوة كتابه ودعائه واستغفاره وذكر آلائه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله، وهو متضمن أيضاً المدح والثناء على المذكور سواء كان الإحسان إلى الذاكر أو لم يكن.

أما الشكر: فهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا على الآلاء والنعم "فمتعلقه إذاً النعم دون الأوصاف الذاتية فلا يقال: شكرت الله على حياته وسمعه

= والنسائي في سننه: كتاب الافتتاح، باب الدعاء برقم (١٣٠٤)، والحاكم في المستدرك (٤٠٧/١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه". وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١١٤: "وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات".

وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على إحسانه وهداه"[١].

والشكر نوع من أنواع الذِّكْر فهو ثناء خاص و الذِّكْر ثناء عام.

وإن كان المراد بالذِّكْر معناه الخاص وهو الثناء على الله بأسمائه وصفاته وتنزيهه وتمجيده وتعظيمه وتوحيده فيكون بينهما عموم وخصوص، فالذِّكْر في هذه الحالة أخص من حيث ما يقع به، والشكر أعم.

والذِّكْر أعم من حيث إنه ثناء على الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال، والشكر أخص لأنه يكون بعد النعم فهما يجتمعان[٢]، فيما إذا كانا باللسان في مقابلة نعمة وينفرد الذِّكْر فيما إذا كان باللسان في غير ما هو مقابلة نعمة وينفرد الشكر فيما إذا كان لغير اللسان في مقابلة نعمة.

ثالثاً: الثناء:

الثناء لغة: الثاء و النون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك ثنيت الشيء ثنياً[٣] وثنيت الثوب إذ جعلته اثنين بالتكرار أو بالإمالة والعطف[٤]، وأثنى يثني إثناءً وثناءً يستعمل في القبيح من الذِّكْر وضده (أي والحسن)، وأثنى

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣/٣٤٠).

(٢) انظر: شرح قصيدة ابن القيم (١/١٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١/٣٩١).

(٤) الكليات للكفوي ص٢٢٤.

الرجل إذا قال خيراً أو شراً[١].

وقيل الثناء: وصفٌ بمدح أو ذم[٢].

واصطلاحاً:

قال الكفوي: "الثناء هو: الكلام الجميل،وقيل: الذِّكْر بالخير، وقيل: هو الإتيان بما يشعر بالتعظيم مطلقاً سواء كان باللسان أو بالجنان أو بالأركان وسواء كان في مقابلة شيء أوْ لا"[٣].

وقال ابن القيم:"الثناء تكرار المحامد شيئاً بعد شيء"[٤].

وقال الجرجاني [٥]:"الثناء بالشيء فعل ما يشعر بتعظيمه"[٦].

فالمُثني مكرِرٌ لمحاسن المثنى عليه مرة بعد مرة[٧].

ولذلك سميت سورة الفاتحة بالمثاني، لأنها تثني على مرور الأوقات وتكرر فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضمحل وتبطل على طول الأيام[٨].

---

(١) لسان العرب (١٣٩/٢).

(٢) القاموس المحيط (٣٣٣/٤).

(٣) الكليات ص ٣٢٤.

(٤) بدائع الفوائد (٩٣/٢) وانظر الوابل الصيب ص ١١٩.

(٥) الجرجاني هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني من كبار العلماء بالعربية له نحو خمسين مؤلفاً منها التعريفات ت ٨١٦ هـ انظر البدر الطالع للشوكاني (٤٨٨/١).

(٦) التعريفات للجرجاني ص٧٢.

(٧) الكليات للكفوي ص ٣٢٤.

(٨) لسان العرب (١٣٩/٢).

كما أنها سميت لذلك أيضاً لاشتمالها على الثناء على الله عزوجل وهو حمد الله وتوحيده[١].

وجاء في الحديث القدسي قول الله عزوجل: « **قَسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ قال الله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي ...**» الحديث[٢].

فسمى تكرار ما يحمد به سبحانه من صفات جليلة وأسماء حسنى ثناءً.

وفي الصحيح أنه: « **مُرّ على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فأثنوا عليها خيراً** » الحديث[٣]، أي ذكروا صاحبها بخير.

وقد مرّ سابقاً أن معنى قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[٤]، أي أثنوا عليه عليه سبحانه بجميع أنواع الثناء.

وكل ما ورد من النصوص التي فيها الأمر بذكر الله والحث عليه والثناء على أهله فهي متضمنة للثناء على الله عزوجل ويوضح ذلك ما ورد من الأذكار المكررة في أكثر من موطن كالتسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين مرة وهذا التكرار بعينه هو نفسه الثناء.

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/١٣٨).

(٢) سبق تخريجه ص ٨٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب تعديل كم يجوز؟ حديث ٢٦٤٢، وانظر الفتح (٥/٢٩٩).

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

النسبة بين الذِّكْر والثناء:

مما سبق تبين لنا أن الثناء هو تعظيم للخالق عزوجل قولاً وعملاً واعتقاداً وتكرار محامده ووصفه بجميل صفاته وأسمائه، وكذلك الذِّكْر بمعناه العام والخاص يشترك مع الثناء بهذا المفهوم ولا مغايرة بينهما كما قال الكفوي:"فهو -أي الذِّكْر- من وجه غير مغاير للثناء"[١].

إذاً فالنسبة بين الثناء و الذِّكْر الترادف والتوافق إلا أن الثناء ذكر مكرر للمذكور.



(١) الكليات ص ٣٢٤.

المطلب الثاني:

وهو القسم الثاني: فيما كان خاصاً بنوع معين من أنواع الذِّكْر.

ويشتمل على الكلمات التالية:

أولاً: التسبيح

يُقال سَبّح يسبح تسبيحاً أي قال:سبحان الله، وأصلُ التَّسْبِيح التَّنـــزيهُ والتقديسُ والتبرئة من النَّقَائِص، وسبحت الله تسبيحاً أي نزهته تنـــزيهاً وهو تنـــزيه الله عزوجل عن كل سوء، وقيل:السرعة إليه والخفة في طاعته.

وقال الزجاج: وسبحان في اللغة: تنـــزيه الله عزوجل عن السوء، يُقال: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً بمعنى واحد فالمصدر التسبيح، والاسم سبحان يقوم مقام المصدر(١).

وقال الأزهري(٢) رحمه الله: ومعنى تنـــزيه الله عن السوء تبعيده

---

(١) المحكم لابن سيده (٣/٥٤)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٣/١٤٢)، وتاج العروس (٦/٤٥١) ولسان العرب (٦/١٤٤)، والنهاية (٢/٣٣١)، والقاموس المحيط (١/٣١٠).

(٢) هو الإمام أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري العمروي العلامة الشافعي اللغوي صاحب تهذيب اللغة توفي سنة ٣٧٠هـ، انظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/٣٣٤)، السير (١٦/٣١٥)، وشذرات الذهب (٣/٧٢).

منه، وكذلك تسبيحه تبعيده من قولك: سبحت في الأرض إذا أبعدت فيها ومنه قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[١]، وقال أيضاً: وجماع معناه بعده تبارك وتعالى عن أن يكون له مثل أو شريك أو ضد أو ند"[٢].

فالتسبيح إذاً من التنــزيه أو التبعيد أو الإسراع في الطاعة.

وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "سبحان الله: تنــزيه الله عن كل سوء"[٣].

وقال ابن جرير رحمه الله: وأصل التسبيح عند العرب التنــزيه له في إضافة ما ليس من صفاته إليه والتبرئة له من ذلك كما قال أعشى بني ثعلبة[٤].

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر

يريد سبحان الله من فخر علقمة أي تنــزيهاً لله مما أتى علقمة من الافتخار على وجه النكير منه لذلك[٥].

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٣٣.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (٤/٣٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء (٣/١٥٩١) وقد ذكر هناك جملة من أقوال السلف في معنى التسبيح.

(٤) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل القيسي أو بصير الشاعر المشهور أدرك الإسلام ولكنه لم يسلم. انظر: الشعر والشعراء ص٧٩، والأغاني (٩/١٨٠) وخزانة الأدب (١/٨٤).

(٥) تفسير الطبري (١/٢١١).

وقال ابن حجر رحمه الله في التسبيح: "ومعناه: تنــزيه الله عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل"[(١)].

وعرّف ابن رجب رحمه الله التسبيح بقوله: "هو تنــزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات"[(٢)].

والتسبيح بمعنى الذِّكْر ويطلق ويراد به جميع ألفاظ الذِّكْر[(٣)].

ومما استعمل من التسبيح بمعنى الذِّكْر قوله تعالى:﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾[(٤)]، يعني ويذكر الرعد[(٥)].

وقال ابن جرير: "ومعنى قوله ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ويعظم الله الرعدُ ويمجده فيثني عليه بصفاته وينــزهه مما أضاف إليه أهل الشرك ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد تعالى ربنا وتقدس"[(٦)].

وكذلك قوله تعالى:﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾...الآية[(٧)] أي: نذكرك.

---

(١) فتح الباري (٢١٠/١١).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٧٦ (ط١/١٤٠٨هـ، دار المعرفة، بيروت).

(٣) انظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص٤٢٩–٤٣٠، ولسان العرب (١٤٤/٦)، وتاج العروس (٤٥١/٦)، وفتح الباري (٢١٠/١١).

(٤) سورة الرعد الآية: ١٣.

(٥) الوجوه والنظائر ص٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري (١٢٤/١٣).

(٧) سورة البقرة الآية: ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾[٣].

وقوله تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٤].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأُطلِق ذكرُ الله وشمل التسبيح وغيره من التحميد والتكبير وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾[٥] فقد فسره بعضهم[٦] بأنه التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقرآءة القرآن.

وأود أن أنبه هنا لأمر مهم ألا وهو أن تنـــزيه الله عن النقائص والعيوب لابد أن يرافقه ويلازمه إثبات كمال الضد المنفي عن الله "فالنفي

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٠.

(٢) سورة غافر الآية: ٧.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٤) سورة الحشر الآية: ١.

(٥) سورة العنكبوت الآية: ٤٥.

(٦) تفسير ابن كثير (٣/٢١٥٧).

لا يكون مدحاً إلا إذا تضمن ثبوتاً وإلا فالنفي المحض لا مدح فيه ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله ولله الأسماء الحسنى، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن إثبات محاسنه وكماله كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾[1]، فنفيُ أخذ السِّنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته..."[2].

"ولهذا عندما نزه الله تبارك وتعالى نفسه عما لا يليق به مما وصفه به أعداء الرسل سلم على المرسلين الذين يثبتون لله صفات كماله ونعوت جلاله على الوجه اللائق به وذلك في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[3]"[4].

العلاقة بين الذِّكْر والتسبيح

إن الذِّكْر أشمل وأعم من التسبيح والتسبيح أخص من الذِّكْر وهو نوع من أنواعه وذلك لأن التسبيح تنــزيه، وأما الذِّكْر فيشمل التنــزيه وغيره من

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٢) دقائق التفسير (٢/٣٦٤).

(٣) سورة الصافات الآية: ١٨٠-١٨٢.

(٤) فقه الأدعية والأذكار ٢١١-٢١٢.

الثناء والحمد والتعظيم والتكبير والتقديس والتهليل.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وكل ذكر لله عند العرب فتسبيح وصلاة يقول الرجل منهم قضيت سبحتي من الذِّكْر والصلاة"(١).

إذاً فكل مسبح لله فهو ذاكر له، وليس كل ذاكر مسبحاً، فبينهما عموم وخصوص مطلق.

ثانياً: التكبير.

التكبير لغة: مصدر (كبّر) وهو مأخوذ من مادة (ك ب ر)، والكاف والباء والراء أصلٌ صحيح يدل على خلاف الصغر، يقال: كبر وكُبار وكُبّار...والكِبر العظمة، وكذلك الكبرياء، ويقال: أكبرت الشيء استعظمته(٢).

وإذا كان الصغر يدل على القلة والحقار فإن الكبر يدل على الكثرة والعظمة وكبّر يكبر تكبيراً وكبّاراً إذا قال: الله أكبر.

وقولهم: (الله أكبر كبيراً): منصوب بإضمار فعل، كأنه قال: أُكبِّر تكبيراً، فقوله: كبيراً، بمعنى تكبيراً، فأقام الاسم مقام المصدر الحقيقي(٣).

والتكبير لغة: التعظيم، والكبرياء: عظمة الله تعالى(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٢١٠/١).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٥٤/٥) وانظر: المفردات (٦٩٨).

(٣) تهذيب اللغة (٢١٥/١٠) وتاج العروس (٦/١٤).

(٤) الصحاح للجوهري (٨٠٢/٢)، وانظر: تهذيب اللغة (٢١٣/١٠).

واصطلاحاً:

١- عرفه ابن العربي المالكي[١] رحمه الله فقال:

"التكبير هو التعظيم، ومعناه ذكر الله بأعظم صفاته بالقلب والثناء عليه باللسان بأقصى آيات المدح والبيان والخضوع له بغاية العبادة كالسجود له ذلة وخضوعاً"[٢].

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التكبير يراد به أن يكون (الله) عند العبد أكبر من كل شيء"[٣].

٣- وقال الشوكاني[٤] رحمه الله: عند قوله:﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾[٥]، قال: "أي: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهو وصفه

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي أبو بكر القاضي من حفاظ الحديث برع في الأدب وبلغ رتبه الاجتهاد في علوم الدين وصنف كتباً في الحديث والفقه والتفسير والأصول والأدب والتاريخ، من أشهر كتبه:العواصم من القواصم، وأحكام القرآن، توفي سنة ٥٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١٨٨٦/٤) (ط/عيسى البابي الحلبي تحقيق علي الجاوي).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣٩/٥).

(٤) الشوكاني: هو العلامة محمد بن علي بن محمد عبد الله الشوكاني اليماني الصنعاني، ولد عام (١١٧٣ هـ) بهجرة الشوكان في اليمن ونشأ في صنعاء وتوفي ١٢٥٠هـ وكان عالماً بالتفسير والحديث والفقه وأصوله.

انظر: الأعلام (٢٩٨/٦).

(٥) سورة المدثر الآية: ٣.

سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقد الكفار، وأعظم من أن يكون له صاحبة أو ولد"[١].

وقال القرطبي في قوله تعالى: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١ ﴾[٢] "أي: عظمه عظمة تامة ويقال أبلغ لفظ العرب في معنى التعظيم والإجلال: الله أكبر أي صفة بأنه أكبر من كل شيء [٣]

وقال أيضاً عند قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾[٤] "أي: سيدك ومالكك ومصلح أمرك فعظّم وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد[٥].

وقال ابن العربي في هذه الآية: "وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبيرة الصلاة فإنه مراد به التكبير والتقديس والتنـزيه بخلع الأنداد والأصنام والأضداد دونه، ولا تتخذ ولياً غيره، ولا تعبد سواه، ولا ترى لغيره فعلاً إلا له ولا نعمة إلا منه"[٦].

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ﴾[٧]:

---

(١) فتح القدير (٥/٤٦١) (ط/دار الحديث).

(٢) سورة الإسراء الآية: ١١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٣٥٢).

(٤) سورة المدثر الآية: ٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٦١).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي (٤/١٨٨٦).

(٧) سورة البقرة الآية: ١٨٥.

"ولتعظموا الله بالذّكْر له بما أنعم عليكم به من الهداية و الذّكْر الذي حضهم الله على تعظيمه به وهو (التكبير)"[(١)].

أما قول المصلي في صلاته والمؤذن في أذانه: (الله أكبر)، فقيل فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه (الله كبير) فوضع أفعل مكان فعيل، أي أن التفضيل على غير بابه.

والثاني: أن المعنى (الله أكبر) من كل شيء "أي: أعظم فحذفت (من) من أسلوب التفضيل لوضوح معناها، (وأكبر) خبر والأخبار يجوز حذفها وحذف ما تتعلق بها، وقيل: معناها الله أكبر من أن يعرف كُنه كبريائه وعظمته ... "[(٢)].

والثاني هو الصحيح، والأول، غير صحيح[(٣)]، لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم[(٤)] رضي الله عنه:

---

(١) جامع البيان للطبري (١٥٧/٢).

(٢) النهاية لابن الأثير(١٤٠/٤)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢١٤/١٠)، ولسان العرب (١٣/١٠).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٢٣٩/٥).

(٤) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج بفتح المهملة وسكون المعجمة آخره جيم الطائي أبو طريف بفتح المهملة وآخره فاء، صحابي شهير وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي رضي الله عنه ومات سنة ٦٨هـ وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل: وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء (١١٦٢/٣)، وتقريب التهذيب ترجمة رقم ٤٥٤٠، ص ٣٨٨.

«ياعدي ما يفرّك؟ أيفرّك أن يقال لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله إلا الله؟ ياعدي ما يفرّك؟ أيفرّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء أكبر من الله؟ »(١).

النسبة بين الذِّكْر والتكبير:

قد تحصل مما سبق أن التكبير وصف لله تعالى بالكبرياء والعظمة والإجلال واعتقاد أنه أكبر من كل شيء.

أما الذِّكْر فيعم هذا وغيره من تسبيح وتحميد وتهليل وغيرها من ألفاظ الذِّكْر فالذِّكْر أعم من التكبير ومتضمن له، والتكبير نوع من أنواع الذِّكْر.

ثالثاً: الحمد

الحمد لغة: مصدر الفعل (حَمد) وهو مأخوذ من مادة (ح م د) التي تدل على خلاف الذم، يُقال: حمدت فلاناً أحمده ورجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة(٢).

والحمد في لغة العرب معناه الثناء الكامل(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٧٨/٤)، والترمذي في سننه كتاب التفسير، باب: ومن سورة الفاتحة (٢٠٢/٥) ح ٢٩٥٣، وقال:"حديث حسن غريب "، وحسنه الألباني في هذا الموضع من صحيح سنن الترمذي، ورواه ابن حبان في صحيحه ح ٧٢٠٦ مع الإحسان.

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٠٠/٢).

(٣) تفسير القرطبي (١٤٨/١).

والتحميد في اللغة كثرة الثناء بالمحامد الحسنة وهو أبلغ من الحمد [(١)].

وأما اصطلاحاً:

فقال ابن جرير رحمه الله: "إن قول القائل: (الحمد لله) ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى"[(٢)].

وقال القرطبي: "الحمد ثناء على الممدوح بصفات من غير سبق إحسان"[(٣)].

وقال الراغب: "الحمد لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة"[(٤)].

وفي التعريفات للجرجاني: "الحمد هو الثناء على الجميل من جهة التعظيم من نعمة وغيرها"[(٥)].

وقال ابن القيم رحمه الله: "الحمد إخبارٌ عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه"[(٦)].

وقال أيضاً: (الحمد لله): الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى ومحبته والرضا به"[(٧)].

---

(١) لسان العرب (١٥٦/٣).

(٢) جامع البيان للطبري (٦٠/١).

(٣) الجامع لأحكام القرأن (١٥٠/١).

(٤) المفردات ص ٢٥٦.

(٥) التعريفات ص ٩٣.

(٦) بدائع الفوائد (٩٣/٢) (ط/دار الكتاب العربي).

(٧) الوابل الصيب ص ١١٩.

وقال بعضهم: "الحمد الثناء الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا، يُقال: حمدت الرجل على ما أنعم به عليّ وحمدته على شجاعته، ويكون باللسان وحده دون عمل الجوارح؛ إذ لا يقال: حمدت زيداً أي عملت له بيدي عملاً حسناً"[١].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "الحمد لله"هو الثناء على الله بصفات الكمال وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل بجميع الوجوه"[٢].

وذهب بعضهم إلى أن الحمد بمعنى الشكر وقالوا إنهما سواء [٣].

قال القرطبي: وليس بمرضي[٤].

والصواب مع القرطبي لأن بين الحمد والشكر عموماً وخصوصاً وبينهما فروق ذكرها كثير من أهل العلم[٥].

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي (٣٦/١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٢٢و٤١٩.

(٣) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره (١٥٠/١) عن ابن عطاء وجعفر الصادق وللمبرد وابن جرير الطبري.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٥٠/١).

(٥) منهم أبو بكر الأنباري في: الزاهر في معاني كلمات الناس (٨٤/٢-٨٥) (ط١٩٨٧/٢م دار الشؤون الثقافية بغداد، تحقيق د.حاتم الضامن)، والقرطبي في تفسيره (١٥٠/١)، والراغب في المفردات ص ٢٥٦، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٣٣/١١و ١٣٥)، وفي الفتاوى الكبرى (٢١٥/١)، والكفوي في الكليات ص ٥٣٥، وابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين (ص ٩٣/٢) وابن القيم في المدارج (١٨٨/٢)، وفي بدائع الفوائد (٩٣/٢)، وابن كثير في تفسيره (٤٧/١). والفيروز آبادي في بصائر ذو التمييز (٣٣٩/٣) وغيرهم كثير.

منهم ابن القيم رحمه الله حيث قال: "والشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال، وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق الشكر ومابه الشكر أعم مما به الحمد، فما يحمد الرب تعالى عليه أعم مما يشكر عليه، فإنه يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، ويشكر على نعمه، وما يحمد به أخص مما يشكر به، فإنه يشكر بالقلب واللسان والجوارح ويحمد بالقلب واللسان"[1].

ويتبين من ذلك أن الحمد يكون باللسان والقلب، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد يكون لله تعالى على ما له من أسماء وصفات وأفعال، والشكر لا يكون إلا على الإنعام.

ومما ورد في الحمد بمعنى الثناء والمَحْمد و الذِّكْر:

قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

فيحمده فيه ويثني عليه الأولون والآخرون.

وقوله: ﴿ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ ﴾[3] أي: يُثْنَى عليهم[4].

وقوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[5].

---

(١) عدة الصابرين ص١٢٣- ١٢٤.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٧٩.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٨٨.

(٤) الوجوه والنظائر ص ٢٥٢.

(٥) سورة الفاتحة الآية: ٢.

والله سبحانه وتعالى من أسمائه أنه (حميد) كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

فهو حميد في الصفات؛ لأن صفاته صفات كمال، وحميد الأفعال لأن أفعاله إحسان وجود وبر وحكمة[2].

وسمى رسوله صلى الله عليه وسلم أحمد ومحمداً فهو صلى الله عليه وسلم محمود في أخلاقه و أفعاله وجميع خصاله، كما أنه محمود في اسمه صلى الله عليه وسلم، ومن أسمائه ﷺ أحمد فهو في كل صفة من صفات الكمال البشري أحمد من غيره من البشر.

وإذا قال العبد: (الحمد لله) استلزم ذلك إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، واستلزم تنــزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفاً واسماً، فهو وحده سبحانه المحمود بأوصافه وأسمائه وأفعاله والمنــزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه[3].

النسبة بين الذِّكْر والحمد:

مما سبق يتبين لنا أن الحمد هو ثناء على الله بالإخبار عن صفات

(١) سورة هود الآية: ٧٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٤١ و ١٧.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٩٣)، والكلام عن مسألة السماع (ص ١٩٥-١٩٧) (ط/١٤٠٩هـ.دار العاصمة الرياض).

كماله وأسمائه وأفعاله ويكون باللسان.

أما الذِّكْر فهو أعم من حيث معناه العام حيث يكون باللسان والجنان والجوارح، وهو أيضاً يشمل الحمد والتسبيح والتكبير وغيرها من ألفاظ الذِّكْر فبينهما عموم وخصوص، فالذِّكْر أعم من الحمد والحمد أخص وهو نوع من أنواع الذِّكْر.

رابعاً: التهليل

التهليل لغة: مصدر (هللّ) وهو مأخوذ من مادة (هـ ل ل) التي تدل على رفع الصوت، ثم يتوسع فيه فيسمى الشيء الذي يُصوّت عنده ببعض ألفاظ الهاء واللام المضعفة ثم يُشبه بهذا المسمى غيره فيسمى به، والأصل في قولهم: (أهلّ بالحج): رفع صوته بالتلبية، واستهل الصبي صارخاً: صوّت عند ولادته ويقال: انهلّ المطر في شدة صوبه وصوته انهلالاً[١]، ويقال: هيلل الرجل: إذا قال: لا إله إلا الله، وقد أخذنا في الهيللة: إذا أخذنا في التهليل.

فهو مثل قولهم: حولق الرجل وحوقل إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وحيعل الرجل إذا قال: حيّ على الصلاة، والعرب تفعل هكذا إذا كثر استعمالهم الكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأخرى[٢].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٦/١١)، وانظر: لسان العرب (١٥/١٢٠).

(٢) تهذيب اللغة (٥/٣٧٠)، ولسان العرب (١٥/١٢٣).

والخلاصة أن اشتقاق التهليل فيه لعلماء العربية رأيان:

١- أنه مصدر (هلل) التي تدل على الصوت.

٢- أنه مصدر لفعل منحوت من قوله: لا إله إلا الله.

أما اصطلاحاً: فالتهليل هنا له المعنى اللغوي.

قال الليث رحمه الله: التهليل قول: لا إله إلا الله[١].

ومعنى هذه الكلمة سيأتي فيما بعد إن شاء الله[٢].

النسبة بين الذِّكْر والتهليل:

قد تبين أن التهليل هو قول: لا إله إلا الله، فهو أخص من الذِّكْر والذِّكْر أعم منه؛ إذ إن الذِّكْر يشمل التهليل والتسبيح والتحميد وغيرها فبينهما عموم وخصوص مطلق، والله أعلم.



(١) تهذيب اللغة (٣٦٨/٥). وكذا قال الحافظ في الفتح (٢٠٥/١١).

(٢) انظر: ص ٦٠١ من هذه الرسالة.

الفصل الثاني:

في أقسام الذِّكْر

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أقسام الذِّكْر باعتبار مشروعيته.

المبحث الثاني: أقسام الذِّكْر باعتبار مصدره ومحله.

المبحث الثالث: أقسام الذِّكْر باعتبار تقييده وإطلاقه.

المبحث الرابع: أقسام الذِّكْر باعتبار معانيه.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

أقسام الذِّكْر باعتبار مشروعيته

ينقسم الذِّكْر بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: قسم مشروع.

الثاني: قسم غير مشروع.

فأما القسم الأول: فهو ما ورد من الأذكار التي صحت عن رسول الله ﷺ، ويشتمل على الأذكار المطلقة والمقيدة التي كان يذكر بها رسول ﷺ ربه وهو إما أن يكون واجباً أو غير واجب:

فمن الذِّكْر الواجب تكبيرة الإحرام والتشهد الأخير في الصلاة والتسليم من الصلاة والأذان و..و..إلخ.

أما الذِّكْر غير الواجب فهو كثير جداً وغالب الأذكار المأثورة فهي من هذا القبيل نحو أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم والاستيقاظ و... إلخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذِّكْر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون

محرماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس، وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه، لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به، وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت، فهذا وأمثاله قريب.

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة وهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد"[١].

والأذكار المشروعة هي التي يتلفظ بها من هُدي إلى صراط العزيز الحميد، فينهلون من معين صاف لم تكدره لوثة البدع و لم تشبه شائبة الهوى.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]:

---

(١) مجموع الفتاوى (٥١١/٢٢).

(٢) سورة الحج الآية: ٢٤.

"وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي: القرآن. وقيل: لا إله إلا الله. وقيل: الأذكار المشروعة. ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ أي: الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم"[1].

أما القسم الثاني فهو: الأذكار غير المشروعة، وهي كل ما لم يرد في الكتاب ولا في السنة مشروعيتها، وقد تهافت عليها من لا حرص عنده على التمسك بالسنة، ومن كان همه الأكبر فقط الدعوة إلى طريقته، ونصر فكرته ومذهبه، وتكثير أتباعه ومريديه، لا من أجل نصرة الحق ونصرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ويدخل تحت هذه الأذكار ما كان محرماً، ويكون التحريم إما:

١ـــ لكونه يتضمن شركاً.

٢ـــ أو لكونه يتضمن نقصاً.

٣ـــ أو لكونه يصحبه اعتقادات فاسدة وبدع ومحدثات.

وسيأتي ذكر بعض الأمثلة -إن شاء الله- عند الكلام على حكم الذِّكْر والكلام عن الذِّكْر غير المشروع.



(١) تفسير ابن كثير (٣/٢١٤).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الثاني:

أقسام الذِّكْر باعتبار مصدره ومحله.

ينقسم الذِّكْر من حيث الآلة التي يستخدمها الذاكر في ذكره إلى قسمين:

١- ذكر يكون مصدره من اللسان، وهو الذي يعرف بالذِّكْر اللساني، وهو ما يجري على اللسان من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وثناء على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله.

٢- ذكر يكون مصدره من القلب، وهو الذي يعرف بالذِّكْر القلبي، وهو ذكره سبحانه عند الأوامر بامتثالها وعند المعاصي باجتنابها، وتعظيمه وإجلاله سبحانه وهيبته، والتفكر في مخلوقاته وآلائه، وهذا الذِّكْر يقسمه العلماء إلى أقسام كما سيتضح من كلامهم الآتي.

وقد يجتمع للذاكر الذِّكْر اللساني مع القلبي فيكون أكمل أنواع الذِّكْر.

وقد دلّ على نوعي الذِّكْر باللسان والقلب قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥. انظر كلام ابن سعدي في تفسير هذه الآية: ص١٢٢.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]، وقوله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: **«أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم»**[٢].

وبهذا التقسيم الذي ذكرتُ قسّمه كثير من العلماء منهم:

١ ــ الإمام أبو عبد الله الحليمي[٣] رحمه الله:

حيث قال: "أن المراد بالذِّكْر ليس هو الذِّكْر باللسان وحده ولكنه جامع للسان والقلب، والذِّكْر بالقلب أفضل؛ لأن الذِّكْر باللسان لا يردع عن شيء، والذِّكْر بالقلب يردع عن التقصير في الطاعات والتهافت في المعاصي والسيئات"[٤].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (٢٦٩٤/٦) ح٦٩٧٠، ومسلم: كتاب الذِّكْر والدعاء والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤)ح ٢٦٧٥.

(٣) القاضي العلامة رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب، وكان متفنناً سيال الذهن طويل الباع في الأدب والبيان. توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربع مئة للهجرة. نظر:سير أعلام النبلاء (٢٣١/١٧).

(٤) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، وشعب الإيمان للبيهقي (٣٩٥/١).

٢- القاضي عياض[١] رحمهُ الله فقد قال:"وذكر الله تعالى ضربان: ذكرٌ بالقلب، وذكرٌ باللسان، والذِّكْر بالقلب نوعان:

أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه ومنه الحديث: « خير الذِّكْر الخفي » والمراد به هذا.

والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه.

وأما ذكر اللسان مجرداً فهو أضعف الأذكار، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث. قال: وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل"[٢].

---

(١) الإمام العلامة الحافظ الأوحد شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، ولد في سنة ست وسبعين وأربع مئة، واستبحر من العلوم وجمع وألف وسارت بتصانيفه الركبان واشتهر اسمه في الآفاق من أشهر مصنفاته: الشفا في شرف المصطفى ﷺ، وترتيب المدارك، وهو كتاب في التراجم، وإكمال المُعْلِم في شرح صحيح مسلم، توفي رحمه الله سنة٥٤٤ هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٢ -٢١٨).

(٢) إكمال المُعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٨/١٨٩) (ط١/١٤١٩هـ، دار الوفاء، تحقيق د/يحيى إسماعيل)، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي(١٧/١٥) (٧/ ٩١) (ط٢/١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي).

٣- الإمام النووي رحمه الله: فقد قال: "الذِّكْر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل ما كان بالقلب واللسان جميعاً فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل"(١).

٤ ـــ ابن القيم رحمه الله: وقد قال:"وأنه (أي الذِّكْر) ثلاثة أنواع أيضاً: ذكرٌ يتواطأ عليه القلب واللسان وهو أعلاها، وذكرٌ بالقلب وحده وهو في الدرجة الثانية، وذكرٌ باللسان المجرد وهو في الدرجة الثالثة"(٢).

وهذا الذِّكْر الذي هو تواطؤ القلب واللسان يرجع إلى مصدرين هما القلب واللسان.

٥- وقال المناوي: "قال الأشرفي الذِّكْر: نوعان قلبي ولساني، والأول أعلاهما... وهو: أن لا ينسى الله على كل حال، وكان للمصطفى صلى الله عليه وسلم حظ وافر من هذين النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء فإنه يقتصر فيهما على النوع الأعلى الذي لا أثر فيه للجنابة"(٣).

٦- وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

"الذِّكْر لله يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذِّكْر وأحواله"(٤)

---

(١) الأذكار ص ٦، وانظر الفتوحات الربانية (١/١٠٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٣١)، وانظر كتاب الفوائد ص ١٢٨، والوابل الصيب ص١٢٠.

(٣) فيض القدير للمناوي (٥/٢١٤) (ط١/١٣٥٦هـــ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٦.

وقد زاد على هذين القسمين بعض العلماء، فذكر بعضهم أن هناك ذكراً يكون بالجوارح، فقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾[1]: "يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكراً كثيراً فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك"[2].

وجعل بعضهم جميع أعضاء الجسم مصدراً للذكر فقد نقل عن بعض العارفين أنه قال:

"الذِّكْر على سبعة أنحاء: فذكرُ العينين بالبكاء، وذكرُ الأذنين بالاصغاء وذكرُ اللسان بالثناء، وذكرُ اليدين بالعطاء، وذكرُ البدن بالوفاء، وذكرُ القلب بالخوف والرجاء، وذكرُ الروح بالتسليم والرضاء"[3].

أما ما ذكره بعضهم في تقسيمه حيث قال: "ولزوم الذِّكْر عند أهل الطريق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى وهو ثلاثة أقسام: ذكر العوام: باللسان، وذكر الخواص: بالقلب، وذكر خواص الخواص: بفنائهم عن ذكرهم ثم مشاهدة مذكورهم على أن يكون الحق مشهودا لهم"[4].

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان: ٤١-٤٢.

(٢) تفسير الطبري (١٧/٢٢).

(٣) التفسير الكبير للرازي (١٤٣/٤) وانظر: فتح الباري (٢٠٩/١١).

(٤) فيض القدير للمناوي (٣٠٩/٢)، وهذا مبني على قولهم في أقسام التوحيد توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة.

فهذا غير صحيح فالرسول ﷺ قد حض على ذكر اللسان وأوصى به صحابته، وكان ﷺ يذكر ربه بلسانه على كل أحيانه، وكان لسانه ﷺ رطباً بذكر الله وكذلك كان صحابته، فكيف يقال: ذكر اللسان ذكر العوام مع أن رسول الله وصحابته كانوا يكثرون منه؟!

وقد ذكر العلماء ها هنا مسألة أيهما أفضل ذكر اللسان أم ذكر القلب؟

فأقول أولاً: قد يكاد الإجماع يكون منعقداً بين العلماء على أن أفضل الذِّكْر وأعلاه مرتبة هو ما تواطأ عليه القلب واللسان، فغالب من وقفت على كلامه يقول ذلك، وقد سبق كلام الإمام النووي وابن القيم والسعدي قريباً.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان، ثم ذكر الله بالقلب، ثم ذكر الله باللسان...والذِّكْر يكون بلسان الإنسان ولكن يكون لقلبه من ذلك نصيب؛ إذ الأعضاء لا تتحرك إلا بإرادة القلب لكن قد تكون الغفلة غالبة عليه وذلك الكلام خير من العدم والله يحبه ويأمر به"(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله أيضاً:

"وأفضل الذِّكْر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"(٢).

---

(١) الاستقامة لشيخ الإسلام (١٧/٢) (ط١/١٤٠٣هـ، جامعة الإمام، تحقيق محمد رشاد سالم).

(٢) الفوائد لابن القيم ص ١٩٢.

وإنما كان ما تواطأ عليه القلب واللسان أفضل من انفراد أحدهما عن الآخر لأنه: "عمل جارحة اللسان مع حضور الجنان في ذكره الرحمن، فالعمل فيه أكثر فحصل له أشرف أنواع الأجر"[١].

أما إذا انفرد ذكر القلب عن ذكر اللسان فأيهما أفضل؟

فقد رجح بعض أهل العلم الذِّكْر بالقلب على الذِّكْر باللسان كما هو ظاهر من كلام القاضي عياض السابق ومن كلام الأشرفي، وعليه يدل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله.

ورجح بعضهم تفضيل الذِّكْر اللساني على الذِّكْر القلبي، وعللوا ذلك وقالوا: لأن في الإتيان بالذِّكْر اللساني امتثالاً لأمر الشارع من حيث الذِّكْر بخلاف الذِّكْر القلبي، وأن ما تعبدنا الشارع به من الذِّكْر لا يحصل إلا بالتلفظ به حيث يسمع نفسه، بخلاف ما إذا لم يُسمع بأن أتى به همساً أو بقلبه فقط فإنه لا يحصل له الامتثال ويقع في لوم الترك، وثوابُ الحضور إنما هو على جهة أخرى أجنبية عن المأمور به[٢].

وقال النووي رحمه الله: "واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل، ومن رجح ذكر اللسان قال لأن العمل فيه أكثر فإن زاد باستعمال زيادة أجر... قلت:...وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده والله أعلم"[٣].

---

(١) الفتوحات الربانية لابن علان (١٠٦/١).

(٢) انظر الفتوحات الربانية (١٠٧/١-١٠٨)، وقد نقل عن ابن حجر الهيثمي القول بذلك.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٧).

وذُكِر أيضاً من الأسباب المرجحة لمن يقول بتفضيل الذِّكْر القلبي على اللساني: لأن ذكر القلب أبعد عن الرياء والسمعة، كما أن ذكر القلب يثمر الأحوال والمعارف بخلاف ذكر اللسان(١).

وقد قال ابن القيم رحمه الله: "وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة ويثير الحياء ويبعث على المخافة ويدعو إلى المراقبة و يزع عن التقصير في الطاعات والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً منها فثمرته ضعيفة"(٢).

قلت: لا بد من التفصيل في هذه المسألة، ففي التفصيل يتبين السبيل، وتظهر جوانب التفضيل، فذكر الله باللسان أفضل من جهة أن جميع الأذكار التي ندب إليها الشارع الحكيم يشترط التلفظ بها باللسان وإسماع النفس، وكذلك فيه زيادة عمل وحركة يؤجر عليها المرء، كما أن الأحاديث المرغبة في الذِّكْر وفضله تدل على ذكر اللسان لا يمكن أن ننسى فضلها.

وذكر القلب أفضل من جهة؛ لأنه يزجر المرء عن المناهي ويردعه عن التقصير بالطاعات، ويتقلب المرء في الأحوال والمقامات فيرتقي من حال

---

(١) نقل ذلك ابن علان في الفتوحات (١٠٧/١) عن العز بن عبد السلام، وانظر المصباح في أذكار المساء والصباح لمحمد بن محمد الصالحي المنبجي الحنبلي ص٣١ (ط١/١٤٢١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق أحمد المزيدي).

(٢) الوابل الصيب ص ١٢٠.

إلى حال ومن مقام إلى آخر كلما زاد ذكره لربه في قلبه.

والأفضل أن يجتمع للمرء الذِّكْر القلبي واللساني فيتواطأ القلب مع اللسان فيثمر ذلك أطايب الثمر ويجني الذاكر منه أحسن الجَنى.

"وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل"(١).

ويختلف الناس في الذِّكْر باللسان والقلب وينقسمون إلى أقسام عِدّة بينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "فإن الناس في الذِّكْر أربع طبقات:

إحداها: الذِّكْر بالقلب واللسان وهو المأمور به.

الثاني: الذِّكْر بالقلب فقط فإن كان مع عجز اللسان فحسن، وإن كان مع قدرته فترك للأفضل.

الثالث: الذِّكْر باللسان فقط وهو كون لسانه رطباً بذكر الله وفيه حكاية الذي لم تجد الملائكة فيه خيراً إلا حركه لسانه بذكر الله ويقول الله تعالى: (أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه).

الرابع: عدم الأمرين وهو حال الخاسرين"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان، وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأا على الذِّكْر، ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة، بل يسكن حتى يحضر قلبه

---

(١) بدائع الفوائد (٣/٦٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦٦).

فيشرع في الذِّكْر بقلبه فإذا قوى استتبع لسانه فتواطأا جميعاً، فالأول ينتقل الذِّكْر من لسانه إلى قلبه، والثاني ينتقل من قلبه إلى لسانه من غير أن يخلو قلبه منه بل يسكن أولا حتى يحس بظهور الناطق فيه فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق القلبي إلى الذِّكْر اللساني ثم يستغرق في ذلك حتى يجد كل شيء منه ذاكراً، وأفضل الذِّكْر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"[١].



(١) الفوائد ص١٩٢.

المبحث الثالث:

أقسام الذِّكْر باعتبار تقييده وإطلاقه.

تنقسم الأذكار من حيث هذا الاعتبار إلى قسمين:

القسم الأول: الأذكار المطلقة.

القسم الثاني: الأذكار المقيدة.

ويقال للفعل بأنه "مقيد أو مطلق باعتبار اختصاصه ببعض مفاعيله، من ظـــرفِ زمان أو مكان ونحوه من المفاعيل كالمصدر، والعلة، والآلة ومحل الفعل، وعـــدم اختصاصه بذلك"[1].

فيكون الذِّكْر مقيداً إما بحال أو بزمان، أو بمكان، أو بعدد ما، أوكيفية معينة، أو بسبب ما، وما لم يكن مقيداً بشيء من ذلك فهو الذِّكْر المطلق.

ويؤتى بالذِّكْر المقيد على الوجه الذي ورد به في زمانه، أو حاله، أو مكانه،، وفي لفظه، وفي هيئة الذِّكْر به من غير زيادة ولا نقصان، ولا تبديل، ولا تلفيق ذكر بآخر ولا رواية بأخرى. ولو أتى به في غير هذه الوجوه الخمسة لا على سبيل المواظبة، وإنما على سبيل أنه ذكر جاز.

---

(١) شرح مختصر الروضة لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي (٢/٦٣٤).

وكذلك الذِّكْر المطلق المأثور الوارد عن المصطفى ﷺ يؤتى به على الوجه الذي ورد فيراعى لفظه وما ورد معه.

أما الذِّكْر المطلق غير المأثور وغير الوارد فيؤتى به ويجوز فعله ولكن بشروط سيأتي ذكرها عند الكلام على قواعد الذِّكْر[١]. مع أن الأفضل والأكمل والأسلم للمسلم الذاكر أن يشتغل بالذِّكْر المأثور عن النبي ﷺ من الذِّكْر المطلق فهو أفضل من الذي يذكر به المسلم من عند نفسه، أو يأخذ ورداً من شيخ أو غيره.

ولنضرب أمثلة على الذِّكْر المقيد حتى يزداد الأمر وضوحاً:

أولاً: أمثلة على الذِّكْر المقيد بزمان:

إن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمسى قال:

«أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر». وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: « أصبحنا وأصبح الملك لله»[٢].

---

(١) انظر: ص٢٨٠-٢٨١ من هذا البحث.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٠٨٩/٤) ح٢٧٢٣.

وأذكار الصباح والمساء كلها تصلح أن تكون أمثلة لذلك.

وأفضل الأزمنة للذكر بعد الفجر وبعد العصر[١].

ثانياً: المقيد بمكان مثل: ما يقال على الصفا والمروة فقد ورد عنه ﷺ أنه لما دنا من الصفا قرأ:﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا"[٢].

ثالثاً: المقيد بحال: كالذِّكْر الذي يقال عند العطاس.

رابعاً: المقيد بعدد:

مثاله: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً، وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

(١) انظر جامع العلوم والحكم ص ٤٥٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٨٨٦/٢) ح ١٢١٨.

قدير، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[1].

خامساً: ما يقيد بسببٍ ما كالذِّكْر الذي يقال عند نزول المطر أو عند رؤية الهلال.

وأما الذِّكْر المطلق: فهو وكما قلت، مالم يقيد بحال ولا زمان ولا مكان ولا كيفية كقعود وقيام ونحوه، ودليله قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠ ﴾[3] وقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ ﴾[4]، وقوله ﷺ لذلك الأعرابي الذي قال له: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال له ﷺ: **« لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله »**[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذِّكْر بعد الصلاة وبيان صفته(٤١٨/١) ح٥٩٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٢٠.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٩٠/٤) والترمذي في سننه:كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذِّكْر (٤٥٨/٥) ح٣٣٧٥) وقال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وابن ماجة: كتاب الأدب، باب فضل الذِّكْر (١٢٤٦/٢) ح٣٧٣٩، وابن حبان في صحيحه (٩٦/٢) مع الإحسان، والحاكم في المستدرك (٦٧٢/١) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٨/٦) ح٢٩٤٥٣، والطبراني في الأوسط (٣٧٤/٢)ح٢٢٦٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ح ١٤٩١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»**(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً وعذر أهلها حال العذر إلا الذِّكْر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، قال: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال: سبحوه بكرة وأصيلا فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ ﴾"(٢).

ومن أمثلة الذِّكْر المطلق:

ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في

---

(١) أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الحيض، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف (١/١١٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (١/٢٨٢) ح(٣٧٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/١٧).

الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[(١)].

وما ورد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»**[(٢)].

فهذا الذِّكْر الوارد في الحديثين مطلق لم يقيّد بشيء.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذين النوعين من الذِّكْر المقيد والمطلق، فقال رحمه الله: "لكن مما هو كالإجماع بين العلماء بالله وأمره أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شَغل العبد به نفسه في الجملة، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: **«سبق المفردون». قالوا: يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»**[(٣)]، وفيما أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح (٢٣٥٢/٥) ح ٦٠٤٣، وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ (٢٧٤٩/٦)ح ٧١٢٤، ومسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) ح٢٦٩٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤)ح ٢٦٩٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦٢/٤) ح ٢٦٧٦.

«ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ » قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ذكر الله»[١].

والدلائل القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة، وأقل ذلك أن يلازم العبد الأذكار المأثورة عن معلم الخير وإمام المتقين كالأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره، وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات، والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المترل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك، وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل اليوم والليلة.

ثم ملازمة الذِّكْر مطلقاً وأفضله: (لا إله إلا الله)، وقد تعرض أحوال يكون بقية الذِّكْر مثل سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أفضل منه"[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

"وأما الذِّكْر باللسان فمشروع في جميع الأوقات ويتأكد في بعضها فمما يتأكد فيه الذِّكْر عقيب الصلوات المفروضات وأن يذكر الله عقيب

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند(٤٤٧/٦)، والترمذي في سننه كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذِّكْر (٤٥٩/٥) ح٣٣٧٧، والحاكم في المستدرك (٦٧٣/١)، وصحح إسناده، وحَسّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٥٤/٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٣/١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٦٠/١٠-٦٦١).

كل صلاة منها مائة مرة ما بين تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل، ويستحب أيضا الذِّكْر بعد الصلاتين اللتين لا تطوع بعدهما وهما الفجر والعصر، فيشرع الذِّكْر بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس، وهذان الوقتان أعني وقت الفجر ووقت العصر هما أفضل أوقات النهار للذكر، ولهذا أمر الله تعالى بذكره فيهما في مواضع من القرآن...

والذِّكْر المطلق يدخل فيه الصلاة وتلاوة القرآن وتعلمه وتعليمه والعلم النافع كما يدخل فيه التسبيح والتكبير والتهليل"[١].



(١) جامع العلوم والحكم ص ٤٥٠.

المبحث الرابع:

أقسام الذِّكْر باعتبار معانيه.

ينقسم الذِّكْر باعتبار معانيه إلى ثلاثة أقسام:

١- الثناء على الله بأسمائه وصفاته وأفعال جلاله.

٢- إخبار العبد عن توحيده وإيمانه وما يجب لله عليه.

٣- دعاء الله سبحانه وتعالى.

وهذا التقسيم ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:"والذِّكْر ثلاثة أنواع:

- أفضله ما كان ثناء على الله.

- ثم ما كان إنشاء من العبد أو اعترافاً بما يجب لله عليه.

- ثم ما كان دعاء من العبد.

فالأول: مثل النصف الأول من الفاتحة، ومثل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ومثل التسبيح في الركوع والسجود.

والثاني: مثل قوله: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، ومثل قوله: في الركوع والسجود: اللهم لك ركعت ولك سجدت...

والثالث مثل قوله: اللهم بعِّد بيني وبين خطاياي، ومثل دعائه في الركوع والسجود"[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٤٢-٣٤٣).

وهناك ذكر من الأذكار جمع أنواع الأذكار الثلاثة كلها وهو ذكره ﷺ الذي كان يقوله عند قيامه لقيام الليل أو كان يستفتح به في قيام الليل حيث كان يقول: «**اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق، ووعدك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت**»[١].

"فهذا الذِّكْر تضمن الأنواع الثلاثة، فقدّم ما هو خبر عن الله واليوم الآخر ورسوله، ثم ذكر ما هو خبر عن توحيد العبد وإيمانه، ثم ختم بالسؤال، وهذا لأن خبر الإنسان عن نفسه سلوك يشهد فيه نفسه وتحقيق عبادة الله عز وجل، وأما الثناء المحض فهو لا يشهد فيه إلا الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وما جرد فيه ذكر الله تعالى أفضل مما جرد فيه الخلق أيضاً ولهذا فضلت سورة قل هو الله أحد، وجعلت تعدل ثلث القرآن لأنها صفة الرحمن وذكره محضاً لم تشب بذكر غيره"[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ (١/٣٧٧) ١٠٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٩٠).

وبالنظر إلى أذكار الاستفتاح التي يستفتح بها العبد صلاته يجدها شاملة لأنواع الذِّكْر، وبعض هذه الاستفتاحات أفضل من بعض باعتبار ما اشتملته من أذكار، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"أنواع الاستفتاح للصلاة ثلاثة هي أنواع الأذكار مطلقاً بعد القرآن أعلاها ما كان ثناء على الله، ويليه ما كان خبراً من العبد عن عبادة الله، والثالث:ما كان دعاء للعبد.

فإن الكلام إما إخبار وإما إنشاء وأفضل الإخبار ما كان خبراً عن الله، والإخبار عن الله أفضل من الخبر عن غيره ومن الإنشاءات، ولهذا كانت (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تتضمن الخبر عن الله وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ لأنها خبر عن الله فما كان من الذِّكْر من جنس هذه السورة وهذه الآية فهو أفضل الأنواع والسؤال للرب هو بعد الذِّكْر المحض"[١].

ثم قال رحمه الله بعد ذلك: "إذا تبين هذا الأصل فأفضل أنواع الاستفتاح ما كان ثناء محضاً مثل: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، وقوله:الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ولكن ذاك فيه من الثناء ما ليس في هذا فإنه تضمن ذكر الباقيات الصالحات التي هي أفضل الكلام بعد القرآن وتضمن

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٧٦/٢٢).

قوله: تبارك اسمك وتعالى جدك، وهما من القرآن أيضاً ولهذا كان أكثر السلف يستفتحون به وكان عمر بن الخطاب يجهر به ويعلمه الناس.

وبعده النوع الثاني: وهو الخبر عن عبادة العبد كقوله: وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض إلخ، وهو يتضمن الدعاء وإن استفتح العبد بهذا بعد ذلك فقد جمع بين الأنواع الثلاثة وهو أفضل الاستفتاحات كما جاء ذلك فى حديث مصرحاً به وهو اختيار أبي يوسف وابن هبيرة الوزير من أصحاب أحمد صاحب الإفصاح، وهكذا أستفتح أنا.

وبعده النوع الثالث كقوله: اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب إلخ، وهكذا ذكر الركوع والسجود والتسبيح فيهما أفضل من قوله: (لك ركعت ولك سجدت) وهذا أفضل من الدعاء والترتيب هنا متفق عليه فيما أعلم فإني لم أعلم أحداً قال إن الدعاء فيهما أفضل من التسبيح كما قيل مثل ذلك فى الاستفتاح"[(١)].

وقد قسّم ابن القيم رحمه الله الذِّكْر إلى نوعين وتحت كل نوع يندرج أنواع، فقال رحمه الله: "الذِّكْر نوعان:

أحدهما: ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى، وهذا أيضاً نوعان:

(أحدهما): إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٩٤-٣٩٥).

في الأحاديث نحو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ونحو ذلك.

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء و أعمُّه نحو سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد: سبحان الله.

وقولك: الحمد لله عدد ما خلق في السماء وعدد ما خلق في الأرض وعدد ما بينهما وعدد ما هو خالقٍ أفضل من مجرد قولك: الحمد لله، وهذا في حديث جويرية رضي الله عنها أن النبي قال لها: **«لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته »**[1] أخرجه مسلم...

الثاني: الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاهم ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم،وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاهم وهو على كل شئ قدير وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته ونحو ذلك، وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه وبما أثنى به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٤/٢٠٩٠) ح٢٧٢٦.

وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع: حمد وثناء ومجد.

فالحمد لله: الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضاء به فلا يكون المحب الساكت حامداً ولا المثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء.

فإن كرر المحامد شيئاً بعد الشيء كانت ثناء.

فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً.

وقد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة **فإذا قال العبد:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ **قال الله: (حمدني عبدي)، وإذا قال:** ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ **قال:(أثنى علي عبدي)، و إذا قال:** ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ **قال: (مجدني عبدي)**[1].

(النوع الثاني من الذِّكْر): ذكرُ أمره ونهيه و أحكامه وهو أيضاً نوعان:

أحدهما: ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه: أمر بكذا ونهى عنه كذا واحب كذا وسخط كذا ورضى كذا[2].

والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر.

---

(١) وهو قطعة من حديث سبق تخريجه ص ٨٢.

(٢) وهذا إشارة إلى مجالس العلم التي يعرف فيها الحلال والحرام، فمجالس العلم هي من أفضل الذِّكْر وأنفعه للعبد.

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذِّكْر وأجله وأعظمه"[١].

ثم ذكر رحمه الله بعد ذلك أنواعاً أخرى لذكر الله وهي دون ما ذكر من الفضل والمنزلة فقال: "ومن ذكره سبحانه وتعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده وهذا أيضاً من أجلّ أنواع الذِّكْر".

وقال في موضع آخر: "إن الذِّكْر ثلاثة أنواع: ذكر الأسماء والصفات ومعانيها والثناء على الله بها وتوحيد الله بها، وذكر الأمر والنهي والحلال والحرام، وذكر الآلاء والنعماء والإحسان والأيادي"[٢].



(١) الوابل الصيب ص ١١٨-١٢٠.

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٣٠)، وانظر (٢/٤٣٤) منه، والفوائد لابن القيم أيضاً ص١٢٨، وجلاء الأفهام ص ٤٥١.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الثالث:

عناية الكتاب والسنة بالذِّكْر وبيان أهميته من خلالهما وبيان فوائد الذِّكْر وقواعده وآدابه.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: عناية القرآن الكريم بالذِّكْر.

المبحث الثاني: عناية السنة المطهرة بالذِّكْر.

المبحث الثالث: فوائد الذِّكْر وآثاره على الفرد والمجتمع.

المبحث الرابع: قواعد مهمة في الذِّكْر وآدابه.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

عناية القرآن الكريم بالذِّكْر.

القرآن العظيم كلام رب العالمين نزل على محمد ﷺ بلسان عربي مبين فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً وهدى به من الضلالة إلى النور وجعله شفاءً لما في الصدور.

هذا القرآن هو أساس الحياة الإسلامية ومصدر خير للإسلام والمسلمين إن أقاموا حدوده وعملوا بما فيه فأتوا بالأوامر وانتهوا عن النواهي والزواجر، فيه صلاح الفرد والمجتمع حيث اشتمل على كل شيء وهو تبيانٌ لكل شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله: "فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم"[٢].

فمنهجه شامل لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته:﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا

---

(١) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير: (٥١٣/٤)، (ط/دارالشعب، القاهرة).

يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(١).

ففيه تفصيل لكل ما يحتاجه العباد وهو موعظةٌ وشفاء وهدىً ورحمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾(٢).

وهو شفاءٌ للأبدان كما هو شفاءٌ للقلوب"وإذا صحّ القلب من مرضه ورفل بأثواب العافية تبعته الجوارح كلها فإنها تصلح بصلاحه وتفسد بفساده"(٣).

إذا كان الأمر كذلك فيتحصل مما سبق أن القرآن الكريم شفاء للمؤمنين، وهذا الشفاء تعددت أنواع الأدوية فيه التي تعالج أمراض القلوب والأبدان.

ومن الأمراض التي تستولي على القلوب: الغفلة والنسيان والهم والانتكاس والغم والحزن وغيرها، فجعل القرآن الكريم نوعاً من الأدوية شفاء لهذه الأمراض وهو دواء عظيم نفعُه لمن داوم عليه وأخذه على

---

(١) سورة يوسف: الآية: ١١١.

(٢) سورة يونس الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٣٢٣.

الطريقة الصحيحة، وهذا الدواء هو ذكر الله عز و جل"فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله ﷻ.

قال مكحول[١] رحمه الله:"ذكر الله شفاء، وذكر الناس داء"[٢]، وكما قيل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذِّكْر أحياناً فننتكس"[٣]

ولما كان القرآن العظيم مفصلاً لكل شيء ومبيناً له، فالذِّكْر من ضمن الأشياء التي فصلها القرآن واعتنى بها أكبر عناية وبينها أحسن بيان، فبيّن كثيراً من الأمور المتعلقة بالذِّكْر، كيف لا، وقد وردت لفظة الذِّكْر مع متصرفاتها في القرآن في نحو مائة موضع، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله: أن الذِّكْر ورد في القرآن على عشرة أوجه وهي كما يلي:

"الأول: الأمر به مطلقاً ومقيداً.

الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان.

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته.

الرابع: الثناء على أهله والإخبار بما أعدّ الله لهم من الجنة والمغفرة.

---

(١) أبو عبد الله الشامي: ثقة فقيه، كثير الإرسال مشهور، توفي سنة بضع عشرة ومائة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر ص ٥٤٥ رقم ٦٨٧٥ (ط١/١٤٠٦هـ، دار الرشيد، سوريا، تحقيق محمد عوامة).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٩/١) مرسلاً.

(٣) الوابل الصيب ص ٩٩.

الخامس: الإخبار عن خسران مَن لها عنه بغيره.

السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له.

السابع: الإخبار بأنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان أولها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين الأعمال الصالحة وروحها فمتى عدمه كانت كالجسد بلا روح."[1].

ويمكن تلخيصها كما يلي:

١- الأمر به ويتضمن النهي عن ضده؛ لأن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده (وهذا يشمل الوجه الأول والثاني مما ذكره ابن القيم).

٢- بيان أهميته ومنــزلته من العبادات حيث تختم به ويكون مقارناً لها (وهذا يشمل الوجه السابع والثامن والعاشر).

٣- الثناء على أهله وذم من لها عنه (ويشمل الوجه الرابع والتاسع).

٤- الفوائد التي يجنيها الذاكر من ذكره وعاقبة الغافلين واللاهين عن ذكر الله (ويشمل الوجه الثالث والخامس والسادس).

ولو تتبعنا موارد الذِّكْر في القرآن ومواضيعه التي جاء بها لوجدنا في الحقيقة أنه ورد في أوجه أخرى زيادة على ما سبق نجعلها وجهاً خامساً

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٤٠)، (ط١/دار الكتب العلمية، بيروت).

وفيه ما يلي:

أ- تسمية القرآن بالذِّكْر.

ب- الإشارة إلى بعض آداب وأحوال الذِّكْر.

ج - الإشارة إلى أفضل أوقات الذِّكْر.

د - الإشارة إلى بعض أنواع الذِّكْر كالحمد والتسبيح والتكبير.

وكل هذا يدل على عظيم عناية القرآن الكريم بالذِّكْر.

ونأتي الآن إلى بيان أدلة الأوجه السابقة بالتفصيل:

الوجه الأول: الأمر به ويتضمن النهي عن ضده[1]:

ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾[2].

ففي هذه الآية أمر بذكر الله عز وجل بل والإكثار منه كذلك، كما أنّ فيها أمراً بنوع من أنواع الذِّكْر وهو التسبيح وهو معطوف على الذِّكْر من باب عطف الخاص على العام، واختصه من بين أنواع الذِّكْر هنا ليدل على فضله.

---

(١) انظر هذه القاعدة في القواعد الحسان لتفسير القرآن لابن سعدي ص٩٤، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي، الجزء الثامن (ط٢/١٤١٢هـ، توزيع مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤١-٤٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إنّ الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدّاً معلوماً ثمّ عذر أهلها في حال العذر غير الذّكْر فإنّ الله تعالى لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[1]، وقال سبحانه:﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[2] أي بالليل والنهار، والبر البحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال"[3].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[4].

ففيها أمرٌ بالذّكْر ونهيٌ عن ضده: الغفلة.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

"أمر الله عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أصلاً وغيره تبعاً بذكر ربه في نفسه أي مخلصاً خالياً ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ بلسانك مكرراً لأنواع الذّكْر، ﴿ وَخِيفَةً ﴾ في قلبك بأن تكون خائفاً من الله، وجِل القلب منه

(١) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: (٢٦٠/٥) و (١٧/٢٢).

(٤) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

خوفاً من أن يكون عملك غير مقبول...﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فإنهم حُرموا خيري الدنيا والآخرة وأعرضوا عن مَنْ كُلُّ السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على مَنْ كُلُّ الشقاوة والخيبة في الاشتغال به"[1].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3]، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[4].

ومنها قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[5].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[6].

ومنها قوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾[7].

ومنها قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[8].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٦.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٤١.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٤) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

(٦) سورة المزمل الآية: ٨.

(٧) سورة الإنسان الآية: ٢٥.

(٨) سورة الحشر الآية: ١٩.

ففي هذه الآية نهي عن ضد الذِّكْر وهو النسيان ويتضمن هذا النهي لزوم ذكر الله عزوجل في كل حال وعدم نسيانه؛ لأن نسيانه سبحانه خسارة في الدنيا والآخرة فمن نسي الله و لم يذكره أنساه الله نفسه ومصالحها وما ينفعها في دنياها وأُخراها وجعله من الغافلين، وجعل أمره فرطاً كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[(١)] غفل ونسي الله فجعل الله قلبه غافلاً عن ذكره.

والآيات التي فيها الأمر بذكر الله كثيرة، وسيأتي ذكر شيء منها في الأوجه التالية.

- **الوجه الثاني: بيان أهمية الذِّكْر ومترلته من بين سائر العبادات إذ تختم به ويكون مقارناً لها**، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٢)]، ففي هذه الآية قرن سبحانه الذِّكْر بأعظم العبادات وأجلّها وأرفعها مترلة ألا وهي الصلاة مما يدل على أهميته وعِظم شأنه، وأكدّ أهميته بوصفه بأنه أكبر، فالذِّكْر أكبر الأعمال ومقصودها ولبّها، والأعمال كلها شُرعت من أجل إقامة ذكر الله.

---

(١) سورة الكهف الآية: ٢٨.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٥.

وقوله: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فيه أربعة أقوال ذكرها ابن القيم رحمه الله فقال:

"الأول: أنّ ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات؛ لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره فهو سرّ الطاعات وروحها.

الثاني: أنّ المعنى إذا ذكرتموه ذكركم فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له، فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: مضاف إلى المذكور.

الثالث: أنّ المعنى ولذكر الله أكبر من أنْ يبقى معه فاحشة ومنكر بل إذا تمّ الذّكْر محق كلّ خطيئة ومعصية.هذا ما ذكره المفسرون.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: معنى الآية: إنّ في الصلاة فائدتين عظيمتين:

إحداهما: نهيها عن الفحشاء والمنكر.

والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر"[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[٢] فالمقصود من الصلاة إقامة ذكر الله وبه سُميت الصلاة كما مرّ سابقاً.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/٤٤٠)، والوابل الصيب ص ١٠٣.

(٢) سورة طه الآية: ١٤.

وقوله: ﴿ لِذِكۡرِيٓ ﴾ قال ابن القيم رحمه الله:"والأظهر أنها لام التعليل، أي أقم الصلاة لأجل ذكري ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره"[١].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "أقم الصلاة لأجل ذكرك إياي لأن ذكره تعالى أجلّ المقاصد وبه عبودية القلب وبه سعادته، فالقلب المُعَطَّل عن ذكر الله مُعَطَّل عن كل خير، وقد خرب كل الخراب، فشرع الله للعباد أنواع العبادات التي المقصود منها إقامة ذكره وخصوصاً الصلاة"[٢].

وقد أمر الله تعالى بذكره عند انقضاء الصلاة فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾[٣].

وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾[٤] ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة المكتوبة.

وقال تعالى:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٥].

---

(١) الوابل الصيب ص ١٠٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٤٥٢، وهناك معنى آخر للآية وهو إذا نسي المرء الصلاة فليصلها حين يذكرها، كما قال النبي ﷺ : « **من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها فإن الله قال:** ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾»، أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٧١/١) ح ٣٠٩.

(٣) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٤) سورة ق الآية: ٤٠.

(٥) سورة الجمعة الآية: ١٠.

فجعله مقارناً لها في النهاية كما كان مقارناً لها في البداية كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[١].

وكذلك بالنسبة للحج فقد أمر الله عباده بالذِّكْر في أثناء قيامهم بمناسك الحج فجعله مصاحباً له، بل المقصود الأعظم في المناسك كلها إقامة ذكر الله كما قال رسول الله ﷺ: **«إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»**[٢].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[٥].

وأمر سبحانه بذكره عند انقضاء مناسك الحج فقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ ﴾[٦].

---

(١) سورة الأعلى الآية: ١٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب المناسك، باب الرمل (٢/٣٠٧) ح١٨٨٨، والترمذي في سننه: في كتاب الحج، باب ما جاء في كيف يرمي الجمار (٣/٢٤٦) ح٩٠٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٩٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٠.

(٥) سورة الحج الآية: ٢٨.

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٠٠.

"وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادته أن يستغفر الله عن التقصير ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه أكمل العبادة ومَنَّ بها على ربه وجعلت له محلاً ومترلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت وردّ الفعل كما أن الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخَر"[١].

وقرنه سبحانه بالصوم حيث أمر بذكره عند انقضائه فقال: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[٢].

وقرنه سبحانه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأعداء وجعله من أسباب النصر والفلاح فقال تعالى: :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: "وسمعت شيخ الإسلام يقول: المحبّون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم[٤]

وقال آخر:

ولقد ذكرتك والرماح شواجر ... نحوي وبيض الهند تقطر من دمي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٧٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

(٤) ديوان عنترة.

وهذا كثير في أشعارهم، وهو مما يدل على قوة المحبة؛ فإنّ ذكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه عنده بمترلة نفسه أو أعز منها، وهذا دليل على صدق المحبة والله أعلم"[١].

وكذلك عند التقرب إلى الله بالذبائح أمر سبحانه بذكر اسمه عليها وإفراده وحده لا شريك له، فلا يذكر إلا اسمه عند الذبح فقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾[٤].

وإذا كان العبد مأموراً بذكر الله والإكثار منه في جميع الأحوال، فالعبادات هي أفضل أحوال العبد حيث يكون فيها أقرب ما يكون إلى ربه، لذلك فـ"إنّ أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل، فأفضل الصُّوام أكثرهم ذكراً لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وأفضل الحاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل، وهكذا سائر الأحوال"[٥].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٤٥).

(٢) سورة الحج الآية: ٣٤.

(٣) سورة الحج الآية: ٣٦.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٢١.

(٥) الوابل الصيب ص١٠٤.

فجميع الآيات التي مرت كلها تبين أهمية الذِّكْر ومترلته من بين سائر العبادات، وأنه ملازم لها من بدايتها إلى نهايتها، فهو ملازم لها ملازمة السمك للماء، والروح للجسد، والطير للهواء.

الوجه الثالث: الثناء على أهله، وذمُّ مَنْ لها عنه:

ومما ورد من الآيات التي تبين معنى ذلك:

قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[1]، فأثنى جل جلاله على الذاكرين ووصفهم بأهم أصحاب العقول السليمة الذين استعملوها في ما ينفعهم في دنياهم وأُخراهم، فنظروا ببصيرهم وأبصارهم في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من عجائب قدرة الله فازدادوا إيماناً ويقيناً، وجزموا بأن الله لم يخلق هذا الخلق إلا بحكمة ولحكمة، ولم يخلقه باطلاً ولا سُدى، فذكرُهم لله عز وجل في جميع أحوالهم وسلامة تفكُّرِهم سّببا لهم الثناء من الله عز وجل.

وقد أثنى الله على الذاكرين بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2]، وهذا في سياق ذكر الموصوفين بصفات جميلة ومناقب جليلة.

---

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٥.

كما أثنى سبحانه على رجال داوموا على ذكر الله، و لم ينشغلوا و لم يتلهوا عنه مع أخذ نصيبهم من الدنيا من تجارة وبيع فقال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(١).

"فهؤلاء الرجال وإن اتجروا وباعوا واشتروا، فإن ذلك لا محذور فيه، لكن لا تلهيهم تلك،بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾، بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه"(٢).

وأثنى الله على المؤمنين بطمأنينة قلوبهم عند ذكر الله في قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣). وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٤)، وقوله:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٥).

وبمقابل هذا الثناء على الذاكرين فقد ذمّ الله مَن لَهَا وغفل عن

---

(١) سورة النور الآية: ٣٦ ،٣٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص: ٥١٨.

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٤) سورة الحج الآية: ٣٥.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٢.

ذكره، وحذّر المؤمنين من اللهو عن ذكره والاشتغال بالأولاد والأموال عن ذكره، كما هو حال المنافقين، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1]، فرتب الخسران على من انشغل ولَهَا بالفاني عن الباقي، وبما هو فتنة عن ما يصلح القلب ويطمئنه ويحييه ويقوده إلى باريه.

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من الْتهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة[2].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن في ذلك الربح والفلاح والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾ أي: يُلهه ماله وولده عن ذكر الله فأولئك هم الخاسرون للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم؛ لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى"[3].

---

(١) سورة المنافقين الآية: ٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٢٨٥٦/٤).

(٣) تيسر الكريم الرحمن ص٨٠١.

وسوق هذه الآية في سورة المنافقين فيه التلميح والدلالة على أنّ اللهو والانشغال بالدنيا عن ذكر الله من صفات المنافقين، لذلك قد ذمهم الله سبحانه وتعالى بِقلّة ذكرهم إياه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[1].

فهم لا يذكرون الله إلا قليلاً؛ "لامتلاء قلوهم من الرياء، فإنّ ذكر الله وملازمته لا يكون إلا من مؤمن مُمتلىء قلبه بمحبة الله وعظمته"[2].

كما أنه سبحانه وتعالى ذمّ -أيضاً- مَن أعرض عن ذكره في أكثر من آية وذمّ من صدّ عن ذكره وعشي عنه واشمأزّ قلبه منه وقسا فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[3].

"وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذِّكْر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه، فإن هذه كلها من توابع

---

(١) سورة النساء الآية: ١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص١٧٤.

(٣) سورة طه الآيات: ١٢٤-١٢٦.

إعراضه عن كتاب ربه تعالى."[١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٣]، وقال جل جلاله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[٤]، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[٦].

فذمُّ الغافلين عن ذكر الله، والثناء على من لازم ذكر الله في القرآن يدل على عناية القرآن الكريم بالذِّكْر وأهله.

- الوجه الرابع: الفوائد التي يجنيها الذاكر من ذكره، وعاقبة الغافلين واللاهين عن ذكر الله:

ومن عناية القرآن الكريم بالذِّكْر أن بيّن بعض الفوائد التي يجنيها

---

(١) الوابل الصيب ص ٦٨.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٣٦.

(٣) سورة الزمر الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة الآية: ١١٤.

(٥) سورة الزمر الآية: ٤٥.

(٦) سورة الحشر الآية: ١٩.

الذاكر من ذكره، وعاقبة الغافلين عن ذكر الله، وفي هذا ترغيب للعباد بلزوم ذكر الله، وترهيبٌ لهم من الغفلة عنه، وفيه أيضاً بيان لمنزلة الذِّكْر وأهميته حيث رتّبت عليه أُجورٌ عظيمة لمن أتى به على وجهه، وعقوبة جسيمة لمن أعرض وغفل عنه.

فمن الفوائد الجليلة، والعواقب الحميدة التي يجنيها الذاكر:

١- ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[1]، فالجزاء من جنس العمل، فمن ذكر الله ذكره الله وأثنى عليه في الملأ الأعلى، "ولو لم يكن في الذِّكْر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً"[2].

٢- وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[3]، أي: تسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله[4].

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله: "أي يزول قلقها واضطرابها وتحضرها أفراحها ولذاتها ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لاشيء ألذ للقلوب ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته وعلى قدر معرفتها

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٢) الوابل الصيب ص٦٢.

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٤) تفسير الطبري: (١٣/١٤٥).

بالله ومحبتها له يكون ذكرها له هذا على القول بأن ذكر الله هو ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك"(١).

٣- وقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(٤).

فرتب الفلاح على الذِّكْر، وهذه فائدة عظيمة يجنيها الذاكر حيث يكتب له الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة والنصر على الأعداء؛ إذ هو سبب من أسباب النصر، حيث إن القلوب عند لقاء العدو تضطرب فإذا لزمت الذِّكْر اطمأنت وسكنت وأصبحت قوية ثابتة صامدة في وجه العدو حتى تكسره ٤- وقوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٧٢.

(٢) سورة الأنفال الآية:٤٥.

(٣) سورة الأعلى الآية:١٤-١٥.

(٤) سورة الجمعة الآية:١٠.

(٥) سورة الأحزاب الآية:٣٥.

فرتّب سبحانه وتعالى مغفرة الذنوب والأجر العظيم لمن اتصف بصفات جليلة، ومنها كثرة ذكر الله جل جلاله.

٥- و قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(١).

وقوله:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٢).

فمن آثار الذِّكْر أنه يبعد المؤمن عن الفواحش والمنكرات وينهاه عنها؛ لأن أسماء الله وصفاته ملازمة لسانه وقلبه فكيف يحظى الشيطان به؟!

فيتحصل مما سبق النتائج والفوائد التالية للذكر:

١- ذكر الله لمن يذكره.

٢- طمأنينة القلب بالذِّكْر.

٣- الفوز والفلاح والنصر على الأعداء.

٤- المغفرة والأجر العظيم.

٥- البعد عن المنكرات.

وأما ما يترتب على الغفلة والنسيان واللهو عن ذكر الله، فَذَكَرَ اللهُ سبحانه في كتابه أموراً منها:

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٥.

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٥.

١- الويل لمن قسى قلبه من ذكر الله، قال الله عز وجل: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(١).

٢- الخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾(٣).

٣- ضيق الحياة وشدها، مع عذابٍ في القبر والعمى يوم القيامة، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾(٤)، وإن كان معنى الذِّكْر هنا القرآن فهو يشمل الذِّكْر أيضاً لأن القرآن أفضل الذِّكْر.

٤- أن الله ينسى من ينساه ولم يذكره، كما أنه يُنسيه نفسه فلا يدري مصلحتها من مفسدها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾(٥).

---

(١) سورة الزمر الآية:٢٢.

(٢) سورة المنافقون الآية:٩.

(٣) سورة الجن الآية:١٧.

(٤) سورة طه الآية:١٢٤.

(٥) سورة الحشر الآية:١٩.

قال ابن القيم رحمه الله: "فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت و فسدت ولا بد كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره وضيع مصالحه فإنه يفسد ولابد، هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها واشتغل عن مصالحها وعطل مراعاها وترك القيام عليها بما يصلحها، فما شئت من فسادٍ وهلاك وخيبة وحرمان، وهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلكِ إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وأن لا يزال اللسان رطباً به."[1].

٥- أن الله سبحانه يقيّض لمن عشي وأعرض عن ذكره شيطاناً مريداً، يقارنه ويلازمه ويوسوس له ويزين له المعاصي ويؤزه أزّاً، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

---

(١) الوابل الصيب ص٦٧.

(٢) سورة الزخرف الآية:٣٦.

فمن أعرض عن ذكر الله وغفل عنه فقد فتح أبواب قلبه للشيطان ليسكن فيه ويعيث به فساداً؛ إذ إن الشيطان لا يستطيع أن يدخل قلباً معموراً بذكر الله، لأنه في حرزٍ مكين وحصن حصين، وإنما يدخل القلوب الخربة الخاوية من ذكر الله المتنجسة بالمعاصي، فهو نجس يحب النجاسات.

قال ابن القيم رحمه الله: "فالقلب الغافل مأوى الشيطان فإنه وسواس خنّاس قد التقم قلب الغافل يقرأ عليه أنواع الوسواس والخيالات الباطلة، فإذا تذكر وذكر الله انجمع وانضم وانخنس وتضاءل لذكر الله، فهو دائماً بين الوسوسة والخنس"(١).

وقال أيضاً رحمه الله: "قلوب الغافلين معدن الذنوب، والعقوبات واردةٌ إليها من كل جهة"(٢).

ولو لم يكن من هذه النتائج -مما يترتب على الغفلة والنسيان- إلا واحدة لكانت كافيةً للزجر ورادعةً عن الغفلة، وداعيةً لملازمة ذكر الله عز وجل.

يا طول حزن الغافلينا	عن ذكر ربِّ العالمينا
يا هضمهم يوماً يرون	ثواب ذكر الذاكرينا
ستطول حسرتهم لِما	كانوا به متشاغلينا
يتحسرون على فوا	ت من فِعال الطائعينا(٣)

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم: (١/١١٢ -١١٣) (ط/دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ).

(٢) مدارج السالكين: (٢/٢١٣)

(٣) انظر: التذكرة في الوعظ لابن الجوزي: ص١٠٣.

الوجه الخامس:

أ - تسمية القرآن الكريم بالذِّكْر:

إنّ مما يُعلي درجة الذِّكْر ويرفع منـــزلته، ويبين أهميته وفضله، ويظهر عناية القرآن الكريم به: تسمية القرآن الكريم بالذِّكْر، فقد سمّى الله كتابه بالذِّكْر في أكثر من آية فقال سبحانه:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٣]، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾[٤] وغير ذلك من الآيات.

فهو ذكر، والناس يذكرون ربهم به، فيذكرون ما له من أسماء حسنى، وصفات عليا، وأفعال جليلة، وينـــزهونه عن كل سوء كما نزّه هو نفسه، وذلك بتلاوة كتابه وتدبر آياته، فالقرآن أفضل الذِّكْر على الإطلاق.

قال القرطبي رحمه الله:

"وإنما كان القرآن أفضل الذِّكْر –والله أعلم– لأنه يشتمل على جميع

---

(١) سورة التكوير الآية: ٢٧.

(٢) سورة الحجر الآية: ٩.

(٣) سورة النحل الآية: ٤٤.

(٤) سورة طه الآية: ٩٩.

الذِّكْر من تهليل وتذكير وتحميد وتسبيح وتمجيد وعلى الخوف والرجاء والدعاء والسؤال والأمر بالتفكر والاعتبار بمصنوعاته إلى غير ذلك مما شرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، ونص فيه من غيب الأخبار وكرر فيه من ضرب الأمثال والقصص والمواعظ للأفهام حسب ما قال وقوله الحق: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1]"[2].

ب -الإشارة إلى بعض آداب الذِّكْر وأحواله:

ومن عناية القرآن الكريم بالذِّكْر: أن بيّن للعباد بعض آداب الذِّكْر وأحواله، وذلك -والله أعلم- حتى لا يكون إفراط ولا تفريط بها، ومع ذلك البيان تجد كثيراً من المسلمين -هداهم الله- حادوا عنها، واتّبعوا أهواءهم أو مشايخ طرقهم، وزعموا أنها أحسن وأوصل للمطلوب من غيرها، ولكن هذا والله هو الضلال بعينه، فلا أحسن ولا أهدى ولا أوصل إلى الله مما شرعه الله ورسوله ﷺ.

ومما ورد من آداب الذِّكْر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٨.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص ٣٨، (ط/المكتبة العلمية بيروت).

(٣) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

ففي هذه الآية ذكر سبحانه وتعالى آداباً للذكر[١] وهي:

الأول: أن يذكر الذاكر ربه في نفسه؛ لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى الإجابة وأبعد عن الرياء.

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير ليتحقق بِذلّة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون على وجه الخيفة أي الخوف والخشية من سلطان الربوبية وعظمة الألوهية من المؤاخذة على التقصير في العمل لتخشع النفس ويخضع القلب.

قال ابن القيم رحمه الله: "وخصّ الذِّكْر بالخيفة لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإنّ الذِّكْر يستلزم المحبة ولا بد، فمن أكثر ذكر الله أثمر له ذلك محبته، والمحبة ما لم تقترن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل قد تضره لأنها توجب الادلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات ...

ولهذا قال بعض السلف: مَنْ عَبَدَ اللهَ بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، وَمن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن"[٢]

---

(١) انظر: محاسن التأويل للقاسمي (٧/٣٣٢-٣٣٤) (ط/دار الفكر) بتصرف.

(٢) بدائع الفوائد: (٣/٢).

"وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه والنصح به"[١].

الرابع: أن يكون دون الجهر: لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

قال القرطبي رحمه الله : "﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ أي: أي دون الرفع من القول أي أسمع نفسك كما قال: ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾[٢] أي: بين الجهر والمخافتة ودلّ هذا إلى أن رفع الصوت بالذِّكْر ممنوع"[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله: "وهكذا يستحب أن يكون الذِّكْر، لا يكون نداءً وجهراً بليغاً"[٤].

الخامس: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده، وهو مستفاد من قوله: ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ لأن معناه: ومتكلماً كلاماً دون الجهر، فيكون صفة لمعمول حال محذوفة معطوفاً على ﴿ تَضَرُّعًا ﴾، أو هو معطوفاً على ﴿ فِي نَفْسِكَ ﴾ أي اذكره في نفسك،وذكراً بلسانك دون الجهر.

السادس: أن يكون بالغدو والآصال: أي في البكرة والعشي، فتدل الآية على مزية هذين الوقتين لأنهما وقت سكون ودعة وتعبدٌ واجتهاد

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٦.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١١٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٣٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/١٢٠٠).

وما بينهما الغالب فيه الانقطاع في أمر المعاش، فطلب الذِّكْر فيهما ليكون ابتداء عمله واختتامه بالذِّكْر.وأما أحوال الذاكر عند ذكره ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[٢].

فهذه غالب أحوال الناس إما القيام أو القعود أو على جنب، فذكر هذه الأحوال للدلالة على ملازمة ذكر الله في جميع الأحوال، وعدم الغفلة عنه مطلقاً.

ج ـ الإشارة إلى أفضل أوقات الذِّكْر:

إن ذكر الله مطلوب ومشروع في جميع الأحوال والأزمان، إلا أنّ هناك أوقاتاً هي أفضل من غيرها أرشد إليها القرآن الكريم في أكثر من آية من ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾[٦].

---

(١) سورة النساء الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

(٣) سورة ق الآية ٣٩-٤٠.

(٤) سورة الإنسان الآية: ٢٥.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٤١.

(٦) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

وأشار إلى أفضل الأمكنة والأزمنة في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ ﴾[1].

فالمساجد أحبّ البقاع إلى الله وأفضل ما يذكر فيها اسمه.

وقوله عن زكريا عليه السلام: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[4].

قال ابن سعدي رحمه الله: " ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ أي: أول النهار وآخره"[5].

وأما العشي والإبكار فقد قال ابن جرير رحمه الله: "والعشي من حين تزول الشمس إلى أن تغيب، وأما الإبكار فإنه مصدر من قول القائل أبكر فلان في حاجة فهو يبكر إبكاراً، وذلك إذا خرج فيها من مطلع الفجر إلى وقت الضحى"[6].

---

(١) سورة النور الآية:٣٦.

(٢) سورة مريم الآية: ١١.

(٣) سورة غافر الآية: ٥٥.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٤١-٤٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن: ص ٦١٤.

(٦) جامع البيان (٣/٢٦٢) (ط/دار الفكر).

وأما الغدو والآصال فمعناها: البُكر والعشيّات، فالآصال ما بين العصر إلى المغرب[١].

والآيات السابقة بعضها يفسر بعضاً، فيتحصل مما سبق: أن الوقتين ما بعد الفجر وما بعد العصر هما أفضل أوقات الذِّكْر وأشرفها لاختصاصهما بالذِّكْر دون غيرهما من الأوقات.

قال ابن رجب رحمه الله: "وهذان الوقتان -أعني وقت الفجر ووقت العصر- هما أفضل أوقات النهار للذكر ولهذا أمر الله بذكره فيهما في مواضع من القرآن"[٢].

ولهذا شرع الشارع الحكيم أوراد الصباح والمساء فيهما، فيبدأ المؤمن نهاره وعمله وأُمور معاشه بذكر الله ويختمها به، فيكون فيما بينهما في حصن حصين فلا يقربه عدوه.

د -الإشارة إلى بعض أنواع الذِّكْر كالتسبيح والتحميد والتكبير:

ومن عناية القرآن الكريم بالذِّكْر أنْ ذَكَرَ بعض أنواع الذِّكْر وبيّن معناها، فالتسبيح بيّن معناه في عدة آيات كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٣].

(١) المصدر السابق (١٦٧/٩).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٥٠.

(٣) سورة يونس الآية: ١٨.

وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[(٢)]، وغيرها.

فبين أن التسبيح تنـــزيه الله عز وجل عن ما وصفه به الكفار من النقائص، وما افتروا عليه ومما نسبوه إليه وأشركوا به.

كما أمر به في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[(٤)]، وغيرها من الآيات كما مرّ معنا.

كما بين أن جميع الكائنات تسبِّح الله عز وجل كما في قوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾[(٥)].

وذكر من تسبيح الخلق تسبيح الرعد والملائكة والمؤمنين والرسل.

وأما الحمد فقد ورد في آيات كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾[(٦)]، وقوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٤٣.

(٢) سورة الصافات الآية: ١٨٠.

(٣) سورة الواقعة الآية: ٧٤.

(٤) سورة الأعلى الآية: ١.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٤٤.

(٦) سورة الفاتحة الآية: ٢.

ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾[(١)].

وأمر به في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾[(٤)]، وغيرها من الآيات التي حمد الله بها نفسه أو حمده عباده.

وكذلك التكبير أمر به كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[(٥)]، وقوله: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾[(٦)]، وقوله: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾[(٧)].

كما أشار القرآن الكريم إلى بعض الأذكار التي تقال في بعض المناسبات؛ فأشار إلى ما يقال عند ركوب الدابة في قوله تعالى: ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟

---

(١) سورة الكهف الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١١١.

(٣) سورة النمل الآية: ٥٩.

(٤) سورة النمل الآية: ٩٣.

(٥) سورة الحج الآية: ٣٧.

(٦) سورة الإسراء الآية: ١١٧.

(٧) سورة المدثر الآية: ٣.

عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وإلى ما يقال عند الكرب والهم والغم في قوله: ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[2].

فكل هذا الذي ذُكر يدل على عناية القرآن الكريم بالذِّكْر واهتمامه به ورفع منـــزلته من بين سائر العبادات والله أعلم.



(١) سورة الزخرف الآية: ١٣- ١٤.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٨٧.

المبحث الثاني:

عناية السنة المطهرة بالذِّكْر

لقد مرّ معنا قريباً عناية القرآن الكريم بالذِّكْر واهتمامه به، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن السنة المشرفة اعتنت بالذِّكْر أيضاً، حيث إنها المبينة للقرآن كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، فكان رسول الله ﷺ يبين القرآن بأقواله وأفعاله وتقريراته،وكان ﷺ أول الناس امتثالاً لأوامر الله عز وجل، فلما أمر الله عباده بالذِّكْر كان ﷺ أول الناس امتثالاً وأكثرهم وأكملهم ذكراً لله ﷻ قال ابن القيم رحمه الله :

"كان النبي ﷺ أكمل الخلق ذكراً لله عز وجل، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكراً منه لله، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته، وأحكامه وأفعاله، ووعده ووعيده، ذكراً منه له، وثناؤه عليه بآلائه، وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكراً منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكراً منه له، وسكوته وصمته ذكراً منه له بقلبه، فكان ذاكراً لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله، وكان

---

(١) سورة النحل الآية: ٤٤.

ذكره لله يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً وعلى جنبه وفي مشيه وركوبه ومسيره ونزوله وظعنه وإقامته"(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « **كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه** »(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "ولم تستثن حالة من حالة، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته، وأما حال التخلي(٣) فلم

---

(١) زاد المعاد: (٣٦٥/٢) (ط/مؤسسة الرسالة).

(٢) سبق تخريجه ص ١٣٣.

(٣) اختلف العلماء هل يجوز ذكر الله حال قضاء الحاجة أم لا؟ قال القرطبي في تفسيره (٣١١/٤): "وقد اختلف العلماء في هذا فأجاز ذلك عبدالله بن عمرو وابن سيرين والنخعي وكره ذلك ابن عباس وعطاء والشعبي"، ورجح القرطبي الأول لعموم الأدلة الآمرة بالذِّكْر مطلقاً دون استثناء، وأما من كرهه فلتتريه الله عز وجل أن يذكر في مثل هذه المواطن، والذي يظهر والله أعلم التفريق بين الذِّكْر بالقلب والذِّكْر باللسان فيكره بالثاني ولا يكره بالأول، قال ابن القيم في الوابل الصيب ص٩٥: "وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب، لأنه لابد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فأما الذِّكْر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ... ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحال وهي من أجل الذِّكْر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها"، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (٢٦٧/١) (ط/دار الجيل، بيروت).

يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذِّكْر وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها"[١].

فيتبن مما سبق شدة عناية الرسول ﷺ بالذِّكْر وحرصه عليه ومواظبته عليه في جميع أحواله فكان ﷺ إمام الذاكرين وقدوهم.

ومما يبيّن عناية السنة -والتي هي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وما أقره- بالذِّكْر أيضاً: ورودُ الذِّكْر في السنة على عدة أوجه وهي -من خلال الاستقراء- كما يلي:

الوجه الأول: الأمر به، والترغيب فيه.

الوجه الثاني: بيان أهميته ومترلته من بين العبادات الأخرى.

الوجه الثالث: الثناء على الذاكرين، وذم من لَهَا عنه.

الوجه الرابع: بيان ما يجنيه الذاكر من ذكره.

وبيان ذلك ما يأتي:

الوجه الأول: الأمر به والترغيب فيه

ومما يدل على ذلك حديثُ الحارث الأشعري ﷺ -الطويلُ- وفيه أن النبي ﷺ قال: «وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز

---

(١) الوابل الصيب ص ٩٥.

نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»[١].

فجعل الذِّكْر من ضمن الأوامر التي أمرهم بها؛ وهي توحيد الله عز وجل والصلاة والصيام والصدقة، وقرْنه بهذه الأمور المهمة يدل على فضله وأهميته والعناية به.

وعن أُبي بن كعب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه »[٢].

كما جاء الأمر به مقيداً في أكثر من موطن، من ذلك:

---

(١) قطعة من حديث طويل فيه الكلمات الخمس التي أُمر بها يحيى عليه السلام أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها...الحديث أخرجه الإمام أحمد ١٣٠/٤و٢٠٢/٤، والترمذي في سننه:كتاب الأمثال باب:ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٥/ ١٤٨)ح٢٨٦٣، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وابن خزيمة في صحيحه (١٩٥/٣)، وابن حبان ح ٦٢٣٣ (مع الإحسان)، وأبو يعلى في مسنده (١٤١/٤) والحاكم في المستدرك ٥٨٢/١، وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٧٢٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه:ك صفة القيامة (٦٣٦/٤) ح٢٤٥٧ وقال هذا حديث حسن صحيح، كما حسّن إسناده الضياء في المختارة (٣٩٠/٣) (ط/١٤١٠هـ، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة)، والحاكم في المستدرك (٤٥٧/٢) وقال: حديث صحيح الإسناد. وقال ابن كثير في تفسيره (٥١١/٣): حديث حسن (ط/ ١٤٠١هـ، دار الفكر، بيروت) وحسّنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٨٦٣.

قوله ﷺ: « **إذا أصبحتم فقولوا: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور. وإذا أمسيتم فقولوا: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير** »[(١)].

وأما ما ورد من الترغيب فيه فكثير جداً كالإشارة إلى عظم أجر بعض الأذكار كقوله ﷺ: « **من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(٢)].

وقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[(٣)]، وغيرها من الأحاديث التي فيها الترغيب في الذِّكْر.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (١٢٧٢/٢) ح٣٨٦٧، وأخرجه الترمذي بلفظ: كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه يقول: «إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا... » الحديث في كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٤٦٦/٥) ح ٣٣٩١ وقال بعده: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ح٢٦٣)، وللحديث شواهد كما عند أحمد في المسند (٣٥٤/٢)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٤١١ ح١١١٩، وأبي داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٧/٤) ح٥٠٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب فضل التسبيح (٢٣٥٢/٥) ح٦٠٤٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب فضل التهليل (٢٣٥١/٥) ح٦٠٤٠.

الوجه الثاني: بيان أهميته ومترلته من بين العبادات الأخرى.

إن الذِّكْر له أهمية عظيمة من بين سائر العبادات، إذ هو ملازم لها وبدونه تكون ناقصة، وقد ورد في السنة المطهرة تفضيله على أعمال جليلة، وعبادات هي في نظر الشرع لها المنـــزلة العالية، والرتبة الرفيعة مما يدل على علو شأنه ورفعته، من ذلك قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟! قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى »[١].

قال العيني رحمه الله: "فانظر كيف سمّاه الشارع بخير الأعمال بقوله: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم»، فأشار عليه السلام أن ذكر الله عز وجل أفضل من جميع الأعمال، وأنه أزكى الأعمال وأرفعها للدرجات، وأنه أفضل من الصدقة حيث قال: «وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق »، وأنه أفضل من الجهاد حيث قال: «وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم »، وضرْبُ أعناق الأعداء جهاد، وأفضل من الشهادة حيث قال: «ويضربوا أعناقكم»؛ لأن الشهادة الفاضلة أن تُضرب الأعناقُ في أيدي الأعداء في سبيل الله"[٢].

---

(١) سبق تخريجه ص٩.

(٢) العلم الهيّب في شرح الكلم الطيب للعيني: ص٥٢ (ط٢/١٤٢١هـ ت خالد المصري، مكتبة الرشد).

وقد مر معنا قريباً في الوجه الأول أن الذِّكْر يعدل عتق الرقاب الذي هي من أفضل القربات إلى الله تعالى والذي هو سبب للعتق من النار.

ومن الأحاديث التي تبين منزلة الذِّكْر أيضاً، وتبين أن إدامته تنوب عن الأعمال البدنية والمالية عند العجز عنها حديث أبي هريرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور[1] بالدرجات العلى والنعيم المقيم. فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله ﷺ: « أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة»، فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»[2]، وفي رواية: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال:

---

(١) الدُّثور: بضم الدال جمع دَثر بفتحها وهو المال الكثير. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٩١/٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة (٢٣٣١/٥) ح٥٩٧٠، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذِّكْر بعد الصلاة وبيان صفته (٤١٦/١)ح٥٩٥.

« ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير مَنْ أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله»[١] الحديث.

فأرشدهم ﷺ إلى ما يكون بديلاً وعوضاً لهم عما عجزوا عنه من الحج والعمرة والصدقة والعتق والحمل في سبيل الله لفقرهم وقلة ذات أيديهم، وأخبرهم بأنهم بالتزامهم ذكر الله سيسبقون غيرهم، حتى الأغنياء أصحاب الأموال، ويكونون من خيار الناس، ولا أحد أفضل منهم إلا من عمل عملهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم - رحمهم الله- وجه كون الذِّكْر أفضل من هذه الأعمال مع كونها من الأعمال الجليلة، فالجهاد مثلاً أجره عظيم، ودرجة المجاهد أفضل من درجة القائم الذي لا يفتر والصائم الذي لا يفطر، ومع ذلك جعل ﷺ الذِّكْر أفضل منه، فما الحكمة في ذلك؟ وما المراد بالذِّكْر الذي حصل له ذلك الفضل؟ وكيف الجمع بين كون الذِّكْر أفضل الأعمال وبين ما ورد من أن الجهاد من أفضل الأعمال؟

ومن العلماء الذين أجابوا عن ذلك:

١- العيني رحمه الله حيث قال:

"فإن قلت ما الحكمة في أن الذِّكْر كان خير الأعمال وأفضلها وأزكاها؟! قلت: "لأن ما في الذِّكْر من الفوائد ليس في غيره"[٢].

---

(١) أخرجه البخاري:كتاب صفة الصلاة، باب الذِّكْر بعد الصلاة (١/٢٨٩) ح٨٠٧.

(٢) العلم الهيّب ص٥٤.

٢- وقال ابن القيم رحمه الله: "التحقيق في ذلك أن المراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: ذكرٌ وجهاد وهي أعلى المراتب قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

المرتبة الثانية: ذكرٌ بلا جهاد فهذه دون الأولى.

المرتبة الثالثة: جهادٌ بلا ذكر، فهي دونهما والذاكر أفضل من هذا، وإنما وضع الجهاد لأجل ذكر الله فالمقصود من الجهاد أن يُذكر الله ويُعبد وحده فتوحيده وذكره وعبادته هو غاية الخلق التي خلقوا لها"[2].

٣- وقال ابن حجر رحمه الله:

"وقد أشرت إليه[3] مستشكلاً في أوائل الجهاد مع ما ورد في فضل المجاهد أنه كالصائم لا يفطر وكالقائم لا يفتر وغير ذلك، مما يدل على أفضليته على غيره من الأعمال الصالحة، وطريق الجمع والله أعلم أن المراد بذكر الله في حديث أبي الدرداء الذِّكْر الكامل وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى، وأن الذي

---

(١) سورة الأنفال الآية:٤٥.

(٢) انظر حاشية ابن القيم على سنن أبي داود [تهذيب السنن] (١٢٦/٧، ١٢٧).

(٣) يقصد حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم»...الحديث تقدم ص ١٣٥.

يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار مثلا من غير استحضار لذلك، وأن أفضلية الجهاد إنما هي بالنسبة إلى ذكر اللسان المجرد، فمن اتفق له أنه جمع ذلك كمن يذكر الله بلسانه وقلبه واستحضاره، وكل ذلك حال صلاته أو في صيامه أو تصدقه أو قتاله الكفار مثلاً، فهو الذي بلغ الغاية القصوى والعلم عند الله تعالى. وأجاب القاضي أبو بكر بن العربي بأنه ما من عمل صالح إلا والذِّكْر مشترط في تصحيحه فمن لم يذكر الله بقلبه عند صدقته أو صيامه مثلا فليس عمله كاملا فصار الذِّكْر أفضل الأعمال من هذه الحيثية"[١].

٤-وأجاب المناوي رحمه الله بقوله: "لأن سائر العبادات من الإنفاق ومقاتلة العدو وسائل ووسائط يتقرب بها إلى الله تعالى والذِّكْر هو المقصود الأسنى، ورأس الذِّكْر قول لا إله إلا الله وهي الكلمة العليا وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام والقاعدة التي بني عليها أركان الدين والشعبة التي هي أعلى شعب الإيمان بل هي الكل وليس غيره: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[٢] أي الوحي مقصور على استئثار الله بالوحدانية لأن القصد الأعظم من الوحي التوحيد ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣]"[٤].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٢١٠)، وانظر سبل السلام للصنعاني (٤/ ٢١٤) (ط٤/ ١٣٧٩هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد الخولي).

(٢) سورة الأنبياء الآية:١٠٨.

(٣) سورة البينة الآية: ٥.

(٤) فيض القدير للمناوي (٣/ ١١٥، ١١٦).

٥- وذكر ابن علان عن بعض العلماء أنه قال:

"يمكن أن يكون المراد من ذكر الله المداومة عليه بالباطن والظاهر فيقتضي حينئذ صرف العمر كله فيه، ولا شك أنه إذا كان الذِّكْر بهذه المثابة فهو أكثر من إنفاق مالٍ وجهادٍ يخلص منه في زمان معين، لأن الصبر على مضاضة القتل ساعة واحدة، والصبر على مداومة الحضور مع الذِّكْر طويل"[(١)].

ويمكن تلخيص ما سبق من أقوال أهل العلم بالنقاط التالية:

١- أن الذِّكْر إنما فضُل على سائر الأعمال لأن فيه فوائد لا توجد في غيره.

٢- أنه لا يأخذ تلك المنـــزلة من الفضل إلا إذا كان كاملاً بمعنى أن يكون باللسان والقلب مع استحضار عظمة الخالق جل وعلا.

٣- أن الذِّكْر شرط في تصحيح الأعمال حيث يجعلها كاملة، وبدونه تكون ناقصة.

٤- أن الأعمال وضعت من أجل إقامة ذكر الله، حيث إن أفضل الذِّكْر لا إله إلا الله، وعليها تدور أحكام الإسلام كلها.

٥- الصبر على المداومة على الذِّكْر طول العمر أفضل من الإنفاق والجهاد.

ولا يقتصر الأمر أن نعرف أن الذِّكْر له تلك المترلة بين العبادات، بل يجب أن نعلم أيضاً أن الذِّكْر يبعث على الاستكثار من شرائع الإسلام، والحرص عليها، ويحببها لقلب الذاكر؛ وذلك لأن من أعظم ما يجنيه الذاكر من ذكره أن تُغرس محبة الله في قلبه فإذا أحبَّ الله جرّه ذلك إلى محبة كل ما يحبه الله من الأعمال والأقوال، فيبادر على الفور بالتقرب

---

(١) انظر الفتوحات الربانية لابن علان:(١/٢٦٦).

بها إلى مولاه بلذة وسرور، دون مشقة ولا ملل، ولا تعب ولا ثقل، ويشهد لذلك ما أوصى به النبي ﷺ وأرشد إليه ذلك الأعرابي الذي قال له: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال ﷺ: « **لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله** »[١].

فأرشده ﷺ إلى ما يسهل عليه شرائع الإسلام ويمكّنه منها ويحثه عليها ويزيده حباً فيها.

الوجه الثالث: الثناء على الذاكرين، وذم مَنْ لَهَا عنه.

ومن الأدلة على ذلك:

١- حديث أبي هريرة ﷺ قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان[٢] فقال: « **سيروا هذا جمدان سبق المُفَرِّدون**[٣] »

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٢.

(٢) جمدان: بضم أوله وبالدال المهملة على بناء فعلان جبل بالحجاز بين قديد وعسفان من منازل بني سليم. "معجم ما استعجم (٣٩١/١)، وانظر: معجم البلدان (١٦١/٢).

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم (٤/١٧): "المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة وهكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم وذكر غيره أنه روى بتخفيفها وإسكان الفاء يقال: فرد الرجل وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد وقد فسرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذاكرين الله كثيراً والذاكرات تقديره والذاكراته فحذفت الهاء هنا كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤوس الآي ولأنه مفعول يجوز حذفه وهذا التفسير هو مراد الحديث. قال ابن قتيبه وغيره: وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى وجاء في رواية هم الذين اهتزوا في ذكر الله أي لهجوا به. وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي".

قالوا: وما المُفَرِّدون يا رسول الله؟ قال: **«الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»**[١].

٢- وحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»**[٢].

وفي رواية: **« مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»**[٣].

٣ - وحديث أبي هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»**[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/٢٠٦٢) ح ٢٦٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل (٥/ ٢٣٥٣) ح٦٠٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد (١/٥٣٩) ح٧٧٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٣٨٩ و ٥١٥)، وأخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله (٤/٢٦٤)ح ٤٨٥٥، والنسائي في الكبرى (٦/١٠٧)ح١٠٢٣١، والحاكم في المستدرك (١/٦٦٨) ح ١٨٠٨ وقال:صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

وقال الألباني: هوكما قالا، وصححه النووي أيضاً" السلسلة الصحيحة (١/١١٧) حديث رقم ٧٧.

ففي الحديث الأول: ثناء على الذاكرين الله والذاكرات وأُنهم هم أهل السبق فيسبقون الناس إلى الدرجات والمنازل العالية في الجنة وذلك لإفرادهم الله سبحانه وتعالى بالذِّكْر والتوحيد فيكفِّر الله عنهم ذنوبهم ويحط عنهم خطاياهم، "فيأتون يوم القيامة خفافا فيسبقون بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى لأُنهم جعلوا أنفسهم أفرادا متميزين بذكر الله عمن لم يذكر الله أو جعلوا ربهم فردا بالذِّكْر وترك ذكر ما سواه وهو حقيقة التفريد هنا"(١).

وأما من هم الذاكرون الله كثيراً فقد قال رسول الله ﷺ:

« من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كُتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات»(٢).

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما الذاكرين الله كثيراً فقال: "المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه

(١) فيض القدير للمناوي: (٩٣/٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الحث على قيام الليل (٧٠/٢) ح١٤٥١، والنسائي في السنن الكبرى: كتاب قيام الليل، باب أي الليل أفضل (٤١٣/١) ح ١٣١٠، وابن ماجة: كتاب إقامة الصلاة، باب فيما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل (٤٢٣/١) ح ١٣٣٥، وابن حبان في صحيحه (٣٠٨/٦)[مع الإحسان]، والحاكم في المستدرك (٤٦١/١) ح١١٨٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والطبراني في الأوس:(٢١٨/٣) ح٢٩٦٥، وقال الحافظ ابن حجر: "هذا حديث صحيح" كما في نتائج الأفكار (٣٤/١) ط/بغداد. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ح٦٢٦).

وكلما غدا أو راح من منـــزله ذكر الله تعالى[١].

وقال مجاهد[٢] رحمه الله: "لا يكون ذاكراً الله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضطجعاً"[٣].

ولما سُئل أبو عمرو بن الصلاح[٤] رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات قال: "إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساء في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً، كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات والله أعلم"[٥].

وقال بعض العلماء: "إن الذِّكْر الكثير هو قول المصلي عقيب صلاته: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة، والله

---

(١) الأذكار للنووي ص ٣٥ (ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت).

(٢) مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، من الثالثة توفي سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون، انظر: تقريب التهذيب ترجمة رقم ٦٤٨١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨٦/١٤).

(٤) الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي، صاحب علوم الحديث، مولده في سنة سبع وسبعين وخمس مئة، كان عالماً بالحديث وعلومه، وصاحب عبادة، على طريقة السلف قيل: إنه درس جميع المهذب قبل أن يطلع شاربه، توفي سنة ٦٤٣هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢٣).

(٥) فتاوى ابن الصلاح ص١١، وانظر: الفتوحات الربانية (١٢٦/١).

أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة، والختم تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(١).

أي بالمحافظة على ذلك والالتزام به على الدوام، وهذا مما يدفع المرء للسعي أن يكون من الذاكرين الله كثيراً حتى ينال الأجر العظيم والفوز المبين من رب العالمين.

وأما الحديث الثاني: ففيه أيضاً ثناء على الذاكر حيث جعله النبي ﷺ مماثلاً للحي، وذمٌّ لتارك الذِّكْر حيث مثّله بالميت، "وفي هذا التمثيل منقبة للذاكر جليلة، وفضيلة له نبيلة، وأنه بما يقع منه من ذكر الله عز وجل في حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار، ويصل إليه من الأجور كما أن التارك للذكر وإن كان في حياة ذاتية فليس لها اعتبار بل هو شبيه بالأموات الذين لا يفيض عليهم بشيء مما يفيض على الأحياء المشغولين بالطاعة لله عز وجل، ومثل ما في هذا الحديث قوله تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ ﴾(٢)، والمعنى تشبيه الكافر بالميت، وتشبيه الهداية إلى الإسلام بالحياة"(٣).

وقال ابن حجر رحمه الله: "فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل

---

(١) انظر العلم الهيب للعيني ص ٤٦.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٣) تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٢١.

وباطنه باطل، وقيل موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت"[١].

والمتأمل في الحي والميت يجد فروقاً شاسعة بينهما فشتان ما بين الحي والميت، فهما لا يستويان كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ﴾[٢]، فبينهما فروق كثيرة، من ذلك:

أن الحي يسمع الخطاب ويجيب النداء، والميت لا يسمع كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾[٤]، وكذلك الذاكر، والغافل المُعرض عن ذكر الله تعالى، فالذاكر يستجيب لنداء مولاه إذا دعاه، ويمتثل ما أمره وينتهي عما نهاه، أما الغافل فهو كالميت لا يستجيب لأوامر الله وإذا جاءته الأوامر تثاقل سمعه وكأن في أُذنيه وقراً.

ومن الفروق أيضاً أن الحي يبصر، والميت لا يبصر، وكذلك الذاكر والمعرض الغافل؛ فالذاكر يبصر الحق ويتبعه؛ لأن الذِّكْر يثمر له أنواع المعارف، وأما المُعرض عن ذكر الله فهو أعمى لا يرى ولا يبصر الحق

---

(١) فتح الباري (١١/٢١٠، ٢١١).

(٢) سورة فاطر الآية:٢٢.

(٣) سورة النمل الآية:٨٠.

(٤) سورة فاطر الآية:٢٢.

حتى يتبعه؛ لأنه لما أعرض عن ذكر الله جثم الشيطان على قلبه فأغرقه في الشهوات والشبهات حتى أضله عن الصراط المستقيم، وأنساه آيات الذِّكْر الحكيم، ولذلك كان جزاؤه يوم القيامة أن يحشره ربه أعمى.

كما أن الحي يتمتع بالحياة والحركة والقوة، وأما الميت فلا حياة له ولا حركة ولا قوة فهو عرضة للهوام لا يستطيع مدافعتها ولا مقاومتها، وكذلك بالنسبة للذاكر والذي لا يذكر ربه، فالذاكر يملأ الذِّكْر قلبه حياة وقوة إذ هو روحه وحياته وقوته، فيضعف الشيطان أمامه ولا يستطيع الاعتداء عليه، وكلما حاول الشيطان الاعتداء عليه رجع مهزوماً مخذولاً مدحوراً لأنه يجد أمامه حرزاً منيعاً وحصناً متيناً يمنعه من الوصول إلى مراده، أما الغافل عن الذِّكْر فهو كالميت لا حياة فيه ولا قوة فتستهويه الشياطين وتعبث به وتهوي به إلى مهاوي الردى والهلاك فلا يستطيع مدافعتها ولا مقاومتها لوهن قلبه الخالي من ذكر الله.

وأما الرواية الثانية: للحديث فشبه فيها النبي ﷺ البيت الذي يُذكر الله فيه بالحي، والذي لا يذكر الله فيه بالميت.

قال ابن القيم رحمه الله [(١)]: "فجعل بيت الذاكر بمنـــزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمترلة بيت الميت وهو القبر، وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمترلة الحي والغافل بمترلة الميت، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان

(١) مدارج السالكين: (٢/٣٢٢).

الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

وكما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم فهي القبور الدوارس

وأرواحهم في وحشة من حبيبهم ولكنها عند الخبيث أوانس"

وأما الحديث الثالث: ففيه ذم التاركين لذكر الله، وتقبيح فعلهم حيث وصف مجلسهم الخالي من ذكر الله كقوم جلسوا حول جيفة حمار يتضررون بها من نتن رائحتها، وقبح منظرها، وذلك والله أعلم لانشغالهم بلهوهم ولغوهم ورديء الكلام عن مولاهم وبارئهم.

قال المناوي رحمه الله: "هذا على طريق استقذار مجلسهم العاري عن الذِّكْر والصلاة عليه، استقذاراً يبلغ إلى هذه الحالة، وما بلغ هذا المبلغ في كراهة الرائحة وَجَبَ التفرق عنه والهرب منه... [إلى أن قال]: ما اجتمع قوم فتفرقوا عن غير ذكر الله إلا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار؛ لأن ما يجري في ذلك المجلس من السقطات والهفوات إذا لم يجبر بذكر الله يكون كجيفة تعافها النفس، وتخصيص الحمار بالذِّكْر يشعر ببلادة أهل ذلك المجلس، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامـــة"[1].

---

(١) فيض القدير: (٥/٤٠٩، ٤١٠).

وقال أيضاً:" (إلا قاموا عن مثل جيفة حمار) أي مثلها في النتن والقذارة والبشاعة لما صدر منهم من رديء الكلام ومذمومه شرعاً؛ إذ المجلس الخالي عن ذكر الله إنما يُعمر بما ذُكر ونحوه: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[١]، فحيث لم يختموه بما يُكفِّر لغطه قاموا عن ذلك، وكان ذلك المجلس أي ما وقع فيه عليهم (حسرة يوم القيامة) أي: ندامة لازمة لهم من سوء آثار كلامهم فيه"[٢].

وقال الألباني[٣] رحمه الله: "هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح وما يكون ذلك -إن شاء الله- إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم والله أعلم"[٤].

وهؤلاء بنقيض من يذكرون الله وينتقون أطايب الكلام في مجلسهم، فلا شك أنهم سيقومون عن مثل نافجة المسك[٥].

قال مجاهد رحمه الله: "ما جلس قوم مجلساً فتفرقوا قبل أن يذكروا الله إلا تفرقوا عن أنتن من ريح الجيفة، وكان مجلسهم يشهد عليهم

---

(١) سورة يونس الآية: ٣٢.

(٢) فيض القدير: (٥/٤٩٣).

(٣) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح الألباني من كبار المحدثين في عصرنا، ولد في مدينة أشقوردة في ألبانيا سنة ١٣٣٣هـ ثم انتقل مع عائلته إلى بلاد الشام، له مصنفات كثيرة في الحديث وغيره توفي سنة ١٤٢٠هـ انظر كتاب: علماؤنا ص ٤٠-٤٣.

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني: (١/١٦٢).

(٥) نافجة المسك:وعاؤه، انظر مختار الصحاح ص٢٧٩ مادة نفج.

بغفلتهم، وما جلس قوم مجلسا فذكروا الله قبل أن يتفرقوا إلا أن يتفرقوا عن أطيب من ريح المسك وكان مجلسهم يشهد لهم ذكرهم"[١].

إذا كان الأمر كذلك، فحري بالمسلمين أن يملؤوا مجالسهم بذكر الله تعالى، وأن لا يغفلوا عنه طرفة عين.

الوجه الرابع: بيان ما يجنيه الذاكر من ذكره.

ومن عناية السنة المطهرة بالذِّكْر أن بينت الثمرة التي يجنيها الذاكر من ذكره، وذلك ترغيباً للعباد في الذِّكْر وشدِّ عزيمتهم إليه، حتى يولوه اهتماماً وعناية، وحرصاً عليه فالنفوس مجبولة على حبّ ما يجلب لها الخير والاهتمام به.

فمما يجنيه الذاكر من ذِكره مما ورد في السنة المطهرة:

١- أن الله يتولاه ويرعاه، ويكون معه معية خاصة من الحفظ والولاية والنصر والتأييد والمحبة والتوفيق والتسديد، إضافة لهذه المعية الخاصة يحوز الذاكر على ذكر الله له، فالله سبحانه وتعالى يذكر من يذكره، فمن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم، وهذان الأمران دل عليهما:

حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه**

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٣٥.

ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[١].

وهذه المعية الخاصة هي غير معية العلم والإحاطة العامة، بل هي مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى:﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[٤].

"والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن وللمتقي، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق"[٥].

فلو لم يكن إلا ما ذُكر في الحديث من معية الله سبحانه وتعالى للذاكر وأن الله يثني على من ذكره في الملأ الأعلى لكفى.

٢- أن الذِّكْر حرز من الشيطان الرجيم فهو يصون الذاكر من وساوس الشيطان ونزغاته، ويدل على ذلك حديثُ الحارث الأشعري رضي الله عنه الطويلُ وفيه أن النبي ﷺ قال: **« وآمركم أن تذكروا الله**

(١) سبق تخريجه ص١٢٠.

(٢) سورة النحل الآية: ١٢٨

(٣) سورة العنكبوت الآية: ٦٩.

(٤) سورة التوبة الآية:٤٠.

(٥) الوابل الصيب ص ٩٣.

فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم،كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله»[١].

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: "فلو لم يكن في الذِّكْر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى، وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذِّكْر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه، وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع[٢] وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس أي يوسوس في الصدور، فإذا ذُكر الله تعالى خنس أي كفّ وانقبض، قال ابن عباس ﷺ: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس""[٣].

٣- بالذِّكْر تنزل السكينة، وتغشى الرحمةُ، وتحف الملائكةُ الذاكرين كما ورد **عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم**

---

(١) سبق تخريجه ص١٨٤.

(٢) الوصع يروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من العصفور، والجمع وصعان. النهاية لابن الأثير (٥/١٩٠)، وانظر: لسان العرب مادة (وصع).

(٣) الوابل الصيب ص٥٦.

السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

قال المناوي رحمه الله: "(ما من قوم يذكرون الله) أي: يجتمعون لذكره بنحو تسبيح وتحميد وتهليل وتلاوة وعلم شرعي، (إلا حفتهم) أي: أحاطت بهم الملائكة يعني دارت حولهم، (وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة) أي: الوقار والخشية، والذِّكْر سبب لذلك ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾(٢)، وفي المشارق: السكينة شيء كالريح أو كالهواء أو خلق له وجه كوجه إنسان أو الرحمة أو الوقار، (وذكرهم الله فيمن عنده) يعني في الملائكة المقربين"(٣).

٤- بالذِّكْر يحصل الذاكر على شرف وفضل عظيم ومكانة عالية، عند الله سبحانه وتعالى، ذلك أن الله جل جلاله يباهي بالذاكرين من عنده من الملائكة، **كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنَّ به علينا قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة »**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكْر (٢٠٧٤/٤) ح٢٧٠٠.

(٢) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٣) فيض القدير (٤٩٤/٥).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكْر (٢٠٧٥/٤) ح٢٧٠١.

"قيل معنى المباهاة بهم: أن الله تعالى يقول لملائكته انظروا إلى عبيدي هؤلاء كيف سلطت عليهم نفوسهم وشهواتهم وأهويتهم والشيطان وجنوده ومع ذلك قويت همتهم على مخالفة هذه الدواعي القوية إلى البطالة، وترك العبادة والذِّكْر، فاستحقوا أن يمدحوا أكثر منكم لأنكم لا تجدون للعبادة مشقة بوجه، وإنما هي منكم كالتنفس منهم، ففيها غاية الراحة والملاءمة للنفس"[١].

٥- الذاكر الذي يذكر ربه بعيداً عن أعين الناس -فلا يدخل قلبه ذرّةٌ من الرياء- فتفيض عيناه دموعاً، خشيةً من الله تعالى وما له من أوصاف الجلال، أو شوقاً إلى الله عز وجل وما له من أوصاف الجمال، سيكون -بإذن الله- من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فقال: **« سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: [وذكرمنهم]: ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[٢].

٦- أن الكلمات التي يذكر بها الذاكر ربه لها دوي كدوي النحل تنعطف حول العرش تذكر صاحبها، وفي ذلك يقول ﷺ: **«إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول**

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (١/٢٣٤) ح٦٢٩، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/٧١٥) ح١٠٣١.

العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكِّر به»[1]، فدل كل ذلك على عناية السنة بالذِّكْر.



(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٨/٤)، وابن ماجة: كتاب الأدب، باب فضل التسبيح (١٢٥٢/٢) ح ٣٨٠٩، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤/٦)، والحاكم في المستدرك (٦٨٢/١) ح١٨٥٥، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وصحح إسناده صاحب مصباح الزجاجة (١٣٢/٤) وقال: رجاله ثقات، وصححه الألباني كما في مختصر العلو ص٩٦.

المبحث الثالث:

فوائد الذِّكْر وآثاره على الفرد والمجتمع

لقد مرّ معنا قريباً عناية القرآن الكريم والسنة واهتمامهما بالذِّكْر، وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية؛ إذ إنها تعتني بما فيه مصالح العباد ومنافعهم الدنيوية والأُخروية، فهي تسعى لإصلاح المجتمع انطلاقاً من إصلاح الفرد لأنه اللبنة الأولى في المجتمع، والذِّكْر يتميز عن باقي العبادات، لامتزاجه في حياة الناس بأعمالهم وتصرفاتهم في كل لحظة منذ الاستيقاظ إلى النوم، ولو أن جميع المسلمين التزموا ذكر الله لأصبح المجتمع الإسلامي مجتمعاً مؤمناً بريئاً من النفاق، خالياً من أمراض القلوب بعيداً عن الرذائل والفواحش، مليئاً بالخير والمحبة؛ لأن الذِّكْر يورث محبة الله ﷻ وإذا أحب الله العبد أحبه العباد، ووفقه للعمل بالخيرات وما فيه مصالح الناس.

إذا كان الأمر كذلك فإن للذكر من الفوائد الدينية والدنيوية والأخروية ما لا يحيط به إنسان، ولا يعبر عنه لسان، ولا يصفها واصف، ولا يقف على حدودها عارف، وقد ذكر بعض العلماء بعض فوائد الذِّكْر، ومن أحسن من كتب فيها العلامة ابن القيم رحمه الله.

وقد قال في ذلك:"وفي الذِّكْر أكثر من مائة فائدة"[١]، وعدّد ثلاثاً وسبعين فائدة.

ولو حصلت للمسلم منها فائدة واحدة فقط، لحاز خيراً كبيراً وفضلاً عظيماً في الدنيا والآخرة، فما بالك لو أتى بالذِّكْر على وجهه وحصلت له جميع هذه الفوائد! فلا شك أنه سيعيش حياة طيبة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

وبالنظر إلى الفوائد التي يجنيها الذاكر من ذِكره، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الفوائد الدينية.

القسم الثاني: الفوائد الدنيوية.

القسم الثالث: الفوائد الأُخروية.

وهذه الأمور الثلاثة هي التي ينبغي للمؤمن الصادق أن يسعى دائماً إلى إصلاحها ويدعو ربه أن يحقق له ذلك، كما كان الرسولﷺ يدعو ربه سبحانه وتعالى فيقول: **«اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي»**[٢]، فدعا رسول الله ﷺ بخير الدارين.

---

(١) الوابل الصيب ص٦١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٠٨٧/٤) ح٢٧٢٠.

قال المناوي رحمه الله: "(اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري) أي: الذي هو حافظ لجميع أموري؛ فإن من فسد دينه فسدت جميع أموره وخاب وخسر في الدنيا والآخرة، (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي) أي: بإعطاء الكفاف فيما يحتاج إليه وكونه حلالاً معيناً على الطاعة، (وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) أي: ما أعود إليه يوم القيامة وهو إما مصدر أو ظرف ذكره ابن الأثير، قال الحرالي: قد جمع في هذه الثلاثة صلاح الدنيا والدين والمعاد وهي أصول مكارم الأخلاق التي بعث لإتمامها فاستقى في هذا اللفظ الوجيز صلاح هذه الجوامع الثلاث التي حلت في الأولين بداياها وتمت عند غاياها، فإصلاح الدين بالتوفيق لإظهار خطاب ربه من جهة أحوال قلبه وأخلاق نفسه وأعمال بدنه فيما بينه وبين ربه من غير التفات لعرض النفس والبدن إلا بالتطهر منه واستعمال الحلال الذي تصلح النفس والبدن عليه لموافقته لتقويتها، وإصلاح المعاد بخوف الزجر والنهي التي لا تصح الآخرة إلا بالتطهر منه لبعده عن حسناها وخوف الأمر الذي تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناها"[(١)].

وفي الذِّكْر من الفوائد ما تصلح به أمور الذاكر الدينية والدنيوية والأُخروية بإذن الله تعالى.

وسأذكر بعض الفوائد للذكر مستعيناً بالله جل جلاله وسأنتقي من الفوائد التي ذكرها ابن القيم رحمه الله والتي أراها جامعة لجميع الفوائد[(٢)] مع زيادة فيها وهي على النحو التالي:

---

(١) فيض القدير (١٣٧/٢).

(٢) انظر: الوابل الصيب ص٦١-١١١ بتصرف.

القسم الأول: الفوائد الدينية:

الفائدة الأولى: أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شئ سببا، وجعل سبب المحبة دوام الذِّكْر فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما إنه باب العلم، فالذِّكْر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن الذِّكْر يستلزم المحبة ويثمرها، ولابد لمن أكثر من ذكر الله أن يثمر له ذلك محبته"[١].

الفائدة الثانية: أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذِّكْر إلى مقام الإحسان كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت، فكلما أقدم العبد على أي فعلٍ طاعة كان أو معصية تذكر أن الله جل في علاه مطلع على سريرته؛ لأن اسم الله دائماً يلهج به لسانه ويملأ به قلبه فيسارع في الطاعات، ويأتي بها على أحسن الوجوه وأكملها، ويحجم عن السيئات، وإذا حقق العبد مقام الإحسان نال من الله لذة النظر إلى وجهه الكريم والرضوان كما قال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى في الجنة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٥).

(٢) سورة يونس الآية: ٢٦.

قال ابن رجب رحمه الله: "وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان، ولأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار في الآخرة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[1]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة وقوله صلى الله عليه وسلم في تفسير الإحسان: « **أن تعبد الله كأنك تراه...** » الخ، يشير إلى أن العبد يعبد الله تعالى على هذه الصفة وهو استحضار قربه وأنه بين يديه كأنه يراه وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ...ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها"[2].

الفائدة الثالثة: أنه يورثه الإنابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجؤه وملاذه ومعاذه وقِبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.

ومعنى الإنابة" هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف

---

(١) سورة المطففين الآية: ١٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٣٥.

البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله"(١).

فإنْ ذكر الذاكر أن الله سبحانه شديد العقاب وأنه عزيز ذو انتقام وأنه لا تخفى عليه خافية ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أناب ورجع إلى بارئه إنابة التائب من معاصيه، فأقلع عن جميع الذنوب واستغفر ربه من تقصيره في جنبه وأناب وأخبت إليه وإنْ ذَكَر رحمة الله وسعةَ عفوه وكرمه وجزيل ثوابه على الطاعات أناب إلى الله بالإسراع إليه بشتى أنواع العبادات وإن ذكر قدرة الله وغناه وإجابته لمن ناداه ودعاه أناب إلى مولاه بالافتقار إليه ومناجاته وسؤاله وحده لا شريك له.

الفائدة الرابعة: أنه سببُ اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل؛ فإن العبد لا بدّ له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى، والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عوّد لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن ييس لسانُه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الفائدة الخامسة: أن الذِّكْر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معاداته ورأسها؛ فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى

(١) الفوائد لابن القيم ص١٩٦.

يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه، قال حسان بن عطية: "ما عادى عبدٌ ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره"(١).

فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من ذكره فحينئذ يتخذه عدواً كما اتخذه الذاكر ولياً.

الفائدة السادسة: أن الذِّكْر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذِّكْر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرها، فالذِّكْر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي ينبني ذلك المقام عليها كما يبنى الحائط على أُسّه وكما يقوم السقف على حائطه، وذلك إن العبد إذا لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير ولا يستيقظ إلا بالذِّكْر، فالغفلة نوم القلب أو موته، وكلما أكثر الذاكر من الذِّكْر ازداد من المعرفة بحسبه.

الفائدة السابعة: أن الذِّكْر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده؛ فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله و نعوت جلاله، فإذا أخبر بها العبد صدّقه ربُّه، ومن صدّقه اللهُ تعالى لم يحشر مع الكاذبين، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين، وروي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٦١/١) ط ١/١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧٢/٦) (ط٤/دار الكتاب العربي، بيروت).

« إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال: يقول الله تبارك وتعالى: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال:صدق عبدي، لا إله إلا أنا لا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال:صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي »[1].

الفائدة الثامنة: أنه يورث الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

الفائدة التاسعة: أن الذِّكْر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل فمن قال في يوم مائة مرة: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) كانت له عدل عشر رقاب

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص١٥١ (ط/مؤسسة الرسالة)، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما يقول العبد إذا مرض(٤٩٢/٥)ح٣٤٣٠ وقال: "حديث حسن"، وابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل لاإله إلا الله (١٢٤٦/٢) ح٣٧٩٤، وابن حبان في صحيحه (١٣١/٣)، والحاكم في المستدرك (٤٦/١) وقال: "هذا حديث صحيح"، وأبو يعلى في مسنده (٤٤٩/٢) ح١٢٥٨.

وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسي، وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورِق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى. قال: « ذكر الله تعالى»** [(١)].

الفائدة العاشرة: أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى وذكر أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي. قال: "أذبه بالذِّكْر"، وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل.

الفائدة الحادية عشرة: أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذِّكْر لله عز وجل، قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾[(٢)]، وقال كعب: "من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق"، ولهذا والله اعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص٩.

(٢) سورة النساء الآية: ١٤٢.

(٣) سورة المنافقون الآية: ٩

فإن في ذلك تحذيراً من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل فوقعوا في النفاق، وسئل بعض الصحابة رضي الله عنهم عن الخوارج منافقون هم؟ قال: "لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا"، فهذا من علامة النفاق قلة ذكر الله عز وجل وكثرة ذكره أمان من النفاق والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلبا ذاكراً بالنفاق وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل.

الفائدة الثانية عشرة: أنه يرضي الرحمن عز وجل؛ لأنه رأس الشكر.

الفائدة الثالثة عشرة: أن مجالس الذِّكْر مجالسُ الملائكة، ومجالسَ اللغو والغفلة مجالسُ الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة، فالملائكة ليس لهم من مجالس الدنيا مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه كما أخرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذِّكْر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفوهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تحميدا وتمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال: فيقول: مايسألوني؟ قال:يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل**

رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة، فيقول: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يارب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال: يقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[1].

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾[2].

فهكذا المؤمن مبارك أينما حلّ، والفاجر مشؤوم أينما حلّ، فمجالس الذِّكْر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين وكل مضاف إلى شكله وأشباهه امرئ يصير إلى ما يناسبه.

الفائدة الرابعة عشرة: أنه يقوي الإيمان في القلب ويرسخه قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله:

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل (٥/٢٣٥٣) ح٦٠٤٥، ومسلم: كتاب الذِّكْر والدعاء، باب فضل مجالس الذِّكْر (٤/٢٠٦٩) ح٢٦٨٩.

(٢) سورة مريم الآية: ٣١.

"ومن أسباب دواعي الإيمان: الإكثار من ذكر الله كل وقت... فإن الذِّكْر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها، وكلما ازداد العبد من ذكر الله: كلما قوي إيمانه كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذِّكْر فمن أحب الله أكثر من ذكره؛ ومحبة الله: هي الإيمان بل هي روحه"[1].

الفائدة الخامسة عشرة: أن الدعاء يستجاب ممن دعا إذا صدّره بالذِّكْر والثناء وتمجيد الرب جل جلاله، فقد سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: **«عجل هذا»** ثم دعاه فقال له ولغيره: **« إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء »**[2].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي ص٥٦-٥٧ (طبعة/١٤١٩هـ مكتبة أضواء السلف).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/٦)، وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب الدعاء (٧٧/٢) ح١٤٨١، وأخرجه النسائي في الافتتاح، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ ح١٢٨٥، والترمذي: كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٥١٧/٥) ح٣٤٧٧ وقال:"هذا حديث حسن صحيح"، والحاكم في المستدرك (٤٠١/١)، وقال فيه:"هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا تعرف له علة ولم يخرجاه وله شاهد صحيح على شرطهما"، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير برقم ٦٤٨.

القسم الثاني: الفوائد الدنيوية

الفائدة الأولى: أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى، فالذِّكْر جلاب للنعم دافع للنقم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[1]، وفي القراءة الأخرى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدفِعُ ﴾ فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وأكثر ذكراً كان دفع الله عنه ودفاعه أعظم ومن نقص نقص ذِكراً بذكر، ونسياناً بنسيان، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2]، والذِّكْر رأس الشكر كما تقدم والشكر جلّاب النعم وموجب للمزيد.

الفائدة الثانية: في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذِّكْر الذي يسد الخلة ويغني الفاقة فيكون صاحبه غنياً بلا مال عزيزاً بلا عشيرة مهيباً بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقيرٌ مع كثرة جدته ذليل مع سلطانه حقير مع كثرة عشيرته.

الفائدة الثالثة: أنه يورث حياة القلب وقال شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٨.

(٢) سورة إبراهيم الآية: ٧.

رحمه الله: "الذِّكْر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء".

الفائدة الرابعة: أنه قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمترلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوتها.

الفائدة الخامسة: أنه يورث جلاء القلب من صداه، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذِّكْر والتوبة والاستغفار.

الفائدة السادسة: أن الذِّكْر يجمع المتفرق، ويفرق المجتمع، ويقرّب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وارادته وهمومه وعزمه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل، ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان؛ فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقاً به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذِّكْر.

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان

والأمل فلا يزال يلهج بالذِّكْر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا، وتعظم في قلبه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذِّكْر.

الفائدة السابعة: أن الذِّكْر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[1]، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم وأي شر لم يندفع عنهم، فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله وبالله التوفيق.

الفائدة الثامنة: أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شئ فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه

---

(١) سورة الأحزاب الآيات (٤١ -٤٣).

لكفي به ولهذا سميت مجالس الذِّكْر رياض الجنة، قال مالك بن دينار رحمه الله: "وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل"(١).

فليس شيء من الأعمال أخف مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب.

الفائدة التاسعة: أن الذِّكْر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذِّكْر ما لم يظن فعله بدونه وقد علم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلمها ذلك وقال: **«إنه خير لكما من خادم»**(٢)، فقيل إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه تغنيه عن خادم.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٦/١)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ (١٣٥٨/٣) ح ٣٥٠٢، ومسلم كتاب: الذِّكْر والدعاء: باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٢٠٩١/٤) ح٢٧٢٧ ولفظه: أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها وأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبيٌ فانطلقت فلم تجده ولقيت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال النبي ﷺ: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدمه على صدري ثم قال: **«ألا أعلمكما خيرا مما سألتما إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين وتحمداه ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»**.

قال ابن حجر رحمه الله: "يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب والله أعلم"(١)

وكذلك قول: (لاحول ولا قوة إلا بالله) فهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة وتحمل المشاق وسيأتي الكلام عليها وعلى فوائدها في مبحث خاص إن شاء الله.

الفائدة العاشرة: أن ذِكْر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذُكِر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهمّ، يوضحه:

الفائدة الحادية عشرة: أن ذكر الله عز وجل يُذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ؛ إذْ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا. والله المستعان.

الفائدة الثانية عشرة: أن الذِّكْر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالى.

---

(١) فتح الباري (١١/١٢٥)

الفائدة الثالثة عشرة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب ويدل على ذلك ما جاء عن أُبي بن كعب ﷺ قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: **« يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت يا رسول الله:إني أُكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت. قال: قلت الربع؟ قال: ما شئت، فإنْ زدت فهو خير لك. قلت: النصف؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قال: قلت فالثلثين؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: «إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك»**[١] .

الفائدة الرابعة عشرة: أنه من أكبر الأسباب لانشراح الصدر قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله:

"ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه ؛ قال تعالى:﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢] فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته،ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره."[٣].

(١) سبق تخريجه ص ١٨٤.

(٢) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي المجلد الثاني من الثقافة الإسلامية ص٤٨٨.

الفائدة الخامسة عشرة: أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه و معاده فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها واشتغل عنها فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرعٌ أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فكيف الظن بفساد نفسه إذا أهملها واشتغل عن مصالحها وترك القيام عليها بما يصلحها فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان وهذا هو الذي صار أمره كله فرطاً، فانفرط عليه أمره وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى، وأن لا يزال اللسان رطباً به، وأن يتولى مترلة حياته التي لا غنى له عنها و منـــزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك وبمنـــزلة الماء عند شدة العطش وبمنـــزلة اللباس في الحر والبرد وبمترلة السكن في شدة الشتاء والسموم، فحقيق بالعبد أن ينـــزل ذكر الله منه بهذه المنـــزلة وأعظم ولو لم يكن في فوائد الذِّكْر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفي بها، فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا ونسيه في العذاب يوم القيامة.قال تعالى: ﴿ وَمَنْ

---

(١) سورة الحشر الآية: ١٩ .

أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[1]

الفائدة السادسة عشرة: وهي أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه فما ظنك برجلٍ قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً قد أحاطوا به، وكلٌّ منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل

قال رسول الله ﷺ: «**من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان فيقول له شيطان آخر كيف لك برجل قد هُدِي وكُفِي ووُقِي**»[2] ، فلما توكل على الله بقوله هذا كفاه الله عزوجل جميع همومه ووقاه من شر الشياطين.

---

(١) سورة طه الآيات (١٢٤-١٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب باب:ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول (٣٢٥/٤) ح٥٠٩٥ والترمذي في سننه: كتاب الدعوات باب ما يقول إذا خرج من بيته (٤٩٠/٥) ح٣٤٢٦ وقال:"هذا حديث حسن صحيح غريب "، قال ابن حجر: "رجاله رجال الصحيح "نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية(٣٣٥/١)، والنسائي في عمل اليوم والليلة:باب ما يقول إذا خرج من بيته ص١٧٧، وابن حبان في صحيحه (١٠٤/٣) ح٨٢٢. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم ٤٩٩.

قال ابن علان: "(قوله: ووقيت) أي حفظت من شر أعدائك من الشياطين والجن بواسطة صدقك في تفويض جميع الأمور لبارئها بسلبك الحول والقوة عن كل أحد وإثباتها له تعالى وحده"[(١)]

وقد تقدم قوله ﷺ: **«من قال في يوم مائة مرة لا اله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير كانت له حرزا من الشيطان حتى يمسي »**[(٢)] .

الفائدة السابعة عشرة: أن الذِّكْر يشرح النفس ويطيبها ويبعث على الجد والنشاط بخلاف الغفلة فالغافل يستيقظ خبيث النفس كسلان ويدل على ذلك قوله ﷺ: **«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»**[(٣)].

والفوائد الدنيوية الحاصلة من الذِّكْر أكثر مما ذُكر ونقتصر على ما سبق والله وحده الموفق.

---

(١) الفتوحات الربانية (٣٣٤/١).

(٢) سبق تخريجه ص١٨٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (٣٨٣/١)ح١٠٩١،ومسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (٥٣٨/١) ح٧٧٦

القسم الثالث: الفوائد الأُخروية

الفائدة الأولى: أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة و ترة يوم القيامة، فعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة[1] ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة »**[2].

الفائدة الثانية: أنه ينجي من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضي الله عنه: **«ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى»**[3].

---

(١) قال ابن الأثير: الترة: النقص وقيل التبعة. النهاية (١/١٨٩) وقال المناوي في فيض القدير (٦/٧٠): ترة:بكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة أي نقص من تره يتره وقيل حسرة.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه:كتاب الأدب باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه و لا يذكر الله تعالى(٤/٢٦٤) ح٤٨٥٦ والنسائي في عمل اليوم والليلة باب من أوى إلى فراشه فلم يذكر الله تعالىص٤٧٥، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٧٤-٨٠) وفي تحقيقه للكلم الطيب ص٦٢.

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الذِّكْر (٥/٤٥٩) ح٣٣٧٧ وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٢٥٤): "أخرجه أحمد بإسناد حسن "اهـ وله شاهد عند البيهقي في الشعب (١/٣٩٦) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ،وعند الطبراني في المعجم الصغير (١/١٣٨) من حديث جابر ﷺ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٤٤ وله حكم الرفع لأنه أمر غيبي لا يعرف من جهة العقل.

الفائدة الثالثة: أن الذِّكْر غرسٌ في الجنة كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه عن االنبي ﷺ قال: **«من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة»**[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

أو ما سمعت بأنها القيعان فاغر ... س ما تشاء بذا الزمان الفاني

وغراسها التسبيح والتكبير ... والتحميد والتوحيد للرحمن

تبّاً لتارك غرسه مـاذا الذي ... قد فاته من مدة الإمكان

يا من يقرُ بذا ولا يسعى له ... بالله قل لي كيف يجتمعان

أرأيت لو عطلت أرضك من غر ... اسٍ ما الذي تجني من البستان

ما قال رب العـالمين وعبدُه ... هذا فراجع مقتضى القرآن[2]

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات: باب فضل التسبيح والتحميد (٥/٥١١ ح٣٤٦٤ وقال:حديث حسن صحيح غريب، والحاكم في المستدرك (١/٦٨٠) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٥٦)ح ٢٩٤٣٨، و البزار في مسنده (٦/٤٣٦)ح٢٤٦٨، و الطبراني في الصغير (١/١٨١)، و أبو يعلى في مسنده (٤/١٦٥) ح ٢٢٣٣ من غير لفظة (العظيم)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند(٣/٤٤٠) بلفظ: **«من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة »** وصحح حديث المتن الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ح ٦٤).

(٢) نونية ابن القيم المسماة الكافية الشافية ص ٣٥٣،(ط/١٤١٥هـ مكتبة ابن تيمية، القاهرة).

الفائدة الرابعة: أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من قال لا اله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي و لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»(١)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس**» (٢).

الفائدة الخامسة: أنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»(٣).

فأكرم برجلٍ يأتي يوم القيامة وقد حطت خطاياه.

الفائدة السادسة: أن الذِّكْر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القلوب

---

(١) سبق تخريجه ص١٨٥.

(٢) سبق تخريجه ص١٣٤.

(٣) سبق تخريجه ص١٨٥.

والقبور بمثل ذكر الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾(١)، فالأول هو المؤمن استنار بالإيـــمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره، والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته، والشأن كل الشأن والفلاح كل الفلاح في النور، والشقاء كل الشقاء في فواته ولهذا كان النبي ﷺ يبالغ في سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله في لحمه وعظامه وأن يجعله محيطا به من جميع جهاته وأن يجعل ذاته وجملته نورا (٢).

الفائدة السابعة: أنه سبب لدخول الجنة للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة** »(٣).

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري:كتاب الدعوات: باب الدعاء إذا انتبه بالليل (٥/٢٣٢٧) ح٥٩٥٧، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٥٢٥)ح٧٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار (٥/٢٣٢٣) ح٥٩٤٧.

الفائدة الثامنة: أنه يثقل الميزان يوم القيامة، لقوله ﷺ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده»**(١).

الفائدة التاسعة: أن الذِّكْر أحد الأسباب التي يزحزح بها المرء عن النار كما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: **«إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبّر الله، وحمد الله، وهلّل الله، وسبّح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»**(٢).

هذا وقد نظم الشيخ العلامة ابن سعدي رحمه الله بعض فوائد الذِّكْر فقال:

فذكْرُ إله العرش سراً ومعلناً ... يُزيل الشقا والهمَّ عنك ويطرد
ويجلب للخيرات دنيا وآجلاً ... وإن يأتك الوسواس يوماً يُشَرَّد
فقد أخبر المختار يوماً لصحبه ... بأن كثير الذِّكْر في السبق مُفرِد
ووصّى معاذاً يستعين إلـــهه ... على ذكره والشكر بالحسن يعبد

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات: باب فضل التسبيح (٢٣٥٢/٥) ح (٦٠٤٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف(٦٩٨/٢) ح١٠٠٧.

وأوصى لشخص قد أتى لنصيحة — وقد كان في حمل الشرائع يجهد

بأن لا يزال رطباً لسانك هذه — تُعين على كل الأمور وتسعد

وأخبر أنّ الذِّكْر غرسٌ لأهله — بجنّات عدن والمساكن تُمهَدُ

وأخبر أنّ الله يذكر عبــده — ومعه على كل الأمور يسدّد

وأخبر أن الذِّكْر يبقى بجنــة — وينقطع التكليف حين يُخَلَّدوا

ولو لم يكن في ذكره غير أنه — طريق إلى حُبِّ الإله ومرشد

وينهى الفتى عن غيبةٍ ونميمة — وعن كل قول للديانة مُفسِدُ

لكان لنا حظٌّ عظيمٌ ورغبةٌ — بكثرة ذكر اللهً نِعمَ المُوَحَّدُ

ولكننا من جهلنا قَلَّ ذكرُنا — كما قَلّ منا للإله التعبُّــد[1]

هذا وبعد أن عرفنا بعض فوائد الأذكار، ينبغي أن نعلم أنها قد لا تتحقق لكل ذاكر بسبب وجود موانع أبطلت قبول الذِّكْر، فالذاكر الذي يذكر ربه رئاء الناس وحتى يقول الناس أنه رجلٌ كثير الذِّكْر فهذا لن ينتفع بذكره لا في الدين و لا في الدنيا ولا في الآخرة، - إلا أن يشاء الله جل جلاله- بل ربما يكون عليه وبالاً وحسرة يوم القيامة ؛إذ لم يخلص عمله لوجه الله تبارك وتعالى.

والذاكر الذي يذكر ربه على طريقة وهيئة لم يكن الرسول ﷺ يذكر الله مثلها، وإنما هي اتباع الآباء وتقليدهم أو تعصب لطريقة من

---

(١) نقلاً عن "فقه الأدعية والأذكار "للشيخ عبد الرزاق العباد، القسم الأول ص٦.

الطرق التي أخذت أذكارها وأورادها عن طريق المنامات أو عن طريق الكشف أو نحو ذلك مما لم يأت الشرع به، ومما هو مصحوب بحركات وترانيم وكلمات منكرة وعقائد فاسدة.

فهذا الذاكر لا ينتفع بذِكرِه؛ وذلك لأنه لم يحقق الشرط الثاني من شروط قبول العمل ألا وهو متابعة الرسول ﷺ.

وإن تحقق لمثل هؤلاء الناس بعض الأشياء التي يعتقدون أن الذِّكْر أوصلهم لها واستفادوه منه من مكاشفات أو ما يسمونه بالفيض أو شهود الحق والحضرة الإلهية فكل هذا تخيلات وأوهام باطلة وتلبيس من الشيطان؛ ذلك أن الوسيلة التي أوصلتهم لذلك فاسدة فلا شك أن الغاية -التي يزعمون أنهم وصلوا إليها- فاسدة.

ثم هناك أمرٌ يعرفه كل من له أدنى بصيرة وهو هل الصحابة الكرام الذين هم أفضل البشر ذكراً بعد رسول الله ﷺ وكانوا يذكرون الله على جميع أحوالهم، هل حصل لهم مثل ما حصل لهؤلاء؟ الجواب: بالطبع لم يحصل لهم مثل هذا لأن الشيطان يئس من تضليلهم.

كما أنه قد لا تحقق بعض فوائد الذِّكْر للذاكر بسبب كثرة معاصيه وقسوة قلبه أو تفريطه بجنب الله، أو موانع أخرى حرمته من تلك الفوائد. والله أعلم.

المبحث الرابع: في قواعد الذكر وآدابه

وفيه مطلبان

المطلب الأول: آداب الذكر:

إن العامل في طاعة الله عز وجل والذي يرجو ثواب الله، لابد له من أن يحقق ما يستدعي لعمله القبول من آداب مرعية وضوابط شرعية، فيأتي بالعمل على أكمل الوجوه وأحسنها.

وكما أن لسائر العبادات آداباً يجب مراعاتها،وعدم الإخلال بها، أو التفريط فيها، فكذلك الذكر عبادة من العبادات التي لها آداب وقواعد.

ولقد تكلم العلماء في آداب الذكر وما فيها من حكم وأسرار وفوائد تعود على الذاكر.

فمن آداب الذكر على وجه الإجمال[1]:

١- الإخلاص فيه لله عز وجل.

---

(١) انظر: كتاب الأذكار للنووي ص٨-٩ (ط/١٤١٣هـ، دار الملاح، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط)، والفتوحات الربانية (١/١٣٧)، وتحفة الذاكرين للشوكاني ص٥٢-٥٥، (طبعة دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ)، ونزل الأبرار لصديق حسن خان ص٧، (طبعة دار المعرفة).

٢- طلب العون من الله عز وجل.

٣- الخشوع والتضرع.

٤- الخوف من الله تعالى.

٥- خفض الصوت وعدم الجهر بالذكر إلا فيما ورد به الجهر من الشارع.

٦- أن يكون باللسان لا بالقلب وحده.

٧- حضور القلب.

٨- الطهارة.

٩- استقبال القبلة.

١٠- تحري الأوقات الفاضلة.

١١- تحري الأماكن الفاضلة.

١٢- تجنب ذكر الله باللسان في بعض المواطن كقضاء الحاجة والجماع.

فهذه بعض آداب الذكر مجملة، وإلى تفصيلها بإيجاز:

أولاً: الإخلاص:

لا شك أن الإخلاص في العبادة هو أهم الآداب التي ينبغي مراعاتها في جميع العبادات وأولها إذ هو شرط في قبولها، قال الله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: "قلت: هذا الإخلاص هو أعظم

---

(١) سورة الكهف الآية: ١١٠.

الآداب في إجابة الدعاء، وقبول الذكر؛ لأن الإخلاص هو الذي تدور عليه رحى الإجابة، ويحوم حوله حائم الإنابة، ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً، فمن عبد ربه أو ذكره أو دعاه غير مخلص له فهو حقيق بأن لا يُجاب، إلا أن يتفضل
الله سبحانه وتعالى فهو ذو الفضل العظيم والكرم العميم"(١).

وقد أكدّ النبي ﷺ أهمية الإخلاص في الذكر، وأنه إذا اجتمع مع الذكر كان سبباً في دخول الجنة بقوله: **«سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**(٢).

فقوله: **«من قالها موقنا بها»** أي: مخلصاً من قلبه مصدقاً بثوابها(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، حرّمه**

---

(١) نزل الأبرار لصديق حسن خان ص٧.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار (٥/٢٣٢٣) ح٥٩٤٧.

(٣) فتح الباري (١١/١٠٠).

الله على النار»، فإن الإخلاص ينفي أسباب دخول النار، فمن دخل النار من القائلين: لا إله إلا الله، لم يحقق إخلاصها المحرّم له على النار، بل كان في قلبه نوع من الشرك الذي أوقعه فيما أدخله النار، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، ولهذا كان العبد مأموراً في كل صلاة أن يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[1]، والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه في ذلك فلا تزال النفس تلتفت إلى غير الله إما خوفاً منه وإما رجاء له فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخليص توحيده من شوائب الشرك"[2].

ومن الأسباب الجالبة للإخلاص و التي تُبعد العبد عن الرياء: البعدُ عن أعين الناس حال الذكر، وذكر الله خالياً، فقد رتب الشارع الحكيم الأجر العظيم لمن ذكر الله تعالى وهو خال بعيدٌ عن أعين الناس، ثم ذرفت عيناه خشيةً وهيبةً من الله تعالى، وإجلالاً لله عز وجل، كما في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم **«ورجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[3].

وذكر النووي -رحمه الله- من فوائد هذا الحديث أنه يدل على

---

(١) سورة الفاتحة الآية:٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٦١).

(٣) أخرجه البخاري:كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله (٥/٢٣٧٧)ح٦١١٤، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/٧١٥)ح١٠٣١.

"فضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها"[١].

وقال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (ذكر الله) أي: بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر، و(**خالياً**) أي: من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء، والمراد خالياً من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ، ويؤيده رواية البيهقي: (ذكر الله بين يديه)، ويؤيد الأول رواية ابن المبارك وحماد بن زيد: (ذكر الله في خلاء) أي: في موضع خال، وهي أصح. قوله: (ففاضت عيناه) أي فاضت الدموع من عينيه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة كأنها هي التي فاضت، قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر، وبحسب ما يكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه"[٢].

وقال الشوكاني رحمه الله: "أما قوله: (خالياً) فوجهه: أن ذلك أقرب إلى حضور القلب وأبعد من الرياء والمباهاة، وأعون على تدبر معنى ما يدعو به أو يذكر به، ولا شك أن هذه الحالة أكمل مما يخالفها"[٣].

ومن قبل ذلك كله قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ ﴾[٤]، ففي

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٢٣/٧)، (ط١٣٩٢/٢هـ،دار إحياء التراث العربي،بيروت).

(٢) فتح الباري (١٤٧/٢).

(٣) تحفة الذاكرين للشوكاني ص٥٣.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

هذه الآية تنبيه على الإخلاص.

قال الشيخ ابن سعدي -رحمه الله-:" فأمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً، وغيره تبعاً بذكر ربه في نفسه أي: مخلصا خالياً"(١).

وقد نبّه الإمام النووي-رحمه الله- لذلك الأمر لذا نجده ابتدأ كتابه الأذكار بذكر الإخلاص تنبيهاً منه على أهمية الإخلاص في الأذكار وهكذا دأب الإمام البخاري حيث افتتح صحيحه بحديث الأعمال بالنيات، لتصحيح النية في كل عمل وإخلاصه لله تعالى والله أعلم.

ثانياً: طلب العون من الله تعالى على الذكر:

إن من أفضل ما يسأل العبد ربه أن يعينه على فعل ما يقربه إلى ربه، وأن يستخدم ما وهبه من النعم في طاعته، وأن يجعل جميع جوارحه مسخرة في مرضاته.

ولقد أكد سبحانه وتعالى أهمية الاستعانة به في فعل العبادات وذلك في سورة الفاتحة، والتي يكررها المسلم في صلاته مرات عدة يومياً وذلك في قوله جل شأنه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾(٢)، فكلما قرأها المسلم علم أن عبادته لا بد أن يقارنها استعانة بالله لأدائها وإتمامها على الوجه الذي يرضي الله عز وجل.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٢٧٦.

(٢) سورة الفاتحة الآية:٥.

قال ابن القيم رحمه الله: "فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في الفاتحة في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[(١)]"[(٢)].

كما أن "الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور"[(٣)].

ولما كان الذكر من أجلّ العبادات وأعظمها أوصى رسول الله ﷺ حبيبه معاذاً رضي الله عنه بأن يسأل الله جل في علاه أن يعينه على تحقيق شكره وذكره، فقد جاء عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال: «**يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٤)].

---

(١) سورة الفاتحة الآية:٥.

(٢) مدارج السالكين (٧٨/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢/١٠).

(٤) سبق تخريجه ص٩١.

وهذه الوصية أوصى بها معاذٌ رضي الله عنه الراويَ عنه الصنابحيَ، والصنابحيُ أوصى بها أبا عبد الرحمن الحبلي[١] لأهميتها وعظيم ما فيها فقد احتوت على أصلين عظيمين: هما العبادة والاستعانة، والناس فيهما مراتب يقول ابن القيم رحمه الله: "فالناس في هذين الأصلين -وهما العبادة والإستعانة- أربعة أقسام: أجلُّها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته وهو الذي علمه النبي لحبّه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال يا معاذ والله إني لأحبك... الحديث" [٢]. ثم ذكر بقية الأقسام الأربعة.

ثالثاً: الخشوع والتضرع والاستكانة:

وذلك امتثالٌ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾ [٣]، فالتضرع هو: الذلة والمسكنة بين يدي الله جل جلاله، وإظهار الفقر والحاجة إليه وحده لا شريك له، وهو روح الذكر ومقصد عظيم من مقاصده الجليلة، بل من لم يأت به حال ذكره كان من الغافلين ؛ ذلك لأن الله جل في علاه لما أمر بالذكر وجعل التضرع أحد آدابه في قوله:

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (٤٣٢/٢٤).

(٢) مدارج السالكين (٧٨/١).

(٣) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ ختم الآية بقوله: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ فدل على أن الناس فريقان:

الأول: الذاكرون الله على نحو ما أمرهم الله في هذه الآية.

الثاني: الغافلون عن ذكر الله سواء كانت الغفلة بالكلية عن الذكر أو غفلة جزئية بأن يغفل عن بعض مقاصد الذكر، فيغفل عن التذلل والتضرع والتمسكن لله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:

"وتأمل كيف قال في آية الذكر ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ وفي آية الدعاء: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[(١)] فذكر التضرع فيهما معاً: وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء"[(٢)].

رابعاً: الخوف من الله تعالى:

وذلك تحقيقٌ وامتثالٌ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾[(٣)]، فلا بد لكل عمل من مصاحبة الخوف، والذي هو أحد أركان التعبد القلبية الثلاثة (المحبة والخوف الرجاء) والتي لا يقبل عمل

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٥.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٩-٢٠).

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

بدونها؛ وإذا ما خلا منها القلب فقد يفسد ولا يصلح، ويمرض مرضاً لا يرجى برؤه، وهنا نصّ سبحانه وتعالى على الخوف تأكيداً على أهميته ولزومه مع الذكر ولشدة حاجة الذاكر إليه.

وذَكَرَه بعد التضرع؛ لأن من انكسر قلبه وذلّ لمولاه وخضعت جوارحه وتمسكنت لله جلّ في علاه، لابد أن يمتلأ قلبه خوفاً ومهابة من الله عز وجل خائفاً أن يرد الله عليه ما لهج به لسانه وقلبه من ذكر بسبب بعض معاصيه وتقصيره في جنب باريه.

قال الشيخ ابن سعدي- رحمه الله-:

"(وخيفةً) في قلبك بأن تكون خائفاً من الله، وجِل القلب منه خوفاً أن يكون عملك غير مقبول، وعلامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه والنصح به"[(١)].

وهذا هو دأب المؤمنين المخلصين حيث إن قلوبهم قد امتلأت بالخوف والوجل أن لا تُقبل أعمالهم منهم، كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[(٣)]، قال ابن القيم- رحمه الله-: " فذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٧٦.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٦٠.

(٣) سورة الأنفال الآية ٢.

عند ذكره والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة... إلخ" [١]. وقال شيخ الإسلام- رحمه الله-: "فإن وجل القلب عند ذكر الله يقتضى خشيته والخوف منه، وقد فسروا ﴿ وَجِلَت﴾ بفرقت وفى قراءة ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت قلوبهم وهذا صحيح فإن الوجل فى اللغة هو الخوف يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾[٢]، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله هو الرجل يزنى ويسرق ويخاف أن يعاقب؟ قال:لا يا ابنة الصديق.هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه"[٣]، وقال القرطبي- رحمه الله-:" قوله تعالى﴿ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ أي: خافت وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاة لربهم وكأنهم بين يديه"[٤].

لكن هنا ينبغي التنبيه على ملحوظتين مهمتين:

أولاهما: أن لا يوصل هذا الخوف إلى حد اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، بل لابد للمؤمن أن يرفق خوفه بحسن الظن بالله تعالى.

---

(١) شفاء العليل (١/١٠٦).

(٢) سورة المؤمنون الآية ٦٠.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/١٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/٥٩).

ثانيهما: أن لا يُفَرِّط المرء في الخوف من الله تعالى ويغلِّب جانب المحبة والرجاء لأن ذلك يؤدي إلى ترك المأمورات والواجبات، والانبساط والتمادي بالمعاصي والمنكرات، قال شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله: "وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ؛ ولا بد لمن أكثر من ذكر الله تعالى أن يثمر له ذلك محبته، والمحبة ما لم تقترن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره؛ لأنها توجب التواني والانبساط وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات، وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله، ومحبته له، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل.

... فتأمل هذا الغرور العظيم كيف أدى إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة، فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام، كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن نفسه أنه من خاصة الخاصة. وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته، ولهذا قال بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

والمقصود أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق وردّه إليها كالخائف الذي معه سوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الطريق" [(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/١٥).

خامساً: خفض الصوت وعدم الجهر إلا ما ورد عن الشرع أنه يجهر به:

إن من الآداب التي ينبغي أن يراعيها الذاكر عند ذكره خفض صوته به وعدم الجهر به إلا في المواطن التي ورد بها الشارع كالأذان والتلبية وغيرها وذلك امتثالٌ لقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[1]، ولقوله ﷺ كما في حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: « **ياأيها الناس اربعوا على أنفسكم** »[2] مخاطباً أصحابه رضي الله عنهم لما جهروا بالذكر ورفعوا أصواتهم به أن يخفضوا صوتهم فإن الله سميع قريب.

فهذا أمرٌ بذكر الله عز وجل مع عدم الجهر به مطلقاً ويستثنى من ذلك ما ورد الجهر به على ما سوف يأتي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " إن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعا شديداً كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا علونا على شرف كبرنا فارتفعت أصواتنا فقال: « **يا أيها الناس**

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٤.

اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعا قريباً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(١)، وقد قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(٢) وقال عن زكريا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(٤) "(٥).

وقال مجاهد رحمه الله في قوله:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ الآية: " أُمروا أن يذكروه في الصدور تضرعا وخيفة "(٦)، وقال القرطبي رحمه الله: "(ودون الجهر) أي: دون الرفع في القول أي أسمع نفسك كما قال: ﴿ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾(٧) أي بين الجهر والمخافتة ودل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع "(٨).

---

(١) سبق تخريجه ص٧٤.

(٢) سورة الأعراف الآية٥٥.

(٣) سورة مريم الآية ٣.

(٤) الأعراف الآية:٢٠٥.

(٥) الاستقامة (٣٢٢/١).

(٦) تفسير الطبري (١٦٦/٩).

(٧) سورة الإسراء الآية ١١٠.

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٣٥٥/٧).

وقال ابن كثير رحمه الله: "وأما قوله: (تضرعا وخيفة) أي: اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهرا ولهذا قال: (ودون الجهر من القول) وهكذا يستحب أن يكون الذكر لا يكون نداء وجهراً بليغاً ولهذا لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[1]" [2].

وحديث أبي موسى ﷺ فيه الدلالة على هذا الأدب من آداب الذكر وفيه الإرشاد إلى تعظيم الله وإجلاله والتنبيه على قرب الله ومعيته وأنه لا داعي لرفع الصوت ومناداته فهو سميع قريب.

قال النووي رحمه الله في شرحه لحديث أبي موسى- السابق ذكره-: "(اربعوا) بهمزة وصل وبفتح الباء الموحدة معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله ﷻ وليس هو بأصم ولاغائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطة ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه"[3].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٢٦).

ومن المقرر في الشرع المطهر أن العمل كلما كان بالسر كان أعظم للأجر، لذا كان السلف- رحمهم الله- يحرصون على إخفاء أعمالهم قدر استطاعتهم وذلك أبلغ في إخلاص العمل لله تعالى، وحتى يغلقوا على الشيطان باب الرياء فلا يؤْتَون من قِبله.

كما أنه روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يكرهون رفع الصوت ويستحبون خفضه عند ثلاث: عند القتال وعند الجنائز وعند الذكر[1]، قال القرطبي رحمه الله: "والشريعة مقررة أن السر فيما لم يعترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر وقد تقدم هذا المعنى في البقرة، قال الحسن بن أبي الحسن (البصري)- رحمه الله- لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ ، وذكر عبدا صالحا رضي فعله فقال: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ

---

(١) ففي مصنف ابن أبي شيبة (٥١٣/٦) رقم (٣٣٤٢٠): عن قيس بن عباد قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون رفع الصوت عند ثلاث عند القتال وعند الجنائز وعند الذكر"، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٤/٤) وذكره ابن قدامة في المغني (٧٥/٢) (طبعة ١٤٠٥هـــ دار الفكر، بيروت) والقرطبي في تفسيره (١٠/١).

نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ "[1] [2].

وعامة السلف من الصحابة والتابعين على عدم استحباب رفع الصوت بالذكر، وكذا أصحاب المذاهب المتبوعة على ذلك، قال ابن حجر رحمه الله في شرح حديث أبي موسى رضي الله عنه- السابق-: " قال الطبري فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين انتهى" [3].

وقال النووي- رحمه الله-: "ونقل ابن بطال وآخرون أن أصحاب المذاهب المتبوعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالذكر والتكبير"[4].

وذكر صاحب المبسوط- في الفقه الحنفي- أنه المستحب عندهم فقال:" والمستحب عندنا في الأذكار والدعاء الخفيةُ إلا فيما تعلق بإعلانه مقصود كالأذان للإعلام والخطبة للوعظ وتكبيرات الصلوات لإعلام التحريم والانتقال، والقراءة لإسماع المؤْتمّ " [5].

---

(١) سورة مريم الآية ٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٢٣) والأثر عن الحسن البصري أخرجه ابن المبارك في الزهد باب العمل والذكر الخفي ص٤٥ رقم١٤٠ (طبعة دار الكتب العلمية) وابن جرير في تفسيره من طريق ابن المبارك (٨/٢٠٦) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٢٢٢)

(٣) فتح الباري (٦/١٣٥).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٥/٨٤).

(٥) المبسوط للسرخسي (٤/٦) (طبعة دار المعرفة،بيروت ١٤٠٦ هـ).

ومن هذا الكلام يتضح خطأ القائلين باستحباب الجهر بالذكر عموماً.

وقد بوّب العلماء في كتبهم أبواباً تدل على ما قررناه من خفض الصوت بالذكر وكراهية رفعه فقال البخاري رحمه الله: "باب ما يكره من رفع الصوت بالتكبير"[1] ثم ساق حديث أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه، وكذا النووي في شرحه على مسلم حيث قال: "باب استحباب خفض الصوت بالذكر إلا في المواضع التي ورد الشرع برفعه فيها كالتلبية وغيرها "[2].

وقد جاء النهي عن الجهر بقراءة القرآن وذلك حفاظاً على مصلحة المصلين وعدم التشويش عليهم، والقرآن أفضل الأذكار وأعظمها فالنهي عن غيره من باب أولى.

وفي إخفاء الذكر وعدم رفع الصوت به[3] فوائد أذكر منها ما يلي:

أولها: أنه أعظم إيمانا لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع السر وأخفى.

ثانيها: أنه أعظم فى الأدب والتعظيم لأن الملوك لا ترفع الأصوات

---

(١) صحيح البخاري (١٠٩١/٣).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٥/١٧).

(٣) المقصود عدم رفع الصوت بالأذكار التي لم يرد رفع الصوت بها أما ما ورد الشرع فيه بأن يرفع الصوت به كالتلبية للحاج ونحوها فيرفع فيه الصوت.

عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع ما خفي من الأصوات فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت بالذكر.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

رابعها: فيه الامتثال لقوله تعالى:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾(١)، ولقوله ﷺ: «**اربعوا على أنفسكم** »(٢).

خامسها: أنه أبلغ في الإخلاص،فقد كان السلف الصالح أشد الناس حرصاً على إخفاء أعمالهم فلا يطلعون الناس عليها حرصاً منهم على البعد عن الرياء وجعل العمل خالصاً لوجه الله تعالى، وسدّاً لأبواب الشيطان ووساوسه.

سادسها: أنه أبلغ في حضور القلب و عدم غفلته وسهوه فيجمع بين الذكر والفكر.

سابعها: أن ذلك يزيد في إيمان الذاكر بحيث يعلم علماً يقينياً أن الله قريب منه وهو معه، وهذه المعية معية خاصة ويدل على ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لما رفعوا أصواتهم بالتكبير أرشدهم الرسول ﷺ بأن يرفقوا بأنفسهم ولا يجهدوها وأن يخفضوا أصواتهم بالتكبير فقال: « **اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون**

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٤.

سميعاً قريباً،أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ فيه إشارة لهذا القرب.

ثامنها: أنه أدعى للمداومة على الذكر والاستمرار عليه وعدم الانقطاع فإن الإسرار به لا يُتعب المرء، أما رفع الصوت به فإنه يجلب التعب وقد يسبب الملل والضعف.

تاسعها: أن إخفاء الذكر فيه عدم التشويش على الآخرين ومراعاة لحقوقهم حتى يؤدوا عبادة ربهم على وجهها، وقد ورد النهي بالجهر بقراءة القرآن- والذي هو أفضل الذكر- في حال وجود من يصلي أو من يقرأ حتى لا يشوش عليه صلاته وقراءته فمن باب أولى باقي الأذكار فينبغي أن لا يرفع الصوت بها قطعاً للتشويش على الآخرين.

عاشرها: " أن أعظم النعمة الإقبال والتعبد ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فإن أنفس الحاسدين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾[1] [2].

(١) سورة يوسف الآية ٥ .

(٢) ملاحظة: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/١٥) فوائد إخفاء الدعاء واستفدت منه في تقرير فوائد إخفاء الذكر.

وأما ما يستثنى من خفض الصوت والإسرار به من الأذكار فهي أمور عدة ورد عن الشرع الجهر بها، والجهر بها إما واجب أو مستحب وهي كالتالي(١):

١- ما يجب الجهرِ به قدر الحاجة وحصول المقصود:

الأذان، والإقامة، وتكبيرات الإمام وتسميعه في الصلاة وقراءته في الصلاة الجهرية، والسلام عند الخروج من الصلاة، والسلام وجواب المُسَلَّم عليه، والحمد بعد العطاس وتشميت العاطس.

٢- ما يُسن الجهر به بقدر يحصل به المقصود:

التكبير في العيدين، الذكر بعد الصلاة، التلبية والتكبير في الحج، قراءة القرآن، التسمية على الذبيحة.

سادساً: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده:

" وهو مستفاد من قوله: ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ معناه: ومتكلماً كلاماً دون الجهر، فيكون صفة لمعمول حال محذوفة معطوفاً على ﴿ تَضَرُّعًا ﴾ ، أو هو معطوفاً على ﴿ فِى نَفْسِكَ ﴾ أي: اذكره في نفسك وذكراً بلسانك دون الجهر" (٢).

---

(١) انظر: تصحيح الدعاء، للشيخ بكر أبو زيد ص٩٢ (ط١/١٤١٩هـ طبعة دار العاصمة، الرياض).

(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٧/٣٣٣).

ورجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بأن يكون الذكر المراد في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ باللسان مع القلب لا بالقلب وحده، وأن قوله: ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ كقوله: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠ ﴾[١] ثم قال- رحمه الله-:

"والدليل على ذلك أنه قال: ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾، ومعلوم أن ذكر الله المشروع بالغدو والآصال في الصلاة، وخارج الصلاة هو باللسان مع القلب، مثل صلاتي الفجر والعصر ؛ والذكر المشروع عقب الصلاتين، وما أمر به النبي ﷺ وعلمه وفعله من الأذكار والأدعية المأثورة من عمل اليوم والليلة المشروعة طرفي النهار والآصال "[٢].

وقد عدّ العلماء من أتى بالأذكار الواجبة أو المستحبة دون أن يتلفظ بها فلا يحسب له منها شيء ولا يعتد بها.

قال الإمام النووي رحمه الله: "اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة كانت أو مستحبة لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ بها بحيث يُسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له"[٣].

---

(١) سورة الإسراء الآية ١١٠.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/٣٣، ٣٥).

(٣) الأذكار للنووي ص ١٤ (طبعة دار العربية/بيروت)، وانظر شرحه الفتوحات الربانية (١/١٥٥)، وانظر: عدة الحصن الحصين لابن الجزري ص٢٩ (ط١/١٣٨١ هـ مطبعة لجنة البيان العربي)، و شرحه تحفة الذاكرين للشوكاني ص ٥٤.

ويؤكد قولنا بأنه لا بدّ للذاكر أن يتلفظ بذكره، أقوال الرسول ﷺ المصرحة بأن: من قال كذا فله كذا ومن قال كذا فله كذا، فرتب الثواب على القول ولا يكون القول قولاً حتى يتلفظ به ويحرك به اللسان.

سابعاً: حضور القلب وتدبر معاني الذكر:

قال الإمام النووي- رحمه الله-: "المراد من الذكر حضور القلب فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ويتدبر ما يذكر ويتعقل معناه فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود، ولهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مدِّ الذاكر قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لما فيه من التدبر وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة والله أعلم" [(١)].

وقال المناوي- رحمه الله-: " قال ابن العربي: وحضور الذاكر عند نطقه بشيء من الأسماء الإلهية لا بد منه حتى يعرف من يذكر وكيف يذكر ومن يذكر والله خير الذاكرين. وذكر الفخر الرازي أنه يشترط حضور القلب وفراغه من الشواغل الدنيوية والكدورات الجسمانية وإلا فلا يلومن إلا نفسه " [(٢)]، وفي تعريف الذكر أنه "التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الله"[(٣)].

---

(١) الأذكار للنووي ص ١٢، وانظر شرحه الفتوحات الربانية (١/١٤٧).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤/٥٢٢) (ط/المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة الأولى).

(٣) فيض القدير (٥/٤٩٣).

والذي يعين على حضور القلب حال الذكر ودفع الوساوس عنه شيئان: قوة الدواعي الجالبة لذلك، وضعف الموانع والشواغل عن ذلك.

أما الأول: فعلى الذاكر أن يجتهد ويجاهد نفسه في أن يعقل ما يتلفظ به من ألفاظ الذكر، ويستحضر اطلاع الله عليه ومراقبته له، فيذكر ربه وكأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه، ويستحضر حبه لله ورجاءه وخوفه وخشيته من مولاه، ويكون لديه من المعرفة بأسماء الله وصفاته وعظمته ما يجعله فقيراً ذليلاً بين يدي الله فلا يشتغل إلا بذكره.

وكلما قويت هذه الدواعي السالفة الذكر كان حضور قلب الذاكر حال ذكره أكثر وأقوى والعكس بالعكس والناس متفاوتون في ذلك والله وحده الموفق.

وأما الثاني: فضعف الشواغل أو زوالها بالكلية وذلك بأن يسعى الذاكر مجتهداً في دفع ما يشغل القلب عن ذكر الرب من شواغل الدنيا التي تشكّل حاجزاً منيعاً يحجز الذاكر عن المقصود الأسمى للذكر ويمنعه من التلذذ بذكر ربه والأنس به والاطمئنان إليه.

وهذه الشواغل قد تكون بسبب الشهوات وقد تكون بسبب الشبهات، فعلى الذاكر أن يقطع دابرها ولا يلتفت إليها، ويشغل نفسه ويعلق قلبه بما يرضي ربه.

ثامناً: الطهارة

إن المحافظة على الطهارة من الحدث دليل على إيمان العبد ذلك أن

الرسول ﷺ قال: «**لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[١] فأطلق اسم الإيمان على من حافظ على الوضوء.

والطهارة- الحسية والمعنوية (الطهارة الحسية الظاهرة من الحدث بالوضوء والطهارة المعنوية الباطنة من الذنوب والمعاصي بالتوبة والإنابة والاستغفار)- هي أكمل الأحوال التي ينبغي للذاكر أن يكون عليها، فيذكر الله عز وجل وهو مستعد.

وقد ورد ما يدل على استحباب الطهارة عند ذكر الله، فقد مرّ رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه فقال: «**إني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهر أو قال على طهارة** »[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/٢٨٠) وأخرجه ابن ماجه: كتاب الطهارة باب المحافظة على الوضوء (١/١٠١) ح٢٧٧، وابن حبان في صحيحه (٣/٣١١) والحاكم في المستدرك (١/٢٢١) وقال: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال عنه الذهبي حديث متنه صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ح٩٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الطهارة باب أيرد السلام وهو يبول؟ (١/٥) ح ١٧ وصححه ابن خزيمة في صحيحه (١/١٠٣) ح٢٠٦، وابن حبان في صحيحه (٣/٨٦)ح ٨٠٦ والحاكم في المستدرك (١/٢٧٢) ح٥٩٢ وقال:هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وذكر النووي أن أسانيده صحيحة كما في المجموع (٢/١٠٧) (ط/دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٧هـ).

قال ابن حبان- رحمه الله-:" في هذا الخبر بيان واضح أن كراهية المصطفى صلى الله عليه وسلم ذكر الله إلا على طهارة، كان ذلك لأن الذكر على طهارة أفضل لا أن ذكر المرء ربه على غير الطهارة غير جائز لأنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله على كل أحيانه"[١].

وهذه الكراهة بمعنى ترك الأولى لا كراهة تنزيه[٢].

ومن المعلوم أن هناك بعض الأذكار يذكرها الذاكر على غير طهارة بل لا ينبغي له أن يؤخرها حتى يتوضأ لأنها مقيدة بوقت لا مجال للوضوء فيه كالذكر عند الخروج من الخلاء، وعند الجماع وعند العطاس، وعند الاستيقاظ من النوم.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **من تعار[٣] من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته** »[٤].

---

(١) صحيح ابن حبان (٣/٨٦).

(٢) المجموع للنووي (٢/١٠٧).

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (١/١٩٠): "من تعارّ من الليل: أي هبّ من نومه واستيقظ ".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى (١/٣٨٧) ح ١١٠٣.

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أنه يجوز الذكر من غير طهارة لأنه ﷺ ذكر الوضوء بعد قول هذه الكلمات الطيبات الباقيات الصالحات.

كما ينبغي للذاكر- إضافة للطهارة من الحدث- أن يذكر ربه في مكان نظيف طاهر بعيد عن النجاسة والقاذورات، وذلك أليق وأكمل في هذا المقام لأنه يناجي ربه.

قال الإمام النووي- رحمه الله-:" وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مُدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة " (١).

وقال صديق حسن خان- رحمه الله-: " ومن آداب الذكر أن يكون المكان الذي يذكر الله تعالى فيه نظيفاً خالياً لأن الذكر عبادة للرب سبحانه والنظافة على العموم قد ورد الترغيب فيها والأمر بالبعد عن النجاسة كما في قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ ﴾ (٢).

ولا شك أن القعود حال الذكر في مكان متنجس يخالف آداب العبادة كما ورد في تطهير مكان الصلاة.

وقد صحّ عن النبي ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما أنه قال في الذي لا يتتره عن بوله أن عامة عذاب القبر منه.

---

(١) الأذكار ص ٩ (ط/دار الملاح)، والفتوحات الربانية (١/١٤١).

(٢) سورة المدثر الآيتان ٤-٥ .

فالحاصل أن التنزه عن ملابسة النجاسة مطلقاً مندوب إليه، فتدخل حالة الذكر تحت ذلك دخولاً أولياً، وإن لم يرد ما يدل على هذا الخصوص"[١].

ومما ينبغي أن يعتني به الذاكر أيضاً نظافة فمه[٢]، سواء النظافة المعنوية أم الحسية فيطهر فمه من كل قول لا يرضي الله، ويحافظ على السواك ليزيل ما علق به من بقايا الطعام ولتصبح رائحة الفم طيبة، ولما كان الفم هو المحل الذي يذكر به في الصلاة شرع السواك قبلها ليكون نظيفاً طاهراً.

وهذا أدب يحسن فعله، وليس بلازم، إذ أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله على كل أحيانه.

كما أن الإجماع على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء [٣] والله أعلم.

تاسعاً: استقبال القبلة[٤]

فقد كان رسول الله ﷺ يحب التوجه إليها، وهي التي يتجه إليها المسلم كل يوم على الأقل خمس مرات، والصلاة مشتملة على جُلّ الأذكار وأجلّها وهي قبلة الدعاء، والدعاء نوع من أنواع الذكر، وقد

---

(١) نزل الأبرار ص٢٩ .

(٢) انظر الأذكار ص٩، والفتوحات الربانية (١/١٤٢)، وتحفة الذاكرين ص ٥٣.

(٣) الأذكار للنووي ص ٨، والفتوحات الربانية (١/١٢٧).

(٤) انظر الأذكار ص ٨، وتحفة الذاكرين ص٥٣.

ثبت أن الرسول ﷺ: «**استقبل الكعبة فدعا على نفر من قريش**»[١]، وكذلك لما أراد أن يدعو ﷺ في الاستسقاء استقبل القبلة وحول رداءه [٢].

ومع أن القبلة هي أفضل الجهات التي ينبغي الاتجاه إليها واستقبالها حال الذكر، فيجب أن يُعلم أن استقبال القبلة ليس بواجب حال الذكر بل يجوز للذاكر أن يذكر ربه مستقبلاً أي جهة كانت، ويدل على ذلك أن الإمام لما ينصرف من صلاته يستدبر القبلة ويستقبل المصلين بوجهه وهو مع ذلك يذكر ربه بما ورد من أذكار الصلاة، وكذلك خطيب الجمعة يذكر ربه ويثني عليه وهو مستدبر القبلة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[٣] فذكرمن صفتهم أنهم يذكرون الله على جميع أحوالهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على كفار قريش (١٤٥٧/٤) ح ٣٧٤٣،ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (١٤٢٠/٣) ح١٧٩٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الاستسقاء باب استقبال القبلة في الاستسقاء (٣٨٤/١) ح٩٢٨.

(٣) سورة آل عمران الآيتان ١٩١،١٩٠.

وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: « **إني لأقرأ حزبي أو عامة حزبي وأنا مضطجعة على فراشي**»[(١)] .

وقد يضطر المرء إلى استدبار القبلة كما هو الحال في زماننا فالمسافر بالطائرة بعكس القبلة قد يبقى ساعات كثيرة على ذلك فلا يلزم منه أن يستقبل القبلة فاستقبال القبلة ليس بلازم ولكنه أفضل. ومن تركه كان تاركاً للأفضل.

ومما تجدر إليه هنا الإشارة، والتنبيه عليه بألطف عبارة ؛ أنه لا يجوز تخصيص جهة من الجهات (غير القبلة) واستقبالها بنية التعبد والقربة وزيادة الأجر، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس- هداهم الله- مما قد شاهدناه في المسجد النبوي الشريف، حيث إنهم يستقبلون قبر النبي ﷺ ويدعون ربهم- إن لم يسألوا رسولهم ﷺ ويتلون القرآن ويقرؤون أورادهم وأذكارهم، كل ذلك وهم متجهون اتجاه القبر الشريف. حتى أن بعضهم- هداه الله- يكون في أقصى المسجد شرقاً أو غرباً وتجده متجهاً ببدنه كله تجاهه، عدا ما يرافق هذا التوجه من منكرات أخرى كالانحناء والسجود للقبر وهذا ليس من فعل الصحابة ولا القرون المفضلة، فهو منكر عظيم يجب التحذير منه ونهي الناس عنه، وإذا كان هذا لا يجوز

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٤١/٢) ح٨٥٧١ (ط١/١٤٠٩ هـ مكتبة الرشد، الرياض) من طريق جرير عن منصور عن إبراهيم النخعي عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها به ورجاله كلهم ثقات

فعله عند قبر رسول الله ﷺ، فغيره من القبور والمشاهد والأضرحة من باب أولى، والله الهادي إلى سواء السبيل

عاشراً: تحري الأوقات الفاضلة

إن ذكر الله سبحانه وتعالى مطلوب مرغّبٌ فيه في جميع الأوقات كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

إلا أنه الله سبحانه وتعالى قد ميّز بعض الأوقات بميزة خصها بمزيد الفضل من بين سائر الأوقات، وذلك تكرماً منه سبحانه وتفضلاً على عباده كي يتعرضوا لنفحات رحمته ويترقبوا تلك الأوقات ويملؤوها بذكره وشكره، ومن تلك الأوقات:

١- الغدو والآصال (بكرة وعشياً، قبل طلوع الشمس وقبل الغروب): فهذان الأوقان حث الله سبحانه وتعالى على ذكره فيهما في أكثر من موضع من كتابه من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾[2]، وقوله جل جلاله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤١.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٤١-٤٢.

وقوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[١]، وقوله:﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٤]، و قوله تعالى:﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ۝ ﴾[٦] .

قال ابن رجب-رحمه الله-: "وهذان الوقتان- أعني وقت الفجر ووقت العصر- هما أفضل أوقات النهار للذكر ولهذا أمر الله بذكره فيهما في مواضع من القرآن "[٧].

وقال القاسمي- رحمه الله- في قوله : ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾:

---

(١) سورة مريم الآية١١.

(٢) سورة طه الآية١٣٠.

(٣) سورة ق الآيتان ٣٩ ،٤٠.

(٤) سورة الإنسان الآية٢٥.

(٥) سورة آل عمران الآية٤١.

(٦) سورة غافر الآية٥٥.

(٧) جامع العلوم والحكم ص٤٥٠.

"فتدل الآية على مزية هذين الوقتين لأهما وقت سكون ودعة وتعبدٍّ واجتهاد وما بينهما الغالب فيه الانقطاع في أمر المعاش،فطلب الذكر فيهما ليكون ابتداء عمله واختتامه بالذكر" [١].

٢- جوف الليل الآخر:

فقد ورد الترغيب بذكر الله في هذا الوقت الذي يترل فيه الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا- نزولاً يليق بجلاله- فيقبل دعاء الداعي ويغفر للمستغفر المذنب ويجيب سؤال السائل، ويكون العبد في هذا الوقت أقرب ما يكون إلى ربه، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: « **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن** »[٢].

٣- عشرة ذي الحجة وأيام التشريق:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ [٣].

٤- أدبار العبادات كالصلاة والصيام والحج: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ

---

(١) محاسن التأويل (٧/٣٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب (٥/٥٦٩) ح ٣٥٧٩،وقال: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/٤٥٣) وقال:هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠٣.

فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾(١).

والسنة مليئة بالترغيب بالذكر عقيب الصلاة قال ابن رجب رحمه الله: "وأما الذكر باللسان فمشروع في جميع الأوقات ويتأكد في بعضها فمما يتأكد فيه الذكر عقيب الصلوات المفروضات وأن يذكر الله عقيب كل صلاة منها مائة مرة ما بين تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل" (٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ ﴾(٣)، وقال سبحانه في الصيام: ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٤)، وقال جل شأنه في الحج: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٥).

الحادي عشر: تحري الأماكن الفاضلة:

وذلك كالمساجد: كما قال تعالى: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ

---

(١) سورة ق الآية ٤٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ص٤٥٠.

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٤) سورة البقرة الآية ١٨٥.

(٥) سورة البقرة الآية٢٠٠.

تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[١] .

وفي المشاعر المقدسة كعرفة والمشعر الحرام والصفا والمروة، قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٢].

الثاني عشر: تجنب ذكر الله تعالى باللسان في بعض المواطن:

كحال قضاء الحاجة وأثناء الجماع، وقد اختلف العلماء في هذا المسألة في أنه هل يجوز ذكر الله حال قضاء الحاجة أم لا؟ فبعضهم أجازه وبعضهم كرهه وبعضهم حرمه[٣]

فمن أجازه استدل بعموم الأدلة الآمرة بالذكر مطلقاً دون استثناء، وأما من كرهه فلتتريه الله ﷻ وجل أن يُذكر في مثل هذه المواطن، ولأن الرسول ﷺ لم يرد السلام على الذي سلم عليه وهو يبول وقال له: « **إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر** »[٤].

والذي يظهر والله أعلم: التفريق بين الذكر بالقلب والذكر باللسان

---

(١) سورة النور الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٨.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣١١/٤) حيث نقل الخلاف هناك. وانظر الفتوحات الربانية (٣٨٩/١-٣٩٦)، ونيل الأوطار (٩٠/١) (ط/١٩٧٣م، دار الجيل بيروت) وكشاف القناع (٦٣/١) (ط/١٤٠٢هـ، دار الفكر)

(٤) سبق تخريجه ص ١٩٢.

فيكره بالثاني ولا يكره بالأول.

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب، لأنه لابد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه، فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ ...ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحال وهي من أجل الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها "[(١)].

فهذه هي بعض آداب الذكر التي ينبغي مراعاتها عند الذكر ومما يجدر التنبيه عليه هنا- وبعد أن ذكرت الآداب التي ينبغي مراعاتها حال الذكر- أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وممن تبعهم بإحسان كانوا أشد الناس حرصاً على تطبيق هذه الآداب وغيرها من آداب العبادات، من إخلاصٍ لله في العمل والخوف والخشية والوجل من الله تعالى والخشوع والاستكانة والتضرع مع حضور القلب وسكب الدموع والعبرات، وقد أثنى الله على المؤمنين لتطبيقهم بعض هذه الآداب بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ

---

(١) الوابل الصيب ص ٩٥.

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(١)، وبقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾(٢) وبقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)، وغير ذلك مما مر ذكره عنهم من الخوف والوجل والخشية وفيض الدمع عند ذكر الله تعالى.

إلا أنه نبتت نابتة من الناس، غيّروا وبدّلوا، وجاؤوا بأشياء لم يفعلها خير هذه الأمة فبدلوا في آداب الذكر تبديلاً عظيماً وابتدعوا أفعالاً شنيعة، وبدعاً في الشرع ممنوعة كالرقص حال الذكر والتمايل يمنة ويسرى، ورفع الصوت عالياً، وتغميض العينين والصعق والزعاق والاضطراب،وغير ذلك من أفعال مخالفة لمقاصد الشرع من الذكر، وقد قال القرطبي- رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(٤): "وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ونظير هذه الآية:﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢.

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(١)، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٢) فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله، فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٣) أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله، فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جُهّال العوام والمبتدعة من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجْدٌ وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، فقال: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الحج الآيتان ٣٤، ٣٥ .

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

(٣) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٨٣.

فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم فمن كان مستناً فليستن بهم، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالا والجنون فنون"[(١)].



(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٦٥/٧) وانظر تفسير ابن كثير (٥٢/٤).

المطلب الثاني: بعض القواعد في الذكر

إن قواعد كل علم هي التي تضبط مسائله، وتسهل حفظها على طالب العلم كما تفيده في ضبط أصول المسائل وفروعها، إضافة إلى أنها تبعده عن التناقض والاضطراب والوهم والإيهام، وكما أن لكل علم قواعد وضوابط، فكذلك للذكر قواعد ينبغي ضبطها ومراعاتها فمن هذه القواعد:

القاعدة العامة في جميع العبادات: أن كل محدثة في العبادة من زيادة أو نقص فهي بدعة مردودة على صاحبها، لا تقبل منه، ولا يؤجر عليها ولا يثاب، بل يلحقه الوزر والإثم والعقاب.

وهذه القاعدة تنطبق على الأذكار، فلا يجوز الخروج عما شرعه الشارع في الأذكار، بل ينبغي مراعاة ما جاء به الشرع، وعدم الالتفات إلى ما ابتدعه مشايخ الضلال في هذا الباب، وما أكثر ما ابتدعوه وأضافوه واخترعوه في هذا الباب، فضلوا وأضلوا، فليحذر المسلم ضلالاتهم وليبتعد عن ترهاتهم وليتمسك بما جاء به المصطفى ﷺ فهو أحكم وأسلم، وفيه غنية وكفاية عما ابتدعه المبتدعون وأحدثه المُحدِثون.

أما القواعد الخاصة بالأذكار فهي كما يلي:

❁ القاعدة الأولى:

موافقة الرسول ﷺ ومتابعته في الأذكار من حيث سببها وجنسها،

وقدرها وصفتها، وزمانها، ومكانها[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هى أفضل ما يتحراه المتحرى من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التى تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدى إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه، ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد "[٢].

---

(١) انظر تصحيح الدعاء ص٤١، والإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٢٠-٢٣ (ط١٤١١/٢هـ، دار الوطن، الرياض).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٠-٥١١) .

❁ القاعدة الثانية:

كل ذكر مقيد بزمان أو مكان أوبحال فلا يجوز تبديله أو تبديل أي لفظة منه، أوالزيادة عليه أوالنقصان منه، كما أنه ينبغي المحافظة على الهيئات الواردة التي يكون عليها الذاكر من غير تبديل بها و لا إحداث هيئات أو كيفيات لم ترِد عن الشرع كالتمايل أو النط والوثب أو تغميض العينين أو تحريك الرأس أو نحو ذلك مما لم يرد في الشرع.

أما الذكر المطلق (وهو الذي لم يقيد بحال أو زمان أو مكان) فما ورد في الكتاب أو السنة فيؤتى به تماماً على الوجه الذي ورد به، وإن كان لم يرد في الكتاب أو السنة وورد عن السابقين أو أنشأه الذاكر من عند نفسه فإنه يجوز له أن يذكر بمثل هذا الذكر المطلق الذي هو ثناء على الله تعالى وذلك إذا توفرت في هذا الذكر الشروط التالية [1]:

١- أن يكون هذا الثناء على الله ﷻ حسن الألفاظ، جميل المعنى واضحاً لا غموض فيه ولا يتطرق للاحتمال وأن يكون لائقاً بكمال الله وجلاله.

٢- أن تكون الألفاظ على وفق المعنى العربي ووفق قواعد الإعراب.

٣- أن يكون هذا الذكر خالياً من أي محذور شرعي لفظاً أو معنى، فيخلو من العقائد الفاسدة كالحلول والاتحاد، والتعطيل والإلحاد، والشرك وسائر ما يخالف الاعتقاد.

---

(١) انظر تصحيح الدعاء ص ٤٢.

٤- أن يكون هذا الذكر في باب الذكر المطلق لا المقيد بزمان أو حال أو مكان.

٥- أن لا يتخذ كسنة راتبة يواظب عليه أو يقيده بوقت أو مكان أو حال.

٦- أن لا يصاحب بهيئات أو كيفات لم يرد الشرع بها، أو يستنكرها كل ذي لب.

والأفضل أن يشتغل المسلم بالذكر المأثور عن النبي ﷺ من الذكر المطلق فهو أفضل من الذي يذكر به المسلم من عند نفسه، أو يأخذ ورداً من شيخ أو غيره، وذلك لوجوه عدة:

١- إذا ذكر بذكر مأثور يؤجر أجراً مضاعفاً بذكِره أولاً، وباقتداءه بالرسول ﷺ ثانياً.

٢- كون الرسول ﷺ أعلم الناس بالله تعالى وبأسمائه وصفاته فهو أعلم الناس بما يثني به على ربه.

٣- كون الرسول ﷺ أفصح الناس وأعلمهم بألفاظ العرب، وقد أوتي جوامع الكلم، فكلامه صلى الله عليه وسلم جامع بليغ موجز.

٤- كمال نصحه ﷺ لأمته فقد أرشدها في كل أمر إلى أفضله وأكمله.

٥- أن من ذكر ربه بالمأثور عن الرسول ﷺ أورثه أحوالاً عظيمة من الخشوع والوجل والخوف وطمأنينة القلب، وذلك ببركة الاتباع.

٦- أن ما في الكتاب والسنة من أذكار يكفي المسلم لأن يملأ بها سائر وقته، وفيها غُنية عما سواها من غير المأثور.

وقد عاب شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- من يترك المأثور ويفعل غيره فقال: " ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده، والله أعلم"[١] .

❁ - **القاعدة الثالثة:**

مراعاة العدد في الأذكار التي ورد تعينها من الشارع فلا يزاد عليها، ومالم يرد تحديده بعدد فيبقى على إطلاقه.

قال ابن حجر- رحمه الله- عقب شرحه لحديث التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل دبر الصلاة:

" واستنبط من هذا أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار معتبرة وإلا يمكن أن يقال لهم أضيفوا لها التهليل ثلاثا وثلاثين، وقد كان بعض العلماء يقول إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد "[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٥/٢٢)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٣٠/٢) وانظر: نيل الأوطار (٣٤٩/٢).

وقد اعتبر بعض العلماء أن الزيادة على ما حده الشارع- تعمداً- من البدع المكروهة وأنه إساءة أدب، لأن من شأن العظماء إذا حدّوا شيئاً أن يوقف عنده[١]

كما "وقد مثله بعض العلماء بالدواء يكون مثلاً فيه أوقية سكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به فلو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع ويؤيد ذلك أن الأذكار المتغايرة إذا ورد لكل منها عدد مخصوص مع طلب الإتيان بجميعها متوالية لم تحسن الزيادة على العدد المخصوص لما في ذلك من قطع الموالاة لاحتمال أن يكون للموالاة في ذلك حكمة خاصة تفوت بفواتها والله أعلم" [٢] .

فمن زاد إذاً على العدد الذي حدّه الشارع في الذكر المقيد تعبداً فقد أخطأ لأنه بفعله هذا كأنه يستدرك على الشرع المطهر، وأما من زاد في العدد لشكٍّ فهو معذور والله أعلم [٣].

ثم ليُعلم أنه "ليس في الشرع المطهر أكثر من (المائة) في عدد الذكر المقيد بحال أو زمان أو مكان، وما سوى المقيد فهو من الذكر المطلق،

---

(١) نقل ابن حجر في الفتح (٢/٢٣٠) هذا عن القرافي، واعتبر ابن حجر أن القرافي قد بالغ في ذلك، والحق هو ما قاله القرافي رحمه الله.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الفتوحات الربانية (٣/٤٩).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾[1] إلى غيرها من الآيات..

فتوظيف الإنسان على نفسه ذكراً مقيداً بعدد لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ هو: زيادة على المشروع، ونفس المؤمن لا تشبع من الخير، وكثرة الدعاء والذكر، وهذا الأمر المطلق من فضل الله على عباده في حدود ما شرعه الله من الأدعية والأذكار المطلقة بلا عدد معين كل حسب طاقته ووسعه وفراغه وشغله وهذا من تيسير الله على عباده ورحمته بهم" [2].

أما ما يحدده كثير من مشايخ الطرق الصوفية لمريديهم (تلامذتهم) من أعداد هائلة من الذكر (المأثور والمخترع) مبالغ فيها، إذ إن بعضهم يحدد الصلاة على رسول الله ﷺ بخمسة آلاف مرة في مجلس، وبعضهم يحدد لأتباعه أن يقولوا ورد طريقتهم المخترع سبعين ألف مرة، فهذا عنت ومشقة على الناس وتكليفهم بما لم يكلفهم به الله ولا رسوله، إضافة إلى ما يلحق الناس إذا التزموا بذلك في مجلس واحد من ترك صلاة الجماعة وغيرها من الحقوق والواجبات، كما سمعنا ذلك عن بعضهم، وهذا هو الغرور والضلال بعينه والله المستعان.

❁ القاعدة الرابعة:

أن الأجر المرتب على الذكر هو ماحدده الشارع الحكيم، فلا يخترع

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤١ .

(٢) تصحيح الدعاء ص ١٩٦، ١٩٧ .

المسلم لأي ذكر أجراً ما لم يحدده الشرع، فما ورد من الذكر ورتّب عليه الأجر نعتقده ونلتزمه، وما لم يرتب الشرع عليه أجراً معيناً، فينبغي أن لا يتكلف المسلم في وضع أجورٍ وثوابٍ من عند نفسه.

وإن مما يؤسف له حقاً وقوع بعض الناس بالمبالغات والمخالفات معاً، وذلك:

أولاً:باختراع أذكار وأوراد فيها من المعتقدات الفاسدة ومما لايليق بالله ﷻ **ثانياً**: بترتيب أجور عظيمة على هذه الأذكار مبالغ فيها وبعض هذه الأجور قد يوصل للكفر كمن يعتقد ورداً من الأوراد ويزعم أنه أفضل من القرآن أو قراءته تفضل قراءة القرآن ستة آلاف مرة. وفي فعلهم هذا أرادوا مشاركة الشارع الحكيم بتحديد الأجر بل وكأنهم اغتصبوا حق التشريع وتجاوزوا الحد، وأرادوا نسخ الشريعة. نسأل الله السلامة والعافية.

❁ القاعدة الخامسة:

" كل من أحدث في التعبد كالذكر والدعاء المقيد ما ليس منه تسنناً فقد أثم من أربع جهات:

١- هجر المشروع.

٢- الاستدراك على الشرع.

٣- استحباب ما لم يشُرع.

٤- إيهام العامة بمشروعيته.

فليحذر العبد القانت لربه من إحداث ما لم يشرع ففي المشروع كل خير وغَناء، وخيرة الله لعبده خير من اختيار العبد لنفسه " [١].

❁ القاعدة السادسة:

إذا ورد أكثر من ذكر في موطن واحد فهل يجمع بين الأذكار أو يقول هذا تارة وهذا تارة ؟ وكذلك هل يجمع بين الألفاظ الواردة لذكر واحد ؟.

وهي من باب اختلاف التنوع لا التضاد (وهي مسألة التلفيق بين الأذكار)، قال الشيخ صديق حسن خان رحمه الله:

" الدعوات والأذكار التي رويت بألفاظ مختلفة كأنواع الاستفتاحات وأنواع التشهدات في الصلاة وأنواع الأدعية التي اختلفت ألفاظها وأنواع الأذكار ومنها هذه الألفاظ التي رويت في الصلاة على النبي ﷺ ، قد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة في بعضها وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها، فرأى أنه يستحب في دعاء الصديق ﷺ أن يقول: « **اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا،كبيرا** » ويقول المصلي على النبي ﷺ: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته وارحم محمداً وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وكذلك البركة والرحمة ، ويقول في دعاء الاستخارة: اللهم إن كنت تعلم أن هذا

(١) تصحيح الدعاء ص٤٤.

الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله ونحو ذلك، قال ليصيب ألفاظ النبي ﷺ يقيناً في ما شك فيه الراوي ولتجمع له ألفاظ الأدعية الأخرى فيما اختلفت ألفاظها، ونازعه في ذلك آخرون وقالوا هذا ضعيف من وجوه:

(**أحدها**): أن هذه طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.

(**الثاني**): أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع أنواع الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعاً فإنه خلاف عمل الناس ولم يستحبه أحد من أهل العلم، وهو إن لم يطردها تناقض وفرق بين متماثلين.

(**الثالث**): أن صاحبها ينبغي له أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة، في الصلاة وخارجها، ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارىء في الصلاة ولا خارجها ...

(**الرابع**): أن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آنٍ واحد، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة، كألفاظ الاستفتاح والتشهد وأذكار الركوع والسجود وغيرها.

فاتباعه صلى الله عليه وسلم يقتضي أن لا يجمع بينها، بل يُقال هذا مرة وهذا مرة وأما أن يكون الراوي قد شك في الألفاظ فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه، وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيراً بينها ولم يشرع له الجمع ؛ فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي ﷺ فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آنٍ واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول ﷺ ففعل ما لم يفعله قطعاً"(١).

❁ القاعدة السابعة:

" كل محرم أو مكروه، من قول أوعمل لا يجوز أن يستفتح بالذكر لما فيه من الامتهان وافتتاح المعصية بالطاعة وذلك مثل كتابة البسملة أمام الشعر غير الحسن، واستفتاح اللعب المحرم والرهان المحرم والبرامج المضلة بالقرآن، أو الحمد والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ونحو ذلك" (٢).

❁ القاعدة الثامنة:

وهي التفاضل بين أنواع الذكر، فقراءة القرآن الكريم أفضل من الأذكار المطلقة، أما الذكر المقيد بحال أو بزمان أو بمكان فالإتيان به أفضل من التلاوة المطلقة، بل قد تكون التلاوة محرمة في بعض الأحيان

---

(١) نزل الأبرار ص١٩٧، وانظر مجموع الفتاوى (٤٥٨/٢٢)، وانظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص١٨٩ - ١٩١.

(٢) تصحيح الدعاء ص ٤٨.

كما هو الحال في السجود والركوع، والقاعدة العامة في باب المفاضلة بين العبادات هي: (**أن الفاضل قد تعتريه بعض الحالات فيصبح مفضولاً**)[١]

"وكون هذا الذكر أفضل من هذا الذكر إنما يظهر بما يترتب عليه من الأجر، فما كان أجره أكثر كان فعله أفضل"[٢].

❁ **القاعدة التاسعة:** قضاء ما فات من الأذكار

قال الإمام النووي- رحمه الله-: "ينبغي لمن كان له وظيفة من الذكر في وقت من ليل أو نهار أو عقب صلاة أو حالة من الأحوال ففاتته أن يتداركها ويأتي بها إذا تمكن ولا يهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها، وقد ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من نام عن حزبه**[٣] **أو عن شيء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل** »[٤]"[٥].

---

(١) انظر الوابل الصيب ص ١٢٢ ـ١٢٤.

(٢) نزل الأبرار ص ١٢.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٣٧٦/١): الحِزب:ما يجعله الرجُل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورْد ".

(٤) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض (٥١٥/١) ح٧٤٧.

(٥) الأذكار ص١٣، وانظر الفتوحات الربانية (١٤٩/١، ١٥٠) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنه يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة(١).

❀ القاعدة العاشرة:

كل ذكر من نوع واحد، ورد بعددين مختلفين فللذاكر أن يأتي بأي عدد ورد به النص، وكلما كانت الرواية أكثر عدداً وأتى بها الذاكر كان قد أتى بالأكمل والأفضل. وإن عمل بهذا تارة وبهذا تارة كان أحسن.(٢)

❀ القاعدة الحادية عشرة:

أن الأصل في الذكر الإسرار به وعدم الجهرِ ورفعِ الصوت به إلا في مواضع بينها الشارع، وسبقت الإشارة عليها(٣).

❀ **القاعدة الثانية عشرة:** أنه ينبغي الاقتصار على ألفاظ الذكر التي وردت عن الله ورسوله من غير تبديل لشيء من ألفاظها،فمثلاً إذا ورد لفظة (نبي) في ذكر ما، فلا يبدل بـــ (رسول) ويدل على ذلك حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت**

---

(١) نزل الأبرار ص ١٠.

(٢) انظر تصحيح الدعاء ص ٤٤.

(٣) انظر فيما سبق ص ٢٥٦.

ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به» قال: فرددها على النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغت **«اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت» قلت:ورسولك قال: « لا،ونبيك الذي أرسلت»**[(١)].

قال ابن حجر رحمه الله: " وأولى ما قيل في الحكمة في رده صلى الله عليه وسلم على من قال (الرسول) بدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري، قال: فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها "[(٢)] .

فبناء على ما قررناه إذا كان اللفظ قريب المعنى لا يجوز إبداله بلفظ مأثور، فمن باب أولى أنه لا يجوز تبديل ألفاظ الذكر بألفاظ لا معاني لها مع كونها غير مفهومة بل هي طلاسم و عبارات أتى بها أناس لأغراض

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء (١/٩٧) ح٢٤٤.

(٢) فتح الباري (١١/١١٢)، واستحسن قولَ المازري الإمامُ النووي رحمه الله كما في شرحه على صحيح مسلم (١٧/٣٣)، وانظر الفتوحات الربانية(٣/١٤٤).

وأهواء كمن يبدلون قول: لا إله إلا الله بـ (لا إله إلا هو)، ويجعلون الـ (هو) اسماً من أسماء الله، وليس كذلك، ومنهم من يجعل ورده بلفظ: آه آه آه هو هو هو آه آه آه وغير ذلك من الأذكار المحرفة نسأل الله لنا ولهم الهداية.

فهذه بعض قواعد الذكر ينبغي مراعاتها وعدم الإخلال بها وتطبيقها على حسب ما يرتضيه الشارع الحكيم. والله أعلم.



الفصل الرابع: في حكم الذكر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: في أقوال العلماء في حكم الذكر

المبحث الثاني: القول الراجح


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

في أقوال العلماء في حكم الذكر.

اختلفت عبارات العلماء في الذكر فمن قائل بفرضيته ووجوبه ومن قائل باستحبابه، ونأتي إلى عرض هذه الأقوال:

أولاً: القائلون بوجوبه:

ذهب طائفة من العلماء إلى القول بوجوبه واستدلوا بأدلة منها:

١-قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

ووجه الدلالة أن الأمر يفيد الوجوب ولا صارف له.

٢-وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]، ووجه الدلالة أن الله أمر المؤمنين بذكره في حال الشدة، وملاقاة العدو، فمن باب أولى أن يكون الذكر مأموراً به في حال الرخاء والأمن، قال قتادة -رحمه الله-: "افترض الله

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان: ٤١- ٤٢.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

جل وعز ذكره على عباده أشغل ما يكونون عند الضراب بالسيوف"(١).

٣- وقوله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾(٢).

قال محمد بن كعب القرظي -رحمه الله -:

"لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا يقول الله ﷻ: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾، ولرخّص للرجل يكون في الحرب يقول الله عز وجل: ﴿ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٣)"(٤).

٤- وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾(٥).

نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله:"لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوماً ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله فقال: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾: بالليل والنهار في البر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٤).

(٢) سورة آل عمران الآية: ٤١.

(٣) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

(٤) تفسير الطبري (٣/٢٦١)، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/٨٢) و(٨/٢٤).

(٥) سورة النساء الآية: ١٠٣.

والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال"[١].

٥- وقوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[٢].

وقد استدل الجصاص رحمه الله -صاحب أحكام القرآن- بهذه الآية على وجوب ذكر الله تعالى فقال: "باب وجوب ذكر الله تعالى: قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ قد تضمن الأمر بذكر الله تعالى"[٣]. إلى أن قال: "فقوله: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ قد تضمن الأمر بسائر وجوه الذكر منها سائر وجوه طاعته وهو أعم الذكر، ومنها ذكره باللسان على وجه التعظيم والثناء عليه، والذكر على وجه الشكر والاعتراف بنعمه، ومنها ذكره بدعاء الناس إليه والتنبيه على دلائله وحججه ووحدانيته وحكمته، وذكره بالفكر في دلائله وآياته وقدرته وعظمته، وهذا أفضل الذِّكْر، وسائر وجوه الذكر مبنية عليه وتابعة له وبه يصح معناها؛ لأن اليقين والطمأنينة به تكون، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[٤]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/٢٥٩-٢٦٠)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٤/١٧٥)، وابن كثير في تفسيره (٣/٤٩٦).

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٢.

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/١١٤) (طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت سنة ١٤٠٥هـ تحقيق محمد قمحاوي).

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٨.

يعني والله أعلم ذكر القلب الذي هو الفكر في دلائل الله تعالى وحججه وآياته وبيناته وكلما ازددت فيها فكراً ازددت طمأنينة وسكوناً.

واستُدل لوجوب الذكر بقوله صلى الله عليه وسلم:

«ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم».

وفي رواية: **«ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه إلا كان عليهم ترة، وما من رجل يمشي طريقاً فلم يذكر الله تعالى إلا كان عليه ترة، وما من رجل أوى إلى فراشه فلم يذكر الله عز وجل إلا كان عليه ترة».**

وفي رواية: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة »**(١).

قال الصنعاني - رحمه الله -: "والحديث دليل على وجوب الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعالى عليه وآله وسلم في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار أو العذاب، فقد فسرت بهما فإن التعذيب لا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨٩/٢ و٥١٥)، وأبو داود في سننه: كتاب الأدب: باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله (٢٦٤/٤) ح ٤٨٥٥، والنسائي في الكبرى (١٠٧/٦)ح١٠٢٣١، والحاكم في المستدرك: (٦٦٨/١) ح١٨٠٨ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: هو كما قالا. وصححه النووي أيضاً. السلسلة الصحيحة (١١٧/١) ح ٧٧.

يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور وظاهره أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم معاً"[(١)].

وقال الألباني رحمه الله -معلقاً على الرواية الأخيرة من الحديث -:

"هذا التشبيه يقتضي تقبيح عملهم كل التقبيح وما يكون ذلك-إن شاء الله- إلا فيما هو حرام ظاهر التحريم والله أعلم"[(٢)].

هذه بعض أدلة القائلين بالوجوب، ومما سبق يتضح أن ممن قال بالوجوب: ابن عباس ﷺ و محمد بن كعب القرظي وقتادة والجصاص والصنعاني والألباني رحمة الله على الجميع.

وممن ذهب إلى وجوب الذكر الذي هو ثناء طائفة من أصحاب الإمام أحمد رحمهم الله، وهو اختيار ابن بطة وغيره[(٣)].

ثانياً: وذهب بعض العلماء إلى القول باستحبابه.

وممن ذهب إلى ذلك النووي[(٤)] - رحمه الله -

وأدلة هذا القول هي أدلة القول الأول نفسها، إلا أنه ظاهر هذا القول حمل الأدلة السابقة على الاستحباب دون الوجوب.

---

(١) سبل السلام للصنعاني (٢١٤/٤).

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني : (١٦٢/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٨٨/٢٢).

(٤) انظر: المجموع للنووي (٤٥٢/٣) و(٥٢٩/٤) ط/دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، وكتاب الأذكار ص٦.

ثالثاً: وذهب قوم من المتصوفة إلى أن الذكر في وقت من الأوقات يكون محرماً، ويكون حجاباً للذاكر عن مذكوره، بل يعتبرون إدامة الذكر من النفاق، يقول أحدهم:

"الذكر حجاب عن المذكور بمن-زلة الدليل، والدليل متى أعطاك المدلول سقط عنك ... فمتى كنت مع المذكور فلا ذكر ...

دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقاً فليس يـــديم الذكر إلا المنافق

إذا كان من تهواه في القلب حاضــراً وأنت تديم الذكر فأنت منافق

وقال:

بذكر الله تحتجب الذنـــوب وتحتجب البصـــائر والقـــلوب

وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب[١]

هذا القول من أبطل الباطل؛ لأن فيه نهي عن قول المعروف: وهو الذكر ومصادمة لنصوص الشرع إذ إن الشرع يأمر بالمداومة على ذكر الله تعالى، وفيه تكذيب لقول الله تعالى حينما وصف المنافقين: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٤٢﴾ ﴾[٢].

---

(١) هذا الكلام لابن عربي الطائي المتصوف، زعيم القائلين بوحدة الوجود، انظر وسائل المسائل (٢٥،٢٦) نقلاً عن المعجم الصوفي (٤٨٨، ٤٨٩) للدكتورة/سعاد الحكيم/ط : بيروت، لبنان.

(٢) سورة النساء الآية:١٤٢.

وهذا القائل يقول: إن المنافق هو مداوم على ذكر الله تعالى والعاشق المؤمن بزعمه يكون تاركاً للذكر، وفيه دعوى وحدة الوجود، وجعل الطاعة ذنباً ... ومتى كان ذكر الله ذنباً في شريعة من الشرائع ؟! إلا في مذهب القائلين بوحدة الوجود لأنهم يريدون أن يجعلوا الذاكر (العبد) والمذكور (الله ﷻ) شيئاً واحداً، دون تفرقة بين خالقٍ ومخلوق وذاكرٍ ومذكور، فمن ذكر الله يعدونه قد اقترف ذنباً لأنه فرّق بين الذاكر والمذكور وهم يعدونهما شيئاً واحداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ويقول آخر[1]: "وإذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور، وإذا حصل له كثرة الذكر مع الحضور، صار الحق مشهوده، وهناك يستغني عن ذكر اللسان.. لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بهت وخرس، يستغني صاحبها في الجمعية بالمدلول، فقد استغنى العبد عن الدليل فافهم".

ويوضح المقصود من الكلام السابق، قوله عما يجده الشخص في ميدان التصوف، في كفره الآتي:

"وفي هذا الميدان ينمحي الذاكر والذكر، ويصير في حالة أن لو نطق لقال: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لاستهلاكه في بحار التوحيد، وهذه المرتبة هي آخر مراتب الذكر وصاحبها صامت جامد لا يذكر ولا يتحرك".

---

(١) الفوتي في رماح حزب الرحيم (٣٤٥/١) (ط/١٤١٥هـ، دار الفكر، بيروت، مطبوع مع جواهر المعاني لعلي حرازم التجاني).

وإذا ذكر الله في هذه الحال فإنه يعتبر في حقه ذنباً وفي هذا الحال المعكوس يقول:

بذكر الله تــزداد الذنــوب ... وتنطمـــس السرائر والقلوب

فترك الذكر أفضل كل شيء ... وشمس الذات ليس لها غروب

"زاد الله ذنوبهم وطمس على سرائرهم، انظر كيف تلاعب الشيطان بهم حتى أصبح ذكر الله يزيد في ذنوب الإنسان، ويطمس على سريرته وقلبه، لأن الأولى به حين يصل إلى تلك المرتبة أن يترك كل شيء، لاتحاده التام بالله تعالى حيث تصبح ذاته لا غروب لها بعد ذلك"[(١)].

واعتبر بعضهم الذكر -في بعض الأوقات- حجاباً شاغلاً للذاكر عن مذكوره، وذلك إذا وصل إلى درجة الفناء بحيث يفنى الإنسان -بزعمهم- عن نفسه فلا يحس بشيء أبدا[(٢)].

وهذا القول ظاهر الفساد لأن نتيجته فاسدة وهي القول بوحدة الوجود.

---

(١) فرق معاصرة للشيخ غالب العواجي (٢/٧٩١) (ط٣/١٤١٤هـ دار لينة، للنشر، دمنهور).

(٢) ذكر ذلك أبو حامد الغزالي كما في كتاب الأربعين في أصول الدين له ص٥٣، نقلاً من كتاب حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص١٦٠ (ط٢/١٣٩٠هـ، مطبعة البلاغ، حلب)، وممن ذكر ذلك أيضاً واعتبر الذكر حجاباً شاغلاً: ابن عطاء السكندري كما في كتاب (ابن عطاء السكندري وتصوفه) لأبي الوفاء التفتازاني (ط٢/١٣٨٩هـ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة).

المبحث الثاني:

القول الراجح أن الذكر تجري فيه الأحكام الخمسة.

الراجح من الأقوال أن الذكر تجري فيه الأحكام الخمسة: فتارة يكون واجباً وتارة يكون محرماً، وتارة يكون مستحباً وتارة يكون مكروهاً وتارة يكون مباحاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بعد أن ذكر أن الذكر عبادة مبنية على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، وعلى المرء تحري ما ورد في السنة النبوية من أذكار قال بعد ذلك: "وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها"(١).

فقد أشار -رحمه الله- إلى حكم الذكر مفصلاً، وهذا القول -وهو التفصيل في حكم الذكر- تجتمع فيه النصوص والأدلة.

فمن الذكر الواجب: تكبيرة الإحرام، وقراءة أم القرآن في الصلاة، والتشهد الأخير، في الصلاة والتسليم من الصلاة، والأذان، والإقامة، وردّ

---

(١) مجموع الفتاوى (٥١١/٢٢).

السلام، والتسمية على الذبيحة، واختلف في التشهد الأول وأذكار الركوع والسجود[١].

قال الباجي: "الذكر باللسان والقلب: وهو ذكره عند الأوامر بامتثالها والمعاصي باجتنابها، وذكر اللسان واجب كالفاتحة في الصلاة والإحرام والسلام وشبه ذلك ومندوب وهو سائر الأذكار فالواجب يحتمل أن يفضل على سائر أعمال البر والمندوب يحتمل أن يفضل لعظم ثوابه وهداه لطريق الخير أو لكثرة تكرره"[٢].

وقد يكون الذكر محرماً:

ويكون التحريم إما:

١- لكونه يتضمن شركاً.

٢- أو لكونه يتضمن نقصاً.

٣- أو لكونه يصحبه اعتقادات فاسدة وبدع ومحدثات.

فمن الأول: ما كان يفعله أهل الجاهلية في حجهم، حيث إنهم كانوا يلبون بتلبيات شركية فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

وكذلك أذكار النصارى المملوءة بالشرك، والقول بالتثليث، وتأليه

---

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (١٠/٢١٢)، ومجموع الفتاوى (٢٢/٣٨٠-٣٨١) و(٢٣/١٤٩)، والمجموع للنووي (٣/٣٧٣)، وعون المعبود (٣/٨٧)، ونيل الأوطار (٢/٢٧٢).

(٢) شرح الزرقاني (٢/٤١).

عيسى ابن مريم عليه السلام، وغير ذلك من المنكرات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

"لكن المشركون لم يكن لهم ثناء مشروع يثنون به على الله، حتى تلبيتهم كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وكذلك النصارى ثناؤهم فيه الشرك، وأما اليهود فليس في عبادتهم ثناء، اللهم إلا ما يكون مأثوراً عن الأنبياء، وذلك من ثناء أهل الإيمان، وكذلك النصارى إن كان عندهم شيء من ذلك"(١).

ومن الثاني -الذي يتضمن نقصاً- مثل: ما كانوا يقولونه في أول الإسلام: السلام على الله من عباده، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك وأرشدهم إلى ما فيه الثناء على الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم :

«لا تقولوا: السلام على الله، فإن الله هو السلام ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات ...» الحديث(٢).

"أشار بذلك إلى أن السلام إنما يطلب لمن يحتاج إليه، والله هو "السلام"، فالسلام يُطْلَب منه لا يطلب له، بل يُثنى عليه فإنه له فيقال: التحيات لله والصلوات والطيبات، فالحق سبحانه يُثْنى عليه ويُطْلَب منه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري : كتاب الصلاة، باب التشهد في الآخرة (١/٢٨٦) ح٧٩٧، وفي باب ما يخير من الدعاء بعد التشهد(١/٢٨٧) ح٨٠٠، ومسلم: كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (١/٣٠١) ح٤٠٢.

وأما المخلوق فيُطْلَب له، فيقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"(١).

ومن الثالث والرابع: ما يسميه بعض الناس ذكراً وهو ليس كذلك لكونه لم يشرعه الشارع الحكيم، ولكونه مصحوباً باعتقادات فاسدة كما يذكرون الله بالاسم المفرد أو الضمير (هو، هو..).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

"وربما اقتصر بعضهم على (هُوْ)، (هُوْ)، أو على قوله: (لا هو إلا هو)؛ لأن هذا الذكر المبتدع الذي هو لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقاً ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم.

فقد ينضم إلى ذلك اعتقاد صاحبه أنه لا وجود إلا هو، كما يصرح به بعضهم، ويقول: لا هو إلا هو، أو لا موجود إلا هو، وهذا عند الاتحادية أجود من قول: لا اله إلا الله؛ لأنه مصرح بحقيقة مذهبهم الفرعوني القرمطي، حتى يقول بعضهم: (لا إله إلا الله ذكر) العابدين، و(الله، الله): ذكر العارفين، و(هُوْ) ذكر المحققين، ويجعل ذكره: يا من لا هو إلا هو، وإذا قال: الله، الله، إنما يفيد مجرد ثبوته، فقد ينضم إلى ذلك نفي غيره، لا نفي إلهية غيره، فيقع صاحبه في وحدة الوجود، وربما انتفى شهود القلب للسوى، إذا كان في مقام الفناء، فهذا قريب، أما اعتقاد أن وجود الكائنات هي هو فهذا هو الضلال"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٦٣-٦٤).

ومن ذلك ابتداع أوراد وصلوات على الرسول ﷺ مما فيها الغلو بالرسول ﷺ، وجعله شريكاً مع الله تعالى، ووصفه بصفات الرب ﷻ ووصفه بأوصاف غامضة، مع مشابهة النصارى ببعض ألفاظهم كقول بعضهم: "اللهم صلّ وسلم وبارك على خلقة الذات المطلسم، والغيث المطمم، لاهوت الجمال وناسوت الوصال، وطلعة الحق، هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل .... إلخ [(١)].

ألفاظ غامضة لا تدري هي كفر أم توحيد؟!! ومشابهة للنصارى في قولهم: لاهوت وناسوت، وتقرير لوحدة الوجود، وكل هذا محرم.

وقول الآخر: "اللهم صل على محمد الذي تجسد فيه الله، اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صورة الكائنات .... "إلخ[(٢)].

فهذا كفر بواح لاشك فيه، ولا ثناء فيه على الله أبداً، بل تنقص به وكفر به واعتقاد أنه يحل بالكائنات تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

إذاً نخلص من ذلك إلى القاعدة العامة في الذكْر المحرم وهي:

كل ذِكْر فيه شرك، أو تنقص بحق الله –بأسمائه وصفاته– أو يصحبه اعتقادات فاسدة، أو أنه ذكر محدث لم يشرعه الشرع، أو فيه مشابهة للكفار، أو هو غامض لا يعرف معناه، أو فيه انشغال عن تلاوة

---

(١) انظر: التصوف بين الحق والخلق لمحمد بن فهر شقفة ص ١١٦ (ط٣/١٤٠٣هـ الدار السلفية، حولي الكويت).

(٢) المرجع السابق.

القرآن والأذكار النبوية فهو محرم ... والله أعلم

أما الذكر المستحب:

فهو كثير جداً، وغالب الأذكار المأثورة فهي من هذا القبيل نحو أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم والاستيقاظ منه ودخول المنـــزل والخروج منه وعند العطاس وأدبار الصلوات[١].

وأما الذكر المكروه:

فيكون في أحوال خاصة كالذكر باللسان حال قضاء الحاجة وحال الجماع، وقد تقدمت هذه المسألة عند الكلام على آداب الذكر[٢].

وأما الذكر المباح:

فهو أن يذكر المرء ربه ذكراً مطلقاً بغير ما أُثر عن الشرع بشروط سبق ذكرها[٣].

والحاصل أنه اتضح مما سبق أن الذكر تجري فيه الأحكام الخمسة فمنه الواجب ومنه المحرم الذي يؤدي للكفر ومنه المكروه في أحوال ومنه المستحب ومنه المباح والله أعلم.



---

(١) المجموع للنووي (٣/٤٥٢).

(٢) انظر: ص ٢٦٦-٢٦٧ من هذا البحث.

(٣) انظر: ص٢٧٧ من هذا البحث.

الباب الثاني

في منزلة الذكر من العقيدة الإسلامية من بين سائر العبادات

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في بيان أن الذكر يزيد في الإيمان ويرسخ التوحيد بأقسامه.

الفصل الثاني: في كون الذكر يرسخ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

الفصل الثالث: في كون الذكر يرسخ الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الرابع: في كون الذكر يرسخ الإيمان بالقضاء والقدر.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الأول:

في كون الذكر يزيد في الإيمان ويرسخ التوحيد بأقسامه في نفس الذاكر.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: في كون الذكر يزيد في الإيمان.

المبحث الثاني: في دلالة الذكر على وجود الله وتوحيد الربوبية.

المبحث الثالث: في دلالة الذكر على توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الرابع: في دلالة الذكر على توحيد الألوهية.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

في كون الذكر يزيد في الإيمان:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ملخص الكلام حول مسألة زيادة الإيمان ونقصانه:

إن الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: تصديقٌ بالقلب وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح[1]، قال الآجري[2] رحمه الله:

"اعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان مطلقاً، ولا تجزئ معرفةٌ بالقلب ونطقٌ باللسان

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٣٣٢، (ط ٩/١٤٠٨ هـ المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق الشيخ الألباني).

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري، الإمام المحدث، صاحب كتاب الشريعة، مات بمكة المكرمة سنة ٣٦٠هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٤٩/٣) (ط/دار إحياء الكتب العربية بمصر، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو).

حتى يكون عملٌ بالجوارح، فإذا كملت فيه هــذه الثلاث الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين[١].

وللإيمان أهمية عظيمة في حياة العبد، كما أن له ثمرات دينية ودنيوية وأخروية يجنيها المؤمن، فمن ذلك أن المؤمن ينجو من الخسارة التي وردت في قوله تعالى في سورة العصر: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٢].

ومنها أن المؤمن يعيش في هذه الدنيا حياة طيبة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣].

فيعيش المؤمن حياة سعيدة من رزق حلال وقناعة في العيش وتوفيق للطاعات وإخلاص في العبادة هذا في الدنيا، وفي الآخرة يدخل الجنة فيحيى بها الحياة الدائمة في النعيم المقيم.

ومنها أنه -أي الإيمان- سبب للتثبيت عند السؤال في القبر، وهو سبب لرضوان الله ودخول جنته، قال تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) الشريعة للآجري ص١١٩ الناشر أنصار السنة المحمدية تحقيق محمد حامد الفقي.

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة النحل الآية: ٩٧.

بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّه ﴾[٢].

"فالإيمان هو قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وسبب حياتها، ومتى فقدته القلوب ماتت، وموت القلوب لا يرجى معه حياة أبداً بل هو هلاك الدنيا والآخرة"[٣].

إذا عُلم هذا فإن الناس متفاوتون في طيب حياتهم، ومختلفون في درجاتهم في الجنان، وذلك إذا دخلوا الجنة برحمة الله سبحانه وتعالى تفاوتت منازلهم في الجنة على حسب إيمانهم فمن كان إيمانه أتمّ وأكمل كانت منــزلته أعلى وأرفع ممن هو دون ذلك، قال تعالى:﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[٥].

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٢٧.

(٢) سورة البينة الآيتان ٧-٨.

(٣) غاية النفع شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع لابن رجب الحنبلي ص٣١.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٢١.

(٥) سورة الأنفال الآية: ٤.

فإيمان الناس متفاوت، وهو على درجات ومراتب، فمنه الضعيف الذي لا يزن مثقال ذرة، ومنه القوي الراسخ كأمثال الجبال، و يزيد درجتَه العملُ الصالح وينقصه العمل الطالح من المعاصي والمنكرات والفواحش.

والقول بزيادة الإيمان ونقصانه هو قول أهل السنة والجمـــاعة، وهو الذي دلت نصوص الكتاب والسنة عليه، فـــ "الزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾[١].

وهذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات، أي: وقت التلاوة، ليس هو تصديقهم بها عند النـــزول، وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذه زيادة الإيمان "[٢].

ومن أدلة القرآن الكريم على الزيادة قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾[٣]، "فهذه الزيادة عند تخويفهم

(١) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/٢٢٨).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٧٣.

بالعدو لم تكن عند آية نـــزلت فازدادوا يقيناً وتوكلاً على الله وثباتاً على الجهاد وتوحيدا بأن لا يخافوا المخلوق بل يخافون الخالق وحده "[١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[٤]، **وقوله تعالى:** ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾[٦]، وغيرها من الآيات كثير.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٨).

(٢) سورة التوبة الآيتان: ١٢٤-١٢٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٤٠٣)، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ.

(٤) سورة المائدة الآية: ٣.

(٥) سورة الفتح الآية: ٤.

(٦) سورة محمد الآية: ١٧.

وأما أدلة زيادة الإيمان من السنة فكثيرة منها:

١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فِطر إلى المصلى فمرّ على النساء فقال: **«يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»** فقلن: وبم يا رسول الله؟ **قال: «تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن»** قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ **قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟»** قلن: بلى. **قال:«فذلك نقصان من عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟»** قلن: بلى. **قال: «فذلك من نقصان دينها»**[(١)].

وهذا الحديث فيه التصريح بنقصان الإيمان من قوله: (ناقصات عقل ودين)، قال النووي رحمه الله:"وفيه بيان زيادة الإيمان ونقصانه"...إلى أن قال:"إن الطاعات تسمى إيماناً وديناً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثُرت عبادته زاد إيمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه "[(٢)].

٢- عن أنس عن النبي ﷺ قال:**« يخرج من النار من قال: لا إله**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم (١/١١٦) ح٢٩٨، وأخرجه مسلم عن عبد الله بن عمر ﷺ: كتاب الإيمان، باب بيان نقص الإيمان بنقص الطاعات (١/٨٦) ح٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٦٧ -٦٨).

إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخـــرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بر من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»(١).

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث دلالة لمذهب السلف أهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في أن الإيمان يزيد وينقص ونظائره في الكتاب والسنة كثيرة وقد قدمنا تقرير هذه القاعدة في أول كتاب الإيمان وأوضحنا المذاهب فيها والجمع بينها والله أعلم"(٢).

٣- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**(٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع والشعب واتصاف العبد بها أو عدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتاً كثيراً "(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه (١/٢٤) ح٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٣/٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان باب أمور الإيمان (١/١٢) ومسلم: كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان (١/٦٣) ح٣٥.

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٢٧ (ط١/١٤١٩هـــ مكتبة أضواء السلف، الرياض).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهـــو مؤمن ولا ينتهب النهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: **«ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**، قال ابن بطال: هذا أشد ما ورد في شرب الخمر، وبه تعلق الخوارج فكفروا مرتكب الكبيرة عامداً عالماً بالتحريم وحمل أهل السنة الإيمان هنا على الكامل لأن العاصي يصير أنقص حالاً في الإيمان ممن لا يعصي"(٢).

هذا والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة و قد اقتصرت على ما ذُكر خشية الإطالة(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المظالم،باب النهبة بغير إذن صاحبه (٢/٨٧٥) برقم ٢٣٤٣، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (١/٧٦) برقم ٥٧.

(٢) فتح الباري (١٠/٣٤).

(٣) انظر: صحيح البخاري (١/٢٤) وانظر: شرحه من فتح الباري، والشريعة للآجري ص١١١، والإبانة لابن بطة العكبري (٢/٨٣٢) والإيمان لابن منده (٢/٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/٩٦٠) وما بعدها (ط ٥/١٤١٨ هـــ، دار طيبة الرياض، تحقيق د/أحمد بن سعد الغامدي)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام (٧/٢٢٨) وذكر قبلها أقوال الصحابة والتابعين، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٢، وزيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبد الرزاق العباد ص ٣٨ وما بعده (ط ١/١٤١٦هـــ مكتبة دار القلم والكتاب الرياض).

"وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة و لم يعرف فيه مخالف من الصحابة"[(١)].

كما أن "الزيادة أثبتها الصحابة بعد موت النبي ﷺ ونزول القرآن كله "[(٢)]، وكذلك نُقل عن التابعين أقوالٌ كثيرة في ذلك.

وقد أجمع العلماء على زيادة الإيمان ونقصانه وممن نقل هذا الإجماع ابن عبد البر حيث قال رحمه الله: "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية و الطاعات كلها عندهم إيمان"[(٣)].

وقال أيضاً: "وعلى أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعةُ أهل الآثار والفقهاء أهل الفتوى بالأمصار"[(٤)].

ونقل هذا الإجماع غير واحد من العلماء[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٤)، وذكر اللالكائي أسماء ستة عشر صحابياً ممن قال بزيادة الإيمان ونقصانه، انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة له (٥/٩٦٢)، وبعدها ذكر أسماء التابعين والفقهاء الذين قالوا بهذا القول.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٥).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (٩/٢٣٨) (ط/١٣٨٧هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في المغرب تحقيق مصطفى العلوي).

(٤) المرجع السابق (٩/٢٥٢).

(٥) فممن حكى إجماع أهل السنة على زيادة الإيمان ونقصانه: يحيى بن سعيد القطان كما في

=

وإذا ثبتت زيادة الإيمان ثبت ما يقابلها وهي نقصانه "فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة"[١].

وهذا القول هو القول الحق الذي يقره الشرع والحس والواقع وقد خالف في ذلك طوائف من المبتدعة[٢] فقالوا بعدم زيادة الإيمان أو نقصانه "وأصل قولهم هذا: أن الإيمان شيء واحد وهو كلٌّ لا يتجزأ إذا ذهب بعضه ذهب كله وهذا هو الأصل الذي تفرعت عنه البدع في الإيمان، ونصوص الرسول ﷺ وأصحابه تدل على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله: **«يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**"[٣].

← سير أعلام النبلاء (١٧٩/٩)، والإمام أحمد بن حنبل كما في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١٣٠/١)، والبخاري كما في فتح الباري لابن حجر (٤٧/١)، وابن بطة العكبري في الإبانة (٨٣٢/٢)، والإمام الصابوني في: عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٨٢، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٦٧٢/٧) وابن القيم كما في مدارج السالكين (٤٢١/١) وابن كثير في تفسيره (٢٨٦/٢) وقال: "هو مذهب جمهور الأمة بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد" وغيرهم من الأئمة كثير.

(١) فتح الباري (٤٧/١)، وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٤٥/١).

(٢) المرجئة يقولون: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وكذلك الجهمية والخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية. انظر: زيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبد الرزاق العباد ص ٣١٧ و٣٣٩ و ٣٤٨ و٣٦٠.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢٣/٧) وانظر: الرد على شبهتهم في مجموع الفتاوى (٥١١/٥- ٥٢٢)، وزيادة الإيمان ونقصانه ص٣٥٠.

"وهم يقولون: إن الإيمان هو التصديق فقط وأنه عند جميع الخلق سواء، لا فرق بين الأنبياء والملائكة وعامة الناس، لأنه لو نقص لصار شكاً، وإيمان الشاك لا يصح[1].

وهذا القول خطأ من قائله فإن ما في القلب يتفاوت تفاوتاً عظيماً، فإيمان الملائكة والأنبياء القلبي -وقد شاهدوا من ملكوت الله ما لم يشاهده غيرهم- لا يمكن أن يكون كإيمان عامة الناس وإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن إيمانه بإيمان الأمة كلها لرجح إيمانه، وكل هذا راجع لما في القلب، فالأصل موجود ولكن لا يلزم منه التساوي كالبُصَراء فمنهم من يقرأ الخطوط الدقيقة ومن ينظر إلى مسافة بعيدة، ومنهم من لا يستطيع القراءة إلا بالنظارة ولا يقال إنه فقد بصره، فأصل البصر موجود ولكن اختلف في القوة والطاعة "[2].

وأخيراً أود أن أنبه على أمر مهم وهو يختص بالناحية المسلكية: أن المعتقد بزيادة الإيمان ونقصانه يجاهد نفسه على الإتيان بالطاعات والابتعاد

---

(١) وهذا قول الجهم وأتباعه، انظر: هذا القول والرد عليه في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٥٨٢-٥٨٥) فقد رد عليهم قولهم وبيّن خطأه وفساده من ستة أوجه.

(٢) انظر: تعليق الشيخ علي الفقيهي على كتاب الإيمان لابن منده (٢/٨) طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٣، ٣٣٤.

عن المعاصي والمنكرات ويسعى إلى إكمال إيمانه ويتطلع لمشابهة المؤمنين الكُمّل، بخلاف من لا يقول بذلك فنفسه تدعوه للتقاعس والكسل عن القربات والأعمال الصالحات، وإن قلت: إن بعض اللذين أنكروا زيادة الإيمان ونقصانه همهم إبعاد الناس عن طاعة رهم و إبعادهم عن الازدياد من الخير والتقرب إليه، وهمهم استحلال المحرمات وارتكاب الفواحش والمنكرات فما جانبت الصواب بإذن الله، وذلك أن من هؤلاء القائلين بهذا القول من سولت له نفسه بالوقوع بالمحرمات بل ببعض أنواع الكفر لغروره واعتقاده أن إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان الأنبياء والصديقين كلا ولا كرامة بل إيمانه في الحضيض، وإيمانهم في أعلى المراتب والدرجات.



المطلب الثاني:

زيادة الإيمان بذكر الله ﷻ، ودلالة الذكر على مسألة الاستثناء في الإيمان وبيان الراجح فيها

إذا كنا قد علمنا أن الإيمان يزيد وينقص -وهذا هو القول الحق قول أهل السنة والجماعة- فلا بد أن نعرف ما الذي يزيده ومما تستمد زيادته حتى يتعاظم ويصبح كأمثال الجبال؟!

إن الإيمان يزيد بكثرة الأعمال الصالحة كمعرفة أسماء الله الحسنى والتي هي أصل الإيمان وفهم معانيها وإحصائها، وتدبر القرآن الكريم والعمل به ومعرفة أحاديث الرسول ﷺ وسيرته العطرة والتفكر بآلاء الله ﷻ ونعمه، ومعرفة محاسن الدين، والاجتهاد في تحقيق أوصاف المؤمنين، والبعد عن كل ما يناقض الإيمان ويمنع زيادته ويسبب نقصانه من أصناف المعاصي: الكفر وما دونه من المنكرات، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء وعدم الركون إلى الدنيا،ومحاربة الشيطان ودفع وساوسه، وعدم مخالطة قرناء السوء[1].

ومما يقوي الإيمان ويغرس شجرته في القلب وينميها ذكر الله في كل وقت

---

(١) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي ص٤٥ وما بعدها، وانظر: كتاب زيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبد الرزاق العباد ص١٦٧ وما بعدها.

وحال، بل هو من أكبر أسباب شرح الصدر وطمأنينته وزيادة الإيمان.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله:

"ومن أسباب دواعي الإيمان: الإكثار من ذكر الله كل وقت ... فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيِّها وينميها، وكلما ازداد العبد ذكر الله: كلما قوي إيمانه كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر فمن أحب الله أكثر من ذكره ؛ ومحبة الله: هي الإيمان بل هي روحه"(١).

وقال أيضاً رحمه الله:"ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٢)، فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره"(٣).

وقد وردت بعض الآيات التي تدل على أن الذكر يزيد في إيمان العبد منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(٤).

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٥٦ -٥٧.

(٢) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي المجلد الثاني من الثقافة الإسلامية ص٤٨٨.

(٤) سورة الأنفال الآية: ٢.

قال ابن رجب رحمه الله: "ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلـــوب من ذكر الله وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه وزيادة الإيمان بذلك "(١).

وكتاب الله أفضل الذكر، والمؤمنون الصادقون الكمّل هم الذين يزداد إيمانهم عند سماع آيات الله تتلى عليهم،"وذلك أنها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملاً بذلك العلم وتزيدهم تذكراً لما كانوا نسوه وعملاً بتلك التذكرة "(٢).

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣)، فإذا اطمأنّ القلب ازداد الإيمان يدل على ذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾(٤) أي: "أزداد إيماناً إلى إيماني "(٥).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٣٦).

(٣) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٦٠.

(٥) فسره بذلك مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي كما في شعب الإيمان للبيهقي (١/٧٩).

"قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١]، حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أحلى من محبة خالقها والأنس به ومعرفته وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له هذا على القول بأن ذكر الله هو ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك "[٢].

وقد جاءت السنة دالة على أن الذكر يزيد في الإيمان فقد جاء في الحديث عنه ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»**[٣].

فقول: (لا إله إلا الله) هي أفضل الذكر وهي أعلى شعب الإيمان، والناس يتفاوتون في تحقيق معناها وتفاوتهم هذا يدل على أن إيمان بعضهم أقوى من بعض وأزيد من بعض.

فهذه الكلمة العظيمة كلما رددها المؤمن ازداد إيمانه بالله.

قال محمد بن نصر المروزي رحمه الله:"وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله»**، فسمى

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٢٥٣.

(٣) سبق تخريجه ص٣١٥.

الشهادة إيماناً، فمتى ما وجدت الشهادة من قلب مخلص مصدق فهي إيمان وقائلها مزداد إيماناً إلى إيمانه ... ثم ذكر بإسناده حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«جددوا إيمانكم» قالوا: وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟! قال: « تقولوا: لا إله إلا الله»**[١].

قال أبو عبد الله: ففي هذا دلالة على أن المؤمن متى قال لا إله إلا الله مخلصاً متقرباً بذلك إلى الله كان ذلك منه إيماناً، وتحقيق ذلك الأخبار التي رويناها عن جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن بعضهم كان يقول لبعض: اجلس بنا نؤمن ساعة. يعني: نذكر الله، والذكر من أهل الإيمان إيمان متى أتوا به ازدادوا إيماناً..عن المغيرة بن الحكيم الصنعاني قال: ذكر لي أن التلبية إنما جعلت يجدد بها الإيمان ويثبت بها الإسلام "[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٥٩/٢) الحاكم في مستدركه (٢٨٥/٤) وقال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨/٢): "أخرجه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن". وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢/١): أخرجه أحمد وإسناده جيد. وقال أيضاً في المجمع (٨٢/١٠): أخرجه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات"، وقال العجلوني في كشف الخفاء (٣٩٧/١): أخرجه أحمد والحاكم والنسائي والطبراني بسند حسن.

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٧٨٦/٢-٧٨٨) (ط١/١٤٠٦ هـــ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي).

قال الشوكاني رحمه الله: "وفي الحديث[1] دليل على أن هذه الكلمة الشريفة كما كانت محصلة للإسلام ابتداء فتكون مجددة له إذا قال القائل من المسلمين المؤمنين بها فمن قال: لا إله إلا الله فقد تجدد إيمانه الحاصل من قبل، ومعلوم أن ذلك يقتضي قوة الإيمان وزيادة على ما كان عليه قبل أن يقول هذه الكلمة "[2].

كما أنه قد ورد عن عدد من الصحابة أنهم صرحوا بزيادة الإيمان بذكر الله، وأقدم من روى عنه زيادة الإيمان ونقصانه من الصحابة عمير ابن حبيب الخطمي ﷺ[3]، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال:"الإيمان يزيد وينقص "قيل: وما زيادته ونقصانه؟قال: إذا ذكرنا الله تعالى ووحدناه وسبّحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا فذاك نقصانه "[4].وقال معاذ بن جبل ﷺ: "اجلسوا بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله تعالى"[5]، وكان

---

(١) يعني حديث: «**جددوا إيمانكم**».

(٢) تحفة الذاكرين ص٣٤٩.

(٣) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٢٩٢/١٢).

(٤) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص٢٠ (ط١٤٠٣/٢ هـ، المكتب الإسلامي،بيروت تحقيق الشيخ الألباني)، وأخرجه في مصنفه (١٣/١١)، وعبدُ الله بن الإمام أحمد في السنة رقم (٦٢٤،٦٢٥)، والآجري في الشريعة ص١١١، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٧/١) رقم (٥٥) (ط١٤١٠/١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت)، ولفظه: «إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته...» إلخ واللالكائي في السنة برقم (١٧٢٠و١٧٢١)، وابن بطة في الإبانة (٨٤٥/١) رقم (١١٣١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص٤٠ برقم (١٠٥).

معاذ ﷺ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه "[١].

قال ابن حجر: "ووجه الدلالة منه ظاهرة لأنه لا يحمل على أصل الإيمان لكونه كان مؤمنا وأي مؤمن، وإنما يحمل على إرادة أن يزداد إيماناً بذكر الله تعالى"[٢].

وكان عبد الله بن رواحة ﷺ يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول تعالوا فلنؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله ولتزدادوا إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته لعله يذكرنا بمغفرته "[٣].

وكــان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله عز وجل "[٤].

وكل هذا يؤكد أهمية الذكر وأثره في زيادة الإيمان لذلك خصه الصحابة من بين سائر العبادات.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص٤١، وقال محققه الشيخ الألباني رحمه الله: "إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه أبو عبيد أيضاً رقم (٢٠).

(٢) فتح الباري (٤٨/١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص٤٤، وعلق الشيخ الألباني -رحمه الله- عليه بقوله: إسناده ضعيف لأن ابن سابط واسمه عبد الرحمن -وهو الراوي عن ابن رواحة ﷺ- لم يدرك ابن رواحة فإن هذا مات في عهد النبي ﷺ شهيداً في غزوة مؤتة.

(٤) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٢٤/٧).

وتكون زيادة الإيمان بذكر الله وذلك من وجوه عدة:

١- أن ذكر الله فيه طمأنينة القلب وطمأنينته زيادة في الإيمان كما سبق.

٢- الذكر ضد الغفلة، والغافل هو البعيد عن الله الغارق في معاصيه، التارك لطاعته؛ "لأن الغفلة تضاد العلم والتصديق والذكر، وأما دوام الاستحضار وعدم الغفلة فإنه يكمل العلم واليقين ويقوي الإيمان فالعالم بالشيء في حالة غفلته عنه دون العالم بالشيء حال ذكره له والعلم وإن كان بالقلب فالغفلة تنافي حقيقته.

فالغفلة وعدم استحضار الأوامر لها أثر في نقص كمال الإيمان وضعفه، ولهذا قال عمير بن حبيب الخطمي ﷺ: (إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه)، وكان معاذ ﷺ يقول لأصحابه:(اجلسوا بنا نؤمن ساعة).

وهذا يدلنا على أن الحذر من الغفلة واستحضار الإيمان سبب لزيادة الإيمان وعدم ذلك سبب لنقصه "[1].

٣- أن الذكر من صفات المؤمنين إذ امتلأت قلوبهم من محبة الله والإيمان به ومراقبته لا مراقبة أحد سواه، وأما المنافقون فلا يذكرون الله إلا قليلاً إذ إنهم قد امتلأت قلوبهم رياءً وسمعة وخلت من الإيمان ومراقبة الله ﷻ

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبد الرزاق العباد ص ١٥٧، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/٢٣٥).

قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١].

فذكر الله تعالى وملازمته دليل على صدق الإيمان وكلما كان العبد أكثر ذكراً كان لإيمانه بالله وحبه له أقوى وأكثر، وإن كان ذكره لله قليلاً أو معدوماً كان إيمانه ناقصاً أو معدوماً.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لامتلاء قلوبهم من الرياء فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته "[٢].

٤- مرّ معنا من فوائد الذكر أنه يورث العبد المراقبة حتى يدخله باب الإحسان.

٥- أن الذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والكلام الباطل الذي يقسي القلب وينقص من إيمانه وخشيته وخوفه، فإذا اندفعت تلك الشرور التي هي سبب لنقصان الإيمان، زاد إيمان العبد، لأن من أسباب زيادة الإيمان البعد عن المعاصي والآثام ونزغات الشيطان.

٦- أن السكينة تنــزل على من يذكرون الله، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾[٣].

---

(١) سورة النساء الآية: ١٤٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٧٤.

(٣) سورة الفتح الآية: ٤.

"وهذه نزلت لما رجع النبي ﷺ وأصحابه من الحديبية، فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان، والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه "(١).

٧- ومما يبين أن الذكر يزيد في إيمان العبد أن الكافر إذا أراد الدخول في الإسلام، فأول ما يجب عليه النطق بذكر الله وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ التي هي أفضل الذكر بعد القرآن الكريم ولا يقول عاقل: إن هذا الذي أسلم حاله بعد إسلامه هي نفسها كما كانت قبل إسلامه، بل إن إيمانه بعد هذه الكلمة سيزداد قطعاً، قال الشافعي رحمه الله: "الإقرار بالإيمان وجهان: فمن كان من أهل الأوثان ومن لا دين له يدّعي أنه دين نبوة، فإذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده رسوله فقد أقر بالإيمان"(٢).

وبالجملة فإن جميع الأذكار مشتملة على أصول الإيمان، إذ إن الذكر غالبه ثناء على الله بأسمائه وصفاته والإقرار بربوبيته وتوحيده بألوهيته وتنـــزيهه عن كل النقائص والعيوب، وغرس الإيمان بالقلوب وتعليقها بباريها علام الغيوب، واستشعار لمراقبة الله ﷻ وأنه مطلع عليه وأن الله مع الذاكر حين يذكره، وأن الله سبحانه سميع يسمع من ذكره ويذكر مَنْ ذكَره، فالذكر بمجموعه وآحاده يدل على أصول الإيمان ويزيد في الإيمان وكلما كان المرء أكثر ذكراً لله كان إيمانه أكثر وكلما كان أقل ذكراً لله كان إيمانه أقل.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٩).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١/٨٩).

مسألة: العلاقة بين مسمى الإيمان والإسلام

هذه المسألة هي من المسائل التي اختلف فيها العلماء قديماً؛ حيث إنهم اختلفوا هل الإيمان والإسلام مترادفان، أي أن لهما معنى واحداً، أو أنهما متغايران؟ ويرجع اختلافهم إلى تنوع الأدلة إذ إنه قد تنوعت دلالة النصوص من الكتاب والسنة في مسمى الإيمان والإسلام.

فتارة تدل على أن الإيمان هو معتقد القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره (الأعمال الباطنة)، وأن الإسلام عمل الجوارح واللسان (الأعمال الظاهرة)، فيكون بينهما فرق ويشهد لذلك:

قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[١].

فدلت الآية على مغايرة الإيمان للإسلام؛ إذ إن الأعراب ادّعوا الإيمان ولم يبلغوا درجته فنفاه الله عنهم ووصفهم بالدرجة التي دون الإيمان وهي الإسلام.

ومن الأدلة: حديث جبريل-عليه السلام- الطويل، وفيه معنى الإسلام وتفسيره بالشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج (الأعمال الظاهرة) وتفسير الإيمان بالأصول الستة أركان الإيمان (الأعمال الباطنة).

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٤.

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى رهطاً، وسعدٌ جالس، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا هو أعجبهم إلي فقلت يا رسول الله: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: **«أوْ مسلماً»**، فسكتُ قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال: **«أو مسلماً»** ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: **«يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار»**(١).

قال النووي رحمه الله: "وأما فقهه ومعانيه ففيه الفرق بين الإسلام والإيمان"(٢).

هذه بعض أدلة من قال بالفرق بين الإسلام والإيمان، والتفريق بين معنى الإيمان والإسلام هو قول كثير من أهل العلم(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة (١٨/١) ح٢٧، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع (١٣٢/١) ح١٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٢/٢).

(٣) وممن نُقل عنه ذلك: ابن عباس ﷺ والحسن ومحمد بن سيرين انظر: كتاب الإيمان لابن منده (٣١١/١) (ط/مؤسسة الرسالة).

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص: ٢٩ (ط/دار المعرفة، الأولى ١٤٠٨ هـ):

=

وتارة تدل النصوص على دخول الأعمال الظاهرة في مسمى الإيمان ودخول الأعمال الباطنة في الإسلام، مما يدل على أن معناهما واحد وأنهما مترادفان ومن هذه الأدلة:

قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]، وقوله:﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[3].

وحديث وفد عبد قيس وفيه أنه ﷺ أمرهم بالإيمان بالله وحده قال: **« أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»قالوا: الله ورسوله أعلم.قال:**

= "وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف منهم قتادة وداود بن أبي هند وأبو جعفر الباقر والزهري وحماد بن زيد وابن مهدي وشريك وابن أبي ذئب وأحمد بن حنبل وأبو خيثمة ويحيى بن معين وغيرهم على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما ".

وقال الزهري: الإسلام الكلمة، والإيمان: العمل "ذكره الخلال في السنة (١٠/٤) (ط١/١٤١٥هـ دار الراية الرياض تحقيق أحمد بن محمد الزهراني)، وابن منده في الإيمان (٣١١/١)، وقال يحيى بن سعيد القطان: الإيمان سوى الإسلام "انظر: السنة للخلال (١٤/٤).

(١) سورة الذاريات الآيتان: ٣٥-٣٦.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران الآية:٨٥.

« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس»[١].

فالحديث فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة والآيات دلت على أن الإسلام بمعنى الإيمان، وذهب إلى هذا القول جماعة من أهل العلم[٢].

هذا ملخص أدلة القولين لأهل العلم.

هذا وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على التفريق بين الإيمان والإسلام، فقد جاء عنه ﷺ أنه إذا ركع قال:

«اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي بصري ومخي عظمي وعصبي، وإذا رفع قال: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره،تبارك الله أحسن الخالقين»[٣].

قال النووي رحمه الله:"لك أسلمت وبك آمنت معناه لك انقدت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان (١/٥٩) ح٥٣.

(٢) منهم الشافعي والبخاري ومحمد بن نصر المروزي وابن منده والمزني وابن عبد البر وابن حزم.. انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/٤٠٢)، والإيمان لابن منده (١/٣٣١) (ط/الجامعة الإسلامية)، والتمهيد لابن عبد البر (٩/٢٤٧-٢٥٠)، والمحلى (١/٣٨) وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٤٤-١٤٥)،وفتح الباري لابن حجر (١/١١٤ -١١٥).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه: (١/٥٣٥)رقم ٧٧١.

وبك صدقت وفيه إشارة إلى الفرق بين الإيمان والإسلام "[١].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك**»[٢].

ففرق بين الإيمان والإسلام بأن عدى الإيمان بالباء والإسلام باللام، ولو كان الإيمان هو نفسه الإسلام لكان هذا تكرار، وحاشى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التكرار والعبث، قال شارح الطحاوية:

"كذلك الإسلام والإيمان: إذا قُرن أحدهما بالآخر كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٣]، **وقوله ﷺ:**

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٣٩/١٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: أبواب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك (٣٧٧/١) ١٠٦٩.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٥.

«اللهم لك أسلمت وبك آمنت»: كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر وكما قال ﷺ: **«الإسلام علانية والإيمان في القلب»**، وإذا انفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه وكما في الفقير والمسكين ونظائرهما فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا "[١].

والجمع بين الأدلة هو الأقرب للصواب وذلك بأن يقال: إن حديث جبريل عليه السلام الذي فيه السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان، اجتمع فيه الإسلام والإيمان، ففسر الإيمان بالاعتقاد (الأعمال الباطنة) وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وحديث وفد عبد القيس لم يذكر فيه إلا الإيمان وحده دون الإسلام، وفسره بالأعمال الظاهرة.

فيقال: إن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترق معناهما وإذا افترقا شمل أحدهما الآخر وهذا التفصيل اختاره جمع من الأئمة منهم:

١- الإمام البغوي[٢] رحمه الله حيث قال: "جعل النبي ﷺ في هذا الحديث -يعني حديث جبريل عليه السلام- الإسلام اسماً لما ظهر من الأعمال وجعل الإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد وليس ذلك لأن الأعمال

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٠.

(٢) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي محي السنة إمام محدّث فقيه مفسر له تصانيف جليلة منها: شرح السنة توفي سنة ٥١٦هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩) وطبقات الشافعية للسبكي (٧٥/٧) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٨١/٢).

ليست من الإيمان أو التصديق بالقلب ليس من الإسلام بل ذلك تفصيل لجملة كلها شيء واحد وجماعها الدين ولذلك قال: «**ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**»، والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، و﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾، **وقوله**: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ فأخبر أن الدين الذي رضيه ويقبله من عبـــاده هو الإسلام ولن يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل"[1].

٢ - ابن رجب الحنبلي رحمه الله حيث قال:

"وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان، وتفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينهما، وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان، فإنه يتضح بتقرير أصل وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دال على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على

(١) شرح السنة للبغوي (١/١٠)، (ط٢/١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي تحقيق زهير الشاويش)، ونقله عنه النووي في شرح مسلم (١/١٤٥).

باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي،وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة: إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله على الإنسان أن يفعله، وإذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى آخر، فقيل: المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين، أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر، وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم وقد ذكر هذا المعنى أيضا الخطابي في كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده ويدل على صحة ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان في حديث جبريل وفسر في حديث آخر الإسلام بما فسر به الإيمان "[١].

وقال رحمه الله بعد ذلك:

"وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف، فيقال: إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق، والتحقيق في الفرق بينهما أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٢٨.

وذلك يكون بالعمل، وهو الدين كما سمى الله في كتابه الإسلام ديناً، وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان ديناً، وهذا أيضاً مما يدل على أن أحد الاسمين إذا أفرد دخل فيه الآخر، وإنما يفرق بينهما حيث قرن أحد الاسمين بالآخر، فيكون حينئذ المراد بالإيمان جنس تصديق القلب وبالإسلام جنس العمل(١).

مسألة: الاستثناء في الإيمان:

الناس في الاستثناء في الإيمان -وهو قول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله- على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط فمنهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار وهذا أصح الأقوال(٢).

وأما من يجوز الاستثناء فهم أسعد الناس بالدليل من الفريقين وخير الأمور أوسطها: فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه مُنع الاستثناء وهذا

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٩، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٣٤٧-٣٤٨.

(٢) الذين يحرمونه ولا يجوزونه أبو حنيفة وأصحابه والماتريدية وقالوا: الاستثناء يقتضي الشك والذين يوجبونه هم الأشاعرة والكلابية، ويقولون: إن الذي لا يستثني يكون مبتدعاً والذين يجوزونه باعتبار ويمنعونه باعتبار هم أهل السنة والجماعة وهو القول الحق انظر: مجموع الفتاوى(١٣/٤٠-٤١)، وزيادة الإيمان ونقصانه للشيخ عبد الرزاق العباد ص٤٦٣، ٥٠١، ٥١٩.

مما لا خلاف فيه وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ۝ ﴾[1].

وفي قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ ﴾[2]

فالاستثناء حينئذٍ جائز، وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكّاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى"[3].

إن المؤمنين حق الإيمان من شأنهم أن يكونوا مشفقين خائفين حذرين قلوبهم وجلة ألاّ يقبل الله عملهم فهم لا يدرون ما الله صانع بهم، يعملون الصالحات وهم خائفون أن تضرب بها وجوههم قال تعالى في وصفهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾[4]

كما أنهم بعيدون كل البعد عن تزكية نفوسهم امتثالاً لقوله تعالى:

---

(١) سورة الأنفال الآيات: ٢-٤.

(٢) سورة الحجرات الآية:١٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٣،وانظر: مجموع الفتاوى (٦٨١/٧) (١٣/ ٤٠-٤١).

(٤) سورة المؤمنون الآية:٦٠.

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

"فلما أن لزم قلوبهم هذا الإشفاق لزموا الاستثناء في كلامهم وفي مستقبل أعمالهم فمن صفة أهل العقل والعلم أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله لا على وجه الشك ونعوذ بالله من الشك في الإيمان لأن الإيمان إقرار لله بالربوبية وخضوع له في العبودية وتصديق له في كل ما قال وأمر ونهى، فالشاك في شيء من هذا كافر لا محالة، ولكن الاستثناء يصح من وجهين:

أحدهما: نفي التزكية لئلا يشهد الإنسان على نفسه بحقائق الإيمان وكوامله فإن من قطع على نفسه بهذه الأوصاف شهد لها بالجنة وبالرضاء وبالرضوان ومن شهد لنفسه بهده الشهادة كان خليقاً بضدها ...

(ثانيهما): ويصح الاستثناء أيضاً من وجه آخر يقع على مستقبل الأعمال ومستأنف الأفعال وعلى الخاتمة وبقية الأعمار ويريد أني مؤمن إن ختم الله لي بأعمال المؤمنين وإن كنت عند الله مثبتاً في ديوان أهل الإيمان وإن كان ما أنا عليه من أفعال المؤمنين أمراً يدوم لي ويبقى علي حتى ألقى الله به ولا أدري هل أصبح وأمسي على الإيمان أم لا؟"[2].

---

(١) سورة النجم الآية: ٣٢.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري كتاب الإيمان (٢/٨٦٤-٨٦٥) (ط/دار الراية الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـــ).

"وأما مأخذ السلف في الاستثناء ووجه استثنائهم في الإيمان فالمتأمل لأقوالهم الواردة في ذلك يجد أنهم عندما كانوا يستثنون يلحظون أموراً أربعة -وإن كان في بعضها نوع تداخل ... وهي:

١- أن الإيمان المطلق شامل لكل ما أمر الله به والبعد عن كل ما ينهى ولا يدعي أحدٌ أنه جاء بذلك كله على التمام والكمال.

٢- أن الإيمان النافع هو المتقبل عند الله.

٣- البعد عن تزكية النفس، وليس هناك تزكية لها أعظم من التزكية بالإيمان.

٤- أن الاستثناء يكون في الأمور المتيقنة غير المشكوك فيها كما جاءت بذلك السنة"[١].

والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنه يجوز الاستثناء فيه "[٢].

وقال الآجري رحمه الله: "والاستثناء أيضاً يكون على اليقين: قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للشيخ عبد الرزاق العباد ص٤٦٥، وقد ساق لهذه الأوجه أدلتها وأقوال السلف فيها فلينظر هناك وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٤٦/٧) و (٤٥٠/٧) و(٦٦٦/٧-٦٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٠٥/٧).

إن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(١)، وقال النبي ﷺ: «**إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله**»، ومرّ ﷺ بأهل القبور فقال: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»، وهو يعلم أنه ميت لا محالة ولكن الله بذلك أدّب أنبياءه وأولياءه أن لا يقولوا قولاً أملوه وخافوه وأحبوه أو كرهوه إلا شرطوا مشيئة الله فيه قال إبراهيم خليل الرحمن ﷺ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾(٢).

وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾(٣).

فهذا طريق الأنبياء والعلماء والعقلاء وجميع من مضى من السلف والخلف والمؤمنين من الخلف الذين جعل الله ﷻ الاقتداء بهم هداية وسلامة واستقامة وعافية من الندامة (٤).

قال الإمام البغوي في شرح السنة عقب حديث «**وإنّا بكم لاحقون**»: "وفيه دليل على أن استعمال الاستثناء مستحب في الأحوال كلها وإن لم يكن في الأمر شـــك تبرؤاً عن الحول والقوة إلا بالله كما أخبر الله عـــن

(١) سورة الفتح الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٨.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٨٩.

(٤) الإبانة لابن بطة (٨٦٧/٢).

إسماعيل عليه السلام..."[١]، ثم ذكر آيات كريمات جاء فيها الاستثناء عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فحديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[٢].

يدل على أن الاستثناء في الأمور اليقينية جائز ولا يسمى شكاً فيجوز إذاً الاستثناء في الإيمان ولا يسمى ذلك شكاً.



(١) شرح السنة للبغوي (٥/٤٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها (٢/٦٦٩) ح٩٧٤.

المبحث الثاني:

في دلالة الذكر على وجود الله ﷻ وتوحيد الربوبية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية وبيان ما كان عليه المشركين من توحيد.

تعريف الربوبية لغة:

الربوبية: مصدر من ربّ يربّ رباً وربابة.

قال ابن فارس رحمه الله:

"(رب) الراء والباء يدل على أصول: فالأول إصلاح الشيء والقيام عليه فالربّ: المالك والخالق والصاحب، والربّ: المصلح للشيء، يقال: ربّ فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها، وهذا سقاء مربوب بالرب ... والله جل ثناؤه الرب: لأنه مصلح أحوال خلقه "[1].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله:

"الرب في الأصل: التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام يقال: ربه ورباه وربّبه ولا يقال: الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/٣٨١-٣٨٢) مادة ربّ.

الموجودات نحو قوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[(١)]، وبالإضافة يقال له ولغيره: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾... ويُقال: ربُّ الدار ورب الفرس لصاحبها وعلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ ﴾[(٢)].."[(٣)].

وقال ابن الأثير رحمه الله:

"الربّ يُطْلَقُ في اللُّغة على المالِك والسَّيِّد المُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّم والمُنْعِم ولا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى الله تعالى وإذا أُطلِقَ على غَيره أُضيف فيقال رَبُّ كذا وقد جاء في الشِّعْر مطلقاً على غير الله تعالى وليس بالكَثير"[(٤)].

وقال ابن الأنباري[(٥)] رحمه الله:

"الرب ينقسم على ثلاثة أقسام، يكون الرب: المالك، ويكون الرب: السيد المطاع، قال الله تعالى: ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾[(٦)]، ويكون الرب: المصلح "[(٧)].

---

(١) سورة سبأ الآية:١٥.

(٢) سورة يوسف الآية: ٤٢.

(٣) المفردات ص٣٣٦. (ط١/١٤١٢هـ دار القلم دمشق، تحقيق صفوان داودي).

(٤) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/١٧٩) وانظر: لسان العرب (١/٣٩٩).

(٥) أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنباري، الإمام اللغوي الأديب، ولد ببغداد سنة ٢٧١، وتوفي بها سنة ٣٢٨هـ، انظر: طبقات الحنابلة (٢/٦٩).

(٦) سورة يوسف جزء من الآية: ٤١.

(٧) تهذيب اللغة (١٥/١٧٧).

وقال الزجاجي[1] رحمه الله: "الرب: المصلح للشيء، يقال: رببت الشيء أربه ربا وربابة: إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء مالكه.. ومصدر الرب: الربوبية، وكل من ملك شيئاً فهو ربه"[2].

إذاً فكلمة الرب ترجع إلى ثلاثة أصول:

الأول: بمعنى مالك الشيء وصاحبه.

الثاني: بمعنى السيد المطاع.

الثالث: بمعنى المصلح للشيء المدبر له القائم على تربيته.

وجاء في بعض الأذكار ما يوافق المعاني اللغوية هذه وعلى سبيل المثال قول المصلي في استفتاحه الصلاة:«**إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**»، قال ابن علان رحمه الله:

"قوله: (رب العالمين) أي: مالكهم ومربيهم بسوابغ نعمه ومزايا كرمه"[3]، وهو أيضاً هنا بمعنى السيد مثل ما هو تفسير قوله تعالى في سورة الفاتحة:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾[4].

---

(١) عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم البغدادي، العلامة اللغوي النحوي ينسب إلى شيخه أبي إسحاق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣٤٠ هـ وقيل غير ذلك.

انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٤٧٥-٤٧٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله ص ٣٢، (ط٢/١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة بيروت، تحقيق د/عبد الحسين مبارك).

(٣) الفتوحات الربانية (٢/١٦٦).

(٤) سورة الفاتحة الآية: ٢.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسير هذه الآية:

"فربنا جل ثناؤه السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه والمالك الذي له الخلق والأمر"(١)

معنى توحيد الربوبية اصطلاحاً:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله جل جلاله ربُّ كل شيء ومالكه وخالقه ومدبر أمره ورازقه وأنه وحده الذي ينفع ويضر ويحيي ويميت، وأنه سبحانه وحده المتصرف بهذا الكـــون وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع بيده الخير، وإليه ترجع الأمور، وهو على كل شيء قدير.

قال ابن القيم رحمه الله: "فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره "(٢).

وقال المقريزي(٣) رحمه الله: "فإن الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده، القائم بتربيتهم وإصلاحهم، المتكفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا "(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١/٦٢).

(٢) مدارج السالكين (١/٤٣)، (ط١/١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان).

(٣) أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس تقي الدين، أحد أعلام مصر ومؤرخها، توفي سنة ٨٤٠هـ انظر: البدر الطالع (١/٧٩)، والأعلام (١/١٧٧).

(٤) تجريد التوحيد المفيد ص٥ (ط٣/١٤٠٩هـ مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تعليق طه الزيني).

وقال السفاريني رحمه الله: "توحيد الربوبية: أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت و لا موجد ولا معدم إلا الله تعالى "(١).

وقال أيضاً: "توحيد الربوبية: وهو أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال "(٢).

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد الشيخ سليمان (٣) رحمه الله:

"توحيد الربوبية والملك: هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك ...

وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لا بد أن يأتِ مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية ؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أهم مُقِرُّون بهذا التوحيد لله وحده، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ

---

(١) لوامع الأنوار البهية لشرح منظومة الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية (١/١٢٨).

(٢) نتائج الافكار شرح حديث سيد الاستغفار ص١٨٤ (ط٢/١٤٢٢هـــ دار الصميعي الرياض تحقيق عبد العزيز الهبدان).

(٣) هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، حفيد الإمام المجدد فقيه برع في التفسير والحديث والفقه ولد في الدرعية سنة ١٢٠٠هــــ وتوفي مقتولاً سنة ١٢٣٣ هــــ حيث إنه وشي عليه لإبراهيم باشا فقتله، من تصانيفه كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد. انظر: الأعلام للزركلي ١٢٩/٣.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] "[2].

إذاً: توحيد الربوبية: هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده الخالق المدبر المالك الرازق المربي لجميع خلقه بجميع النعم وأصنافها، والمربي أولياءه الصالحين تربية خاصة، وهو وحده المحيي المميت النافع الضار، فله سبحانه ملكوت السموات والأرض وهو الغني الحميد.

وقد أشار الله سبحانه إلى هذا المعنى في كثير من الآيات ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾[3].

ومن العجب العجاب أن يكون هذا التوحيد "هو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية"[4]، وزعموا أن من حققه فقد فاز وأفلح، لذا كرّسوا جهودهم وصرفوا طاقتهم ووجهوا أفكارهم كلها في إثباته وتقريره، ووضعوا مقدمات ونتائج من أجل ذلك، أدّت بهم إلى

---

(١) سورة يونس الآية:٣١.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص١٧-١٨ (طبعة مكتبة الرياض الحديثة بدون تأريخ سنة الطبع).

(٣) سورة الفرقان الآية:٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٧٩.

الانحراف في كثير من مسائل الاعتقاد، فأخطؤوا في ذلك وما أصابوا، وخلطوا بين التوحيدين -توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية- ولم يفرقوا بينهما وجعلوهما شيئاً واحداً، ولم يعرفوا حقيقة التوحيد المراد من الخلق والذي أرسلت به الرسل.

مع العلم بأن التوحيد الذي أرسلت به الرسل لأقوامها هو توحيد الألوهية، وإفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، ونبذ عبادة الأصنام وجميع الأنداد التي عُبدت من دون الله، وهذا التوحيد هو الهدف الأول والغاية العظمى من دعوة الرسل؛ وهمهم الأكبر هو إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم ومدبر أمرهم ورازقهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

فزبدة دعوة الرسل وأصلها هي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه، وهي حقيقة كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

أما توحيد الربوبية الذي يفرح أهل الفلسفة والكلام وبعض المتصوفة بأنهم حققوه، فقد كان المشركون وجميع أهل الكفر مُقِرّون به، ومعترفون جميعهم بأنه لا يوجد لهذا الكون سوى خالق واحد، بل لم يذهب إلى نقيضه طائفة من الطوائف، وبيّن الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن الكريم إقرار الكفار بأن الله خالقهم وخالق هذا الكون العظيم.

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

من ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(١)، وقال ﷻ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون الآيات: ٨٤-٩٢.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٦.

(٤) سورة يونس الآية: ٣١.

خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١].

وغير ذلك من الآيات في القرآن كثير، مما يدل على اعتراف الكفار بخالقهم وإقرارهم به[٢]، وإنما عبدوا من دون الله ما عبدوا ليجعلوهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله، ومع ذلك يتخلون عنهم إذا نــزلت بهم الشدائد ووقت الاضطرار، ومع هذا الإقرار فلم يغنِ عنهم شيئاً ولم ينتفعوا به إذ لم يصبحوا به مسلمين ولم تعصم أموالهم ولا دماؤهم ولا أعراضهم؛ لأنهم أنكروا توحيد الألوهية، وأشركوا بربهم، ولم يلتزموا بلازم ما أقروا به إذ إن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وهذا التوحيد هو من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به كل الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين والعبادة فلا يعبد إلا إياه ولا يعبده إلا بما شرع فيكون دينه كله لله "[٣].



---

(١) سورة الزخرف الآية: ٨٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٩٧)، وانظر: أيضاً: تيسير العزيز الحميد ص ١٧-١٨.

(٣) اقتضاء الصراط ص ٤٦٠ (ط٢/١٣٦٩هـ مطبعة السنة المحمدية،، القاهرة، تحقيق حامد الفقي).

المطلب الثاني:
دلائل توحيد الربوبية من خلال الأذكار

جبلَ اللهُ سبحانه وتعالى الناسَ على الإقرار بوحدانيته، وأنه سبحانه وتعالى وحده الخالق لهذا الكون المدبر له، والخلق جميعاً مفتقرون إليه وهو الغني عنهم، وهذا مؤصل في نفوس جميع الناس مهما كانت تلك النفوس، ولا ينكره أحد فالكل يقر في قرارة نفسه أنه مخلوق وأنه وجد من عدم، وأنه ما من موجود إلا وله موجِد، وكل إنسان يجد في نفسه الالتجاء إلى فاطر الأرض والسماء من بيده ملكوت كل شيء، سواء كان برضاه أو بغير رضاه، فالنفوس مفطورة على ذلك لا ينكر ذلك من له أدنى فهم وعقل ؛ "إذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خَلَقَ، و أن المخلوق مع أنه دليل و أنه يدل على الخالق، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال و معرفته فطرية مغروزة في الفطرة ضرورية بديهية أولية "[١].

ولا يُلتفت إلى بعض من ينكر ذلك فيجحد خالقه و موجده سبحانه وتعالى، ممن هو من أتباع فرعون وهامان وقارون فهم لا يعتبرون من ذوي الأفهام والعقول حتى يلتفت إليهم إذ إنهم أضل من الأنعام؛

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٣٢٤).

وذلك لأن فِطَرهم انحرفت عن الجادة والصواب وتلوثت بشوائب الأهواء والشهوات، وهم في حقيقة الأمر يخادعون أنفسهم ويكذبون عليها؛ إذ إنهم جحدوا وجود الخالق سبحانه وتعالى مع أن أنفسهم مستيقنة به، إذ إنه من المعروف لدى الناس والمنقول عن هؤلاء الكفرة أنه إذا أصابت أحدهم المصيبة ونـــزل به ضيق وكرب لجأ -لا شعورياً- بقلبه إلى الله مستغيثاً به وقد ينطق بذلك لسانه وهذا ما حدثنا به بعض الأخوة عن بعض هؤلاء الكفرة، وقد أشار إلى هذا ربنا سبحانه وتعالى بقوله:
﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

والفطرة التي فطر الله الناس عليها هي فطرة الإسلام، والشياطين لا زالت تغوي الناس لانتشالهم منها وصدهم عنها، وجعلهم في مهاوي الشرك والردى، فالله سبحانه وتعالى منذ خلق آدم عليه السلام أخرج منه ذريته وأشهدهم على أنفسهم بأنه لا ربّ لهم سواه ولا إله غيره فشهدوا على ذلك كلهم وأقروا به، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة النمل الآية: ١٤.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

فالإقرار بتوحيد الربوبية أمر فطري، والشرك أمر طارئ، زرعته الشياطين في نفوس أوليائهم، ومَنْ أقر بالرب لزمه عبادته؛ إذ لا يعقل أن يُعبد من لا يخلُق، وأكبر الذنوب أن يتخذ المرء نداً مع الله، مع أن الله هو الذي خلقه.

هذا وقد دل ذكر الله على وجود الخالق جل وعلا وربوبيته من وجهين: مجمل ومفصل.

أما الوجه الأول (المجمل):

فقد عرفنا فيما سبق أن الذكر هو الثناء على الله وأن القرآن الكريم هو أفضل الذكر.

والمتأمل في كتاب الله يجده من أوله إلى آخره ثناء على الله تعالى بالإخبار عن صفات كماله وأفعاله وجميل أحكامه وفضله وعدله جل جلاله، فقد ابتدأ القرآن الكريم بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى وذلك في سورة الفاتحة، واختتم بصفات الجلال والكمال والوحدانية والصمدية والتفرد بالربوبية والملك والألوهية في سورة الإخلاص والمعوذتين، فهذا الثناء يتضمن الإيمان بربوبية الله تعالى ففي كل آية من آيات الله توحيد.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولاً كلياً: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله

فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمرٌ ونهي وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(١).

وهكذا في أحاديث الأذكار تجد المسلم عندما يلهج لسانه بأي ذكرٍ كان، سواء كان مطلقاً أم مقيداً يعتقد وهو يذكر بهذا الذكر أنه يذكر رباً خالقاً رازقاً مدبراً معيناً يسمع ما يقول من ذكر وثناء عليه، وأنه بذكره يتقرب إلى ربه ومولاه، إذ إنه لا يصح في الذهن مطلقاً أن رجلاً يذكر شيئاً ويثني عليه بصفات المدح مع اعتقاده عدم وجود هذا الشيء الممدوح، فالعبد إذا ذكر ربه تضمن ذلك أنه يعتقد بوجود الرب سبحانه وتعالى ثم يلزمه الإيمان بربوبيته، ومما يدل على ذلك أنه كلما ازداد ذكره لربه ازداد إيمانه بربه تبارك وتعالى وتعلقه به ومحبته له وزيادة إيمانه بالثناء على ربه، وهذا أكبر دليل على وجود الرب سبحانه وتعالى.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٤٩-٤٥٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما يبين فضل الثناء على الدعاء أن الثناء المشروع يستلزم الإيمان بالله"(١) من جميع وجوه الإيمان سواء الإيمان بوجوده أوربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، فذكره سبحانه وتعالى لا يُمَل بل يشرح الصدر ويزيد الإيمان، وكلما ذكر العبد ربه أكثر فأكثر ازداد يقيناً بربه وعلماً ومعرفة وحباً وإنابة.

أما الوجه الثاني: (التفصيل):

فكثير من أحاديث الأذكار نصّت على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونصت على التصريح بالربوبية لله تعالى، كما نصت أيضاً على بعض الدلالات والطرق التي يستدل بها على الرب سبحانه وتعالى، فهذه ثلاثة أمور:

أ- فأما الأحاديث التي نصت على الإيمان بالله تعالى فمنها:

١) ما صح عنه ﷺ أنه كان يقول في ركوعه وفي سجوده: **«اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، وإذا رفع قال: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره،تبارك الله أحسن الخالقين»**(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٨٢).

(٢) سبق تخريجه ص٣٣٤.

فقوله: (وبك آمنت) أي: بك وجوداً وكمالاً وإنعاماً وإفضالاً آمنت، وآمنت بأنك الرب والإله الذي يستحق العبادة دون أحد سواه، كما آمنت بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ؛ إذ إن الإيمان بالله وكما هو معلوم يتضمن أربعة أمور[1]:

١- الإيمان بوجود الله تعالى، وقد دل على وجوده دلائل كثيرة.

٢- الإيمان بربوبية الله تبارك وتعالى بأنه المتفرد بالخلق والأمر والتدبير.

٣ ـــ الإيمان بألوهيته تبارك وتعالى.

٤ ـــ الإيمان بأسمائه وصفاته.

٢) ومن ذلك قوله ﷺ: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون** »[2].

وكذلك قوله هنا: (وبك آمنت) يدخل تحته الأمور الأربعة الآنفة الذكر.

٣) وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٥/١٠٧-١١٥) (ط٢/١٤١٤ هـــ، دار الثريا، الرياض).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل: ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ ح/٧٣٨٣، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح/٦٧.

عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت**... الحديث»(١).

وهذا الحديث فيه دلالتان:

الأولى: قوله: (أنت الحق)، فالله سبحانه وجوده حق وربوبيته حق وألوهيته حق وأسماؤه وصفاته حق، قال ابن حجر رحمه الله: "ونقل البيهقي في كتاب الأسماء والصفات عن الحليمي قال: الحق ما لا يسيغ إنكاره ويلزم إثباته والاعتراف به، ووجود الباري أولى ما يجب الاعتراف به ولا يسيغ جحوده إذ لا مثبت تظاهرت عليه البينة الباهرة ما تظاهرت على وجوده سبحانه وتعالى "(٢).

---

(١) سبق تخريجه ص٣٣٥.

(٢) فتح الباري (٣٧٢/١٣) و(٤/٣)، وانظر: المنهاج للحليمي (٨٨/١) والأسماء والصفات للبيهقي (٤٥/١) (ط١٤١٣/١هـ الناشر مكتبة السوادي جدة)، وكلام الحليمي هذا اقتصر على وجود الرب سبحانه، والحديث أشمل من هذا فهو يدل على ربوبية الله ﷻ وألوهيته وأسمائه وصفاته فهي كلها حق لله سبحانه لا يشركه فيها أحد كائن من كان.

وقال القرطبي رحمه الله:"فقوله: (أنت الحق) أي: الواجب الوجود، وأصله: من حق الشيء أي ثبت ووجب وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة إذ وجوده لنفسه لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق بعدم ويجوز عليه لحاق العدم ووجوده من موجده لا من نفسه وباعتبار هذا المعنى كان أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل"[(١)].

وقال النووي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: (أنت الحق) قال العلماء: الحق في أسمائه سبحانه وتعالى معناه المتحقق وجوده وكل شيء صح وجوده وتحقق فهو حق ومنه الحاقة أي الكائنة حقا بغير شك "[(٢)].

وأما دلالة الحديث الثانية على الإيمان بوجود الله وبربوبيته: ففي قوله ﷺ : (وبك آمنت).

ب ـــ وأما الأحاديث التي صرحت بربوبية الله، وأنه ربنا ورب السموات والأرض ورب العرش العظيم وأنه رب الملائكة، وهو رب العالمين ورب كل شيء ومليكه فكثيرة جداً نذكر منها ما يلي:

١) عن أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٣٣٦).

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٥٥).

وسلم علمها كلمات تقولهن عند الكرب: «**الله، الله ربي لا أشرك به شيئا**»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[(٢)].

٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنـــزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء،اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب في للاستغفار (٢/٨٧) ح١٥٢٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة ص٤١٢ ح ٦٤٧، وابن ماجة في الدعاء: باب الدعاء عند الكرب ح٣٨٨٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٦٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات: باب الدعاء عند الكرب (٥/٢٣٣٦) ح ٥٩٨٦، وأخرجه مسلم :كتاب الذكر والدعاء، باب الدعاء عند الكرب (٤/٢٠٩٢) ح ٢٧٣٠.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٤/٢٠٨٤) ح ٢٧١٣.

٣) وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده:

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[١].

٤) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: **«قل اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه قال قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»**[٢].

قال ابن علان رحمه الله: "رب كل شيء أي خالقه ومربيه ومصلحه (ومليكه) أي: ملكه ومالكه "[٣].

"فهو رب جميع العالم ربوبية شاملة لجميع ما في العالم من ذوات وأفعال وأحوال "[٤].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود (٣٥٣/١)ح٤٨٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤/١،١٠،٩)، و أخرجه أبو داود : كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٦/٤) ح٥٠٦٧، وأخرجه الترمذي في سننه (٤٦٧/٥) ح٣٣٩٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم في المستدرك (٦٩٤/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال المقدسي في الأحاديث المختارة (١١٣/١): إسناده صحيح.

(٣) الفتوحات الربانية (١٥٩/٣).

(٤) الروح لابن القيم ص ١٢٦.

٥) وحديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده والاعتراف بأنه خالق العالم به إذ إنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصير فيه والاعتراف بأنه عبده الذي ناصيته بيده وفي قبضته لا مهرب له منه ولا ولي له سواه "(٢).

وقال أيضاً رحمه الله:"فأقر بتوحيد الربوبية المتضمن لانفراده سبحانه بالخلق وعموم المشيئة ونفوذها وتوحيد الإلهية المتضمن لمحبته وعبادته "(٣)

وقال السفاريني رحمه الله: "في قـوله عليه الصـلاة والسلام: **«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت»**: إثبات لتوحيد الربوبية وتوحيد

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣١.

(٢) مدارج السالكين (١/٢٢١).

(٣) طريق الهجرتين (١/٢٦٤) (ط٢/١٤١٤هـ، دار ابن القيم، الدمام، تحقيق عمر بن محمود).

الإلهية؛ لأن قوله: « **اللهم أنت ربي**»؛ أي: لا غيرك ؛ فليس لي رب ولا خالق ســـواك: توحيد الربوبية، ولهذا أعْقَبَه بقوله: «**خلقتني...**» إلخ وقوله: «**لا إله إلا أنت**» توحيد للإلهية؛ أي: ليس لي معبود ولا مألوه إلا أنت"[1].

فالأحاديث السابقة الذكر تدل على أن الله سبحانه هو خالق هذا الكون علويّه وسفلّيه ومربّي أهله ومدبر أمورهم ومصلح أحوالهم ومسبغ عليهم النعم المتوالية التي لو انقطعت عنهم طرفة عين لهلكوا، فهم محتاجون إليه غير مستغنين عنه تبارك وتعالى، وهو سبحانه غني عنهم غير محتاج، فهو سبحانه حيٌّ قيوم قائم بنفسه مقيم لغيره وقائم بشؤون خلقه وأحوالهم ومصالحهم.

ج- وأما أحاديث الأذكار التي أشارت إلى دلائل توحيد الربوبية

فعند تأملها نجدها قد دلت على بعض الطرق التي هي من منهج الاستدلال في القرآن الكريم وهذه الدلائل هي:

١- الفطرة والعهد:

إن معرفة الخالق والإقرار بوجوده تبارك وتعالى وربوبيته أمر بدهي مغروس في نفوس الناس وفطرهم، إذ لو تُرك الإنسان في مكان خالٍ لا يوجد فيه أحد بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية، وعن كل الشوائب

---

(١) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار للسفاريني ص ١٨٣.

العقدية، لاستطاع بفطرته أن يعرف أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً ومتصرفاً، ثم بفطرته يتوجه لمحبة خالقه، كما أن الرضيع بفطرته يتوجه لِلَقْم الثدي وحبِّ اللبن، ومن هنا نعلم أن من أنكر وجود الخالق جل جلاله من الملحدين إنما أُتوا من انحراف فطرهم ومن تأثير الشياطين عليهم وتلاعبهم بهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"والذين أظهروا إنكار الصانع كفرعون خاطبتهم الرسل خطاب من يعرف أنه حق كقول موسى لفرعون: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، ولما قال فرعون: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2] قال له موسى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] "[4].

ودليل الفطرة هذا دل عليه القرآن الكريم الذي فيه أكمل الدلالات وأحسن الطرق لمعرفة الله وأشملها، والتي تحتوي على الحجج الباهرة

---

(١) سورة الإسراء الآية: ١٠٢.

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢٣.

(٣) سورة الشعراء الآيات ٢٤- ٢٨

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/٢٧٠) (ط١/١٤٠٦هـ، مؤسسة قرطبة، محمد رشاد سالم).

والبراهين القاطعة التي من شأنها أن تهدي كل ضال وتدحض شبهة كل مفترٍ ومنكر لوجود الله. وقرر هذا الدليل -أي دليل الفطرة- جمهور المسلمين وعليه أكثر الناس وتدل عليه العقول الصحيحة[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"كون الخلق مفطورين على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة وهو معروف بدلائل العقول كما قد بسط في مواضع وبين أن الإقرار بالخالق فطري ضروري في جبلات الناس، لكن من الناس من فسدت فطرته، فاحتاج إلى دواء بمنـــزلة السفسطة التي تعرض لكثير من الناس في كثير من المعارف الضرورية، كما قد بسط في غير هذا الموضع "[2].

قال تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

(١) انظر: درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٥/٣) و(٣٠٢/٧) و(٤٤/٩) (ط/١٣٩١هـ دار الكنوز الأدبية الرياض، تحقيق محمد رشاد سالم)، ورسالة في قنوت الأشياء له ص١٤ (ط/في مصر، تحقيق محمد رشاد سالم)، وبيان تلبيس الجهمية له أيضاً (٤٧٣/٢) (ط١/١٣٩٢هـ،مطبعة الحكومة مكة، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم)، ومنهاج السنة النبوية (٢٧٠/٢)، وشفاء العليل لابن القيم ص(٢٥٣، ٣٠٢).

(٢) رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى ضمن جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٣٠.

فالفطرة المقصود بها هنا الإسلام كما هو المشهور عند عامة السلف، فالله جل جلاله فطر الناس على دين الإسلام والتوحيد.

قال ابن حجر رحمه الله:"وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾: الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في آخر حديث الباب اقرؤوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾"(١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه المشار إليه هو ما ورد في الصحيح أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(٢) (٣).

---

(١) فتح الباري (٣/٢٤٨)، وانظر: تفسير الطبري (٢١/٤١٩)، والتمهيد لابن عبد البر (١٨/٩٠-٩١)، ودرء التعارض (٨/٣٦٧).

(٢) سورة الروم جزء من الآية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات يصلى عليه (١/٤٥٦)ح ١٢٩٣، ومسلم: كتاب القدر، باب ما جاء في كل مولود يولد على الفطرة (٤/٢٠٤٧) ح ٢٦٥٨.

وفي الحديث القدسي يقول تبارك وتعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[(١)].

ومعنى (حنفاء) أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام"[(٢)].

ومن أجل أهمية الفطرة في دلالة الناس على ربهم وتعريفهم به، كان ﷺ إذا أصبح أو أمسى يقرر أنه يصبح و يمسي على هذه الفطرة فطرة الإسلام وأنها لم تتأثر بالمؤثرات والعوارض الخارجية من نزغات الشياطين ووساوسهم فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «**أصبحنا أو أمسينا على فطرة الإسلام وعلى كلـمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢١٩٧/٤) ح ٢٨٦٥.

(٢) تفسير القرطبي (١٤٤/٢٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٠٦/٣و٤٠٧) و أخرجه أيضاً في مسنده (١٢٣/٥) عن أبي ابن كعب -رضي الله عنه – بلفظ: كان رسول الله ﷺ يعلمنا إذا أصبحنا: أصبحنا على فطرة الإسلام...الحديث والنسائي في عمل اليوم والليلة ح ١،٢،٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٤/٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١١٦/١٠): "أخرجه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح"، وقال محقق مسند الإمام أحمد شعيبُ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين". انظر: المسند (٧٧/٢٤) من النسخة المحققة. وصححه الألباني في الصحيحة ح٢٩٨٩.

فقد أكد على سلامة الفطرة من الانحراف بقوله: «**وعلى كلمة الإخلاص**» وهي الشهادة: لا إله إلا الله، وبقوله: «**وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**» وهو الدين الإسلامي وبقوله: «**وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً..**» أي: مائلاً عن كل ما يخالف هذه الفطرة من الأديان والعقائد الفاسدة التي تنكر الرب سبحانه وتعالى أو تزعم أن معه شريكاً في ملكه أو عبوديته، إلى الإسلام الخالص.

فإذا حقق توحيد الألوهية كان توحيد الربوبية محققاً؛ لأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وبذلك تكون الفطرة قد دلت على توحيد الربوبية.

قال ابن القيم رحمه الله:

"ولهذا أوصى نبيه محمدا أن يتبع ملة إبراهيم وكان يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: «**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين**»، فملّة إبراهيم التوحيد ودين محمد ما جاء به من عند الله قولا وعملا واعتقاداً، وكلمة الإخلاص هي شهادة أن لا إله إلا الله وفطرة الإسلام هي ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له والاستسلام له عبودية وذلاً وانقياداً وإنابة فهذا هو توحيد خاصة الخاصة الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء"(١).

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٨١).

وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده لها صلة وارتباط وثيق بالعهد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على بني آدم وهم في عالم الذر كما أشار الله بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[1].

فهذا العهد والميثاق الذي أخذه الله جل جلاله على الناس مضمونه الاعتراف والإقرار بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا، فمن الناس من حافظ على ذلك العهد وقام بمقتضاه ولازمه من عبادة ربه وحده لا شريك له وتوحيده وصدق رسل الله وآمن بهم وبما جاءوا به، ومن الناس من تغيرت فطرته وانحرفت واجتالته الشياطين -والعياذ بالله- فنسي ما شهد عليه وما جُبل عليه من الإقرار بربوبية الله ﷻ فوقع في الكفر والإلحاد، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾[2].

مع أن الله سبحانه وتعالى لم يترك عباده سُدى بل أرسل لهم الرسل وأنـــزل معهم الكتب ليذكّروا الناس بهذا الإشهاد وهذا العهد والميثاق.

---

(١) سورة الأعراف الآيتان: ١٧٢-١٧٣.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٠.

ولكي يبقى المسلم متذكراً هذا العهد الذي أخذه الله عليه في عالم الذر فقد علّم رسول الله ﷺ أصحابه ذكراً يقولونه في الصباح والمساء، ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال:«**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك، ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»(١).

قال السفاريني رحمه الله:"قوله: (وأنا على عهدك)؛ أي: ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك، لا أزول عنه"(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: "وقال ابن بطال قوله: (وأنا على عهدك ووعدك) يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه"(٣).

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣١.

(٢) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار للسفاريني ص ٢٤٠. وهناك معنى آخر لقوله:(وأنا على عهدك) أي: "وأنا على عهدك من امتثال ما أمرتني به، واجتناب ما نهيتني عنه" انظر: نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار ص ٢٤٥.

قلت: ولا مانع من أن يشتمل الحديث على المعنيين إذ لا تنافي بينهما ؛ إذ من عاهد الله على الإيمان به والإقرار بوحدانيته لزمه امتثال أوامره واجتناب نواهيه وملازمة ذلك والله أعلم.

(٣) فتح الباري (٩٩/١١).

فهذا الذكر العظيم من داوم عليه يومياً ولازمه حفظ نفسه- بإذن الله تعالى- من انحراف فطرته وتغيّرها، ووفّى بعهده الذي بينه وبين ربه فكان ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾﴾[1]

فالعهد هنا في الآية عام فيما بين العبد وربه وفيما بينه وبين الناس والله أعلم[2].

٢- النظر في المخلوقات:

إن الناظر في هذا الكون المتسع المحكم الصنع، والمنتظم انتظاماً ملفتاً للعقول مبهراً للأنظار، وما حواه من العجائب والمخلوقات في البر والبحر من اختلاف أنواعها وأجناسها وأشكالها، لا يمكن أبداً أن يعتقد أن هذا الانتظام الدقيق والابداع المتقن في هذا الكون الفسيح وما فيه من مخلوقات جاء عن عبث أو أوجد نفسه هكذا أو جاء صدفة، بل لا بد أن يشهد في قرارة نفسه أن وراء هذا الكون من سموات وأرضين ومافيهما من مخلوقات خالقاً له ومدبراً لأموره ومحكماً لخلقه ومبدعاً فيه. وهذا الخالق يتصف بصفات الكمال فهو حكيم عليم خبير عظيم السلطان والقوة؛وذلك لأن المعروف لدى العقلاء جميعاً أن لكل مصنوع صانعاً، وهذا الأعرابي صاحب النظر السليم الذي عاش في البادية وسكن الصحراء لما سُئل بم عرفت ربك؟ أجاب: "إن البعرة تدل على البعير، وإن

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٣٤.

(٢) انظر: نتائج الأفكار للسفاريني ص٢٤٤.

أثر الأقدام لتدل على المسير، فأرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج و بحار ذات أمواج ألا تدل على اللطيف الخبير[١]؟!!

لذلك صاحب العقل الصحيح ينكر على من يشك بخالقه، إذكيف تطرّق له الشك وأدلة الخالق أمام ناظريه؟! فلو نظر بطرف عينه إلى السماء أو الأرض نظرة تفكر لانتفى عنه ذلك الشك إن كان مريداً للحق ولذلك أنكرت الرسل عليهم الصلاة والسلام لمن قال لهم من الكفار إنا في شك من دعوتكم وفي ريب، فقالت الرسل رداً عليهم فيما حكاه الله عنهم: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "(أفي الله شك) أي: أَيُشَكُّ في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده، وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول، فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى، ثم نبهوا على الدليل بقولهم فاطر السموات والأرض، وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه يقول:كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥٩/١).

(٢) سورة إبراهيم الآية: ١٠.

ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهِمهَما"[١].

هذا وقد دعا الله سبحانه في كتابه الكريم الناس في آيات كثيرة للنظر والتأمل في هذا الكون من سماء وأرض وما فيهما من عجائب المخلوقات التي تزيل الشكوك والظنون الفاسدة عن قلب الإنسان، وتزيد في إيمانه ويقينه بربه خالقه ورازقه.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١ ﴾[٢]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾[٥].

وغير ذلك من الآيات الداعية للنظر والتفكر كثيرة جداً في القرآن الكريم.

---

(١) مدارج السالكين (٥٩/١).

(٢) سورة يونس الآية: ١٠١.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٥.

(٤) سورة فصلت الآية: ٥٣.

(٥) سورة الذاريات الآيتان: ٢٠-٢١.

فإذا تأمل العبد ما دعاه إليه ربُّه للتأمل فيه أدى إليه تأملُه بالعلم بوحدانية الله ﷻ والعلم بكمال صفاته.

قال ابن القيم رحمه الله: "وتأمل حال العالم كله علويه وسفليه بجميع أجزائه تجده شاهداً بإثبات صانعه وفاطره ومليكه، فإنكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنـــزلة إنكار العلم وجحده لا فرق بينهما، بل دلالة الخالق على المخلوق، والفعّال على الفعل، والصانع على أحوال المصنوع عند العقول الزكية المشرقة العلوية والفطر الصحيحة أظهر من العكس، فالعارفون أرباب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليه، ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق، والقرآن مشتمل عليهما، فأما الاستدلال بالصنعة فكثير وأما الاستدلال بالصانع فله شأن وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]"[٢].

وهذه الآيات والدلائل التي دعانا سبحانه وتعالى أن ننظر ونتفكر فيها يتضح من خلال النصين القرآنيين الآخيرين اللذين أوردناهما قبل قليل أنها تنقسم إلى قسمين: منها ما يتعلق بالكون وهو دليل الآفاق، ومنها ما يتعلق بالإنسان ويسمى دليل الأنفس.

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ١٠.

(٢) مدارج السالكين (٥٩/١).

فأما الدليل الأول: فهو دليل الآفاق:

وهذا الدليل كما قلنا أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[(١)].

"فقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ ﴾ أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا "[(٢)]، وقوله: ﴿ فِى ٱلْـَٔافَاقِ ﴾ يعني أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق والصواعق والنبات"[(٣)]، وغير ذلك مما فيهما من عجائب خلق الله.

وقال جل جلاله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[(٤)].

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال وأودية وبراري وقفار وأشجار وأنهار وثمار وبحار، كل ذلك

---

(١) سورة فصلت جزء من الآية: ٥٣.

(٢) تفسير القرطبي (١٥/٣٧٤).

(٣) نقله القرطبي في تفسيره (١٥/٣٧٤) عن عطاء وابن زيد رحمهما الله.

(٤) سورة العنكبوت الآيتان: ١٩-٢٠.

دال على حدوثها في أنفسها وعلى وجود صانعها الفاعل المختارالذى يقول للشئ كن فيكون، ولهذا قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾، **كقوله تعالى**: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[١].

ثم قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴾، أي يوم القيامة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾"[٢].

وقد ورد في بعض أحاديث الأذكار ما يدل على أن الله خلق السموات والأرض، وخلقه سبحانه لهن لم يكن عبثاً بل لحكمة ومن ذلك الاستدلال بهذا الخلق وما فيه من عجائب على خالقه:

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا المشركين...**» الحديث[٣].

قال ابن علان رحمه الله: "قوله: (للذي فطر السموات والأرض)

---

(١) سورة الروم جزء من الآية: ٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٠٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٥٣٤)ح٧٧١.

أي: أوجدهما وأبدعهما واخترعهما على غير مثال سابق"[(١)].

فالذي فطر السموات والأرض وأبدعهما وخلق فيهما من عجائب قدرته الدالة عليه هو الذي يستحق أن تتوجه الوجوه إليه وتقصده في عبادتها وتترك ما سواه من المخلوقين الذين لا يستطيعون خلق ولو ذبابة، قال سبحانه وتعالى مخبراً عن آلهة الكفار:﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[(٢)].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه قالت:كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**[(٣)].

فاستهل استفتاحه ﷺ بالثناء على الله سبحانه وتعالى بأنه رب المخلوقات العظيمة، فهو رب الملائكة الكرام، وهو رب كل شيء،

---

(١) الفتوحات الربانية (٢/١٦٥).

(٢) سورة النحل الآية: ٢٠-٢١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤)ح ٧٧٠.

وخص هؤلاء الملائكة بالذكر هنا لتشريفهم وفضلهم، فهم موكلون بالحياة، فجبريل عليه السلام موكل بالوحي الذي فيه حياة القلوب، وميكائيل موكل بالقطر والنبات الذي فيه حياة الأبدان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور وفيه حياة الأرواح والأبدان بعد موتها، ثم أثنى عليه بأنه هو خالق السموات والأرض وما فيهما من دلائل ربوبيته جل جلاله.

والاستدلال بخلق السموات والأرض على ربوبية الله ﷻ، هو دليل سمعي عقلي ورد في كتاب الله في مواضع كثيرة واستدل به الرسل صلوات الله عليهم وسلامه فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو يدعو قومه لعبادة الله تعالى وحده ويستدل لهم على ذلك: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾(٢).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "فجمع لهم بين الدليل العقلي والدليل السمعي.

أما الدليل العقلي: فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٥٦.

إبراهيم أن الله وحده الخالق لجميع المخلوقات من بني آدم والملائكة والجن والبهائم والسموات والأرض المدبر لهن بجميع أنواع التدبير، فيكون كل مخلوق مفطوراً مدَّبراً متصرَفاً فيه، ودخل في ذلك جميع ما عبد من دون الله.

أفيليق عند من له أدنى مسكة عقل وتمييز أن يعبد مخلوقاً متصرفاً فيه، لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر؟ "[1].

وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله: "فأما معنى قوله لآيات فإنه علامات ودلالات على أن خالق ذلك كله ومنشئه إله واحد لقوم يعقلون لمن عقل مواضع الحجج وفهم عن الله أدلته على وحدانيته"[3].

وقال أيضاً رحمه الله عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٧٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

(٣) تفسير الطبري (٢/٦٥).

(٤) سورة يونس الآية: ٦.

"يقول تعالى ذكره منبهاً عباده على موضع الدلالة على ربوبيته وأنه خالق كل ما دونه: إن في اعتقاب الليل والنهار واعتقاب النهار الليل إذا ذهب هذا جاء هذا وإذا جاء هذا ذهب هذا، وفيما خلق الله في السماوات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من عجائب الخلق الدالة على أن لها صانعا ليس كمثله شيء ﴿لَآيَات﴾ يقول لأدلة وحججاً وأعلاماً واضحة"[1].

وأما عن خلق الأرض وما فيها من دلائل على خالقها ومبدع ما فيها، والتي حث الله جل جلاله عبادَه النظر فيها والتفكر بما فيها من آيات بقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾[2].

فيقول ابن القيم رحمه الله: "وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشاً ومهاداً، وذللها لعباده وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال فجعلها أوتاداً تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدها وبسطها وطحاها فوسعها من جوانبها... إلخ"[3].

---

(١) تفسير الطبري (١١/٨٦ -٨٧)

(٢) سورة الغاشية الآيات: ١٧-٢٠.

(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٩٩).

ومن الدلائل التي في الأرض والتي دلت عليها بعض أحاديث الأذكار وهي تدل على الخالق جل جلاله وعظيم قدرته ودقة صنعته فلقُ الحب والنوى وهي برهان قاطع للمتأمل فيها حق التأمل على أن وراء هذا بارئاً عظيماً وقادراً حكيماً.

ففي الحديث الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه قال: «**اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منـــزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول وليس قبلك شيء وأنت الآخر وليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**»[١].

فهذا الحديث يدل على أن الله هو فالق الحب والنوى، وهذه آية من الآيات الكثيرة التي تدل على الله سبحانه وتعالى، ومعنى (فالق الحب والنـــوى):"أي: شاقّ الحبة فيخرج منها سنبلة، والنواة فيخرج منها نخلة "[٢].

وقال سبحانه وتعالى مثنياً على نفسه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ

(١) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٢) المفهم في شرح مسلم للقرطبي (٤١/٧)(ط١/١٤١٧هـــ دار ابن كثير دمشق تحقيق محي الدين مستو وجماعة).

يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عن كماله وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه وشدة عنايته بخلقه، فقال: ﴿ إن الله فالق الحب ﴾ شامل لكل الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشروها؛ كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار. فيفلق الحبوب عن الزروع والنباتات، على اختلاف أنواعها وأشكالها ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار من النخيل والفواكه وغير ذلك. فينتفع بها الخلق من الآدميين والأنعام والدواب ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك ويريهم الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول. ويريهم من بدائع صنعه، وكمال حكمته ما به يعرفونه ويوحدونه ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة"[2].

فعلاً إن ذلك ليدْعُ العاقل للعجب إذ كيف تنشق الحبة والنواة وهي يابسة ويخرج منها الخضار من النباتات والأشجار وتدب فيها الحياة، وهذا مظهر من مظاهر إخراج الحي من الميت، لذلك أتبع ثناءه سبحانه على نفسه في الآية أنه فالق الحب والنوى بثنائه على نفسه تبارك وتعالى بأنه يخرج الحي من الميت، وكل هذا آيات ودلائل تدل على كماله

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٩٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٢٧.

وقدرته وحكمته سبحانه وتعالى.

ويقول ابن القيم رحمه الله موضحاً كيفية فلق الحب والنوى ودلالتها على الخالق جل وعلا: "فسبحان من جعل السماء كالأب، والأرض كالأم، والقطر كالماء الذي ينعقد منه الولد، فإذا حصل الحب في الأرض، ووقع عليه الماء أثرت نداوة الطين فيه، وأعانتها السخونة المختفية في باطن الأرض، فوصلت النداوة والحرارة إلى باطن الحبة فاتسعت الحبة وربت وانتفخت وانفلقت عن ساقين ساق من فوقها وهو الشجرة وساق من تحتها وهو العرق، ثم عظُم ذلك الولد حتى لم يبق لأبيه نسبة إليه ثم وضع من الأولاد بعد أبيه آلافاً مؤلفة، كل ذلك صنع الرب الحكيم في حبة واحدة لعلها تبلغ في الصغر إلى الغاية، وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الأم، فيا لها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق وصفات كماله وأفعاله، وعلى صدق رسله فيما أخبروا به عنه بإخراج من في القبور ليوم البعث والنشور، فتأمل اجتماع هذه العناصر الأربعة وتجاورها وامتزاجها وحاجة بعضها إلى بعض وانفصال بعضها عن بعض وتأثيره فيه وتأثره به بحيث لا يمكنه إلا الاتباع من التأثر والانفعال ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغني عن صاحبه، وفي ذلك أظهر دلالة على أنها مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة حادثة بعد عدمها فقيرة إلى موجد غنيّ عنها مؤثر غير متأثر،قديم غير حادث تنقاد المخلوقات كلها لقدرته وتجيب داعي مشيئته وتلبي داعي وحدانيته وربوبيته وتشهد

بعلمه وحكمته وتدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته وتحذرهم من بأسه ونقمته وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته"(١).

وأما الدليل الثاني: دليل الأنفس:

إن خلق الإنسان وما أودع الله فيه من حواس وأعضاء وأخلاط، ووضْع كل عضو في موضعه المناسب، وأداء كل عضو وظيفته باتزان واتساق، وما يطرأ على الإنسان من تغيرات في جميع أطواره منذ الصغر وحتى الكبر، هو من أعظم الأدلة الدالة على وجود الخالق ومدبر أمور الكون، كما يدل على حكمة الخالق وقدرته.

وهذا الاستدلال من أحسن الأدلة وأقومها وأصح الطرق وأرشدها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة وهي طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها، وهي عقلية فإن نفس كون الإنسان حادثاً بعد أن لم يكن، ومولوداً ومخلوقاً من نطفة ثم من علقة هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم سواء أخبر به الرسول أو لم يخبر، لكن الرسول أمر أن يستدل به ودلّ به وبيّنه واحتجّ به، فهو دليل شرعي لأن الشارع استدل به وأمر أن يستدل به، وهو عقلي لأنه بالعقل تعلم صحته وكثير

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ص ١٨٧-١٨٨ (ط/دار الفكر بدون تاريخ).

من المتنازعين في المعرفة هل تحصل بالشرع أو بالعقل لا يسلكونه وهو عقلي شرعي"[١].

وجاءت **أحاديث الأذكار** لتؤكد أن الله وحده هو الذي خلق الإنسان وأودع فيه السمع والبصر، وأن خلق الإنسان دليل من أدلة ربوبية الله ﷻ.

ففي حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... »الحديث** "[٢].

فلما أقر بربوبية الله بقوله: (**أنت ربي**)، وبألوهيته بقوله: (**لا إله إلا أنت**) أتْبَعَ ذلك بما يدل عليهما وهو قوله: (**خلقتني**) وهذا أكبر دليل على أنك أنت الرب لأن الرب من شأنه أن يخلق ويدبر أمور خلقه، وعلى أنك أنت المعبود لا إله غيرك لأنك أنعمت عليّ فخلقتني وأوجدتني من العدم و لم أكن شيئاً مذكوراً، قال السفاريني رحمه الله:

"وقوله عليه الصلاةوالسلام (خلقتني): راجع إلى توحيد الربوبية؛

---

(١) النبوات ص١٥٢ (ط/١٣٨٦هـــ، المطبعة السلفية، القاهرة).

(٢) سبق تخريجه ص٢٣١.

لأن الله جل ثناؤه هو الخالق العالم وحده لا شريك له و لا وزير له سبحانه وتعالى"[١].

وكان رسول الله ﷺ إذا سجد يقول: «**اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**»[٢].

"للذي خلقه وشق سمعه وبصره تخصيص بعد تعميم أي فتحهما وأعطاهما الإدراك وأثبت لهما الإمداد بعد الإيجاد"[٣].

ففيه الدلالة على أن الله خلق الإنسان وصور وجهه في أحسن صورة وشق له السمع من أذنين دقيقتي الصنع وشقَّ له البصر في عينين بديعتي الخلقة. فسبحانه وتعالى ما أعظمه.

ومن المعلوم أن المصلي عند سجوده تسجد جميع أعضائه لله تعالى، وخص الوجه هنا بالذكر وبأن الله خلقه؛ لأنه أشرف الأعضاء في الجسد فإذا سجد وخضع لله فغيره من باب أولى[٤].

والمتأمل في سمعه وبصره فقط ليجد عجيب صنع الله وقدرتهإذ فيهما آيات واضحة دالة على الله سبحانه وتعالى، فانظر إلى الأذن -حاسة

---

(١) نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار ص ٢٠٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٤.

(٣) عون المعبود (٢٠٣/٤) (ط٢/١٤١٥هـ دار الكتب العلمية بيروت).

(٤) انظر: الفتوحات الربانية (٢٦٥/٢).

السمع- وتجاويفها وانثناءاتها كيف تتجمع فيها الأصوات ثم تعبر إلى الصماخ ثم تدخل لتتم عملية السمع في الداخل، ويتم تحليل الأصوات وتمييزها بدقة وسرعة عجيبة.

و انظر إلى العين -حاسة البصر- وكيفية تركيبها من طبقات عدة وخلايا مختلفة تحلل المرئيات على اختلاف ألوانها وأشكالها، وتبصر ما حولها من الشرق للغرب مع صغر حجمها، كل ذلك يدل على عظمة الله وقدرته فتبارك الله أحسن الخالقين[1].

وأما معنى (أحسن الخالقين) في الحديث فيقول ابن علان رحمه الله:

"قوله: (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين أو حسن الخالقية وإلا فلا خالق أي موجد غيره قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[2]، وفي كتاب "روضة التحقيق في قصة يوسف الصديق" قوله تعالى:﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤﴾[3] إن الخلق الذي يضاف إليه تعالى من ثلاثة أوجه:

بمعنى الإبداع والاختراع من العدم إلى الوجود، ويكون شيء من لا شيء.

وبمعنى التغيير والتحويل من حال إلى آخر قال تعالى: ﴿ثم خلقنا النطفة علقة..﴾ إلخ، أي حولناها من حالة إلى حالة، وبمعنى التصوير.

---

(١) وانظر: للتوسع في ذلك مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/١٨٩-١٩٠) وما بعدهما فقد ذكر حكمة الله في خلق الإنسان ودلالة خلقه على ربوبية الله تعالى.

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية: ١٤.

فالخلق بمعنى الإحداث والاختراع هو الذي انفرد به قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[١].

أما الخلق الذي يدخل في باب المبالغة فبمعنى التحويز والتصوير نحو (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي المحوزين والمصورين اهـ"[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه يقول: « **اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية** »[٣]، فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: مِن خيرٍ مِن عمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن علان رحمه الله:"قوله: (خلقت نفسي) أي: أوجدتها من العدم وأبدعتها على غير مثال سابق"[٤].

فالمتأمل في نفسه وخلقته التي هي أقرب الأشياء إليه يجد نفسه أمام هذه الحقيقة التي لا مفر من الإقرار والاعتراف بها، لذا دعا الله الناس للتفكر في أنفسهم حتى يصلوا إلى هذه الحقيقة من معرفة كمال قدرته

---

(١) سورة فاطر الآية: ٣.

(٢) الفتوحات الربانية (٢/٢٦٦)، وانظر: عون المعبود (٢/٣٣٠)، وتحفة الأحوذي (٩/٢٦٦).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقال عند النوم (٤/٢٠٨٣) ح٢٧١٢ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الفتوحات الربانية (٣/١٦١).

وحكمته والإقرار بربوبيته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[(١)]أي: فيها من الآيات والدلائل التي توصلكم إلى معرفة خالقكم ورازقكم وموجدكم من العدم.

وقال تعالى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله:"﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية، وسطعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات، شاهدة لمدبره، دالة عليه، مرشدة إليه "[(٣)].

وقال أيضاً رحمه الله: "وهذا كثير في القرآن، يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٢١.

(٢) سورة الروم الآية: ٢٠.

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١/١٩٠).

الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه، معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره قال الله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١) "(٢).

والخلاصة أن هذا الكون فيه من الآيات والدلائل الكثيرة الدالة على ربوبية الله سبحانه وتعالى يتفكر بها المؤمنون الذاكرون ربهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم كما قال تعالى مادحاً لهم تفكرهم هذا: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾(٣).

وبالمقابل ذم الله سبحانه وتعالى المعرضين عن آيات الله الذين لا يعتبرون بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته فقال تعالى وتقدس:﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(٤).

قال ابن كثير رحمه الله:"يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس عن التفكر

---

(١) سورة عبس الآيات١٧-٢٢.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٨٨).

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩٠-١٩١.

(٤) سورة يوسف الآية: ١٠٥.

في آيات الله ودلائل توحيده بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات، وحدائق وجنات، وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوان ونبات، وثمرات متشابهة ومختلفات في الطعوم والروائح والألوان والصفات، فسبحان الواحد الأحد خالق أنواع المخلوقات المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية للأسماء والصفات وغير ذلك "[١].



(١) تفسير ابن كثير (٢/٤٩٥).

المطلب الثالث:
دلالة الأذكار على خصائص الرب سبحانه وتعالى

من المعلوم ضرورة أن الله سبحانه وتعالى لا يشبهه أحد من مخلوقاته، فهو وحده سبحانه له صفات الكمال والجمال والجلال والكبرياء والعظمة وله الملك المطلق، وهو وحده الذي يحيي ويميت ويرزق ويدبر الأمر ويعطي ويمنع، وله خصائص الربوبية والألوهية، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، تبارك ربنا وتعالى وتنــزه سبحانه عن النقص وعن صفات المخلوقات وعن الزوال، وهو أحق أن يعبد دون أي أحد سواه،

فـــ "خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته "[1]، ولذلك أنكر جل جلاله وتبارك وتعالى على المشركين الذين اتخذوا من دونه آلهة ؛ حيث إن هذه الآلهة تتصف بصفات العجز والنقص وليس لها من خصائص الألوهية شيء ولا تملك لعابديها حياة ولا موتاً ولا نشوراً، فهي مخلوقة وليست بخالقة، ولا تملك مثقال ذرة من خردل ولا تنفع ولا تضر، وليس لها القدرة على المنع والعطاء، فلا ترزق من السماء ولا من الأرض، ولا تهب أولاداً و لا تدفع ضراً ولا تمنع شراً، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ

(١) منهاج السنة النبوية (١١١/٢).

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[٢].

إذاً فالله سبحانه له صفات وخصائص لا يماثله بها شيء من المخلوقات، ولا يوصف بها أحد من خلقه، "فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق فهو المشبِّه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق، فهو نظير النصـــارى في كفرهم "[٣].

فمن ادعى لمخلوق مثلاً القدرة على إحياء الموتى -إلا ما كان من عيسى عليه السلام فهو بإذن الله تعالى- أو قبضِ الأرواح أو بيده التصرف والملك لهذا الكون أو أنه يهب من شاء من الرزق والولد والصحة والعافية فقد أشرك في ربوبية الله تبارك وتعالى.

والآيات والأحاديث مليئة بذكر خصائص الرب سبحانه وتعالى.

هذا وقد ورد من خصائص الله تبارك وتعالى في أحاديث الأذكار ما يجعل الذاكر يزداد محبة لربه وذلاً له وتعظيماً والتجاء له وانكساراً بين يديه وسؤاله وحده، وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات وسعة

---

(١) سورة سبأ الآية: ٢٢.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٩٩.

الرزق منه دون أحد سواه، وذلك إذا فهم الذاكر ما يتلفظ به، ففي الذكر دلالة على أن الله جل جلاله متفرد بالعطاء والمنع والإحياء والإماتة، وأنه متصرف بهذا الكون وأنه هو المعافي والمنعم وأنه هو الرازق، وهو وحده عنده علم الغيب وينـــزل المطر فيصيب به من يشاء من عباده ويمنعه عمن يشاء،وله وحده الكبرياء والعظمة، فهذه بعض خصائص الرب سبحانه وتعالى التي دلت عليها أحاديث الأذكار وسآتي الآن إلى تفصيلها:

أولاً: الإحياء والإماتة:

فالله سبحانه وتعالى وحده المحيي المميت، فلا أحد من المخلوقات- مهما كان- يستطيع أن يحيي من مات أو يميت من هو حي إلا بإذن الله سبحانه وتعالى.

ومن أسمائه تبارك تعالى "المحيي المميت"قال الخطابي رحمه الله:

"**المحيي**: هو الذي يحيي النطفة الميتة فيخرج منها النسمة الحية، ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث، ويحيي القلوب بنور المعرفة ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق.

و**المميت**: هو الذي يميت الأحياء، ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء ﴿ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾[1]، تمدح سبحانه بالإماتة كما تمدح بالإحياء ليعلم أن مصدر الخير والشر والنفع والضر من قبله،

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢.

وأنه لا شريك له في الملك، استأثر بالبقاء، وكتب على خلقه الفناء "[١].

هذا وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين انفراد الله تبارك وتعالى بالإحياء والإماتة، ويشمل انفراده سبحانه بجميع أنواع الإحياء والإماتة، فهو سبحانه يخرج الحي من الميت، فيخرج من النطفة الكائنات الحية، ويخرج من الحب والنوى الثمار والزروع والأشجار، كما أنه يخرج الميت من الحي فيخرج من الطير البيض و يخرج البذور من الأشجار.

وهو سبحانه يحيي الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يحيهم ويبعثهم يوم القيامة، ويحيي العظام وهي رميم سبحانه وتعالى.

كما أنه سبحانه يحيي الأرض بعد موتها بإنزال المطر فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

كما أنه وحده سبحانه يحيي قلوب من شاء من عباده بعد أن كانوا أمواتاً بالكفر والضلال، فيحييهم بالوحي والإيمان ويشرح صدورهم بفضله وكرمه، ويميت قلوب آخرين بإضلالهم ويحجب الهدى عنهم بعدله فلا يهتدون سبيلا فهو سبحانه يهدي من يشاء بفضله ورحمته وكرمه ويضل من يشاء بعدله وحكمته وعلمه، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص (٧٩)(ط/١ ١٤٠٤هـ دار المأمون للتراث/دمشق بيروت، تحقيق أحمد يوسف الدقاق).

(٢) سورة غافر الآية: ٦٨.

قال ابن سعدي رحمه الله: "أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه "[١].

وقال تبارك تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٦]، وقال ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾[٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٨.

(٢)سورة الروم الآية: ١٩.

(٣) سورة الحديد الآية: ٢.

(٤) سورة يس الآيتان ٧٧-٧٨.

(٥) سورة فصلت الآية: ٣٩.

(٦) سورة الأنعام الآية: ١٢٢.

(٧) سورة الحجر الآية: ٢٣.

وفي مناظرة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام للرجل الذي حاجّه في ربه، استدل عليه السلام على وجود الرب ووحدانيته وأنه هو المعبود دون أي أحد سواه بهذه الخاصية لرب العالمين وهي الإحياء والإماتة، إذ إنها من أجلى الأمور وأوضحها للناظرين فحدوث هذه الأشياء جميعها بعد أن كانت في العدم، وذهاب بعضها وزوالها بعد وجودها لابد أن يكون وراء هذا كله قادر على ذلك وهو الله سبحانه وتعالى إذ لا يمكن أن توجد بنفسها وتموت بنفسها، كما أنه لا يوجد أحد من المخلوقات مَن عنده القدرة على الإحياء والإماتة وإبداع الأشياء من العدم.

قال الله تبارك و تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله:"تأمل ما في ضمن هذه المناظرة من حسن الاستدلال بأفعال الرب المشهودة المحسوسة التي تستلزم وجوده وكمال قدرته ومشيئته وعلمه ووحدانيته من الإحياء والإماتة المشهودين الذين لا يقدر عليهما إلا الله وحده "[٢].

وكما عرفنا مسبقاً أن أحاديث الأذكار فيها الدلالة على الرب سبحانه وتعالى وعلى صفاته وخصائصه، فسأذكر بعض أحاديث الأذكار

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥٨.

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٢٠٥).

الدالة على أن الله يحي ويميت وأنه يحيي الموتى ويبعثهم يوم القيامة.

ففي أذكار النوم والاستيقاظ منه جاء عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: **«اللهم باسمك أحيا وأموت»، وإذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»**[١].

قال النووي رحمه الله: " (**باسمك أموت وباسمك أحيا**) قيل: معناه بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، وقيل معناه بك أحيا أي أنت تحييني وأنت تميتني"[٢].

وقوله: (**أحيانا بعدما أماتنا**) الحياة هنا المقصود به رد الروح بعد النوم، والموت هنا المقصود به النوم؛ لأن النوم أخو الموت، ويشبهه من حيث انقطاع الجسد عن الدنيا وعدم الإحساس بما يدور فيها، فالموت الوفاة الكبرى، والنوم الوفاة الصغرى، وبهذا الذكر يتذكر الذاكر دائماً أن الله متصرف فيه، وأنه تحت قبضته، وأنه يحيي ويميت ؛ فهو الذي أحياه وهو الذي يميته وهو الذي يبعثه يوم القيامة. وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها (٢٦٩٢/٦) ح٦٩٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم النووي (٣٥/١٧).

(٣) سورة الزمر الآية: ٤٢.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1].

ومن الأذكار التي تدل على تفرد الله سبحانه وتعالى بالإحياء والإماتة ما يُقال عند أخذ المضجع عند النوم وهو ما ورد عنه ﷺ:

«اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية»[2].

قال ابن علان رحمه الله: "قوله: (لك مماتها ومحياها) أي: موتها وحياتها مُلكان لك لا يملك غـــيرك شيئاً من ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾[3]"[4].

ويدل على صفة الإحياء والإماتة أيضاً الذكرُ الذي يقوله الحاج والمعتمر على الصفا والمروة وهو ما ورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو يصف حجة النبي ﷺ قال:

"فلما أتى الصفا -أي الرسول ﷺ- قرأ ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٦٠.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٩٠.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٣.

(٤) الفتوحات الربانية (٣/١٦٢).

شَعَآبِرِ ٱللَّهِ ﴾(١) أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت فوحّد الله وكبّره، وقال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(٢).

ومن الأذكار التي يقولها المسلم سائر يومه والتي تدل على ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكان له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(٣).

ففي هذين الحديثين دلالة واضحة على أن الله وحده المتفرد في الإحياء والإماتة، وذلك في قوله (يحيي ويميت) حيث جاءت في ضمن

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٨

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الحج باب صفة حجة النبي ﷺ (٢/١٨٤) ح ١٩٠٥، وقد أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم (٢/٨٨٦) ح١٢١٨ ولكن بدون لفظة (يحيي ويميت).

(٣) سبق تخريجه ص١٨٥، وزيادة يحيي ويميت أخرجها الترمذي (٥/٥١٢) ح٣٤٦٨ وقال عن الحديث:"هذا حديث حسن صحيح".

سياق الثناء على الله ﷻ بتفرده بالألوهية، وأنه لا شريك له فيها وبتفرده بالملك المطلق الشامل، وباختصاصه بالحمد وكذلك الثناء عليه بما اختص به من قدرته على كل شيء، فالإحياء والإماتة جاء مقروناً بهذه الخصائص التي اختص بها الله سبحانه وتعالى فهو أيضاً خصيصة اختص بها ربنا جل وعلا.

وتفرّد الله سبحانه وتعالى بالإحياء والإماتة يعرفه كل من له أدنى بصيرة، و مع وضوح ذلك إلا أنه قد ذهب قوم من الغلاة الذين قد غلوا في مشايخهم وأصحاب القبور إلى الاعتقاد بأن هناك من يشارك الله بهذه الخصيصة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فزعموا أن لأوليائهم القدرة على إحياء الموتى، مع أن عيسى عليه السلام الذي أيده الله بالمعجزات والتي منها إحياء الموتى كان يقيد ذلك بإذن الله تعالى كما قال تعالى عنه: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ﴾[(١)].

وحكى هؤلاء القوم قصصاً عن مشايخهم بأنهم أحيوا من أحبوه من الناس، وادعى بعضهم القدرة على خلق كل ما أراد والعياذ بالله من قبح هذا الادعاء[(٢)].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٤٩.

(٢) انظر: تقديس الأشخاص للدكتور محمد لوح (١٤٩/١)، ط١٤١٦/١هــ دار الهجرة، السعودية، فقد ذكر قصصاً كثيرة وعجيبة يندى لها الجبين لتدني حال الناس ووصولهم إلى هذا الاعتقاد، وانظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية ص٧٥ (ط١٤١٩/١هـــ دار مسلم، الرياض).

فيا مَن يذكر ربه دبر كل صلاة ويقول: (لا إله إلا الله ،وحده لا شريك له، له الملك يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير) إياك إياك أن تعتقد ما اعتقد هؤلاء القوم فتضل وتزل، والزم ما تقوله في ذكرك وليكن ما في قلبك يوافق ما تقوله بلسانك بأن الله هو وحده يحيي ويميت لا شريك له في ذلك مطلقاً.

فذكْرُ الله بهذه الأذكار يرسخ هذا الأصل في نفس الذاكر ويبعد عنه ما وقع به أولئك الغلاة ويدفعه لسؤال ربه المحيي المميت أن يحيي قلبه بالإيمان ويحسن له الخاتمة عند الموت.

ثانياً: علم الغيب:

جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه علّم أبا بكر الصديق رضي الله عنه ذكراً يقوله في الصباح والمساء وعند النوم، وذلك لما سأله أبو بكر رضي الله عنه أن يعلمه ذكراً يقوله إذا أصبح وإذا أمسى حيث قال: يا رسول الله مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت! قال: **«قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه»، قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»** [(١)].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٣.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**(١).

فدل الحديثان على أن الله عالم الغيب والشهادة، و الغيب: ما غاب علمه عنا فلا نشاهده ببصرنا وهو خلاف المشاهدة، و قد ورد ما يدل عليه الحديث في قوله سبحانه وتعالى مادحاً نفسه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝ ﴾(٢).

قال القرطبي رحمه الله: "قلت: هذه الآية تمدح الله سبحانه وتعالى بها بأنه عالم الغيب والشهادة أي: هو عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه فالغيب مصدر بمعنى الغائب والشهادة مصدر بمعنى الشاهد فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب والإحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق فلا يجوز أن يشاركه في ذلك أحد "(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (٥٣٤/١) ح٧٧٠.

(٢) سورة الرعد الآية: ٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٩/٩).

فعلم الغيب هو من خصائص الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى:

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾(٢).

فمن ادّعى علم الغيب من الناس، أو ادّعاه لأحد فقد كفر؛ لأنه خالف هذه النصوص التي تبين أن علم الغيب من خصوصيات الله تبارك وتعالى (٣).

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله:

"إن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك ؛ بكهانة أو عرافة أو غيرها أو صدّق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وقد كذّب الله ورسوله، وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله"(٤).

وكذلك من ادّعى لشيخٍ أو ولي أو صاحب قبر أو أي مخلوق أنه يعلم الغيب فقد كفر بربه، ويستثنى من ذلك ما أخبرت به الأنبياء من أمور الغيب؛ فإن الله قد أطلعهم على بعض الغيب لتكون معجزة لهم.

---

(١) سورة النمل الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٥٩.

(٣) انظر: أضواء البيان للشيخ الشنقيطي (١٩٩/٢).

(٤) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٣٠ ضمن المجموعة الكاملة بمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي قسم العقيدة.

ومن العجيب أن بعض من يدعي الكرامات يصل به المقام إلى أن يدعي علم الغيب ليصبح نداً لله في ذلك فيأتي بأخبار غيبية بواسطة أعوانه من الشياطين -الذين لا يخدمون الإنسان إلا بعد أن يكفر بالله أو يشرك به في عبادته- فيخيل للناس أنه يعلم الغيب ويروج عليهم باطله ويفتري عليهم بخزعبلاته نعوذ بالله من ذلك، وقد سمعنا في بلادنا من القصص عن مثل هؤلاء الدجالين ما يندى له الجبين ويحزن له القلب والله المستعان.

وادعى بعضهم علم الغيب فزعم أنه يعلم ما يختلج في صدور الناس، ويطلع على خواطرهم، بل أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ، ويعلم حال كل شخص أشقيٌّ هو أم سعيد، وآخر يعلم ما في المشرق وما في المغرب، وآخر يخبر بالأمر قبل وقوعه(١).

فانظر إلى كفرهم بربوبية الله تعالى، ومشاركتهم له في بعض خصائصه التي لا تنبغي أن تكون إلا له سبحانه، ولا يجوز لأحد من الخلق أن يتصف بها، وإنما أُتوا من حبّ الهوى والظهور والتعالي على الخلق مع جهلهم بخالقهم وبارئهم وخصائصه جل جلاله.

ثالثاً: الكبرياء والعظمة:

إن هاتين الصفتين مما اختص به سبحانه وتعالى فلا يوصف بهما

---

(١) انظر: حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية ص٧٨-٧٩.

أحدٌ سواه[(١)]، وهذا من الكمال الذي اتصف به سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى أكبر من كل كبير وله الكبرياء، وهو أعظم من كل عظيم وله العظمة الكاملة، وقد جاء في حديث من أحاديث الأذكار ما يدل عليهما، وهو ما يقوله المسلم في ركوعه وسجوده كما في حديث عوف ابن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه:

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة»[(٢)].

قال الخطابي رحمه الله: "إن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى، اختص بهما لا يشاركه أحد فيهما، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل"[(٣)].

---

(١) انظر: النهاية لاين الأثير (٤/١٤٠)، وعون المعبود (٣/٨٩)، وشرح سنن ابن ماجة (٤/٤٨٤)، وفيض القدير (١/٣٠٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/٢٤) وأبو داود في سننه: كتاب الصلاة: باب، ما يقوله في ركوعه وسجوده (١/٢٣٠) ح ٨٧٣، والنسائي في سننه :كتاب الصلاة، باب نوع آخر من أذكار الركوع (٢/١٩١) ح١٠٤٩، وقال النووي في الأذكار ص٤٣: "هذا حديث صحيح "، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١/١٦٦).

(٣) معالم السنن للخطابي (٤/١٩٦) (ط٢/١٤٠١هـ منشورات المكتبة العلمية بيروت).

وورد في القرآن الكريم ما يؤكد اختصاصه سبحانه بصفة الكبرياء كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1].

فتقديم الجار والمجرور (له) على الاسم يدل على الاختصاص، وذلك حسب القاعدة المشهورة تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله:

"ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن له الكبرياء في السموات والأرض؛ يعني أنه المختص بالعظمة والكمال والجلال والسلطان في السموات والأرض؛ لأنه هو معبود أهل السموات والأرض، الذي يلزمهم تكبيره وتعظيمه وتمجيده والخضوع والذل له"[2].

وعن معنى صفة الكبرياء وحقيقتها وما هو الذي يدل على كبرياء الله وعظمته، يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾[3]: "الكبير في ذاته وفي أسمائه وصفاته، الذي من عظمته وكبريائه، أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، ومن كبريائه أن كرسيه وسع

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٣٧.

(٢) أضواء البيان (٣٦١/٧).

(٣) سورة الحج الآية: ٦٢.

السموات والأرض، ومن عظمته وكبريائه، أن نواصي العباد بيده فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته.

وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، أنها كل صفة كمال وجلال، وكبرياء وعظمة، فهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلّها وأكملها، ومن كبريائه أن العبادات كلها الصادرة من أهل السموات والأرض كلها المقصود منها تكبيره وتعظيمه وإجلاله وإكرامه ولهذا كان التكبير شعاراً للعبادات الكبار كالصلاة وغيرها"(١).

والكبرياء صفة مدح لله تبارك وتعالى(٢) لأنه قوي غني عظيم ذو سلطان عظيم قائم بنفسه مقيم لغيره، متنــــزه عن النقص.

وهذه الصفة هي صفة نقص بالنسبة للمخلوق إذ كيف يتكبر من هو فقير محتاج لغيره لايقوم بنفسه، بل أدنى مخلوق يقهره ؛ فالبعوض يؤذيه والبرغوث قد يودي بحياته، وهو أيضاً ضعيف عاجز عُرضة للمرض في أي وقت، و علامَ يتكبر وهو مخلوق من نطفة مذرة، وبين جنبيه يحمل العذرة ثم إن مات يصبح جيفة قذرة. فصفة الكبرياء لا تليق به من أي وجه وإنما الذي يليق بالعبد، ويجب عليه دائماً التواضع والتذلل لله رب العالمين وخفض الجناح للمسلمين.

والمتكبر من الناس ينبغي له أن يتعظ بمن قبله من المتكبرين فينظر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٩٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤٧/١٨).

كيف حالهم فهذا قارون تكبر في الأرض فخُسف به وبداره وهذا فرعون أراد أن ينازع الله في كبريائه فتكبر وتجبر فأغرقه الله في الْيَمِّ.

ولما كانت صفة الكبرياء مما اختص به الله تبارك وتعالى ورد النهي عن الكبر والنكير الشديد على من تكبر واختال في مشيته أو جر إزاره تكبراً وورد الوعيد بالنار وعدم دخول الجنة لمن في قلبه مثقال ذرة من كبر. وورد العذاب لمن نازع الله في كبريائه وعظمته، فعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل جلاله: **«العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»**[1].

رابعاً: إنزال المطر:

وإن مما اختص به سبحانه تبارك وتعالى: إنزال المطر، فبفضله ورحمته يُسقى العباد ولولا ذلك لهلك كل من على وجه البسيطة.

وهذا مما هو مستقر في نفس كل من ما زالت فطرته مستقيمة، ويعتقد أن الله له القدرة الكاملة والتصرف التام في هذا الكون لا يشاركه

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر (٢٠٢٣/٤) ح٢٦٢٠ وعند أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الكبر (٥٩/٤) ح٤٠٩٠ بلفظ: **« قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار»**.

فيه أحد فهو وحده يجري الرياح لتسوق السحاب، فينـــزل المطر في أي مكان شاءه وفي أي وقت شاءه، ويمنعه من يشاء وينـــزله على من شاء بحكمته وعدله وفضله جل جلاله.

ولا أحد يستطيع أن ينـــزل المطر كائناً من كان إلا الله سبحانه وتعالى، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي مهما بلغ من الولاية غايتها، بل حتى ولا يعلم وقت نزوله إلا الله سبحانه وتعالى كما قال جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾[١].

ونزول الغيث من مفاتح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله كما ورد في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم أحد ما يكون في غد ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيء المطر»**[٢].

واختصاص الله سبحانه وتعالى بتنـــزيل المطر مما أقرّ به الكفار فاسمع إلى قول الله تعالى حيث يقول: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

(١) سورة لقمان الآية: ٣٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله (٣٥١/١) ح٩٩٢.

مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[2].

كما أن الله سبحانه إذا أمسك الماء فلا أحد يستطيع أن يأتِ به قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي لأحد أن يشرك بالله أحداً، وعليه أن يخلص العمل له وحده، وفي أحاديث الأذكار ما يدل على أن المؤمن هو الذي يعتقد أن الله وحده هو المختص بتنـــزيل المطر وأن الفضل يرجع لله في نزوله، وأن الكافر من اعتقد أن الفضل بترول المطر يرجع للكوكب فمما ورد من الذكر الذي يقال عند نزول المطر: **«مُـــطرنا بفضل الله ورحمته »** وهو ما جاء في الحديث الصحيح:

عن زيد بن خالد الجهني[4] رضي الله عنه أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف

---

(١) سورة العنكبوت الآية: ٦٣.

(٢) سورة الواقعة الآيتان: ٦٨-٦٩.

(٣) سورة الملك الآية: ٣٠.

(٤) زيد بن خالد الجهني المدني، صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين أو وسبعين، وله خمس وثمانون سنة بالكوفة. الإصابة (٢/٦٠٣)، وتهذيب التهذيب (٣/٣٥٤) وتقريب التهذيب ص: ٢٢٣ ترجمة ٢١٣٣.

النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما مَن قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»**[1].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "رسولُ الله صلى الله عليه وسلم -بأبي هو وأمي- هو عربيٌّ واسعُ اللسان يحتمل قوله هذا معاني وإنما مُطِرَ بين ظهراني قوم أكثرهم مشركون لأن هذا في غزوة الحديبية، وأرى معنى قوله والله أعلم أن من قال: (مُطرنا بفضل الله ورحمته) فذلك إيمان بالله؛ لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل، وأما من قال: (مُطرنا بنوء كذا وكذا) على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا فذلك كفر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً ولا يمطر ولا يصنع شيئاً، فأما من قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفراً وغيره من الكلام أحب إليّ منه، قال الشافعي: أحب أن يقول: مطرنا في وقت كذا "[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١/٣٥١) ح٩٩١.

(٢) كتاب الأم للشافعي (١/٢٥٢) (ط٢/١٣٩٣هـ دار المعرفة بيروت).

وقال النووي رحمه الله: "وأما معنى الحديث فاختلف العلماء في كفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين:

أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى، سالب لأصل الإيمان، مخرج من ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم وهو ظاهر الحديث، قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا، معتقداً أنه من الله تعالى وبرحمته وأن النوء ميقات وله علاقة اعتباراً بالعادة، فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر، واختلفوا في كراهته، والأظهر كراهته، لكنها كراهة تنـــزيه، لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها؛ ولأنها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم.

والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب: «**أصبح من الناس شاكر وكافر**»، وفى الرواية الأخرى: «**ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين**»، وفي الرواية الأخرى: « **ما أنـــزل الله تعالى من الســـماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها**

كافرين» فقوله : (بها) يدل على أنه كفر بالنعمة، والله علم"[١].

وسواء كان من نسب المطر إلى الكوكب أو إلى الولي أو إلى أي مخلوق، فكل ذلك لا فرق بينها فهي كفر، وما أشدّ تشبه الناس بالكفار وأعمالهم، فمن العجب العجاب أن تسمع ممن ينتسب إلى الإسلام فيزعم أن الولي الفلاني قادر على إنزال المطر متى شاء، ومن الناس من يلتجئ عند القحط وتأخر المطر إلى أصحاب القبور أو إلى من يدعى لنفسه الولاية والكرامة ويسألونه أن ينــزل لهم المطر وينسون الله الذي بيده ملكوت كل شيء، ولقد ذكر أصحاب الطبقات الصوفية بعض الكرامات لهم في ذلك[٢].

فنقول لمن يزعم أن له السبق الأكبر والحظ الأوفر في الأذكار ويدعي أن طريقته هي أكثر الناس ذكراً: أين أنت من ذكْر الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم: «**مُطرنا بفضل الله ورحمته**» عندما ترى المطر هل تركت قول المؤمنين وقلدت وحاكيت قول الكافرين الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وبالنجم الفلاني والكوكب الفلاني، فصرت تقول: مُطرنا ببركة الشيخ الفلاني، ولولا الولي الفلاني لم يُنزل المطرَ لم يكن لينزل. فاتقِ الله ولا تسلكْ سبيلَ أهل الكفر والضلال، واقدر ربك حق قدره،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٠/٢) وانظر: في ذلك: التمهيد لابن عبد البر (٢٨٤/١٦- ٢٨٥)، وفتح الباري لابن حجر (٥٢٣/٢-٥٢٤).

(٢) انظر: كتاب تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي لمحمد لوح (١٤٢/١) فقد نقل عنهم قصصاً وروايات وأقوالاً بخصوص هذا الشأن فليراجع هناك.

وانسب الفضل إليه وحده في إنزال المطر، ولا تنسب لأي مخلوق خاصية من الخصائص التي اختص بها الله وحده دون أحد من خلقه.

خامساً: الملك والتصرف في الكون والقدرة على كل شيء والمنع والعطاء:

وهذه في الحقيقة خصائص عديدة، وإنما جمعتها في موضع واحد لاجتماعها جميعاً في حديث واحد من أحاديث الأذكار، مع العلم أن هناك الكثير من أحاديث الأذكار يدل على بعضها دون بعض.

وهذا الحديث الجامع لهذه الخصائص هو ما جاء في الصحيح أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كتب إلى معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما عطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**[1].

فمن الخصائص التي دل عليها الحديث أن الملك لله وحده وذلك لتقديم الظرف (له) في قوله: (له الملك) على الاسم وهذا يفيد الاختصاص

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة (٢/٣٧٨) ح٨٤٤ ومسلم كتاب الساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (١/٤١٤) ح٥٩٣.

كما دل على ذلك غيره من أحاديث الأذكار من ذلك:

قوله ﷺ : **«من سبّح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبّر ثلاثاً وثلاثين، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**(١).

وكذلك ما ورد أنه ﷺ كان يقول إذا أمسى:

«أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير...» الحديث وإذا أصبح: قال أصبحنا(٢)، وفي الاستفتاح للصلاة: **«ولك الحمد، لك ملك السموات والأرض ومن فيهن»**(٣).

وغير ذلك من أحاديث الأذكار كثير جداً لا يمكن حصرها في هذا المقام.

فالله تبارك وتعالى: هو المتفرد بالملك فالملك كله له وهو وحده المالك كما قال تبارك وتعالى عن نفسه: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (١/١٤٦و٤١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لا يعمل (٤/٧٤) ح٢٧٢٣.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٤) سورة الملك الآية: ١.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

فالمالكُ الملكَ المطلق العام الشامل لكل شيء هو الله سبحانه وتعالى وحده، يتصرف في ملكه كيف شاء بما شاء متى شاء، لا يشركه فيه أحد، ولا يُسأل عن تصرفه تبارك وتعالى ولا يُعترض على أحكامه وأفعاله، بل يُسلّم لها ويُذعن لها وتُمتَــثل أوامره من غير اعتراضٍ ولا كراهة، فأفعاله كلها مقرونة بالعلم والحكمة بعيدة عن العبث واللهو وهو سبحانه أعلم بمصلحة عباده من أنفسهم.

وفي أذكار الركوع والسجود: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكـــبرياء والعظمة**»[2].

و"الجبروت والملكوت هما مبالغة الجبر وهو القهر والملك وهو التصرف أي صاحب القهر والتصرف البالغ كل منهما غايته"[3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[4]، "فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء، الذي جميع ما

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٨٨-٨٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠٨.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي (١٩٢/٢).

(٤) سورة يس الآية: ٨٣.

سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له وعبيد مسخرون ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكيمة، وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية"(١).

أما مُلك الخلق فهو مُلك قاصر غير شامل وهو ليس كملك الله تبارك وتعالى، فما يملكه أحد الخلق لا يملكه غيره ثم إنه مُلك مقيد لا يستطيع التصرف فيه إلا بحدود ما أذن له الله سبحانه وتعالى.

وبهذا يعلم سفه من ادعى لنفسه أو لغيره التصرف بالكون، وأنه مدبر لشئون الخلق، فهذا من أعظم الجرأة على الله إذ ينازع الله في ملكه، وأنّى له التصرف في الكون وهو لا يملك شيئاً من هذا الكون، بل لا يملكون لأنفسهم حياة ولا موتاً ولا نشوراً، بل ولا يملكون مثقال ذرة في هذا الكون فكيف لهم أن يتصرفوا به قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢).

المنع والعطاء:

هذا ومن تصرفه تبارك وتعالى في الكون أنه يعطي ويمنع، وهو المتفرد بذلك فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فهو المعطي المانع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٦٤٦.

(٢) سورة سبأ الآية: ٢٢.

سبحانه وتعالى، وهذه الخصيصة لله تبارك وتعالى دلّ عليها حديث المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه الذي مرّ قريباً.

ومن أحاديث الأذكار الدالة على أن الله هو المتفرد بالمنع والعطاء حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: «**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**[1] »[2].

وقد شرح العلماء قوله ﷺ: (**اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت**) شرحاً وافياً، وبيّنوا تفرد الله بالمنع والعطاء.

---

(١) سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن معنى (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) فأجاب بقوله: "الحمد لله، أما الأولى فبالخفض وأما الثانية فبالضم والمعنى أن صاحب الجد لا ينفعه منك جده أي لا ينجيه ويخلصه منك جده وإنما ينجيه الإيمان والعمل الصالح و الجد هو الغنى وهو العظمة وهو المال. بيّن أنه من كان له في الدنيا رئاسة ومال لم ينجه ذلك و لم يخلصه من الله وإنما ينجيه من عذابه إيمانه وتقواه فإنه قال: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد". مجموع الفتاوى (٢٢/٤٤٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة باب، ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع (١/٣٤٧،٢٠٦) ح٤٧٧.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقال النبي ﷺ : **«اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»** لما كان المقصود بهذا تفرد الرب سبحانه بالعطاء والمنع لم يكن لذكر المعطى ولا لحظ المعطى معنى بل المقصود أن حقيقة العطاء والمنع إليك لا إلى غيرك بل أنت المتفرد بها لا يشركك فيها أحد فذكر المفعولين هنا يخل بتمام المعنى وبلاغته"(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: بعد إيراده لهذا الحديث:

"وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقاً وقدَراً وبداية ونهاية هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى ولا معطٍ لما منع، ولتوحيد الإلهية شرعاً وأمراً ونهياً وإن العباد وإن كانوا يعطون جدّاً: ملكاً وعظمة و بختاً ورياسة في الظاهر أو في الباطن كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة فلا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينجيه ولا يخلصه"(٢).

وقال الإمام الصنعاني رحمه الله: "ومعنى (لا مانع لما أعطيت) أن من قضيت له بقضاء من رزق أو غيره لا يمنعه أحد عنه ومعنى لا معطي لما منعت أنه من قضيت له بحرمان لا معطى له..."(٣).

وقال ابن حجر رحمه الله:"وفي الحديث استحباب هذا الذكر عقب

---

(١) جلاء الأفهام ص ٤٦٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٦٨.

(٣) سبل السلام (١/١٩٧).

الصلوات لما اشتمل عليه من ألفاظ التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله والمنع والإعطاء وتمام القدرة"(١).

والمنع والإعطاء من كمال ربوبيته سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فبين في هذا الحديث أصلين عظيمين:

أحدهما: توحيد الربوبية وهو أن لا معطى لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل إلا عليه ولا يسأل إلا هو.

والثاني: توحيد الإلهية وهو بيان ما ينفع وما لا ينفع وأنه ليس كل من أعطى مالا أو دنيا أو رئاسة كان ذلك نافعاً له عند الله منجياً له من عذابه فإن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الإيمان إلا من يحب"(٢).

ويقول الخطابي رحمه الله عند شرحه لاسم الله المانع: "هو الناصر الذي يمنع أولياءه؛ أي يحوطهم وينصرهم على عدوهم، ويقال: فلان في منعة من قومه، أي في جماعة تمنعه وتحوطه.

ويكون المانع من المنع والحرمان لمن لا يستحق العطاء، كقوله ﷺ: «**لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت**»، فهو سبحانه يملك المنع والعطاء، وليس منعه الشيء بخلاً به، لكن منعه حكمة، وعطاؤه جود ورحمة "(٣).

---

(١) فتح الباري (٢/٣٣٢-٣٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٤٨).

(٣) شأن الدعاء للخطابي ص ٩٣-٩٤.

"وقد دل القرآن الكريم على هذا الأصل وهو تفرد الله سبحانه بالعطاء والمنع في مواضع كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]"[4].

ويدخل تحت المنع والعطاء: الأولاد فالله سبحانه يهب من يشاء من عباده أولاداً ذكوراً وإناثاً ويمنع آخرين قال تبارك وتعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة فاطر الآية: ٢.

(٢) سورة يونس الآية: ١٠٧.

(٣) سورة الزمر الآية: ٣٨.

(٤) نور الاقتباس لابن رجب الحنبلي ص١٧٨ (ضمن مجموع الجامع المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب/جمع محمد العمري، ط١/١٤١٨هـ دار المؤيد).

(٥) سورة الشورى الآيتان٤٩-٥٠.

فمن اعتقد أن غير الله يستطيع أن يهب أولاداً ذكوراً أو إناثاً فقد أشرك بالله في ما اختص به سبحانه من المنع والعطاء..

وبعض الناس يذهب إلى شيخ أو صاحب قبر يعتقد ولايته فيطلب منه أن يهبه أولاداً، فهذا لا يجوز وهو نوع من الشرك.

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية هذا السؤال ونصه:

"هذا الولد من عطاء المرشد، وهذا الذي يزيد في الرزق وينقص، ما الحكم في هذا الاعتقاد؟.

وكان الجواب هو: "من اعتقد أن الولد من عطاء غير الله، وأن أحداً سوى الله يزيد في الرزق وينقص منه فهو مشرك شركاً أشد من شرك العرب وغيرهم في الجاهلية، فإن العرب ونحوهم كانوا في جاهليتهم إذا سئلوا عمن يرزقهم من السماء والأرض وعمن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، قالوا: الله... إلى أن قالت اللجنة الموقرة:

وثبت في السنة أن العطاء والمنع إلى الله وحده، ذلك من ذلك ما أخرجه البخاري... ثم ذكروا حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفيه أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع**

لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».. إلخ الفتوى"[١].

ويدخل تحت المنع والعطاء الهداية والرحمة وتوابعهما والإضلال والعذاب وتوابعهما ؛ فالله سبحانه وتعالى يرحم من يشاء، ويمنع رحمته عمن يشاء، ويهدي من يشاء،ويمنع هداه عمن يشاء، وذلك كله راجع إلى فضله وعدله، قال ابن القيم رحمه الله:

"والهدى والرحمة وتوابعهما من الفضل والإنعام كله من صفة العطاء، والإضلال والعذاب وتوابعهما من صفة المنع، وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطائه ومنعه ،وذلك كله صادر عن حكمة بالغة وملك تام وحمد تام فلا إله إلا الله"[٢].

فإذا ثبت ذلك فإن ما يعتقده بعض الناس هداهم الله من أن أحداً من الخلق بيده المنع والعطاء فهذا هو عين الضلال، وصورة من صور الشرك بالله سبحانه وتعالى، ومن ذلك اعتقاد بعضهم أن النبي ﷺ يعطي ويمنع فيقول:

"إن المسلمين... من أهل السنة والجماعة وهم جمهور الأمة المحمدية يعتقدون فيه صلى الله عليه وسلم أنه يعلم الغيب ويعطي ويمنع ويقضي حوائج الناس ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن شاء ويدخل

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٦٧).

(٢) الفوائد ص١٥١ (ط١/٣/١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية).

الجنة من يشاء "[١].

وإنما أُتي هذا القائل من قبل غلوه في النبي ﷺ حتى أشرك بخالقه وجعل نبيه بمرتبة الرب سبحانه وتعالى وأعطاه خصائص الخالق من علم الغيب والعطاء والمنع وقضاء الحوائج.. إلخ.

مع أن النبي ﷺ حذر أشد التحذير من الغلو والإطراء الزائد عن الحد، وسبب شرك هذا القائل هو تشبيهه المخلوق بالخالق.

قال ابن القيم رحمه الله:

"حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق والتشبيه للمخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة، لا إثبات صفات الكمال التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله، فعكس من نكس الله قلبه وأعمى عين بصيرته وأركسه بلبسه الأمر وجعل التوحيد تشبيهاً، والتشبيه تعظيماً وطاعة، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية؛ فإن من خصائص الألهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده، فمن علّق ذلك بمخلوق فقد شبهه

---

(١) من كلام النبهاني في كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص٣٥٥، والنبهاني هو يوسف ابن إسماعيل النبهاني الشافعي أبو المحاسن أديب شاعر توفي ١٣٥٠هـ في فلسطين من تصانيفه جامع كرامات الأولياء.

انظر: ترجمته: معجم المؤلفين لكحالة (١٣/٢٧٥).

بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيهاً بمن له الأمر كله، فأزمّة الأمور كلها بيديه ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، بل إذ فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد، وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد، فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله "(١).

القدرة على كل شيء.

ومن الخصائص التي دل عليها حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قدرته جل جلاله على كل شيء وذلك بقوله: «**وهو على كل شيء قدير**»، فقوله: «كل» لفظ يدل على العموم فيدخل فيه عامة المخلوقات، فقدرته سبحانه شاملة لجميع الخلق، لا يفلت من قبضته أحد.

---

(١)الجواب الكافي ص: ٩٤ (ط/دار الكتب العلمية بيروت).

وكلمة (كل) من صيغ العموم فهي تدل علة عموم قدرته سبحانه على كل مخلوق.

وكذلك قوله: «شيء» نكرة، وهي تعمُّ فتشمل كل شيء صغيراً كان أو كبيراً، ويدخل تحت قدرته سبحانه وتعالى الخلق والإيجاد وإحياء الموتى ونصر أوليائه وهزيمة أعدائه إلى غير ذلك.

فهذه من خصائصه تبارك وتعالى، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"إن القدرة على الاختراع من خصائص الرب... وقدرته على كل شيء من خصائصه"[1].

والخلاصة: أن الله سبحانه له خصائص قد دلت بعض أحاديث الأذكار على بعضها، وهذه الخصائص لا تشبه خصائص المخلوقين فما "كان من خصائص المخلوق فالرب تعالى متزهٌ عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين؛ إذ خصائصهم كلها تنافي ما استحقه من الكمال الواجب له، فهي نقائص بالنسبة إليه، وإن قُدِّرَ أنها كمال للمخلوق، وكمال كل شيء بحسب ما يمكن وجوده له والمخلوق لا يمكن أن يكون قديماً واجباً بنفسه رباً غنياً عما سواه إلى غير ذلك من خصائص الرب،

---

(١) الرد على البكري (٣١٥/١) (ط١/١٤١٧هـ، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، تحقيق محمد عجال).

فهذا الكمال اختص به الرب، كما اختص الرب تبارك وتعالى من الكمال الذي يوصف العبد بما يتفق فيه الاسم كالحياة والعلم والقدرة بما لا يماثله فيه المخلوق فالرب مختص إما بنوع لا يوصف به غيره مثل كونه رب العالمين ونحو ذلك وإما بما لا يماثله فيه غيره كالحياة والعلم "[١].

والفائدة التي يجنيها العبد من معرفة خصائص الرب تبارك وتعالى عظيمة جداً، فإذا علم العبد ما لربه من خصائص الكمال ازداد حبه له وازدادت عبوديته لربه، وأخلص عبادته لربه، وابتعد عن الشرك به؛ لأن معرفته بربه جعلته يزداد معرفة بالمخلوقين بأنهم ضعفاء وأنهم عاجزون عن جلب نفع لأنفسهم أو دفع ضرٍّ عنها فضلاً عن غيرهم، فيدع التعلق بهم ويلتجئ إلى مولاه وبارئه ويتوكل عليه ويسأله ويستعين به دون أحد سواه، قال ابن القيم رحمه الله:

"فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً "[٢].

والله أعلم.



(١) الصفدية (٢/٣٩) (ط٢/١٤٠٦هـ تحقيق محمد رشاد سالم).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/٩٠).

المطلب الرابع:

الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية.

إن توحيد الربوبية هو أعظم برهان ودليل على توحيد الألوهية[١]، وهو بالنسبة له كالمقدمة بالنسبة للنتيجة، فمن اعتقد أن لهذا الكون العظيم الواسع خالقاً ومدبراً وقاهراً ومتصرفاً فيه، يفعل فيه ما يشاء، وله القدرة الكاملة على تبديله وتغييره، وأنه الرازق لجميع المخلوقات بيده النفع والضر ويمنع ويعطي، ويميت ويحيي، وينجي عند الشدائد والكربات و يجيب المضطر عند اضطراره.

من اعتقد ذلك صدقاً تولّد في قلبه حبّ ذلك الخالق العظيم، وهذه المحبة لا بد أن تثمر خضوعاً وانكساراً وتذللاً، وانقياداً وطاعة وعبودية ورقّاً لمالك هذا الكون، فتنقاد الجوارح كلها ذليلة حقيرة بين يدي بارئها وموجدها، شاهدة له بالوحدانية، مخلصة له العبادة دون أي أحد سواه، والسفه كل السفه من أناس عرفوا خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم ومالكهم واستقر ذلك في فطرهم ثم أعرضوا عنه إلى مخلوق مثلهم لا يملك

---

(١) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص ٨٠.

لنفسه حياة ولا موتاً ولا نشوراً، فاعترفوا بالملك والتدبير والخلق والإيجاد للرب جل جلاله ثم لم يحققوا صفات المملوكين من طاعة وانقياد وعدم خروج و إلحاد.

قال تعالى منكراً على من ترك عبادته وعبد من لا يملك الضر والنفع: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[1].

وكما أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ وذلك لأن من عبد الله ووحده في عبادته و لم يشرك به أحداً فإنه يعتقد مسبقاً أن الذي يعبده هو ربه ومالكه وخالقه ورازقه ومدبر أمره وأمور العالمين، وأنه الذي ينفعه ويدفع الضر عنه، وأنه وحده الذي يستجيب دعاءه ويكشف كربته، فهو وحده الذي يجب أن يعبد وتُخلَص العبادة له دون سواه.

إذاً لا بد من الإتيان بالتوحيدين معاً؛ إذ لا ينفع العبد أن يكون موحداً بأحدهما تاركاً الآخر فإنه إن فعل ذلك وقع في الشرك حتماً إما شرك الربوبية أو شرك الألوهية، ولا ننسى أن توحيد الأسماء والصفات داخل ضمن توحيد الألوهية؛ إذ مَنْ وحَّدَ الله يعتقد أنه لا يشبهه شيء في أسمائه وصفاته، فهذه أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك أحدها عن الآخر

---

(١) سورة المائدة الآية: ٧٦.

يقول الشيخ سليمان آل الشيخ رحمه الله: "وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر فمن أتى بنوع منها و لم يأت بالآخر فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب"[١].

وهذا تجده دائماً في الأذكار، فتجد اقتران اسم الرب سبحانه وتعالى وبعده كلمة التوحيد، مما يدل على تلازمهما وعدم انفصال أحدهما عن الآخر على سبيل المثال: حديث سيد الاستغفار: **«سيد الاستغفار... اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني...»**[٢].

ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: **« قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت... الحديث»**[٣].

ففي هذين الحديثين تقديم لتوحيد الربوبية الذي هو مقدمة وبه يستدل على توحيد الألوهية، وتأخير توحيد الألوهية الذي هو نتيجة للأول، قال ابن علان رحمه الله: "وقال آخر: لما كان المراد اتحاف الصديق

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص١٧.

(٢) سبق تخريجه ص٢٣١.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٣.

رضي الله عنه بالعلوم الإلهية والمعارف الربانية ناسب ما يدل على ذلك...
وهو فاطر السموات إلخ "[١].

وغير ذلك من أحاديث الأذكار كثير.

فتوحيد الربوبية القاعدة والأساس والوسيلة الذي يرتقى منه للوصول إلى: توحيد الألوهية الذي هو الهدف والغاية.

قال ابن القيم رحمه الله: "فيثبت قدم العبد في توحيد الربوبية ثم يرقى منه صاعداً إلى توحيد الإلهية، فإنه إذا تيقن أن الضر والنفع والعطاء والمنع والهدى والضلال والسعادة والشقاء كل ذلك بيد الله لا بيد غيره، وأنه الذي يقلب القلوب ويصرفها كيف يشاء، وأنه لا موفق إلا من وفقه وأعانه ولا مخذول إلا من خذله وأهانه وتخلى عنه، وأن أصحّ القلوب وأسلمها وأقومها وأرقّها وأصفاها وأشدها وألينها مَنْ اتخذه وحده إلهاً ومعبوداً، فكان أحب إليه من كل ما سواه، وأخوف عنده من كل ما سواه، وأرجى له من كل ما سواه، فتتقدم محبته في قلبه جميع المحاب، فتنساق المحاب تبعاً لها كما ينساق الجيش تبعاً للسلطان، ويتقدم خوفه في قلبه جميع المخوفات فتنساق المخاوف كلها تبعاً لخوفه، ويتقدم رجاؤه في قلبه جميع الرجاء فينساق كل رجاء تبعا لرجائه، فهذا علامة توحيد الإلهية في هذا القلب، والباب الذي دخل إليه منه توحيد الربوبية أي باب توحيد الإلهية هو: توحيد الربوبية، فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية

---

(١) الفتوحات الربانية (٣/٩٧).

ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية وفي هذا المشهد يتحقق له مقام إياك نعبد "[1]، ثم ساق رحمه الله الآيات التي فيها إلزام الكفار بتوحيد الألوهية لإقرارهم بربوبية الله وأنه خالق هذا الكون.

وقال أيضاً رحمه الله: "والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة والتأليه ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية"[2].

وكثيراً ما يذكّر الله سبحانه في كتابه الناسَ جميعهم بأنه هو المنعم عليهم والمتفضل عليهم بالخلق والرزق وجميع النعم، فيرشدهم بذلك لعبادته وحده لا شريك له كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله عقب هذه الآية: "ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له كما أنه المستقل

(١) مدارج السالكين(١/٤١١)، وانظر: (٢/١٨٢)، و(٣/٣٩٧-٣٩٨)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٩٣.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/١٣٥).

(٣) سورة فاطر الآية: ٣.

بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ولهذا قال تعالى: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ أي: فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان والله أعلم"[١].

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: "ثم قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ فأمرهم بعبادة رهم، وفي ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي على وجوب عبادته؛ لأنه إذا كان ربنا الذي يربينا بنعمه وإحسانه، وهو مالك ذواتنا ورقابنا وأنفسنا وكل ذرة من العبد فمملوكه له ملكاً خالصاً حقيقياً، وقد رباه بإحسانه إليه وإنعامه عليه عبادته له وشكره إياه واجب عليه ولهذا قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ولم يقل: إلهكم، والرب هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح، والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له ثم قال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ فنبه بهذا أيضا على وجوب عبادته وحده وهو كونه أخرجهم من العدم إلى الوجود وأنشأهم واخترعهم وحده بلا شريك باعترافهم وإقرارهم كما قال في غير موضع من القرآن ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٤٨).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢١.

[لقمان:٢٥]، فإذا كان هو وحده الخالق فكيف لا يكون وحده المعبود وكيف يجعلون معه شريكاً في العبادة وأنتم مقرون بأنه لا شريك له في الخلق، وهذه طريقة القرآن يستدل بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية "[١].



(١) بدائع الفوائد (٤/٩٤٣)(ط١/١٤١٦هـ، دار النشر مكتبة الباز، مكة المكرمة).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الثالث:

دلالة الذكر على توحيد الأسماء والصفات وصلته الوثيقة به

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات

قد عرّف العلماء رحمهم الله توحيدَ الأسماء والصفات بتعريفات كثيرة، فقال الإمام السفاريني رحمه الله:

"أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ نفياً وإثباتاً، فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه"(١).

وقال الشيخ سليمان صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد رحمه الله:

"هو الإقرار بأن الله على كل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى"(٢).

---

(١) لوامع الأنوار البهية (١/١٢٩).

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٩.

وقال الشيخ حافظ الحكمي[1] رحمه الله: "هو الإيمان بما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وإمرارها كما جاءت بلا كيف كما جمع الله تعالى بين إثباتها، ونفي التكييف عنها في كتابه في غير موضع كقوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[4]"[5].

فتوحيد الأسماء والصفات: هو إذاً إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى التي وردت في الكتاب والسنة، وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف لألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله،

---

(١) هو العلامة حافظ بن أحمد الحكمي، من أجلّ علماء تهامة، ولد سنة ١٣٤٢هـ بقرية السلام بالقرب من جيزان، كان رحمه الله سريع الحفظ والفهم ذكياً زكياً من مؤلفاته: معارج القبول، وتوفي ١٣٧٧هـ وعمره ٣٥سنة، انظر: الأعلام (١٥٩/٢)، والمستدرك على معجم المؤلفين ص١٨٣.

(٢) سورة طه الآية: ١١٠.

(٣) سورة الشورى الآية: ١١.

(٤) سورة الأنعام الآية: ١٠٣.

(٥) أعلام السنة المنشورة ص٥٧.

ولا تكيـــيفها بتحديد كنهها، أو إثبات كيفية معينة لها، ولا تمثيلها، ولا تشبيهها[1]، بل نمرها كما وردت مع اعتقاد مدلولها ومعانيها، على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

وأســـس القرآن الكريم أسساً[2] يقوم عليها الاعتقاد في هذا الباب وعليها بنى السلف الصالح رحمهم الله اعتقادهم فلا يحيدون عنها قيد أنملة،

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "التحريف لغة: التغيير، واصطلاحاً: تغيير لفظ النص أو معناه، مثال تغيير اللفظ قوله: ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ من رفع الجلالة إلى نصبها، ليكون التكليم من موسى لا من الله، ومثال تغيير المعنى: تغيير معنى استواء الله على عرشه من العلو والاستقرار إلى الاستيلاء والملك لينتفي عنه معنى الاستواء الحقيقي.

والتعطيل لغة: الترك والتخلية، واصطلاحاً: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات إما كلياً كتعطيل الجهمية، وإما جزئياً كتعطيل الأشعرية الذين لم يثبتوا إلا سبع صفات...

والتكييف: إثبات كيفية الصفة كأن يقول: استواء الله على عرشه كذا وكذا.

والتمثيل: إثبات مماثل للشيء كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان، والفرق بينهما: أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل والتكييف ذكرها غير مقيدة به"اهـــ.

انظر تعليقات على العقيدة الواسطية ضمن مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٢٦١/٤)، وانظر مجموع الفتاوى له أيضاً (٢١/٤-٢٣).

(٢) انظر هذه الأسس بتوسع: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي ص ٣، ٢٥ (ط/الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٥)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد التميمي ص٨٧ (ط/دار الحريري، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة).

وقد دلت عليها نصوص كثيرة منها:قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[1]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾[2].

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ دليل على **الأساس الأول وهو:** تنزيه الله جل جلاله عن صفات المخلوقين فلا مثيل له سبحانه في أي وصف من أوصافه ففيها نفي جميع صفات النقص والعيب عنه تبارك وتعالى.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ دليل على **الأساس الثاني**: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من أسماء وصفات، وهذا الإثبات يقتضي عدم النفي.

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ دليل على **الأساس الثالث** وهو: أن صفات الله ﷻ لا يمكن إدراكها والإحاطة بها، فينبغي قطع الطمع عن إدراك كيفيتها؛ لأن محاولة معرفة كيفيتها لا يجوز وهو داخل تحت النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[3].

---

(١) سورة الشورى الآية: ١١.

(٢) سورة طه الآية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

إذاً "فالأصل في هذا الباب توحيد الصفات أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها: إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه"(١).

فهـــذا هـــو منهج السلف وأئمة الدين في معرفة الأسماء والصفات الإيمان بها جميعها وإثبات لله ما أثبت لنفسه وأثبته له رسوله ونفي عنه ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسله إثبات مفصل ونفي مجمل.

وقـــد دلت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة على أن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات فمن ذلك آية الكرسي وأواخر سورة الحشر وأوائل سورة الحديد وسورة الإخلاص وغير ذلك كثير من الآيات الدالة على أن لله أسمـــاء حســـنى وصفاتٍ عُلا، فله الحمد سبحانه على كمال صفاته، وحسن أسمائه.

ومن السنة مما ورد في الأذكار الدالة على هذا التوحيد ما ورد عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: **«باسمك اللهم أموت وأحيا»**(٢).

---

(١) العقيدة التدمرية ص ٥، ومجموع الفتاوى (٣/٣-٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام (٥/٢٣٢٦) ح٥٩٥٣، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر، باب ما يقول عند النوم (٤/٢٠٨٣) ح ٢٧١١.

قال ابن حجر رحمه الله:"قال (أي القرطبي): واستفدت من بعض المشايخ معـــنى آخر وهو أن الله تعالى سمى نفسه بالأسماء الحسنى ومعانيها ثابتة له فكـــل مـــا صدر في الوجود فهو صادر عن تلك المقتضيات فكأنه قال: باسمك المحيي أحيا وباسمك المميت أموت، انتهى"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«إذا جـــاء أحدكـــم فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل: بـــاسمك رب وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[2].

أورده الـــبخاري في صـــحيحه وترجم له"باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها".

وعـــن ثوبـــان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صـــلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: **«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام »**[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب

(١) فتح الباري (١١/١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها (٦/٢٦٩١) ح ٦٩٥٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (١/٤١٤) ح ٥٩١.

يقول: **«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»**(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: **« أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»**(٢).

وورد عنه ﷺ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه:

«اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»(٣).

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (١٢٧/١) ح ٤٦٦، قال النووي رحمه الله في الأذكار:"حديث حسن أخرجه أبو داود بإسناد جيد"، وقال ابن حجر:"حديث حسن غريب رجاله موثوقون"نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (٤٧/٢)، وحسنه كذلك السيوطي في الجامع الصغير ص ١٣٦ح٢٠٠، والمناوي كما في فيض القدير (١٢٨/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم٤٧١٥، وفي صحيح أبي داود برقم ٤٨٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

فمـــن خلال هذه الأحاديث يتضح لنا دلالة الأذكار على أسماء الله وصفاته، ويوجد الكثير من الأحاديث غير هذه الدالة على ذلك مما يؤكـــد وجـــوب الإيمان بها وإثباتها على حقيقتها وتتريه الله سبحانه وتعـــالى عـــن مشابهته لخلقه، ويؤكد صلة الذكر بهذا الباب العظيم ودلالته عليه.

وليعلم المسلم أن معرفته لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ليس مجرد ســـرد لهـــا على الألسن بل إن معرفتها فيها من الفوائد الجليلة والفضائل الجمة التي تعود على المسلم بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

فمن ذلك أنها تزيد في الإيمان وتقويه وتقوي اليقين وتثبته.

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله:

"إن الإيمـــان بأسمـــاء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الـــثلاثة؛ توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنـــواع هي روح الإيمان ورَوْحه وأصله وغايته فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه"[١].

ومما يدل على أهمية هذا العلم وفضله أن أول فرض فرضه الله على خلقه معرفته، وخلق الله السموات والأرض لنعلم أن الله بكل شيء عليم وأنـــه على كل شيء قدير،وهذا يتعلق بصفتي العلم والقدرة واسمي العليم والقدير.

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص٤١.

قال الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني قوام السنة[1] رحمه الله:

"قـــال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2].

فينـــبغي للمسلين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته"[3].

وقال ابن القيم رحمه الله:"فإن العلم بالله وأسمائه وصفاته هو أشـــرف العلوم على الإطلاق، وهو مطلوب لنفسه مراد لذاته قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[4]، فقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض، ونزل الأمر بينهن ليعلم عباده أنه بكل شـــيء علـــيم وعلى كل شيء قدير فهذا العلم هو غاية الخلق المطلوبة وقال

---

(١) الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي ابن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة، مصنف كتاب الترغيب والترهيب، والحجة في بيان المحجة، وشرح عقيدة أهل السنة، مولده في سنة سبع وخمسين وأربع مائة، وتوفي سنة ٥٣٥هـــ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠).

(٢) سورة محمد الآية: ١٩.

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/١٣٣) (ط٢/دار الراية، الرياض، تحقيق د/محمد بن ربيع المدخلي، ود/محمد أبو رحيم).

(٤) سورة الطلاق الآية: ١٢.

تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[(١)]، فالعلم بوحدانيته تعالى وأنه لا إله إلا هو مطلوب لذاته وإن كان لا يكتفى به وحده، بل لا بد معه من عبادته وحده لا شريك له، فهما أمران مطلوبان لأنفسهما أن يعرف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن يعبد بموجبها ومقتضاها فكما أن عبادته مطلوبة مرادة لذاتها فكذلك العلم به ومعرفته"[(٢)].

ومما يدل على أهمية هذا العلم أن العلم بالله وأسمائه وصفاته أصل للعلم بكل معلوم.

قال ابن القيم رحمه الله:"إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصل للعلم بكل معلوم فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً. إما علم بما كوّنه أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى وهذا كله حسن لا يخرج عن مصالح العباد... وكما أن كل موجود سواه فبإيجاده، فوجود من سواه تابع لوجوده تبع المفعول المخلوق لخالقه فكذلك العلم به أصل للعلم بكل ما سواه، فالعلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها"[(٣)].

---

(١) سورة محمد الآية: ١٩.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٧٨).

(٣) بدائع الفوائد (١/١٧٠-١٧١) وانظر مفتاح دار السعادة (١/٨٦).

وقال أيضاً رحمه الله:"والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته"[١].

والاجـــتهاد في معرفتها هو عمل لتحقيق الغاية التي خُلق من أجلها الإنســـان، وهي معرفة العبد ربه وعبادته والخضوع له ولذلك أرسل الله الرسل حتى يبصّروا العباد، ويعرفوهم على خالقهم ومولاهم.

قال ابن القيم رحمه الله:"مفتاح دعوة الرسل وزبدة رسالتهم معرفة المعـــبود بأسمائه وصفاته وأفعاله إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها"[٢].

ومما يدل على أهمية هذا العلم أيضاً: أن العلم بأسماء الله وصفاته أفضـــل العلوم وأشرفها لأن شرف العلم تابع لشرف المعلوم ولأنها تورث العبد معارف وأحوال من العبادات وتنزله منازل الأبرار والعلماء الربانيين، قـــال ابـــن رجب رحمه الله:"فأفضل العلم: العلم بالله وهو العلم بأسمائه وصـــفاته وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته وإجلاله وعظمته والتبتل إليه والتوكل عليه والصبر والرضا عنه والاشتغال

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٨٧).

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (١/١٥٠-١٥١) (ط١/١٤٠٨هـــ دار العاصمة تحقيق علي الدخيل الله).

بـــه دون خلقه، ويتبع ذلك العلم بملائكته ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك، والعلم بأوامر الله ونواهيه وشرائعه وأحكامه وما يحبه من عباده من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانـــيين العلماء بالله العلماء بأمره وهم أكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بأمره وبالعكس"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:"إن شرف العلم تابع لشرف معلومه لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه، ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها، ولا ريب أن أجلّ معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين الموصوف بالكمال كلـــه المتره عن كل عيب ونقص وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريـــب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات"[2].

---

(١) شرح حديث أبي الدرداء ص٤١ (ط/مكتبة التراث الإسلامي ١٩٨٧م تحقيق أشرف عبد المقصود).

(٢) مفتاح دار السعادة (٨٦/١)، وانظر عدة الصابرين ص٩٢.

المطلب الثاني:

دلالة الأذكار على بعض القواعد في الأسماء والصفات.

لقد اهتم العلماء رحمهم الله بوضع قواعد لهذا الباب مستنبطين تلك القواعد من الكتاب والسنة، صوناً لهذا الباب العظيم من تحريف المبطلين وتأويل الغالين، وخوفاً من أن يُدخل في أسماء الله وصفاته ما ليس منها أو أن يُخرج منها ما هو منها.

ولقــد دلت بعض أحاديث الأذكار على بعض القواعد المهمة في باب الأسماء والصفات ومن هذه القواعد:

أولاً: أسماء الله توقيفية:

ومعنى كونها توقيفية: أي على المسلم أن يقف على ما ورد الدليل به من الكتاب والسنة من الأسماء والصفات لا يتعداها فيزيد فيها، ولا يجحفها فينقص مــنها، ولا يدع للعقل أي مجال للتدخل في إثبات أي اسم أو صفة لله لم ترد بالشرع، لأن العقل مهما كان فيه نقص وقصور، وبين العقول تفاوت، والمدارك تخــتلف من شخص لآخر، فالعقل أقل شأناً أن يدرك ما يستحقه الرب سبحانه وتعــالى مــن الأسماء والصفات؛ فهذا الباب عظيم الشأن جليل القدر لا يمكن الوصول إليه إلا من طريق الوحي الكتاب والسنة.

وقد قرر العلماء هذه المسألة(١).

قال السفاريني رحمه الله:

"لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفية

(لكنها) أي أسماء الله في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات على البارئ جل وعلا إذا ورد الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه"(٢).

ومما يدل على أن الأسماء توقيفية من أحاديث الأذكار الحديث الذي يقال عند الهم والغم والحزن، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً». قال: فقيل: يا رسول الله ألا**

---

(١) وانظر في ذلك أيضاً: شان الدعاء للخطابي ص١١١-١١٣، وبدائع الفوائد لابن القيم (١٦٨٩/١)، والقواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ضمن مجموع فتاويه (٢٧٥/٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية ١٢٤/١.

نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[(١)].

فقوله: **«أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك»** دليل على أن الله هو الذي سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات ليس أحد من المخلوقين له علاقة بذلك.

قال ابن القيم رحمه الله: "فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياقم"[(٢)].

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[(٣)].

وكذلك أن الله قد حرّم القولَ عليه بغير علم وقفوَ الإنسان ما ليس له به علم في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٩١/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٠/٦) ح ٢٩٣١٨، وأبو يعلى في مسنده (١٩٩/٩) ح ٥٢٩٧ (ط١٤٠٤/١هـ، دار المأمون للتراث، دمشق، تحقيق حسين أسد)، ونقل ابن علان عن ابن حجر قوله: "وهو حديث حسن، وقد صححه بعض الأئمة" الفتوحات الربانية (١٣/٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٨٣/١) برقم١٩٩، وفي تعليقه على الكلم الطيب (ط١/ ١٤٢٢هـ،مكتبة المعارف، الرياض)، وذكر في الصحيحة (٣٨٧/١) أن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم قد صححا هذا الحديث.

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾[(٢)].

ففـي الآيـتين تحريم القول على الله بغير علم ويدخل في ذلك تسمية الله ووصفه بما لم يسمِ أو يصف به نفسه أو يسمه به رسوله ﷺ.

قال الإمام التيمي الأصبهاني رحمه الله: "فلا يسمى الله إلا بما سمى بـه نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله ﷺ وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمـة على تسميته به، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال"[(٣)].

إذا كـان الأمـر كمـا قلنا من أن هذا الباب أعني باب الأسماء والصـفات مبناه على التوقيف، فلا بد من التنبيه أن باب الإخبار عن الله أوسـع من باب الأسماء والصفات فما كان من باب الإخبار عنه سبحانه وتعالى فلا يدخل في باب الأسماء والصفات ولا يأخذ أحكامه، فيخبر عن الله بأنه شيء، وذات وموجود، فلا يدعى بها ولا يسأل بها، ولا يجب أن يكون توقيفياً.

قال ابن القيم رحمه الله:"إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقـيفي، ومـا يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفاً كالقديم

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

(٣) الحجة في بيان المحجة للتيمي.

والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع"[1].

ثانياً: أسماء الله تبارك وتعالى غير محصورة بعدد معين.

إن أسمـــاء الله تبارك وتعالى كثيرة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وهي غير محصورة بعدد، كما دل على ذلك الحديث السابق حديث ابن مسعود رضي الله عنه فيما يقال عند الهم والغم.

فقو‍ــله في الحديث السابق: **«أو استأثرت به في علم الغيب عندك»** فالغيـــب لا يمكن لأحد الإحاطة به، وما استأثر الله به من أسمائه في علم الغيب لا يمكن إدراكها.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقوله: **«أو استأثرت به في علم الغيب عـــندك»** دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات اســـتأثر بهـــا في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره، وعلى هذا فقوله: **«إن الله تســـعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»**، لا ينفي أن يكون له غيرها، والكلام جملة واحدة، أي له أسماء موصوفة بهذه الصفة، كما يقال: لفلان مائة عـــبدٍ أعدهـــم للتجارة، وله مائة فرس أعدها للجهاد، وهذا قول الجمهور، وخالفهم ابن حزم، فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد"[2].

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٧٠)، وانظر مجموع الفتاوى (٦/١٤٢).

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٦- ٢٧٧.

وقال الخطابي رحمه الله عند هذا الحديث:

"فهذا يدلك على أن لله أسماء لم يترلها في كتابه، حجبها عن خلقه و لم يظهرها لهم"(١).

"فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

١- قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم، و لم يترل به كتابه.

٢- وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

٣- وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه"(٢).

وقال النووي رحمه الله:

"واتفق العلماء على أن هذا الحديث(٣) ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه أنه ليس له إلا هذه التسعة والتسعين، و إنما مقصود الحديث: أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء، ولهذا جاء في الحديث الآخر: **«أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»**"(٤).

---

(١) شأن الدعاء للخطابي ص ٢٥.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٧٤).

(٣) إشارة إلى حديث: « إن لله تسعة وتسعين اسماً...».

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٥)، وانظر أيضاً تحفة الذاكرين للشوكاني ص٧٠ وفتح القدير له (٢/٢٦٩)، وتفسير ابن كثير (٢/٢٧٠).

ومما يستفاد من هذا الحديث أيضاً وهو داخل في باب الأسماء والصفات أن أسماء الله تعالى ليست مخلوقة لقوله: (بكل اسم هو لك سميت به نفسك)، قال ابن القيم رحمه الله:

"وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل: بكل اسم خلقته لنفسك، ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها، فإن الله لا يقسم عليه بشيء من خلقه، وأيضاً فإن أسماءه مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة به، فأسماؤه غير مخلوقة.

فإن قيل: فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره؟ قيل:طالما غلط الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله ورأى، وخلق، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمى ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أُريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أُريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسماً، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد، فقوله في الحديث: (سميت به نفسك)، ولم يقل: خلقته لنفسك، ولا قال: سمّاكَ به خلقُك، دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك

الاسم وسمى به نفسه"[١].

ثالثاً: صفات الله تعالى كلها صفات كمال[٢].

إن السلف رحمهم الله يعتقدون اعتقاداً جازماً أن الله سبحانه لا سمي لـــه ولا شبيه له ولا مماثل له، فلا يشبهه شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله، فهو سبحانه متره عن الشبيه والنظير.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣].

وقال: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[٤].

وقال: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥].

فمـــن شبّه الله بخلقه، فوصفه بصفات المخلوقين، وبصفات العجز والنقص فقد كفر، قال تعالى عن اليهود المغضوب عليهم: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٦]، وقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ

---

(١) شفاء العليل ص ٢٧٦-٢٧٧، وانظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ١٢٧.

(٢) انظر هذه القاعدة في القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (٣/٢٨٠) ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين.

(٣) سورة الشورى الآية: ١١.

(٤) سورة مريم الآية: ٦٥.

(٥) سورة الإخلاص الآيتان: ٣-٤.

(٦) سورة آل عمران الآية: ١٨١.

مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ ﴾(١).

فـــالله سبحانه له صفات الكمال والجلال، وله المثل الأعلى في كل وصف واسم، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾(٢).

والذاكر لربه تظهر له هذه الحقيقة بجلاء، فهو على الدوام متره لربه عن كل نقص وصفه به الواصفون، وعن كل عيب نعته به الضالون، فقد ورد في أذكـــار الـــركوع والسجود (سبحان الله العظيم) (سبحان ربي الأعلى)، وأحاديث التسبيح كثيرة.

والتسبيح: هو تتريه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب وعن جمـــيع الآفات(٣)، ويتضمن وصف الله سبحانه بصفات الكمال والجلال؛ لأن العيـــب والنقص إذا انتفى لم يبق إلا الكمال، وعلى الغالب لا يأتي التسبيح إلا مقروناً باسم أو وصف لله تعالى فيه إثبات الحمد والكمال لله تعـــالى، فـــيقال: ســـبحان الله العظيم، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، فإذا اقترن التسبيح مع إثبات المحامد لله دل كل واحد على معناه وإذا افترقا تضمن كل واحد الآخر.

---

(١) سورة المائدة الآية: ٦٤.

(٢) سورة النحل الآية: ٦٠.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢١٦.

ومـــن أسمائه سبحانه الواردة في الأذكار ما يقال في الركوع أيضاً: **«سُبُّوحٌ قُدوس، ربُّ الملائكة والروح»**[(١)].

فالله سبحانه (سُبُّوح) أي متره عن النقائص، (قُدوس) أي: مُعَظَّمٌ في أوصافه متره من كل وجه عن كل عيب.

ويقال بعد الصلاة: **«اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»**[(٢)].

فاسمـــه سبحانه (السلام) معناه: السالم من كل عيبٍ ونقص ووصفٍ غير حسن.

فـــالقدوس والسلام اسمان لله تعالى ينفيان عنه سبحانه جميع صفات العجز والنقص وجميع صفات المخلوقين والله أعلم.

وعـــندما يقـــول الذاكر: (الحمد لله) فهو قد أقر أن لله صفات كمال ونعوت جلال يحمد عليها، وأحاديث الأذكار مليئة بحمد الله تعالى والثناء عليه.

"فـــالحمد هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد بجميع الوجوه"[(٣)].

قال ابن رجب رحمه الله:

"واعلم أن التسبيح والتحميد فيه إثبات صفات الكمال ونفي

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٣.

(٢) سبق تخريجه ص٤٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٢.

النقائص والعيوب"(١).

والأذكار كلها دائرة بين تتريه الله تعالى وتمجيده والثناء عليه بالمحامد وصـــفات الكمال، ومن فوائد معرفة أن صفات الله لها من الكمال أبلغه وأشـــرفه أن المســـلم يعرف ما عليه المخالفون في ذلك الذين ادعوا أنهم يترهون الله وهم في الحقيقة يصفونه بصفات لا تليق بالمخلوق فضلاً عن الخالق جل وعلا، فيقولون مثلاً سميع بلا سمع بصير بلا بصر وهكذا أرادوا أن يترهوا الله عن مشابهة خلقه فسلبوه ما يستحقه.

رابعاً: أسماء الله وصفاته وأفعاله مترهة عن الشر

دل عـــلى هذه القاعدة ثناؤه ﷺ على ربه في استفتاحه للصلاة في قوـــله: **«وجهـــت وجهي.... وفيه لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك أنا بك و إليك، تباركت وتعاليت»**(٢).

فالشـــر لا ينسب إليه سبحانه وتعالى بأي حال، والشر الموجود إنما هو شر في مخلوقاته ومفعولاته لا في أفعاله، فصفاته سبحانه كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه وأسماؤه كلها حسنى، لا سوء فيها، وأفعاله كلها مبنية على العلم والحكمة، لا جهل فيها ولا ظلم.

---

(١) تفسير سورة النصر لابن رجب ص٤٧ تحقيق محمد بن ناصر العجمي (ط/ ١٤٠٧هـــ الدار السلفية الكويت)

(٢) سبق تخريجه ص٣٧٨.

قال ابن القيم رحمه الله في كلامه على هذه الجملة من الحديث:

"فإنه يتضمن تتريهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه"(١).

وقال أيضاً رحمه الله:"(لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إلـيك) فهذا النفي يقتضي امتناع إضافة الشر إليه تعالى بوجه فلا يضاف إلى ذاتـه ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله؛ فإن ذاته مترهة عن كل شر، وصفاته كذلك؛ إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه مـن الوجوه، وأسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل لا تخرج عن ذلك البتة وهو المحمـود على ذلك كله فيستحيل إضافة الشر إليه وتحقيق ذلك أن الشر ليس هو إلا الذنوب وعقوباتها"(٢).

فكل ما يأتي منه سبحانه فله عليه الحمد والشكر وله فيه النعمة والفضل.

"فتمسك بهذا الأصل ولا تفارقه في كل دقيق وجليل وحكّمه على كل ما يرد عليك، وحاكم إليه واجعله آخيتك التي ترجع إليها، وتعتمد عليها"(٣).



---

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٣٩).

(٢) طريق الهجرتين ص ١٦٦ وانظر ص ٢٢٥ أيضاً منه، ومدارج السالكين(١/٢٠) و(٢/٣٢٥)، وجلاء الأفهام ص ٣٠٤ والفوائد ص١٢٨، وشفاء العليل ص ٢٦٩.

(٣) طريق الهجرتين ص ٢٢٥

المطلب الثالث:

دلالة الأذكار على كثير من أسماء الله الحسنى وبيان معانيها.

إن معـــرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى هي أصل الأصول، ونيلها غاية كـــل مـــأمول، وثمرتها أعظم محصول؛ إذ إن لله أسماء من أحصاها دخل الجـــنة، وإحصـــاؤها: يكون بعدّ ألفاظها وفهم مدلولاتها، ودعاء الله بها والتعبد بها.

يقـــول ابن سعدي رحمه الله في بيانه لأهمية معرفة أسماء الله الحسنى ومعانيها: "هذا الأصل هو أعظم أصول التوحيد، بل لا يقوم التوحيد ولا يتم ولا يكمل حتى ينبني على هذا الأصل، فإن التوحيد يقوى بمعرفة الله، ومعرفة الله أصلها معرفة أسمائه الحسنى وما تشتمل عليه من المعاني العظيمة والتعبد لله بذلك.

وفي الحديـــث الصحيح: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجـــنة**»، وإحصاؤها تحصيل معانيها في القلب، وامتلاء القلب من آثار هذه المعرفة، فإن كل اسم له في القلب الخاضع لله المؤمن به أثرٌ وحالٌ لا يُحصِّل العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجلّ وأعظمَ منها فنسأله

تعالى أن يمنّ علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه"(١).

إذا كان الأمر كذلك فينبغي للمسلم أن لا يتوانى في معرفة ما لله من أسماء حسنى وعليه أن يشمر عن ساعد الجد في إحصائها من كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ وحفظها والتعبد لله بها، وإذا أحب المرء أحداً ما من الناس فـتراه يسـأل عـن اسمه ووصفه وفعله على الدوام، ويحاول الاتصاف بصـفاته، فمـن بـاب أولى أن يسأل المؤمن ويتحرى معرفة أسماء الله وصـفاته، لأنه أجل محبوب وأعظمه، ومحبته في قلوب المؤمنين مغروسة، وعظمته وهيبته في كل نفس مؤمن ومؤمنة محسوسة.

ولما كان الذكر ثناء على الله بذكر أسمائه وصفاته وتقديسه وتتريهه عما لا يليق به نجد أن أحاديث الأذكار مليئة بأسماء الله تعالى، إما مفتتحة باسـم مـن أسماء الله أو مختتمة به أو متضمنة له فما يكاد يخلو ذكر من اسـم من أسماء الله الحسنى، ولعل الحكمة من ذلك والله أعلم لأجل أن يمـتلأ قلب الذاكر من إجلال الله وتعظيمه ومحبته وخوفه ورجائه فيبقى القلب متصلاً بربه طالما لسانه رطب بذكره؛ إذ إن لكل اسم من أسماء الله تعالى تأثيراً في القلب ولكل اسم عبودية خاصة في القلب.

هذا وتنقسم الأسماء الواردة في الأذكار إلى قسمين:

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ص ٢٤-٢٥ لابن سعدي (ط١٤٢٢/٢هـ دار ابن الجوزي الدمام، اعتنى به الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن البدر).

١- أسماء مفردة.

٢- أسماء مضافة.

فمن القسم الأول:

١- الله.

هذا الاسم هو أعظم أسمائه جل جلاله، وإليه تُضاف بقية أسماء الله تعـــالى فيقال من أسماء الله تعالى: الرحمن الرحيم القدوس السلام... إلخ، ولا يسمى به أحد من خلقه.

والله ســبحانه ذو الألوهــية وهو مستحق للتأليه لأن له صفات الكمال والجلال والعظمة والجمال والكبرياء والرحمة وجميع الأوصاف المحمودة.

وقد ورد هذا الاسم الجليل في الأذكار في مواطن كثيرة يصعب حصرها في هذا الموضع وعلى سبيل المثال:

ورد في تكبيرة الإحرام وتكبيرات الصلاة وأذكار ما بعد الصلاة وأذكار المساء والصباح وما يقال عند النوم وغير ذلك.

وقــد قــيل: إن هذا الاسم: هو الاسم الأعظم، واختلف الناس في تحديـــد الاسم الأعظم على أقوال كثيرة، وقد ذكر ابن حجر رحمه الله أربعة عشر قولاً في ذلك[1]، وهي عبارة عن ذكر بعض أسماء الله وأنها هي الاسم الأعظم.

---

(١) انظر فتح الباري (١١/٢٢٤).

وأحسن ما وقفت عليه في تحقيق هذه المسألة هو ما ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله حيث قال: "والتحقيق أن الاسم الأعظم اسم جنس لا يراد به اسم معين، فإن أسماء الله نوعان:

أحدهما: ما دلّ على صفة واحدة أو صفتين أو تضمن أوصافاً معدودة.

والثاني: ما دلّ على جميع ما لله من صفات الكمال، وتضمَّن ما له من نعوت العظمة والجلال والجمال، فهذا النوع هو الاسم الأعظم لما دلّ عليه من المعاني وأوسعها.

فالله: اسم أعظم، وكذلك الصمد، وكذلك الحي القيوم، وكذلك الحميد المجيد، وكذلك الكبير العظيم، وكذلك المحيط، وهذا التحقيق هو الذي تدل عليه التسمية وهو مقتضى الحكمة، وبه أيضاً تجتمع الأقوال الصحيحة كلها، والله أعلم"(١).

٢- النور.

النور اسم من أسماء الله تعالى و قد ورد في الأذكار في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ما يقال في التهجد أن رسول الله ﷺ كان يقول: **« اللهم لك الحمد أنت قيّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ... الحديث»**(٢).

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام ص ٢٦-٢٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

قـــال ابن خزيمة رحمه الله: "وربنا جل وعلا النور... وقد روى عن النبي ﷺ بالإسناد الذي لا يدفعه عالم بالأخبار ما يثبت أن الله نور السـمـوات والأرض... «**اللــهم لك الحــمد أنت نور السموات والأرض... الحديث**»... إلى أن قال:

فالـــنور وإن كان اسماً لله فقد يقع اسم النور على بعض المخلوقين فليس معـــنى الـــنور الـــذي هـــو اسم الله في المعنى مثل النور الذي هو خلق الله..."[١].

وقال ابن القيم في نونيته:

والنور من أسمائه أيضاً ومن أوصافه سبحان ذي البرهان

وقال رحمه الله أيضاً: "فالنور الذي هو من أوصافه قائم به ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين إضافة صفة إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله"[٢].

وقـــال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "النور من أوصافه تعـــالى على نوعين: **نور حسي**: وهو ما اتصف به من النور العظيم الذي لـــو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سُبُحاتُ وجهه ونور جلاله ما انتهى إليه بصره من خلقه...

---

(١) كتاب التوحيد (١/٧٨) (ط٦/١٤١٨هـــ مطبعة الرشد، الرياض).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٠ (ط١/١٤٠٤هـــ دار الكتب العلمية بيروت).

والـــنوع **الثاني**: نوره المعنوي وهو النور الذي نوّر به قلوب أنبيائه وأصفيائه وأوليائه، وملائكته، من أنوار معرفته وأنوار محبته..."[١].

والنوع الثاني هو الذي ينبغي للمسلم أن يسأل ربه أن يعطيه إياه، وأن يجعلـــه في قلبه ولسانه وفي سمعه وبصره ومن أمامه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وأن يجعل له نوراً أينما كان. اللهم إنا نسألك ذلك آمين.

٣- الحق:

ورد ذكـــر هذا الاسم في الأذكار في حديث ابن عباس رضي الله عـــنهما السابق أن النبي ﷺ كان يدعو إذا تهجد من الليل وفيه: «**ولك الحمد أنت الحق...** »الحديث.

قـــال الأصبهاني رحمه الله: "ومن أسمائه تعالى (الحق): وهو المتحقق كونه ووجوده وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝﴾[٢] أي: الكائـــنة حقاً لا شكّ في كونها ولا مدفع لوقوعها"[٣]، ثم استدل الأصبهاني رحمه الله لهذا الاسم بحديث ابن عباس رضي الله عنه السابق.

وقـــال ابن حجر رحمه الله:"قوله: (أنت الحق) أي المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه، قال القرطبي:هذا الوصف له سبحانه وتعالى بالحقيقة

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام ص ٦٢-٦٣.

(٢) سورة الحاقة الآية: ١-٢.

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٤٦/١)، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي (٥٥/٦).

خاص به لا ينبغي لغيره إذ وجوده لنفسه فلم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بخلاف غيره، وقال ابن التين:

يحـــتمل أن يكون معناه أنت الحق بالنسبة إلى من يدعى فيه أنه إله أو بمعنى أن من سماك إلهاً فقد قال الحق"(١).

٤- الحليم:

الحلـــيم اسم جليل من أسماء الله جل وعلا، ومعرفة هذا الاسم تملأ القلب رجاء بالله؛ إذ إنه سبحانه يمهل العبد حتى يتوب ويقلع عن الذنب.

قال الأصفهاني رحمه الله:"ومن أسماء الله تعالى الحليم: حليم عمن عصاه لأنه لو أراد أخذه في وقته أخذه، فهو يحلم عنه ويؤخره إلى أجله، وهذا الاسم وإن كان مشتركاً يوصف به المخلوق، فحلم المخلوقين حلمٌ لم يكن في الصغر ثم كان في الكبر وقد يتغير بالمرض والغضب والأسباب الحادثـــة، ويفـــنى حـــلمه بفنائه، وحلم الله عز وجل لم يزل ولا يزول، والمخلـــوق يحلم عن شيء ولا يحلم عن غيره، ويحلم عمن لا يقدر عليه، والله تعالى حليم مع القدرة"(٢).

وقـــال ابـــن سعدي رحمه الله:"الحليم الذي يدرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة معاصيهم وزلاهم، فيحلم عن مقابلة

---

(١) فتح الباري (٣/٤)، وانظر أيضاً (٣٧٢/١٣) منه، وتفسير القرطبي (٣٣٦/٨).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٥٦/١).

العاصين بعصيانهم،ويستعتبهم كي يتوبوا ويمهلهم كي ينيبوا"[١].

وقد ورد هذا الاسم في الذكر الذي يقال عند الكرب:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:«**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[٢].

فهو سبحانه (الحليم): الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم و لم يعاجلهم بالعقوبة رجاء أن يتوبوا ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم؛ فإن الذنوب تقتضي ترتُّب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم.

قال ابن حجر رحمه الله:"قال العلماء: (الحليم) الذي مع القدرة، والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلا،...وقال الطيبي: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية"[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٩ -٢٠.

(٢) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٣) فتح الباري (١١/١٤٦).

٥- العظيم.

إن الله سبحانه له صفات العظمة والكبرياء، فاسمه العظيم يدل على أن صفاته عظيمة وأنه معظم في قلوب عباده وألسنتهم، وأن أفعاله سبحانه عظيمة وشرعه عظيم، فهو سبحانه أعظم من كل شيء وأجل وأعلى من كل شيء ويستحق التعظيم والإجلال والتمجيد.

وهـذا الاسم الجليل ورد في الأذكار في الحديث السابق في ما يقال عند الكـرب: **«لا إلـه إلا الله العظـيم الحليمُ لا إله إلا الله رب العرش العظـيم، لا إلـه إلا الله رب السـموات ورب الأرض ورب العرش الكريمُ»**.

كمـا ورد في أذكار الركوع حيث يقول المصلي: **« سبحان ربي العظيم»**.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

«كلمـتان حبيبـتان إلى الرحمن خفيفتان لى اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١).

فـإذا استشعر المسلم هذا الاسم في قلبه هاب ربه وعظمه وخاف منه، وترك معصيته تعظيماً له وإجلالاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ ونضع الموازين القسط﴾ (٦/٢٧٤٩) ح ٧١٢٤، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء (٤/٢٠٧٢) ح٢٦٩٤.

٦- الكريم.

ورد هذا الاسم الجليل في الذكر الذي يقال عند الكرب كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق **« لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب العرش الكريمُ»**[١].

قال التيمي رحمه الله:

"ومـــن أسمائـــه تعالى (الكريم) قال بعض أهل اللغة: الكريم الكثير الخير، والعرب تسمي الشيء النافع الذي يدوم نفعه كريماً...ومن كرم الله تعالى: أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويبتدئ بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنوب، ويعفو عن المسيء"[٢].

فكل نعمة وخير مجلوبة للعباد، فمن كرمه سبحانه وتعالى، وكل شر ونقمة وبلاء مرفوع عن العباد فمن فضله وكرمه وجوده وحده سبحانه.

٧و٨- الحميد المجيد

ورد هذان الاسمان في آخر الصلوات الإبراهيمية في التشهد للصلاة، فالمصـــلي يقول: **« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد**

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٢) الحجة في بيان المحجة للتيمي (١/١٤٥).

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

قال التيمي رحمه الله: "ومن أسمائه تعالى الحميد: قيل الحميد اسم الفردانية لا يحمـــد ولا يشكر غيره"، ثم ساق بسنده حديث الصلاة الإبراهيمية ثم قال رحمه الله: قال بعض العلماء: "الحميد المحمود الذي استحق الحمد بفعاله وهو فعـــيل بمعنى مفعول وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال"[(١)].

وقـــال ابـــن سعدي رحمه الله: "الحميد: أي الذي له جميع المحامد والمدائـــح كلها وهي جميع صفات الكمال، فكل صفة من صفاته يحمد عليها، ويحمد على آثارها ومتعلقاها"[(٢)].

المجيد:

قال التيمي رحمه الله: "ومن أسمائه المجيد: وهو الواسع الكرم وأصل المجد في كلام العرب السعة: يقال: رجل ماجد إذا كان واسع العطاء وفي المثل"في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار"[(٣)] أي: استكثرا من النار،

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٥-١٤٦).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام ص ٣٧، وانظر جلاء الأفهام ٣١٥.

(٣) المَرْخُ والعَفارُ: هما شجرتان فيهما نارٌ ليس في غيرهما من الشجر، ويُسَوَّى من أَغصانها الزنادُ فيُقْتَدَحُ بها. قال الأزهري: وقد رأيتهما في البادية والعربُ تضرب بهما المثل في الشَّرفِ العالي فتقول: في كل الشجر نار. واسْتَمْجَد المَرخُ والعَفار أَي كثرت فيهما على ما في سائر الشجر. واسْتَمْجَدَ: استَكْثَر، وذلك أَن هاتين الشجرتين من أَكثرِ الشجر ناراً، وزِنادُهما أَسرعُ الزناد وَرْياً. انظر: لسان العرب (٤/٥٨٩).

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾[1] أي الكريم وقيل المجيد في صفات الله تعالى الكريم الفعّال، ورجل ماجد مفضال كثير الخير"[2].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "وأما المجد فهو سعة الصفات وعظمتها، فالمجيد يرجع إلى عظمة أوصافه وكثرتها، وإلى عظمة ملكه وسلطانه، وإلى تفرده بالكمال المطلق والجلال والجمال المطلق الذي لا يمكن للعباد أن يحيطوا بشيء من ذلك، فإذا جُمع بين الحميد المجيد صار اسم الحميد أخصّ بكثرة الأوصاف وسعتها، واسم المجيد أخصّ بعظمتها وتوحده بالمجد"[3].

وعن مناسبة ختم التشهد بهذين الاسمين الجليلين يحثنا ابن القيم رحمه الله فيقول: "ولما كانت الصلاة على النبي وهي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه والتنويه به ورفع ذكره وزيادة حبه وتقريبه كما تقدم كانت مشتملة على الحمد والمجد فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد هذا حقيقتها فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له وهما أسماء الحميد والمجيد وهذا كما تقدم أن الداعي يشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه أو يفتتح دعاءه به"[4].

---

(١) سورة ق الآية: ١.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤٦).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام ص ٣٧، وانظر: التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص٥٩.

(٤) جلاء الأفهام ص ٣١٨.

٩ -١٠ الحي القيوم

ورد هـــذان الاسمان في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رســـول الله ﷺ: **«من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف»**(١).

قال الأصبهاني رحمه الله: "معنى الحي حياة لا تشبه حياة الأحياء لا تستدرك بالعقول ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا موت، ومعنى القيوم: القائم الدائم في ديمومية أفعاله وصفاته"(٢).

ثم اســـتدل بحديث من أحاديث الأذكار يدل على الحي وهو قوله ﷺ: **«الـــلهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»**(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: تفريع أبواب السفر، باب في الاستغفار (٢/٨٥) ح١٥١٨، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب دعاء الضيف (٥/٥٦٨) ح٣٥٧٧، والحاكم في المستدرك (٢/١٢٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني كما في صحيح الترمذي (٣/١٨٢).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد ، باب قول الله عز وجل: ﴿وهوالعزيز الحكيم﴾ ح/٧٣٨٣، ومسلم: كتاب الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح/٦٧.

وقال ابن سعدي رحمه الله:"الحي:هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم والقدرة والإرادة والعظمة والكبرياء وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيوم:هو كامل القيومية الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات"(١).

وهذان الاسمان العظيمان إليهما يرجع جميع معاني الأسماء الحسنى.

يقول ابن القيم رحمه الله: "عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما مرجع معانيها جميعها وهو اسم (الحي القيوم)؛ فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفي كمال الحياة وبهذا الطريق العقلي أثبت متكلمو أهل الإثبات له تعالى صفة السمع والبصر والعلم والإرادة والقدرة والكلام وسائر صفات الكمال، وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه وهذا من كمال غناه بنفسه عما سواه وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته وهذا من كمال قدرته وعزته فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته"(٢).

---

(١) الحق الواضح المبين ص٢٥٨ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي، قسم العقيدة الإسلامية.

(٢) بدائع الفوائد (٢/٤١٠)

١١– ١٤ الأول الآخر الظاهر الباطن

دل على هذه الأسماء الجليلة حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول:

«اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومترل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقضِ عنا الدين وأغننا من الفقر»[١].

ففـــي هذا الحديث فسر رسول الله ﷺ هذه الأسماء الأربعة بأوجزِ عبارة وألطف إشارة فلا مزيد على ما قاله ﷺ ولا بيان أوضح من بيانه ﷺ.

١٥ –١٦ المقدِّم المؤخِّر

ورد هذان الاسمان في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:

«الـــلهم لـــك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن... وفيه « أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك »[٢].

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث:

"قوله:(أنت المقدم وأنت المؤخر) معناه تقدم من شئت بطاعتك وغيرها وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك، وتعز من تشاء وتذل من تشاء"(١).

وقال أيضاً: "يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه ويؤخر من يشاء ذلك لخذلانه"(٢).

١٧- السلام

ورد هذا الاسم الجليل في الذكر الذي يقال بعد الانصراف من الصلاة فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا انصرف من صلاته: **«اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**(٣).

وورد هذا الاسم في تحية المسلم لأخيه المسلم يقول له: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) فهذه التحية ذكر لله تعالى لتضمنها على اسم من أسماء الله تعالى(٤)، وهو السالم من كل عيب و آفة ونقص(٥).

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٦٠).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٤٠-٤١)،وانظر نيل الأوطار (٢/٢١١).

(٣) سبق تخريجه ص ٤٤٤.

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٨٣.

(٥) فتح الرحيم الملك العلام ص ٣٤.

وقال ابن حجر رحمه الله:

"ومعـنى السلام: السالم من النقائص. وقيل: المسلم لعباده. وقيل: المسلم على أوليائه"(١).

وقـال ابن القيم رحمه الله مبيناً شمولية هذا الاسم لجميع صفات الله تعـالى وأفعالـه وأنها سالمة من كل عيب ونقص وأنها سالمة من مشابهة المخلوقين:

"والسـلام يتضـمن سلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة ذاته من كل نقص وعيـب، وسـلامة أسمائه من كل ذم، فاسم السلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه، وهذا معنى سبحان الله والحمد لله، ويتضـمن إفراده بالألوهية وإفراده بالتعظيم، وهذا معنى لا إله إلا الله والله أكبر، فانتظم اسم السلام الباقيات الصالحات التي يثنى بها على الرب جـل جلاله، ومن بعض تفاصيل ذلك أنه الحي: الذي سلمت حياته من المـوت والسـنة والنوم والتغير. القادر: الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد. العليم: الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات. وكذلك سائر صفاته على هـذا، فرضاه سبحانه سلام أن ينازعه الغضب، وحلمه سلام أن ينازعه

(١) فتح الباري (١٣/١١) وانظر القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي ص٤٧ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته.

الانـــتقام، وإرادتـــه سلام أن ينازعها الإكراه، وقدرته سلام أن ينازعها العجـــز، ومشيئته سلام أن ينازعها خلاف مقتضاها، وكلامه سلام أن يعرض له كذب أو ظلم بل تمت كلماته صدقا وعدلا...."(١). وعدّ رحمه الله باقي الصفات وبيّن أنها سالمة من كل ما يضادها من النقائص والعيوب فلله دره ما أنفس كلامه وأروعه.

١٨- السُّبُّوح (٢).

ورد هذا الاسم العظيم في أحاديث الأذكار كما في أذكار السجود والـــركوع، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: **«سُبُّوحٌ قُدُّوس رب الملائكة والروح»**(٣).

قال ابن سيده: سبوح قدوس من صفة الله عز وجل لأنه يُسَبَّح ويُقدس"(٤).

وقـــال الخطابي رحمه الله:"السبوح: المنزه عن كل عيب، جاء بلفظ فعول من قولك: سبحت الله أي نزهته"(٥).

---

(١) أحكام أهل الذمة (٤١٤/١) (ط١/١٤١٨هـــ، دار ابن حزم، بيروت، تحقيق يوسف البكري، وشاكر العاروري).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(٤٨٥/٢٢)،والشيخ ابن عثيمين في القواعد المثلى ص ٤٢.

(٣) سبق تخريجه ص٣٦٣.

(٤) انظر لسان العرب (١٩/٣).

(٥) شأن الدعاء للخطابي ص ١٥٤.

وقال النووي رحمه الله:

"ومعـــنى (ســـبوح): المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق بالإلهـــية، و(قـــدوس): المطهر من كل ما لا يليق بالخالق، وقال الهروي: قيل: القدوس المبارك، قال القاضي عياض: وقيل فيه: سبوحاً قدوساً على تقدير أسبح سبوحاً، أو أذكر أو أعظم أو أعبد"[١].

١٩- القدوس

ورد ذكـــره في أذكار الركوع والسجود كما في حديث عائشة رضي الله عنها السابق،كما ورد عنه ﷺ من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنهأنه كان يقول بعد سلامه من الوتر: **«سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات**[٢].

وورد هـــذا الاسم في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾[٣]، **وقوله تعالى:** ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٤/٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٠٢/٦) ح ٢٤٥٠، وقال الضياء في المختارة (٤٢١/٣):"إسناده صحيح".

(٣) سورة الحشر الآية: ٢٣.

(٤) سورة الجمعة الآية: ١.

قال البيهقي رحمه الله: "القدوس: هو الطاهر من العيوب المتره عن الأولاد والأنداد وهذه صفة يستحقها بذاته"[١].

وقال ابن الأثير رحمه الله:
"في أسماء الله تعالى القُدُّوس هو الطاهر المتره عن العُيوب"[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "أي الذي له كل قُدس وطهارة وتعظيم، وتقدس عن صفات النقص فالقدوس يرجع إلى صفات العظمة، وإلى السلامة من العيوب"[٣].

فالذي يقدس الله سبحانه يترهه عن كل عيب، أما من يدعي أنه يقدس ربه بنفي صفاته التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسله فهذا لم يتره ربه ولم يقدسه بل على العكس ينتقص من قدره تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
"وهو سبحانه القدوس السلام، والقدوس مأخوذ من التقديس، وهو التطهير، ومنه سمي القدوس قدوساً، والجهمية تدعي أنها تقدسه بنفي الصفات، ويسمون كلامهم تأسيس التقديس، ومنهم من يقول بمخالطته للنجاسات، والباقون يلتزمون ذلك فهم مُنَجِّسُون لا مقدسون"[٤].

---

(١) الاعتقاد للبيهقي ص٥٤ وانظر النهاية لابن الأثير (٢٣/٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٢٣/٤).

(٣) فتح الرحيم الملك العلام ص٣٣.

(٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥٣٧/٢).

فـــأهل السنة الذين أثبتوا لله تعالى ما أثبت لنفسه ونفوا عنه صفات النقص وكل عيب لهم شبه بالملائكة الكرام الذين يسبحون بحمد رهم ويقدسونه كما قال تعالى عنهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[١].

قـــال ابن جرير رحمه الله: "(ونحن نسبح بحمدك): نترهك ونبرئك مما يضيفه إليك أهل الشرك بك ونصلي لك، ونقدس لك: ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك"[٢].

وأما الذين ينفون عن الله صفاته ويصفونه بصفات متضمنة للنقص، فهؤلاء يشبهون اليهود المغضوب عليهم، الذين وصفوا الله بصفات النقص كالبخل والندم والفقر والتي لا تليق بالمخلوق فضلاً عن الخالق، تعالى الله عما يقولون علّواً كبيراً.

والله ســبحانه مـــترهٌ عن كل ما وصفوه فهو مترهٌ "عن كل نقص بوجه من الوجوه، ويتره ويعظّم أن يكون له مثيل أو شبيه أو كفو أو سمي أو ندّ أو مضاد، ويتره عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها"[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٢) جامع البيان (١/١٦٧).

(٣) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للسعدي ص ٢٥٤ من قسم العقيدة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي.

فالقدوس كالسلام ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله"[١].

٢٠ -٢١ السميع العليم

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من قـال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي»**[٢].

فهو سبحانه وتعالى "السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، سرها وجهرها ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ ﴾[٣]"[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ١٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٢/١، ٦٦)، و أبو داود في سننه:كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح (٣٢٣/٤) ح ٥٠٨٨، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٤٦/٥) ح ٣٣٨٨ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه: كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح إذا أمسى ح ٣٨٦٩، وابن حبان في صحيحه (١٤٤/٣)ح٨٦٢، والحاكم في المستدرك (٦٩٥/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، وحسن إسناده الضياء في المختارة (١/ ٤٣٤)، وابن باز في تحفة الأخيار ص ٣٩، والألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٢/٢).

(٣) سورة الرعد الآية: ١٠.

(٤) فتح الرحيم الملك العلام ص٣٩

العلـيم بخفايا الأمـور وظواهرها الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصـدور، ويعلم ما مضى وما يكون وما يأتي ولا يخفى عليه شيء من أعمال العباد مهما ستروها وهو عليم بالعالم العلوي والعالم السفلي.

٢٢- القدير

دلـت على هذا الاسم الجليل أحاديث كثيرة من أحاديث الأذكار نذكر بعضها،فمن الأذكار الدالة على هذا الاسم ما ورد في الصحيحين عنه ﷺ أنه كان يقول دبر كل صلاة: **«لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»**(١).

وفي الحديث الآخر يقول الرسول ﷺ : **«من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحـده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب.. الحديث »**(٢).

فهو سبحانه"كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها وبقدرتـه سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجـازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون. وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد"(٣).

---

(١) سبق تخريجه ص٤١٧، وانظر: ص ٤٢١ لمعرفة معنى (ولا ينفع ذا الجد منك الجد).

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ١٨.

٢٣ -٢٦ الواحد القهار العزيز الغفار:

دل على هذه الأسماء الأربعة الذكرُ الوارد عنه ﷺ فيما يقوله من يتقلب في الليل: **«لا إله إلا الله الواحد القهار ربُّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»**[١].

فهو سبحانه"الواحد المتفرد بصفات المجد والجلال، المتوحد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته، وواحد في أسمائه لا سمي له، وواحد في صفاته لا مثيل له وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير ولا عوين، وواحد في ألوهيته فليس له ندٌّ في المحبة والتعظيم، ولا له مثيل في التعبد له والتأله وإخلاص الدين"[٢].

وهو سبحانه القهار"الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي"[٣].

وهو سبحانه وتعالى العزيز"الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة،وعزة الامتناع، فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته"[٤].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٢/٣٤٠) ح٥٥٣٠، والحاكم في المستدرك (١/٧٢٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع (٤/٢١٣).

(٢) فتح الرحيم الملك العلام ص ٥١.

(٣) الحق الواضح المبين ص٢٥١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ١٧، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (١/٧٠).

وهو سبحانه الغفار الذي يغفر الذنوب جميعاً، ويقبل توبة التائبين، ويستر على العاصيين معاصيهم.

٢٧ -٢٨ العلي الأعلى

ورد اسمـــه تـــبارك وتعالى (العلي) في الذكر الذي يقوله المسلم إذا استيقظ من الليل، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تعارّ[1] من الليل فقال حين يستيقظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمـــد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظـــيم، ثم دعا رب اغفر لي غفر له، أو قال: دعا استجيب له، فإن قام فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته»**[2].

قال ابن القيم رحمه الله: "العلي: الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص، ومن كمال علوه ألا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء"[3].

---

(١) من تَعارّ من الليل: أي هَبَّ من نومه واستيقظ، انظر النهاية في غريب الحديث (١٩٠/١) وانظر فتح الباري (٤٠/٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه بهذا اللفظ: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل (١٢٧٦/٢)ح ٣٨٧٨، وصححه الألباني انظر: صحيح ابن ماجه (٣٣٥/٢)، وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه: في أبواب التهجد، باب فضل من تعارّ من الليل فصلى (٣٨٧/١) ح ١١٠٣ لكن بدون قوله (العلي العظيم).

(٣) شفاء العليل ص ١٨٠.

أما اسمه (الأعلى) فورد في أذكار السجود في الصلاة في قول المصلي عند سجوده: (سبحان ربي الأعلى).

وهـــذان الاسمان له سبحانه وتعالى يدلان أوضح دلالة وأبينها على علـــوه سبحانه على خلقه وأنه فوق كل شيء وأعلى من كل مخلوق ولا شـــيء فوقـــه، وإني لأعجـــب كل العجب من أولئك المسلمين الذين يســـجدون لـــربهم كل يوم أكثر من أربع وثلاثين مرة ويقولون في كل سجدة (سبحان ربي الأعلى) ثم يقولون: إن الله في كل مكان، أو في كل جهـــة، أو يقول بعضهم: إن الله لا فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا عن شمـــال ولا.. ولا.. ويـــنفون وجوده سبحانه وتعالى، كما يترتب على اعـــتقادهم هـــذا إلزامات فاسدة باطلة أخرى، فكيف يخالف اعتقادُهم مقـــالَهم في سجودهم، فهم يقولون ما لا يعتقدون، وكأن لسان حالهم يقـــول: سبحان ربي الأسفل وسبحان ربي الذي عن اليمين وعن الشمال والذي في كل مكان تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وقد صرح بعضهم بها بلسان مقاله، فكان يقول سبحان ربي الأسفل في سجوده[1]. نعوذ بالله من شؤم هذا الاعتقاد.

بل الله فوق سمواته وهو العلي الأعلى، فهو أعلى من كل شيء ولا يحـــيط بـــه شيء، فلو اعتقدوا ما قالوه في سجودهم من علو الله تعالى وفوقيته على كل شيء لنجوا وأفلحوا.

---

(1) نقل هذا عن بشر المريسي.

قـــال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله - في سياق ذكر الأدلة: في باب ذكر بـــيان أن الله عز وجل في الســـماء-: "وقال الله عز وجل: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[(١)] فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء والله قـــد وصف نفسه في غير موضع من تتريله ووجوهه وأعلمنا أنه العلي العظيم، أفلـــيس العلي يا ذوي الحجى ما يكون عالياً لا كما تزعم المعطلة الجهمية أنه أعـــلى وأســـفل ووسط ومع كل شيء في كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان ولو تدبروا الآية من كتاب الله لِفَهْمِها لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم"[(٢)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "العلي الأعلى وهو الذي له العلو المطلق مـــن جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر، فهو الـــذي عـــلى العرش استوى وعلى الملك احتوى وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف وإليه فيها المنتهى"[(٣)].

وأما الفرق بين الاسمين الجليلين (العلي) و(الأعلى) هو "أن العلي يدل على كثرة الصفات ومتعلقاتها وتنوعها، والأعلى يدل على عظمتها"[(٤)].

---

(١) سورة الأعلى الآية: ١.

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١١٢ (ط/١٣٩٨هـ، دار الكتب العلمية،بيروت تعليق محمد خليل هراس)، وانظر مجموع الفتاوى (١١٩/١٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص١٧.

(٤) فتح الرحيم الملك العلام ص ٤٤.

ولعل من الحكمة في كون اسم الأعلى ورد في السجود أن المسلم يضـــع رأسه في أدنى موضع فيناسب كونه في سُفُل أن يستشعر علو الله وفوقيته فيذل بذلك لمولاه وينكسر قلبه له، ويستشعر عظمة مولاه، وسعة علمه وكمال سمعه وبصره فهو مع علوه بذاته قريب بسمعه وعلمه يسمع ويـــرى ويعـــلم تسبيح الساجدين له ودعاءهم، فيحقق بذلك العبد مقام العبودية بسجوده بين يدي رب العالمين.

٢٩- الحكيم:

جـــاء أعـــرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلاماً أقوله. قال: **«قـــل: لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً،سبحان الله رب العالمين لاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم»**، قـــال: فهؤلاء لربي فما لي؟ قال: **«قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني »**[١].

فهـــذا الذكـــر هو من الذكر المطلق غير المقيد بزمان ولا مكان فيه الدلالـــة عـــلى اسم الله الحكيم والثناء على الله به.والحكيم هو"الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ ﴾[٢] فلا يخلق شـــيئاً عبثاً، ولا يشرع شيئاً

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤) ح٢٦٩٦ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) سورة المائدة الآية: ٥٠.

سدىً الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك: فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وفي جزائه والحكمة: وضع الأشياء مواضعها وتتريلها منازلها"(١).

٣٠-٣١ الرحمن الرحيم

ورد هذان الاسمان في البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)، وهما دالان عـــلى أن الله تعالى ذو رحمة واسعة وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها الله لمن آمن به واتبع رسله، ومن عداهم فله نصيب منها، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولا يسمى به أحد إلا الله سبحانه وتعالى(٢)، وأما الجمـــع بـــين الرحمن الرحيم ففيه معنى حسن، وهو أن الرحمن دال على الصـــفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه"(٣).

- **أما ما يدخل في القسم الثاني وهو (الأسماء المضافة) فمنها:**

١- أحسن الخالقين:

ورد هذا الاسم في أذكار الســـجود فالرســـول ﷺ كان يقول في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ١٦.

(٢) انظر تفسير الطبري (١/٥٧)، وتفسير ابن كثير (١/٢١)، وتفسير السعدي ص٢٢.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (١/٢٨).

سجوده: **«سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين»**(١)، ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق لا يشركه أحد في ذلك، وفي هذا الحديث إثبات الخلق من غير الله لأن الخالقين جمع والجواب عن هذا الإشكال"أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله ﷻ وجل فالمصور مثلاً، إذا صوّر صورة فإنه لم يحدث شيئاً غاية ما هنالك أنه حوّل شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله ﷻ والورقة البيضاء من خلق الله ﷻ هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله ﷻ وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق.

وعلى هذا يكون الله سبحانه وتعالى منفرداً بالخلق الذي يختص به"(٢).

٢- ذو الجلال والإكرام

جاء ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾(٣)

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٤.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (١/١٩).

(٣) سورة الرحمن الآية: ٢٧.

وقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾(١).

وورد هذا الاسم في حديث من أحاديث الأذكار وهو قول المصلي دبر صلاته: **«اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»**(٢).

قال الأصبهاني رحمه الله: "ومن الأسماء المضافة ذو الجلال والإكرام، والمعنى أن الله مستحق أن يُجلَّ ومستحق أن يُكرَم ولا يُكْفَر، وقيل معنى الإكرام: إكرامه عباده الصالحين بأن يُحلهم دار كرامته، فيكون الإكرام من قبله للعباد لا من العباد له"ثم استدل له بحديث الرجل الذي دعا وقال: **«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم»**"(٣).

وقال ابن سعدي رحمه الله:

"ذو الجلال والإكرام أي ذو العظمة والكبرياء والمجد الذي يُعظّم ويُبجّل، ويُجلّ لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود الذي يكرم أولياءه، وخـــواص خلقه بأنواع الإكرام الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، ويخلصون إليه ويعبدونه"(٤).

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٤٤.

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٦٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٧٠، وانظر فتح الرحيم الملك العلام ص ٥٣.

٣- فاطر السموات والأرض

جاء عنه ﷺ أنه علّم أبا بكر الصديق رضي الله عنه ذكراً يقوله في الصباح والمساء وعند النوم وذلك لما سأله أبو بكر رضي الله عنه أن يعلمه ذكراً يقوله إذا أصبح وإذا أمسى حيث قال: يا رسول الله مُرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت! قال: «**قل اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه» قال: «قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»**[١].

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢].

فهو سبحانه خلق السموات والأرض وأبدعهما بأحسن صفة وأجمل هيئة وأتقن صنعة وأكمل نظام وانتظام، وجعل فيهما من عجائب المخلوقات ما يدل عليه سبحانه ويدل على قدرته وعظمته وحكمته وعلمه وجميل صفاته.

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٣.

(٢) سبق تخريجه ص٤٠٥.

٤- عالم الغيب والشهادة

ورد هذا الاسم في الحديثين السابقين حديث أبي بكر وابنته رضي الله عنهما.

فهو سبحانه وتعالى الذي يعلم ما خفي وما ظهر ويعلم ما غاب وما حضر، ويعلم السر والعلن، ويعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٥- فالق الحب والنوى

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: **«اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظـــيم ربـــنا ورب كـــل شيء، فالق الحب والنوى، ومترل التوراة والإنجـــيل والفـــرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته الـــلهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنـــت الظاهـــر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين وأغننا من الفقر»**(١)

فهـــو سبحانه الذي شق الحبوب والنوى بجميع أنواعها، وأخرجها مـــن التراب وأودع فيها ما تحتاجه حتى تصبح نباتاً وأشجاراً، فسبحانه وتعالى ما أعظمه وأحكمه(٢).

---

(١) سبق تخريجه ص٣٦٢.

(٢) انظر ص ٣٨٣ وما بعدها من هذه الرسالة.

وهكـــذا نجـــد أن الذكر دل دلالة واضحة على كثير من أسماء الله الحســـنى فعـــلى الذاكر أن يلحظ ذلك ويقوم بعبودية هذه الأسماء حق القيام، ومعرفتها حق المعرفة، حتى لا تكون حجة عليه، والله الموفق.



المطلب الرابع:

دلالة الأذكار على كثير من صفات الله ﷻ ومعانيها والرد على المخالفين فيها

إن من لوازم الإيمان بصفات الله تعالى إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال والجلال وما وصفه به رسوله ﷺ، ونفي ما نفى عن نفسه من صفات النقص والعيب ومسلك المؤمنين الموحدين من الرسل صلوات الله عليهم ومن تبعهم في ذلك الإثبات والنفي هو: أنهم يثبتون لله صفات الكمال على وجه التفصيل، وينفون عنه صفات النقص على وجه الإجمال على حد قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]، وغيرها من الآيات،وخالف هذا المنهج السوي أهل الضلال من المبتدعة فوصفوا الله بصفات السلب على وجه التفصيل فوقعوا في التشبيه والتعطيل[2]، وقد تواتر النقل عن السلف الصالح رضي الله عنهم أنهم يؤمنون بنصوص الصفات ويُجروها على ظاهرها ويُمرُّوها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل، وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على هذا ونقلوا موافقتهم لهذا المنهج الذي به يتبين المُحقُّ من المُبطِل ويُعرف

---

(١) سورة الشورى الآية: ١١.

(٢) انظر مجوع الفتاوى (٣/٤-١١).

صاحب الهدى من صاحب الهوى، وصاحب السنة من صاحب البدعة، قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة(١):

"فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبنا:أن نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبّه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عَزَّ وَجَلَّ ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز عن أن يكون عدماً كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ"(٢).

وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله:

"أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري، الإمام الحافظ الحجة الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف الكثيرة منها (كتاب التوحيد) الذي هو من الكتب المهمة في بيان صفات الله تعالى وعقيدة السلف فيها والرد على المخالفين، توفي رحمه الله سنة ٣١١هـ انظر: الجرح والتعديل (١٩٦/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤)، وطبقات الشافعية للسبكي (١٠٩/٣)(تحقيق الطناحي والحلو، طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر).

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠-١١.

ذلــك، ولا يَحُدُّون فــيه صــفة محصورة وأما أهل البدع والجهمية[١] والمعــتزلة[٢] كلها، الخوارج[٣] فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئاً منها على

---

(١) الجهمــية: هــي إحدى الفرق الضالة المنحرفة، وهي تنتسب إلى الجهم بن صفوان الــذي زعم أن الإيمان هو المعرفة فقط وزعم أن الكفر هو الجهل بالله، وزعم أن الجــنة والنار تفنيان وتبيدان وعطل أسماء الله وصفاته، هذا وقد صار لفظ الجهمية لقــباً عــلى معطلــة الصفات عموماً باعتبار أن الجهمية هي أول من قالت بنفي الصفات. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١، والملل والنحل (٨٦/١).

(٢) المعتزلة: هي فرقة مخالفة لأهل الحق وما نــزل من الهدى، أتباعها يقدسون العقل ويقدمونه على النقل، وينتسبون إلى واصل بن عطاء وهو الذي اعتزل مجلس الحسن البصري - رحمه الله- وقال بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً بل مترلة بين المترلتين، ولاعتزاله هذا سميّ هو وأتباعه (معتزلة) فاعتزلوا أهل الحق، وجانبوا الحق باعتزالهم، وعندهم أصولٌ خمسة لا يكون الشخص معتزلياً حتى يقول بها وهي: ١ - التوحيد. ٢-العدل. ٣- الوعد والوعيد. ٤- أنهم يعتقدون أن صاحب الكبيرة في مترلة بين المترلتين في الدنيا، أما في الآخرة فهو كافر مخلد في النار. ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأصول مخالفة لأصول أهل السنة لأنهم أرادوا بهــا معــاني باطلــة أما في باب الأسماء والصفات فهم يثبتون الأسماء فقط دون الصفات. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٤، وشرح الطحاوية ص٢٩٨، وفرق معاصرة للعواجي (١٠١٧/٢) وما بعدها.

(٣) الخوارج فرقة خرجت على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ويسمون أيضاً بالحرورية لأنهم نــزلوا بأرض يقال لها حروراء، ومن عقائدهم تكفير صاحب الكبيرة في الدنيا، ويعتقدون أنه في الآخرة مخلــد في النار، هذا وإن انغماســهم في =

الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مُشَبِّه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله"[1].

وقال الإمام التيمي الأصبهاني رحمه الله:

"قال علماء السلف: جاءت الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله تعالى موافقة لكتاب الله تعالى نقلها السلف على سبيل الإثبات والمعرفة والإيمان به والتسليم وترك التمثيل والتكييف وأنه ﷻ أزلي بصفاته وأسمائه التي وصف بها نفسه أو وصفه الرسول ﷺ بها فمن جحد صفة من صفاته بعد الثبوت كان بذلك جاحداً ومن زعم أنها محدثة لم تكن ثم كانت دخل في حكم التشبيه في الصفات التي هي محدثة في المخلوق زائلة بفنائه غير باقية وذلك أن الله تعالى امتدح نفسه بصفاته ودعا عباده إلى مدحه بذلك وصدّق به المصطفى ﷺ وبيّن مراد الله فيما أظهر لعباده من ذكر نفسه وأسمائه وصفاته وكان ذلك مفهوماً عند العرب غير محتاج إلى

= التكفير جرّهم لتكفير بعض الصحابة نسأل الله السلامة، وهم يرون الخروج على أئمة الجور من المسلمين.

انظر الفصل في الملل والنحل (١١٣/٢)، والملل والنحل للشهرستاني (٢١٤/١)، ومقالات الإسلاميين (١٦٧/١)، ومجموع الفتاوى (٢٧٩/٣، ٣٥٥)، وفرق معاصرة للدكتور العواجي (٨٨/١).

(١) التمهيد (١٤٥/٧).

تأويله فقال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١]..."[٢].

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني[٣] رحمه الله في سياق كلامـــه على معتقد أهل السنة والجماعة:

"وكذلـــك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعـــزة والعظمـــة والإرادة والمشـــيئة والقـــول والكـــلام والرضـــا والســـخط...وغيرهـــا، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحـــريف ولا تـــبديل ولا تغيير ولا إزالةٍ للفظِ الخبر عما تعرفه العرب، وتضـــعه علـــيه بتأويل منكر ويُجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله تعـــالى ويُقِـــرُّون بـــأن تأويلـــه لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله ﷻ عن الراســـخين في العـــلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٥٤.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٨٣-١٨٤).

(٣) الإمام العلامة القدوة المفسر المذكر المحدث شيخ الإسلام، أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري الصابوني ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة، وتوفي سنة ٤٤٩هـــ ومن أشهر مؤلفاته كتابه القيم: عقيدة السلف أصحاب الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠).

يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾[1]"[2]،

وقال ابن قدامة المقدسي[3] رحمه الله:

"وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى ﷺ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل، والتشبيه والتمثيل... وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار و الإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله، من غير تعرّض لتأويله، وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات"[4].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:

"ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٧.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٨.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قدامة بن مِقدام بن نصر المقدسي الجمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب كتاب"المغني"، الملقب بموفق الدين، الإمام القدوة العلامة المجتهد، كان إمام الحنابلة بجامع دمشق، ثقة، حجة على قانون السلف، توفي سنة ٦٢٠هـ انظر:سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢) وشذرات الذهب لابن العماد (٨٨/٥).

(٤) لمعة الاعتقاد ص٤-٧ (ط/١٣٩٥هـ المكتب الإسلامي).

والحديـــث، قال الإمام أحمد رضي الله عنه: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفســـه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث. ومذهب السلف أهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجى بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله ســـبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله متره عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم"[1].

إذاً يتـــبين لـــنا مما سلف من أقوال أهل العلم أن أهل السنة مجمعون على الإيمان بصفات الله تعالى وإجرائها على ظواهرها، وإثباها من غير تكييف لها ولا تشبيه ومن غير صرف لمعناها إلى معنى غير صحيح بحجة التأويل والتتريه[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢٦/٥).

(٢) وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى (٥/٤) و(١٩٥/٥) و(٣٥٥/٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٣٢/٣)، وذم التأويل لابن قدامة ص١١ (تحقيق بدر البدر، ط١/١٤٠٦هـــ الدار السلفية في الكويت).

ومما ينبغي التنبيه عليه والإشارة إليه في هذا الباب أن كلامنا في صفة من صفات الله هو واحد في جميع الصفات من حيث مصدر ثبوتها ومن حيث إثباتها والإيمان بها وعدم تأويلها أو نفيها وعدم تشبيهها بصفات المخلوق فالكلام واحد في سائر الصفات وهذه القاعدة قعّدها العلماء وهي التي يعبرون عنها:

(**القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر**)(١).

وقاعدة أخرى تذكر مع هذه القاعدة دائماً، وهي أوسع من سابقتها وهي في الرد على الذين يعتقدون بوجود الرب تبارك وتعالى ثم ينفون عنه صفاته، فلا يثبتون ما أثبته لنفسه: ونص القاعدة هو (**القول في الصفات كالقول في الذات**)(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فمذهب السلف رضوان الله عليهم إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية عنها لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات"(٣).

---

(١) انظر الرسالة التدمرية مع شرحها التحفة المهدية لفالح بن مهدي (١/٦٥)، ومجموع الفتاوى (٣/١٧) (٥/١٩٥).

(٢) الرسالة التدمرية مع شرحها التحفة (١/٨٨)، وانظر الحجة في بيان المحجة للتيمي (١/٣١٣) ومجموع الفتاوى (٣/٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٦).

ومـــن الأصـــول المتفق عليها بين السلف التي دلّت عليها نصوص الصفات: أن صفات ربنا سبحانه وتعالى قسمان:

١- **صفات ذاتية**: وهي الصفات التي لم يزل ولا يزال يتصف بها ســـبحانه وتعالى، لا تنفك عن ذاته وليست متعلقة بمشيئته واختياره: مثل صفة الحياة والعلم والعلو والعزة والوجه واليدين والكبرياء والعظمة...إلخ.

٢- **صـــفات فعلـــية**: وهي المتعلقة بأفعاله سبحانه وتعالى في كل وقـــت وزمن، يفعلها متى شاء وكيف شاء على الوجه الذي يليق به تبعاً لحكمته وإرادته، مثل الخلق والرزق والاستواء والرضا والغضب... إلخ.

ومن الصفات ما هو صفة ذاتية فعلية كصفة الكلام فهي ذاتية باعتبار أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، وفعلية باعتبار آحاد الكلام فهو يتكلم بما شاء متى شاء ومع من شاء من خلقه على الوجه اللائق به سبحانه[1].

---

(١) انظر كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (٥٥-٥٦) (ط١/١٤١٣ هـــ مكتبة السوادي جدة تحقيق عبد الله الحاشدي)، والأسماء والصفات له (١/ ٢٧٦)، والتنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية لابن سعدي ص٤٩ -٥٠ (ط١/١٤٢٠هـــ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، تحقيق أشرف بن عبد المقصود)، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة لمحمد أمان الجامي ص ٢٠٨ (ط٢/ ١٤١٣هـــ مطابع الجامعة الإسلامية)، وشرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ص ١١.

وفيما يلي نأتي إلى الصفات التي دلت عليها الأذكار إذ إن الذكر قد دل على صفات كثيرة لله تعالى، كيف لا يكون هذا؟!!، والذكر هو ثناء على الله ﷻ بأسمائه ونعوت جلاله وصفات كماله:

١- دلالة الأذكار على أن لله عز وجل نفساً.

عدّ كثير من أهل السنة والجماعة[١] النفس من صفات الله تعالى، وذهب آخرون من أهل السنة كالبخاري[٢] وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله وغيرهما أن نفس الله تعالى هي ذاته وعينه، قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه، كما يقال: رأيت زيدا نفسه، وقد قال تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾...ثم ذكر بقية الأدلة الدالة على نفس الله سبحانه والتي ستأتي قريباً- ثم قال رحمه الله: فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة

---

(١) وممن عدّ النفس من صفات الله تعالى الإمام ابن خزيمة في التوحيد (١/١١-١٢)، والشيخ مرعي الحنبلي في أقاويل الثقات ص ١٨٦، والقاري في شرح الفقه الأكبر ص٥٨، ومحمد صديق حسن خان القنوجي في قطف الثمر ص٦٦، وغيرهم من أهل العلم.

(٢) ذكر البخاري -رحمه الله- نصوص النفس في صحيحه دون التصريح بأنها صفة، ومراده أنه يجوز إطلاق النفس على الله تعالى لورود النص هكذا فسر مراده الهاشمي في شرحه لكتاب التوحيد ص ٧٠.

بصفاته، ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ"[١].

ووفّــق الشيخ عبد الله الغنيمان بين قولي أهل السنة في النفس فقال بعــد أن ذكــر النصــوص الدالة على النفس لله تعالى: "فهذه النصوص واضـــحة في أن المراد بالنفس هو الله تعالى كما قلنا، ولا يخالف ذلك ما قاله ابن خزيمة والأئمة؛ لأن مقصودهم إثبات ما أثبته الله من غير تعرض له بتأويل أو تمثيل، تعالى الله عن الأمثال والأنداد والتمسك بالنصوص التي قالها الله ورسوله مع الإعراض عما يقوله أهل التأويل وأصحاب الوساوس الشيطانية التي تعود على النصوص بالإبطال، وحسب المسلم أن يسعه ما وسع السلف الصالح ومن سلك طريقهم..."[٢].

إذا كان الأمر كذلك فنفس الله هي ذاته وهي متصفة بصفات غير منفكة عنها، ونفسه سبحانه تليق بجلاله وعظمته لا تشبه نفوس خلقه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[٣]. وقال جل جلاله: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ

(١) مجموع الفتاوى (٩/٢٩٢-٢٩٣).

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٢٥١).

(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٤.

يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾[١]. وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٢].

وقد دلت أحاديث الأذكار على أن لله تعالى نفساً فنحن نثبتها لدلالة الكتاب والسنة عليها:

١- فقد ثبت في الصحيح عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: **«ما زلتِ على الحال التي فارقتك عليها؟»** قالت: نعم قال النبي ﷺ: **«لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»**[٣].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته

---

(١) سورة طه الآيتان: ٤٠ -٤١.

(٢) سورة آل عمران الآية: ٢٨ و٣٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (٤/٢٠٩٠) ح٢٧٢٦.

هرولة»[(١) (٢)].

٣- وقوله ﷺ في سياق ثنائه على ربه تبارك وتعالى:

«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[(٣)].

فهـــذه الأحاديث تدل على أن لله تعالى نفساً تليق به، فله سبحانه نفـــس ومن صفاتها المذكورة هنا صفة الرضا حيث قال: (ورضا نفسه)، وهو سبحانه يذكر في نفسه من ذكره من عباده في نفسه: (ومن ذكرني في نفســـه ذكـــرته في نفســـي)، وفي هذا فضل عظيم للذاكرين ربهم في أنفســـهم، كما أنه سبحانه وتعالى أثنى على نفسه بمحامد كثيرة متضمنة لصفات الجلال والإكرام وأفعال الكرم والفضل والإحسان، فنثبت له سبحانه تبارك وتعالى نفساً كما أثبتها في كتابه وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ (٢٦٩٤/٦) ح ٦٩٧٠، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤) ح٢٦٧٥.

(٢) تنبيه قال ابن رجب رحمه الله في جامع العلوم والحكم ص ٣٧-٣٨ عقب ذكره لهذا الحديث وأحاديث أخرى:"ومن فهم شيئا من هذه النصوص تشبيهاً أو حلولاً أو اتحاداً فإنما أتى من جهله وسوء فهمه عن الله عز وجل وعن رسوله، والله ورسوله بريئان من ذلك كله فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود (٣٥٢/١) ح٤٨٦.

وممن استدل بهذه الأحاديث على ما استدللنا به الإمامُ ابنُ خزيمة[١] رحمه الله في كتابه التوحيد حيث بوّب قائلاً:

"بـــاب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله على مثل موافقة التتريل الذي بين الدفتين مسطور وفي المحاريب والبيوت والسكك مقـــروء"[٢] ، ثم ساق بسنده مستدلاً لذلك حديثي أبي هريرة وجويرية رضـــي الله عـــنهما، ثم ذكر رحمه الله بعد ذلك مبيناً أن الكتاب والسنة يدلان على أن لله نفساً، وذكر أن الجهمية خالفوا بذلك وردّ عليهم،

فقال رحمه الله: "فالله جل وعلا أثبت في آيٍّ من كتابه أن له نفساً وكذلـــك قـــد بين على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً كما أثبت النفس في كتابه، وكفرت الجهمية بهذه الآيّ، وهذه السنن وزعم بعض جهلتهم أن الله تعالى إنما أضاف النفس إليه على معنى إضافة الخلق إليه وزعم أن نفسه غيرُه، كما خلقُه غيرُه، وهذا لا يتوهمه ذو لبٍّ وعلم فضلاً عن أن يتكلم به، قد أعلم الله في محكم تتريله أنه كتب على نفسه الرحمة،أفيتوهم

---

(١) وممن استدل بحديث جويرية -رضي الله عنها- أيضاً لإثبات النفس لله تعالى الإمام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي رحمه الله في كتابه: الأربعين في دلائل التوحيد ص٥٢-٥٣ (ط١٤١٤/١هـــ في المدينة المنورة تحقيق/علي بن ناصر الفقيهي)، والبخاري في صحيحه (٢٦٩٤/٦) استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه و شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٩٢/٩).

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٦.

مسلم أن الله تعالى كتب على غيره الرحمة؟ وحذر الله العباد نفسه أفيحل لمسـلم أن يقـول إن الله حـذّر العـباد غيره؟ أو يتأول قوله لموسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[1] فيقول معناه واصطنعتك لغيري من المخلوق، أو يقول أراد روح الله، بقوله: ﴿ وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[2] أراد ولا أعلم ما في غيرك؟ هذا ما لا يتوهمه مسلم ولا يقوله إلا معطل كافر"[3].

قلــت: ويستفاد من كلامه رحمه الله قاعدة جليلة في الرد على كل من أوّل أو حرّف المعنى الحقيقي المراد لأي صفة من صفات الله جل وعلا إلى معـنى غير مراد منها وذلك بأن يُجرَى هذا المعنى المُفتَرى غير المراد عـلى كل النصوص الدالة على هذه الصفة فيتبين لكل من له أدنى مسكة عقل فسادُ هذا المعنى وبعده عن الصواب، وأن صفات الله تثبت من غير تأويل ولا تعطيل والله أعلم.

٢ – صفة الوجه لله تبارك وتعالى

هذه الصفة هي من الصفات الذاتية الثابتة لله ﷻ فيجب أن نثبتها كسائر الصفات مع التتريه التام لله تعالى عن مماثلة خلقه في صفاهم، فالله سبحانه وتعالى له وجه يليق بجلاله وكماله دل على ذلك نص الكتاب والسنة.

---

(١) سورة طه الآية: ٤١.

(٢) سورة المائدة الآية: ١١٦.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٨-٩، وانظر كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام (٢١٤/١).

أما الكتاب: فقد قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "قال ابن بطال: في هذه الآية والحديث دلالة على أن لله وجهاً وهو من صفة ذاته... لا كالوجوه التي نشاهدها من المخلوقين، كما نقول: إنه عالم، ولا نقول: إنه كالعلماء الذين نشاهدهم"[٣].

وأما من السنة فالأحاديث الدالة على هذه الصفة كثيرة[٤].

ومما يدل على هذه الصفة من أحاديث الأذكار ما ورد عنه ﷺ فيما يقال عند دخول المسجد، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال:

«أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم»[٥].

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٢٧.

(٢) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٣) فتح الباري (٣٨٨/٨١٣-٣٨٩).

(٤) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١١ وما بعدها، والحجة للتيمي (٢١٥/١)، والاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني المقدسي ص ٩٦ (ط٢/١٤٢٢هـ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تحقيق د/أحمد الغامدي).

(٥) سبق تخريجه ص ٤٤٥.

فـــدل هذا الحديث على أن لله تعالى وجهاً يليق به تعالى ولا يشبه وجـــوه المخلوقين، كما دل على الاستعاذة بوجه الله تعالى، ولا يستعاذ بمخلوق.

قال ابن خزيمة رحمه الله:

"نحـــن نقول وعلماؤنا جميعاً في الأقطار: إن لمعبودنا ﷻ وجهاً كما أعلمنا في محكم تنزيله فذوّاه أي وصفه ب ذو بالجلال والإكرام وحكم لـــه الـــبقاء ونفى عنه الهلاك ونقول إن لوجه ربنا ﷻ من النور والضياء والـــبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصـــره، محجـــوبٌ عـــن أبصار أهل الدنيا لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية"[١].

أمـــا مـــا زعمـــه بعض المعطلة من أن الوجه هو كما يقال في لغة العـــرب: وجـــه الثوب ووجه الدار ووجه الكلام فهذا من أقبح الكلام وأردأ المقـــال، فهذا تأويل باطل أرادوا منه نفي الوجه عن الله تعالى، وقد رد عليهم العلماء وأبطلوا مقالهم هذا[٢].

---

(١) كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٣/١) (ط١٤١٨/٦هـــ مكتبة الرشد الرياض بتحقيق عبد العزيز الشهوان)، وهو في ص٢٢ منه (بتحقيق الهراس).

(٢) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٢٤ تعليق الهراس، وانظر الإبانة للأشعري ص٥١، والحجة في بيان المحجة للتيمي (٢١٧/١-٢١٨).

ومن المخالفين من زعم أن وجه الله هو ذاته فوقعوا في التأويل(١).

قال ابن خزيمة رحمه الله في بعض ردوده على من أوّل الوجه بالذات:

"في قوله:﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢) دلالة على أن وجه الله صفة من صفات الله صفة الذات لا أن وجه الله هو الله، أو أن وجهه غيره كما زعمت المعطلة الجهمية، لأن وجهه لو كان الله لقرئ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام"(٣) مراده أنه وصف وجه الله بالإجلال والإكرام فأخذ حكمه في الإعراب وهو الرفع ولفظة (ربك) مجرورة، فدل على أن الوجه صفة من صفات الرب وليس الوجه هو ذات الرب والله أعلم،كما دل حديث دخول المسجد على صفة السلطان لله تعالى، إذ إن رسول الله ﷺ استعاذ بها وهو لا يستعيذ بمخلوق، وسلطانه سبحانه في كل مكان، قديم أزلي وكل شيء تحت قهره وسلطانه لا يخرج عنه.

---

(١) انظر أصول الدين للبغدادي ص١١٠ (ط١/١٣٤٦هـ، بمطبعة الدولة، استانبول)، وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ص١٤٠ (ط/١٣٩١هـ، مطابع الأهرام القاهرة بتحقيق حسن عبد اللطيف)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (٢٤٥/١) (نشر مكتبة النهضة المصرية عام ١٣٨٩هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد).

(٢) سورة الرحمن الآية: ٢٧.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٢٢، وانظر: الحجة في بيان المحجة (٢١٧/١). وانظر: باقي تأويلات الجهمية لصفة الوجه والرد عليها فيهما.

٣- صفة اليدين

وهي صفة من الصفات الذاتية الخبرية، الثابتة لله تعالى بنص الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[4]، قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: بـــاب قول الله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ قال ابن بطال: في هذه الآية إثبات يدين لله وهما صفتان من صفات ذاته"[5].

أما من السنة فالأحاديث كثيرة دلّت على هذه الصفة[6].

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٧.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٤.

(٣) سورة الفتح الآية: ١٠.

(٤) سورة ص الآية: ٧٥.

(٥) فتح الباري (٣٩٣/١٣).

(٦) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٥٣ وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤٥٧/٣ وما بعدها)، والحجة في بيان المحجة للتيمي (٢٠١/١ -٢١٤) فقد ذكروا أحاديث كثيرة في إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى.

هـذا وقـد دلت أحاديث الأذكار على صفة اليدين لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه لهما بأيدي المخلوقين ومن غير تكييف ولا تعطيل ولا تأويل "فلا نقول يدٌ كيد، ولا نكيف، ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل بل نؤمن بذلك ونثبت له الصفة من غير تحديد ولا تشبيه"(١)، وعلى هذا درج السلف الصالح رحمهم الله.

قال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني رحمه الله - في أثناء كلامه عن معتقد أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة-:

"ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه في قوله ﷻ: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(٢)، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيِّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه ومنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سُبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١١٧ -١١٨.

(٢) سورة ص الآية: ٧٥.

بالتعلـــيل والتشبيه[١]، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢]..."[٣].

ومن أحاديث الأذكار الدالة على هذه الصفة:

١- حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في استفتاحه ﷺ وفيه: **«لبيك وسعديك والخير كله في يديك»**[٤].

فهـــذا الحديث فيه دلالة واضحة أن لله تعالى يدين، وأن الخير كله بيديه سبحانه، وأفعاله كلها خير ولا يفعل إلا ما فيه خير وحكمة[٥].

وممـــن اســـتدل بهذا الحديث على إثبات صفة اليدين لله تعالى ابنُ خزيمة رحمه الله في كتاب التوحيد[٦] حيث قال بعد أن ذكر الحديث:

"وهذا الخبر أيضاً داخل في إثبات اليد لله ﷻ".

وهذا الحديث شبيه بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ

(١) أي لم يعترضوا على أفعال الله وتركوا السؤال بـــ لم فعل الله كذا وكذا، وكيف هي صفات الله تعالى؟

(٢) سورة الشورى الآية: ١١.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٨/٣٥).

(٦) كتاب التوحيد ص١٤.

بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾[١].

ولا عبرة بقول من قال من شراح هذا الحديث إن المقصود باليدين: القدرة والإرادة، كما فسره بذلك ابن علان في الفتوحات الربانية[٢]، بل هذا تأويل بعيد لا يصح.

٢- وحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يقال عند الهم والحزن وفيه: **«اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك»**[٣].

فدل هذا الحديث أن ناصية العبد بيد الله يتصرف فيها كيف يشاء، لا يستقل العبد بشيء من الأمور إلا تحت مشيئة الله، فمشيئة العبد لا تخرج عن مشيئة الله تعالى، وأن كل أمور الخلق بيده وتحت قبضته، كما دلّ أيضاً على أن لله تعالى يداً تليق به يصرف بها أمور العباد ونواصي العباد كلهم بيده، لا يخرج أحد منهم عن قبضته.

قال ابن القيم رحمه الله:

"(ناصيتي بيدك): أي أنت المتصرف فيّ، تُصرّفني كيف تشاء، لست أنا المتصرف في نفسي، وكيف يكون له في نفسه تصرف مَنْ نفسه بيد ربه وسيده وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته وحياته

---

(١) سورة آل عمران الآية:٢٦.

(٢) (١٦٩/٢).

(٣) سبق تخريجه ص٤٥٣.

وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلى العبد منه شيء، بـــل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرفه وقهره، بل الأمر فوق ذلك، ومتى شهد العبد أن ناصـــيته ونواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يَخفْهم بعـــد ذلـــك ولم يـــرْجُهم ولم يترلهم مترلة المالكين بل مترلة عبيد مقهورين مـــربوبين المتصـــرفُ فيهم سواهم، والمدبرُ لهم غيرهم فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له، ومتى شهد الناس كذلك لم يفـــتقر إليهم ولم يعلق أمله ورجاءه بهم فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته ولهذا قال هود عليه السلام لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1]»[2].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول: **«امسح البأس رب الناس، بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت»**[3].

وفيه دلالة على أن لله يداً، وأن الشفاء بيده لا أحد سواه لا ملك

(١) سورة هود الآية:٥٦.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٣١ (ط١/١٤٠٣هـــ دار الكتب العلمية).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب باب رقية النبي ﷺ (٥/٢١٦٨) ح٥٤١٢، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض (١٧٢٣/٤) ح٢١٩١.

مقرب ولا نبي مرسل و لا شيخ ولا ولي، ومن اعتقد غير ذلك فعقيدته فيها خلل، واعتقاده فاسد يجب أن يصحح، فلا يُطلب الشفاء ولا يُسأل من أحد سوى الله سبحانه وتعالى ومن سأل أحداً من المخلوقين لكشف مرضٍ أو دفع ضر فقد أشرك، وهذا رسول الله ﷺ معلم الناس الخير لم يسأل أي ملك مـــن الملائكة المقربين لا جبريل عليه السلام ولا غيره في كشف ما نزل به من مرض بل كان يسأل ربه أن يشفيه، فلنا به الأُسوة الحسنة.

هذا وقد فسر المخالفون لأهل السنة اليد بالقدرة تارة، وبالنعمة تارة أخرى، متأولين للنصوص الصحيحة الصريحة[1].

وقـــد ردّ علـــيهم العـــلماء المتمسكون بالأدلة من الكتاب والسنة والسائرون على منهج السلف[2].

---

(١) انظر: أصـــول الدين: لعبد القاهـــر بن طاهـــر البغدادي ص١١٠-١١١ (ط١/ ١٣٤٦هـــ، بمطبعة الدولة، استانبول)، وشرح المواقف للجرجاني ص١٧٥، وأساس التقديس لمحمد ابن عمر الرازي ص١٢٥ (ط/١٣٥٤هـــ مطبعة الحلبي)، والفتوحات الربانية لابن علان (١٦٩/٢).

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٨٥، والشريعة للآجري ص ٣٢٠، ورد الإمام الدارمي على بشر المريسي ص ٢٥،وعقيدة السلف للصابوني ص ٢٦، والحجة في بيان المحجة للتيمي (٢٠١/١) (٢٧٦/٢)، والإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ٥١، والاعتقاد للبيهقي ص٧٨، والاقتصاد للمقدسي ص١١٢، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٢٠، وفتح الباري لابن حجر (٣٩٣/١٣-٣٩٤)، والصفات الإلهية للجامي ص ٣٠٤-٣٠٦.

ومجمل الرد عليهم هو ما يلي:

١- أن تـــأويل الـــيد بالقدرة إبطال لما اختص الله تبارك وتعالى به بعض مخلوقاته تفضيلاً لهم على غيرهم، كما اختص آدم بأن خلقه بيده، ومن قال أن اليد بمعنى القدرة، يكون قد ساوى بين آدم وإبليس؛ لأن الله تعالى أيضاً قد خلق إبليس بقدرته، ويكون ذكر خلق آدم بيد الله لا مزية فـــيه، وحاشا لله أن يكون في كلامه شيء من هذا، فتعالى الله عن قولهم علـــواً كبيراً، وأيضاً لقال إبليس لربه: وأنا خلقتني بيديك، إذا كان المراد بالـــيد القـــدرة، ولكن إبليس -لعنه الله- لم يفهم هذا الفهم الذي فهمه المؤلون لهذه الصفة.

٢- أن اليد جاءت مثناة في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، وقولـــه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[2] وهذا ما يبطل القول بأن اليد بمعنى القدرة أو النعمة وذلك لأن قدرة الله واحدة شاملة لكل شيء، وأن نعم الله ليســـت نعمتان فقط بل نعمه كثيرة لا تحصى، فلا يصح أن يقال لما خلقت بقدرتيّ ولا بنعمتي.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله:

"ولا يصح حمل اليدين على القدرتين؛ فإن قدرة الله ﷻ واحدة، ولا

(١) سورة ص الآية: ٧٥.

(٢)سورة المائدة الآية: ٦٤.

على النعمتين؛ فإن نعم الله ﷻ لا تحصى كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

٣- إذا كان تأويلهم اليد بالقدرة من أجل الفرار من التشبيه، أي لئلا يشبهوا يد الخالق بالمخلوق، فالمخلوق أيضاً له قدرة فيلزمهم أن يفروا من هذا التأويل إلى غيره حتى لا يقعوا في الذي فروا منه، يقول ابن القيم رحمه الله: "وإذا تأول لفظ اليد بالقدرة، فالقدرة يوصف بها الخالق والمخلوق فإن فررت من اليد لأنها تكون للمخلوق ففر من القدرة لأنه يوصف بها"[2].

٤- صفة السمع لله تعالى

هذه الصفة هي من الصفات السمعية العقلية دلّت النصوص عليها من الكتاب والسنة ودل العقل عليها، فالعقل يثبت أن الله سبحانه وتعالى له سمع يسمع به إذ لو لم يتصف بذلك لاتصف بضده وهو الصمم وهذا محال لأن السمع من صفات الكمال والصمم من صفات النقص، والله موصوف بالكمال المطلق، ومن المعلوم بالنسبة للمخلوق أن من كان ذا سمع أكمل ممن لا سمع له، فصفة السمع صفة كمال للمخلوق فهي للخالق من باب أولى.

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٣٤.

(٢) الصواعق المرسلة (٢٣٦/١).

فالله سبحانه يسمع الأصوات مهما دقت ويسمع السر والنجوى.

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠﴾(٣).

وقد دلت أحاديث الأذكار على صفة السمع.

ومن الأدلة على أن الذكر يدل على صفة السمع لله تعالى وأن الذاكر يعتقد عند ذكره لربه أن الله يسمعه ما ورد أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك وأعلمهم بأن الله يسمع تكبيرهم وتهليلهم ولو لم يرفعوا أصواتهم، وهو بصير بحالهم ومكانهم قريب منهم بعلمه وإحاطته، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه(٤) قال: لما غزا رسول ﷺ خيبر أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨١.

(٢) سورة المجادلة الآية: ١.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٨٠.

(٤) وممن استدل بحديث أبي موسى هذا على صفة السمع والبصر لله تعالى الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، والإمام محمد بن إسحاق ابن خزيمة في كتاب التوحيد ص٤٩ والإمام عثمان بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي العنيد ص ٤٧.

الـــناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقـــال رسول الله ﷺ: **«اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»**، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فســـمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي: **«يا عبد الله ابن قيس»** قلت: لبيك يا رسول الله، قال: **«ألا أدلك على كلمة هي كـــتر من كنوز الجنة» قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»**[1].

فهـــذا الحديث يدل على صفة السمع لله تعالى والبصر وعلى قربه سبحانه وتعالى من عباده.

إذا كان الأمر كذلك فاعتقاد الذاكر أن الله يسمع ذكره من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وثناء على الله تعالى هذا من لوازم الذكر.

قال النووي رحمه الله: "معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب وهو معكم بالعلم والإحاطـــة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى

---

(١) أخرجه البخاري: في صحيحه كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٥٤١/٤)ح ٣٩٦٨، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وكان الله سميعاً بصيراً (٢٦٩٠/٦)ح٦٩٥٢، ومسلم في صحيحه باب استحباب خفض الصوت بالذكر ح٢٧٠٤ (٢٠٧٦/٤).

رفعـــه؛ فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه فإنْ دعت حاجةٌ إلى الرفع رفع كما جاءت به أحاديث"(١).

وإن ممـــا يؤسف ويحزن ويحز في النفس ما يعتقده من يزعم أن لهم السـبق في الأذكار والأوراد، فبدل أن يستشعر قرب الله منه حين ذكره ويستشعر أن الله يسمعه ويراه، يستشعر أن شيخ طريقته يسمع قوله ويرى حالـــه ومكانه فهو منه خائف، فلا يلتفت يمنة ولا يسرة، وهذا ما سمعناه من بعضهم في بلادنا دمشق والله المستعان.

وقـــول المصلي في صلاته: (سمع الله لمن حمده) وهو من أذكار الرفع من الركوع فيه دلالة على أن الله يسمع من يحمده ويثني عليه بصفات الكمال.

قـــال ابن حجر رحمه الله بعد أن ساق الأدلة على سمع الله وبصره: "وورد في السمع قول المصلي: (سمع الله لمن حمده)، وسنده صحيح متفق عليه بل مقطوع بمشروعيته في الصلاة"(٢).

وتلبـــية الحاج والمعتمر هي من أفضل الأذكار التي يقولها الحاج وهي دالة على أن الله متصف بصفة السمع.

قـــال ابـــن القيم رحمه الله: "إنها (أي التلبية) تتضمن الإقرار بسمع الرب تعالى إذ يستحيل أن يقول الرجل لبيك لمن لا يسمع دعاءه"(٣).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٦/١٧).

(٢) فتح الباري (٣٧٣/١٣).

(٣) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (١٧٨/٥) (ط٢/١٤١٥هـــ، دار الكتب العلمية).

ومن ما مضى يتضح لنا أن الذكر يولّد في نفس الذاكر مراقبة الله تعالى لأنه يعتقد أن الله يسمع قوله ويرى فعله وهو قريب محيط به فلا يعمل حينئذٍ إلا بما يرضي ربه.

٥ – صفة العلو:

إن علو الله ﷻ على خلقه صفة من صفاته سبحانه وتعالى الذاتية، وهو مما يقر به كل من كان سليم الفطرة، وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، كما دل على هذه الصفة العقل والفطرة.

أما أدلة الكتاب فقد قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[2].

وقال أيضاً: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ

---

(١) سورة تبارك الآية: ١٦.

(٢) سورة فاطر الآية: ١٠.

(٣) سورة النحل الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأعلى الآية: ١.

ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[١]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأمـــا مـــن الســـنة المطهرة فالأحاديث كثيرة جداً، منها الحديث المعـــروف بحديث الجارية: جاء فيه أن النبي ﷺ سأل جارية معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: **«من أنا؟» قالت: أنت رسول الله . قال: أعتقها فإنها مؤمنة»**[٢].

ومنها حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً قال رسول الله ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»**[٣].

وغير ذلك من الأحاديث الدالة على هذه الصفة الشيء الكثير[٤].

أما الإجماع فقد حكاه الإمام الأوزاعي[٥] رحمه الله إمام أهل الشام

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (٣٨١/١) ح٥٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب بعث علي وخالد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع (١٥٨١/٤) ح٤٠٩٤، ومسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاقم (٧٤٢/٢) ح١٠٦٤(٧٤٢/٢).

(٤) انظر: مختصر العلو ص٨١ وما بعدها (ط١٤٠١/١هـــ المكتبة الإسلامية).

(٥) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الأوزاعي الدمشقي، عالم أهل الشام، كبير الشأن،كان مجتهداً في العبادة، وكان مولده في حياة الصحابة توفي سنة ١٥٧هـــ. انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٨٤/١) (ط١٩٥٢/١م، دار إحياء التراث العربي) وسير أعلام النبلاء(١٠٧/٧)، وتهذيب التهذيب (٢١٦/٦) (ط١٤٠٤/١هـــ دار الفكر).

في عصـــره عن التابعين، وهم إنما أخذوه عن الصحابة رضي الله عـــنهم، والصحابة أخذوه من رسول الله ﷺ فقال رحمه الله:"كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته"[١].

وقـــد قال هذه المقالة رحمه الله بعدما ظهر مذهب الجهمية المـــنكرين لعلو الله تعالى فقال مقالته إظهاراً للحق وما كان عليه السلف، وإبطالاً لمذهب الجهمية الضُلّال[٢].

وقال الإمام الدارمي عثمان بن سعيد[٣] رحمه الله:

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٨ (ط/دار إحياء التراث العربي بيروت)، وذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٩/٥) وقال:"روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح عن الأوزاعي.. فذكره"،وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص٤٣(الطبعة السلفية) وصحح إسناده أيضاً، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢١/٧) في ترجمته للأوزاعي.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣٨/٥، ١٣٩).

(٣) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، الإمام العلامة الحافظ الناقد شيخ تلك الديار أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المئتين بيسير وطوف الأقاليم في طلب الحديث وتوفي سنة ٢٨٠هـ كان عثمان الدارمي جِذعاً في أعين المبتدعة صنف كتاباً في الرد على بشر المريسي وكتاباً في الرد على الجهمية، نصح الأئمة الكبار بقراءتهما.

انظر: تذكرة الحفاظ (٦٢١/٢)، و سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣).

"وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته"[١].

ونقـــل غيرهما إجماع المسلمين من أهل السنة على أن الله معنا بعلمه وهو بذاته عال فوق سمواته مستو على عرشه [٢].

وقـــال الإمام أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله:"وعلماء الأمة وأعيان الأئمـــة مـــن السلف رحمهم الله لم يختلفوا في أن الله تعالى على عرشه، وعرشـــه فوق سماواته، يثبتون له من ذلك ما أثبته الله تعالى، ويؤمنون به ويصدقون الرب جل جلاله في خبره، ويطلقون ما أطلقه سبحانه وتعالى من استوائه على العرش ويمرونه على ظاهره ويكِلون علمه إلى الله"[٣].

وأما دلالة العقل على علوه سبحانه وتعالى فمن وجوه عدة:

"**أحدهـــا**: العلم البدهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

---

(١) رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٥٠ (ط١٣٥٨/١هـــ دار الكتب العلمية بتحقيق محمد حامد الفقي)، وانظر سير أعلام النبلاء (٣٢٥/١٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢١٩/٣) فقد نقل شيخ الإسلام هذا الإجماع عن الطلمنكي، وفي الفتاوى (٢٢٢/٣) نقل شيخ الإسلام كلام أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين، وفيه أن علماء جميع الأمصار ممن أدركوهما من مذهبهم إثبات العلو لله وهذا إجماع منهم على ثبوت العلو لله تعالى.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٣٧ (ط١٤١٥/٢هـــ مكتبة الغرباء بتحقيق بدر البدر).

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل: أما أولاً فبالاتفاق،وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الوجه الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول: فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه. والأول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة"(١) فإذا ثبتت المباينة بين الخالق والمخلوقات بالمقدمات السابقة فإما أن يكون العلو للمخلوق فهذا باطل لأن صفة السفل صفة نقص فيتره عنها الخالق، أو يكون العلو للخالق وهذا هو محض الصواب وهو الذي يليق بالخالق جل وعلا.

وأما دلالة الفطرة على علو الله وكونه في السماء فـ"الأمم كلها عجمها وعربها تقول: إن الله ﷻ في السماء ما تُرِكت على فطرها، و لم تنقل عن ذلك بالتعليم"(٢).

فالناس بفطرهم السليمة التي لم تشب بلوثة التجهم يرفعون أيديهم إلى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٠-٢٩١، ولقد ذكر ابن القيم رحمه الله ثلاثين دليلاً عقلياً تدل على علو الله تعالى، انظر ما ذكره في مختصر الصواعق المرسلة ص ٣٥٥ وما بعدها (ط١/١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٤٠٥).

الســـماء عند دعائهم، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند تضرعهم، فلم يقصـــدوا أي جهـــة لا يمين ولا شمال ولا أسفل، بل قلوبهم وأبصارهم وأيديهـــم كـــلها متجهة نحو بارئها وفاطرها، والذي هو فوق السموات العلا[١].

قال الإمام الهمام الدارمي رحمه الله:

"وقـــد اتفقـــت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدوه بذلك إلا المريسي الضال وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث، قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء، دون ما سواها، فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية"[٢].

وقال ابن عبد البر رحمه الله:

"ومـــن الحجـــة أيضـــاً في أنه ﷻ على العرش فوق السموات السبع أن الموحديـــن أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطراري لم يخالفهم عليه أحد

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٢٩١، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١١٠، وانظر الإبانة للأشعري ص٤٦، ومجموع الفتاوى (٦١/٤) (٥/١٥، ١٥٢، ٢٥٩، ٢٧٣، ٢٧٥)، والصواعق المرسلة لابن القيم (١٢٧/٢).

(٢) رد الإمام الدرامي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص٢٥.

ولا أنكـــره علـــيهم مسلم وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها إن كانـــت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: **«أين الله؟ فأشارت إلى الســـماء، ثم قال لها: من أنا؟ قالت: رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة»**.

فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء واستغنى بذلك عما سواه"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله مبيناً اتفاق الثقلين الإنس والجن على علو الله وهم مفطورون على ذلك:

وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق والثقلان

لا يستطيع معطل تبديليها أبداً وذلـــك سنة الرحمن

كـــلٌّ إذا نابه أمر يرى متوجهاً بضرورة الإنسان

نحو العلو فليس يطلب خلفه وأمامه أو جانب الإنسان[2]

وذكـــرُ الله جل وعز يقوّي هذه الفطرة وينميها، فكلما أكثر العبد مـــن الذكر كلما ازداد علمه بعلو ربه وقوي، وخضع قلبه وانكسر وذل لعلو الله تبارك وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) التمهيد (٧/١٣٤)، وانظر (٢٢/٨١) من التمهيد.

(٢) نونية ابن القيم مع شرحها للهراس (١/١٨٦).

"وأمـــا كونـــه عالـــياً عـــلى مخلوقاته بائناً منهم فهو أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم، وكل من كان بالله أعرف، وله أعـــبد، ودعـــاؤه أكثر، وقلبه أذكر، كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمـــل، فالفطرة مكملة بالشريعة المترلة، فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً والشريعة تفصله وتبيّنه، وتشهد بما لا تستقل الفطرة به"(١).

وأنكرت الجهمية المعطلة علو ربها، وزعمت أنه في أسفل الأرضين تعالى الله عمـــا يقولون علواً كبيراً، وخالفت بذلك ما اجتمع عليه أهل الأديان مع المســـلمين، فكانوا أشر قولاً من اليهود والنصارى(٢)، وتصدى علماء الإسلام لقولهـــم هذا فردوه رداً مفحماً مبنياً على الأدلة الصحيحة والنصوص الصريحة مـــن الكتاب والسنة، فدحضوا قولهم وأبطلوا زعمهم ونسفوا رأيهم، فأُقيمت الحجة وظهرت المحجة، وبلج الحق وظهر، ولجلج الباطل وانكسر، وانقشعت الشبهات عن كثير من الخلق وبان لهم الحق، وزال عنهم الشك والالتباس فلله الحمد رب الجنة والناس(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٥)، وانظر مجموع الفتاوى (٥/١٥).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/١٣٨).

(٣) انظر في صفة العلو وإثباتها و الردود على المخالفين في هذه الصفة: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، وممن رد عليهم أيضاً الإمام الدارمي في كتابه"الرد على الجهمية"ص ٢٦٣، وانظر أيضاً: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١١٠ -١٢٥ (ضمن عقائد السلف)، والإبانة للأشعري ص٤٧-٥٠، والتمهيد لابن عبد =

وبعـــد هذا فلنرجع إلى ما نحن بصدده من دلالة الذكر على علو الله تعالى فكما أسلفت أن كثرة الذكر تقوي الفطرة المركوزة في النفوس من أن الله جـــل جلاله عال على خلقه بكل ما تتضمنه كلمة العلو من معنى، إذ إن علو الله عز وجل ينقسم إلى قسمين:

علو معنوي وعلو ذاتي:

١- أمـــا العلـــو المعنوي: فهو ثابت لله بإجماع أهل السنة كلهم يؤمنون بأن الله تعالى عال علواً معنوياً، وهو علو الغلبة والقهر وعلو القدر والشرف والعظمة.

٢- وأما العلو الذاتي: فيثبته أهل السنة، وهو كونه سبحانه عالياً فوق السموات، مستوياً على عرشه استواء يليق بجلاله[1]، أما أهل البدع فـــلا يثبـــتونه ويقولون: إن الله تعالى ليس عالياً علواً ذاتياً، تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

= البر (١٢٨/٧وما بعدها)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣٦/٥)، وألّف ابن القيم كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية" ملأه بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال من سبق من السلف الصالح، للدلالة على علو الله ولإبطال مذهب الجهمية والمعطلة النافيين لعلو الله، كما ألّف الذهبي في مسألة العلو كتاب"العلو للعلي الغفار"أيضاً حشده بالأدلة والأقوال الصريحة الدالة على علوه سبحانه وتعالى، وانظر أيضاً شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨٥-٢٩٣، وغير ذلك من المؤلفات القيمة في هذه المسألة.

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١: ٣٨٧) (ط١/دار ابن الجوزي).

هذا ومن أحاديث الأذكار الدالة على صفة العلو لله تعالى ما يلي:

١- الذكـــر الـــذي يكرره المسلم في سجوده يومياً عشرات المرات وهو قوله: «**سبحان ربي الأعلى**».

فهذا الذكر فيه دلالة واضحة على علو الله تعالى، وأنه منزه عن أن يكون في السفل، فالأعلى هو الذي له العلو من جميع الوجوه علو الذات وعلو القهر وعلو القدر.

وقد استدل كثير من العلماء بهذا الذكر على علو الله تعالى.

قـــال يحـــيى بن عمار[1] رحمه الله: "فكل مسلم من أول العصر إلى عصـــرنا هـــذا إذا دعا الله سبحانه رفع يديه إلى السماء، والمسلمون من عهد الـــنبي ﷺ إلى يومـــنا هذا يقولون في الصلاة ما أمرهم به الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾[2].

قال: ولا حاجة لله سبحانه وتعالى إلى العرش، لكن المؤمنين كانوا محتاجين إلى معرفة ربهم عز وجل، وكل من عبد شيئاً أشار إلى موضع، أو

---

(١) يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنبس، الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان أبو زكريا الشيباني النيهي السجستاني، نزيل هراة كان متحرقاً على الجهمية والمبتدعة، ورأساً في علم التفسير توفي بهراة سنة ٤٢٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨١/١٧)، وشذرات الذهب (٢٢٦/٣).

(٢) سورة الأعلى الآية: ١.

ذكـــر من معبوده علامة. فجبّارنا وخالقنا، إنما خلق عرشه ليقول عبده المؤمـــن، إذا سُئل عن ربه عز وجل أين هو الرحمن؟ على العرش استوى، معناه فوق كل محدث على عرشه العظيم ولا كيفية ولا شبه... نقول: هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء"(١).

وقـــال ابـــن خزيمة رحمه الله: "وقال جل وعلا: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ﴾(٢)، فالأعـــلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شـــيء، والله قد وصف نفسه في غير موضع من تتريله و وحيه، وأعلمنا أنه العلي العظيم أفليس العلي يا ذوي الحجى ما يكون عالياً لا كما تزعم المعطلـــة الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي أجواف جميع الحيوان، ولو تدبروا الآية من كتاب الله لِفَهْمِهـــا لعقلوا أنهم جهال لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقالتهم"(٣). ثم ساق الأدلة رحمه الله على ما يبين خطأ الجهمية.

وقـــال ابـــن عبد البر رحمه الله في سياقه لأدلة العلو: "وقال جل ذكره: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ وهذا من العلو"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وقد أمر المصلى أن يقول

---

(١) الحجة في بيان المحجة للتيمي (٢/١٠٨-١٠٩).

(٢) سورة الأعلى الآية: ١.

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١١٢.

(٤) التمهيد (٧/١٢٩).

في ســـجوده سبحان ربي الأعلى أخرجه أهل السنن...وفي حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم أنه صلى بالليل صلاة قرأ فيها بالبقرة والنساء وآل عمـــران ثم ركع ثم سجد نحو قراءته يقول في ركوعه: سبحان ربى العظـــيم، وفي ســـجوده ســـبحان ربى الأعلى، وذلك أن السجود غاية الخضـــوع والذل من العبد وغاية تسفيله وتواضعه بأشرف شيء فيه لله وهو وجهه بأن يضعه على التراب، فناسب في غاية سفوله أن يصف ربه بأنه الأعلى، والأعلى أبلغ من العلي فإن العبد ليس له من نفسه شيء هو باعتـــبار نفسه عدم محض وليس له من الكبرياء والعظمة.....إلى أن قال: فلما كان السجود غاية سفول العبد وخضوعه سبح اسم ربه الأعلى فهو سبحانه الأعلى والعبد الأسفل كما أنه الرب والعبد عبد"[١].

وقال ابن القيم رحمه الله:

"وشـــرع فيه من الثناء على الله ما يناسبه وهو قول العبد: (سبحان ربي الأعلى) فهذا أفضل ما يقال فيه ولم يرد عن النبي ﷺ أمره في السجود بغـــيره حيث قال: **«اجعلوها في سجودكم»**، ومن تركه عمداً فصلاته باطلة عند كثير من العلماء منهم الإمام أحمد وغيره؛ لأنه لم يفعل ما أُتمِر به، وكان وصف الرب بالعلو في هذه الحال في غاية المناسبة لحال الساجد الـــذي قد انحط إلى السفل على وجهه، فذكر علو ربه في حال سقوطه

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٣٧).

وهو كما ذكر عظمته في حال خضوعه في ركوعه ونزه ربه عما لا يليق به مما يضاد عظمته وعلوه"(١).

فهذه الأقوال من أهل العلم تدل على ما استدللنا عليه من كون هذا الذكر الذي يقال في السجود يدل على علو الله تعالى.

٢- الذكر الذي يقال بعد الاضطجاع على الشق الأيمن لمن أراد النوم فقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يقول في هذا الموضع: «**اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر**»(٢).

فاسمه سبحانه وتعالى "الظاهر" يدل على علوه سبحانه وبذلك فسره ﷺ أنه فوق كل شيء وليس فوقه شيء، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "والمراد بالظهور هنا العلو ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾(٣).

---

(١) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٢١٢ (ط١/١٤١٦هـ، دار ابن حزم بيروت، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

(٣) سورة الكهف الآية: ٩٧.

أي: يعلوه، فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته واسمان لعلوه وقربه"[(١)].

ومن استدل بهذا الحديث على علو الله تعالى الإمام ابن خزيمة رحمه الله[(٢)].

وقـــال شـــيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن أورد قوله ﷺ: **«وأنــت الظاهر فليس فوقك شيء»**: "وهذا نص في أن الله ليس فوقه شـــيء وكونه الظاهر صفة لازمة له مثل كونه الأول والآخر، وكذلك الـــباطن، فـــلا يـــزال ظاهراً ليس فوقه شيء، ولا يزال باطناً ليس دونه شيء"[(٣)].

٣- ومن الأذكار الدالة على علو الله تعالى ما ورد في استفتاحه ﷺ للصلاة من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«وجهت وجهي... وفيه: «تباركت وتعاليت»[(٤)].

فقوله تعاليت من العلو وقولنا: (تعالى) دال على كمال العلو ونهايته"[(٥)].

٤ - ومن أحاديث الأذكار الدالة على علو الله تعالى حديث البراء رضي الله عنه حيث علمه رسول الله ﷺ أن يقول عند أخذه مضجعه:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢٨٣.

(٢) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١١٦-١١٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٥/٥٨١).

(٤) سبق تخريجه ص٣٧٨.

(٥) انظر بدائع الفوائد (٢/٤١١).

«الـــلهم إني وجهت وجهي إليك...وفيه: آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت»(١).

فقوله: «**بكتابك الذي أنزلت**» دليل على علو الله تعالى.

فـــالله سبحانه أنزل كتبه على رسله وأنبيائه، وهناك نصوص كثيرة تدل على تنزيل الكتاب من الله تعالى كقوله تعالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝ ﴾(٢)، وقوله:﴿ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ﴾(٣)، **وقوله:** ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ﴾(٥).

والنزول يكون من الأعلى إلى الأسفل، وهذا مما يستدل به على علو الله تعالى(٦).

٥- ومن أدلة علو الله سبحانه وتعالى أنه فوق عرشه، وهو مستو

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء (٩٧/١) ح ٢٤٤، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨١/٤)ح ٢٧١٠.

(٢) سورة غافر الآية: ٢.

(٣)سورة فصلت الآية: ٢.

(٤) سورة النحل الآية: ١٠٢.

(٥) سورة الدخان الآية: ٣.

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٥.

علـــيه استواء يليق بجلاله، لا نعرف كيفيته، ولسنا متعبدين بمعرفة كيفية اســـتوائه، بل نحن مأمورون بأن نؤمن أن الله استوى على عرشه استواء يليق بجلاله.

والعـــرش مخلوق عظيم، لا يعلم قدره وعظمه إلا الله وحده، وهو أعلى المخلوقات ولا شيء أعلى منه، وهو سقف الجنة،والله سبحانه فوق العرش مستوٍ عليه وهو غني عنه وعن العالمين، ولم يستو عليه لحاجته إليه بل له الحكمة في ذلك[١].

ومعـــنى الاستواء: العلو والارتفاع كما هو معلوم من لغة العرب وأقـــوال العلماء والمفسرين[٢] بخلاف ما فسره المخالفون لأهل السنة من الاستواء بمعنى الاستيلاء[٣].

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٨٠.

(٢) انظر جامع البيان للطبري (١/١٩١-١٩٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/٤٤٣)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/١٣١)، ومختصر الصواعق لابن القيم ص٣١٨ (ط١/١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية)، ونونية ابن القيم بشرح الهراس (١/٢١٥)، ولسان العرب (١٤/٤١٤).

(٣) انظر في الرد عليهم كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠١ وما بعدها (تحقيق الهراس)، والإبانة لابي الحسن أشعري ص ٤٦-٤٧، والتمهيد (١/١٣١)، ومجموع الفتاوى (٥/١٤٤- ١٤٩) حيث أبطل شيخ الإسلام رحمه الله تأويل من تأول استوى بمعنى استولى بأكثر من عشرة أوجه.

وقـد ورد ذكر العرش في الأذكار ووصف بصفات في مواضع كثيرة منها:

١- حديـث جويرية رضي الله عنه فقد علمها الرسول ﷺ أربع كـلمات تقولهن ثلاث مرات وهنّ: «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته**»[1].

فهـذا الحديـث يدل على عرش الرحمن، ويدل على أن العرش له وزن، وفـيه رد على من قال بخلاف ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً فوائد حديث جويرية رضي الله عنها: "فيه فوائد ترد على الجهمية والمتفلسفة منها: قوله: «**زنة عرشه**» وذلك في معرض التعظيم لـوزن العـرش، وأنه أعظم المخلوقات وزناً، وذلك يدل على ثقله كما جـاءت بعـض الأحاديث بثقله، خلافاً لما يقوله من يقوله المتفلسفة إن الأفـلاك وما فوقها ليس بثقيل ولا خفيف بناء على اصطلاح لهم: الثقيلُ ما تحرك إلى السفل، والخفيفُ ما تحرك إلى فوق وإن الأفلاك لا تهبط ولا تصـعد، وذلك أن الله أمسكها بقدرته كما أمسك الأرض في مقرها مع العـلم بأن مقر الأجسام أمر عدمي ليس فيه ما يوجب اختصاص شئ به دون الآخر"[2].

---

(١) سبق تخريجه ص٥٠٨.

(٢) الاستقامة (٢١٤/١)، وانظر مجموع الفتاوى (٥٥٣/٦).

وقال ابن القيم رحمه الله:

"وقوله (**وزنة عرشه**) فيه إثبات للعرش وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى وأنــه أثقل المخلوقات على الإطلاق إذ لو كان شيء أثقل منه لوزن به التسبيح، وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف وهذا لم يعــرف العرش ولا قدره حق قدره، فالتضعيف الأول للعدد والكمية، والــثاني للصــفة والكيفية، والثالث للعظم والثقل وليس للمقدار وقوله: «**ومــداد كلماته**» هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده"[(١)].

٢- ومنها الذكر الذي يقال عند الكرب وهو في الصحيحين عنه ﷺ:

«**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم**»[(٢)].

٣- وكذلك الذكر عند الإيواء للفراش وهو قوله ﷺ: «**اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومترل التوراة والإنجيل والفرقان...**» الحديث[(٣)].

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص٣٦-٣٧ (ط١٤٠٣/٢هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب تحقيق أبو غدة).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

(٣) سبق تخريجه ص٣٦٢.

فـــالله سبحانه خلق العرش وخصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلـــق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾[١]... فسبحان من بَعُدَ فلا يُرى وقرب بعلمه وقدرته"[٢].

فـــورود "العـــرش" في هـــذه الأذكـــار ليس مجرد لفظة تقال، بل لاستشعار عظمة الله تعالى، وبيان علوه المعنوي والذاتي على مخلوقاته، وأنه خص العرش بالذكر من بين مخلوقاته مع أنه رب العالمين لعظمته وفضله، وممـــا يدل على مكانته ومترلته عند الله وأنه من أعظم المخلوقات أن الله سبحانه وتعالى ذكره في كتابه الكريم في واحد وعشرين موضعاً.

و لم يَسْلمْ عرش الرحمن من أهل التعطيل والتأويل الذين جروا على عـــادتهم بـــتأويل أو تعطيل ما أضيف إلى الله تعالى، حيث أولوا العرش بـــالملك أو غـــير ذلـــك ورد عليهم العلماء تأويلهم وأبطلوه قال شارح الطحاوية رحمه الله رداً على من حرّف النصوص وأولها: "وأما من حرف كـــلام الله وجعـــل العـــرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧ ﴾[٣].

---

(١) سورة طه الآية: ٥

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١٤١) من كلام محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رحمه الله.

(٣) سورة الحاقة الآية: ١٧.

وقوله: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[١].

أيقول ويحمل ملكه يومئذٍ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء؟، ويكون موسى عليه السلام آخذٌ بقائمة من قوائم الملك؟

هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!!"[٢].

وهكذا نرى من خلال ما سبق آنفاً أن الأذكار دلت على علو الله، فينبغي للذاكر يستشعر هذه الصفة لله تعالى فيزداد بذلك تعظيماً لربه وتمجيداً وإجلالاً.

والخلاصة أن صفة العلو تدل عليها نصوص كثيرة من الكتاب والسنة وغيرهما حتى قال ابن القيم رحمه الله لكثرة الأدلة على هذه الصفة:

"ولو شئنا لأتينا على هذه المسألة بألف دليل..."[٣].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

"والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعاً"[٤] ثم ساق هذه الأنواع.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله بعد أن ذكر الأدلة على علو الله تعالى:

---

(١) سورة هود الآية: ٧.

(٢) شرح الطحاوية ص٢٧٩.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٢١ (ط١/١٤٠٨هـ الرياض، تحقيق عواد المعتق).

(٤) شرح الطحاوية ص٢٨٥.

"إلى أمـــثال ذلك مما لا يحصيه إلا الله مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعـــنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق الســـماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئيناً أو ألوفاً.

ثم لـــيس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا عن أحد من سلف الأمـــة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا عن الأئمة الذين أدركـــوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهـــراً، و لم يقل أحد منهم قط أن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا أنه بذاته في كل مكان ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه و لا أنه لا متصل ولا منفصل ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها"[١].

٦- صفة المعية:

إن الله ســـبحانه وتعالى عال على خلقه فوق عرشه بائن من خلقه كمـــا مر قريباً، وهو مع هذا قريب من عباده بعلمه، فلا منافاة بين علوه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٥).

وقـــربه لأن النصـــوص الشرعية دلّت على كلا الأمرين، وهذا ما قرره السلف رحمهم الله:

قال الإمام مالك رحمه الله: "الله في السماء، وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان"(١).

والذاكر يعتقد حين يذكر ربه أن الله سبحانه وتعالى قريب منه يسمع ثناءه عليه وتسبيحه وتحميده وذلك أنه يذكر ربه في نفسه تضرعاً وخـــيفة ودون الجهر من القول امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾(٢).

فما دام أنه يناجي بصوت خفي قد لا يسمعه من بجواره ولا يفهم ما يقوله دل ذلك على أنه يعتقد في قرارة نفسه أن الله قريب منه بعلمه يعلم قوله وحاله.

ويـــدل عـــلى ذلك قوله ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير: **«اربعـــوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»**(٣).

---

(١) أورد هذا القول عن مالك الآجري في الشريعة ص ٢٨٩ (بتحقيق الفقي، الناشر أنصار السنة المحمدية، لاهور)، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/٥٣)، والذهبي في مختصر العلو ص١٤٠، وقال عنه الألباني: "سنده صحيح".

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٢٤.

فدل الحديث على معية الله، فالله مع عباده الذاكرين له، معية خاصة بالعناية والتأييد والحفظ والرعاية وهو قريب منهم بعلمه ومحيط بهم.

وهناك دليل آخر صريح يدل دلالة واضحة على أن الذكر يلازم صفة المعية، وأن الله مع من ذكره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»**[1].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: **«وأنا معه إذا ذكرني»** أي: بعلمي وهو كقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[2]، والمعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ إلى قوله: ﴿إلا هو معهم أينما كانوا﴾"[3].

وقال الشوكاني رحمه الله في شرح لحديث **«وأنا معه إذا ذكرني»**: "فيه تصريح بأن الله سبحانه وتعالى مع عباده عند ذكرهم له، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليه برحمته، ويمده بتوفيقه وتسديده، فإن قلت: هو

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٠.

(٢) سورة طه الآية: ٤٦.

(٣) فتح الباري (١٣/٣٨٦).

مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(١) **وقوله جـــل ذكره**: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾(٢) الآية.

قلت: هذه معية عامة وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصـــوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفـــور الإكـــرام لـــه والتفضّل عليه ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في الكـــتاب العزيز من كونه مع الصابرين وكونه مع الذين اتقوا، وما ورد هـــذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة"(٣).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الجمع بين علو الله تعالى وبين قربه ومعيته لعباده، وأنه لا منافاة بينهما؛ لأن الله تعالى وصف نفسه بـــالعلو واستوائه على عرشه، كما وصف نفسه بقربه من عباده ومعيته، فهو عال بذاته ومحيط علمه بخلقه.

---

(١) سورة الحديد الآية: ٤.

(٢) سورة المجادلة الآية: ٧.

(٣) تحفة الذاكرين ص ١٧، وانظر في تقسيم المعية إلى عامة وخاصة: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٥/١٠٤، ٢٢٧)، والصفات الإلهية للجامي ص٢٣٩.

ثم ذكـــر افـــتراق الناس في هذه المسألة إلى أربع فرق وذكر هذه الفرق إلى أن وصل إلى قول أهل السنة والجماعة القول الحق فقال:

"وأما القسم الرابع: فهم سلف الأمة وأئمتها: أئمة العلم والدين من شيوخ العلم والعبادة، فإنهم أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة كله من غير تحريف الكلم أثبتوا أن الله تعالى فوق سمواته، وأنه على عرشه بـــائن من خلقه وهم منه بائنون، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب، ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم"(١)

وهـــذا القول هو القول الأقوم والمنهج الأسلم حيث أخذ السلف بجمـــيع النصوص الواردة في العلو والواردة في القرب والمعية ولم يتركوا مـــنها شيئاً، ولم يقدموا بعضها على بعض ولم يضربوا بعضها ببعض بل جمعـــوا بين النصوص وَوَفَّقُوا، فأصابوا ووُفِّقُوا، وأما باقي الفرق فأخذوا بـــبعض النصوص دون بعض، ومنهم من ضرب النصوص بعضها ببعض فأخطؤوا وجانبوا الصواب، وخالفوا السنة والكتاب.

وكونـــه ســـبحانه مـــع عباده فمعيته سبحانه لا تقتضي الممازجة والمخالطة لخلقه.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٢٢٦-٢٣١).

قـــال شـــيخ الإســـلام: "كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أنت الصـــاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[١] فهو سبحانه مع المسافر في سفره ومع أهله في وطنه ولا يلزم أن تكون ذاته مختلطة بذواقم كما قال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[٢] أي: (معه) على الإيمان لا أن ذاقم في ذاته بل هم مصاحبون له"[٣].

٧ – ١٠ صفة الجبروت والملكوت و الكبرياء والعظمة

هذه الصفات اختص بها الله سبحانه وتعالى فلاينبغي لأحد أن يتعاطاها ويتخلق بها[٤]

---

(١) هذا الحديث من أحاديث الأذكار وهو ما يقوله المسافر إذا أراد السفر ونص الحديث بتمامه: ما أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب ما يقول المسافر إذا ركب لسفر الحج أو غيره (٩٧٨/٢) ح ١٣٤٢عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: « ﴿ **سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾ [سورة الزخرف الآية: ١٣] اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل» وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «**آيبون تأبون عابدون لربنا حامدون**».

(٢) سورة الفتح الآية:٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣١/٥)، وانظر الصفات الإلهية للجامي ص٢٤٠.

(٤) انظر ص ٤٠٧–٤٠٨ من هذا البحث.

وهذه الصفات الأربع جاءت مجموعة في نص واحد من أحاديث الأذكار وهو ما ورد في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه وهو يصف صلاة رسول الله ﷺ وفيه: **«ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم قال في سجوده مثل ذلك»**[(١)].

فالملكوت والجبروت تدل على ما يدل عليه معنى اسم الله تعالى (الملك) و(الجبار)[(٢)].

والكبرياء تدل على ما دل عليه اسم الله تعالى (الكبير) و(المتكبر).

والعظمة تدل على ما دل عليه اسمه تبارك وتعالى (العظيم).

فالله سبحانه وتعالى ذو الملكوت الذي له صفات الملك وملكه شامل لجميع الخلق، فهو المتصرف في جميع شؤون العالم، وهم جميعهم مملوكون له، عبيد له كلهم تحت تصرفه.

وهو سبحانه ذو الجبروت الذي قهر الخلق جميعهم، وله السلطان الكامل، ويجبر الكسير ويغني الفقير، ويجبر قلوب الخاضعين له المنكسرة بين يديه.

وهو سبحانه وتعالى ذو الكبرياء والعظمة الذي له جميع معاني العظمة كالقوة والعزة والقدرة وسعة العلم والمجد، فهو الكبير المتكبر

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٠٨.

(٢) انظر الرد على المنطقيين لابن تيمية ص ١٩٦ (طبعة دار المعرفة، بيروت).

العظـــيم المعظم الذي لا يستحق التعظيم والتكبير إلا هو وحده دون أحد سواه[١].

قـــال ابـــن علان في شرحه لهذا الحديث مبيناً معاني هذه الصفات الأربع ومناسبتها للركوع والسجود: "قوله (ذي الجبروت إلخ) الجبروت: الجـــبر والجبار الذي يقهر غيره على ما أراده. والملكوت: الملك والعزة، وهمـــا بفتح أولهما والتاء فيهما زائدة، والكبرياء بالمد: الترفّع والتنزه عن كل نقص وعيب، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصـــف بها إلا الله تعالى، والعظمة: تجاوز القدر عن الإحاطة ، وناسبت هذه الصفات الأربع الركوع والسجود لأن القصد منها التعظيم"[٢].

وصفة الكبرياء لله تبارك وتعالى قد وردت في كثير من الأذكار منها في الأذان وتكبيرة الإحرام والتكبير في الصلاة وبعدها والتكبير أيام العيد وأيام التشريق والتكبير المطلق.

وهذه الصفة هي صفة كمال للخالق جل جلاله، وهي صفة نقص للمخلوقين فالله لا يحب المتكبرين، ويحب المتواضعين المخبتين المنكسرين، فلا ينبغي منازعة الله في كبريائه.

---

(١) انظر فتح الرحيم الملك العلام ص٣٢ و ٣٣ و٤٤.

(٢) الفتوحات الربانية (٢/٢٤٩).

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: "والكبرياء مما تفرد الله به فمن نازعه الكبرياء قصمه، فلا ينبغي لأحد أن يتكبر على أحد، وينبغي أن يتواضع، فمن تواضع رفعه الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١)"(٢).

وقال القرطبي رحمه الله: "﴿وله الكبرياء﴾ أي: العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم والله أعلم"(٣).

وصفة العظمة صفة مشتقة من اسم الله "العظيم" والله متفرد بالعظمة، وأما العظمة التي بين الناس يُعَظِّم بها بعضهم بعضاً، فليست هي كعظمة الله تعالى.

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: "العظمة" صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يُعظّم بها بعضُهم بعضاً فمن الناس من يُعَظَّم لمالٍ، ومنهم من يُعَظّم لفضل، ومنهم من يُعظم لعلم ومنهم من يعظم لسلطان ومنهم من يعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى، والله عز وجل يُعَظَّم في الأحوال كلها، فينبغي لمن

(١) سورة الجاثية الآية: ٣٧.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/١٧٨)، وانظر تفسير الطبري (٢٥/١٥٩).

عــرف عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت"[١].

١١- صفة الكلام لله تعالى:

إن الله ســبحانه وتعالى متصف بصفات الكمال والجلال متره عن صــفات النقص، ومن ضمن الصفات التي وصف الله بها سبحانه وتعالى نفســه صــفة الكلام، فهو سبحانه يتكلم بكلام يليق به وهو متره عن الخرس، وهذه الصفة ثابتة له بنص الكتاب والسنة وهي صفة ذاتية باعتبار نوع الكلام، كما أنها صفة فعلية لتعلقها وارتباطها بمشيئة الله تعالى باعتبار أفــراد الكلام فالله سبحانه وتعالى يتكلم كيف شاء ومتى شاء ويكلم من شاء من خلقه على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى[٢].

فيدل على هذه الصفة من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾[٥].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١-١٤٢).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٦/٢١٩)، والصفات الإلهية للجامي ص ٢٦١وما بعدها.

(٣) سورة النساء الآية: ١٦٤.

(٤) سورة الأعراف الآية: ١٤٣.

(٥) سورة التوبة الآية: ٦.

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على هذه الصفة[١].

أمـــا من السنة فيدل على هذه الصفة حديث عدي بن حاتم رضي الله عـــنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه لـــيس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة**»[٢].

والنصوص الدالة على هذه الصفة كثيرة جداً[٣].

والقول بأن الله تعالى يتكلم وبكلام مسموع بحرف وصوت، وأن كلامه صفة له وليس بمخلوق هو قول السلف الصالح و أئمة الحديث.

قال عبد الغني المقدسي رحمه الله:"ومن مذهب أهل الحق أن الله ﷻ لم يزل متكلماً بكلام مسموع، مفهوم، مكتوب قال الله ﷻ: ﴿ وكلم الله

---

(١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية ص٦٦ (ط/١٣٨٥هـ دار الكتب الإسلامية).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٢٧٢٩/٦) ح ٧٠٧٤، ومسلم: كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (٧٠٢/٢) ح١٠١٦.

(٣) انظر كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢٧٢١/٦)وما بعدها فقد عقد أبواباً كثيرة وسرد أحاديث كثيرة لإثبات صفة الكلام للرب تبارك وتعالى، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٣٦ وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢١٦/٢).

موسى تكليماً ﴾"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية:

كلام الله تكلم الله به بمشيئته وقدرته، ليس ببائن عنه مخلوقاً، ولا يقولون: إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو: هو حادث، بل مازال متكلماً إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد كما قال تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢]. ويقولون: ما جاءت به النصوص النبوية الصحيحة ودلت عليه العقول الزكية الصريحة فلا ينفون عن الله تعالى صفات الكمال سبحانه وتعالى، فيجعلونه كالجمادات التي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر فلا تكلم عابديها ولا تهديهم سبيلا ولا ترجع إليهم قولا ولا تملك لهم ضراً ولا نفعا"[٣].

ولقد دلت أحاديث الأذكار على هذه الصفة من ذلك:

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ١٣٠، وانظر شرح الطحاوية ص ١٦٩.

(٢) سورة الكهف الآية: ١٠٩.

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٣/٢)، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٩.

١- قوله ﷺ: **«من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»**(١).

وقريب منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال: **«أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك»**(٢).

وعن معنى الكلمات التامات يقول النووي رحمه الله:

"قوله ﷺ: (**أعوذ بكلمات الله التامات**) قيل: معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب وقيل النافعة الشافية وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن والله أعلم"(٣)، "وفي هذا إثبات صفة الكلام لله ﷻ"(٤).

وفي هذا الحديث أيضاً من الفوائد أن كلام الله سبحانه وتعالى غير مخلوق بخلاف ما زعمه كثير من الطوائف والفرق الضالة (٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه:كتاب الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٠٨٠/٤) ح ٢٧٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه:كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٠٨١/٤) ح ٢٧٠٩.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٣١/١٧)، وانظر تحفة الأحوذي (٢٧٩/٩).

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص ٧٦.

(٥) انظر أقوالهم في الإبانة للأشعري ص٣١-٣٩ ومجموع الفتاوى (١٦٣/١٢)، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٦٨.

وقـــد استدل بهذا الحديث وأمثاله على ما استدللنا عليه من كون كلام الله هو صفة من صفات الله تعالى غير مخلوق خلقٌ كثير من العلماء

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله:

"أفليس العلم محيطاً يا ذوي الحجى أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالـــتعوذ بخلـــق الله مـــن شر خلقه هل سمعت عالماً يجيز أن يقول:أعوذ بالكعـــبة من شر خلق الله أو يجيز أن يقول أعوذ بالصفا والمروة أو أعوذ بعـــرفات ومنى من شر ما خلق الله هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعـــرف دين الله، محالٌ أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه"[1]، وقال ابـــن عبد البر رحمه الله: "وفي هذا الحديث دليل على أن كلام الله ليس بمخلوق لأنه لا يستعاذ بمخلوق"[2].

وقال أيضاً رحمه الله:

"وفي هـــذا الحديث (السابق) من الفقه أيضا أن كلام الله ﷻ غير مخلـــوق وعـــلى ذلـــك أهل السنة أجمعون وهم أهل الحديث والرأي في الأحكـــام ولو كان كلام الله أو كلمات الله مخلوقة ما أمر رسول الله ﷺ أحدا أن يستعيذ بمخلوق"[3].

---

(١) كتاب التوحيد ١٦٥-١٦٦.

(٢) التمهيد (٢٤/١٠٩).

(٣) التمهيد (٢١/٢٤١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق و هـذا مما استدلوا به على أن كلام الله عز وجل غير مخلوق ،قالوا: لأنه قـد ثبـت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك كقوله ﷺ: **«أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق، وأعوذ بكلمات الله التامات كلها من غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضـرون، ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن»**. قالوا: والاستعاذة لا تجوز بالمخلوق"[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات وبوجهـه الكـريم وتعظيمه وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات ثابتة وجوديـة إذ لا يسـتعاذ بـالعدم وأنها قائمة به غير مخلوقة إذ لا يستعاذ بـالمخلوق، وهو احتجاج صحيح؛ فإن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك"[٢].

فهذه أقوال كبار الأئمة على أن كلام الله تعالى غير مخلوق، والأدلة

---

(١) الرد على البكري (٢/٥٤٥-٥٤٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١/١١٢) و(١/٣٣٦) و(٦/٢٣٠) و(١٢/٣١٣)، والمجلد الثاني عشر من الفتاوى كله في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ص٤١٨، والإبانة للأشعري

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٢ وانظر بدائع الفوائد (٢/٤١٠، ٤٣٠).

علـى ذلك كثيرة أوردها كثير من الأئمة في معرض ردهم على من قال: إن كلام الله تعالى مخلوق.

فقـد ردوا قولهم بردود متوافرة قوية تدحض شبههم وتفند آراءهم وتبطل معتقداتهم، فيها الحجة والبيان لمن أراد الحق والتمس منهج السلف وسار عليه(١).

ومـن الفوائد المستفادة من حديث الاستعاذة بكلمات الله التامة مما يتعلق بكلام الله ﷻ أن كلام الله لا حدّ له وليس هو معنى واحد.

قـال الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله في كلامه على ما يستفاد من استعاذته ﷺ بكلمات الله التامات:

"إن كلام الله ليس معنىً واحداً يقوم بالذات ليس بحرف ولا صوت كمـا تـزعمه الأشاعرة(٢) المتأخرة بل كلمات الله لا حدّ لها، لأنها من

---

(١) انظر رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ص ١٠٦ وما بعدها، وكتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٦١وما بعدها، والإبانة للأشعري ص٣١-٣٧، وشرح الطحاوية ص١٦٨ وما بعدها.

(٢) الأشاعرة: ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، ومن عقيدتهم تأويل الصفات كلها إلا سبع صفات، ويطلقون عليها صفات المعاني، وهذه التي أثبتوها إنما أثبتوها لدلالة العقل عليها، فلو لم يدل عليها العقل لأولوها أو نفوها، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية بتفريقهم بين ما أثبتوه من الصفات وبين ما نفوه، مع أن العقل =

كمالاته، فكمالاته سبحانه لا تنتهي ومما يزيد المقام بياناً قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]"[3].

٢- حديث جويرية رضي الله عنها وفيه أن النبي ﷺ علمها أن

يدل على ما نفوه من الصفات، وهذه الصفات السبع لا يثبتوها على حقيقتها كما يثبتها أهل السنة، فكلام الله عندهم هو كلام نفسي، ولا يقولون أنه يتكلم بحرف وصوت، وأن كلامه قديم النوع حادث الآحاد، كما هو عند أهل السنة، وعموماً موقفهم من الصفات مضطرب مملوء بالتناقض، ومن أصولهم أيضاً: أن الإيمان عندهم مجرد التصديق فقط، وأن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب لهم.

انظر: الملل والنحل (١٣٦/١)، ومجموع الفتاوى (٥١/٦)، وفرق معاصرة تنتسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها للدكتور غالب العواجي (١٠٥٩/٢) (ط٣/ ١٤١٨هـ، دار لينة، دمنهور)، وانظر رد شيخ الإسلام عليهم في الرسالة التدمرية مع شرحها لفالح بن مهدي آل مهدي (٦٥/١) (ط٣/١٤١٣هـ طبعة الجامعة الإسلامية)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (١٠٢٩/٣و١٣٣٠و١٣٥٦).

(١) سورة الكهف الآية: ١٠٩.

(٢) سورة لقمان الآية: ٢٧.

(٣) الصفات الإلهية للجامي ص٢٧٤، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٨-١٧٩.

تقول: **«سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»**[١].

فهــذا يــدل على أن لله كلمات وأنه يتكلم، واستدل العلماء بهذا الحديث أيضاً على أن كلام الله غير مخلوق.

قال ابن خزيمة رحمه الله:

"فالــنبي المصطفى ﷺ الذي ولي بيان ما أنزل الله عليه من وحيه قد أوضح لأمته وأبان لهم أن كلام الله غير خلقه فقال: **«سبحان الله عدد خلقــه، ورضـــا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته»** ففرق بين خلق الله وبين كلماته، ولو كانت كلمات الله من خلقه لما فرق بينهما، ألا تسمعه حــين ذكــر العرش الذي هو مخلوق، نطق ﷺ بلفظة لا تقع على العدد فقــال: «**زنــة عرشه**»، والوزن غير العدد، والله جل وعلا قد أعلم في محكــم تتريله أن كلماته لا يعادلها ولا يحصيها محصٍ من الخلق ودل ذوي الألــباب من عباده المؤمنين على كثرة كلماته وأن الإحصاء من الخلق لا يأتي عليها قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[٢]"[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٠٨.

(٢) سورة الكهف الآية: ١٠٩.

(٣) كتاب التوحيد ١٦٣.

وقال ابن القيم رحمه الله مبيناً معنى (مداد كلماته) في هذا الحديث وراداً على من نفى صفة الكلام عن الله ﷻ:

"وقوله: «**ومداد كلماته**» هذا يعم الأقسام الثلاثة ويشملها فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره ولا لصفته ولا لعدده، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾، **وقال تعالى**: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[١].

ومعنى هذا أنه لو فرض البحر مدادا وبعده سبعة أبحر تمده كلها مداداً وجميع أشجار الأرض أقلاماً وهو ما قام منها على ساق من النبات والأشجار المثمرة وغير المثمرة وتستمد بذلك المداد لفنيت البحار والأقلام وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم ولا يتكلم ولا يقوم به كلام أصلا وقول من وصف كلامه بأنه معنى واحد لا ينقضي ولا يتجزأ"[٢].

(١) سورة لقمان الآية: ٢٧.

(٢) المنار المنيف ص٣٧، وانظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/٤٤).

٣- وقوله ﷺ في حديث الاستفتاح: «**وقولك حق**»[١] يدل على صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه حق لا باطل فيه بوجه من الوجوه.

واستدل الإمام البخاري رحمه الله بهذا الحديث على صفة الكلام بقوله ﷺ: «**وقولك حق**»، وترجم للباب بقوله:"باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾[٢]، ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝﴾، **حق**، ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝﴾[٣] باللعب"[٤].

فقول الله تعالى هو كلامه، والقول والكلام معناهما واحد.

قال البيهقي رحمه الله: "باب ما جاء في إثبات صفة القول وهو والكلام عبارتان عن معنى واحد"[٥]، واستدل بهذا الحديث «**وقولك حق**» على ما بوّب له.

٤- وقوله ﷺ في الحديث القدسي يقول تبارك وتعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في**

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٢) سورة الفتح الآية: ١٥.

(٣) سورة الطارق الآيتان:١٣-١٤.

(٤) صحيح البخاري (٦/٢٧٢٢-٢٧٢٤) ورقم الحديث ٧٠٦٠.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٨١).

نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[١]. ووجه الدلالة مـــن هذا الحديث على صفة الكلام لله تعالى: أن الله تبارك وتعالى يذكر من ذكره والذكر قسم من أقسام الكلام[٢].

وبما ذكرنا يتضح لنا جلياً دلالة الأذكار على صفة الكلام لله تعالى فيجـــب أن نثبتها لله تعالى على الوجه اللائق به من غير تشبيه لكلام ربنا بكـــلام خلقـــه، بل كلامه لا يشبهه كلام، ولا يحيط به بشر ولا يعرف كيفيته إلا هو سبحانه وتعالى.

١٢- صفة الرضا لله تعالى

هـــذه الصفة هي من الصفات الفعلية لله تعالى، فهو يرضى على من يشـــاء من عباده متى شاء بفضله ورحمته، ويحجب رضاه عن من شاء من عباده بعدله، ودلّ على هذه الصفة نصوص الكتاب والسنة:

قـــال الله تعالى:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[٣]. **وقال سبحانه وتعالى:** ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ

---

(١) سبق تخريجه ص١٢٠.

(٢) انظر: كتاب الدعاء للطرطوشي ص٢٩١(ط١/١٤٠٩هـــ، دار الفكر المعاصر، بيروت تحقيق د/محمد الداية).

(٣) سورة الفتح الآية: ١٨.

خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[2] وغير ذلك من الآيات الدالة على أن الله يرضى عن عباده المؤمنين، فنثبت لله ما أثبته لنفسه فنثبت له صفة الرضا على الوجه الذي يليق به.

وأما ما يدل على هذه الصفة من السنة فأحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ في حديـــث الأقرع والأبرص والأعمى: «... **فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك**»[3].

ومن أدلة الأذكار على هذه الصفة قوله ﷺ في ركوعه وسجوده: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك»[4].

وقوله ﷺ في حديث جويرية رضي الله عنها: «**سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»[5].

---

(١) سورة البينة الآية: ٨.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأقرع وأعمى في بني إسرائيل (٢/٤٩٥) ح ٣٤٦٤، ومسلم في صحيحه:كتاب الزهد والرقائق(٤/٢٢٧)ح ٢٩٦٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه:كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/٣٥٢)ح ٤٨٦.

(٥) سبق تخريجه ص ٥٠٨.

ففـــي هذا دلالة على صفة الرضا لله تعالى، واستدل بحديث جويرية هذا على صفة الرضا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وسيأتي كلامه قريباً.

وهـــذه الآيات والأحاديث وغيرها الدالة على صفة الرضا فيها ردٌّ على من حرّف هذه الصفة وأوّلها، وقال: بأن الرضا المقصود بهذه الصفة إرادة الثواب للمحسنين والمؤمنين، كما أوّلوا صفة الكره لله تعالى بإرادة العقاب.

والرد عيهم بأن يقال:

١- إن قولهم هذا خلاف ما هو ظاهر من النصوص فظاهر النصوص أن الله يرضى وهم يقولون إنه لا يرضى.

٢- إن هـــذا التأويل خلاف طريقة السلف في إثبات الصفات، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تأويل ولا تحريف.

٣- إنكم لم تستدلوا بدليل صحيح على ما ذهبتم إليه[١].

٤- إن الـــذي أثبـــتموه هو من لوازم الرضا فإن الله إذا رضي على قوم أثابهم وأعطاهم مرادهم، فالرضا شيء وما يتضمنه الرضا وينتج عنه شيء آخر.

٥- إذا فـــررتم مـــن تشبيه رضا الله برضا المخلوقين، فقد وقعتم بتعطيل النصوص عن ظواهرها.

---

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين (٥/٢٩) ضمن مجموع فتاويه ورسائله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق ذكر الفوائد من حديث جويرية رضي الله عنها الذي سبق ذكره مؤخراً:"ومنها (أي الفوائد): قوله: «**رضا نفسه**» فيه إثبات نفسه، وإثبات رضاه، وأن رضاه ليس هو مجرد إرادته فإنه قد قال: «**عدد خلقه**» والمخلوق هو الذي أراده وشاءه فلو كان رضاه هو إرادته لكان مراده موجوداً فإن مراده قد وجد قبل هذا الكلام فإنه ما شاء الله كان، وهذا الكلام يقتضي أن رضا نفسه أعظم من ذلك، ومن ذلك أنه جمع بين رضا نفسه ومداد كلماته فأثبت له الرضا والكلام، والرضا مستلزم الإرادة وإن لم يكن هو عين الإرادة ففيه إثبات كلامه ورضاه الذي يتضمن محبته ومشيئته، وهاتان الصفتان هما اللتان أنكرهما الجعد بن درهم أول الجهمية لما زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً إذ لا محبة له ولا رضا، ولم يكلم موسى تكليماً، وعن ذلك نفت المعتزلة أن يكون له في نفسه إرادة أو كلام ولم يجعلوا ذلك إلا مخلوقا في غيره، وتقرب منهم طائفة من الأشعرية فأثبتت الإرادة ولم يجعلوا المحبة والرضا صفة إلا الإرادة وأثبتت الكلام ولم يجعلوه إلا معنى واحدا قائما بذاته فوافقوا أهل الإثبات في بعض الحق والجهمية في بعض الباطل"[1].

ومن الناحية العقلية نثبت صفة الرضا إذ إن الله سبحانه وتعالى شرع

---

(١) الاستقامة ص ٢١٤-٢١٥.

شـــرائع ورضيها لعباده، وأمرهم بأن يقوموا بما يرضاه، فرضي على من عمل بما يرضيه ثواباً له ومكافأة له على عمله؛إذ لو لم يرض عليه لوصف بضد الرضا وهو السخط وهذا محال على الله تعالى فالله سبحانه لا يظلم أحـــداً، فثبت أن الله يرضى عن العبد الصالح ويسخط على العبد الكافر المعاند الذي لم يرض بما رضيه الله من الشرع، و لم يقبله و لم يعمل به.

١٣- صفة القدرة:

صـــفة القـــدرة هي من الصفات الذاتية السمعية العقلية، لأن أفعاله ســـبحانه في هذا الكون تدل على قدرته إذ يستحيل عقلاً أن تصدر هذه الأفعـــال من عاجز فهو سبحانه عليم قدير، قال جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾(١). وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾(٢).

وقد دلت الأذكار على هذه الصفة كما في حديث صلاة الاستخارة، فعـــن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلّم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول:

---

(١) سورة فاطر الآية: ٤٤.

(٢) سورة يس الآية: ٨١

«إذا هـــم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: الـــلهم إني أســـتخيرك بعـــلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضـــلك العظـــيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب..»[(١)].

وورد اسمه سبحانه وتعالى"القدير"والذي يشتق منه صفة القدرة في مواطـــن كثيرة من الأذكار كما سبق ذكره عند الكلام على اسمه تبارك وتعالى "القدير".

"وهـــذه الصفة التي هي صفة القدرة: هي التي يوجد الله جل وعلا بها الممكنات، وهو تعالى قادر على ما يشاء، وعلى ما لم يشأ، مثال ذلك: أنه تعالى شاء إيمان أبي بكروهدايته، وقد هداه للإيمان، و لم يشأ إيمان أبي جهـــل، وهو قادر عليه، و لم تتعلق به مشيئته، فلم يوجده. وكل صفات الله ﷻ من الكمال؛ بحيث لو تصور شيء من المبالغة في الصفة فهي فوق ذلك"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ قل هو القادر ﴾ (٢٦٩٠/٦) ح ٦٩٥٥.

(٢) معارج الصعود للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص٤٤ (جمع د. عبد الله قادري، ط١/ ١٤٠٨هـــ دار المجتمع)، وانظر مجموع الفتاوى (١٨/٦)،وأضواء البيان (٣٠٧/٢).

١٤- صفة العلم

هذه الصفة من الصفات السمعية العقلية، وهي صفة ذاتية، لا تنفك عنه سبحانه وتعالى وعلمه سبحانه أزلي، وخلقه سبحانه يدل على كمال علمه وحكمته وقدرته، وينفي عنه الجهل الذي هو صفة نقص بالنسبة للمخلوق، والخالق من باب أولى أن يتره عن النقائص فهو متره عن الجهل متصف بكمال العلم.

وهو سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً، فيعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

فهو سبحانه يعلم كل حركة وسكنة في الكون ويعلم ما تخفي الصدور وما تتحرك به الشفاه والألسن فما من حرف يقال إلا وهو معلوم لدى رب العالمين: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٣).

---

(١) سورة ق الآية: ١٨.

(٢) سورة يونس الآية: ٦١.

(٣) سورة التغابن الآية: ٤.

ويعلم سبحانه السر وأخفى كما قال: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾[2].

وهـــو سبحانه يعلم الجهر من القول كما قال: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

ومـــن شأن الذكر أن يعتقد الذاكر أن الله سبحانه يعلم ما يثني عليه عـــباده الذاكرون، فالذاكر يذكر ربه وهو راغب في ذكره لأنه يعتقد أن الله سبحانه يذكر من ذكره، فالله سبحانه علم من ذكره فجزاه بأن ذكره في نفسه أو في ملأ خير ممن ذكر عندهم عبده.

وحديـــث الاستخارة السابق يدل على صفة العلم وذلك في قوله: «**أستخيرك بعلمك... فإنك تعلم ولا أعلم**» فالله سبحانه يعلم عواقب الأمور وما فيه مصلحة العبد، والعبد جاهل بما هو خير له في دينه ودنياه وآخرته.

وقد أنكرت الجهمية وغلاة المعتزلة صفة العلم لله تعالى وردوا بذلك

---

(١) سورة طه الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٣.

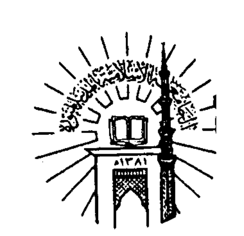
(٣) سورة الأنبياء الآية: ١١٠.

نصوص الكتاب والسنة، وشابهوا اليهود بإنكارهم علم الله[1] فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وبهذا كله يتضح لنا أن الأذكار دلّت على صفات جليلة لله تعالى، وأن الذكر له صلة وثيقة بباب الأسماء والصفات، فينبغي على الذاكر أن يراعي ألفاظ الذكر ويفهم معناها ويتنبه على دلالاتها العقدية، وخاصة الأسماء والصفات ويستشعر عبوديتها فإذا فعل ذلك سيكون له السبق الأكبر والحظ الأوفر ويكون قد حقق الهدف الأساسي من ذكر الله ألا وهو الثناء على الله بأسمائه وصفاته، وعبادة الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ إذ إنه من المعلوم أن لكل اسم وصفة لله تعالى عبودية خاصة تقوم في القلب وتظهر على الجوارح والله تعالى أعلم.

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص٩ –١٠، والإبانة للأشعري ص ٥٦-٥٩ فقد ردّا قول الجهمية تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٩٢)



المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار

تأليف

الشيخ علي بن عبد الحفيظ الكيلاني

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الرابع:

دلالة الذكر على توحيد الألوهية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

تعريف توحيد الألوهية وبيان أهميته وأدلته.

تعريف توحيد الألوهية

يــراد بتوحــيد الألوهــية: إفراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات وأنه هو وحده المستحق لها دون سواه، سواء كانت العبادة قولية أم فعلية أم قلبية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والتلاوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغير ذلك من العبادات، يقوم بها المسلم على وجه المحبة والذل والانكسار والخضوع لله والقربة إليه سبحانه وتعالى.

قــال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تعريفه له:"هو إفراد الله وحده بأجناس العبادات وأنواعها وإفرادها وإخلاصها لله من غير إشراك به في

شيء منها"[١].

وعن معنى الإله وتوحيد الألوهية يقول ابن القيم رحمه الله:

"فإن الإله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذي تألهه القلوب وتصمد إليه بالحب والخوف والرجاء، فالتوحيد الذي جاءت به الرسل: هو إفراد الرب بالتأله الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له مع كمال المحبة والإنابة وبذل الجهد في طاعته ومرضاته وإيثار محابه ومراده الديني على محبة العبد ومراده. فهذا أصل دعوة الرسل وإليه دعوا الأمم وهو التوحيد الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو الذي أمر به رسله وأنزل به كتبه ودعا إليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب لأجله وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله"[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: "فالتوحيد ملجأ الطالبين ومفزع الهاربين ونجاة المكروبين وغياث الملهوفين وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع"[٣].

---

(١) تعليم أصول الإيمان وبيان موانع الإيمان ص١١ (ط١/١٤١٩هـ مكتبة أضواء السلف الرياض/ اعتنى به أشرف عبد المقصود).

(٢) شفاء العليل (١/١٣٩)، وانظر: معارج القبول للحافظ الحكمي (١/٩٨) (ط٣/ ١٤١٥هـ دار ابن القيم، الدمام تعليق عمر بن محمود أبو عمر).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/١٣٥).

وهذا التوحيد هو عبارة عن توحيد أفعال العبد وجعلها لمعبود واحد وهو الله لا شريك له، ويطلق عليه توحيد الأفعال وتوحيد القصد والطلب والإرادة.

وقـــد أمر سبحانه وتعالى عباده في أكثر من آية أن يفردوه بالعبادة ولا يشركوا معه أحداً فمن ذلك:

قوله جل جلاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[2]،وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[3]. وقوله سبحانه: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[6].

وقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٣.

(٣) سورة النساء الآية: ٣٦.

(٤) سورة الزمر الآيتان: ١١-١٢.

(٥) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٦) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٧) سورة البينة الآية: ٥.

وكذلك جاء في السنة النبوية المطهرة ما يدل على وجوب إفراد الله بالعبادة وعدم الشرك به فمن ذلك:

حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟» قال: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم»[1].

"فقوله: **«أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»** المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشترط نفي ذلك"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى نحو أهل اليمن قال له:

«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦/٢٦٨٥) ح٦٩٣٨ واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٨) ح٣٠.

(٢) فتح الباري (١١/٣٣٩).

خمـس صلوات في يومهم وليلتهم فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض علـيهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيّهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم»[١].

فأول ما يُدعى إليه هو توحيد الله تعالى بالعبودية كما نص عليه هذا الحديـث وهو أول واجب على العبد باتفاق أئمة السلف، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله كما هي أقوال أهل الكلام ممن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة[٢].

قال ابن القيم رحمه الله:

"مقـام التوحيد أولى المقامات أن يبدأ به كما أنه أول دعوة الرسل كـلهم، قال النبي ﷺ : لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: **«فلـيكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**. **وفي رواية «إلى أن يعـرفوا الله»**، ولأنه لا يصح مقام من المقامات ولا حال من الأحـوال إلا به فلا وجه لجعله آخر المقامات، وهو مفتاح دعوة الرسل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٢٦٨٥/٦) ح٦٩ ٣٧، ومسلم: في كتاب الإيمان، باب الدعاء على الشهادتين وشرائع الإسلام (٥١/١) ح١٩.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٧٧- ٧٨،وتسير العزيز الحميد ص ٢١.

وأول فرض فرضه الله على العباد وما عدا هذا من الأقوال فخطأ كقول من يقول أول الفروض النظر، أو القصد إلى النظر، أو المعرفة، أو الشك الذي يوجب النظر، وكل هذه الأقوال خطأ، بل أول الواجبات ومفتاح دعوة المرسلين كلهم، وهو أول ما دعا إليه فاتحهم نوح -عليه السلام- فقال: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[١]، وهو أول ما دعا إليه خاتمهم محمد ﷺ..."[٢].

وأما ما ورد في الأذكار من تقرير هذا التوحيد وتحقيقه فالشيء الكثير الذي لا يكاد أن ينحصر، وإن قلت: إن الغاية من ذكر الله وتكراره على الألسن صباح مساء هي تحقيق توحيد الله وإفراده بالعبودية، وتذكير المسلم بهذا الأمر العظيم سائر يومه فما أخطأت ولا جانبت الصواب، إذ إن المتأمل في الأذكار يجدها جميعها تدندن حول ألوهية الله، وعدم الإشراك به شيئاً، والثناء عليه جل وعلا وتتريهه عن الشريك والإخبار بأن جميع العبادات خالصة له وحده دون أحد سواه، فهو المستحق لها والمختص بالعبادة و القصد لما له سبحانه من خصائص الألوهية التي تجعل العبد يقبل عليه بكليته قلبه ولسانه وجوارحه إذعاناً وخضوعاً وذلاً ومحبة.

ومن المعلوم أن العبادة دائماً متعلقة باسم الله تبارك وتعالى،

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٢) مدارج السالكين (١/١٣٤).

والأذكار مليئة بهذا الاسم العظيم لله تبارك وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولما كانت العبادة متعلقة باسم الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم مثل :كلمات الأذان الله أكبر الله أكبر، ومثل الشهادتين أشهد أن لا الـــه إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله، ومثل التشهد التحيات لله، ومـــثل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"[١].

ومـــن الأمـــثلة في الأذكار وهي كثيرة التي تدل على إفراد الله بالعبودية ما ورد في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا قام يصلي من الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير: «**اللهم لك الحمد أنت قـــيم الســـموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أســـلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإلـــيك حاكمـــت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٢]. فهذا الحديث فيه إفراد الله سبحانه بأنواع من العبادات من الاستسلام له دون سواه، وتحقيق الإيمان به والتوكـــل عليه دون التوكـــل على أحد سواه،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٨٤-٢٨٥).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

والإنابة إليه دون أحد سواه، والتخاصم إليه دون أحد سواه والتحاكم إليه دون أحد سواه[1].

والذاكر يحقق شهادته لله بالألوهية سائر يومه صباح مساء، ويُشهدُ الله على ذلك ويشهد جميع الخلق على أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كما جاء ذلك مصرحاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: اللهم إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك وحملة عرشك وأشهد من في السموات ومن في الأرض أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله كله من النار**»[2].

فقوله: "(أُشهدك) أي: أجعلك شاهداً على إقراري بوحدانيتك في الألوهية والربوبية، وهو إقرار للشهادة وتأكيد لها وتجديد لها في كل صباح ومساء"[3].

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية (٣٤٧/٥-٣٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٧/٤) بلفظ (اللهم إني أصبحت أشهدك..)) والنسائي في عمل اليوم والليلة، وحسّن ابن باز رحمه الله إسنادهما كما في تحفة الأخيار ص٣٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٧٠٤/١) واللفظ هنا له وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وجوّد النووي إسناده كما في الأذكار ص ٦٥وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار٣٧٩/٢.

(٣) عون المعبود (٢٧٧/١٣).

كما أن المتأمل في ألفاظ الأذان والتي هي من أجل أنواع الذكر والتي يوحَّد الله فيها على الملأ ويُشْهد له بالوحدانية، يجدها شاملة مستوفية لتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته ونفي الشريك عنه، ولعل من الحكمة بمشروعية هذه الألفاظ وجعلها من الأذان للصلاة: تذكيرُ الناس بالأصل العظيم والغاية الكبرى من خلقهم ومن سعيهم وإتيانهم للصلاة وهو توحيد الله سبحانه بربوبيته وأسمائه وصفاته وأولوهيته والله أعلم.

قال النووي رحمه الله:"واعلم أن الأذان كلمة جامعة لعقيدة الإيمان، مشتملة على نوعيه من العقليات والسمعيات، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتتريه عن أضدادها، وذلك بقوله: الله أكبر، وهذه اللفظة مع اختصار لفظها دالة على ما ذكرناه، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمد الإيمان والتوحيد المقدمة على كل وظائف الدين"[1].

وهناك غير ما ذكرنا من الأذكار الدالة على التوحيد يصعب حصرها هنا.

أهمية توحيد الألوهية

لا شك أن توحيد الألوهية من أهم المهمات ومعرفته والعمل به من

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٤/٨٩).

أوجب الواجبات وتظهر أهمية هذا التوحيد في نقاط كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- أنه أول دعوة الرسل وزبدتها ومن أجله قاتلوا الكفار والمشركين وهو أول الأمر وآخره، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢].

فكل رسول افتتح دعوته لقومه بتوحيد الله وعبادته وحده، ونبذ جميع المعبودات دونه.

قال ابن القيم رحمه الله: "التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[٣]، وقال هود لقومه:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[٤]، وقال صالح لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[٥]، وقال شعيب لقومه:

---

(١) سورة فصلت الآية: ١٤.

(٢) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأعراف الآية: ٦٥.

(٥) سورة الأعراف الآية: ٧٣.

﴿ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢]، فالتوحيد مفتاح دعوة الرسل ولهذا قال النبي ﷺ لرسوله معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد بعثه إلى اليمن: **«إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله وحده فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة..»**[٣]، وذكر الحديث وقال: **« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...»**.

فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ : **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[٤]، فهو أول واجب وآخر واجب فالتوحيد أول الأمر وآخره"[٥].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٨٥.

(٢) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٥٧٩.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/٢٤٧) وأبو داود في سننه: كتاب الجنائز، باب في التلقين (٣/١٩٠) ح ٣١١٦، والحاكم في المستدرك (١/٥٠٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) مدارج السالكين (٣/٤٤٣-٤٤٤) و (٣/٤٨٤)، وانظر مجموع الفتاوى (٨/٣٤)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٣٤٩).

٢- أن الله أمــر به جميع الناس: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾[1].

فلأهمـــية التوحـــيد أمر سبحانه وتعالى به جميع خلقه الأولين منهم والآخـــرين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم لأنه هو الغاية التي خلقهم من أجلها كما سيأتي في الفقرة التالية:

٣- أنه الغاية من خلق الجان والإنسان.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾[2]

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:"هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

وذلـــك متوقف على معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"[3].

وقـــال ابن القيم رحمه الله في كلامه على الغاية التي تراد من الخلق والتي من أجلها خُلق الخلق:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢١.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٥٥، وانظر طريق الهجرتين (١/٣٦٤).

"فالتي تراد منهم أن يعرفوا الله تعالى وصفات كماله عز وجل وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئا فيكون هو وحده إلههم ومعبودهم ومطاعهم ومحبوبهم قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾[1] فأخبر أنه خلق العالم ليعرف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ فهذه الغاية هي المرادة من العباد وهي أن يعرفوا ربهم ويعبدوه وحده"[2].

والله سبحانه أراد من عباده أن يعبدوه لا لحاجته إليهم بل هو سبحانه غنيٌّ عن عباده وعن عبادتهم، ولكن عبادتهم لربهم فيها مصلحتهم وصلاحهم، ويرجع نفعها عليهم في الدنيا والآخرة ويبيّن ذلك الفقرة التالية:

٤- حاجة العباد إليه ولا صلاح لهم في دنياهم وآخرتهم إلا بتوحيد ربهم.

إن حاجة العباد لعبادة ربهم وتوحيده عظيمة جداً وهي أعظم من حاجتهم للهواء والأكل والشرب؛ لأن في العبادة والتوحيد حياة القلوبِ والأرواحِ الأبديةَ، وفي الأكل والشرب تقوم الحياة الفانية.

(١) سورة الطلاق الآية: ١٢.

(٢) بدائع الفوائد (٤/٩٧١).

قال ابن القيم رحمه الله: "فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النذر له ولا في الخضوع له ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب ولا بد في وقت آخر، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذ، بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك، وإنما يحصل له بملابسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره وهو يؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب، والعاقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما والله الموفق المعين"[1].

---

(١) طريق الهجرتين ص: ٩٩ (ط٢/١٤١٤هـ الناشر دار ابن القيم الدمام تحقيق عمر ابن محمود أبو عمر) وانظر مجموع الفتاوى (٢٤/١)، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (٢٦/١) (ط٢/١٣٩٥هـ دار المعرفة بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي).

وقال ابن رجب رحمه الله:"وقال الحسن لرجل: داوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العـــباد صـــلاح قلوبهم. يعني أن مراده منهم ومطلوبه صلاح قلوبهم، فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل علـــيه ويمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فلا صـــلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شـــريك لـــه، ولو كان في السموات والأرض إله يؤله سوى الله لفسدت بذلك الســـموات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(١)، فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معا حتى تكون حركات أهلها كلها لله، وحـــركات الجســـد تابعة لحركات القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب وإراداته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب"(٢).

ومـــن ضمن حاجة العباد للتوحيد أنهم ما منهم من أحد إلا ويذنب ويحتاج لمغفـــرة ذنوبـــه، والتوحيد سبب لمغفرة الذنوب، يبينه الوجه التالي من وجوه أهمية التوحيد:

٥- أنه من أهم أسباب مغفرة الذنوب وصاحبه لا يخلد في النار إن دخلها:

للمغفرة أسباب كثيرة من أهمها وأعظمها الإتيان بالتوحيد والبعد

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٢.

(٢)جامع العلوم والحكم ص ٧٥.

عن الشرك بجميع صوره ففي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»**[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة»**[(٢)].

قال ابن رجب رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث مبيناً أهمية التوحيد وأنه من أسباب المغفرة: "السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقده فَقَدَ المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٢٠٦٨/٤) ح ٢٦٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده (٥٤٥/٥) ح ٣٥٤٠ وقال: حديث حسن صحيح، وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص٣٩١: "وإسناده لا باس به".

أسباب المغفرة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[(١)]، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شاء غفرله وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في الـــنار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعضهم: الموحد لا يُلقى في النار كمـــا يُلقـــى الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار، فإن كمل توحيد العـــبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلـــبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومـــنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت مـــنه كـــل مـــا سوى الله محبةً وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاء وتوكـــلاً وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربمـــا قلبتها حسنات كما سبق ذكره في تبديل السيئات حسنات، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات..."[(٢)].

إلى غـــير ذلـــك من الأمور الدالة على أهمية التوحيد وهي كثيرة اقتصرت على ذكر بعضها في هذا الموضع والله أ علم.



(١) سورة النساء الآية: ١١٦.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٩٨.

المطلب الثاني:

أفضل الذكر كلمة الإخلاص وبيان فضلها ومعناها وشروطها

قد علمنا فيما سبق أن الذكر من أفضل العبادات المقربة إلى الله تعالى وأجلّها وأعظمها أجراً، مع سهولته ويسره على من يسرّه الله عليه.

هذا وإن أفضل أنواع الذكر بعد القرآن العظيم هو قول المرء: "لا إله إلا الله"وهي كلمة التوحيد كما ورد عنه ﷺ أنه قال:

«أفضل الذكر لا إله إلا الله»(١).

وهذه الكلمة الجليلة واجب على كل مسلم أن يتعلمها ويعلم مضمونها ومعناها وشروطها وأركانها وكل ما يتعلق بها، لأنها الكلمة التي يصير بها المرء مسلماً، فهي الفيصل بين الكفر والإسلام، و لأن الله جل جلاله أمر أفضل خلقه وخاتم رسله ﷺ أن يعلم كل ما يتعلق بها ويعتقده في قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٢).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ يا محمد أنه لا معبود

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٤.

(٢) سورة محمد الآية: ١٩.

تنبغي أو تصلح له الألوهية ويجوز لك عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شيء يدين له بالربوبية كل ما دونه"(١).

وقال السعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية:

"وهذا العلم الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كـــل إنســـان لا يســـقط عن أحد كائناً من كان، بل كلٌّ مضطرٌ على ذلك"(٢).

ثم ذكر رحمه الله تعالى الطريق المؤدّية إلى العلم بأنه لا إله إلا الله.

وقد ذم الله سبحانه من استكبر عنها وأعرض عنها وترك العمل بها في قوله جل جلاله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣).

ووصف الله سبحانه نفسَه بما تضمنته هذه الكلمة في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(٥).

---

(١) تفسير الطبري (٢٦/٥٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٧٣١.

(٣) سورة الصافات الآية: ٣٥-٣٦.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٥٥.

(٥) سورة غافر الآية: ٦٥.

وحققها إبراهيم عليه السلام كما حكى الله عنه بقوله: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾[1].

وقد حازت هذه الكلمة في الأذكار قصب السبق لأهميتها وفضلها ومكانتها في الدين وتميّزها عن باقي الكلام، فقد تكررت في مواضع كثيرة جداً يصعب حصرها في هذا الموضع، وتكرارها على حسب الأوقات والأماكن والأحوال في أحاديث الأذكار هو بحدّ ذاته يدل على أهمية هذه الكلمة وفضلها، وأن الناس محتاجون إليها أكثر من حاجتهم لأي شيء سواها، إذ من المعلوم أن الشيء إذا ازدادت أهميته وكانت حاجة الناس إليه أكثر كان وجوده بشكل أكبر وأكثر وسَهُل الحصول عليه وتوفر في كل الأوقات، فالهواء مثلاً حاجة الناس إليه شديدة بحيث أنه لا أحد يستغني عنه ولو لدقائق، لذلك من نعمة الله علينا أن جعله متوفراً في كل مكان.

فنظراً لحاجة العباد إلى هذه الكلمة العظيمة الشأن الجليلة القدر نجد أنها أولاً سهلة النطق على اللسان، ثم أن أحاديث الأذكار مليئة بهذه الكلمة إما نصاً عليها بلفظها أو بمعناها أو مُؤدّاها، فالمتأمل في الأذكار منذ الصباح إلى المساء يجدها كما قلنا ملأى بهذه الكلمة فمن خلال تتبع موارد هذه الكلمة في ما يقوله الذاكر في أوقاته وأحواله نجد أنها وردت في:

---

(١) سورة الزخرف الآية: ٢٦-٢٨.

أذكار الاستيقاظ من النوم، وبعد الفراغ من الوضوء، وفي الأذان وأذكاره،وفي أذكار الاستفتاح للصلاة، والتشهد، وأذكار ما بعد السلام من الصلاة، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، وما يقال عند التقلب ليلاً، وأذكار الكرب وما يقال عند خوف ظلم السلطان، وما يقال عند المحتضـــر والمـــريض الذي يئس من حياته، والذكر عند دخول السوق، والـــرجوع من السفر، وفي التلبية، وما يقال على الصفا والمروة وفي يوم عرفة، وعند الفزع والاستغفار والتوبة وفي الذكر المطلق[1].

فهذه الكلمة العظيمة شغلت من وقت الذاكر حيزاً كبيراً، مما يدل عـــلى أهميتها وعظم شأنها ومنزلتها من بين سائر الكلام، لذلك كان لها فضلٌ عظيمٌ ولقائلها أجرٌ جزيلٌ يتضح من خلال الفقرة التالية:

---

(١) انظر حصن المسلم لسعيد القحطاني الصفحات (٣، ١٢، ١٣، ١٩، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٢، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥ ، ٦٦، ٧٥، ٧٧، ٨٣، ٩٥، ٩٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧) في هذه الصفحات إشارة إلى المواطن والأحاديث التي وردت فيها لا إله إلا الله في الأذكار وذكرتها في المتن وغير هذه المواضع كثير.

فضل لا إله إلا الله(١)

لقد ورد في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ من الفضائل الجمة لهذه الكلمة والخصال العديدة والأوصاف الحميدة، ما يصعب استقصاؤه في هذا الموضع، فهي"كلمة قامت بها الأرض والسماوات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق

---

(١) انظر كتاب الدعاء لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣/١٤٨٠) (تحقيق محمد سعيد النجاري ط١/١٤٠٧هـ دار البشائر بيروت)، وكتاب فضل التهليل وثوابه الجزيل للحسن بن أحمد البغدادي المعروف بابن البنا (ط١/١٤١٣هـ مكتبة السوادي تحقيق عبد الله الحاشدي)، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٧٥- ٣٣٤)، و"كلمة الإخلاص وتحقيق معناها"لابن رجب الحنبلي ص٢٤٣ ضمن"الجامع المنتخب من رسائل ابن رجب"(ط١/١٤١٨هـ دار المؤيد الرياض)، والفتوحات الربانية (١/٢١٧)، وتيسير العزيز الحميد ص ٦٥ وما بعدها، والدين الخالص للقنوجي (١/١٧٣ـ ١٧٨) (طبع في مطبعة المدني، مصر بدون ذكر التاريخ)، ومعارج القبول للحكمي (٢/٤١٠) (ط٣/١٤١٥هـ دار ابن القيم الدمام)، وفقه الأدعية والأذكار للدكتور عبد الرزاق البدر ص ١٦٧.

الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولـــون والآخـــرون فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقرارا وعملاً.

وجواب الثانية: بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة"[١].

ومما ورد في فضل هذه الكلمة في القرآن الكريم أنها وصفت بالكلمة الطيبة والقول الثابت كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[٢].

وأنها العروة الوثقى كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ ﴾[٣].

ومـــن فضائلها أن الرسل جميعهم أُرسلوا بها منذرين ومبشرين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[٤].

---

(١) زاد المعاد (١/٣٤) (ط١٤/١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة بيروت تحقيق عبد القادر الأرناؤط)، وانظر الجواب الكافي ص ١٣٨.

(٢) سورة إبراهيم الآيات: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

وقـــال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[1].

وهـــي كلمة الصدق وهي القول السديد وكلمة الإخلاص ودعوة الحـــق والكلمة العليا، ومنتهى الصواب وأفضل ما أنعم الله به على عباده وكـــلمة السّـــواء، وهي أحسن الحسنات، وهي التي يُسأل عنها الأولون والآخـــرون يـــوم القيامة، وهي التي تجمع المسلمين فعليها يوالون وعليها يعادون، وهي كلمة العدل وكلمة الإحسان وكلمة التقوى والطيب من القول والكلمة الباقية والمثل الأعلى، وكلمة النجاة وهي العهد[2].

إلى غير ذلك من الفضائل التي ذُكرت في القرآن الكريم، أما ما ورد في فضلها في السنة المشرفة فكثير جداً نذكر منه بعضها:

١- فمن ذلك أنها أعلى شعب الإيمان فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[3].

٢- ومن فضائلها: أن من قالها فقد حرمه الله على النار كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي**

---

(١) سورة النحل الآية: ٢.

(٢) انظر كلمة الإخلاص ومعناها لابن رجب ص٢٤٣ و ما بعدها.

(٣) سبق تخريجه ص ٣١٥.

بذلك وجه الله»[١].

٣- ومن فضائلها أن الجهاد أُقيم من أجل إعلائها كما قال الرسول ﷺ: **«أمـــرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رســـول الله ويقـــيموا الصـــلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[٢].

٤- وأن قائلها معصوم المال والدم للحديث السابق.

٥- ومـــن فضائلها أنها ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث الـــبطاقة، فعـــن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القـــيامة فينشـــر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقـــول أتـــنكر مـــن هـــذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب،فـــيقول: ألـــك عذر؟ فيقول: لا يا رب،فيقول: بلى إن لك عندنا**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المساجد، باب المساجد في البيوت (٣٩٧/١) رقم ٤١٥، ومسلم كتاب المساجد: ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (٤٥٥/١) عن عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخـــرجه البخاري في صحيحه:كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة (١٧/١) ح ٢٥، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله (٥٣/١) ح٢٢ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك.فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم.قال:فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»(١).

٦- ومن فضائلها أنها أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً للأجر وأنها حرز لقائلها من الشيطان كما أنها تعدل عدل عشر رقاب كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه: **«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»**(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٢١٣)، والترمذي في سننه: كتاب الإيمان، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥/٢٤) ح ٢٦٣٩، وابن ماجة: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة(٢/١٤٣٧) ح٤٣٠٠، وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين(١/٤٦): "هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم"، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم ٨٠٩٥.

(٢) سبق تخريجه ص١٨٥.

٧ - وهي أفضل ما قاله النبي ﷺ والنبيون عليهم الصلاة والسلام من قبله لقوله ﷺ :«**أفضل ما قلت أنا والنبيون عشية عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»(١).

ولهـــا من الفضائل الشيء الكثير الذي يصعب حصره في مثل هذا المقام ومن أراد التوسع فليرجع إلى الكتب التي هي مظان هذه المسألة(٢).

معنى لا إله إلا الله:

إن لكلمة التوحيد معنىً يندرج تحته أمور كثيرة لا بدّ للمسلم من تحقيقها وفهمه لمعنى لا إله إلا الله، إذْ غير كافٍ مجرد التلفظ بهذه الكلمة باللسان، فلا بد من إقرار القلب والعمل بما تدل عليه هذه الكلمة الجليلة قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾(٣).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: " ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أي نطق بلسانه مقراً بقلبه عالماً بما يشهد به ويشترط أن تكون شهادته بالحق وهي الشهادة لله بالوحدانية ولرسله بالنبوة.."(٤).

---

(١) سبق تخرجه ص ٧٤.

(٢) انظر: هامش رقم (١) ص ٥٩٦.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٨٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٦.

إذاً "ليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها؛ فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في النار، مع كونهم يصلون ويصومون ويتصدقون، ولكن المراد معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته"(١).

وقبل الخوض في معنى هذه الكلمة العظيمة لا بد من معرفة معنى كلمة (إله)(٢).

فالإله بإجماع أهل التحقيق من أهل العلم(٣) بمعنى مألوه أي معبود، بخلاف ما يدعيه القبوريون وأهل الكلام ومن شاكلهم بأنه بمعنى الخالق أو القادر على الاختراع إذ إن هذا المعنى والتفسير لكلمة الإله، يجرهم إلى الاعتقادات الفاسدة وصرف العبادة لغير الله زعماً منهم أنهم موحدون لله بإقرارهم أنه هو الخالق القادر على الاختراع وهذا بزعمهم يكفي، وهو في الحقيقة لا يكفي؛ إذ ما فسروه به هو توحيد الربوبية فقط، فقد خلطوا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وإقرارهم بأن الإله هو الخالق القادر على الإيجاد هو نفسه إقرار المشركين العرب كما مر معنا سابقاً بيان ذلك.

---

(١) الدين الخالص للقنوجي (١/١٨١).

(٢) نقل صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد أقوالاً كثيرة لأهل العلم حول معنى كلمة "إله" انظر ص٥٤ وما بعدها.

(٣) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والإلـــه هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القـــادر عـــلى الخلـــق، فإذا فسر المفسرُ الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا أخص وصف الإله،وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحـــيد، كمـــا يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكـــانوا مع هذا مشركين قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[1]، قـــال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره"[2].

إذاً فمعنى الإله هو كما قال ابن القيم رحمه الله:

"فـــإن الإلـــه هو الذي تألهه القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً وتعظـــيماً وذلاً وخضـــوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلاً والرب هو الذي يربى عـــبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى مصالحه فلا إله إلا هو ولا رب إلا هو فكما أن ربوبية ما سواه أبطل الباطل فكذلك إلهية ما سواه"[3].

---

(١) سورة يوسف الآية: ١٠٦.

(٢) درء التعارض (١/٢٢٦).

(٣) إغاثة اللهفان (١/٢٧)، وانظر الرد على البكري (١/١٤١).

وقال أيضاً: "فإن الإله هو الذي يألهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له، وأصل التأله التعبد والتعبد آخر مراتب الحب يقال: عبده الحب وتيّمه إذا ملكه وذلّله لمحبوبه"(١).

فإذا علمنا ذلك فيكون معنى كلمة: لا إله إلا الله أنه لا معبود بحق إلا الله فهو وحده سبحانه المستحق بأن تصرف له جميع العبادات وتكون خالصة له دون سواه.

وقد جاءت آيات كريمة كثيرة تبين معنى هذه الكلمة وتوضح ما يراد منها:قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(٢). **وقوله:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝﴾(٣)، **وقوله تعالى:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝﴾(٤).

قال الطبري رحمه الله: "وأما معنى قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنه خبر من الله جل وعز أخبر عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة

---

(١) مدارج السالكين (٣/٢٦)، وانظر طريق الهجرتين ص ٤٧٣، ودقائق التفسير (٢/٣٦٤).

(٢) سورة البقرة الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الزخرف الآيتان: ٢٦-٢٨.

(٤) سورة آل عمران الآية: ٢.

والأنداد، وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالألوهية وأن كل ما دونه فملكه وأن كل ما سواه فخلقه لا شريك له في سلطانه وملكه"(١).

وقــد تحــدث العــلماء عن معنى هذه الكلمة، وأوضحوا مرادها ومفهومها:

فقال ابن القيم رحمه الله:

"وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة؛ فلا يُحب سواه بــل كــان ما كان يحب غيره فإنما هو تبعاً لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يُخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يُرغب إلا إلــيه، ولا يُرهــب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنذر إلا له ولا يــتاب إلا إلــيه، ولا يُطاع إلا أمره،ولا يُحتسب إلا به ولا يُستعان في الشــدائد إلا بــه، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، يجتمع ذلك في حرف واحد وهو أن لا يعبد بجميع أنواع العبادة إلا هــو فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة ومحال أن يدخل النار من تحقق

---

(١) تفسير الطبري (٣/١٦١).

بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ۝﴾[١]، فيكون قائما بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه وقالبه"[٢].

وقال ابن رجب رحمه الله: "فإن معنى لاإله إلا الله: لا يؤله غيره حباً ورجاءً وخوفاً وطاعةً،فإذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق فيه محبة لغير ما يحبه الله ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، ومن كان كذلك لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله وإنما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله أو كراهة ما يحبه الله وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله تعالى وخشيته وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات وارتكاب بعض المحظورات"[٣].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب[٤] رحمه الله:

"اعلم رحمك الله أن معنى لا إله إلا الله نفي وإثبات، (لا إله) نفي، (إلا الله) إثبات، تنفي أربعة أنواع: الآلهة، والطواغيت، والأنداد،

---

(١) سورة المعارج الآية: ١٣.

(٢) الجواب الكافي ص١٣٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ص: ٣٦٦ (ط/١٩٧٨م، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق عبد الجبار ذكار)، وانظر ص ٢١٠ منه.

(٤) هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي الوهيبي التميمي، مجدد الدعوة صاحب التآليف النافعة، نصر التوحيد و السنة وقمع الشرك والبدعة، ولد سنة١١١٥هـ في العيينة، وتوفي في الدرعية سنة (١٢٠٦هـ). انظر علماء نجد (٢٥/١).

والأربـــاب، فالإلـــه مـــا قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر، وما قصدته كذلك فأنت متخذه إلهاً.

والطواغيـــت مـــن عُبد وهو راضٍ أو ترشح للعبادة. والأنداد ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو ندٌّ لله لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾(1). والأرباب من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته، لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(2).

وتثبـــت أربعة أنواع: (القصد) كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة لقوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، والخوف والرجاء لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾(3)، والـــبراءة مـــن الشرك وأهله كما فعل إبراهيم عليه السلام كسر الأصنام وتبرأ من عُبّادها.

---

(1) سورة البقرة الآية: ١٦٥.

(2) سورة التوبة الآية: ٣١.

(3) سورة يونس الآية:١٠٧.

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [1]"[2].

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد رحمه الله:

"وتحقيق التوحيد: هو معرفته والاطلاع على حقيقته، والقيام بها علماً وعملاً، وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبة وخوفاً، وإنابة وتوكلاً، ودعاء وإخلاصاً وإجلالاً وهيبة وتعظيماً وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله وذلك هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله هو المألوه المعبود.

وما أحسن ما قال ابن القيم:

فلواحدٍ كن واحداً في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمان

وذلك هو حقيقة الشهادتين، فمن قام بهما على هذا الوجه فهو من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب"[3].

وعن تحقيق هذه الكلمة يقول الشيخ ابن باز رحمه الله:

"فتحقيق الأولى: وهي"لا إله إلا الله"بإفراد الله بالعبادة، وتخصيصه

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ٤.

(٢) الدرر السنية (٦٢/٢) (الطبعة ١٣٨٥/٢هـ دار الإفتاء في المملكة العربية السعودية.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٧٦.

بهـــا، والإيمـــان بكـــل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الجنة والنار والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما تحقيق الثانية: وهي شهادة أن محمداً رسول الله فبالإيمان به ﷺ، وأنه عــبد الله ورسوله أرسله إلى الناس كافة إلى الجن والإنس، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به، واتباع ما جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام مع الإيمان بجميع الماضيين من الرسل والأنبياء، ثم بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده على يد رسوله محمد ﷺ، والأخذ بها والاستمساك بها من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك" (1).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

"فإن معناها الذي عليه   دلت يقيناً وهدت إليه

أن ليس بالحق إله يعبد   إلا الإله الواحد المتفرد

بالخلق والرزق والتدبير   جلّ عن الشريك والنظير(2)

فــتلك جملة من أقوال أهل العلم الفضلاء حول معنى هذه الكلمة ومفهومهـــا، وخلاصـــتها أن لهذه الكلمة معنىً جليل القدر وهو أن الله

---

(٢) كتاب بيان معنى لا إله إلا الله للشيخ ابن باز (ص ٢٠) ط١/١٤٢٠هـــ بجهاز الإرشاد والتوجيه في الحرس الوطني)، وانظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٥١.

(٢) أرجوزة سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ، للحكمي ص٥. (ط/١٣٧٣هـــ مطابع البلاد السعودية، مكة المكرمة).

وحـــده هـــو المعبود بحق والمتفرد بأنواع العبادة كلها مهما كانت وأنه سبحانه متره عن الشريك في ألوهيته.

ومـــع وضوح هذا المعنى وعدم خفائه، ومع تبيين أهل العلم له، إلا أنـــه قد خفي على كثير من الناس هذا المعنى الجلي لسبب من الأسباب الظاهـــرة وغـــير الظاهـــرة، أو لأغـــراض توصل إلى اعتقادات يعتقدها أصـــحابها، وبالإضـــافة إلى خفاء هذا المعنى فقد جاءوا بمعانٍ فاسدة لهذه الكـــلمة وباطلـــة من اعتقدها وقع في براثن الزيغ والضلال، **ومن هذه التفسيرات الباطلة[1] التي فُسرت بها (لا إله إلا الله):**

١- أن معـــنى لا إلـــه إلا الله أي لا موجود إلا الله وهذا يفهم منه الاتحاد.

٢- ومـــنها أن معناها أي لا معبود موجود إلا الله، وهذا باطل لأنه يلزم منه أن كل معبود عُبد بحقٍّ أو باطل هو الله.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

"فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله، فلا يستحق أن يعبد إلا الله، مثبتاً العبادة لله، فهو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة..

---

(١) انظر عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة للشيخ عبد الرزاق العباد ص ٢٣٤ (رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة).

وأمـــا تقديره بـــ(موجود) فيفهم منه الاتحاد فإن الإله هو المعبود. فـــإذا قـــيل: لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عُبد بحقٍّ أو بـــاطل هـــو الله، فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشـــجار والأحجـــار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله، فيكون ذلك كله توحيداً، فما عُبد على هذا التقدير إلا الله، إذ هي هو، وهـــذا والعـــياذ بـــالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرســـالات جمـــيع الرسل، وكفر بجميع الكتب، وجحود لجميع الشرائع وتكذيـــب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً، إذ كل ما عبد من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحّداً. تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فـــإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر (موجود) إلا أن ينعت اسم (لا) بـــ(حق) فلا بأس، ويكون التقدير لا إله حقاً موجوداً إلا الله، فبتقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا"[١].

٣- ومـــنها: أن معناها: أي لا خالق إلا الله وهذا تدل عليه هذه الكلمة ولكن ليس هو المراد منها وإنما معنى هذه الكلمة باتفاق السلف الصالح أنه لا معبود بحقٍّ إلا الله، (لا إله) نافية لجميع ما يُعبد دون الله فلا يستحق أن يُعبد غيره، (إلا الله) مثبتة العبادة لله فهو الإله المستحق للعبادة.

---

(١) معارج القبول (٢/٤١٦)، وانظر: الدين الخالص لمحمد صديق حسن خان (١/١٨٩).

رُكنا (لا إله إلا الله):

إن لكلمة التوحيد ركنين يجب الإتيان بهما ولا تستقيم الكلمة إلا بهما:

الأول: النفي وهو قول (لا إله) فتنفي الإلهية عن كل شيء، وهذا الـــركن لا يكفي وحده بل لابد من الركن الثاني للشهادة، ومن أتى به دون الـــركن الثاني فقد كفر، كما هو مذهب طائفة الإلحاد والكفر في زماننا الذين يقولون:

"لا إله والحياة مادة".

فهـــؤلاء نفـــوا الإلهية عن كل شيء حتى عن الله سبحانه وتعالى المستحق للألوهية فهم لا يقرون بوجود إله لهذا الكون.

الـــثاني: الإثبات: وهو قولنا: (إلا الله) ففيه إثبات الألوهية للباري عز وجل وهو المستحق بحق لهذه الألوهية، وهذا وحده لا يكفي، فلا بدّ من الركن الأول معه؛ لأنه إذا أثبت العبد العبادة لله وحده ولم ينفها عن غـــيره فقد وقع في شرك العبودية مع الله، كحال المشركين الأوائل وحال القبوريين فإنهم يعتقدون إثبات العبادة لله، ويثبتونها لغير الله فيقولون مثلاً: نحن نعبد الله، ومع ذلك نقول الاستغاثة والنذر والدعاء والحلف كل ذلك يجوز بالأولياء ولهم، ونحن نقول: هذا عين الشرك.

إذاً فـــلا بدّ للمسلم أن ينفي الألوهية عن كل أحد ويثبتها فقط لله وحده لا شريك له، فالكلمة لا تستقيم ولا تنفع صاحبها حتى يعتقدها

نفياً وإثباتاً؛ نفي الألوهية عن ما سوى الله وإثباتها لله وحده جل في علاه.

وهـــذان الركنان جاءت آيات من القرآن الكريم بالنص عليهما من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها البراءة من جميع المعبودات، وإثبات العبادة لله وحده لا شريك له؛ لأنه هو المستحق وحده للعبادة حيث أوجد الخلق من العدم ورباهم بالنعم ورزقهم ويسر لهم سبل حياتهم.

ومـــن أجل أن يستمسك العبد بالعروة الوثقى فلابد أن يكفر بكل طاغوت وهو كل ما عُبد من دون الله وأن يؤمن بالله وحده لا شريك له على حدّ قوله تعالى:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[3].

قـــال صـــاحب تيسير العزيز الحميد رحمه الله:"فـــ (لا إله إلا الله) اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل

---

(١) سورة الزخرف الآيات: ٢٦-٢٨.

(٢)سورة البقرة الآية: ١٦٣.

(٣)سورة البقرة الآية: ٢٥٦.

ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم فليس بإله، ولا له من العبادة شيء؛ وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك، وبالجملة فلا إله إلا الله أي لا يعبد إلا هو، فمن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به، فهذا هو المسلم حقاً، فإن عمل بها ظاهراً من غير اعتقاد فهو المنافق وإن عمل بخلافها من الشرك فهو الكافر ولو قالها"[1].

شروط لا إله إلا الله

من المعلوم أن كل عبادة لها شروط لا بد من استيفائها عند القيام بالعبادة، والتهليل قول: (لا إله إلا الله) من أجل العبادات وأعظمها، وأولها وآخرها ومفتاحها ورأسها بل هي نفسها تحقيقُها شرطٌ لكل العبادات فلا تصح العبادة إلا من مسلم موحد مخلص.

وقد ذكر العلماء عدة شروط لا بد من تحقيقها لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) استنبطوها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٥٧-٥٨، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢٥/١٠).

وممــن ذكــر شروط هذه الكلمة الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله حيث يقول:

وبشروط سبعة قد قيدت　　　وفي نصوص الوحي حقاً وردت

فإنه لم ينتفع قائلها　　　بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول　　　والانقياد فادْرِ مــا أقول

والصدق والإخلاص والمحبة　　　وفــقك الله لــما أحبه

ثم قال رحمه الله:

"ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد، والتزامه إياها بدون مناقضته مــنه لشــيء منها، وليس المراد من ذلك عدّ ألفاظها وحفظها، فكم من عــاميٍّ اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له: اعددها، لم يحسن عدّها، وكم حــافظ لألفاظهــا يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان"[1].

فشروطها السبعة هي:

١- العلم المنافي للجهل.

٢- اليقين المنافي للشك والريب.

---

(١) معارج القبول ط٢/١٤١٥هـ دار ابن القيم (٤١٨/٢).

٣- الإخلاص المنافي للشرك والرياء.

٤- الصدق المنافي للكذب.

٥- المحبة المنافية للبغض والكراهية.

٦- الانقياد المنافي للترك والعناد.

٧- القبول المنافي للرد.

وهذه الشروط لها أدلتها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ نذكرها باختصار:

أولاً: **العلم** بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[2].

ثانياً: اليقين.

اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً ؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ

---

(١) سورة محمد الآية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/٥٥)ح ٢٦.

وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أشـــهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة»[2].

وقـــال رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»[3].

ثالثاً: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان.

وقد قصّ الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء مَنْ قَبِلَها والانتقام ممن ردها وأباها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[4]،

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٥٥) ح٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (١/٦٠)ح٣١.

(٤) سورة الروم ٤٧.

وقـــال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[(١)].

وقـــال تعالى عن الذين كذبوا بهذه الكلمة ورفضوها و لم يقبلوها: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[(٢)].

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال:

«مـــثل مـــا بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانـــت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعـــوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبـــت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعمل، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[(٣)].

رابعاً: الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) سورة يونس الآية ١٠٢.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٤٢/١) ح ٧٩.

(٤) سورة الزمر الآية: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[١].

أي انقاد لربه وهو موحد له.

خامســـاً: الصــــدق المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطـــئ قلبه لسانه، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣ ﴾[٢].

وقال الله تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً غير مصدقين بها ولا صادقين في إيمانهم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾[٣].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«مـــا من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار»[٤].

فاشـــترط في الـــنجاة مـــن النار أن تكون هذه الكلمة صدقاً من القلب، وأن يكون القلب مواطئاً لما يتلفظه اللسان.

---

(١) سورة النساء الآية: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت الآيات: ١-٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا (٥٩/١) ح١٢٧.

قال ابن رجب رحمه الله:

"وإن من دخل النار من أهل هذه الكلمة فَلقلّة صدقه في قولها فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله، فمَنْ صَدَق في قول لا إله إلا الله لم يُحِب سواه، ولم يرج إلا إياه، ولم يخش إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يبق له بقية من إيثار نفسه وهواه ومتى بقي في القلب أثر لسوى الله فمِن قلّةِ الصدق في قولها"(١).

سادساً: الإخلاص.

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك.

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾(٣).

وقال جل جلاله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾(٤).

وفي الصحيح عنه ﷺ **أنه قال: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»**(٥).

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢١١.

(٢) سورة الزمر الآية: ٣.

(٣) سورة البينة الآية: ٥.

(٤) سورة الزمر الآية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (٤٩/١) ح ٩٩.

وقـــال أيضاً ﷺ: «**إن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل**»[١].

سابعاً: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلّت عليه ولأهلها العاملين بهـــا الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك وبغض ومعاداة من عادى هذه الكلمة وأهلها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[٣].

ولمحـــبة العبد ربه علامات لابد أن تظهر على المحبين الصادقين لربهم منها:

تقديم محابّ الله وإن خالفت هوى النفس، وبغض ما يبغض الله وإن مالت النفس إليه، وموالاة من والى الله ورسوله، ومعاداة من عادى الله ورسوله.

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٩٩.

(٢)سورة البقرة الآية:.١٦٥.

(٣) سورة المائدة الآية: ٥٤.

واتباع الرسول ﷺ وقبول هديه والسير عليه، ولا تُتصور وجود المحبة بدون هذه الأمور كلها أو أمر منها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٢﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كُنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**[4].

---

(١) سورة الفرقان الآية: ٤٣.

(٢) سورة المجادلة الآية: ٢٢.

(٣)سورة آل عمران الآية: ٣١-٣٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر (١٦/١) ح٢١، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١) ح٤٣.

وقال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»** [(١)].

ومحـــبة الله سبحانه وتعالى لا تتم إلا بمحبة ما يحبه وكره ما يكرهه وطـــريق معرفة ذلك هو اتباع الرسول ﷺ ومحبته، فمحبة الله تستلزم محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته"[(٢)].

فهذه الشروط من حققها وعمل بها وابتعد عما يناقضها أوجب له مغفرة الذنوب بإذن الله تعالى.

قال ابن رجب رحمه الله:

"فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف مـــن الذنـــوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١٤/١)ح١٥، ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من الأهل (٦٧/١) ح٤٤.

(٢) بتصرف ملخصاً من كتاب معارج القبول (٤١٨/٢-٤٢٧) للحكمي رحمه الله، وممن ذكر الشروط هذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في"فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد"ص٧٢ (ط١/١٤٢٠هـــ دار ابن حزم، بيروت).

وخشـــية ورجاء وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مـــثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات كما سبق ذكره في تبديل السيئات حســـنات؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات"(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه تحت هذا المبحث: أن لكلمة التوحيد أعداء قد أجهدوا أنفسهم في محاربة هذه الكلمة وأهلها، ونصبوا مكايدهم لهذا الديـــن العظيم و شحذوا معاولهم لهدم معالمه، وصدّوا عن سبيل الله بكل وسيلة وحيلة، وأرادوا أن يطفئوا دين الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ولو كره المشركون.

وحـــاولوا بكل وسعهم وطاقتهم إفساد أهل كلمة التوحيد وردّهم عـــن ديـــنهم ببث أفكار هدامة وسلوكيات وأخلاق لا تمت لهذا الدين بصِلَة، ومعتقداتٍ اللهُ ورسولُه لا يرضونها.

وسلكوا كل السبل في إضلال المسلمين ومكروا وخدعوا وعاهدوا وغدروا، ونادوا بشعارات ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب على المسلمين.

فإذا علم المسلمون ذلك فلا بدّ لهم من البراءة من المشركين والكفار والمـــنافقين ومـــن جميع أعداء الدين، أعداء كلمة التوحيد، وأعداء رب

---

(١) جامع العلوم والحكم ص: ٣٩٨.

العالمين، وعدم مودهم وموالاهم والتخلي عن جميع مناهجهم وسلوكياهم وأخلاقهم، وعدم التشبه بهم في أدنى شيء.

وليعـــلم المســـلم أن براءته من الكفار وأعداء الملة بجميع أصنافهم وأشـــكالهم وأجناسهم، وموالاته للمسلمين ومناصرته لهم ومعاونته على إظهار الحق من أوثق عرى الإيمان كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

هذا وقد دلت أحاديث الأذكار على التبرؤ من المشركين، وموالاة المســـلمين، والثبات على هذا الدين وإخلاصه لله رب العالمين، ولو كره الكافـــرون، كمـــا في حديـــث الاســـتفتاح: **«حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين»**(١).

قال النووي رحمه الله:

"وقوـــله: (ومـــا أنـــا من المشركين) بيان للحنيف وإيضاح لمعناه والمشـــرك يطلـــق على كل كافر من عابد وثن وصنم ويهودي ونصراني ومجوسي ومرتد وزنديق وغيرهم"(٢).

وللأســـف الشـــديد تـــرى بعض المسلمين يرددون هذا الذكر في صـــلاهم صباح مساء (وما أنا من المشركين)، ولكنهم غارقون في براثن

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٥٧).

الشـــرك والعمل المناقض لهذه الكلمة، ولو أنهم وعوا ما يتلفظونه لترسخت وتأصـــلت في قلوبهم عقيدة الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله ولدينه والمؤمنين والبراء من الكفر وأهله.

فعـــندما يقـــول المسلم: (وما أنا من المشركين) أي: أتبرأ من جميع المشـــركين ومـــن جمـــيع أعمـــالهم ومعتقداتهم وسلوكياتهم، و(أل) في (المشركين) للاستغراق فتشمل جميع المشركين مهما كانوا ومهما اختلف نـــوع شـــركهم، وفي هذا ترسيخ لعقيدة البراء من الشرك وأهله وعندما يقول المسلم في صلاته في الاستفتاح (لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المســـلمين) أي: أنا من المنقادين المستسلمين لرب العالمين أواليهم وأناصرهم وأدافع عنهم وأتعاون معهم على الخير لنصرة دين الإسلام والثبات عليه.

فالثـــبات على الإسلام والبراءة من المشركين هو المنهج القويم الذي يرضاه رب العالمين.

فقـــد جاء في الذكر بعد الصلاة، أنه كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة حين يُسلِّم: **«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وـــله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»**[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (١/٤١٥) ح ٥٩٤.

فمهمـــا كـــره الكفار ديننا وعبادتنا وتوحيدنا لله ومهما اشمأزت قلوبهـــم من هذه الكلمة فنحن على رغم أنوفهم باقون على هذا الدين، وكلمة التوحيد لا زالت ولا تزال هذه الكلمة تصدح على رؤوس المآذن بإذن الله إلى يوم الدين.

وعـــلى المســـلم الرضا بهذا الدين القويم الذي رضيه الله، والانقياد لأوامـــره وامتـــثالها والرضا بأحكامه، ونبذ سائر ما يخالفه من الأحكام والأديان المحرفة من اليهودية والنصرانية وغير ذلك.

ومن أحاديث الأذكار التي تدل على ذلك قول المجيب للمؤذن:

«وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا»[١].

قال ابن علان رحمه الله:

"قوله: (وبالإسلام ديناً) أي بدين الإسلام، وهو ملة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام،وفيه التبري عن نحو اليهودية والنصرانية"[٢].

كمـــا أنـــه ينبغي التنبيه على مسألة مهمة هنا **وهي نواقض كلمة التوحيد**، وهذه المسألة من باب تعريف المسلم بالشر حتى يبتعد عنه ولا يقـــع فـــيه، وتنبيه من وقع فيه حتى يخرج منه ويتوب قبل حلول الأجل،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول للمؤذن لمن سمعه (١/٢٩٠) ح٣٨٦.

(٢) الفتوحات الربانية (٣/١٠٢).

وحـــتى لا يكـــون على سبيل المجرمين المخالفين لهذه الكلمة، فيضل كما ضلوا، ويهلك معهم كما هلكوا.

ومن المعلوم أن أهمية الشيء تعرف بمعرفة ضده كما قيل:

وبضدها تتبين الأشياء.

فمـــن عرف خطورة الشرك وأثره السيء في فساد العبد في الدنيا والآخـــرة وإهلاكه، عرف أهمية التوحيد ومنفعته وفائدته على العباد في الدنيا والآخرة، وهكذا في جميع الأمور.

ومـــن عرف نواقض كلمة التوحيد فسيسعى للنجاة منها والسلامة من خطرها وضررها والدعوة لمحاربتها والخلاص منها:

لذلك كان بعض الصحابة رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشر لا حباً بالشر وإنما خوفاً من أن يدركه الشر، ولأخذ الوقاية منه وكما قيل أيضاً:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقّيه

ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

وبعض الناس اليوم لجهلهم بما يناقض التوحيد ويخالفه، ربما يقعون في هذه المخالفات التي فيها الضرر على دينهم ودنياهم وآخرهم من حيث لا يدرون ولا يشعرون.

وقـــد يخـــرجون عـــن الملة بهذه المخالفات، ولا ينفعهم بعد ذلك تلفظهم بكلمة التوحيد لأنهم أتوا بما يناقضها و لم يستوفوا شروطها.

ولأهمـــية معرفة **نواقض كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)**، فسأذكرها باختصـــار، وهي عشرة كما ذكر بعض أهل العلم[1] ليتجنبها المسلمون وليحذروا منها إخوانهم.

فأول هذه النواقض: الشرك بالله تبارك وتعالى.

وهو الذنب الذي من يلقى الله به حرم الله عليه الجنة وأدخله النار، وهـــو الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾[3].

ويدخـــل فيه كل ما صرف لغير الله، أو أريد به غير وجه الله من العبادات.

"فإذا قال: (لا إله إلا الله) وهو يحارب الله بالشرك وعبادةِ غيره فإنه ما حقق هذه الكلمة، فقد قالها المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن

---

(١) انظر هذه النواقض في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الشيخ ابن باز (١/١٣٠) (ط٢/١٤١٦هـــ تحت إشراف رئاسة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/٢٣٢).

(٢) سورة المائدة الآية: ٧٢.

(٣) سورة النساء الآية: ٤٨.

سلول، وهم مع ذلك في الدرك الأسفل من النار كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[١].

لماذا؟! لأنهم قالوها باللسان، وكفروا بها في قلوبهم، ولم يعتقدوها ولم يعملوا بمقتضاها فلا ينفعهم قولها بمجرد اللسان. وهكذا من قالها من اليهود والنصارى وعبّاد الأوثان كلهم على هذا الطريق، لا تنفعهم حتى يؤمنوا بمعناها وحتى يخصوا الله بالعبادة، وحتى ينقادوا لشرعه"[٢].

وقد جاء في أحاديث الأذكار ما ينفر المسلم عن الشرك والمشركين، ويغرس في قلبه عقيدة التوحيد ونبذ الشريك ونفيه عن الله تبارك وتعالى، وسيأتي التنبيه عليها لاحقاً بإذن الله تعالى.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا

---

(١) سورة النساء الآية: ١٤٥.

(٢) بيان معنى لا إله إلا الله ص٢٤ للشيخ ابن باز رحمه الله وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٨.

(٣) سورة يونس الآية: ١٨.

لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾(١).

الثالث: من لم يكفّر الكفار والمشركين ممن لا خلاف في كفرهم، أوشكَّ في كفرهم، أو صححّ مذهبهم فقد كفر.

الـــرابع: مـــن اعـــتقد أن هناك هدياً أو حكماً أحسن و أفضل وأكمل من هدي محمد ﷺ وحكمه فهو كافر، كالذين يقولون بأفضلية الأحكـــام الوضعية وأنها صالحة لهذا الزمن، وأما أحكام الإسلام وشرائعه فهي قديمة لا تصلح لزماننا، هذا زمان التطور والرقي –بزعمهم–، فهؤلاء كفار خارجون عن ملة الإسلام.

الخامس: مَن أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(٢).

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾(٣).

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣.

(٢) سورة محمد الآية: ٩.

(٣) سورة التوبة الآيتان: ٦٥-٦٦.

السابع: السحر، فمن فعله أو رضي به فقد كفر، وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾(١).

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة الرسول محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾(٣).

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(٤).

"وقد نص أهل العلم على أنه لا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره"(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

(٢) سورة المائدة الآية: ٥١.

(٣) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

(٤) سورة السجدة الآية: ٢٢.

(٥) فقه الأدعية والأذكار ص١٩٥، وانظر الدرر السنية (٨/٨٩-٩٠).

قال الشيخ ابن باز رحمه الله:

"فكـــل من أتى بناقض من نواقض الإسلام أبطل هذه الكلمة؛ لأن هـــذه الكلمة إنما تنفع أهلها إذا عملوا بها واستقاموا عليها، وأفردوا الله بالعبادة وخصوه بها، وتركوا عبادة ما سواه واستقاموا على ما دلت عليه من المعنى فأطاعوا أوامر الله وتركوا نواهي الله، ولم يأتوا بناقض ينقضها، وبذلك يستحقون كرامة الله، والفوز بالسعادة والنجاة من النار.

أمـــا من نقضها بقول أو عمل فإنها لا تنفعه ولو قالها ألف مرة في الساعة الواحدة، فلو قال: لا إله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله وصلى وصام وزكّى وحج ولكنه يقول: إن مسيلمة الكذاب الذي خرج في عهد رسول الله ﷺ ثم في عهد الصحابة يدعي أنه رسول الله لو قال إنه صادق، كفر ولم ينفعه شيء... وهكذا لو قالها وهو يعبد البدوي أو يعبد الحسين أو يعبد ابن علوان أو العيدروس أو يعبد النبي محمداً ﷺ أو يعبد ابنَ عباسٍ رضـــي الله عـــنهأو يعبد الشيخَ عبدَ القادر الجيلاني أو غيرهم، يدعوهم ويســـتغيث بهـــم، وينذر لهم، ويطلب منهم المدد والعون لم تنفعه هذه الكـــلمة وهـــي (لا إله إلا الله)، وصار بذلك كافراً ضالاً، وناقضاً لهذه الكلمة، مبطلاً لها"[1].

---

(١) بيان معنى لا إله إلا الله للشيخ ابن باز رحمه الله ص٣١-٣٢.

فهــذه هــي نواقض كلمة التوحيد على المسلم الإحاطة بها حتى يجتنبها، فيميّز بين سبيل المؤمنين وبين سبيل المجرمين قال سبحانه و تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾[(١)].

وخلاصة القول: أن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) هي كلمة عظيمة الشأن ينبغي لجميع المسلمين الاهتمام بها ومعرفتها وفهم ما تدل عليه من معــانٍ ودلالات، والإتيان بشروطها والبعد عن كل ما ينافيها ويناقضها، وبالــتالي بإذن الله يتحقق ما وعد الله به ووعد به رسولُه ﷺ من الثواب الجزيل والأجر العظيم لمن قال هذه الكلمة والله أعلم.



(١) سورة الأنعام الآية: ٥٥.

المطلب الثالث:

بيان ما اشتملت عليه الأذكار من أنواع العبادات

معنى العبادة:

مدار العبادة في اللغة[١] والشرع على التذلل والخضوع والانقياد.

قال ابن كثير رحمه الله: "والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وبعير معبد أي: مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٢٠٦) ولسان العرب (٣/٢٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٦)، وانظر: تفسير الطبري (١/١٦٠)، وتفسير القرطبي (١/٢٢٥).

الديـــن لـــه والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] وبها أرسل جميع الرسل..."[2].

والعـــبادة لابد لها أن تقوم على ساق المحبة للمعبود سبحانه وتعالى وعلى التذلل له والانقياد والخضوع حتى تسمى عبادة:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظـــم ولا يذل له لا يكون معبوداً، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا"[3].

وخضـــوع العـــبد وتذلُلـــه بين يدي ربه وعبوديته هو من أشرف المقامات، وتسميه بأنه عبد لله هو أشرف الأسماء وأحبها لله تعالى وأحسن الأوصاف وأجملها أن يتصف المرء بالعبودية، ومما يدل على أن الاتصاف

---

(١) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩-١٥٠).

(٣) التحفة العراقية ص٦٣ (ط٢/١٣٩٩هـ المطبعة السلفية القاهرة)، وانظر مجموع الفتاوى (٦/٢٠).

بالعبودية مما يحبه الله تبارك وتعالى أنه وصف سبحانه خير خلقه محمداً ﷺ بهذا الوصف فقال: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾[1] ، وقـــال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾[2]، ووصف أولياءه بقوله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[3].

فهؤلاء هم العبيد لربهم طاعة وانقياداً، وأضافهم إليه سبحانه إضافة تشـــريف وتكريم وهناك من الناس ممن هو عبد قهراً، وهم عبيد الربوبية الداخلـــين في قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[4].

فجمـــيع الخلـــق مملوكـــون لله تعالى، وهم لا يملكون شيئاً، وهو متصرف بهم كيف يشاء.

وجـــاءت أحاديـــث الأذكار لتؤصّل في نفس الذاكر أنه عبدٌ لله، عـــبودية الطاعة والانقياد فالله هو الملك الغني المتصرف المدبر ونحن العبيد الفقراء الضعفاء لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً، ومن الأحاديث الدالة على

---

(١) سورة الإسراء الآية:١.

(٢) سورة الكهف الآية: ١.

(٣)سورة الفرقان الآية: ٦٣.

(٤) سورة مريم الآية: ٩٣.

ذلك حديث (سيد الاستغفار) وفيه قوله ﷺ :

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال:

«ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال:اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً» قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣١.

(٢) سبق تخريجه ٤٢١.

(٣) سبق تخريجه ص٤٥٣.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وفي التحقــيق بمعنى قوله: (إني عبدك) التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابــة وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه واللجأ إليه والاســتعانة به والتوكل عليه وعياذ العبد به ولياذه به، وأن لا يتعلق قلبه بغــيره محــبة وخوفاً ورجاء، وفيه أيضاً أني عبد من جميع الوجوه صغيراً وكبيراً حياً وميتاً ومطيعاً وعاصياً معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجــوارح، وفــيه أيضا أن مالي ونفسي ملك لك فإن العبد وما يملك لســيده، وفيه أيضاً أنك أنت الذي مننت علي بكل ما أنا فيه من نعمة فذلــك كلــه من إنعامك على عبدك، وفيه أيضاً: أني لا أتصرف فيما خولــتني مــن مالي ونفسي إلا بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده، وأني لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن صح له شهود ذلك فقد قال إني عبدك حقيقة"[١].

وبعــد أن عرفنا حقيقة العبودية لله وكيف يكون العبد عبداً على حقيقته، ودور الذكر في ترسيخ ذلك، فلنرجع الآن إلى العبادة، التي لا بد للعبد أن يقوم بها على وجهها لربه، ولنتعرف على بعض أنواعها، فالعبادة كما عرفنا من التعاريف السابقة لا تنحصر في أركان الإسلام فحسب بل يندرج تحتها أنواع كثيرة من الأعمال القلبية وأعمال اللسان والجوارح.

---

(١) الفوائد ص٢٢-٢٣.

وسـنقف على بعض العبادات التي دلت عليها أحاديث الأذكار، فقـد دلّـت ألفاظ الأذكار على عبادات جليلة عظيمة القدر لها المكانة الرفيعة في الدين والمترلة العالية، ومن تلك العبادات:

أولاً: الإخلاص.

وهو لغة: مداره على الصفا والتميّز عن الشوائب التي تخالط الشيء يقال: هذا الشيء خالص لك أي لا يشاركك فيه غيرك[(١)].

واصطلاحاً:

تعددت أقوال العلماء في تعريفه، وكلها تدور حول تجريد نية العبد في عبادته عن كل أحد سوى المولى سبحانه وتعالى، فتكون له وحده جل وعلا، وموافقة الظاهر للباطن.

قال ابن رجب رحمه الله:

"مقـام الإخلاص: وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى؛ لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته ومعناه"[(٢)].

---

(١) انظر لسان العرب (٧/٢٦-٢٩) مادة (خلص).

(٢) جامع العلوم والحكم ص٣٧.

ملاحظة المخلوقين، وقيل: التوقي من ملاحظة الخلق حتى عن نفسك... وقـــيل: الإخـــلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه والصدق في الإخلاص أن يكون باطنه أعمر مـــن ظاهره، وقيل: الإخلاص:نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ومن كلام الفضيل رحمه الله: تـــرك العمـــل مـــن أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما"(١).

وهذا الإخلاص هو في حياة العبد كالماء للسمك وكالروح للجسد فإذا فارق الإخلاصُ القلبَ مات القلب وانتكس ورجع القهقرى.

والإخلاص هو الذي أمر الله به الناس من قبل ومن بعد، وجاهدت الرسل من أجل تحقيقه بين الناس، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾(٢).

وحـــثّ ســـبحانه وتعالى على الإخلاص في أكثر من آية مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾(٣).

"فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه متابعة رسوله وسنته"(٤).

---

(١) مدارج السالكين (٢/٩١-٩٢).

(٢) سورة البينة الآية:٥.

(٣) سورة النساء الآية: ١٢٥.

(٤) مدارج السالكين (٢/٩٠).

فلا أحد أحسن وأفضل ممن استسلم لله وانقاد له وأسلم وجهه لربه ولا يتحقق إسلام الوجه لله إلا بإخلاص القصد والعمل لله تعالى.

قال ابن كثير رحمه الله:"قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً، ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ أي: اتّبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعا للشريعة، فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فَقَدَ العملُ أحدَ هذين الشرطين فسد، فمتى فقَدَ الإخلاص كان منافقاً، وهم الذين يراؤون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما كان على عمل المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم.."[(1)].

وقد أمر سبحانه وتعالى سيدَ الناس محمداً ﷺ أن يخلص عبادته لله وحده لا شريك له في أكثر من آية فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾[(2)]، **وقال تعالى:** ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[(3)].

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٦٠)، وانظر أيضاً (٢/٢٠٩) منه.

(٢) سورة الزمر الآية: ١١.

(٣) سورةالزمر الآيتان: ٢-٣.

"أي: أخلص لله تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة، والشرائع الباطنة: الإسلام والإيمان، والإحسان بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد"(١).

وابتلى سبحانه عباده به واختبرهم فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾(٢).

فحسن العمل أن يكون خالصاً صواباً موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ.

فـــالإخلاص هـــو أحد ركني العمل"فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين أن يكون: صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك"(٣).

إضـــافة لذلـــك فقد تواترت الأحاديث الكثيرة في فضل الإخلاص وأهميته والتحذير مما يضاده من الشرك والرياء.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٥.

(٢) سورة تبارك الآية: ٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٠٩).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في الله وفي نسخة ، باب تحريم الرياء (٤/٢٢٨٩) ح٢٩٨٥.

وعـــن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الـــرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ قال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي الله العليا فهو في سبيل الله»**(١).

وعـــن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقـــال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: **«لا شـــيء له»** فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله ﷺ: **«لا شـــيء له»، ثم قال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابـــتغي بـــه وجهه»**(٢) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجوب إخلاص العمل لله وحده لا شريك له.

وقـــد جاءت أحاديث الأذكار مؤكدة لأهمية الإخلاص ومرسخة جـــذوره وأصوله في قلب المسلم، وذلك بكثرة تكرارها يومياً في الصلاة وغيرها من سائر الأوقات والعبادات.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (٢٧١٤/٦) ح٧٠٢٠، وأخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (١٥١٢/٣) ح١٩٠٤.

(٢) أخـــرجه النســـائي: كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (٢٥/٦) ح٣١٤٠، وجوّد إسناده ابن حجر في الفتح (٢٨/٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيـــب والترهيـــب (٧٨/١)، والسلسة الصحيحة برقم ٥٢، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (٥٨٤/٣): وسنده حسن.

فمن ذلك قول المصلي في استفتاحه للصلاة: **«وجهت وجهي للذي فطر السـموات والأرض حنـيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين»**[(١)].

فقوله: **«وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض»** فيه توجيه الوجه لله ومعناه توجيه قصده وإرادته وعبادته وجعلها خالصة لله رب العالمين[(٢)].

"وهذا التوجه يتضمن محبته دون غيره، وعبادته وطاعته دون غيره، فهذه هي الحقيقة حقاً، وما سواها باطل"[(٣)].

وقوله: **«حنيفًا»** أي: مائلاً عن الشرك بجميع صوره إلى التوحيد والإخلاص لله تعالى في جميع أعماله الظاهرة والباطنة.

واللام في قوله: **«لله رب العالمين» هي** كما قال العلماء هذه لام الإضافة، ولها معنيان الملك والاختصاص وكلاهما مراد"[(٤)]، فالله سبحانه مختص بهذه العبادات المذكورة في حديث الاستفتاح فلا يجوز صرفها إلا

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٥٧/٦)، ومجموع الفتاوى (٤٣٢/٢).

(٣) طريق الهجرتين (٥١٢/١).

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٨/٦).

إليه سبحانه خالصة له دون سواه.

وفي الفتوحات الربانية في شرح هذا الحديث قال ابن علان رحمه الله: "(للذي فطر السموات والأرض) أي: أوجدهما وأبدعهما على غير مثال سابق، ومن أوجد مثل هذه المبدعات التي هي غاية الإبداع والإتقان حقيق بأن تتوجه إليه الوجوه، وأن تعول القلوب في سائر أحوالها عليه، فلا يلتفت لغيره ولا يرجو إلا دوام رضاه وخيره.

ثم قال: قوله: (حنيفاً) حال من فاعل (وجهت) قال الأزهري وآخرون: أي مستقيماً. وقال الزجاج والأكثرون: الحنيف المائل، منه أحنف الرجل مائلا عن كل وجهة، وقصد إلى الحضور والإخلاص في عبادة فاطر السموات والأرض..

قوله: (مسلماً) معناه منقاداً أو مخلصاً كما في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾[1]، ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾[2]...

قوله: (وما أنا من المشركين) حال مقررة لمضمون الجملة السابقة وقيل: مبينة لمعنى حنيفاً وموضحة لمعناه أو مؤسسة بجعل النفي عائداً إلى سائر أنواع الشرك الظاهر والخفي، قوله: (إن صلاتي ونسكي ومحياي

---

(١) سورة البقرة الآية: ١١٢.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣١.

ومـــاتي لله رب العالمين) متعلق بالجميع أي: كل ما ذكر كائن لله تعالى وذلـــك في الصلاة والنسك بالإخلاص لوجهه تعالى، وفي الحياة والموت بمعنى أنه خالقهما ومدبرهما لا تصرف لغيره فيهما"[١].

قلـــت: وهـــذا الحديث فيه التنبيه على أهمية الإخلاص، إذ إن في تكـــراره بصيغ شتى ما يدل على أهمية الإخلاص ومكانته، ففيه الإطناب والتـــنويع والإشارة وتأكيد الإخلاص في العمل لله دون أحد سواه، فبدأ بـــإخلاص الوجهة والقصد لله، ثم أكدّ ذلك بالاعتراف بالاستقامة وعدم الاعوجـــاج عـــن طريق الحق، ثم بالاستسلام والانقياد لله وحده، ونفي الشرك، والتبرؤ من المشركين وما يعبدونه من دون الله، ثم تأكيد إخلاص العمـــل لله، ثم جاء بحرف التأكيد (إن) لتأكيد أن الصلاة والذبح وسائر العمـــل خـــالص لوجه الله تعالى، وأن من بيده الموت والحياة والتصرف والـــتدبير ينبغي أن تصرف له العبادة وحده لا شريك له، ثم جاء التأكيد بالإخلاص بنفي الشريك عن الله في كل ما ذكر، ثم بعد أن ذكر تبرأه من المشركين ذكر انتسابه وانضمامه إلى فريق المسلمين، وهم الموحدون لرب العـــالمين، ثم جـــاء التلذذ بالخطاب مع رب الأرباب بالاعتراف بملكوته وألوهيـــته ووحدانيـــته وربوبيته والاعتراف بالعبودية والذل والخضوع والإذعان لله رب العالمين، إلى غير ذلك من لطيف الإشارات والعبارات

(١) الفتوحات الربانية (١٦٥/٢).

في هذا الحديث العظيم التي تدل على الإخلاص والتوحيد بأنواعه، فينبغي للمسلم أن يتفطن لذلك ويفهم معاني ما يقول عند مناجاته لربه في استفتاحه لصلاته، ولعل من حكمة تشريع هذا الذكر في الصلاة حيث يستفتح به المسلم صلاته أن يخلص العمل وهو الصلاة لرب العالمين، وأن لا يستحضر في قلبه غير ربه، فيصلي مخلصاً لربه، بعيداً عن براثن الرياء والسمعة، ثم يسري ذلك الإخلاص إلى جميع أعماله من نسك وغيره من الطاعات والله أعلم.

وهذا الاستفتاح شبيه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

حيث "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ يقول: وذبحي. و﴿وَمَحْيَايَ﴾ يقول: وحياتي، ﴿وَمَمَاتِي﴾ يقول: ووفاتي.﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ يعني: أن ذلك كله له خالصاً دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في شيء من ذلك من خلقه ولا لشيء منهم فيه نصيب؛

(١)سورة الأنعام الآيات ١٦١-١٦٣.

لأنــه لا ينــبغي أن يكون ذلك إلا له خالصا، ﴿ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾ يقول: وبذلــك أمــرني ربي، ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ يقول: وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك"[١].

ومــن **الأذكار الدالة على إخلاص** القصد لله تعالى ما ورد في ما يقال عند النوم عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شــقك الأيمــن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إلــيك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به». قــال: فــرددها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «لا، ونبيك الذي أرسلت»[٢].

فعلّــم رســول الله ﷺ صاحبه البراء رضي الله عنهما هو من الفطــرة، مما يجعله متعلقاً بربه متصلاً به دون أي أحد سواه، مقبلاً عليه بوجهه مخلصاً ذليلاً خاضعاً لربه.

---

(١) تفسير الطبري (٨/١١١-١١٢).

(٢) سبق تخريجه ص٥٤٠.

قـــال ابن القيم رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: "وتوجيه وجهه إليه يتضمن إقباله بالكلية على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾[1]، وذكـــر الوجـــه إذ هـــو أشرف ما في الإنسان ومجمع الحواس، وأيضا ففيه معنى التوجه والقصد من قوله:

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل"[2].

وقـــال الطـــيي رحمه الله بعد أن ذكر أن لهذا الحديث عجائب لا يعرفها إلا المتقن: إن في قوله: (وجهت وجهي) إشارة إلى أن ذاته مخلصة له بريئة من النفاق"[3].

ومما ورد من الذكر الذي يفيد إخلاص العبادة لله وحده لا شريك لـــه: قول المصلي في سجوده: **«اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه فصوره، وأحسن صوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»**.

وفي الركوع يقول: **«اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك**

---

(١) سورة آل عمران الآية: ٢٠.

(٢) زاد المعاد (٤/٢٤٤).

(٣) انظر فتح الباري (١١/١١١).

أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي...»[١].

وفي ذلــك إخــلاص السجود والركوع لله وحده لا شريك له، فيترسخ في قلب المصلي تعظيم الله وحده، فلا يسجد لصنم ولا لوثن ولا لقــبر ولا لصليب ولا لشجر ولا لحجر ولا لكوكب ولا ينحني تعظيماً وخضــوعاً لأحد إلا الله، لا لشيخ ولا لقبر نبي ولا ولي ولا لرئيس ولا ملِــك ولا أي مخلــوق مهما كانت مترلته، ومن غرائب مشايخ الضلال والهــوى أنهم يأمرون مريديهم تلامذهم بالانحناء لهم عند مصافحتهم بل وأحــيانا يصــل الأمر إلى السجود لهم معللين ذلك بأشياء معلولة، كأن يقولون: إن هذا ليس سجوداً، وإنما هو وضع رأس المريد بين يدي شيخه حــتى يــباركه، يســمونها بغير اسمها، أو يقولون: هذا يُعلِّم المريد على التواضع وعدم التكبر إلى غير ذلك من المنكرات، ولا شك أن هذا منكر عظيم؛ إذ إنهم نصبوا أنفسهم آلهة تعبد من دون الله والعياذ بالله.

وفي الحديــث أيضــاً الاستسلام والانقياد لله وحده لا شريك له ولأوامره والرضا بما يفعل وبما يريد، ولا يكون منقاداً لهواه أو لشيطانه أو لشيخه أو لأي كائن ما كان.

وأيضاً فيه الخشوع لله رب العالمين فتخشع الجوارح كلها له وحده سبحانه وتعالى وتنقاد له وتذل لعظمته، فهو وحده أحق بذلك كله دون

---

(١) سبق تخريجه ص٣٣٤.

أحـــد ســـواه؛ لأنه ذو الطول والإنعام والفضل والإحسان وذو الجلال والإكـــرام وهو سبحانه عظيم الشأن، وما سواه لايملك لنفسه حياة ولا موتاً ولا نشورا ولا يملك نفعا ولا ضرا.

والــــلام في قوله: (لك سجدت) و(لك ركعت) و(خشع لك) هي كاللام في قوله:(لله رب العالمين) تفيد الملك والاستحقاق والاختصاص.

وكذلك قول الذاكر بعد صلاته: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك لهـ،ـــله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بـــالله لا إلـــه إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة، وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولوكره الكافرون**»[1] يفيد ما ذكرنا من الإخلاص.

ففي هذا الحديث العظيم إشارة إلى إخلاص العبادة لله وحده وذلك في قوله: (لا نعبد إلا إياه)، وقوله: (مخلصين له الدين)، فلا يقصد بالعبادة إلا هـــو سبحانه وحده لا شريك له، والدين هنا جميع الشرائع والأعمال الظاهرة والباطنة ويشتمل على الإسلام والإيمان والإحسان، فتكون كلها مُخْلَصة لله جل جلاله.

ومـــن ذلـــك أيضاً تلبية الحاج والمعتمر، ففي تلبيته إخلاص لرب العـــالمين، وهو ضدّ ما كان العرب يفعلونه في الجاهلية في إشراك غير الله

---

(١) سبق تخريجه ص٦٢٦.

مـــن الأصنام والمعبودات في تلبيتهم، فيلبي المسلم ذاكراً ربه رافعاً صوته بكـــلمة الإخلاص والتوحيد: (**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبـــيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**). وهذا ما أكده الصـــحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهحيث قال واصفاً حجة النبي ﷺ: فأهلَّ رسولُ لله ﷺ بالتوحيد لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لـــك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. وهذا يدل على دقة فهم الصحابة ﷺ، إذ فسر هذا الصحابي التلبية بالتوحيد. وقد قال ابن القيم رحمه الله عند كلامه على التلبية:

"إنها تتضمن الإخلاص، ولهذا قيل: إنها من اللب وهو الخالص"[١].

وعند بدء الحاج في حجه يلبي ويقول: «**لبيك اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة**» فيعلن بذلك إخلاصه لله في حجه، ويخبر أن حجه هذا لله وحده لا من أجل رؤية الناس له، ولا تسميع الناس بأنه حاج، ومن الخطأ الذي يقع به بعض المسلمين -هداهم الله- أنهم يحجون من أجل السمعة ولـــيقال أنـــه حاج، ومن الغريب أنك إذا ناديت بعضهم باسمه أو كنيته يغضـــب، وذلك لأنك لم تقل له: يا حاج فلان، بل الأدهى والأَمَرُّ من ذلـــك من يقول لك: إني صرفت مبالغ كثيرة، وفي النهاية تناديني باسمي دون أن تقول لي يا حاج !!!.

---

(١) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (١٧٨/٥).

فعلى المسلم المخلص لربه أن يبتعد عن مثل هذه الأمور؛ لأنها تشوب الإخلاص، بل قد تفسده، فيفسد العمل بذلك، وأن يجعل جميع عمله خالصاً لوجه ربه لا رياء فيها ولا سمعة، وليكثر من الدعاء الذي كان يدعو به الصالحون: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً ولا تجعل فيه لأحد شيئاً".

وكذلك قول المصلي في صلاته عند تشهده: (**التحيات لله والصلوات والطيبات**) يدل على إخلاص ذلك لله وحده، فاللام في قول المتشهد: (لله) تفيد الملك والاختصاص والاستحقاق.

قال القرطبي رحمه الله: "قوله: (لله) تنبيه على الإخلاص في العبادات، أي: تلك لا تفعل إلا لله"[1].

وقال ابن القيم رحمه الله:

"إن الصلاة قد اشتملت على عبودية جميع الجوارح والأعضاء مع عبودية القلب، فلكل عضو منها نصيب من العبودية، فجميع أعضاء المصلي وجوارحه متحركة في الصلاة عبودية لله وذلاً وخضوعاً، فلما أكمل المصلي هذه العبودية وانتهت حركاته ختمت بالجلوس بين يدي الرب تعالى، جلوس تذلل وانكسار وخضوع لعظمته عز وجل، كما يجلس العبد الذليل بين يدي سيده، وكان جلوس الصلاة أخشع ما يكون

(١) الفتوحات الربانية (٢/٣١٨).

مـــن الجلوس وأعظمه خضوعاً وتذللاً، فأذن للعبد في هذه الحال بالثناء عـــلى الله تـــبارك وتعالى بأبلغ أنواع الثناء وهو (التحيات لله والصلوات والطيـــبات)، وعادتهم إذا دخلوا على ملوكهم أن يحيوهم بما يليق بهم، وتلـــك التحية تعظيم لهم وثناء عليهم، والله أحق بالتعظيم والثناء من كل أحـــد من خلقه، فجمع العبد في قوله: (التحيات والصلوات والطيبات) أنواع الثناء على الله، وأخبر أن ذلك له وصفاً وملكاً، وكذلك الصلوات كـــلها لله فهو الذي يُصَلى له وحده لا لغيره، وكذلك الطيبات كلها من الكلمات والأفعال كلها له، فكلماته طيبات، وأفعاله كذلك، وهو طيب لا يصعد إليه إلا طيب، والكلم الطيب إليه يصعد، فكانت الطيبات كلها لـــه ومـــنه وإليه له ملكاً ووصفاً، ومنه مجيؤها وابتداؤها، وإليه مصعدها ومنتهاها"[1].

وقال أيضاً رحمه الله:

"فالتحية هي تحية من العبد للحي الذي لا يموت، وهو سبحانه أولى بتلك التحيات من كل ما سواه، فإنها تتضمن الحياة والبقاء والدوام، ولا يســـتحق أحـــد هذه التحيات إلا الحي الباقي الذي لا يموت ولا يزول ملكه، وكذلـــك قوـــله: (والصلوات) فإنه لا يستحق أحد الصلاة إلا الله عز وجل، والصلاة لغيره من أعظم الكفر والشرك به، وكذلك قوله: (والطيبات) هي صفة الموصوف المحذوف، أي: الطيبات من الكلمات والأفعال والصفات والأسماء لله

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٤١٤-٤١٥).

وحـــده، فهو طيب وأفعاله طيبة، وصفاته أطيب شيء، وأسماؤه أطيب الأسماء، واسمه الطيب، ولا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيـــب، وإليه يصعد الكلم الطيب، وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له، ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه"[١].

وفي الذكـــر عـــند الفطر من الصيام ورد عنه ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت**»[٢].

قال ابن علان رحمه الله:

"قوله: (لك صمت) أي: لك دون غيرك صمت ففيه إعلام بوقوع الإخلاص؛ لأن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما ابتُغي به وجهه فحسب قوله: (وعلى رزقك أفطرت) أي على رزقك دون رزق غيرك إذ لا رازق في الحقيقة غيره ففيه الإعلان بما يقتضي الشكر الذي من جملته فطر العباد والإخلاص فيه لله تعالى"[٣].

وهكذا نرى أن الذكر دخل في جميع العبادات الأخرى، منبهاً ومؤكداً عـــلى لبها وروحها وشرطها الأعظم التي لا تقبل إلا به وهو (الإخلاص)، فـــإذا تنبه المسلم لما يتلفظ به في سائر عمله كان ذلك سبباً ناجحاً بإذن الله لتحقيق إخلاصه لربه في جميع عباداته. والله أعلم.

---

(١) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص٢١٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصوم، باب ما يقول عند الإفطار (٢/٣٠٦) ح ٢٣٥٨.

(٣) الفتوحات الربانية (٤/٣٤١).

ثانياً: التوكل.

الـــتوكل لغة: هو مصدر توكل يتوكل، ويتعدى بأحد حرفي الجر (اللام) و(على)، فإذا تعدى بالأول كان معناه: التولية، فيقال: وكلّته في الأمـــر فـــتوكل لي أي: وليته إياه فتولاه لي، وإذا تعدى بـــ (على) كان معناه الاعتماد فيقال: توكلت عليه في هذا الأمر أي اعتمدت عليه.

قـــال الراغـــب الأصبهاني رحمه الله: "التوكل على وجهين: يُقال: توكلـــت لفلان بمعنى توليت له، ويقال: وكلّته فتوكل لي وتوكلت عليه بمعنى اعتمدته، وواكل فلان: إذا ضيّع أمره متكلاً على غيره، ورجلٌ وُكَلة تُكَلة: إذا اعتمد على غيره في أمره"[(١)].

وقال ابن الأثير رحمه الله: "يقال: تَوَكلَ بالأَمْر إذا ضَمِنَ القيام به، وَوَكَّلت أمْري إلى فلان أي: ألْجَأته إليه واعْتَمدت فيه عَلَيه، وَوَكَّل فُلان فُلانـــاً إذا استَكفاه أَمْرَه ثقةً بِكفايَته أو عَجزاً عن القيام بأمر نفسه ومنه حديث الدُّعَاء لا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَة عَيْن فَأَهْلك"[(٢)].

وهو شرعاً:

عُرِّف بتعريفات عدة ترجع إلى شيئين:

---

(١) المفردات ص ٥٣١- ٥٣٢ باختصار.

(٢) النهاية (٥/ ٢٢٠).

١- اعتماد القلب على الله وحده وثقته به وبوعده.

٢- تفويض العبد أموره إلى الله عز وجل.

وقد عُرّف بأحدهما أو بهما جميعاً.

قال ابن رجب رحمه الله: "وحقيقة التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلةُ الأمور كلها إليه وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: "التوكل: عمل القلب وعبوديته اعتماداً، على الله وثقةً به والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضا بما يقضيه له، لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها"[٢].

فالتوكل إذاً هو: الثقة بالله سبحانه، وإسناد الأمور إليه، والاستعانة به على قضائها وإمضائها مع تعاطي أسبابها، واعتقاد أن السبب والمسبب هو واقع بتقدير الله وإرادته.

وهذه العبادة هي من أفضل العبادات وأعظمها وأنبلها، وأزكاها في نفوس المؤمنين،وهي من أوجب الواجبات، والتوكل: "أصل لجميع

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٤٣٦.

(٢) الروح ص ٢٥٤، وانظر مدارج السالكين (٢/١١٤) فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعريفات كثيرة لأهل العلم للتوكل.

مقامات الإيمان والإحسان ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها منزلة الجسـد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل"[1].

كمـا أن منزلة التوكل من بين العبادات من "أوسع المنازل وأجمعها ولا تـزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين وعمـوم الـتوكل ووقوعه من المؤمنين والكفار والأبرار والفجار والطير والوحـش والبهائم، فأهل السموات والأرض المكلفون وغيرهم في مقام الـتوكل، وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصـول ما عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته وجهاد أعدائه وفي محابـه وتنفيذ أوامره. ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه وحفـظ حاله مع الله فارغاً عن الناس، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه من رزق أو عافية أو نصر على عدو أو زوجة أو ولد ونحو ذلك ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول الإثم والفواحش.."[2]

كما أن "التوكل على الله نوعان:

أحدهما: توكلٌ عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية.

---

(١) طريق الهجرتين ص٣٨٩.

(٢) مدارج السالكين (١١٣/٢).

والثاني: التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة إليه، وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حقّ توكله كفاه النوع الأول تمام الكفاية، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضا لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه، فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل، فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم"[1].

وقد جاء الأمر بهذه العبادة في كتاب الله والثناء على أهلها ومجازاتهم من جنس عملهم بأن الله حسبهم وكافيهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾[3]، **وقال تعالى:** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾[4].

وسورة الفاتحة التي يرددها المسلم في صلاته يومياً مرات عديدة متضمنة على التوكل في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[5].

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ٨٦.

(٢) سورة الفرقان الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة الآية: ١١.

(٤) سورة الطلاق جزء من الآية: ٣.

(٥) سورة الفاتحة الآية: ٥.

فالدين كله قائم على هذين الأصلين اللذين دلت عليهما هذه الآية: عـــبادة الله، والاســـتعانة به وهي التوكل عليه والاعتماد عليه في تحقيق عبوديته وجميع الأمور(١).

وغير ذلك من الآيات الواردة في فضله والأمر به.

ولما كان موضوعنا في الحديث على دلالة الذكر على التوكل، فإن الذكر يغرس في قلب الذاكر صدق التوكل على الله في جلب نفع أو دفع ضرّ.

وذلـــك لأن كثيراً من الأذكار والتي يكررها المسلم يومياً وردت فيها عـــبارات مصرحة بالتوكل على الله عز وجل، فإذا قالها المسلم استشعر هذه العبادة العظيمة التي حرمها كثيرٌ من المسلمين في زماننا فتركوا التوكل على الله الـــذي هـــو خـــالق الأســـباب في معاشهم وأمورهم واعتمدوا على المادة والأسباب، فالذاكر اليقظان ملازم للتوكل سائر يومه في جميع عمله.

وأمـــا **أحاديث الأذكار** التي قلنا: إنها دلت على هذه العبادة الجليلة العظـــيمة، فعند التأمل نجد أن هناك أحاديث كثيرة في الأذكار تنص على التوكل منها:

١- مـــا ورد عـــن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول**

(١) انظر: رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في تحقيق التوكل ص٩١ (ضمن جامع الرسائل تحقيق محمد رشاد سالم، نشر في مصر)، و مدارج السالكين (٢/١١٣-١١٤).

ولا قوة إلا بالله قال: يقال حينئذ هديت وكفيت ووقيت، فيتنحى عنه الشـيطان، فـيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي»[١].

٢- وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ولج الـرجل في بيـته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخـرج بسـم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»**[٢].

٣- وعن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: **«بسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك من أن أضِل أو**

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول (٣٢٥/٤) ح٥٠٩٥، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٤٩٠/٥) ح٣٤٢٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته (١٢٧٨/٢) ح٣٨٨٤ بلفظ: **«إذا خرج الرجل من باب بيته أو من باب داره كان معه ملكان موكلان به، فإذا قال: بسم الله، قالا: هديت. وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. قالا: وقيت. وإذا قال: توكلت على الله. قالا: كفيت. قال: فيلقاه قريناه فيقولان: ماذا تريدان من رجل قد هدي وكفي ووقي»**، وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (٢٧٤/٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب ، باب ما جاء إذا دخل بيته ما يقول (٣٢٥/٤) ح ٥٠٩٦ وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على كتاب الأذكار ص ١٩.

أُضَل أو أزِلّ أو أُزَلّ، أو أظلِم أو أُظلَم أو أجهل أو يُجهَل علي»(١).

٤- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال لا ونبيك الذي أرسلت»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

"وتفويض الأمر إليه رده إلى الله سبحانه، وذلك يوجب سكون القلب وطمأنينته والرضى بما يقتضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه، والتفويض من أشرف مقامات العبودية ولا علة فيه وهو من مقامات الخاصة خلافاً لزاعمي خلاف ذلك، وإلجاء الظهر إليه سبحانه يتضمن قوة الاعتماد عليه والثقة به والسكون إليها والتوكل عليه، فإن من أسند

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٠٦/٦)، وقال النووي في الأذكار ص١٨: "حديث صحيح".

(٢) سبق تخريجه ص٥٤٠.

ظهــره إلى ركــن وثيق لم يخف السقوط، ولما كان للقلب قوتان: قوة الطلب وهي الرغبة، وقوة الهرب وهي الرهبة، وكان العبد طالباً لمصالحه هارباً مــن مضاره جمع الأمرين في هذا التفويض والتوجه فقال: (رغبة ورهبة إليك)، ثم أثنى على ربه بأنه لا ملجأ للعبد سواه ولا منجى له منه غيره فهو الذي يلجأ إليه العبد لينجيه من نفسه..."[١].

وقال ابن حجر رحمه الله:

"قوله: (أسلمت) أي: استسلمت وانقدت والمعنى جعلت نفسي منقادة لك تابعة لحكمك إذ لا قدرة لي على تدبيرها ولا على جلب ما ينفعها إليها ولا دفع ما يضرها عنها وقوله: (وفوضت أمري إليك) أي: توكلت عليك في أمري كله وقوله: (وألجأت) أي: اعتمدت في أموري عليك لتعينني على ما ينفعني لأن من استند إلى شيء تقوى به واستعان به وخصه بالظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه"[٢].

٥- وفي ذكر الاستفتاح للصلاة **«اللهم لك أسلمت وعليك توكلت...»[٣] الحديث.**

---

(١) زاد المعاد (٤/٢٤٤-٢٤٥).

(٢) فتح الباري (١١/١١٠-١١١).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

٦- وكذلك ما ورد من الذكر عند لقاء العدو وذوي السلطان:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) قالها إبراهـــيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الـــناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»[(١)].

٧- وكـــذا الاســـتخارة فيها من التوكل على الله وتفويض الأمور إلـــيه، لأنه عالم سبحانه بالغيب وبما سيكون، وعالم بما فيه صلاح العبد ومنفعته في دينه وآخرته، وقادر على دفع المصائب والبلايا سبحانه وتعالى فهو وحده الذي يعتمد عليه ويتعلق به.

قال ابن القيم رحمه الله: "والمقصود أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده وهي من لوازم الرضى به رباً الذي لا يذوق طعم الإيمان من لم يكن كذلك، وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة سعادته"[(٢)].

فـــتلك جملة من الأذكار التي فيها النص على هذه العبادة الجليلة، وهناك غير ما ذكرت، وهي تؤكد لنا مدى أهمية الذكر في تأصيل التوكل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير ، باب ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ الآية: (١٦٦٢/٤) ح ٤٢٨٧.

(٢) زاد المعاد (٤٤٥/٢).

في قلـــب الذاكر، فالذاكر لربه من حين خروجه من مترله لقضاء حاجاته -ســـواء كانت دنيوية أم دينية- متوكل على ربه معتمد عليه في تحقيقها وإنجازها وجلب منافعها ودفع مضارها ومفاسدها، ويبقى هذا التوكل في قلـــبه ملازماً له حتى آخر لحظة من يومه عند أخذه لمضجعه كما مر معنا في الأحاديث السابقة.

والتوكل مصدره ناشئٌ عن معرفة الله والعلم بأسمائه وصفاته والعلم بربوبيـــته وألوهيـــته وتفرده وصمديته، فإذا علم المسلم أن الله هو وحده الـــذي يحيي ويميت وبيده الخير كله وهو الخالق الرازق المعطي المانع بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويغـــني من يشاء ويفقر من يشاء، ويقرّب إليه من يشاء بفضله ويبعد عنه مـــن يشـــاء بعدلـــه، لزمه من هذه المعرفة أن يفوض أمره إلى الله وحده ويعـــتمد عليه ويتوكل عليه في أمره كله من جلب مصلحة دينية ودنيوية أورفع كرب ودفع ضر.

ونقيض هذا من يدعي كثرة الذكر فيترك الأسباب كلية ولا يأتي بهـــا، ويقـــول: أنا متوكل، والحق أنه متواكل، فيؤول حاله إلى التسول والـــبطالة، مع أنه في الحقيقة؛ أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، ومن الأدلة على ذلك قول الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾[1].

(١) سورة مريم الآية: ٢٥.

ولو شاء الله لأنزل لها الرطب من غير هزٍّ ولكن ليُعَلِّم الناسَ الأخذ بالأسباب، وقد أحسن من قال:

توكل على الرحمن في كل حاجة ولا تؤثرن العجز يوماً على الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم إليك فهزي الجذع يسّاقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيءٍ له سبب[1].

وكذلـــك أيـــوب علـــيه الصلاة والسلام لما اشتد بلاؤه ودعا ربه بكشـــفه أمـــره الله ســـبحانه بأن يفعل سبباً من الأسباب فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[2] فزال البلاء بإذن الله تعالى.

والرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب فكان يأكل لدفع الجوع ويلبس لباس الحرب للدفاع عن نفسه ويجهز معدات السفر من زاد وراحلة عند سفره، ويتدواى ويرقي نفسه إذا مرض.

كما أنه يجب العلم أن السبب لا ينفع ولا يؤثر إلا إذا أراد الله وأذن بذلك.

والخلاصة أن السبب لا يُعتمد عليه، وإهماله لا يجوز.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (١٤٢/١) (ط/دار الكتب العلمية بيروت).

(٢) سورة ص الآية: ٤٢.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمدًا على الله لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فَعَلها مع التوكل على الله كما يؤدي الفرائض وكما يجاهد العدو ويحمل السلاح ويلبس جُنة الحرب ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد و من ترك الأسباب المأمور بها فهو عاجز مفرط مذموم"[(١)].

ثالثاً الرضا:

الرضا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا قطب رحى الإسلام، وهذه المقامات الثلاث هي أركان التوحيد، وهذه الثلاث هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا بها وعليها، والرضا به سبحانه رباً يتضمن توحيده وعبادته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجاءه ومحبته والصبر له وبه، والشكر على نعمه يتضمن رؤية كل ما منه نعمة

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٢٨/٨-٥٢٩) وشرحه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (٤٩٩/٣) وما بعدها، وانظر أيضاً مجموع الفتاوى (٧٠/٨، ١٦٩،١٣٩، ١٧٥) و(٣٥/١٠و٢٥٧) و (١٧٩/١٨) ومنهاج السنة النبوية(٣٦٦/٥).

وإحســـاناً وإن ساء عبده، فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، والرضـــا بمحمد رسولاً يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله، والرضا بالإســـلام ديناً يتضمن التزام عبوديته وطاعته وطاعة رسوله فجمعت هذه الثلاثة الدين كله[1].

ودلالة الأذكار على الرضا واضحة جلية، فعن سعد بن أبي وقاص الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:«**من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه**»[2].

وعـــن العـــباس بـــن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقـــول:«**ذاق طعـــم الإيمـــان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً**» [3].

وعـــن رجل خدم النبي ﷺ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يقول حين يمسي وحين يصبح: رضيت بالله رباً**

(١) انظر مدارج السالكين (١٨٥/٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه (٢٩٠/١) ح٣٨٦.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر (٦٢/١) ح٣٤.

وبالإسـلام ديـناً وبمحمـد نبـياً إلا كـان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة»[١].

قـال النووي رحمه الله: "قال صاحب التحرير رحمه الله: معنى رضيت بالشـيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غـير الله تعالى ولم يَسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمـد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.

وقـال القاضي عياض رحمه الله: معنى الحديث صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه؛ لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطـة بشاشته قلبه لأن من رضي أمراً سهلت عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات الله تعالى ولذت له، والله أعلم"[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٣٧/٤) و(٣٦٧/٥)، وقال محقق المسند شعيب الأرناؤوط (٣٠٢/٣١) (ط/مؤسسة الرسالة):"حديث صحيح لغيره"، وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٣١٨/٤) ح ٥٠٧٢، والترمذي في سننه (عن ثوبان رضي الله عنه): كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٤٦٥/٥) ح ٣٣٨٩ وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجة في سننه: كتاب الدعاء ، باب ما يدعو الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (١٢٧٣/٢) ح٣٨٧٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦٩٩/١) وقال:"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وحسنه الشيخ ابن باز كما في تحفة الأخيار ص٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "وهذان الحديثان[١] عليهما مدار مقامات الدين وإلــيهما ينــتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته، والرضى برسوله والانقياد له، والرضا بدينه والتســليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعــة فهــو الصديق حقاً، وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى الــنفس ومرادها، من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقاً فهو على لسانه لا على حاله"[٢].

وقــال أيضاً رحمه الله مبيناً معنى الرضا بالله ورسوله ﷺ وبدينه الحنيف وحقيقــته وهو من أنفس الكلام وأحسنه الذي قرأته في تبيين هذه الكلمات وتوضيح حقيقتها: "**فالرضا بإلهيته** يتضمن الرضا بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه، فعلى الراضي بمحــبوبه كل الرضا، وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له، **والرضا بربوبيته** يتضمن الرضى بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به والاعتماد عليه وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضا بنبيه رسولاً فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه

---

(١) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص وحديث العباس رضي الله عنهما.

(٢) مدارج السالكين (٢/١٧٢).

بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، ولا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم. وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليماً، ولو كان مخالفاً لمراد نفسه أو هواها أو قول مقلده وشيخه وطائفته، وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم، فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد، فإنه والله عين العزة والصحبة مع الله ورسوله وروح الأنس به والرضا به رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، بل الصادق كلما وجد مس الاغتراب وذاق حلاوته وتنسم روحه قال: اللهم زدني اغترابا ووحشة من العالم وأنساً بك. وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب وهذا التفرد رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذل عين العز بهم، والجهل عين الوقوف مع آرائهم وزبالة أذهانهم، والانقطاع عين التقيد برسومهم وأوضاعهم، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدا من الخلق، ولم يبع حظه من الله بموافقتهم فيما لا

يجـــدي عليه إلا الحرمان، وغايته مودة بينهم في الحياة الدنيا فإذا انقطعت الأسباب وحقت الحقائق وبعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وبليت الســـرائر ولم يجـــد من دون مولاه الحق من قوة ولا ناصر تبين له حينئذ مواقـــع الربح والخسران وما الذي يخف أو يرجح به الميزان والله المستعان وعليه التكلان"[1].

قلـــت: ومـــن الرضا بالله المحاكمة إليه والرضا بأحكامه مع عدم التســـخط بهـــا، والخصومة بالله ولله دون أحد سواه، ويدل على ذلك حديـــث مـــن أحاديـــث الأذكار وهو قوله ﷺ في استفتاحه الطويل: **«وبك خاصمت وإليك حاكمت»**[2].

قـــال النووي رحمه الله: "(وبك خاصمت) أي: بما أعطيتني من البراهين والقوة خاصمت من عاند فيك وكفر بك وقمعته بالحجة وبالسيف، (وإليك حاكمت) أي: كل من جحد الحق حاكمته إليك وجعلتك الحاكم بيني وبينه لا غيرك مما كانت تحاكم إليه الجاهلية وغيرهم من صنم وكاهن ونار وشيطان وغيرها فلا أرضى إلا بحكمك ولا أعتمد غيره"[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: ولا يسخط شيئا من أحكامه ولا يخاصم

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٧٢-١٧٣).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٥٤-٥٦).

عباده إلا في حقوق ربه فتكون مخاصمته لله وبالله ومحاكمته إلى الله، كما كان النبي يقول في استفتاح صلاة الليل: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت**» فتكون مخاصمة هذا العبد لله لا لهواه وحظه ومحاكمته خصمه إلى أمر الله وشرعه لا إلى شيء سواه فمن خاصم لنفسه فهو ممن اتبع هواه وانتصر لنفسه، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط)، وهذا لتكميل عبوديته ومن حاكم خصمه إلى غير الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت وقد أمر أن يكفر به ولا يكفر العبد بالطاغوت حتى يجعل الحكم لله وحده كما هو كذلك في نفس الأمر"[1].

وفرقٌ بين من تحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ في كل قضاياه وجميع شؤونه وفي كل صغيرة وكبيرة في حياته، وبين من تحاكم إلى الطاغوت والأهواء والفلسفة والمنطق وقوانين أهل الزيغ والضلال، ونبذ وراء ظهره كتاب الله وسنة نبيه ومصطفاه ﷺ واعتقد فسادهما والعياذ بالله، فالأول هو المؤمن الحق وهو الراضي بربه وبنبيه وبدينه، والثاني هو الضال الكافر الكاره لربه ونبيه ودينه والعياذ بالله من ذلك.

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ

---

(١) طريق الهجرتين ص ٦٥-٦٦.

أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝﴾[1].

قال ابن القيم رحمه الله:

"ولا يستوي من خاصم بكتاب الله وحاكم إليه وعول فيما يثبته لله وينفيه عنه عليه، كمن خاصم كتاب الله وحاكم إلى منطق يونان وكلام أرسطو وابن سينا والجهم بن صفوان وشيعتهم، وعوّل فيما يثبته وينفيه على أقوالهم وآرائهم وكان النبي ﷺ يقول في استفتاح صلاة الليل: **«اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت»**، فالرسل إنما خاصموا قومهم بالوحي وإليه حاكموهم وبه كانت لهم عليهم الحجة البالغة، وكيف يعارض من يقول: قال لي ربي كذا وكذا، بقول من يقول: قال لي عقلي أو قلبي أو قال فلان، فهذا هو المخصوم، الداحضة حجته في الدنيا والآخرة، الذي لا يمكنه تنفيذ ضلاله وباطله إلا بالعقوبة والتهديد والوعيد أو بالرغبة العاجلة في الدنيا وزخرفها"[2].

فالتحاكم إلى شرع الله هو من الرضا بالله وبنبيه وبدينه.

---

(١) سورة النساء الآية: ٦٠-٦١.

(٢) الصواعق المرسلة (٤/١٣٨٧-١٣٨٨).

رابعاً: الإنابة.

وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على هذه العبادة الجليلة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما المرفوع في ما يقال عند القيام إلى صلاة الليل أو استفتاحها: «**اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن**... إلى قوله «**اللهم لك أسلمت و عليك توكلت وبك آمنت، وإليك أنبت**...»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت وبك أمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**» [٢].

فدل هذان الحديثان على أن المسلم يُنيب ويُقبل بجوارحه وقلبه على ربه دون أي أحد سواه، ويجعلها منقادة مذللة لربها.

والإنابة لغة: مأخوذة من مادة (ن و ب) وتدور هذه المادة حول الرجوع[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (٢٠٨٦/٤) ح ٢٧١٧.

(٣) انظر مدارج السالكين (٤٣/١ ٤).

قـــال ابن فارس رحمه الله: "النون والواو والباء، كلمة واحدة تدل على اعتياد مكانٍ ورجوع فيه"[١].

واصـــطلاحاً: قال ابن القيم رحمه الله:"الإنابة هي عكوف القلب على الله ﷻ كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف قلـــبه عـــلى التماثـــيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾[٢]"[٣].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "الإنابة الرجوع إلى الله تعالى بالقيام بطاعته، واجتناب معصيته، وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنهـــا أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه، ولا تكون إلا لله تعالى ودليلها قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ ﴾"[٤].

وهذه العبادة الجليلة "قد أمر الله تعالى بها في كتابه وأثنى على خليله

(١) معجم مقاييس اللغة (٣٦٧/٥).

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٥٢.

(٣) الفوائد ص ٢١٧ (ط١/١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية بيروت) وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥٢٧/٨).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥٧/٦).

بها فقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾(٢)، وأخبر أن آياته إنما يتبصر بها ويتذكر أهل الإنابة فقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ... تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٨﴾ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾(٤)"(٥).

والإنابة تنقسم إلى قسمين كما قال ابن القيم رحمه الله:

"الإنابة إنابتان: إنابة لربوبيته وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾(٦)، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشرك والكفر كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ ﴾(٧)، فهذا حالهم بعد إنابتهم.

---

(١) سورة الزمر الآية: ٥٤.

(٢) سورة هود الآية: ٧٥.

(٣) سورة ق الآية: ٦-٨.

(٤) سورة غافر الآية: ١٣.

(٥) مدارج السالكين (٤٣٣/١).

(٦) سورة الروم الآية: ٣٣.

(٧)سورة الروم الآيتان: ٣٣-٣٤.

والإنابـــة الثانـــية: إنابة أوليائه وهي إنابة لإلهيته إنابة عبودية ومحبة وهي تتضمن أربعة أمور محبته والخضوع له والإقبال عليه والإعراض عما سواه فلا يســـتحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربعة، وتفسير السلف لهذه اللفظة يدور على ذلك، وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم، والمنيب إلى الله المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه"[١].

خامساً: الرغبة والرهبة:

الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

والرهـــبة: الخـــوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.[٢].

ويدل عليهما ما ورد عنه ﷺ أنه قال معلماً البراء بن عازب رضي الله عنه عند أخذه لمضجعه عند النوم أن يقول:

«الـــلهم أســـلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت»[٣].

---

(١) مدارج السالكين (٤٣٤/١).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٥٥/٦) (ط١٤١٤/٢هـــدار الثريا الرياض).

(٣) سبق تخريجه ص ٥٤٠.

قـــال ابن حجر رحمه الله:"وقوله: (رغبة ورهبة إليك) أي رغبة في رفدك وثوابك (ورهبة) أي خوفا من غضبك ومن عقابك"(١).

فالعبد المؤمن يسير إلى ربه في سائر عمله راغباً راهباً، يرجو ما عند الله مما أعده لأوليائه من الثواب الجزيل والنعيم المقيم، ويخاف مما أعده الله لأعدائه من العذاب الأليم ودار الجحيم، وهذا هو حال الأنبياء ومن سار عـــلى نهجهم فقد أثنى الله على عبده زكريا عليه السلام وأهله بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾(٢).

وعامـــة المفسرين على أن هذا الوصف هو وصف الأنبياء كلهم الذين ذكروا قبل هذه الآية، و الرغب والرهب رجاء الرحمة والخوف من النار(٣).

وأمـــا ما يعتقده بعض الناس من أنهم يعبدون ربهم لا رغبة في جنته وثوابـــه، ولا رهباً من ناره وعقوبته، وإنما يعبدونه فقط حباً فيه(٤)، فهذا

---

(١) فتح الباري (١١/١١١).

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٩٠.

(٣) انظر مدارج السالكين (٢/٧٧)، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص ٤٧٩.

(٤) انظر: على سبيل المثال صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٣٢٤،٣٠٠) (ط٢/ ١٣٩٩هـ دار المعرفة بيروت، تحقيق الفاخوري والقلعة جي)، والإحياء للغزالي (٤/٢٨٧)، وفيض القدير للمناوي (٣/٥٤٤)، وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٠/٢٤٠،٦٩٩)، والاستقامة (٢/١٠٤ــ٢٠٥).

اعـــتقاد فاســـد ليس له دليل، وليس هو من عمل الأنبياء والمرسلين كما ســـبق، بل يعد من شطحات القائلين بهذا القول ورعوناتهم[١]، ومما يدل على فساد هذا القول أمور نلخصها فيما يلي:

١- حـــال النبيين والصديقين وأولياء الله المتقين يدل على خلاف ذلك، فقد أثنى الله عليهم أنهم يعبدونه رغباً ورهباً كما في الآية السابقة، وأثنى عليهم بسؤالهم إياه الجنة والاستعاذة به من النار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩﴾[٢]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾[٣]، وقوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ...إلى قوله: فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾[٥].

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢/٧٦).

(٢) سورة الزمر الآية: ٩.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٦٥.

(٤) سورة السجدة الآية: ١٦.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٩٠ -١٩١.

والرسول ﷺ كان يسأل ربه الجنة ويعوذ به من النار وأمر المؤمنين بـأن يسألوا ربهم بأن يرزقه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث مما أثر عنه ﷺ، فـ"القرآن والسنة مملوءان من الثناء على عباده وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها والاستعاذة من النار والخوف منها"(١).

٢- أن "العمل على طلب الجنة والنجاة من النار مقصود الشارع من أمته؛ ليكونا دائما على ذكر منهم فلا ينسوهما؛ ولأن الإيمان بهما شرط في النجاة، والعمل على حصول الجنة والنجاة من النار: هو محض الإيمان"(٢).

٣- أن النبي ﷺ قد حض أصحابه وأمته على العمل الصالح، ورغبهم فيه ووعدهم إن فعلوا ما أُمروا به بالجنة ووصف لهم نعيمها الدائم مما يشحذ الهمم على العمل، وحذرهم من العمل السيئ ورهبهم منه بالنار والعقاب ووصف لهم عذابها مما يجعل المرء يبتعد عن السيئات والمعاصي.

"فكيف يكون العمل لأجل الثواب وخوف العقاب معلولاً ورسول الله يحرّض عليه ويقول: من فعل كذا فتحت له أبواب الجنة الثمانية ومن

---

(١) مدارج السالكين (٧٨/٢).

(٢) المرجع السابق (٧٨/٢).

قـــال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة... والحديث مملوء من ذلك، أفَتَرَاه يحرّض المؤمنين على مطلب معلول ناقص ويدع المطلب العالي البريء من شوائب العلل لا يحرضهم عليه"[1].

٤- أن الله ســبحانه مـــا وصف لعباده الجنة ونعيمها وما فيها إلا ليرغـــبهم فيها ويعملوا للفوز بها، وما وصف لهم النار وما فيها من ألوان العذاب إلا ليرهبهم منها ويعملوا للنجاة منها.

٥- أنّ دعاء الله من العبادة، والله يحب أن يُدعى ويُسأل، ويدخل في الدعـــاء: ســؤاله الجنة والاستعاذة من النار، وهذا داخل تحت دعاء المسألة، والعمل من أجل الفوز بالجنة والنجاة من النار يدخل تحت دعاء العبادة.

٦- أنّ تذكـــر الجنة والنار وملاحظة ذلك ومراعاته يشحذ الهمم، ويقـــوي العـــزيمة وينشط العامل للعمل، وإن خلا الأمر من ذلك فترت العزائم وضعفت الهمم[2].

٧- أن الرسول ﷺ علم البراء رضي الله عنه هذا الذكر عند النوم وهو متضمنٌ للرغبة والرهبة، فلو كانت عبادة الله مقرونة بهاتين الخصلتين

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٧٩).

(٢) انظر مدارج السالكين (٢/٢٧٩).

ليست من العمل الذي يقرب إلى الله ومن العمل الفاضل الذي يحبه الله، لما ارشد رسول الله ﷺ إليه البراء رضي الله عنه، فالرسول ﷺ لم يدع خيراً يقربنا إلى الله إلا أرشدنا إليه، وهدانا إليه ورغّبنا فيه، ولم يدع شراً يباعدنا عن الله إلا حذرنا منه.

وبهذا يتضح لنا أن ما يزعمه بعض الناس من أنهم يعبدون الله لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من النار هو زعمٌ مخالف لهدي الأنبياء والأولياء والصالحين، ومخالف للمقصود وللحكمة التي وجدت من أجلها الجنة والنار.

بقي أن يُقال: أن العامل في طاعة الله هو في نفس الوقت يعمل لوجه الله وحباً له سبحانه وتعالى وتعظيماً له وإجلالاً له وخضوعاً وأنه سبحانه هو أهلٌ لأنْ يُعْبَد وهو يستحق العبادة لجلاله وكمال صفاته وكرمه وغناه، ومع ذلك يعمل رغباً وطمعاً في ما عند الله من الثواب، ورهبة وحذراً وخوفاً مما عند الله من العقاب، ولا منافاة بينهما ولا تعارض، وقد جمع الله ذلك في قوله مخاطباً نساء الرسول ﷺ ورضي الله عنهن: ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩ ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٩.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١٩.

سادساً: الاستعاذة

"معنى الاستعاذة في كلام العرب الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، يقال: عُذت بفلان واستعذت به أي لجأت إليه وهو عياذي أي ملجئي وأعذت غيري به وعوذته بمعنى، ويقال:عوذ بالله منك أي أعوذ بالله منك"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومعنى استعذ بالله امتنع به واعتصم به والجــأ إلــيه ومصدره العوذ والعياذ والمعاذ وغالب استعماله في المستعاذ به،ومــنه قوــله: لقــد عذت بمعاذ، وأصل اللفظة من اللجأ إلى الشيء والاقتراب منه"(٢).

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

"الاستعاذة: طلب الإعاذة، والإعاذة: الحماية من مكروه، فالمستعيذ مُحْتَمٍ بمن استعاذ به ومعتصم به"(٣).

والاستعاذة شرعاً: معناها الاعتصام بالله (٤) .

وقول القائل أعوذ بالله معناه أستجير بالله(٥)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٨٩).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٩١).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦/٥٩).

(٤) صحيح البخاري (٤/١٧٤٠).

(٥)الرد على البكري ص ٥٤٦ وانظر تيسير العزيز الحميد ص ١٧٤.

وقال ابن كثير رحمه الله:"والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجانبه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ لطلب جلب الخير... ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه"(١)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر"(٢)

وعند تأمل **أحاديث الأذكار** التي نصت على الاستعاذة نجدها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الاستعاذة بالله تعالى.

القسم الثاني: الاستعاذة بصفة من صفات الله ﷻ ككلامه وعزته

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٦).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦/٥٩).

ونحو ذلك.

أما القسم الأول فدليله:

ما يقوله المسلم عند بدء القراءة للقرآن: **«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»**، امتثالٌ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

وكذلك ما ورد عنه ﷺ أنه كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات»**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: **«قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك»**[3].

---

(١) سورة النحل الآية: ٩٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره (٢٠٧٩/٤) ح ٢٧٠٦.

(٣) سبق تخريجه ص٣٦٣.

وأما القسم الثاني: فدليله قول رسول الله ﷺ:

«مـــن نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»(١).

فـــ"هذا ما شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عمّا يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته"(٢).

فالاســـتعاذة المشـــروعة هي التي تكون بالله وأسمائه وصفاته، أما الاستعاذة الممنوعة فما يكون بغير الله وأسمائه وصفاته كالاستعاذة بالجن أو بالملائكة أو بأي مخلوق.

"وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق و هذا مما استدلوا به على أن كلام الله عز وجل غير مخلوق قالوا لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله و أمر بذلك كقوله ﷺ: **«أعوذ بكـــلمات الله الـــتامات كـــلها من شر ما خلق و أعوذ بكلمات الله الـــتامات كلها من غضبه و عذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين**

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٣٧

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٧٨.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ١٧٧.

وأن يحضـــرون ومـــن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن».

قـــالوا: والاســـتعاذة لا تجوز بالمخلوق، وقول القائل: (أعوذ بالله) معناه أستجير بالله فإذا لم يجز أن يستغاث بمخلوق لا نبي ولا غيره فإنه لا يجوز أن يقال: له أنت خير معاذ يستغاث به بطريق الأولى والأحرى"[١].

سابعاً: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.

وهي قول الذاكر سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله.

وقد تقدم في الباب الأول بيان لمعاني هذه الألفاظ، والأذكار بشكل عـــام هـــي ثناء على الله تعالى وهي إما تنزيهٌ لله سبحانه وتعالى عن كل نقـــص وسوء وعيب وهذا هو التسبيح، وإما ثناء عليه بأوصاف الكمال وأسمائـــه الحسنى وهذا هو الحمد، وإما تعظيمه وإجلاله واعتقاد كبريائه وأنه أكبر من كل شيء وهذا هو التكبير، وإما توحيده وإخلاص العمل له ونفي الشريك عنه والند والنظير والسمي وهذا هو التهليل.

فالأذكـــار دائرة على هذه الكلمات الأربع ولو ذهبنا نعد أحاديث الذكر الدالة على هذه العبادات الأربع لطال بنا المقام ولكن يكفينا هنا أن نشـــير إلى أمر مهم يستفيد منه كل مسلم وهو أن هذه العبادات الأربع دلـــت علـــيها أذكـــار الصلاة، فالصلاة أمرها عظيم وشأنها كبير حيث

---

(١) الرد على البكري (٢/٥٤٥-٥٤٦)، وانظر مجموع الفتاوى (١/٣٣٦).

احتوت على أمور عظام وفوائد جسام، من ذلك هذه العبادات الأربع فالصلاة مفتتحة بالتكبير والذي هو تحريمها وهو ركن من أركانها لا تصح إلا به، وهو مشتمل على تفاصيل الصلاة حيث إن الصلاة من أولها إلى آخرها بأفعالها وحركاتها وأقوالها شرعت من أجل تعظيم الله وإجلاله وإقامة ذكره وإخلاص الدين له وهذا ما تضمنه التكبير فهو تعظيم لله وإجلال له وإثبات الكمال له ونفي النقص عنه ثم يحمد المصلي ربه في فاتحة الكتاب ثم يسبح ربه في ركوعه وفي سجوده، ولسان حاله: يا رب أشرف ما عندي وهو وجهي ورأسي، جعلته في أسفل موضع ذلاً لك وانكساراً، وأنت يا رب متره عن الذل وعن السفل والدون، بل أنت العزيز العلي الأعلى ثم يثني المسلم على ربه في تشهده بأنه الإله الواحد لا إله إلا هو وأنه لا شريك له.

وبهذا كله يكون المسلم أدّى في عبادة واحدة وهي الصلاة عبادات عديدة فيها من الأجر ما الله به عليم.

وهنا نشير إلى بعض فضائل تلك الكلمات تنبيهاً لفضلهن وتحفيزاً للعمل فيهن وترغيباً بهن، وإشارة لما أسلفنا من أن الذكر مشتمل على هذه العبادات فمن فضائل هؤلاء الكلمات:

١- ما ورد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت»[١].

ففي هذا الحديث دلالة على أهن أحب الكلام إلى الله، والمحبوب إلى الله مـنه ما يتعلق بالقول كهذه الكلمات ومنه ما يتعلق بالفعل كسائر العبادات البدنية، ومنه ما يتعلق بالأشخاص كالأنبياء والمؤمنين، وبالأمكنة كمكة والمدينة، وبالأزمنة كالعشر من ذي الحجة وليلة القدر.

فكل محبوب إلى الله تعالى تجب على المسلم محبته وتعظيمه.

٢- ومن فضائل هذه الكلمات أهن أحب إلى رسول الله ﷺ مما طلعـت علـيه الشمس، كما ورد في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«لأن أقـول سـبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»**[٢]

"وينـبغي لكل مسلم أن تكون هذه الكلمات أحبُّ إليه مما طلعت علـيه الشـمس كما كانت إلى رسول الله ﷺ أحب إليه مما طلعت عليه الشمس، ومن لازم المحبة إكثار الذكر بها"[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الآداب ، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة (١٦٨٥/٣) ح٢١٣٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر ، باب فضل التهليل (٢٠٧٢/٤)ح٢٦٩٥

(٣) تحفة الذاكرين ص ٣٦٨.

٣- وقد ورد في فضلهن أهن يكفرنّ الذنوب فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمـــد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا كُفِّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»**[1].

٤- ومـــن فضائلهن أهن يعدلن في الفضل والأجر الشيء الكثير فسبحان الله مائة مرة تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل والحمد لله مائة مـــرة تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة يحمل عليها في سبيل الله، والله أكبر مائة مرة تعدل مائة ناقة متقبلة، ولا إله إلا الله تملأ ما بين السماء والأرض، وهذا الفضل العظيم ورد في حديث أم هانئ بنت أبي طالب رضـــي الله عنها حيث قالت: مرّ بي ذات يوم رسولُ الله ﷺ فقلت: يـــا رســـول الله إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة قال:

«ســـبّحي الله مائة تسبيحة فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولـــد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة تعدل لك مائة فرس مسرجة مـــلجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبّري الله مائة تكبيرة فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي الله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/١٥٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة ١٢٣ والترمذي وحسنه والحاكم في المستدرك (١/٥٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٣٦.

والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد عمل إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به»[١].

٥- ومن فضائلهن أن الواحدة منهن صدقة كما في حديث أهل الدثور.

فعـــن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كمـــا نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: «**أو ليس قد جعل الله لكم مـــا تصدقون ؟! إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صـــدقة وكـــل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة**». قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون لـــه فـــيها أجر؟! قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[٢].

ولهن فضائل جمة غير ما ذكرنا[٣]، وما ذكرنا كفاية، وفيه إشـــارة لما لم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٤/٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة برقم ٨٤٤، والحاكم في المستدرك (٥١٣/١) وقال: صحيح الإسناد، وقال المنذري في الترغيب والترهيب(٢٧٧/٢):"أخرجه أحمد بإسناد حسن"، وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/١٠) بعد أن ذكر من أخرجه:"وأسانيدهم حسنة"، وحسنه الألبـــاني في السلسلة الصحيحة (٣٠٣/٣).

(٢) أخرجه مسلم:كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف(٦٩٧/٢) ح١٠٠٦.

(٣) انظـــر للزيادة: تحفة الذاكرين ص٣٥٦ وما بعدها، وفقه الأدعية والأذكار ص١٥٦ وما بعدها.

يُذكر، وهذه الكلمات الأربع بينهن ارتباط حيث إهن إذا ذُكرن مجتمعات في أكثر من موضع فكل واحدة منهن تدل على أخواها إذا انفردت عنهن، وإذا اجتمعن دلت كل واحدة على معناها المعروف.

ثامناً: الذبح لله تعالى

هذه العبادة من أجل العبادات المالية التي يتقرب بها العبد لله تعالى، ولا بد أن تكون خالصة لله تعالى لا يُشْرَك فيها معه أحد، وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على هذه العبادة وعلى إخلاصها لله تعالى من ذلك قوله ﷺ في استفتاحه: «**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين**»(١)

فقوله: (ونسكي) أي وذبحي سواء كان هدياً أم أضحية أم عقيقة أم غير ذلك لله رب العالمين لا شريك له، قال تبارك وتعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾(٢).

كما أن ذكر اسم الله على النسك من الأمور المطلوبة شرعاً، ولا يجوز ذكر اسمٍ غير اسم الله على الذبيحة كائنٍ من كان لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا أي مخلوق ومن فعل ذلك فقد وقع في الشرك،

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٢) الكوثر الآية: ٣.

وقـــد ورد الأمـــر بذكر اسم الله على الذبائح في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾[٢]، ونهى سبحانه وتعالى عن الأكل مما لم يذكر عليه اسمه أو ذُكر عليه غير اسمه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٣]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[٤] أي: مـــا ذكـــر غـــير اسم الله عليه فيقولون باسم فلان فيذكرون اسم آلهتهم وطواغيتهم[٥]، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ : **«لعن الله من ذبح لغير الله»**[٦].

وكـــان مـــن هدي رسول الله ﷺ أنه إذا ذبح ذكر اسم الله على ذبيحـــته قائلاً: باسم الله والله أكبر[٧]، وأما ما يقوله فئام من المسلمين

---

(١) سورة الحج الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحج الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٢١.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٧٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢/٨٦) وتفسير القرطبي (٢/٢٢٣).

(٦) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله (٣/١٥٦٧) ح ١٩٧٨.

(٧) أخرجه البخاري: كتاب الأضاحي: ، باب من ذبح الأضاحي بيده (٥/٢١١٣) ح ٥٢٣٨ وفيه أنه ضحى بكبشين أملحين... يسمي ويكبر.

في زمانـــنا عـــند الذبـــح: لوجه الله وللصالحين أو هذه ذبيحة لوجه الله وللجيلاني أو للبدوي أو للولي والشيخ الفلاني ويذكرون أسماء مشايخهم ففـــيه وقوع في الشرك مع مخالفة لهدي الرسول ﷺ في تأديته لهذه العبادة الجليلة فليحذر المسلمون من الوقوع في مثل هذه الأمور.

وفي نهاية المطاف نخلص من هذا كله إلى أن الذكر له صلة وثيقة بتوحيد الله وعبادة العبد لربه إذ دلّ على ذلك مواضع كثيرة كما سبق بـــيانه، فالذاكر إذا تيّقظ لذكره وفهم ما يقول حقّق توحيد الألوهية بإذن الله. والله الموفق.



الفصل الثاني

في كون الذكر يرسخ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذكر على ترسيخ الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: دلالة الذكر على الإيمان بالكتب

المبحث الثالث: دلالة الذكر على الإيمان بالرسل وعلى بعض حقوق المصطفى ﷺ



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

دلالة الذكر على ترسيخ الإيمان بالملائكة.

إن ممـــا هو معلوم لدى جميع المؤمنين أن أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها ستة أركان ومن ضمنها الإيمان بالملائكة فلا يتم إيمان إلا بالإيمـــان بالملائكة فلو آمن أحد بخمسة أركان وترك الإيمان بالملائكة فإيمانـــه غير صحيح وقد دلت نصوص كثيرة على الإيمان بالملائكة فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[1].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[2].

وذم سبحانه وتعالى الكافرين الذين كفروا بأركان الإيمان بقوله: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[3].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله:

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٣) سورة النساء الآية: ١٣٦.

"وأما قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ،إن معناه ومن يكفر بمحمد ﷺ فيجحد نبوته فهو يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لأن جحود الشيء من ذلك بمعنى جحوده جميعه وذلك لأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق إلا بالإيمان بما أمره الله بالإيمان به، والكفر بشيء منه كفر بجميعه"[١].

وذكر رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام أركان الإيمان الستة فقال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[٢].

والإيمان بالملائكة جزء من الإيمان بالغيب، وقد مدح الله تبارك وتعالى عباده المتقين وأثنى عليهم لإيمانهم بالمغيبات التي أخبر عنها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[٣].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

"الذين يؤمنون بالغيب آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه وآمنوا بالحياة بعد الموت فهذا كله غيب، وأصل

---

(١) تفسير الطبري (٣٢٣٦/٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٣٧/١).

(٣) سورة البقرة الآيات١-٣.

الغيب كل ما غاب عنك من شيء وهو من قولك غاب فلان يغيب غيباً"(١).

والإيمان بالملائكة شعبة من شعب الإيمان ينتظم معاني عدة ذكرها العلماء رحمهم الله تعالى، قال البيهقي رحمه الله:

"الثالـــثُ من شعب الإيمان وهو باب في الإيمان بالملائكة،والإيمان بالملائكة ينتظم معاني:

أحدها: التصديق بوجودهم.

والآخر: إنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدرهم الله تعالى عليه والموت جائز عليهم ولكن الله تعالى جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصـــفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى جده ولا يدعون آلهة كما ادعتهم الأوائل.

والثالث: الاعتراف بأن منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرســـل بعضهم إلى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة لأعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره"(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري (١/١٠١-١٠٢).

(٢) شعب الإيمان (١/١٦٣) (ط١/١٤١٠هـــ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول) وانظر المنهاج للحليمي (١/٣٠٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: "الإيمان بالملائكة: هو التصديق بوجودهم وأهم كما وصفهم الله تعالى عباد مكرمون وقدم الملائكة على الكتب والرسل نظراً للترتيب الواقع لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول"(١).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: "هو الإقرار الجازم بوجودهم وأهم خلق من خلق الله مربوبون مسخرون. و﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾(٢) ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾(٣)،﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝ ﴾(٤)، **ولا يسئمون ولا يستحسرون**"(٥).

"ومن الإيمان بالملائكة: الإيمان بأهم قد جمعوا خصال الكمال ونزّههم الله في أصل خلقتهم من جميع المخالفات، فهم عباد مكرمون عند ربهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفتُرُون، وقد جعل الله كثيراً منهم وظائفهم التدبير لحوادث

---

(١) فتح الباري (١/١١٧).

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٦-٢٧.

(٣) سورة التحريم الآية: ٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٩-٢٠.

(٥) أعلام السنة المنشورة ص٤١-٤٢ (طبعة وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف ١٤٢٠هـ).

العالم، وأقسم بهم في عدة آيات، فهم المدبرات أمراً والمقسِّمات والملقيات للأنبـــياء والرسل ذكراً عذراً أونذراً، وهم الحفظة على بني آدم يحفظونهم بأمر الله من المكاره، ويحفظون عليهم أعمالهم خيرها وشرها، وقد وصفوا في الكتاب والسنة بصفات جليلة يتعين على العبد الإيمان بكل ما أخبر به الله ورسوله عنهم وعن غيرهم"(١).

هذا وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على الإيمان بالملائكة الكرام وعلى بعض أعمالهم من ذلك:

١- عـــن عائشـــة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: **«سبوح قدوس رب الملائكة والروح»**(٢).

فهـــذا الذكـــر العظيم الذي يكرره المسلم في صلاته يومياً تضمن الإيمـــان بالملائكة الكرام أولاً: الإيمان بوجودهم وثانياً أنهم خلق لله وهو ربهـــم وليسوا بآلهة وثالثاً بأن منهم رسل على القول بأن الروح هنا هو جبريل عليه السلام وسيأتي ذلك.

فقوـــله: (الملائكة) الألف واللام فيها للجنس فتشمل جميع الملائكة و(الروح) اختلف في تعيينه. قال النووي رحمه الله:"وقوله: (رب الملائكة والروح) قيل الروح ملك عظيم وقيل يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام لابن سعدي ص ٧٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٣.

وقيل خلق لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة والله سبحانه وتعالى أعلم"[١].

وقال الشوكاني رحمه الله: "قوله: (رب الملائكة والروح)هو من عطف الخاص على العام لأن الروح من الملائكة وهو ملك عظيم..."[٢].

وهذا العطف يدل على فضل الروح وتخصيصه من بين الملائكة، كما يفيد قوله: (رب) على ربوبية الله على جميع الخلق، فالملائكة من أعظم خلق الله وهو ربهم ورب كل شيء، وقد ورد ذكر الروح والتي بمعنى الملك في القرآن الكريم في مواطن منها قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾[٣] ففي هذه الآية الروح هو جبريل عليه السلام ولا خلاف في ذلك بين المفسرين[٤].

وقوله تعالى: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٠٥/٤).

(٢) نيل الأوطار (٢٧٤/٢) (ط/مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد) وانظر تحفة الذاكرين ص ١٥٨.

(٣) سورة الشعراء الآيتان: ١٩٢ -١٩٣.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢٠٦٨/٣).

(٥) سورة غافر الآية: ١٥.

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ ﴾[٣].

والـروح الوارد في هذه الآيات الأربعة اختلف فيها المفسرون على أقـوال عديـدة[٤] منها أنه جبريل عليه السلام أو ملك عظيم الخلقة من الملائكة والله أعلم.

٢- وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه قالت:

كـان نـبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل: **«اللهم رب جـبرائيل وميكائـيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشـهادة أنـت تحكـم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اخـتلف فـيه مـن الحـق بـإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**[٥]، فتضمن هذا الحديث الإيمان بوجود الملائكة وأنهم خلق الله

(١) سورة المعارج الآية: ٤.

(٢)سورة النبأ الآية: ٣٨.

(٣) سورة القدر الآية: ٤.

(٤) انظر هذه الأقوال في تفسير ابن كثير (٤/٢٩٧٦).

(٥) سبق تخريجه ص ٤٠٥.

وهو ربهم وليسوا بآلهة كما يزعمه المشركون، وكذلك الإيمان بأن للملائكة أعمال ووظائف يقومون بها فلكل ملك من هؤلاء الثلاثة عمل.

ونص على هؤلاء الملائكة الثلاثة لمترلتهم ولفضلهم من بين الملائكة وعلى أن الملائكة بعضهم أفضل من بعض حتى قيل في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [1]. إن الرسل المصطفين من الملائكة هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت[2].

وهؤلاء الملائكة الكرام الثلاثة وُكلوا بما فيه الحياة: فجبريل عليه السلام موكلٌ بما فيه حياة القلوب وهو الوحي.

وميكائيل: موكل بالقطر والنبات وبهما تكون حياة الأرض.

وإسرافيل: موكلٌ بالنفخ في الصور الذي به حياة الأجساد عند البعث[3].

وتوسله ﷺ في هذا الذكر بربوبيته سبحانه وتعالى لهؤلاء الملائكة الثلاثة (جبريل وميكائيل وإسرافيل) من أجل إحياء قلبه بالهداية للحق

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٥.

(٢) انظر جامع البيان للطبري،(١٧/٢٠٤).

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٠-٣٠١، و مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/١٦٠-١٦١).

مناسبٌ جداً؛ إذ إنهم كما سبق أنهم موكلون بما فيه الحياة، فالله سبحانه القـادر وكّـل هؤلاء الملائكة بما فيه حياة الناس وهو سبحانه قادر على إحياء القلوب وعمارتها بالهداية.

قـال ابن القيم رحمه الله: "توسل النبي ﷺ إلى ربه بربوبيته لجبريل وميكائـيل وإسـرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ فإن حياة القلـب بالهدايـة، وقـد وكل الله سبحانه هؤلاء الأملاك الثلاثة بالحياة فجـبريل موكل بالوحي الذي هو حياة القلوب، وميكائيل بالقطر الذي هـو حياة الأبدان والحيوان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح إلى أجسادها، فالتوسل إليه سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير في حصول المطلوب"(١).

وينـبغي العـلم بأن مما ينتظمه الإيمان بالملائكة أيضاً موالاة جميع الملائكة وحبهم، وعدم معاداتهم وبغضهم، وعدم التفريق بين أحد منهم، لأن معاداة أي واحد من الملائكة معاداة للبقية ومعاداة لله ﷻ، فلا نفعل كمـا فعـل اليهود المغضوب عليهم حيث والوا ميكائيل وعادوا جبريل عليهما السلام فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ.......إلى قوله: مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ

---

(١) زاد المعاد (٤/٢٠٥)، وانظر مفتاح دار السعادة (١/٨٤).

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله:

"أي من عادى جبرائيل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله له في ذلك فهو رسول من رسل الله ملكي ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[٢] الآيتين فحكم عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبرائيل فإنه عدو لله لأن جبرائيل لا يترل بالأمر من تلقاء نفسه وإنما يترل بأمر ربه...

ثم قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ يقول تعالى: من عاداني وملائكتي ورسلي ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣] وهذا من باب عطف الخاص

---

(١) سورة البقرة الآية: ٩٧-٩٨.

(٢) سورة النساء الآية: ١٥٠.

(٣) سورة الحج الآية: ٧٥.

على العام فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خُصِّصا بالذكر لأن السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه وقرن معه ميكائيل في اللفظ لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم وميكائيل وليهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً"[١].

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من قال: اللهم إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك وحملة عرشك وأشهد من في السماوات ومن في الأرض أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك من قالها مرة أعتق الله ثلثه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثاً أعتقه الله كله من النار»[٢].

فدلّ هذا الحديث على أن لعرش الرحمن ملائكة يحملونه، وهو سبحانه وتعالى غني عنهم وهم محتاجون إليه، فمن وظائف بعض الملائكة إذاً حمل عرش الرحمن.

قال في عون المعبود:"(أشهدك) أي أجعلك شاهداً على إقراري بوحدانيتك في الألوهية والربوبية وهو إقرار للشهادة وتأكيد لها وتجديد لها في كل صباح ومساء.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣٣/١).

(٢) سبق تخريجه ص٥٨٢.

(وأشهد حملة عرشك):جمع حامل أي حاملي عرشك وملائكتك بالنصب عطف على الحملة تعميماً بعد تخصيص"[١].

وقد نص الله سبحانه وتعالى على هذه الوظيفة للملائكة وهي حمل العرش في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٢].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية:

"وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم، وأقواهم، واختيار الله إياهم، لحمل عرشه، وتقديمهم في الذكر وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾[٣]"[٤].

كما أن للملائكة وظائف كثيرة[٥] وكّلهم الله تعالى بها، ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز منها:

---

(١) عون المعبود (١٣/٢٧٧).

(٢) سورة غافر الآية: ٧.

(٣) سورة الحاقة الآية:١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٨.

(٥) للتوسع في معرفة وظائف الملائكة انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/١٢٥)، والجواب الكافي ص ١٤٢ (ط/دار الكتب العلمية)، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم كذلك ص ١٧٨ (ط/دار الفكر) وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٩-٣٠١، وكتاب الحبائك في أخبار الملائك للسيوطي.

١- تبليغ الوحي من الله لرسله في الأرض والموكل بذلك هو جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾[١]، فالروح هو: جبريل عليه السلام[٢] وقد مر ذكره في ذكر الركوع والسجود.

٢- ومـــنهم من هو موكلٌ بحفظ أعمال العباد وكتابتها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٣].

٣- ومـــنهم من هو موّكل بالنار وبتعذيب أهلها، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾[٤]

٤- ومنهم من هو موكلٌ بقبض أرواح بني آدم قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[٥].

ولهـــم أعمـــال كثيرة غير ذلك، بل جميع الحركات في السموات والأرض بواسطة الملائكة يقول ابن القيم رحمه الله:

---

(١) سورة الشعراء الآية: ١٩٣-١٩٤.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (١١١/١٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٨/١٣) و تفسير ابن كثير (٣٤٨/٣).

(٣) سورة الانفطار الآية: ١٠-١٢.

(٤) سورة المدثر الآية: ٣١.

(٥) سورة الأنعام الآية: ٦١.

"فكل حركة في السموات والأرض من حركات الأفلاك والنجوم والشمس والقمر والرياح والسحاب والنبات والحيوان فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝ ﴾[١] وقال: ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝ ﴾[٢] وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل عليهم السلام، وأما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون: هي النجوم، وقد أشبعنا الرد على هؤلاء في كتابنا الكبير المسمى بالمفتاح، وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالجبال ملائكة ووكل بالسحاب والمطر ملائكة ووكل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظه وملائكة لحفظ ما يعمله... إلخ"[٣]



(١) سورة النازعات الآية: ٥.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٤.

(٣) إغاثة اللهفان (١٢٥/٢)، وانظر الجواب الكافي ص١٤٢.

المبحث الثاني:

دلالة الذكر على الإيمان بالكتب

إن الإيمـــان بالكتـــب المترلة على رسل الله وأنبيائه هو أحد أركان الإيمان الستة والتي لا يقوم الإيمان إلا به، وهو من الغيب الذي أخبرنا الله ورسوله عنه، وقد مدح الله عباده المؤمنين المتقين لإيمانهم بالغيب في أول سورة البقرة في قوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾: "حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة والحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر.

إنمـــا الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره و لم نشاهده وإنما نؤمن بـــه لخبر الله وخبر رسوله فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر لأنه تصديق مجرد لله ورسوله...إلى أن قال: ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان

---

(١) سورة البقرة الآيات ١-٣.

بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة"(١).

ومن ضمن الأشياء التي من الغيب والتي أخبرنا الله عنها في كتابه: الكتب المنزلة على من مضى من الأنبياء والرسل قبل رسولنا محمد ﷺ لذلك أثنى سبحانه وتعالى على المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب ويؤمنون بما أنزل إلى الرسول ﷺ من الهدى والقرآن، ويؤمنون بما أُنزل من قبله من الكتب السماوية، ومن كان هذا حاله فله الهداية في الدنيا والفلاح في الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾(٢).

"فقوله: ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يشمل الإيمان بجميع الكتب السابقة ويتضمن الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه"(٣).

ويكون الإيمان بهذه الكتب بأن يصدق المؤمن تصديقاً جازماً بأن الله جل جلاله أنزل كتباً على أنبيائه ورسله، تكلّم بها كلاماً يليق به واشتملت على أحكام وأخبار كلها صدق، وفيها الحق و الهدى والنور والشفاء والبيان والبرهان والرحمة، وفيها ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٣-٢٤.

(٢) سورة البقرة الآية: ٤-٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٤.

وأخراهم، وما احتوت عليه من علوم هي العلوم التي توصل بإذن الله إلى الجنة وتوصل إلى رضوان الله تعالى، وعلومها كاملة لا نقص فيها، بخلاف علـــوم البشـــر التي يعتورها النقصان وعدم الكمال، وقد سمّى الله تبارك وتعـــالى لنا بعض الكتب في كتابه فنؤمن بما سمى الله في كتابه من الكتب بالتفصيل وهي:

١- صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

٢- التوراة: وأنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام: قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2].

٣- الزبور: أُنزل على داود عليه الصلاة والسلام قال تعالى:

﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾[3].

٤- الإنجيل وأُنزل على عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعلى الآية: ١٨-١٩.

(٢) سورة المائدة الآية: ٤٤.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٥٥.

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٦.

٥ -القرآن الكريم أُنزل على محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[(١)].

وينفرد القرآن الكريم عن باقي الكتب بأنه بالإضافة إلى الإيمان به فلا بد أن يُتّبع ما فيه من الأوامر ويُجتنب ما فيه من النواهي وتُطبق أحكامه، ويُتعبد بتلاوته وأن يُعتقد أن ما فيه ناسخ للكتب التي سبقته، وأن كلامه مُعجزٌ متَعَبدٌ به، وهو محفوظ عن التحريف.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به واتباع ما فيه وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب"[(٢)].

ومنها -أي من الكتب المنزلة- مالم يخبرنا بها رسولنا ولا ربنا في كتابه الكريم لا نعلم عددها ونؤمن بها إجمالاً.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددَها إلا الله تعالى"[(٣)].

---

(١) سورة الشعراء الآيات ١٩٢-١٩٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٣١٢

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٣١٢.

ويجب معرفة أن كل الكتب المترلة السابقة للقرآن الموجودة الآن محرفة لقوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[2]

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾[3].

وأما معنى الإيمان بالكتب المترلة فيقول ابن حجر رحمه الله:

"والإيمان بكتب الله: التصديق بأنها كلام الله وأن ما تضمنته حق"[4].

وقال حافظ الحكمي رحمه الله شارحاً معنى الإيمان بالكتب:

"التصديق الجازم بأن جميعها مترل من عند الله ﷻ، وأن الله تكلم بها حقيقة، فمنها المسموع منه تعالى من وراء حجاب بدون واسطة الرسول الملكي، ومنها ما بلغه الرسول الملكي إلى الرسول البشري، ومنها ما كتبه الله تعالى بيده.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٧٥.

(٢) سورة المائدة الآية: ١٣.

(٣) سورة المائدة الآية: ١٤.

(٤) فتح الباري (١/١١٧-١١٨).

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾(١).

وقال تعالى لموسى: ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي ﴾(٢) ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾(٣)..."(٤).

ومن الآيات الدالة على فرضية الإيمان بالكتب -وهي كثيرة- قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٥).

ففي هذه الآية أمر بالإيمان بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء، من سمى الله ومن لم يسم وبجميع ما أوتي النبيون من كتب(٦)، فنؤمن بها مما عرف منها على وجه التفصيل وما لم يعرف منها على وجه الإجمال.

وفيها الإيمان بجميع الأنبياء دون التفريق بين أحد منهم.

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

---

(١) سورة الشورى الآية: ٥١.

(٢) سورة الأعراف الآية:١٤٤.

(٣) سورة النساء الآية: ١٦٤.

(٤) أعلام السنة المنشورة للحكمي (طبعة وزارة الشؤون الإسلامية).

(٥) سورة البقرة الآية: ١٣٦.

(٦) انظر تفسير الطبري (١/٥٦٧).

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: "(والكتاب): وهو اسم جنس يشمل الكتب المترلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله"[2].

ومن الآيات الدالة على وجوب الإيمان بجميع الكتب المترلة من الله تعالى على رسله وأنبيائه أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[3].

ففي هذه الآية نداء من الله لعباده المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله وكتابه: القرآن وما نزل من قبله من الكتب، فأمرهم بالإيمان بما يجب عليهم الإيمان به، وحذرهم مما يضاد هذا الإيمان وهو الكفر الذي مآله الضلال البعيد والخسران الأكيد والعياذ بالله من ذلك.

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٨-٢٠٩).

(٣) سورة النساء الآية: ١٣٦.

(٤) سورة الشورى الآية: ١٥.

والكتاب مفرد يدل على العموم فيدل على جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها:"أي صدقت بجميع الكتب المترلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم"(١).

ومدح الله عباده المؤمنين لاستجابتهم لندائه وإيمانهم بما أمروا أن يؤمنوا به، فقال الله تبارك تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(٢). وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على هذا الأصل العظيم.

وكما دلت نصوص القرآن على وجوب الإيمان بالكتب المترلة من الله تعالى على أنبيائه ورسله فقد دلت نصوص السنة المطهرة كذلك على ذلك منها:

حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**» (٣).

فدل الحديث على أركان الإيمان ومنها الركن العظيم الإيمان بالكتب.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٥١٥).

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٠٠.

ولقد دلت بعض أحاديث الأذكار على الإيمان بهذا الركن العظيم

فمن الأذكار النبوية الدالة على الإيمان بالكتب:

١- ما ورد في ما يقال عند النوم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :**«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت»**[1].

فقوله: (آمنت بكتابك الذي أنزلت) فيه دليل على تعليمه ﷺ لصحابته هذا الركن المهم من أركان الإيمان وهو الإيمان بالكتب المترلة حتى في آخر الأنفاس قبيل النوم؛ لأن قوله (كتابك) اسم جنس يشمل جميع الكتب المترلة، فالرسول ﷺ بعدما غرس في نفس البراء رضي الله عنه الاستسلام لله والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه، وغرس فيه الرغبة والرهبة إلى الله فعلق قلبه بربه وخالقه، بعد ذلك كله ختم ذكره هذا بإقراره وتصديقه بما أنزل الله، وبإيمانه بالرسول ﷺ وهما ركنان عظيمان من

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٤٠.

أركان الإيمان لا يتم إلا بهما، والإيمان بهما فيه الهدى والرشاد وفيه الإيمان ببقية أركان الإيمان الستة لذلك قال ﷺ في آخر الحديث: **«واجعلهن آخر ما تقول»** حتى لو كتب عليه الموت مات على الفطرة ويكون آخر عهده من الدنيا الإيمان.

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (آمنت بكتابك الذي أنزلت) يحتمل أن يريد به القرآن ويحتمل أن يريد اسم الجنس فيشمل كل كتاب أنزل"(١)، والثاني أرجح. وأيضاً لو كان المراد القرآن فقط لتضمن الإيمان ببقية الكتب المترلة لأن الإيمان بالقرآن يتضمن أو يستلزم الإيمان ببقية الكتب (٢).

إذاً دلّ هذا الحديث على الإيمان بالكتب على وجه الإجمال.

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: **«اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومترل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر»**(٣).

---

(١) فتح الباري (١١/١١١)، وانظر تحفة الأحوذي (١٠/٢٠).

(٢) انظر الفتوحات الربانية لابن علان (٣/١٤٣).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٢.

فدل هذا الذكر على الثناء على الله سبحانه ببعض صفاته، كما دلّ على أن التوراة والإنجيل والقرآن كلها منزلة من الله تبارك وتعالى ويجب الإيمان بها على الوجه الذي سبق ذكره قريباً.

وقوله ﷺ : (منزل التوراة والإنجيل والفرقان) هذا الثناء منه ﷺ على ربه شبيه بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[1].

فالخلاصة: أن الإيمان بالكتب من أركان الإيمان الستة التي يجب الإيمان بها، ويجب الإيمان بالكتب كلها دون التفريق بين أحد منها فنؤمن بها ولا نكفر بها ولا ببعضها والأذكار دلت على هذا الإيمان والحمد لله.



(١) سورة آل عمران جزء من الآيتين ٣-٤.

المبحث الثالث:

دلالة الأذكار على الإيمان بالرسل وعلى بعض حقوق المصطفى ﷺ

تعريف النبي والرسول:

النبي: لغة مشتق من النبأ وهو الخبر.

قال ابن الأثير رحمه الله: "النَّبي فَعِيل بِمعْنَى فاعِل للْمُبالَغة من النَّبَأ: الخَبَر؛ لأنه أَنْبَأَ عن الله أي أَخبَرَ"[١].

وقيل: النبي مأخوذ من النَّبْوةِ و النَّباوةِ، وهي الارتفاع عن الأَرض، لارْتِفاع قَدْره ولأنه شُرِّفِ على سائر الخلق، فأَصله غير الهمز.

وقول ثالث: أن النبي يراد به في لغة العرب: الطريق الواضح[٢]؛ لأن منهج النبي لا غموض فيه وهو الطريق الموصل إلى الله.

وهذه المعاني اللغوية كلها مجتمعة في النبوة الشرعية فالنبوة: هي إخبار عن الله تبارك وتعالى، والنبي ذو شرف وقدر ومقام رفيع وشأن عظيم، والنبوة كذلك: طريق موصل إلى الله تعالى فيه الهداية والنور، ولا

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٥/٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٤٨٦)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٨٤) الصحاح للجوهري (١/٧٤)، والمفردات للأصفهاني ص ٤٨١، ولسان العرب (١/١٦٣) و(١٥/٣٠٢).

طريق يوصل إلى معرفة الله إلا العلم الذي جاء به الأنبياء من ربهم تبارك وتعالى.

قال ابن حجر رحمه الله في النبوة:"والنبوة نعمة يمن (الله سبحانه وتعالى) بها على من يشاء، ولا يبلغها أحد لعلمه ولا كشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقي شرعاً: من حصلت له النبوة وليست راجعة إلى جسم النبي ولا إلى عرض من أعراضه بل ولا إلى علمه بكونه نبياً، بل المرجع إلى إعلام الله له بأني نبأتك أو جعلتك نبياً، وعلى هذا فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة"(١).

والرسول لغة: مأخوذ من الإرسال وهو البعث والتوجيه والإطلاق.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام سموا بذلك لأنهم مبعوثون وموجهون من قبل الله تعالى لتبليغ ما أمرهم بتبليغه للناس من الوحي(٢).

والرسول أيضاً في اللغة: الذي يتابع أخبار من بعثه لأداء الرسالة.

قال ابن منظور:

"وقال أَبو بكر بن الأَنباري في قول المؤذن: أَشهد أَن محمداً رسول الله: أَعلم وأُبَيِّن أَن محمداً مُتابعٌ للإِخبار عن الله عز وجل.

---

(١) فتح الباري (٣٦١/٦).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣٩١/١٢)،و لسان العرب (٢٨٣/١١) والقاموس المحيط (٥٧٢/٣) مادة (رسل).

والرَّسول: معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإِبل رَسَلاً أَي متتابعة."(١).

تعريف النبي والرسول شرعاً والفرق بينهما:

تعددت أقوال العلماء في تعريف النبي والرسول والتفريق بينهما وأشهر ما قيل من هذه الأقوال:

أن النبي: هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وأما الرسول: فهو مَن أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه للناس(٢).

إلا أن هذا القول لم يسلم من الاعتراض عليه؛ وذلك أنه من المعروف شرعاً أن من رزقه الله علماً وفقهاً في الدين ممن هو دون النبي، فهو مأمور أن يدعو الناس إلى الخير ويرشدهم إلى الحق ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويبلغهم ما علمه من الدين وما فيه نفعهم وصلاحهم، ولا يجوز له بأي حال أن يكتم علمه عن الناس، فالأمر بالنسبة للنبي أعظم إذ إنه نبأه الله بالوحي بخلاف العالم، ومنزلة النبي رفيعة لا تقارن بالعلماء فالأنبياء فوق العلماء.

قال تعالى مخاطباً هذه الأمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

---

(١) لسان العرب (٢٨٤/١١)، وانظر المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩٥.

(٢) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢٣٩/١) (تحقيق حلمي فوده، ط١/ ١٣٩٩هـ دار الفكر لبنان)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ١٥٨، وفتح الباري لابن حجر (١١٢/١١)، ونيل الأوطار للشوكاني (١٩/١).

وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

وكذلك مما يجلي الأمر ويوضح عدم صحة هذا التعريف أن بعض النصوص دلّت على أن الأنبياء مأمورون بتبليغ ما أُوحي إليهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[2].

كما أن الأنبياء لهم أتباع يوم القيامة فدل ذلك على أنهم بلغوا ما أوحي إليهم فاتبعهم الناس وأذعنوا لهم.

كما أنه قد جاء في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم...» الحديث[3].

فدل هذا الحديث على أن ثمة حقوقاً على الأنبياء تجاه أممهم الذين بعثوا إليهم ومن هذه الحقوق: إرشادهم إلى الخير الذي علمهم الله إياه و أوحاه إليهم وما فيه صلاحهم وتحذيرهم من الشر الذي أنبأهم الله بأنه شر وما فيه هلاكهم.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٣/١٤٧٢) ح ٤٦.

وممن اعترض من العلماء على التفريق السابق بين النبي والرسول: الشيخُ محمد الأمين الشنقيطي[١] رحمه الله مستدلاً على ذلك بآية الحج المذكورة قريباً، حيث قال رحمه الله: "وآية الحج هذه تبيّن أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النبي هو: من أوحي إليه وحي ولم يُؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو: النبي الذي أُوحي إليه وأُمر بتبليغ ما أُوحي إليه: غير صحيح لأن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[٢].

يدل على أن كل منهما مرسل وأهما مع ذلك بينهما تغاير، واستظهر بعضهم أن النبي الذي هو رسول أُنزل إليه الكتاب وشرعٌ مستقل مع المعجزة التي ثبتت بها نبوتُه، وأن النبي المرسل الذي هو غير الرسول: هو من لم يترل عليه كتاب وإنما أُوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يُرسلون ويُؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بيّنه تعالى بقوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾[٣]"[٤].

---

(١) هو أبو محمد المختار محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، من علماء العصر المبرزين، فقيه أصولي مفسر لغوي، وله تفسير مبارك فسر القرآن بالقرآن والسنة اسمه أضواء البيان توفي بمكة سنة ١٣٩٣هـ، انظر ترجمته في آخر أضواء البيان لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم.

(٢) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٣) سورة المائدة الآية: ٤٤.

(٤) أضواء البيان (٥/٧٣٥) (ط/١٤٠٣هـ المطابع الأهلية للأوفست الرياض على نفقة صاحب سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز).

وهذا التعريف الذي استظهره الشيخ هو الموافق لنصوص الشريعة ولصريح العقل، فإن النبي مرسل من الله مأمور بتبليغ ما أوحي إليه، وقد ذهب إلى هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال:

"فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه فهو رسول وأما اذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله و لم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾[١]، وقوله: (من رسول ولا نبي) فذكر إرسالا يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فان هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف...

وكذلك أنبياء بني اسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يوحى الى أحدهم وحي خاص في قصة معينة ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن....إلى أن قال رحمه الله: فقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم"[٢].

---

(١) سورة الحج الآية: ٥٢.

(٢) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٨٤- ١٨٥.

معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

إن الإيمان بالرسل هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد إلا بالإتيان به ودليل ركنيّته قوله تبارك وتعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله:

"فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين"[٢].

وقال الطحاوي رحمه الله في بيان عقيدة أهل السنة: "ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين"[٣].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٣٤٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٩٧.

وهو من الغيب الذي يؤمن به عباد الله المتقون كما في أول سورة البقرة.

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[1].

وذم الكافرين الذين كفروا بأركان الإيمان بقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ: **«الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[3].

ومعنى الإيمان بالرسل هو: التصديق الجازم بأن الله أرسل رسلاً لإرشاد الخلق وهدايتهم وتبصيرهم لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، وأنهم بلغوا ما أُرسلوا به وما أوحاه الله إليهم ولم يكتموا شيئاً.

قال البيهقي رحمه الله:

"باب في الإيمان برسل الله صلوات الله عليهم عامة اعتقاداً وإقراراً إلا أن الإيمان بمن عدا نبينا محمد ﷺ هو الإيمان: بأنهم كانوا مرسلين إلى الذين ذكروا لهم أنهم رسل الله إليهم وكانوا في ذلك صادقين محقين.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٢) سورة النساء الآية: ١٣٦.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٠٠.

والإيمان بالمصطفى محمد ﷺ هو: التصديق بأنه نبيه ورسوله إلى الذين بعث فيهم وإلى من بعدهم من الجن والإنس إلى قيام الساعة"[١].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله:

"هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده والكفر بما يعبد من دونه وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا، ولم يغيروا، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً واحداً ولم ينقصوه ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ وأنهم كلهم على الحق المبين، وأن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلا، واتخذ محمداً ﷺ خليلا، وكلّم موسى تكليماً، ورفع إدريس علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الله فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات"[٢].

ويكون الإيمان بهم على وجهين: مجمل ومفصل.

قال ابن حجر رحمه الله:

"والإيمان بالرسل: التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله ودل الإجمال في الملائكة والكتب والرسل على الاكتفاء بذلك في الإيمان

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (١٤٥/١).

(٢) أعلام السنة المنشورة ص٤٨-٤٩.

بهم بلا تفصيل إلا من ثبت تسميته فيجب الإيمان به على التعيين"(١).

فنؤمن على وجه التفصيل بالرسل الذين سمى الله لنا منهم في كتابه وقصّ لنا من أخبارهم مع أقوامهم وعددهم خمسة وعشرون رسولاً ونبياً.

أما بقية الرسل فلم يقص علينا من أنبائهم فنؤمن بهم جميعاً لأنه سبحانه ذكر لنا أن هناك رسلاً غير ما ذُكر في القرآن فينبغي الإيمان بهم إجمالاً، وعدم الكفر برسالة أو نبوة أي نبي ورسول قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾(٢).

ومن الإيمان بهم اعتقاد أن دعوتهم صلوات الله عليهم وسلامه واحدة، هي دعوة التوحيد، ونبذ الكفر والشرك،فهم متفقون على أصل الأصول: عبادة الله وحده، فما من رسول إلا وقد افتتح دعوته لقومه بقوله: (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾(٣).

---

(١) فتح الباري (١/١١٨).

(٢) سورة غافر الآية: ٧٨.

(٣) سورة النحل الآية: ٣٦.

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾(١).

وجعل الله سبحانه وتعالى لكل نبي شرعة ومنهاجاً، وأيدهم الله سبحانه بآيات وبراهين تدل على صدقهم وصدق ما يدعون إليه، فبلغوا ونصحوا لأقوامهم، وما قصّروا ولا توانوا في سبيل الدعوة، فبلغوا الرسالة وأدّوا الأمانة وجاهدوا في سبيل الله.

وأخبرنا سبحانه وتعالى في كتابه أنه أرسل الرسل وأيدهم بالبينات وأنزل معهم الكتب ليقوم الناس بالقسط وينتشر العدل بينهم وينتفي الظلم عنهم فقال جل جلاله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾(٢).

ولقد قصّ الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه من قصصهم لنعتبر ولنتذكر ولنزداد إيماناً ويقيناً وصبراً وثباتاً على الدين ولنتعلم منهم منهجاً في الدعوة ولنتخذهم قدوة وأسوة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(٣).

ويدخل تحت الإيمان بهم أن نؤمن بهم جميعاً دون التفريق بينهم، فهذا منهج المؤمنين الصادقين قال تعالى واصفاً عباده المؤمنين: ﴿ ءَامَنَ

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٩٠.

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(١).

وقال عنهم: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾(٢).

وخالف هذا المنهج الإيماني الضالون من اليهود وأتباعهم من الكفار ففرقوا بين الله ورسله وآمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، فكانت عاقبة أمرهم ومآل حالهم أن كفروا بالكل لأنه لا يصح إيمان من عبد حتى يؤمن بالرسل كلهم وبما أخبروا به.

فالكفر بأحدهم كفر بهم كلهم، والإيمان ببعضهم لا يفضي إلى الإيمان ولا يكون صاحبه مؤمناً، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾(٣).

قال البيهقي رحمه الله: "وفي هذه الآية أن الله جل وعز جعل الكفر ببعض رسله كفراً بجميعهم ثم جعل الكفر بجميعهم كفراً به وقال بعد ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ الآية فثبت أن حسن المآب إنما يكون

---

(١) سورة البقرة الآية:٢٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٣٦.

(٣) سورة النساء الآية: ١٥٠-١٥١.

لمن لم يفرق بين رسل الله عز وجل وآمن بجماعتهم"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والمسلمون آمنوا بهم كلهم، ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم ومن سبّ نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء وفي استتابته نزاع"(٢).

ثم أثنى الله بعد هاتين الآيتين على المؤمنين بأهم آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾(٣).

كما أن"الإيمان بالرسل يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء والكتاب والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به وغير ذلك من صفات الله وصفات اليوم الآخر كالصراط والميزان والجنة والنار"(٤).

ومن الإيمان بهم اعتقاد أن ما بعثوا به من الهدى والعلم هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله تعالى ورضوانه، فكل الطرق مسدودة إلا طريقهم

---

(١) شعب الإيمان (١/١٤٥).

(٢) الصفدية (٢/٣١١).

(٣) سورة النساء الآية: ١٥٢.

(٤) جامع العلوم و الحكم لابن رجب ص ٢٧.

وما أنزل إليهم من الهدى والنور، قال ابن رجب رحمه الله:

"فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدي في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نوراً يهتدى به في الظلمات"(١).

"ومن الإيمان بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم: الإيمان بأن الله اختصهم بوحيه ورسالته، وجعلهم وسائط بينه وبين عباده في تبليغ رسالاته وأمره وشرعه، وجمع فيهم من صفات الكمال ما فاقوا فيه الأولين والآخرين، من الصدق العظيم، والأمانة التامة والقوة العظيمة، والشجاعة، والعلم العظيم، والدعوة والتعليم، والإرشاد والهداية والنصح التام، والشفقة والرحمة بالعباد، والحلم والصبر الواسع، واليقين الكامل.

فهم أعلى الخلق علوماً وأخلاقاً، وأكملهم أعمالاً وآداباً، وأرفعهم عقولاً، وأصوبهم آراءً، وأسماهم نفوساً.

اختارهم الله واصطفاهم وفضلهم واجتباهم، بهم عُرِف الله، وبهم وُحِّد، وبهم عُرِف الصراط المستقيم، وعلى آثارهم وصل أهل الجنة إلى كل نعيم، فلهم على العباد الإيمان بهم، والاعتراف بكل ما جاءوا به، ومحبتهم وتعزيرهم وتوقيرهم واحترامهم، واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٣٤٣.

وهذه الأمور ثابتة لجميع الأنبياء، ولنبينا محمد ﷺ من هذه الأوصاف أعلاها وأكملها. فلقد جمع الله به من الكمال ما فرقه في غيره من الأنبياء والأصفياء، وله على أمته أن يقدموا محبته على محبة أنفسهم وأولادهم ووالديهم والناس أجمعين، وأن يقوموا بحقه وهو القيام بشرعه وتعلمه وتعليمه واتباعه ظاهراً وباطناً..."[١].

وأما ما يدل على الإيمان بالرسل من أحاديث الأذكار فمنها:

١- ما ورد في ما يقال عند النوم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت»**[٢].

قال ابن حجر رحمه الله:"وقال الكرماني: هذا الحديث يشتمل على الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إجمالا من الكتب والرسل من الإلهيات والنبوات"[٣].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام لابن سعدي ص ٧٣.

(٢) سبق تخريجه ص٥٤٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/١١٢- ١١٣).

فقوله ﷺ للبراء: «**آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت**» فيه الإيمان بجميع الأنبياء؛ إذ إن لفظة (نبيك) معرفة بالإضافة فهي تحتمل الجنس والاستغراق والعهد[1] فمحتمل أن تكون لفظة (نبيك) لجميع الأنبياء فيكون المعنى آمنت بجميع الأنبياء الذين بعثهم الله تبارك وتعالى،ومحتمل أن تكون لفظة (نبيك) للعهد والمقصود به نبينا محمد ﷺ.

ولا منافاة بين الاحتمالين فمن آمن بجميع الأنبياء فيدخل فيهم نبينا محمد ﷺ، ومن آمن بنبينا محمد ﷺ يلزمه الإيمان بجميع الأنبياء السابقين لأنه من مقتضى الإيمان بمحمد ﷺ تصديقه فيما أخبر وقد أخبرنا بخبر من سبقه من الأنبياء فنؤمن بهم جميعاً صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين.

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذكره لاستفتاحه ﷺ في قيام الليل وفيه أن النبي ﷺ كان يقول إذا قام من الليل يتهجد قال:

«**اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق،ومحمد ﷺ حق**»[2].

فقوله ﷺ: (والنبيون حق) دليل على الإيمان الإجمالي والتفصيلي

---

(١) انظر الفتوحات الربانية (١٤٣/٣).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

بالأنبياء جميعهم وبما جاؤا به وتصديقهم بما أخبروا فكل هذا حق؛ لأنه من المعلوم أنه لا يطلق على شيء بأنه (حق) إلا إذا تحقق وجوده كالحاقة فهي متحققة وكائنة بلا شك، فالأنبياء كانوا موجودين حقاً لا ريب في ذلك ولا شك ومن شك بوجودهم وبعثتهم أو بواحد منهم فهو كافر مكذبٌ لنصوص الكتاب والسنة، وكل أمة فيها نبي أو رسول وقد يجتمع في الوقت الواحد أكثر من نبي كحال أنبياء بني إسرائيل قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[١].

وقوله ﷺ: (ومحمد حق) كذلك فيه الإيمان به ﷺ نبياً ورسولاً، وعطفه على النبيين من باب عطف الخاص على العام وفيه مزيد بيان لشرفه ﷺ وعظيم قدره.

قال ابن حجر رحمه الله:

"قوله: (ومحمد ﷺ حق) خصه بالذكر تعظيماً له، وعطفه على النبيين إيذاناً بالتغاير بأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة، وجرده عن ذاته كأنه غيره ووجب عليه الإيمان به وتصديقه مبالغة في إثبات نبوته كما في التشهد"[٢].

وبما أنه ﷺ حق ورسالته حق فيلزم من الإيمان به الإيمان بكل ما أخبر عنه وأن ما أخبر عنه يكون حقاً.

---

(١) سورة فاطر الآية: ٢٤.

(٢) فتح الباري (٤/٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولما كان الرسول الملكي والرسول البشري والذّكر المترل أموراً متلازمة يلزم من ثبوت واحد ثبوت الآخرين، ومن الإيمان بواحد الإيمان بالآخرين فيلزم من كون القرآن حقاً كون جبريل ومحمد حقا وكذلك يلزم من كون محمد حقا كون جبريل والقرآن حقا ويلزم من كون جبريل حقا كون القرآن ومحمد حقاً، ولهذا جمع الله بين الإيمان بالملائكة والكتب والرسل في مثل قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[1]"[2].

وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على بعض الرسل منهم إبراهيم عليه السلام كما في قوله ﷺ في أذكار الصباح: «**أصبحنا على فطرة الإسلام....وعلى ملة إبراهيم**»[3]، وفي الصلوات الإبراهيمية، وكذلك ورد الإيمان بعيسى عليه السلام أنه روح من الله وكلمته ألقاها إلى مريم في قوله ﷺ « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من**

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام (٣١٣/٥) (ط١/١٤١٤هـ دار النشر: دار العاصمة الرياض، بتحقيق د/علي حسن ناصر وآخرين).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٩.

العمل» [(١)] وفي هذا رد على النصارى الذين ادّعوا أنه ابن الله فهو عبد الله ورسوله وأما قوله (وروح منه) فـ (من) ليست تبعيضية، والروح هنا بمعنى النفخة أي نفخة منه فهو خلق بنفخة جبريل عليه السلام في درع مريم فبأمر الله كان. لذلك قال: وروح منه، وقيل: معناها (الرحمة) أي ورحمة منه كقوله تعالى: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ فعيسى عليه السلام رحمة على من آمن به واتبعه، وقيل: إن عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله ﷻ واستنطقها بقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ بعثه الله إلى مريم فدخل فيها[(٢)] كما أن فيه ردّاً على اليهود الذين جفوا عيسى عليه السلام وكفروا به ونابذوه.

حقوق المصطفى ﷺ:

قد سبق القول أن من الإيمان بالرسل صلى الله عليهم وسلم الإيمان بأن نبينا محمداً ﷺ هو خاتمهم وأنه لا نبي بعده.ومن المعلوم أن النبي ﷺ هو أفضل الرسل أجمعين وهو صاحب لواء الحمد يوم القيامة وهو صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والدرجة الرفيعة العالية في الجنة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ (١٢٦٧/٣) ح ٣٢٥٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٥/٦-٣٦)، و تيسير العزيز الحميد فقد شرحه في ص٦٢.

فهو أفضل البشر ورسالته ﷺ هي أكمل الرسالات وخاتمتها وهي عامة للبشر أجمعين، وهي شاملة لكل أمر يحتاجه العباد في الدنيا والآخرة، وهي التي لا غنى للناس كلهم عنها، فيستغنون عن كل شيء سواها ولا يستغنون عنها، ولقد خصّ ربنا سبحانه نبينا محمداً ﷺ بخصائص وخصّ أمته بخصائص لم تكن لنبي من قبله ولا أمة من الأمم وجعل لرسول الله ﷺ حقوقاً تجاه أمته ينبغي الإتيان بها، وعدم الإخلال بأي حق من حقوقه ﷺ، إذ إن حقوقه أعظم الحقوق وهي مقدمة على جميع حقوق الخلق، فلا يجوز تقديم أي حق من حقوق المخلوقين على حساب أي حق من حقوقه ﷺ.

هذا وقد دلت أحاديث الأذكار على بعض حقوق المصطفى ﷺ من ذلك:

أولاً: الإيمان به ﷺ والشهادة له بأنه عبد الله ورسوله

فالإيمان به ﷺ دل عليه حديث البراء بن عازب رضي الله عنه السابق وفيه: **«آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت»**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وأما الإيمان بالرسول: فهو المهم إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه إذ هو الطريق إلى الله سبحانه ولهذا كان ركنا الإسلام:

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد تصديق الرسول

فيما أخبر والانقياد له فيما أمر"(١) و قال أيضاً رحمه الله هو:"تصديقه وطاعته واتباع شريعته"(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً"(٣).

وقال ابن قدامة رحمه الله:

"ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ولا يقضي بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته، ولا تدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم"(٤).

فتصديقه ﷺ يعني تصديق نبوته ورسالته والإيمان بكل ما لرسالته من خصائص والإقرار بخصائصه وحقوقه، وتصديق ما نزل عليه من الوحي من الأخبار واتباعه في الأحكام. وطاعته ﷺ واتباع شريعته: هو أحد شرطي قبول العمل إذ إن الشرط الأول الإخلاص لله في العمل، والثاني المتابعة لرسول الله ﷺ فيه، وهي غالباً ما تقترن بطاعة الله تعالى.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٣٨/٧-٦٣٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص٩٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣١٢.

(٤) لمعة الاعتقاد ص ٢٥.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ...﴾[١] الآية.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[٢].

"ولا يتم الإيمان به (ﷺ) حتى يعلم العبد أن جميع ما جاء به حقٌّ، وأنه يستحيل أن يقوم دليل عقلي وحسي أو غيرهما على خلاف ما جاء به، بل العقل الصحيح والأمور الحسية الواقعة تشهد للرسول بالصدق والحق"[٣].

ثم ليعلم أن من أنكر رسالته ﷺ فقد طعن بالمرسِل وهو الرب سبحانه وتعالى ونسبه إلى الظلم والسفه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً بل يكون قد جحد الرب بالكلية وأنكره.

إذ لو كانت رسالته ﷺ غير صحيحة لما أيده الله تعالى ولما أقره بل لأخذ منه باليمين ولقطع منه الوتين فالله سبحانه من سننه الكونية أنه لا يدع الناس دون أن يبصرهم بالهدى فهذا من فضله وعدله وكرمه، كما أنه لا يقر من يفتري على الناس الكذب ويدعي النبوة وهو ليس بنبي،

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٩.

(٢) سورة الكهف الآية: ١١٠.

(٣) كتاب: سؤال وجواب في أهم المهمات لابن سعدي ص ٦٧ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته/قسم العقيدة الإسلامية.

فمن ادعى النبوة ولبس على الناس هتك الله ستره وبيّن كذبه في أيام قلائل، فالرسول ﷺ هو رسول رب العالمين حقاً أيده الله بالآيات الباهرات والبراهين الساطعات الدالة على نبوته ثم هيأ لرسالته السبل لنشرها واستمرارها وبقائها حتى قيام الساعة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ﷺ، فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة إذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1]"[2].

وأما الشهادة بأنه رسول الله ففي الأذكار الشيء الكثير الدال على ذلك، من ذلك: ما ورد في الأذان وفي التشهد للصلاة وفي أذكار الصباح والمساء.

---

(١) سورة الحاقة الآيات ٤٤-٤٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٤/٥).

والشهادة لنبينا محمد ﷺ بالرسالة مقرونة بالشهادة لله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية وأسمائه وصفاته على الوجه الذي يليق به ولا تنفك إحداهما عن الأخرى فهما متلازمتان ومقترنتان.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ:

"طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع"(١).

و يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله عن معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ:

"هو التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم ﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(٢) فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به من أنباء ما قد سبق وأخبار ما سيأتي، وفيما أحلّ من حلال وحرّم من حرام، والامتثال والانقياد لما أمر به والكف والانتهاء عما نهى عنه واتباع شريعته والتزام سنته في السر والجهر مع الرضا بما قضاه والتسليم له، وأن طاعته هي طاعة الله ومعصيته معصية الله؛ لأنه مبلغ عن

---

(١) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٧٨ مع حاشيته لعبد الرحمن بن قاسم (ط٤/١٤١٨هـ طبع تحت إشراف الرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٤٥-٤٦.

الله رسالته، و لم يتوفه الله حتى أكمل به الدين وبلغ البلاغ المبين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك"[١].

فهذا هو المعنى الحقيقي لهذه الشهادة العظيمة، والذي قد جهله كثير من المسلمين وقَصَروها على محبته ﷺ التي لا تتعدى اللسان، فكم من المسلمين من ينطق بالشهادة ويدعي بلسانه محبته ﷺ ولكن عند التمحيص في حاله، والنظر في أفعاله وأقواله، وعند مقارنة عمله وقوله بما كان عليه المصطفى ﷺ نجد البون الشاسع بينه وبين سنة المصطفى ﷺ ونجد أن محبته للرسول ﷺ لم تتعدَ لسانه فهو بعيد عن طاعة محبوبه ﷺ قريب من نواهيه غارقاً في أودية البدع وسبل الضلال والله المستعان.

وإن الناظر في أحوال المسلمين في زماننا هذا ليحزن كمداً على ما هو عليه حالهم من الفرقة والبعد عن سنة المصطفى ﷺ ولو أنهم طبقوا ما نطقت به ألسنتهم بهذه الشهادة العظيمة لرأينا حالاً غير هذه الحال ولكن لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ولكن مع ذلك فالحمد لله لا تزال طائفة على الحق من بين فرق المسلمين تعمل بمضمون هاتين الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله) ومدلولهما وتقوم بأوامر الله على وفق ما شرعه على لسان رسوله ﷺ من غير ابتداع ولا اختراع.

---

(١) أعلام السنة المنشورة ص ١٤ (طبعة الوزارة).

وإن مما يكون مقروناً بالشهادة للرسول ﷺ بالرسالة الشهادةُ له بأنه"عبدٌ لله"فيقول المتشهد في صلاته: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فالرسول ﷺ عبدٌ لله وفي هذا ردٌّ على من غلا فيه ﷺ ورفعه عن الشيء الذي أحبه وأراده وعن وصفه الذي وصفه الله في كتابه في أكثر من موضع كما سيأتي قريباً، فهؤلاء الغلاة غلوا في رسول الله ﷺ وأطروه فوقعوا في ما نهاهم عنه من الإطراء ورفعوا من شأنه حتى جعلوه والعياذ بالله في مقام الربوبية فدعوه من دون الله واستغاثوا به وطلبوا منه غفران الذنوب وطلبوا منه جلب الرزق والولد وشفاء المرض وادعوا أنه يعلم الغيب وما في اللوح المحفوظ وجعلوه شريكاً لله في ربوبيته وألوهيته إلى غير ذلك من المنكرات، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا بالطبع لا يرضاه هو ﷺ لنفسه، بل حياته كلها حتى آخر أنفاسه قضاها في نفي الشرك عن الله، والذب عن التوحيد ونشر الدين الخالص لله وأن لا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له، وإن الذي رضيه لنفسه ﷺ أن يكون عبداً لله متواضعاً لعظمته وكبريائه، وبذلك رفعه الله وبلغه المنازل العالية التي سبق بها الأولين والآخرين وبلغ درجات الكمال في تحقيق عبوديته لله.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

"واعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهّم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه وأن الخروج عنها أكمل فهو من

أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات فقال في ذكر الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[4]، **وقال تعالى:** ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾[5]، وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة ولذلك يقول المسيح عليه السلام يوم القيامة إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: اذهبوا إلى محمد عبدٌ غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر"فحصلت له المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى"[6].

ثانياً: الرضا به ﷺ نبياً ورسولاً

كما في حديث «**من قال إذا سمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله**

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٦.

(٢) سورة الإسراء الآية: ١.

(٣) سورة الجن الآية: ١٩.

(٤) سورة النجم الآية: ١٠.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢٣.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ١٤٩.

ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا غفر له ذنبه»(١).

وفي هذا الحديث قرن بين الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية لله وبين الرضا به ﷺ نبياً ورسولاً وهو من باب عطف الخاص على العام فالشهادة له ﷺ بالرسالة تتضمن الرضا به ﷺ برسالته ونبوته وهذا يدل على فضل هذه العبادة وهي الرضا به ﷺ وعظيم مترلتها، فالرضا به ﷺ نبياً رسولاً من أعظم الأمور التي تثمر الإيمان ويذوق بها العبد حلاوة الإيمان كما في الحديث عنه ﷺ : **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً»**(٢).

فهو ﷺ أكمل الناس خلقاً وأعلاهم درجة ورفعة وله من صفات الخلق أكملها.

والرضا به ﷺ هو من أعظم حقوقه على أمته.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وأما الرضا بنبيه رسولاً فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره البتة لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ولا في شيء من أذواق حقائق

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٦٩.

(٢) سبق تخريجه ص٦٦٩.

الإيمان ومقاماته ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه لا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلا بحكمه فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم وأحسن أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور"[١].

ثالثاً: الصلاة والسلام عليه ﷺ.

ليعلم المسلم أن الصلاة على رسول الله ﷺ هي من أفضل القربات وأزكى الطاعات عند الله تعالى، وهي دليل وأمارة على محبة العبد للرسول ﷺ لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولهج به لسانه على الدوام، كما أن الصلاة عليه ﷺ هي من أفضل الأعمال وهي من الأذكار لتضمنها لذكر الله تعالى وذكر رسوله ﷺ.

قال ابن القيم رحمه الله في كلامه عن الصلاة على رسول الله ﷺ:

"إنها متضمنة لذكر الله تعالى وشكره ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه قد تضمنت صلاته على ذكر الله وذكر رسوله وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلى طريق مرضاته وعرفنا مالنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فهي متضمنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجوب الرب المدعو

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٧٢-١٧٣).

وعلمه وسمعه وقدرته و إرادته وحياته وكلامه وإرسال رسوله وتصديقه في أخباره كلها وكمال محبته ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان فالصلاة عليه متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه به ومحبته له فكانت من أفضل الأعمال"[١].

وقد كثرت المواطن التي يُصلى فيها عليه ﷺ، وكثرها تدل على أهميتها ومترلتها وعظيم قدرها إذ جعلت في أعظم العبادات وهي الصلاة

فمن مواطن الصلاة على النبي ﷺ[٢]:

أولاً: في التشهد للصلاة.

ثانياً: بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة.

ثالثاً: بعد إجابة المؤذن.

رابعاً: عند الدعاء.

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد ﷺ خير الأنام ص ٤٥٣-٤٥٤ لابن القيم (ط٢/١٤٠٧ هـــ دار العروبة الكويت، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط).

(٢) انظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ تأليف الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي، والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٦٣٣/٢)، وجلاء الأفهام لابن القيم ص٣٢٧، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للسخاوي، والسنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري ص٢٣٣-٢٣٨، وحقوق المصطفى ﷺ على أمته للدكتور محمد خليفة التميمي (٥٢٣/٢) (ط١/١٤١٨ هـــ،أضواء السلف، الرياض).

خامساً: عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

سادساً: عند ذكره.

سابعاً: في خطبة الجمعة وغيرها من الخطب كالعيدين.

ثامناً: في صلاة الكسوف والخسوف.

تاسعاً: عند كتابة اسمه ﷺ.

عاشراً: في بعض الأوقات كيوم الجمعة.

أما من حيث الوقت فالصلاة والسلام عليه ﷺ في كل وقت وخير الأوقات ما كان في صلاة أوعقبها.

والصلاة على النبي ﷺ لها صيغ كثيرة ونختار منها الصلاة الإبراهيمية، وهي كما ورد في حديث كعب بن عجرة[1] رضي الله عنه مرفوعاً: **«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[2].

---

(١) كعب بن عجرة الأنصاري المدني أبو محمد صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون وهو الذي نزلت فيه بالحديبية الرخصة في حلق رأس المحرم والفدية. انظر: الإصابة (٥٩٩/٥) تهذيب التهذيب (٣٩٠/٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير ، باب إن الله وملائكته يصلون على النبي (١٨٠٢/٤) ح٤٥١٩، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد (٣٠٥/١) ح ٤٠٦.

أما السلام عليه ﷺ :

فقد ورد السلام على رسول الله ﷺ في الذكر الذي يقال عند دخول المسجد وعند الخروج منه:

فعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: «**بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك**»[1].

والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ هي من امتثال الأمر الإلهي حيث أمرنا بذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾[2].

وينبغي مراعاة السنة في السلام على رسول الله ﷺ حيث أنه يُسلم عليه ﷺ بنفس السلام الوارد في التشهد: «**السلام عليك أيها النبي رحمة الله وبركاته**».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ، باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد (١/١٢٦) ح٤٦٥ عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي.. الحديث»، وابن خزيمة في صحيحه عن أبي هريرة أيضاً (١/٢٣١) ح ٤٥٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف (١/٢٩٨) ح٣٤١٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٥٢٨).

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٥٦.

وأما بالنسبة لمن كان في المدينة فلا يسن له إتيان القبر في كل وقت للسلام على رسول الله ﷺ بل المشروع لكل من دخل مسجده أن يسلم على النبي ﷺ كباقي المساجد، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجيؤون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه لعلمهم رضي الله عنهم بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك وبما نهاهم عنه وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفي التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته[1].

والسلام على رسول الله ﷺ يصل إليه ولو كان المسلّم في شرق الأرض أو مغربها وفي أي بقعة من بقاع الأرض لقوله ﷺ : **«إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»**[2].



---

(١) اقتضاء الصراط (١/٣٦٥-٣٦٦) وانظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٤١٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٤٤١) والنسائي كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ (٣/٤٣) ح ١٢٨٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٧٤.

الفصل الثالث:

في كون الذكر يرسخ الإيمان باليوم الآخر في نفس الذاكر:

وفيه مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذكر على عذاب القبر ونعيمه.

المبحث الثاني: دلالة الذكر على الجنة ونعيمها.

المبحث الثالث: دلالة الذكر على النار وعذابها.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

توطئة:

إن الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة ولا يصح إيمان عبد إلا بالإيمان به، وهذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد يجرُّ على المؤمن الفوائد الجمة والمنافع العظيمة في دينه ودنياه وآخرته، بل يجرّ على المجتمع ككل الخير والسعادة والراحة والطمأنينة؛ إذ إنه سيصبح الجميع خائفين حاذرين ذلك اليوم الذي يجازى فيه المسيء على إساءته، ويثاب المحسن على إحسانه فلا شك أنه سيقل الشر والأذى ويكثر الخير والنفع بين الناس.

ويكون الإيمان به: بأن يصدق المؤمن تصديقاً جازماً بكل ما أخبر به الله ﷻ ورسوله ﷺ عن ما يكون في هذا اليوم.

ويدخل فيه الإيمان بالساعة وأشراطها الكبرى والصغرى وبالموت وما بعده مما يكون في القبر من عذاب ونعيم وبالنفخ بالصور وببعث الناس من قبورهم وما يكون من أهوال يوم القيامة من تطاير الصحف ودنو الشمس ونصب الموازين والصراط والحوض والشفاعة والقنطرة والجنة وما فيها من نعيم وبالنار وما فيها من عذاب وتفاصيل هذه الأمور وما يتعلق بذلك مما هو مذكور في الكتاب والسنة

والإيمان باليوم الآخر هو من الإيمان بالغيب وقد مدح الله من آمن بالغيب في أوائل سورة البقرة ووعدهم بالهداية والفلاح فيجب التسليم

وعدم التعمق في البحث عن كيفية تلك الأهوال والأحوال لكيلا تؤدي إلى الشك والتكذيب وقد دلت آيات كثيرة على وجوب الإيمان به منها:

قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[3].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[4]

وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾[5]

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[6].

وذم سبحانه وتعالى من كذب بالآخرة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة الآية: ٦٢.

(٣) سورة النساء الآية: ١٣٦.

(٤) سورة الطلاق الآية: ٢.

(٥) سورة التغابن الآية: ٧.

(٦) سورة المؤمنون الآية: ١٥، ١٦.

(٧) سورة يونس الآية: ٧.

وغير هذه الآيات كثيرة جداً مما يتعلق باليوم الآخر بشكل عام أو بمشهد من مشاهده وجزء من أجزائه، أو ردٌّ على من أنكره وكذب به ودحض شبهات المنكرين.

كما بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم البراهين الدالة على وجود يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين، وأن الناس سيبعثون بعد موتهم ليجازون على أعمالهم إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

فمن الطرق والمسالك التي جاءت في القرآن الكريم لإثبات المعاد والبعث بعد الموت واليوم الآخر(١):

١- الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم في الدنيا: كقصة إبراهيم عليه السلام مع الطير، وقصة أصحاب البقرة، وكذلك الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فأماته الله مائة عام ثم بعثه وقصة أصحاب الكهف وغيرها، ممن أحياه الله سبحانه في هذه الدنيا بعدما أماته

٢- الاستدلال بالنشأة الأولى على الآخرة قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾(٢).

---

(١) انظر أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٢٠٣-٢٠٤) (ط/١٣٨٦هـ، مطبعة المدني).

(٢) سورة يس الآية: ٧٩.

٣- الاستدلال بما هو أعظم من البعث وخلق الأجساد مرة أخرى مثل خلق السماوات والأرض، قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[1].

٤- الاستدلال على البعث بإحياء الأرض بعد موتها قال تعالى: ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَ ٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾[2].

فهذه مسالك شرعية عقلية فمن كان ذا عقل واستعمله وتدبر هذه الآيات الواضحات آمن بالبعث والمعاد واليوم الآخر وانشرح صدره لذلك، و لم يدخل في قلبه أدنى شك باليوم الآخر، وأما من عميت بصيرته فأعرض عن هذه الدلالات البينات وأنكر ما أخبر به فاطر الأرض والسموات، وغفل عن هذه الآيات فسيكون مع الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾[3].

كما دلت السنة أيضاً على وجوب الإيمان باليوم الآخر فمن تلك الأحاديث حديث جبريل عليه السلام وفيه قوله ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره**

---

(١) سورة يس الآية: ٨١.

(٢) سورة ق الآية: ١١.

(٣) سورة يونس الآية: ٧-٨.

وشره»[١] وغيره من الأحاديث.

وكما دلّ الكتاب والسنة على ذلك فإن الفطر السليمة تشهد بذلك إذ إن صاحب الخير والعمل الصالح لا بد أن يأت يوم يثاب عليه وكذلك صاحب العمل السيئ لابد من يوم يأتي ويعاقب على عمله وإن الظالم مهما امتد ظلمه،لابد أن يأت يوم يقتص للمظلوم الضعيف منه، وهذا من عدل الله تبارك وتعالى، كما أن صاحب الفطرة السليمة ينظر من حوله فيرى كل شيء يدل على ذلك ففصل الربيع مثلاً من فصول السنة وإحياء الأرض بعد موهّا وغير ذلك من الآيات تدل على أن هناك عالماً آخر بعد الموت.

واليوم الآخر والمعاد مما اتفقت على الإيمان به جميع الشرائع، فالأنبياء والرسل جميعهم أنذروا أقوامهم هذا اليوم قال تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[٢]

فالكفار يعترفون بذلك لما يساقون إلى نار جهنم ولكن لا ينفعهم ذلك الاعتراف.

(١) تقدم تخريجه ص ٧٠٠.

(٢) سورة الزمر الآية: ٧١.

وقال تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ ﴾(٢).

قال الشوكاني رحمه الله: "والحاصل أن هذا الأمر (يعني المعاد والبعث) اتفقت عليه الشرائع ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم و لم يخالف فيه أحد منهم وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل و لم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط"(٣)

هذا وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على الساعة وعلى بعض أشراطها والبعث والنشور ورجوع الناس لرب العالمين وعلى القبر وعذابه والجنة والنار وما فيهما وسأتكلم على ذلك في المباحث الآتية:



---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٣٠.

(٢) سورة الملك الآيتان ٨-٩.

(٣) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد و المعاد والنبوات ص ١٤ (ط١/ ١٤٠٤) بيروت لبنان) وانظر مجموع الفتاوى (٢٦٦/٤)، (٢٨٤/٤)، (٣٠/٩).

المبحث الأول:

دلالة الأذكار على فتنة القبر وعذابه و نعيمه:

من أصول أهل السنة والجماعة التي يجب الإيمان بها الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة فهو أول منازل الآخرة.

قال رسول الله ﷺ : **«إن القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشد منه»**[١].

ومن النصوص القرآنية الدالة على عذاب القبر قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الزهد ، باب ٥ (٥٥٣/٤) ح ٢٣٠٨، وابن ماجة في سننه: كتاب الزهد ، باب ٣٢ (١٤٢٦/٢) ح٤٢٦٦، والحاكم في المستدرك (٣٣٠/٤) وقال:هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع برقم ١٦٨٤، وفي صحيح سنن الترمذي (٢٦٧/٢) ح١٨٧٨.

(٢) سورة الطور الآية: ٤٧.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[١]وقوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٢]، وقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

ودل على هذه الآية حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه: « **فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيّ محمد ﷺ، فقال ﷺ : «فذلك قوله سبحانه:** : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ۖ﴾... »[٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[٦].

وأما من السنة: فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذاب القبر

---

(١) سورة السجدة الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة الآية: ١٠١.

(٣) سورة الواقعة الآيتان: ٨٨-٨٩.

(٤) سورة إبراهيم الآية: ٢٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر (٤٦١/١) ح ١٣٠٣، ومسلم في صحيحه: كتاب صفة الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٢٠١/٤) ح٢٨٧١.

(٦) سورة غافر الآية: ٤٦.

والتعوذ منه[١].

من ذلك ما وردعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال:هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «**نعم عذاب القبر حق**»، قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[٣].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥١/١٨)، وكتاب أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور لابن رجب الحنبلي ص ٣٩،(تحقيق محمد سيد زغلول دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٤٠٥ هـ)، ومعارج القبول للحكمي (١٤٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي(٤٦٤/١) ح١٣١٣، ومسلم في صحيحه: كتاب صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢١٩٩/٤) ح ٢٧٦٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر (٤٦٢/١) ح١٣٠٦.

وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على أن في القبر عذاباً يعذب به من يستحقه سواء كان كافراً، أو عاصياً شاء الله أن يعذبه، فإذا ثبت أن من خالف أوامر الله يعذب فبالمقابل من أطاع الله واتبع ما أمره واجتنب ما نهاه عنه فإنه ينعم في حياته البرزخية كما هو ثابت بالنصوص الشرعية الكثيرة من الكتاب والسنة.

فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته قبل السلام من عذاب القبر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال»**[١].

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: (من عذاب القبر) فيه رد على من أنكره"[٢].

وقال في قوله ﷺ: **«وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»** : "وقيل أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة وهذا من العام بعد الخاص لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات وفتنة الدجال داخله تحت فتنة المحيا"[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٤١٢/١) ح ٥٨٨.

(٢) فتح الباري (٣١٨/٢).

(٣) فتح الباري (٣١٩/٢).

وقد نص العلماء رحمهم الله على عذاب القبر وفتنته، ونقلوا إجماع السلف على ذلك:

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "وعذاب القبر حق: يسأل العبد عن دينه وعن ربه، ويرى مقعده من النار والجنة، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبور نسأل الله ﷻ الثبات"(١).

وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويُسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته"(٢)، نسأل الله أن يجعلنا ممن يحبه ويثبتنا إنه غفور رحيم.

وقال عبد الغني المقدسي رحمه الله: "والإيمان بعذاب القبر حق واجب وفرض لازم رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأبو أيوب...إلخ"(٣) ثم ذكر بقية من رواه عن النبي ﷺ من الصحابة وأوصلهم إلى اثني عشر صحابياً.

---

(١) السنة للإمام أحمد بن حنبل ص ٤٦ –٤٧ (مطبعة السنة المحمدية، القاهرة سنة ١٣٧٥هـ، تحقيق محمد حامد الفقي).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٧٩ (ط١/١٤٠٩هـ مؤسسة علوم القرآن، دمشق تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٢.

وقال النووي رحمه الله: "والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا، خلافاً للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة فقد نفوا ذلك"[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا"[٢].

فهذه بعض النقولات عن بعض الأئمة رحمهم الله تدل على ما قررناه من إثبات عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين، والنصوص من الكتاب والسنة واضحة جلية فلا يلتفت إلى من خالف في هذا الباب والله وحده الموفق و الهادي للصواب.

وقد قرر العلماء أن العذاب والنعيم في القبر يحصل لروح الميت وبدنه وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فليعلم أن مذهب سلف

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٠١/١٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٩.

الأمة وأئمتها: إن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة"[١].

وقال ابن رجب: "ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة في تضييق القبر حتى تختلف أضلاعه ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة، لم يختص العذاب بالقبر و لم ينسب إليه"[٢].

فالحاصل أن المؤمن ينعم في قبره، والكافر يعذب في قبره، وقد يعذب العاصي الموحد بسبب ما عنده من المعاصي والذنوب أو بسبب إتيانه بسبب من أسباب عذاب القبر، إذ إن أسباب عذاب القبر منها ما هو بسبب الشرك والكفر ومنها ما هو دون الكفر من المعاصي كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه مر بقبرين يعذبان فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر[٣] من**

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٨٤).

(٢) أهوال القبور ص ٨١.

(٣) قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (١/٣١٨):

"قوله: (لا يستتر) كذا في أكثر الروايات بمثناتين من فوق الأولى مفتوحة والثانية

=

البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا:يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: «لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»(١).

فدل هذا الحديث على عذاب القبر وأن لعذاب القبر أسباباً ينبغي للمسلم أن يتحاشاها، منها ما ورد في هذا الحديث: عدم الاستتار من البول وعدم التتره منه وكذلك النميمة نسأل الله العافية والسلامة منهما.

ويبقى الأموات في قبورهم إما في نعيم أو عذاب وجحيم إما في روضة من رياض الجنة وأصحابها هم المؤمنون الخلص، أو في حفرة من حفر النار والعياذ بالله وأصحابها المخالفون لأمر الله، إلى أن يأذن الله بقيام الساعة وبعث الأجساد من القبور ليجازى كل واحد بعمله، أما الموحدون العصاة فهم يعذبون مدة بحسب جرمهم ثم ينقطع(٢).

= مكسورة وفي رواية ابن عساكر (يستبرىء) بموحدة ساكنة من الاستبراء، ولمسلم وأبي داود في حديث الأعمش يستتره بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء فعلى رواية الأكثر معنى الاستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه فتوافق رواية (لا يستتره) لأنها من التنـــزه وهو الإبعاد وقد وقع عند أبي نعيم في المستخرج من طريق وكيع عن الأعمش كان لا يتوقى وهي مفسرة للمراد.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز ، باب وضع الجريد على القبر (٤٥٨/١) ح١٢٩٥.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠١.

هذا وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على قيام الساعة، وأنها آتية لا ريب فيها وأن العباد راجعون ومنقلبون إلى الله سبحانه وأن الله سبحانه إليه النشور وإليه المصير.

وقبل الخوض في ذكر أحاديث الأذكار الدالة على ذلك أقول:

إن علم الساعة مردود إلى الله لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى فلا يعلم وقوعها أحد إلا الله وهي من الغيب الذي يجب الإيمان به.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾[2].

وحديث جبريل المشهور**«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»** فكلاً من السائل جبريل عليه السلام،والمسؤول رسول الله ﷺ لا يعلما قيامها مع أنهما أفضل الخلق.

كما أن هذا الحديث يدل على أن للساعة أمارات وعلامات تدل على قرب وقوعها إذ من رحمته سبحانه بعباده أنه لما أخفى وقت وقوعها عن الخلق وقصر علمها على نفسه جعل لها علامات وأمارات تدل على قربها، لعل الناس يتذكرون إذا رأوا بعضها فيعودوا إلى ربهم.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٨٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٦٣.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[١]، والمراد بأشراطها العلامات التي يعقبها قيام الساعة[٢].

وفي الكتاب والسنة نصوص كثيرة في أشراط الساعة الصغرى والكبرى، وقد صُنِّف فيها الكثير من الكتب مثل: (التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي، والنهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، وكتاب الإشاعة للبرزنجي، وكتاب الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصديق حسن خان، وكتاب إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة لحمود بن عبد الله التويجري، وأشراط الساعة ليوسف الوابل...وغيرها) وسأتكلم هنا على ما دلت عليه الأذكار فقط وهي:

فتنة المسيح الدجال

كما سبق أن الساعة لها أشراط وعلامات منها الكبرى ومنها الصغرى.

ومن أعظم العلامات: خروج المسيح الدجال.

فهي فتنة أعظم الفتن التي يبتلي بها الناس وسمي مسيحاً لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً.

قال ابن الأثير رحمه الله:"وأما الدجّال فسُمِّي به (أي مسيحاً) لأن عينَهُ الواحدة ممسوحة، ويقال: رجلٌ ممسوحُ الوجه ومَسيحٌ وهو ألاّ يبقى

---

(١) سورة محمد الآية: ١٨.

(٢) انظر جامع أحكام القرآن للقرطبي (١٦/٢٤٠) وتفسير ابن كثير (٤/١٧٨).

على أحدِ شِقَيْ وجههِ عينٌ ولا حاجبٌ إلاّ استَوى، وقيل لأنه يمسحُ الأرض أي يقطعُها"[١].

وقد حذر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم منه قال رسول الله ﷺ : **«ما بُعث نبي إلا وقد حذر أمته الأعور الكذاب»**[٢].

وقد وصفه رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة وجلّى أمره حتى لا يلتبس على الناس من ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال:

«إن الله تعالى ليس بأعور ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة»[٣].

وغير ذلك من الأحاديث الصحاح الواردة في الدجال[٤].

وأما وروده في الأذكار ففي ما يقال قبل السلام من الصلاة وهو قول المصلي: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم و من عذاب القبر

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣٢٧/٤)، وانظر فتح الباري لابن حجر (٣١٨/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال (٢٦٠٨/٦) ح٦٧١٢، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال (٢٢٤٨/٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٢٤٧/٤) ح ١٦٩.

(٤) انظر صحيحي البخاري ومسلم: كتاب الفتن من كل منهما.

ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال»[١].

وإنما كانت فتنة عظيمة ويستعاذ بالله منها لما يظهره الله على يديه من خوارق العادات وخروجه عن المألوف المعتاد كإنزال الأمطار وإحياء الأرض وما معه من جنة و نار وسمي دجالاً: لأنه يغطي الحق بالباطل ويلبس على الناس[٢].

وأما ما يدل من الأذكار على الساعة والبعث والنشور والرجوع إلى الله تعالى فمنها:

ما ورد عنه ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يقول عند قيامه للتهجد: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن...وفيه:ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق النار حق والنبيّون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق»** [٣].

فقوله ﷺ : (ووعدك حق): فيه دليل على أن هناك يوماً ينجز الله فيه ما وعد عباده على لسان أنبيائه ورسله من الثواب الجزيل في الجنة على ما عملوه من صالح الأعمال، فوعد الله محقق لا محالة إذ إنه سبحانه لا يخلف الميعاد، فكل شيء وعد الله به في كتابه أو على لسان رسوله

---

(١) سبق تخرجه ص ٧٦٨.

(٢) انظر فتح الباري (٩١/١١).

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

مـــن الـــيوم الآخـــر والثواب والنصر لأوليائه والفوز في الدنيا والآخرة، والعقاب والخسارة في الآخرة لأعدائه فهو حق وكائن لا محالة وسيكون كما وعد لا يتخلف تحقيقه ووقوعه قيد أنملة قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾﴾(٣) وهو يوم القيامة فهو من وعد الله وهو حق كائنٌ لا محالة ولا شك فيه.

وقال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٤)، إلى غير ذلك.

وقوله ﷺ: (**ولقاؤك حق**): فيه كذلك دليل على البعث والنشور وقيام الناس لرب العالمين.

قال الطيبي رحمه الله:"والمراد بلقاء الله تعالى المصير إلى الدار الآخرة،

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩٤-١٩٥.

(٢) سورة القصص الآية: ٦١.

(٣) سورة البروج الآيتان ١-٢.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ١٠٣.

وطلب ما هو عند الله وليس الغرض منه الموت"(١).

وقال ابن حجر رحمه الله:

"قوله: **(ولقاؤك حق)** فيه الإقرار بالبعث بعد الموت وهو عبارة عن مآل الخلق في الدار الآخرة بالنسبة إلى الجزاء على الأعمال"(٢).

ولقاؤه سبحانه وتعالى مذكور في آيات كثيرة.

قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٥) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على لقاء الله تعالى.

وقوله ﷺ : (والساعة حق): أي أن قيامها واقع لا محالة وأنها آتية لا ريب فيها كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾(٦).

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١١٢/٣).

(٢) فتح الباري (٤/٣).

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ٤٦.

(٥) سورة العنكبوت الآية: ٢٣.

(٦) سورة الحج الآية: ٧.

و"الساعة لغة تطلق على جزء قليل من اليوم والليلة، ثم استعير للوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة حقيقة يحدث فيها أمر عظيم"[١].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (**والساعة حق**) أي يوم القيامة وأصل الساعة القطعة من الزمان وإطلاق اسم الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها وإنها مما يجب أن يصدق بها وتكرار لفظ (حق) للمبالغة في التأكيد"[٢].

ومن أحاديث الأذكار الدالة على البعث والنشور: ما ورد عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللهم أموت وأحيا» وإذا استيقظ من منامه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» [٣].

قال النووي رحمه الله:

"قوله ﷺ: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور) المراد بــ (أماتنا) النوم، وأما النشور فالإحياء للبعث يوم القيامة، فنبّه ﷺ بإعادة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (١١٣/٣).

(٢) فتح الباري (٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح (٢٣٣٠/٥) ح ٥٩٦٥، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء: ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع(٤/ ٢٠ ٨٣)ح٢٧١١.

اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت، قال العلماء: وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله كما سبق وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب"(١).

وقال ابن حجر رحمه الله:

"قوله (وإليه النشور): أي البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة يقال نشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا"(٢).

ومما يدل على أن الصيرورة إلى الله تعالى والرجعة إليه يوم القيامة ما ورد من أذكار الصباح والمساء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه يقول:

«إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير وإذا أمسى فليقل اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور»(٣).

---

(١)شرح صحيح مسلم للنووي (٣٥/١٧).

(٢) فتح الباري (١١٤/١١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٥٤/٢)، والبخاري في الأدب المفرد ، باب ما يقول إذا أصبح ص ٤١١، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا أمسى ص ٣٧٨ ح ٥٦٤، والترمذي في سننه: كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٤٦٦/٥) ح ٣٣٩١ وقال:هذا حديث حسن، وابن ماجه في سننه: كتاب الدعاء: ، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (١٢٧٢/٢) ح ٣٨٦٨ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٤/١٠): أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

فقوـــله ﷺ: (وإلـــيه المصير) أي البعث والرجوع في الآخرة، ومآل العـــباد ومصـــيرهم إلى الله، ووقوفهم غداً سيكون بين يدي الله فيجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، ويحكم بينهم الله سبحانه الذي لا يجور في حكمه فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا.

قال ابن القيم رحمه الله: "والصيرورة إلى النوم بمترلة الموت والمصير إلى الله، ولهـــذا جعل الله سبحانه في النوم الموت والانتباه بعده دليلاً على البعث والنشور لأن النوم أخو الموت والانتباه نشور وحياة"[١].

والذكر الذي يقال عند ركوب الدابة للسفر فيه الدلالة على أننا إلى ربـــنا منقلبون، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال:

«ســـبحان الذي سخر لنا هذا وما كناله مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطوي عنا بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[٢].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٢٧٧/١٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج، ، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره (٩٧٨/٢) ح ١٣٤٢.

وهذا الحديث تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[١].

فقوله: (لمنقلبون) أي: صائرون إليه ومردودون ومبعوثون إليه يوم القيامة.

قال ابن جرير رحمه الله:

"وقوله: **(وإنا إلى ربنا لمنقلبون)** يقول جل ثناؤه: وليقولوا أيضاً: وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون"[٢].

فهذا الذكر يذكر المسافر بالقدوم على الله تعالى ويذكر باليوم الآخر والبعث والنشور فيستعد لذلك بالعمل الصالح وفعل الطاعات والتقوى، كما استعد وتأهب في سفره هذا الدنيوي فحمل الزاد والمال وما يحتاج إليه في سفره.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية السابقة: "﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد: (مقرنين) أي مطيقين، ﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ أي

---

(١) سورة الزخرف الآيات ١٢-١٤.

(٢) تفسير الطبري (٢٥/٥٥).

لصائرون إليه بعد مماتنا هذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾(١)، وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى: ﴿ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾(٢)"(٣).

والذكر الذي يقال عند نزول المصائب من فقد حبيب أو نقص مال أو حلول مرض أو خوف أو جوع أو أي ألم حسي أو معنوي يذكر باليوم الآخر، فعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها**».

قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ»(٤).

وهذا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٩٧.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير (١٢٤/٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجنائز ، باب ما يقال عند المصيبة (٦٣٢/٢) ح ٩١٨.

أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[١].

قال القرطبي رحمه الله:

"قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ جعل الله تعالى هذه الكلمات ملجأ لذوي المصائب وعصمة للممتحنين لما جمعت من المعاني المباركة فإن قوله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وقوله: ﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ إقرار بالهلك على أنفسنا والبعث من قبورنا واليقين أن رجوع الأمر كله إليه كما هو له"[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله:" ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ أي: تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة"[٣].

وقد شرح ابن القيم رحمه الله كلمة الاسترجاع (إنا لله وإنا إليه راجعون) شرحاً وافياً جميلاً فقال:

"وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته؛

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٧٦/٢)، وانظر جامع البيان للطبري (٤٢/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١٩٨/١).

فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبته:

أحدهما: أن العبد وأهله وماله مُلكٌ لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضاً فإنه ليس الذي أوجده من عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقى عليه وجوده فليس له تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور والمنهي لا تصرف المُلّاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما حوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء"[1].

فهذه أقوال أهل العلم تدلك دلالة واضحة على معنى الاســـترجاع

---

(١) زاد المعاد (١٨٩/٤).

وأنها متضمنة لمعنى البعث وقيام الساعة وأن نهاية الإنسان ومصيره أن يرجع إلى ربه كما خلقه أول مرة.

فما سبق ذكره من نصوص الأذكار يظهر لنا دلالتها على عذاب القبر والساعة وبعض أشراطها، وأن الناس سيرجعون إلى ربهم وينقلبون إليه فيجازيهم على أعمالهم.



المبحث الثاني:

دلالة الذكر على الجنة ونعيمها:

إن الإيمان بالجنة هو جزء من الإيمان باليوم الآخر وهو واجب على كل مسلم، فقد أعدها الله سبحانه تفضلاً منه وتكرماً لعباده الصالحين، وجعل فيها النعيم المقيم وجعل فيها ما يفوق الوصف والخيال، ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من الحور والقصور و السرور والحبور، وأهلها في سعادة أبدية لا تنتهي ونعيم لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ولا يبولون فيها ولا يتغوطون، رشحهم أطيب من ريح المسك، ووجوههم مشرقة كالكوكب الدري، لا يصيبهم همٌّ و لا خوفٌ ولا هم فيها يحزنون، لهم فيها ما يشاؤون وما يتخيرون، قال تعالى فيهم: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[2].

وقال سبحانه و تعالى واصفاً بعض ما في الجنة من نعيم: ﴿ مَّثَلُ

(١) سورة الأعراف الآية: ٤٩.

(٢) سورة الحجر الآية: ٤٥.

ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

ورغّبنا سبحانه فيها في أكثر من آية وأمر بالمسارعة إليها والمسابقة وذلك بسلوك الطريق الموصل إليها من الإكثار من الأعمال الصالحة فقال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة محمد الآية: ١٥.

(٢) سورة الدخان الآيات ٥١-٥٧.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٣٣.

(٤) سورة الحديد الآية: ٢١.

والذكر هو أحد الطرق الموصلة إلى الجنة فقول: (لا إله إلا الله) بصدق يدخل قائلها الجنة بإذن الله، والأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير هي غراس الجنة، فالجنة قيعان وهذه الأذكار غراسها كما سبق ذلك عند الكلام على فوائد الذكر.

كما ورد في السنة المطهرة الشيء الكثير في وصفها ووصف أهلها وما هم فيه من النعيم المقيم وهناءة العيش وطمأنينة النفس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« **قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب الله:** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1]»[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن في الجـــنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههـــم وثـــيابهم فيزدادون حُسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً !! فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً !»[3].

---

(١) سورة السجدة الآية: ١٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة الجنة ونعيمها (٢١٧٤/٤) ح ٢٨٢٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صفة الجنة ونعيمها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال (٢١٧٨/٤) ح ٢٨٣٣.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء»(١).

وقد دلت بعض أحاديث الذكر على الإيمان بالجنة وأنها حق لا ريب فيها ولا شك، فلا يشك بوجودها إلا كل معاند مكابر ليس له اطلاع على نصوص الكتاب والسنة ومن هذه الأحاديث حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذكره لما كان يقوله ﷺ بعد تكبيره للتهجد وفيه: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض....إلى أن قال: والجنة حق والنار حق...»** الحديث(٢).

وفي الذكر المطلق: ما ورد عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة الجنة ونعيمها، ، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر (٢١٧٩/٤)ح٢٨٣٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

مـــنه، والجـــنة حـــق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»(١).

فقوله ﷺ: (والجنة حق والنار حق) أي موجودتان لا ارتياب فيهما وفيه الرد على من قال أنهما غير موجودتين الآن.

قال ابن حجر رحمه الله:

"قوله: (والجنة حق والنار حق) فيه إشارة إلى أنهما موجودتان"(٢).

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد:

"أي وشهد أن الجنة التي أخبر الله بها في كتابه أنه أعدها لمن آمن به وبرسوله (حق): أي ثابتة لا شك فيها، وشهد أن النار التي أخبر الله في كتابه أنه أعدها للكافرين به وبرسله، حقٌّ كذلك، كما قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٤).

وفيهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأهل البدع

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٤٢.

(٢) فتح الباري (٣/٤).

(٣) سورة الحديد الآية: ٢١.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٤.

الذين قالوا: لا يخلقان إلا في يوم القيامة، وفيه دليل على المعاد وحشر الأجساد"[١].

وكونهما مخلوقتين موجودتين هو مما اتفق عليه أهل السنة قاطبة، لدلالة النصوص الشرعية على ذلك.

ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى ظهرت فرقة المعتزلة والقدرية فأنكروا ذلك بناء على أصولهم الفاسدة منها: أن الله ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، فادّعوا أن وجودهما عبث لا يجوز فعله من الله، وهكذا اجترؤوا على الله ونفوا عنه حكمته تعالى الله عن قولهم، وقد رد عليهم العلماء في هذه المسألة بنصوص الكتاب والسنة ولله الحمد والمنة[٢].

هذا وإن أعظم نعيم على الإطلاق لأهل الجنة هو رؤيتهم لربهم فرؤيته سبحانه أعظم مطلوب وأجلّ مرغوب، وهي ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٦٤.

(٢) انظر هذه المسألة في: الشريعة للآجري ص ٣٨٧ وما بعدها، و الشرح والإبانة لابن بطة (ص ٢٠٦) (تحقيق رضا بن نعسان معطي ط/١٤٠٤هـ، توزيع المكتبة الفيصلية بمكة)، وشرح أصول الاعتقاد للالكائي (١٢٥٦/٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص ٦٦، والحجة في بيان المحجة للتيمي (٥٠٨/١) ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٣٤٩/١) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٢٠ وما بعدها، وأعلام السنة المنشورة للحكمي ص ٧٠.

(٣) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٧ وما بعدها، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ وما بعدها ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٣٧/٢).

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[(١)].

وقد ذكر سبحانه أن الكفار محجوبون عن رؤيته في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[(٢)] فلما حجب أعداءه بالسخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضا.وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[(٣)].

كما دلت على ذلك السنة[(٤)] منها:

أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: إن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فإنكم ترونه كذلك...»**[(٥)].

وقال النبي ﷺ: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء**

---

(١) سورة القيامة الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٢) سورة المطففين الآية: ١٥.

(٣) سورة يونس الآية: ٢٦.

(٤) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٦٨ وما بعدها.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/١٦٣-١٦٤) ح١٨٢.

الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[١]، وقال رسول الله ﷺ:**«إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟! قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»**[٢].

وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على الرؤية منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما فيما كان يقوله ﷺ عند قيامه للتهجد وفيه: **«اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض... إلى أن قال: ولقاؤك حق »** [٣].

فاللقاء يقتضي الرؤية قال ابن القيم رحمه الله: "أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع، اقتضى المعاينة والرؤية"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ثبت في السنة المتواترة واتفاق سلف الأمة...أن الله سبحانه وتعالى يرى في الدار الآخرة بالأبصار عياناً..."[٥].



---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١) ح١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١) ح١٨١.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٢٠٤ (مطبعة النهضة الحديثة، ط٣/١٣٩٢هـ).

(٥) بيان تلبيس الجهمية (٣٤٨/١).

المبحث الثالث:

دلالة الأذكار على النار وعذابها

إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، وأرسل لهم الرسل لذلك الأمر فمن استجاب وعبد الله سبحانه واتبع أمره أدخله الجنة بفضله وكرمه، ومن عصى و استكبر وخالف أمره أدخله سبحانه النارَ بعدله، وقد تكلمت في المبحث السابق عن الجنة ونعيمها، والآن أتكلم على النار وعذابها ودلالة الأذكار على ذلك.

فالنار دار الشقاء والثبور والذل والهوان، دارٌ كتب الله على أهلها الخزي والندامة والحسرة والعذاب الشديد فهم يتقلبون من عذاب إلى آخر في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، أمانيهم فيها الهلاك، ومالهم منها من مخرج ولا فكاك، ينادون ويستغيثون أن يخفف عنهم يوماً من العذاب فلا يجابون لذلك، إن عطشوا سقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم، وإن طعموا فطعامهم الزقوم والغسلين والعياذ بالله من ذلك.

وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة في وصف النار وأهلها وما هم فيه من العذاب فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً

وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾[4].

وغير ذلك من الآيات التي وصفت النار وأهلها وهي كثيرة جداً.

وكما ورد في القرآن الكريم وصف النار وأهلها، فكذلك قد ورد في السنة أيضاً فقد قال رسول الله ﷺ واصفاً النار: «**يؤتى بجهنم يومئذ**

(١) سورة النبأ الآيات ٢١-٣٠.

(٢) سورة الحج الآيات ١٩-٢٢.

(٣) سورة الصافات الآيات ٦٢-٦٨.

(٤) سورة الكهف الآية: ٢٩.

لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم»، قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله، **قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثل حرها»**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة[٣]، فقال النبي ﷺ: **«تدرون ما هذا؟»** قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»**[٤].

هذا وقد دلت بعض أحاديث الأذكار على الإيمان بالنار وأنها حق لا ريب فيها ولا شك فلا يشك بوجودها إلا كل معاند مكابر ليس له اطلاع على نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة النار ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين (٢١٨٤/٤) ح٢٨٤٢.

(٢) أخرجه مسلم: في صحيحه كتاب صفة النار، باب في شدة حرّ جهنم وبعد قعرها وما تأخذ على المعذبين (٢١٨٤/٤) ح ٢٨٤٣.

(٣) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٧٩/١٧):

"قوله: (سمع وجبة) هي بفتح الواو وإسكان الجيم وهي: السقطة".

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صفة النار ، باب في شدة حرّ جهنم وبعد قعرها وما تأخذ على المعذبين (٢١٨٤/٤) ح ٢٨٤٤.

ففي الذكر المطلق الذي ورد عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[١].

فقوله: (والجنة حق والنار حق) فيه إشارة إلى أنهما موجودتان[٢].

ومن أحاديث الأذكار أيضاً حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذكره لما كان يقوله ﷺ بعد تكبيره للتهجد وفيه:

«**اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق، والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق...**»[٣] الحديث.

---

(١) سبق تخريجه ص٧٤٢.

(٢) فتح الباري (٤/٣) وممن استدل بحديث عبادة رضي الله عنه على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، الإمام اللالكائي في"شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"(١٢٥/٦) ح ٢٢٣١.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله بعدما أورد هذا الحديث مستدلاً به على وجود الجنة والنار وخلقهما وأنهما حق لا ريب فيه:

"وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقّية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقّية وعده الصادق وهما أي الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع في كتابه، وفي حديث عبادة هذا[١] أنه ﷺ علّق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله ﷻ يوم القيامة لأهل النار: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٢]"[٣].

وكان رسول الله ﷺ يقول قبل سلامه من صلاته: **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال»**[٤].

فهذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على وجود النار وأن فيها عذاباً، نعوذ بالله منه.

وعذاب أهل النار متفاوت على حسب أعمالهم فالداعي إلى الكفر والضلالة والصادّ عن الهدى والإيمان أشدّ عذاباً ممن هو ليس كذلك،

---

(١) إشارة إلى حديث عبادة السابق ذكره قريباً.

(٢) سورة يس الآيات ٦٣-٦٤.

(٣) معارج القبول (٢/ ١٩٢) (ط٣/١٤٠٤هـ، المطبعة السلفية بمصر).

(٤) سبق تخريجه ص ٧٦٨.

فلكل واحد نصيبه على قدر شقائه وفساده في الدنيا نسأل الله العافية من ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[2].

ومن الأدلة الصريحة على وجود النار قوله تعالى:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾ ﴾[4].

وقوله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار»**[5].

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً[6].

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١٣٢.

(٢) سورة النحل الآية: ٨٨.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٤.

(٤) سورة الفتح الآية: ٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة (١/٣٢٠) ح ١١٢.

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٦/١٢٥٦-١٢٦٩)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٤٢٠ وما بعدها.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا مما يتعلق بالجنة والنار الإشارة إلى مذهب السلف من أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة:

قال الله تبارك وتعالى في أهل الجنة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[1].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾[2].

وقال تبارك وتعالى في أهل النار: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[3]

وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾[4].

وقال أيضاً: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[6].

---

(١) سورة النساء الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الرعد الآية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٦٧.

(٤) سورة فاطر الآية: ٣٦.

(٥) سورة المائدة الآية: ٣٧.

(٦) سورة الزخرف الآيتان: ٧٤-٧٥.

وعـــن عـــبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: **«يُدخِـــل اللهُ أهـــلَ الجنةِ الجنةَ ويدخل أهل النارِ النارَ، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول:يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه»**[١].

وغـــير ذلـــك من الآيات والأحاديث الدالة على ما قلنا من أبدية الجنة والنار[٢].

وقد أجمع السلف على هذا الأمر الذي خالفه بعض المبتدعة.

يقول الإمام الصابوني رحمه الله:

"ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها، خلقوا لها لا يخرجون منها أبداً، ويؤمر بالموت، فيذبح على سور بين الجنة والنار، وينادي المنادي يومئذٍ: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٢٣٩٦/٥) ح ٦١٧٨، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون (٢١٨٩/٤) ح ٢٨٥٠.

(٢) انظر شفاء العليل ص ٢٦٠، وزاد المعاد (٦٦/١)، وحادي الأرواح ص ٧٩ لابن القيم (تحقيق يوسف علي بديوي، ط١٤١١/١هـــ، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة)، و شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٢٥-٤٣٠، ومعارج القبول للحكمي (١٩٤/٢-١٩٨).

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٨١.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك"[(١)].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

"وقوله -أي الطحاوي-: "لا تفنيان ولا تبيدان" هذا قول جمهور السلف والخلف.... وقال بفناء الجنة و النار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض..."[(٢)].

وأقوال الأئمة في ذلك كثيرة تدور حول هذا المعنى الذي سبقت الإشارة إليه والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٣٠٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٤.

ويتبين لنا في نهاية المطاف مما سلف أن الذكر يدل دلالة واضحة على اليوم الآخر وما فيه من عذاب القبر وقيام الساعة والبعث والنشور والجنة والنار فينبغي شدّ الانتباه إلى هذه المسائل المهمة حال التلفظ بالأذكار حتى تتحقق الغاية من مشروعية الأذكار والله الموفق.



الفصل الرابع:

في كون الذكر يرسخ الإيمان بالقضاء والقدر وفيه الرد على الطوائف المخالفة في هذا الباب.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: دلالة الذكر على تحقيق القدر وإثباته والدلالة على العدل والحكمة.

المبحث الثاني: دلالة الذكر على الرد على الطائفتين المخالفتين في هذا الباب: القدرية والجبرية، ومناقشة مسائل خالفتا طريق الحق فيها.

المبحث الثالث: أحكام الرضى بقضاء الله وقدره.

المبحث الرابع: اشتمال الذكر على مراتب القضاء والقدر.

المبحث الخامس: بيان معنى"لا حول ولا قوة إلا بالله".



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

دلالة الذكر على تحقيق القدر وإثباته والدلالة على العدل والحكمة.

تعريف القضاء والقدر لغة واصطلاحاً:

القضاء لغة: الحكم والأداء والصنع والتقدير.

قال ابن منظور رحمه الله: "القَضاء: الحُكْم، وأَصله قَضايٌ لأَنه من قَضَيْت، إَلا أَنَّ الياء لما جاءت بعد الأَلف همزت...وقَضَى عليه يَقْضي قَضاء وقَضِيّةً، الأَخيرة مصدر كالأُولى، والاسم القَضِيَّة فقط؛...وقد تكرر في الحديث ذكر القَضاء، وأَصله القَطْع والفصل. يقال: قَضَى يَقْضِي قَضاء فهو قاضٍ إِذا حَكَم وفَصَلَ. و قَضاء الشيء: إِحْكامُه وإِمْضاؤُه والفراغ منه فيكون بمعنى الخَلْق.

وقال الأزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. وكلُّ ما أُحْكِم عمله أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فقد قُضِيَ. قال: وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث، ومنه القَضاء المقرون بالقَدَر، والمراد بالقَدَر التقدير، وبالقَضاء الخَلق كقوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَـٰوَاتٍ﴾ أَي: خلقهن...

و قَضَى الشيءَ قَضاء: صَنَعه وقَدَّره؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ

سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[١] أي فخلقهن وعَمِلهن وصنعهن وقطَعَهن وأحكم خلقهن"[٢].

وأما القدر لغة: فهو: القضاء والحكم ومبلغ الشيء[٣].

وقال ابن فارس:"القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء، وكنهه ونهايته.

فالقَدْر: مبلغ كل شيء، يقال: قدْره كذا: أي: مبلغه، وكذلك القَدَر ...

ثم قال: والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَر أيضاً"[٤].

أما تعريف القضاء والقدر اصطلاحاً:

فقد ذكر العلماء رحمهم الله تعريفات عدة للقضاء والقدر:

قال النووي رحمه الله:

"قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما

(١) سورة فصلت الآية:١٢.

(٢) لسان العرب(١٨٦/١٥)، وانظر الصحاح للجوهري (٢٤٦٣/٦).

(٣) القاموس المحيط (١٩٨/٢)، وانظر تهذيب اللغة (١٨/٩)، ولسان العرب (٧٤/٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٦٢/٥).

يكون من اكتساب العبد، وصدورها عن تقدير منه وخلقٍ لها خيرها وشرها، قال: والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر يقال: قدرت الشيء وقدرته، بالتخفيف والتثقيل، بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[١] أي: خلقهن"[٢].

وقال النووي رحمه الله أيضاً: "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: "والقدر عند أهل السنة: قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته"[٤].

وقال ابن حجر رحمه الله: "والقدر مصدر تقول قدرت الشيء بتخفيف الدال وفتحها أقدره بالكسر والفتح قَدَراً وقدْراً إذا أحطت

---

(١) سورة فصلت الآية: ١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٥).

(٣) شرح صحيح مسلم النووي (١/١٥٤).

(٤) شفاء العليل ص ١١٣ (ط/دار التراث، القاهرة).

بمقداره والمراد أن الله تعالى علم مقادير الأشياء و أزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة"(١).

والقضاء والقدر متلازمان كما قال الخطابي رحمه الله في هذه المسألة: "وجماع القول في هذا الباب أنهما أمران لا يَنْفك أَحدهما عن الآخر، لأَن أَحدهما بمنزلة الأَساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفَصْل بينهما فقد رام هَدْمَ البناء ونقْضه"(٢).

أما معنى الإيمان بالقضاء والقدر:

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"أصل هذه المسألة: أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان:

---

(١) فتح الباري (١/١١٨)، وانظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٣٤٨) طبعة ٢/ ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي).

(٢) معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي (٤/٣٢٣) (ط٢/١٤٠١هـ، منشورات المكتبة العلمية بيروت).

وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاها القائمة بها من أفعال العباد و غير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه.

وأنه سبحانه يعلم ما كان و ما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم.

قدر آجالهم وأرزاقهم و أعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[١].

فهذا تعريف شامل منه رحمه الله للإيمان بالقدر فدخل فيه الإيمان بمشيئة الله تعالى وبعلم الله تعالى الأزلي والإيمان بكتابة الأعمال والآجال

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩-٤٥٠).

والأرزاق، والإيمان بالخلق والإيجاد فهذه الأشياء الأربعة هي مراتب الإيمان بالقدر التي من آمن بها فقد حقق الإيمان بالقضاء والقدر.

والإيمان بالقضاء والقدر هو أصلٌ عظيم من أصول الدين وهو من أهم المهمات التي ينبغي الإحاطة بها وتعلمها؛ إذ هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان عبد حتى يكون معتقداً بها جميعها، وهي التي وردت مجتمعة في حديث جبريل عليه السلام وفيه: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[١].

والإيمان بالقدر فيه من المنافع والثمرات التي يجنيها المؤمن ما الله به عليم من الإخلاص والصبر والشجاعة والإقدام والتوكل والهداية والكرم والاستسلام والتواضع والشكر والطمأنينة وراحة النفس والقناعة والرضا والبعد عن الجزع والهلع وغير ذلك من المنافع الكثيرة جداً[٢].

فيؤمن العبد بما قدره الله من خير وشر وأن الله خلق الخلق وأعمالهم وعلم حالهم ومآلهم وشقيهم وسعيدهم وكتب ذلك في كتاب، وأن ما

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٠٠.

(٢) انظر: التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي ص١٠١ (ط١/١٤٢٠هـ أضواء السلف الرياض)، و"الجامع الصحيح في القدر"للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ص ١١-١٢، و"الإيمان بالقضاء والقدر"لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ٣١ (ط٢/١٤١٦ هـ دار الوطن) و"القضاء والقدر"للدكتور عمر الأشقر ص ١٠٩-١١٢ (ط٣/١٤١٥هـ/دار النفائس، الأردن).

أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وقد دلت نصوص كثيرة على هذا الأصل العظيم من الكتاب والسنة، كما أجمع عليه الصحابة وعلماء الأمة من السلف والخلف.

قال النووي رحمه الله: "قلت: وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه"(١).

أما أدلة الكتاب:

فقد قال الله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(٣)، وقال تبارك تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٥)، وقال تعالى:

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١٥٥).

(٢) سورة القمر الآية: ٤٩.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٥٤.

(٤) سورة يس الآية: ١٢.

(٥) سورة الحديد الآية: ٢٢.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[(١)] ، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[(٢)]،

قال بعض السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يُسلِّم[(٣)].

وقال ابن كثير رحمه الله:" ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته، ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدىً في قلبه ويقيناً صادقاً وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني يهدِ قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[(٤)].

وورد في السنة ما يدل على وجوب الإيمان بالقدر، كما في حديث جبريل السابق وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»**[(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٨.

(٢) سورة التغابن الآية: ١١.

(٣) مجموع الفتاوى (١٧٨/٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٧٦/٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر (٢٠٤٥/٤) ح ٢٦٥٥ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[(١)].

وأما أحاديث الأذكار الدالة على القدر والاستسلام لأحكام الله ﷻ فكثيرة جداً منها:

١- ما ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها أو ابناً لها في الموت، فقال للرسول: **«ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى»**[(٢)].

فهذا الذكر الذي يقال عند التعزية فيه دلالة واضحة على أن كل شيء قد قُدر وجُعل له أجل لا يتعداه فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون عنه ساعة ولا يستأخرون، فعلى المسلم أن يسلم لما قضاه الله وقدره ولا يجزع، وفيه أيضاً تسليةٌ للمصاب عن مُصابه، وتثبيت له على إيمانه، وتذكير له بالإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره (٤٥١/٤) ح ٢١٤٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٧٥٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب القدر ، باب: وكان أمر الله قدراً مقدوراً (٢٤٣٥/٦) ح٦٢٢٨، ومسلم في صحيحه: كتاب الجنائز ، باب البكاء على الميت (٦٣٥/٢) ح ٩٢٣.

قال النووي رحمه الله: "قوله ﷺ: **«إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى»** معناه الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى، وتقديره أن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم فلم يأخذ إلا ما هو له، فينبغي أن لا تجزعوا كما لا يجزع من استردت منه وديعة، وقوله ﷺ : **(وله ما أعطى)** معناه: أن ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه بل هو سبحانه وتعالى يفعل فيه ما يشاء، وقوله ﷺ: **(وكل شيء عنده بأجل مسمى)** معناه: اصبروا ولا تجزعوا فإن كل من يأت قد انقضى أجله المسمى فمحال تقدمه أو تأخره عنه فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم والله أعلم، وهذا الحديث من قواعد الإسلام المشتملة على جمل من أصول الدين وفروعه والآداب"[(١)]، والمراد بأصول الدين هنا الإيمان بالقضاء والقدر.

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[(٢)].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٢٢٤-٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٤/٢٠٥٢) ح٢٦٦٤.

وهذا الحديث فيه التصريح بتقدير الله ومشيئته، فما قدره و شاءه حاصل لا محالة فلا يجزع العبد على ما أصابه و لا يتحسر على ما فاته بل يسلم لما قدره الله عليه ويحتسب عند الله الأجر في ذلك ويقول: قدر الله وما شاء فعل، ولا يقل: لو فعلت كذا، حتى لا يدع للشيطان أي مجال للوسوسة فيبطل بذلك عمل الشيطان ويضمحل شره، ويخيب طمعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"**(لكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)** فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره إذا أصابته مصيبة مقدرة أن لا ينظر إلى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول: قدر الله وما شاء فعل، ولا يقو ل لو أني فعلت لكان كذا فيقدر ما لم يقع، يتمنى أن لو كان وقع، فإن ذلك إنما يورث حسرة وحزناً لا يفيد، والتسليم للقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم: الأمر أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه. وما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث:

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٣٢٠)، وانظر شرح الحديث في شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/٢١٦).

"فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبة وحالة فواته فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبداً بل هو أشد شيء إليه ضرورة وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهراً وباطناً في حالتي حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق"(١).

وقال ابن حجر رحمه الله:"وقال القرطبي في المفهم: المراد من الحديث الذي أخرجه مسلم أن الذي يتعين بعد وقوع المقدور التسليم لأمر الله والرضى بما قدر والإعراض عن الالتفات لما فات فإنه إذا فكر فيما فاته من ذلك فقال لو أني فعلت كذا لكان كذا جاءته وساوس الشيطان فلا تزال به حتى يفضي إلى الخسران فيعارض بتوهم التدبير سابق المقادير وهذا هو عمل الشيطان المنهي عن تعاطي أسبابه بقوله فلا تقل لو فإن لو تفتح عمل الشيطان وليس المراد ترك النطق بـــ (لو) مطلقاً إذ قد نطق النبي ﷺ بها في عدة أحاديث(٢) ولكن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت معارضة للقدر مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور لا ما إذا أخبر بالمانع على جهة أن يتعلق به فائدة في المستقبل فإن مثل هذا لا يختلف في جواز إطلاقه وليس فيه فتح لعمل الشيطان ولا ما يفضي إلى تحريم"(٣).

---

(١) شفاء العليل ص ١٩.

(٢) انظر : صحيح البخاري: كتاب التمني (٢٦٤٢/٦).

(٣) فتح الباري (٢٢٨/١٣).

٣- وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(١).

وقد استدل البخاري(٢) رحمه الله بهذا الحديث فأورده في صحيحه في كتاب القدر، وبوّب له: "باب لا مانع لما أعطى الله" مما يدل على دلالة الحديث على القدر ووجه الدلالة والله أعلم أنه لا أحد يمكن أن يعطي ما قدر الله منعه وعدم حصوله، أو يمنع شيئاً قدر الله أن يكون وأن يحصل، وفي ذلك دلالة على أن مشيئة الله نافذة في خلقه وما قدره الله كائن لا محالة وهذا كله داخل في باب القدر.

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث استحباب هذا الذكر عقب الصلوات لما اشتمل عليه من ألفاظ التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله والمنع والإعطاء وتمام القدرة"(٣).

٤- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك عدل فيّ قضاؤك**

---

(١) سبق تخريجه ص ٤١٧.

(٢) صحيح البخاري (٢٤٣٩/٦).

(٣) فتح الباري (٣٣٢/٢-٣٣٣).

أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً، قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»(١).

فقوله ﷺ: (ماض في حكمك عدل فيّ قضاؤك) فيه دلالة على الإيمان بالقضاء والقدر، قال ابن القيم رحمه الله:

"وقوله: (ماض في حكمك عدل في قضاؤك) متضمن لأصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد:

أحدهما: إثبات القدر وأن أحكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها.

والثاني: أنه سبحانه عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان فإن الظلم سببه حاجة الظالم أو جهله أو سفهه فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم ومن هو غني عن كل شيء وكل شيء فقير إليه ومن هو أحكم الحاكمين فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده كما لم يخرج عن قدرته ومشيئته فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئته وقدرته"(٢).

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٥٣.

(٢) زاد المعاد (٢٠٦/٤-٢٠٧)، وانظر الفوائد لابن القيم ص ٢٣.

أما الصحابة رضوان الله عليهم فهم مجمعون قاطبة على إثبات القدر وأقاويلهم كثيرة في هذا الباب[1].

أما أقوال الأئمة العلماء في القدر فكثيرة جداً ننقل منها ما تيسر:

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ

خلقت العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمُسِنْ

على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعَنْتَ وذا لم تُعِنْ

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسنْ[2]

قال البيهقي رحمه الله بعد أن ذكر هذه الأبيات عن الشافعي رحمه الله:

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٢٦/٤) فقد نقل إجماع الصحابة على إثبات القدر وذلك في قصة الطاعون الذي وقع في الشام ثم قال اللالكائي رحمه الله:"فإن كان في الدنيا إجماع بانتشار من غير إنكار فهو في هذه المسألة فمن خالف فيها فهو معاند مشاقق يلحق به الوعيد وهو داخل تحت قوله: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾". اهـ.

(٢) ديوان الشافعي ص ٨٤ (جمع محمد عفيف الزعبي، ط٣/١٣٩٢هـ مكتبة المعرفة)، والاعتقاد للبيهقي ص١٧٤، والبداية والنهاية لابن كثير (٢٦٥/١٠).

"وعلى نحو قول الشافعي رضي الله عنه في إثبات القدر لله ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله درج أعلام الصحابة والتابعين، وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار"(١).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: "قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(٢)، وقال: ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾(٣) فليس لأحد مشيئة تنفذ إلا أن تنفذ منها مشيئة الله تعالى وإنما يجري الخلق فيما سبق من علم الله، والقدر سر الله لا يدرك بجدال ولا يشفى منه مقال، والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾(٤)"(٥)

وقال الإمام أبو محمد عبد الغني المقدسي رحمه الله:

"وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته،

---

(١) الاعتقاد ص١٧٤.

(٢) سورة القمر الآية: ٤٩.

(٣) سورة التكوير الآية: ٢٩.

(٤) سورة فصلت الآية: ٤٦.

(٥) التمهيد (٦/١٣-١٤).

ولا يجــري خــير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضــلاً، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلاً، فهو سرٌّ استأثر به، وعلمٌ حجبه عن خلقه"[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كــل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾[٣]، وأن الله يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديــناً، وخالفــت في ذلــك القدريــة [٤]

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٥١.

(٢) سورة القمر الآية: ٤٩.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٢.

(٤) القدرية: أتباع معبد الجهني (٨٠هـ) أول من قال بنفي القدر وأن الأمر أُنف لم يقدر الله من عمله شيئاً وأن الإنسان هو الفاعل للخير والشر لم يسبق به علم من الله ولا تقدير. وتابعه على بدعته الشنيعة: غيلان الدمشقي وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهم.

وخالفوا ببدعتهم نصوص الكتاب والسنة، فسموا قدرية لإنكارهم القدر ولما سمع بهم من كان في عصرهم من الصحابة كابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنكروا عليهم بدعتهم وتبرؤوا منهم ومن معتقدهم، انظر مقدمة صحيح مسلم (١/٣٦)، والشريعة للآجري ص ٢٤٢ وما بعدها، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/٨٢٣-٨٢٧)، والملل والنحل (١/٤٧)، والفرق بين الفرق ص ١١٤-١١٥.

والمعتزلة [١]..."[٢]

وأقوال العلماء في هذا الباب كثيرة يصعب حصرها هنا.

ونحن إذا تكلمنا عن القدر فيجب علينا أن ننبه على محذور من المحاذير المتعلقة بالقدر حتى لا يقع المؤمن فيه من حيث لا يشعر وهو:

أنه لا ينبغي كثرة السؤال في القدر والتعمق في مسائله،فالخوض فيه مكروه إلا لمن كان عنده بينة وعلم من كتاب وسنة،كما لا يجوز السؤال لم فعل الله كذا وكذا؟[٣] .

فالله تعالى مالك كل شيء وله ملك كل شيء يتصرف في ملكه كيف يشاء فهو يحكم في خلقه كيف يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فمن تمام العبودية الاستسلام لما قضى الله وأمر به من أحكام وشرائع دون الاستفصال أو كثرة السؤال عن الحكمة في ذلك، ولا شك أن كل فعل من أفعال الله تعالى فيه الحكمة البالغة فلا إله إلا الله ولله الحمد وهو العليم الحكيم.

---

(١) سبق التعريف بها ص ٤٩٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٩.

(٣) انظر"الشريعة"للآجري ص ٢٣٥-٢٥١، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٢/٣٠٧-٣٢٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/٦٩٣-٧٠٠) فقد بوّب كل واحد منهم باباً في ترك البحث والتنقير عن القدر والخوض والجدال فيه، وعدم السؤال بلم وكيف؟.

وقد ورد النهي عن الخوض في القدر والتعمق فيه؛ لأن ذلك سبب من أسباب الهلاك وبهذا هلك من كان قبلنا، وقد يؤدي الخوض فيه أيضاً إلى الشـــك والريـــبة وعدم الرضا والاستسلام، والتسخط على أقدار الله نسأل الله السلامة من ذلك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عـــنهما قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال وكأنما تفقأ في وجهه حبٌّ الرّمان من الغضب قال فقال لهم:

«مـــا لكـــم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم» ، قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده. [(١)]

وســـأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القـــدر؟ قال: طريق مظلم لا تسلكه، وأعاد السؤال فقال: بحر عظيم لا تلجه، وأعاد السؤال فقال: سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه"[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٧٨/٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر (٣٣/١) ح ٨٥، وقال صاحب مصباح الزجاجة (١٤/١):"هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، وأخرجه الترمذي في سننه:كتاب القدر عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٤٤٣/٤) ح٢١٣٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه، و حسنه الألباني كما في تخريجه لمشكاة المصابيح (٣٦/١) ح٩٩.

(٢) أخرجه الآجري في"الشريعة"ص٢٠٢، وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (١٤/٢-١٤١) برقم ١٥٨٣، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٩٥/٤) رقم ١١٢٣.

وقد ورد التحذير من الخوض في القدر عن كثير من العلماء كذلك:

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله:

"سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس مجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة لم يبلغ شفاء النفس ولا وصل إلى ما يطمئن به القلب؛ وذلك لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، وعلم من علمه ضُربت دونه الأستار، وكفت عليه الأزرار، واختص الله به علام الغيوب. وحجبه عن عقول البشر ومعارفهم لما علمه من الحكمة.

وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حدّ لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه فالبحث عنه تكلف والاقتحام فيه تعمق وتهور.

وجماع هذا الباب: أن يعلم أن الله تعالى طوى عن العالم علم ما قضاه وقدّره على عباده فلم يُطلِع عليه نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً لأنه خلقهم ليتعبدهم ويمتحنهم"[(١)] .

وقال الإمام الطحاوي[(٢)] رحمه الله:"وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يَطّلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في

---

(١) نقله عنه الأصبهاني في كتابه: الحجة في بيان المحجة (٢/٣٠-٣١)، وابن حجر في فتح الباري (١١/٤٧٧)، وللآجري في كتابه"الشريعة"ص ١٤٩ كلام قريب من هذا.

(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي الإمام المحدث الفقيه الحافظ له مؤلفات قيمة مشهورة بين طلبة العلم منها: العقيدة الطحاوية، ومعاني الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٧٤) والأعلام للزركلي (١/٢٠٦).

ذلك ذريعة الخذلان، وسُلّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [١] فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب كان من الكافرين"[٢] .

العدل والحكمة

لقد"اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله تعالى عدل قائم بالقسط لا يظلم شيئًا بل هو متره عن الظلم"[٣].

ومعرفة هذا الأصل أعني عدل الله سبحانه أمر مهم؛ إذ إنه:

"يتعلق بجميع أنواع العلم والدين فإن جميع أفعال الرب ومخلوقاته داخلة في ذلك وكذلك أقواله وشرائعه وكتبه المترلة وما يدخل في ذلك من مسائل المبدأ والمعاد ومسائل النبوات وآياتهم والثواب والعقاب ومسائل التعديل والتجوير وغير ذلك، وهذه الأمور مما خاض فيها جميع الأمم كما قد بسط في مواضع.

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٣.

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز الحنفي ص ٢٤٩، وانظر تحفة الأحوذي (٢٧٩/٦).

(٣) رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنـــزهه عن الظلم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢١ (تحقيق محمد رشاد سالم، طبعت في مصر).

وأهل الملل كلهم يقرون بعدله لأن الكتب الإلهية نطقت بعدله وأنه قائم بالقسط وأنه لا يظلم الناس مثقال ذرة لكن كثير من الناس في نفسه ضغن من ذلك وقد يقوله بلسانه ويعرض به في نظمه ونثره وهؤلاء أكثر ما يكونون في المجبرة الذين لا يجعلون العدل قسيماً لظلم ممكن لا يفعله بل يقولون الظلم ممتنع ويجوزون تعذيب الأطفال وغير الأطفال بلا ذنب أصلاً وأن يخلق خلقا يعذبهم بالنار أبداً لا لحكمة أصلاً"(١)

فقضاء الله سبحانه كله عدل، وكله فيه الحكمة والمصلحة؛ لأن أفعاله سبحانه من أسمائه وأسماؤه حسنى، ومنها الحكيم.

قال ابن القيم رحمه الله:

"إنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة، وحكمه هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها"(٢)

- **والذكر دلّ على هذا الأصل العظيم**؛ إذ إن الذاكر يعلم حقيقة العلم أن الله سبحانه وتعالى متصف بالعدل والحكمة فهو سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ولا يفعل شيئاً عبثاً؛ وذلك أن الذاكر يثني على ربه

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٥.

(٢) شفاء العليل ص ١٩٠ وذكر رحمه الله الأدلة على حكمة الرب سبحانه وتعالى.

على الدوام بصفات الكمال ونعوت الجلال وبأسمائه الحسنى، وكما سبق وأن ذكرت في مبحث دلالة الذكر على أسماء الله تعالى أسماءً كثيرة دل عليها الذكر ومن بينها هذه الأسماء الحسنى: (الحكيم،العزيز، السُّبُّوح، القدوس، السلام، الحميد، العلي،الأعلى، ذو الجلال والإكرام) فاسم الله "الحكيم" يدل على صفة الحكمة لله تعالى وأنه سبحانه حكيم في أفعاله وفي خلقه وأوامره وجميع تصرفاته، فلا يخلق شيئاً عبثاً ولا يشرع شيئاً سدى، وبقية الأسماء المذكورة كذلك تشهد بأن الله سبحانه متره عن الظلم ومتره عن الشر والسوء وعن العبث، وتدل دلالة واضحة على الحكمة والعدل.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله ولهذا تتره سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه كما تقدم فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك فإن منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر،(فالقدوس) المتره من كل شر ونقص وعيب....

وكذلك اسمه (السلام) فإنه الذي سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم فسلم سبحانه من إرادة الظلم والشر

ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته إليه فهو السلام من صفات النقص وأفعال النقص وأسماء النقص المسلم لخلقه من الظلم...

وكذلك (الكبير) من أسمائه و(المتكبر)، قال قتادة وغيره: هو الذي تكبر عن السوء... وكذلك اسمه (العزيز) الذي له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فإن ذلك ينافي العزة التامة، وكذلك اسمه (العلي) الذي علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء بل يكون فوق كل شيء، وكذلك اسمه (الحميد) وهو الذي له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر ولا سوء ولا نقص لا في أسمائه ولا في أفعاله ولا في صفاته فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه"(١)

- **وكذلك التسبيح** الذي هو نوع من أنواع الذكر هو: تتريه الله سبحانه عن النقائص وعن كل سوء، فإن كان الذي لا يتصرف في أموره من الناس بحكمة يُعدّ عيباً ونقصاً، فالخالق متره عن أن يفعل شيئاً بغير حكمة.فالمُسَبِّح يتره الله سبحانه عن كل سوء ونقيصة، والتحميد أيضاً فيه الثناء على الله بجميع المحامد وبصفات الكمال ومنها والعدل الحكمة.

- **ومن الأذكار الدالة على عدل الرب سبحانه وتعالى** قوله ﷺ في ثنائه على ربه في استفتاحه للصلاة: وجهت وجهي للذي فطر

---

(١) شفاء العليل ص١٧٩-١٨٠.

السموات والأرض...وفيه «**والخير في يديك والشر ليس إليك**»[(١)]

فقوله ﷺ: (والشر ليس إليك) فيه إثبات عدل الله وحكمته فجميع الشرور من الظلم والعبث والإساءة لا تنسب إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ومما يبين عدل الرب وإحسانه: أن الخير بيديه والشر ليس إليه كما كان عليه السلام يثني على ربه بذلك في مناجاته له في دعاء الاستفتاح وأنه سبحانه لا يظلم مثقال ذرة بل مع غاية عدله فهو أرحم الراحمين وهو أرحم من الوالدة بولدها كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح وهو سبحانه أحكم الحاكمين كما قال نوح في مناجاته:﴿ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(٢)]"[(٣)]

وتعددت أقوال العلماء في معنى (والشر ليس إليك) فقال النووي رحمه الله:"وفيه خمسة أقوال: **أحدها**: معناه لا يتقرب به إليك قاله الخليل بن أحمد والنضر بن شميل وإسحق ابن راهويه ويحيى بن معين وأبو بكر بن خزيمة والأزهري وغيرهم، **والثاني**: حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني وقاله غيره أيضا معناه لا يضاف إليك على انفراده لا يقال: يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ونحو هذا وإن كان خالق كل شيء ورب كل شيء وحينئذ يدخل الشر في العموم ، **والثالث**: معناه والشر لا يصعد

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٢) سورة هود الآية: ٤٥.

(٣) رسالة في معنى كون الرب عادلاً لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٦-١٢٧.

إليك إنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح، **والرابع**: معناه والشر ليس شرا بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين **والخامس**: حكاه الخطابي أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو صفوه إليه"[١].

فالله سبحانه وتعالى إذاً خالق كل شيء كما قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[٢]،فيدخل تحت هذه الآية الخير والشر، فالله سبحانه خلق الخير والشر لمصلحة وحكمة لا لشيء آخر، وهو سبحانه وإن كان خالقاً للشر فالشر لا ينسب إليه بمعنى أن الشر ليس من فعله بل من مفعولاته فلا يضاف الشر إليه مفرداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"والله تعالى وإن كان خالقاً لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسناً متقناً، كما قال:﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾[٣] ، ﴿ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ ﴾[٤]

فلهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً بل إما أن يدخل في العموم وإما أن يضاف إلى السبب وإما أن يحذف فاعله:

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٥٩/٦) وانظر الفتح (٥٣٢/١٣) ونيل الأوطار (٢٠٩/٢).

(٢) سورة الزمر الآية: ٦٢.

(٣) سورة السجدة الآية: ٧.

(٤) سورة النمل الآية: ٨٨.

فالأول: كقول الله تعالى: :﴿ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[(١)] .

والثاني: كقوله:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[(٢)] .

والثالث: كقوله فيما حكاه عن الجن:﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ ﴾[(٣)]...ولهذا كان لله الأسماء الحسنى فسمى نفسه بالأسماء الحسنى المقتضية للخير وإنما يذكر الشر في المفعولات كقوله:﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾[(٤)]...وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر بالنسبة إلى بعض الناس"[(٥)] .

وقال ابن القيم رحمه الله:

"وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض؛ إذ هو محض العدل والحكمة وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى ونحن لا ننكر أن الشر يكون في مفعولاته المنفصلة فإنه خالق الخير والشر.

---

(١) سورة الزمر الآية: ٦٢.

(٢) سورة الفلق الآيتان ١-٢.

(٣) سورة الجن الآية: ١٠.

(٤) سورة المائدة الآية: ٩٨.

(٥) منهاج السنة النبوية (٣/١٤٢-١٤٣)، وانظر مجموع الفتاوى (٨/٩٤- ٩٥، ٥١١)، وانظر شرح صحيح مسلم للنووي (٦/٥٩) فقد ذكر عدة أقوال في معنى (والشر ليس إليك).

ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال:

أحدهما: أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً له ولا فعلاً من أفعاله.

الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكوينا ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها وأكثر الناس تضيق عقولهم عن مباديء معرفتها فضلا عن حقيقتها فيكفيهم الإيمان المجمل بأن الله سبحانه هو الغني الحميد وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا وإن كان هو الخالق للخير والشر فقد عرفت أن كونه شرا هو أمر إضافي وهو في نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه فلا تغفل عن هذا الموضع فإنه يفتح لك بابا عظيما من معرفة الرب ومحبته"[1] .

"فكل ما خلقه سبحانه فهو نعمة على عباده و هو خير وهو سبحانه بيده الخير والخير بيديه.. وكل ما خلقه الله فله فيه حكمة... فالحكمة تتضمن شيئين:

---

(١) بدائع الفوائد (٤٣٦/٢)، وانظر شفاء العليل ص ١٦٩.

أحدهما: حكمة تعود إليه يحبها و يرضاها

والثاني: إلى عباده هي نعمة عليهم يفرحون بها و يلتذون بها"[١]

- **ومما يستدل به على عدل الله من الأذكار قوله ﷺ** المتقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: « ماض فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك»[٢] .

قال ابن القيم رحمه الله:

"وأما حديث ابن مسعود **«اللهم إني عبدك ابن عبدك»** ففيه من المعارف الإلهية وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب؛ فإنه يتضمن الاعتراف بعبوديته وعبودية آبائه وأمهاته وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؛ لأن من ناصيته بيد غيره فليس إليه شيء من أمره بل هو عان في قبضته ذليل تحت سلطان قهره.

وقوله: **(ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك)** متضمن لأصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد:

أحدهما: إثبات القدر وأن أحكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٣٥-٣٦).

(٢) سبق تخريجه ص ٣٥٣.

والثاني: أنه سبحانه عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده بل لا يخرج فيها عن موجب العدل والإحسان فإن الظلم سببه حاجة الظالم أو جهله أو سفهه فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم ومن هو غني عن كل شيء وكل شيء فقير إليه ومن هو أحكم الحاكمين فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده كما لم يخرج عن قدرته ومشيئته فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئته وقدرته ولهذا قال نبي الله هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم وقد خوفه قومه بآلهتهم: ﴿ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦ ﴾[1] أي: مع كونه سبحانه آخذا بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء فهو على صراط مستقيم لا يتصرف فيهم إلا بالعدل والحكمة والإحسان والرحمة فقوله: (**ماض في حكمك**) مطابق لقوله:ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، وقوله:(عدل في قضاؤك) مطابق لقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٦ ﴾"[2] .

وقال أيضاً رحمه الله:"فقضاء الرب سبحانه في عبده دائر بين العدل والمصلحة والحكمة والرحمة لا يخرج عن ذلك البتة كما قال في الدعاء

---

(١) سورة هود الآية: ٥٤-٥٦.

(٢) زاد المعاد (٤/٢٠٦- ٢٠٨)، وانظر شفاء العليل ص ٢٧٤-٢٧٥، والفوائد ص٢٣و٩٣.

المشهور: **«اللهم إني عبدك ابن عبدك أبن أمتك ناصيتي بيدك،ماض في حكمك، عدلٌ في قضاؤك»**"[١] .

والخلاصة مما سبق أن الأذكار تدل على الإيمان بالقدر وفيها الدلالة على عدل الله وحكمته والحمد الله.



(١) الفوائد ص ٩٣.

المبحث الثاني:

دلالة الذكر على الرد على الطائفتين المخالفتين في هذا الباب القدرية[1] والجبرية[2] ومناقشة عدة مسائل خالفتا طريق الحق فيها.

أهل السنة والجماعة الذين مرجعهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ويفهمونهما على نحو ما فهمه الصحابة الكرام رضي الله عنهم هم وسطٌ في كل شيء بين فِرَق الأمة كما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم السابقة[3]؛ إذ

---

(١) سبق التعريف بها ص٨٢٣.

(٢) سموا جبرية لقولهم بالجبر، والجبر هو: نفي الفعل حقيقة من العبد وإضافته إلى الرب تعالى، من أكبر رؤوسهم الجهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو على بدعته.

والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً، فيقولون: الإنسان مجبور على فعله فهو كالريشة في مهب الريح والجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

(انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص١٩٩، و الملل والنحل للشهرستاني ص٧٢ وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٤٤-٤٤٥).

(٣) انظر وسطية أهل السنة في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٣ (ط٢/ ١٤١٢هـ، الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، الرياض، تحقيق محمد بن عبد العزيز

=

إنهم قالوا الحق في كل مسألة ونفوا الباطل فكانوا وسطاً بين طرفين بين جاف وغالٍ، وبين مُفْرِطٍ ومفرّطٍ، وأخذوا كل النصوص الواردة في الكتاب والسنة فجمعوا بينها ولم يردّوا منها شيئاً ولم يضربوا بعضها ببعض فكان مذهبهم أفضل المذاهب وطريقتهم أحسن الطرق، ومنهلهم خالصاً سائغاً لا كدر فيه.

ومن وسطيتهم في هذا الباب أعني باب القدر أنهم وسط بين طائفتين متناقضتين ناكبتين عن الحق غارفتين في الغلو والتطرف والإفراط والتفريط: هما القدرية والجبرية.

قال ابن حجر رحمه الله:

"قال الطيبي: مذهب الجبرية إثبات القدرة لله ونفيها عن العبد أصلاً ومذهب المعتزلة بخلافه وكلاهما من الإفراط والتفريط على شفا جرف هار، والطريق المستقيم القصد"(١)

فأهل السنة والجماعة في هذا الباب يؤمنون بأن كل شيء بقضاء الله وقدره وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ويؤمنون بعلم الله الأزلي وبأن الله كتب كل شيء مما هو كائن، وأنه سبحانه خلق هذا الكون،

= ابن مانع)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٥١٨-٥٢٠، وهناك كتاب قيم أُلف في هذا الموضوع وهو"وسطية أهل السنة بين الفرق"للدكتور محمد با كريم محمد با عبد الله.

(١) فتح الباري (٥١٢/١١).

وما فيه من شيء إلا وهو من خلقه فهو يميت ويحيي، ويفقر ويغني ويمنع ويعطي، ويضل من يشاء بعدله، وبفضله من يشاء يهدي، فيثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ويثبتون للعبد قدرة ومشيئة تكون تحت مشيئة الله.

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً ما عليه أهل السنة في مسائل القدر:

"ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها وهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل أسعد بالحق من جميع الطوائف.

- فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال، ومشيئته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته، ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه، وأنه لا يشاؤون إلا أن يشاء الله،ولا يفعلون إلا من بعد مشيئته وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه والقدر عندهم: قدرة الله تعالى وعلمه ومشيئته وخلقه فلا يتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة إلا بالله على الحقيقة إذا قالها غيرهم على المجاز؛ إذ العالم علويّه وسفليّه وكل حي يفعل فعلاً فإن فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك إلى فعل ومن فعل إلى ترك ومن فعل إلى فعل وذلك كله بالله تعالى لا بالعبد.

- ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأنه هو الذي يجعل المسلم مسلما والكافر كافراً والمصلي مصلياً والمتحرك متحركاً وهو الذي يُسيّر عبده في البر والبحر وهو المُسيِّر

والعبد السائر وهو المُحرِّك والعبد المتحرك وهو المقيم والعبد القائم وهو الهادي والعبد المهتدي وأنه المُطعِم والعبد الطاعم وهو المحيي المميت والعبد الذي يحيى ويموت.

- ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وإرادته واختياره وفعله حقيقة لا مجازاً وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول... فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته فما يشاءون إلا أن يشاء الله وما يفعلون إلا أن يشاء الله.

وإذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقريب منه وبعيد وبين ذلك وإذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من أولها إلى آخرها منادية على ذلك دالة عليه صريحة فيه..."[١]

فهذه المسائل التي ذكرها ابن القيم رحمه الله هي من أصول معتقد أهل السنة والجماعة في القدر، وقد خالفت القدرية والجبرية هذه الأصول

---

(١) شفاء العليل ص ٥٢.

المذكورة هنا وغيرها من الأصول مما لم يذكر مما له علاقة بباب القدر، وسلكوا فيها سبل الضلالة، وحكّموا فيها عقولهم وأهواءهم، فأخذت كل طائفة من هاتين الطائفتين ببعض نصوص القدر وتركوا بعضها، ولو أنهم جمعوا بينها واتبعوا الدليل لهُدوا السبيل، ولَمَا خاضوا في التحريف والتأويل، ولا غرقوا في التعطيل والتبديل، ولَمَا وقعوا مطلقاً في تلك الترهات و الأباطيل.

والنصوص الواردة في القدر التي تدل على بطلان قول كلا الطائفتين كثيرة جداً .

قال ابن القيم رحمه الله:

"قد نظرت في أدلة إثبات القدر والرد على القدرية المجوسية فإذا هي تقارب خمسمائة دليل، وإن قدّر الله تعالى أفردت لها مصنفاً مستقلاً وبالله عز وجل التوفيق"(١)

ومما يهمنا في بحثنا هنا: أن نذكر الأذكار التي فيها الدلالة على إبطال المخالفين بباب القدر فأقول وبالله التوفيق:

لقد دلت بعض الأذكار على الرد الصريح على المخالفين لأهل السنة في باب القدر فمن ذلك:

- كلمة الحوقلة"لا حول ولا قوة إلا بالله"وهي من أفضل

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود [تهذيب السنن] (٣١٥/١٢)

الذكر وهي من الباقيات الصالحات، وسيأتي الكلام عنها في فصل مستقل قريباً إن شاء الله فيها ردٌّ على القدرية النفاة الذين ينفون قدرة الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيراً ويزعمون أن العبد هو الخالق لأفعاله، وقدرة الله ومشيئته ليست نافذة في العبد وأفعاله، فجعلوا خالقِين فوقعوا في الشرك، فهم ادعوا أن في الكون أشياء تقع بغير مشيئة الله وليست في ملكه ولا تحت قدرته[١].

فهذه الكلمة العظيمة (لا حول ولا قوة إلا بالله)، فيها إثبات القدرة والمشيئة لله، وأن حول العبد وقوته إنما يكون بالله[٢].

قال ابن بطال [٣] رحمه الله: "هذا بابٌ جليل في الرد على القدرية، وذلك أن معنى"لا حول ولا قوة إلا بالله"أي: يخلق الله له الحول والقوة وهي القدرة على فعله للطاعة أو المعصية كما ورد عنه عليه الصلاة

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٣٨/١-٣٩)، ومجموع الفتاوى (٢٥٨/٨)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٩٨٣/٤)، وشفاء العليل ص ٥١، ومدارج السالكين (٦٢/١)، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٤٣٦-٤٣٧.

(٢) انظر: رسالة في "الحوقلة: مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية" لشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص٧٩ ضمن مجلة الجامعة الإسلامية العدد١١٧ السنة ١٤٢٢هـ.

(٣) العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللحام، شارح صحيح البخاري، أخذ عن أبي عمر الطلمنكي، قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة، توفي في سنة تسع وأربعين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨).

والسلام أن الباري تعالى خالق لحول العبد وقدرته على مقدوره، وإذا كان خالقاً للقدرة فلا شك أنه خالق للشيء المقدور"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله:"وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة (أي الحوقلة) وتلقيها بالقبول وهي شافية كافية في إثبات القدر وإبطال قول القدرية"(٢).

وقول القدرية هذا الفاسد جرّهم إلى الفرار من قول هذه الكلمة العظيمة التي هي من أفضل الذكر فهجروها وتركوا التلفظ بها فحُرموا خيراً كثيراً.

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله: "ثم اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القدري لا يقول: اللهم وفقني، ولا يقول: اللهم اعصمني، ولا يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن عنده: أن المشيئة إليه، إن شاء أطاع وإن شاء عصى، و احذروا مذاهبهم لا يفتنوكم عن دينكم"(٣)

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سياق كلامه على القدرية: "فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله... أنهم أغنياء عن الله ﷻ فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستهدونه الصراط المستقيم، فقول: إياك نعبد

---

(١) نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (١/٢٤٢-٢٤٣).

(٢) شفاء العليل ص ١١٢.

(٣) الشريعة للآجري ص ٣٤٣.

وإياك نستعين، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا معنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]..."[2]

- وقول العبد الذاكر: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**» فيه إثبات القدرة لله تعالى وهذا ردٌّ على القدرية النافين لقدرة الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

- ومما يدخل تحت هذه المسألة أيضاً: مسألة العطاء والمنع، فمن المعلوم أن الله هو المانع المعطي،يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لا ما نع لما أعطى ولا معطي لما منع وهو القادر على ذلك سبحانه وحده لا شريك له، وزعمت القدرية الضلّال أن"العبد قد يمنع من أعطى الله ويعطي من منعه فإنه يفعل باختياره عطاء ومنعاً لم يشأه الله و لم يجعله معطيا مانعا فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع معط"[3]

ويُرد عليهم بالذكر الذي كان رسول الله ﷺ يقوله بعد انقضاء صلاته ففي الصحيحين أنه صلى الله عيه وسلم كان يقول بعد انقضاء صلاته: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو**

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٣٩.

(٢) معارج القبول (٢/٢٤٢) (الطبعة الثالثة/دار المطبعة السلفية، بالقاهرة).

(٣) شفاء العليل ص ١١٢.

على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

"ففي هذا نفى الشريك عنه بكل اعتبار، وإثبات عموم الملك له بكل اعتبار،واثبات عموم الحمد، وإثبات عموم القدرة، وأن الله سبحانه إذا أعطى عبدا فلا مانع له وإذا منعه فلا معطى له"[٢].

- وأيضاً قد ورد في بعض أحاديث الأذكار ما يرد على الجبرية المقابلين للقدرية، فالقدرية نفوا قدرة الله ومشيئته وقالوا إن العبد خالق لفعل نفسه، والجبرية نفوا قدرة العبد واستطاعته،وقالوا بأنه مجبور على فعله، فحركاته وأفعاله بزعمهم ليست بإرادته، فهم ينفون مشيئة العبد وقدرته واستطاعته، ففي حديث سيد الاستغفار أن النبي ﷺ قال:

«سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[٣]

---

(١) سبق تخريجه ص ٤١٧.

(٢) شفاء العليل ص ١١٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٢٣١.

فقوله ﷺ: (ما استطعت) و قوله: (من شر ما صنعت) فيه دلالة على أن للعبد استطاعة وقدرة على الفعل والكسب وهذا ردٌّ على الجبرية الجهمية إذ إنهم يقولون: "إن الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات"[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مستدلاً بحديث سيد الاستغفار للرد على الجبرية: "وقوله: (**ما استطعت**) أي إنما أقوم بذلك بحسب استطاعتي، لا بحسب ما ينبغي لك وتستحقه علي، وفيه دليل على إثبات قوة العبد واستطاعته، وأنه غير مجبور على ذلك، بل له استطاعةٌ هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب.

ففيه ردٌّ على القدرية المجبِّرة الذين يقولون: إن العبد لا قدرة له ولا استطاعة، ولا فعل له البتّة، وإنما يعاقبه الله على فعله هو، وفيه ردٌّ على طوائف المجوسية وغيرهم

ثم قال: (أعوذ بك من شر ما صنعت) فاستعاذته بالله الالتجاء إليه والتحصن به والهروب إليه من المستعاذ منه، كما يتحصن الهارب من

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشهرستاني ص٧٣ (تحقيق أحمد فهمي محمد/طبعة دار الكتب العلمية بيروت)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٤٤٤-٤٤٥).

العدو بالحصن الذي ينجيه منه.

وفيه إثبات فعل العبد وكسبه، وأن الشر مضاف إلى فعله هو، لا إلى ربه، فقال: (أعوذ بك من شر ما صنعت) فالشر إنما هو من العبد، وأما الرب فله الأسماء الحسنى، وكل أوصافه صفات كمال،وكل أفعاله حكمة ومصلحة، ويؤيد هذا قوله عليه السلام: (والشر ليس إليك) في الحديث الذي رواه مسلم في الاستفتاح"[١].

- كما أن قول"لا حول ولا قوة إلا بالله"التي هي كتر من كنوز الجنة والتي فيها إخلاص الاستعانة بالله، وهذه الكلمة العظيمة القدر فيها ردٌّ على الجبرية [٢]، فهذه الكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) التي يقولها عامة المسلمين تتضمن نسف قولهم وإبطاله، لأنها متضمنة إثبات القوة والحول للعبد فعندما يقولها العبد يعتقد في قرارة نفسه أنه يستعين بربه على القيام بأعماله، فهو عنده القدرة والاستطاعة ولكنه يطلب العون من ربه كي يعينه على القيام بالعمل وأدائه على ما يحب ربنا ويرضى، فلسان حاله ومقاله: أن يارب عندي إرادة ومشيئة لفعل ما أمرتني به

---

(١) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية المجموعة الأولى رقم ٢، ص ١٦٠-١٦١ (تحقيق محمد عزير شمس، ط١/١٤٢٢هـ دار عالم الفوائد، مكة الكرمة).

(٢) انظر:"الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية"للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص ٨١، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١١٧ ١٤٢٢هـ.

والابتعاد عما نهيتني عنه ولكن لا حول لي ولا قوة إلا بك، وأنا تحت مشيئتك، فقدرة العبد وقوته إنما هي بمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لا يدل على أن العبد ليس بفاعل لفعله الاختياري، و لا أنه ليس بقادر عليه،و لا أنه ليس بمريد بل يدل على أنه لا يشاؤه إلا أن يشاء الله، وهذه الآية رد على الطائفتين المجبرة الجهمية و المعتزلة القدرية؛ فإنه تعالى قال: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ فأثبت للعبد مشيئة وفعلاً، ثم قال: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ فبين أن مشيئة العبد معلقة بمشيئة الله، والأولى ردٌّ على الجبرية، و هذه ردٌّ على القدرية الذين يقولون قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله كما يقولون إن الله يشاء مالا يشاؤون"[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضاً:

"اعلم أن العبد فاعل على الحقيقة و له مشيئة ثابتة و له إرادة جازمة

---

(١) سورة التكوير الآيتان ٢٨-٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٤٨٨)، وانظر: منهاج السنة النبوية (٣/١٤٥) ودقائق التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٧) (ط٢/١٤٠٤هـ/مؤسسة علوم القرآن دمشق، تحقيق د/محمد السيد الجليند)، والتباين في أقسام القرآن لابن القيم ص ٨١ (ط/دار الفكر، بيروت).

وقوة صالحة وقد نطق القرآن بإثبات مشيئة العباد في غير ما آية... ونطق بإثبات فعله في عامة آيات القرآن: يعملون، يفعلون، يؤمنون يكفرون، يتفكرون، يحافظون، يتقون، وكما أنا فارقنا مجوس الأمة بإثبات أنه تعالى خالق، فارقنا الجبرية بإثبات أن العبد كاسب فاعل صانع عامل و الجبر المعقول الذي أنكره سلف الأمة و علماء السنة هو أن يكون الفعل صادرا عن الشيء من غير إرادة و لا مشيئة و لا اختيار مثل حركة الأشجار بهبوب الرياح وحركة إطباق الأيدي و مثله في الأناسي حركة المحموم و المفلوج و المرتعش فإن كل عاقل يجد تفرقة بديهية بين قيام الإنسان و قعوده و صلاته و جهاده و زناه و سرقته و بين انتعاش المفلوج و انتفاض المحموم و نعلم أن الأول قادر على الفعل مريد له مختار و أن الثاني غير قادر عليه و لا مريد له و لا مختار"[١].

إذاً نخلص من هذه المسألة: أن القول الحق والصواب هو إثبات قدرة الله تعالى وخلقه وإرادته، وإثبات قدرة للعبد ومشيئة واستطاعة داخلة تحت مشيئة الله وقدرته وأن من الأذكار ما يدل على ذلك ويرد على القدرية والجبرية في هذه المسألة.

- **مسألة الهدى والضلال:**

والتي هي"قلب أبواب القدر ومسائله؛ فإن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجلّ ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال وكل

(١) مجموع الفتاوى (٨/٣٩٣-٣٩٤)، وانظر: معارج القبول للحكمي (٢/٢٣٨).

نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال، وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى أخرهم وكتبه المترلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد،وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره،والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"[١] .

قال الله تعالى:﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾[٢] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾[٣] .

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[٤] .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾[٥] .

وقال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ

---

(١) شفاء العليل ص ٦٥.

(٢) سورة الأنعام الآية: ٣٩.

(٣) سورة النحل الآية: ٩.

(٤) سورة الزمر الآية: ٢٣.

(٥) سورة الزمر الآيتان: ٣٦-٣٧.

وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾[1]

فهذه نصوص واضحة الدلالة على أن الهداية بيد الله فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وهذا هو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة.

فقد قال الإمام الصابوني رحمه الله حاكياً مذهبهم:

"ويشهدون (أي أهل السنة) أن الله تعالى يهدي من يشاء إلى دينه، ويُضل من يشاء عنه، ولا حجة لمن أضله الله عليه ولا عذر له لديه قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾[3]..."[4].

وخالفت القدرية (من المعتزلة والشيعة) في هذه المسألة فقالوا:"إنه أي الله سبحانه وتعالى لا يقدر على أن يفعل غير ما فعل، وإن العباد يقدرون على ما لا يقدر عليه الله، وإنه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يُضلّ مهتدياً"[5] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

---

(١) سورة الكهف الآية: ١٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٤٩.

(٣) سورة السجدة الآية: ١٣.

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩١.

(٥) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية المجموعة الأولى (١٥١/٢).

قال ابن كثير رحمه الله:

"إنه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال لا كما تقول الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحاً في الرد عليهم وهذا حال أهل الضلال والغي"(١) .

والقدرية بهذه المسألة شابهوا بعض النصارى القائلين بأن الله لا يضل من يشاء ولا يضل أحداً (٢)

ومما يدل من الأذكار على ردّ قولهم: ثناؤه ﷺ على ربه في استفتاحه لخطبه، وكذلك خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه لتكون بين يدي حاجاتهم، فعن عبد الله بن مسعود قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة:

«إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله....» الحديث (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣١/١).

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٢٥/٤-٧٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢٣٨/٢) ح ٢١١٨، وصحح إسناده النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٦٠/٦)، وللشيخ الألباني رسالة في خطبة الحاجة.

ففي هذا الثناء منه ﷺ تصريح بأن الهداية منه وحده سبحانه وكذلك الإضلال.

قال ابن القيم رحمه الله:

"قال: (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) فهذه شهادة للرب بأنه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه، وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فإذا هدى عبداً لم يضله أحد، وإذا أضله لم يهده أحد، وفي ذلك إثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذي هو عقد نظام التوحيد وأساسه وكل هذا مقدمة بين يدي قوله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فإن الشهادتين إنما تتحققان بحمد الله واستعانته واستغفاره واللجأ إليه والإيمان بأقداره......ولا يتم ذلك إلا بالإيمان بالله وحده وهو الذي يهدي ويضل وهو الإيمان بالقدر فادخلوا عليه من بابه فإن أزمة الأمور بيده فإذا فعلتم ذلك صدق منكم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فهذه الخطبة العظيمة عقد نظام الإسلام والإيمان"(١)

ومن أحاديث الأذكار التي فيها ردٌّ على القدرية والجبرية قوله ﷺ فيما يقال عند الهم والحزن: **«اللهم إني عبدك ابن عبدك... إلى أن قال: ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك»** (٢).

---

(١) شفاء العليل ص ١٦٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٥٣.

وقد بيّن لنا ابن القيم رحمه الله وجه الدلالة من هذا الحديث في الرد على الطائفتين فقال:

"وفي قوله: (ماض في حكمك عدل فيَّ قضاؤك) رد على طائفتي القدرية والجبرية وإن اعترفوا بذلك بألسنتهم فأصولهم تناقضه فإن القدرية تنكر قدرته سبحانه على خلق ما به يهتدي العبد غير ما خلقه فيه وجبله عليه فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعي بالأمر والنهي ومعلوم أنه لا يصح حمل الحديث على هذا الحكم فإن العبد يطيعه تارة ويعصيه تارة بخلاف الحكم الكوني القدري فإنه ماض في العبد ولا بد فإنه قائم بكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر.

ثم قوله بعد ذلك: (عدل فيَّ قضاؤك) دليل على أن الله سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فعله وجزائه فدل الحديث على الإيمان بالقدر والإيمان بأن الله عادل فيما قضاه فالأول التوحيد والثاني العدل.

وعند القدرية النفاة لو كان حكمه فيه ماضياً لكان ظالماً له بإضلاله وعقوبته .

أما القدرية الجبرية فعندهم الظلم لا حقيقة له، بل هو الممتنع لذاته الذي لا يدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما يسمى ظلما حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل.

فعلى قولهم لا فائدة في قوله (عدل في قضاؤك) بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضائك ولا بد وهو معنى قوله : (ماض في حكمك) فيكون تكريرا لا فائدة فيه"[١] .

إذاً نخلص من هذا"أن قوله ماض في حكمك عدل في قضاؤك رد على الطائفتين القدرية الذين ينكرون عموم أقضية الله في عبده ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره ويردون القضاء إلى الأمر والنهي وعلى الجبرية الذين يقولون كل مقدور عدل فلا يبقى لقوله عدل في قضاؤك فائدة"[٢] .

ومن الأذكار التي فيه الرد على القدرية: تلبية الحاج والمعتمر التي يرددها ويكررها كثيراً حيث يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

قال ابن القيم رحمه الله في سياق كلامه على التلبية:

"إن كلمات التلبية متضمنة للرد على كل مبطل في صفات الله وتوحيده فإنها مبطلة لقول المشركين على اختلاف طوائفهم ومقالاتهم ولقول الفلاسفة وإخوانهم من الجهمية المعطلين لصفات الكمال التي هي متعلق الحمد، فهو سبحانه محمود لذاته ولصفاته ولأفعاله فمن جحد

---

(١) شفاء العليل ص ٢٧٥.

(٢) الفوائد لابن القيم ص٢٥.

صفاته وأفعاله فقد جحد حمده، ومبطلة لقول مجوس الأمة القدرية الذين أخرجوا من ملك الرب وقدرته أفعال عباده من الملائكة والجن والإنس فلم يثبتوا له عليها قدرة ولا جعلوه خالقاً لها فعلى قولهم لا تكون داخلة تحت ملكه إذ من لا قدرة له على الشيء كيف يكون هذا الشيء داخلاً تحت ملكه فلم يجعلوا الملك كله لله و لم يجعلوه على كل شيء قدير"[(١)]

• **أما في مسألة حكمة الله** وأنه لا يفعل إلا بحكمة ولحكمة فقد مضى الكلام على هذه المسألة في المبحث السابق وهنا أشير أن كلتا الطائفتين خالفتا أهل السنة والجماعة في هذا الباب وجانبتا فيه الحق والصواب، وقد بيّن ابن القيم رحمه الله أقوال الطائفتين المخالفتين في هذه المسألة وثلّث بقول أهل السنة الذي هو الحق والصواب،فقال رحمه الله:

"وافترق الناس لأجله فرقاً شتى: ففرقة أنكرت الحكمة وتعليل أفعال الرب جملة وقالوا بالجبر المحض وسدوا على أنفسهم الباب، وقالوا: لا تعلل أفعال الرب تعالى ولا هي مقصود بها مصالح العباد وإنما مصدرها محض المشيئة وصرف الإرادة فأنكروا حكمة الله في أمره ونهيه.

وفرقة نفت لأجله القدر جملة وزعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة لله حتى يطلب لها وجوه الحكمة وإنما هي خلقهم وإبداعهم فهي واقعة بحسب جهلهم وظلمهم وضعفهم فلا يقع على السداد والصواب إلا أقل القليل منها.

---

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود [تهذيب السنن] (١٧٧/٥).

فهاتان الطائفتان متقابلتان أعظم تقابل، فالأولى غلت في الجبر وإنكار الحكم المقصودة في أفعال الله، والثانية غلت في القدر وأخرجت كثيرا من الحوادث بل أكثرها عن ملك الرب وقدرته.

وهدى الله أهل السنة الوسط لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فأثبتوا لله عز وجل عموم القدرة والمشيئة، وأنه تعالى أن يكون في ملكه مالا يشاء أو يشاء مالا يكون وأن أهل سمواته و أرضه أعجز وأضعف من أن يخلقوا ما لا يخلقه الله أو يحدثوا ما لا يشاء بل ما شاء الله كان ووجد وجوده بمشيئته وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده لعدم المشيئة له،وأنه لا حول ولا قوة إلا به ولا تتحرك في العالم العلوي والسفلي ذرة إلا بإذنه ومع ذلك فله في كل ما خلق وقضى وقدر وشرع من الحكم البالغة والعواقب الحميدة ما اقتضاه كمال حكمته وعلمه وهو العليم الحكيم فما خلق شيئا ولا قضاه ولا شرعه إلا لحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر فهو الحكيم القدير فلا تجحد حكمته كما لا تجحد قدرته.

والطائفة الأولى جحدت الحكمة، والثانية جحدت القدرة، والأمة الوسط أثبتت له كمال الحكمة وكمال القدرة فالفرقة الأولى تشهد في المعصية مجرد المشيئة والخلق العاري عن الحكمة وربما شهدت الجبر وأن حركاتهم بمترلة حركات الأشجار ونحوها والفرقة الثانية تشهد في المعصية مجرد كونها فاعلة محدثة مختارة هي التي شاءت ذلك بدون مشيئة الله

والأمة الوسط تشهد عز الربوبية وقهر المشيئة ونفوذها في كل شيء وتشهد مع ذلك فعلها وكسبها واختيارها"[١]

وقد دل على حكمة الله ﷻ في خلقه قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩ ﴾[٢] ، وقوله سبحانه:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ ﴾[٣] ، وقوله تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ ﴾[٤]، وقوله تعالى في ثنائه على المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ ﴾[٥] .

فهذه الآيات كلها دالة على تمام حكمة الله في خلقه، وتتريه الله سبحانه عما لا يليق به من أن يكون خلق الخلق لا لحكمة أو خلقهم لهواً

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٨٤-٢٨٥)، وانظر مجموع الفتاوى (٨/٢١٢)، و جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية/المجموعة الثانية (٣/١٧٨) وإعلام الموقعين (١/٣٣٦) (طبعة/١٩٧٣م، دار الجيل، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد).

(٢) سورة الدخان الآيتان ٣٨-٣٩.

(٣) سورة ص الآية: ٢٧.

(٤) سورة المؤمنون الآية: ١١٥.

(٥) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

ولعباً أو عبثاً بل آثار حكمه سبحانه في خلقه ظاهرة، قد عمي عنها من لم يرد تنزيه الله عن النقائص.

وهذه الآيات فيها الرد على من نفى حكمة الله تعالى.

أما ما يُرد به على المخالفين في هذه المسألة من الأذكار فقد مرّ في المبحث السابق ما يدل من الأذكار على هذه المسألة وهو في الوقت نفسه ردّ على المخالفين، فلا داعي لتكراره هنا مرة أخرى فيرجع إليه هناك.

فاتضح لنا من خلال هذا المبحث أن بعض الأذكار فيها ردٌّ على المخالفين في باب القدر، وفيها الدلالة على مذهب أهل السنة فينبغي على الذاكر الإمعان فيما يذكر ربه به فيسلم من شذوذ الأقوال ويظفر بالقول الحق بإذن الله تعالى.

كما أن الذكر بالجملة فيه الرد على كلا الطائفتين فقيام العبد بهذه العبادة ـ الذكر ـ وتقربه بها وتعبده لربه هو بحدّ ذاته ردٌّ على الجبرية، إذ ما يفعله العبد من تحريك لسانه بالذكر وترك غيره من الكلمات واستحضار قلبه لمعاني ما يتلفظ به يكون بإرادته ومشيئته، وطبعاً هذه المشيئة تابعة لمشيئة الله تعالى.

ورجاءُ الذاكر في قبول ذكره والخوف من عدم قبوله دليل على أن الثواب والعقاب بيد الله وحده وهو يدل على أن الأمور مقدرة من الله وهذا فيه ردٌّ على القدرية نفاة القدر.

المبحث الثالث:

أحكام الرضى بقضاء الله وقدره:

إن معرفة هذه المسألة مهم جداً،إذ إنها"من تمام الإيمان بالقضاء والقدر"[(١)]،و لأنه بمعرفتها تزول كثير من الإشكالات التي قد تنقدح في النفس، وتزول الشبه التي يلقيها أهل البدع، وتتلاشى اعتراضاتهم على مذهب أهل السنة، و قد غلط في هذه المسألة"طائفتان أقبح غلط فقالت القدرية النفاة:الرضا بالقضاء، طاعة وقربة، والرضا بالمعاصي لا يجوز فليست بقضائه وقدره، وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الأمر والنهي: المعاصي بقضاء الله وقدره والرضاء بالقضاء قربة وطاعة فنحن نرضى بها ولا نسخطها"[(٢)]

وهاتان"الطائفتان منحرفتان جائرتان عن قصد السبيل فأولئك أخرجوها عن قضاء الرب وقدره وهؤلاء رضوا بها و لم يسخطوها، هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضاه وسخطه وخرجوا عن شرعه ودينه، وأولئك أنكروا تعلق قضائه وقدره بها"[(٣)] وقد رد العلماء رحمهم الله كلا

---

(١) شفاء العليل ص ٢٧٨.

(٢) شفاء العليل ص٢٧٨.

(٣) مدارج السالكين (١٨٩/٢).

القولين بأجوبة مفحمة فدحضوا باطلهم، وأزالوا شبههم [(١)]

ومما جرّني إلى الكلام على هذا المسألة في بحثي هذا المتعلق بالأذكار: حديثُ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر يكرهه قال الحمد لله على كل حال**»[(٢)].

وكذلك ما يقوله العبد عند موت ولده من الحمد (الحمد لله)، والاسترجاع (إنا لله وإنا إليه راجعون)، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي، فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد**»[(٣)].

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/١٩٠) و(١٠/٧١٠)، والاستقامة (٢/١٢٥-١٢٦)، وشفاء العليل ص ٢٧٨ -٢٧٩، ومدارج السالكين (١/٢٥٦) و(٢/١٨٩-١٩٠)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص٢٥٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين (٢/١٢٥٠) ح ٣٨٠٣، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٧٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال صاحب مصباح الزجاجة في شرح سنن ابن ماجه (٤/١٣١): هذا إسناد صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/٤١٥)، والترمذي في سننه: كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب (٣/٣٤١) ح ١٠٢١، وقال بعده: "هذا حديث حسن

=

فهذا الذكر الذي يقوله العبد عندما يأتيه ما يكرهه يشعر بالرضا حتى بالأمر المكروه للنفس، فيتولد من الرضا حَمْدُ العبدِ لربه على ما قدره له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى إن بعضهم فسّر الحمد بالرضا، ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال وذلك يتضمن الرضا بقضائه... وروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه الأمر يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه الأمر الذي يسوؤه، قال: الحمد لله على كل حال"(١) .

ومن الدواعي التي جرتني أيضاً للكلام في هذه المسألة ما يقال من الذكر عند سماع المؤذن فعن رسول الله ﷺ أنه قال:

« من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً،وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه»(٢) .

فقوله : **«رضيت بالله رباً»** يدل على الرضا بأفعال الله وما يقدره الله

= غريب، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/٢١٠) ح ٢٩٤٨،وصححه، ونقل ابن علان في الفتوحات الربانية (٣/٢٩٦) عن الحافظ ابن حجر أنه قال:"الحديث حسن".

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٤٣).

(٢) سبق تخريجه ص ٦٦٩.

على عبده، قال ابن القيم رحمه الله: "فالرضى بإلهيته يتضمن الرضى بمحبته وحده وخوفه ورجائه والإنابة إليه والتبتل إليه وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه فعل الراضي بمحبوبه كل الرضى وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له،والرضى بربوبيته يتضمن الرضى بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به والثقة به والاعتماد عليه وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به، فالأول يتضمن رضاه بما يؤمر به، والثاني يتضمن رضاه بما يقدر"[1]

وقد قلنا أن الرضا بالله رباً يتضمن الرضا بتدبير الله للعبد، وأن يكون راضياً بما يقدره الله سبحانه وتعالى.

وهنا يأتي السؤال ما هو الرضا الواجب على العبد أن يرضاه من القضاء والمقضي، وما هو المستحب من ذلك وما هو المحرم والمكروه؟

قبل البدء في هذه المسألة لا بد من معرفة الفرق بين القضاء والمقضي.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وقول سلف الأمة وجمهورها: إن القضاء غير المقضي، فالقضاء: فعله ومشيئته وما قام به، والمقضي: مفعوله المباين له المنفصل عنه، وهو المشتمل على الخير والشر والعوج والاستقامة.

فقضاؤه: كله حق، والمقضي: منه حق ومنه باطل، وقضاؤه: كله عدل، والمقضي: منه عدل ومنه جور، وقضاؤه: كله مرضي، والمقضي: منه

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٧٢).

مرضي ومنه مسخوط وقضاؤه: كله مسالم، والمقضي: منه ما يسالم ومنه ما يحارب.

وهذا أصل عظيم يجب مراعاته وهو موضع مزلّة أقدام كما رأيت والمنحرف عنه إما جاهل للحكمة أو القدرة أو للأمر والشرع ولابد"[١]

"فإذا تقرر هذا الأصل وأن الفعل غير المفعول والقضاء غير المقضي، وأن الله سبحانه لم يأمر عباده بالرضى بكل ما خلقه وشاءه زالت الشبهات وانحلت الإشكالات ولله الحمد ولم يبق بين شرع الرب وقدره تناقض بحيث يظن إبطال أحدهما للآخر بل القدر ينصر الشرع والشرع يصدق القدر وكل منهما يحقق الآخر"[٢].

وبالنظر إلى القضاء نجده إما أن يكون قضاء دينياً شرعياً، وهو ما يتعلق بأحكام الدين وأوامره، أو أن يكون قضاء كونياً قدرياً، وهذا الثاني منه ما يكون محبوباً للنفس موافقاً لما تريده كالصحة والغنى والعافية، ومنه أن يكون جارياً على غير مراد النفس ويكون بغير اختيارها كالمصائب من الأمراض والفقر ونحوها، أو يكون مما يكون باختيار العبد ويكرهه الله سبحانه وتعالى كالكفر والفسوق والمعاصي.

فهذه هي تقسيمات القضاء وعلى هذه التقسيمات يكون معرفة

---

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٩).

(٢) المصدر السابق (٢/١٩٢).

حكم الرضى بكل نوع من أنواع القضاء، وهذا ما سنعرفه من كلام الإمام الجليل ابن القيم رحمه الله حيث قال:

"إذا عرف هذا فالرضى بالقضاء الديني الشرعي واجب وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، فأقسم أهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه وحتى يسلموا لحكمه تسليما وهذا حقيقة الرضى بحكمه فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان والتسليم في مقام الإحسان، ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين وحيي بروح الوحي وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم فقد رضي كل الرضى بهذا القضاء الديني المحبوب لله ولرسوله.

والرضى بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية واللذة أمر لازم بمقتضى الطبيعة لأنه ملائم للعبد محبوب له فليس في الرضى به عبودية بل العبودية في مقابلته

---

(١) سورة النساء الآية: ٦٥.

بالشكر والاعتراف بالمنة ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله أن توضع فيها وأن لا يعصى المنعم بها وأن يرى التقصير في جميع ذلك.

والرضى بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب وهو من مقامات أهل الإيمان وفي وجوبه قولان، وهذا كالمرض والفقر وأذى الخلق له والحر والبرد والآلام ونحو ذلك.

والرضى بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيان حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لربه تعالى فإن الله لا يرضى بذلك ولا يحبه فكيف تتفق المحبة ورضى ما يسخطه الحبيب ويبغضه فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضى بالقضاء"[١] .

"وهذا هو التفصيل الواجب في الرضى بالقضاء وقد اضطرب الناس في ذلك اضطرابا عظيما ونجا منه أصحاب الفرق والتفصيل فإن لفظ الرضى بالقضاء لفظ محمود مأمور به وهو من مقامات الصديقين فصارت له حرمة أوجبت لطائفة قبوله من غير تفصيل وظنوا أن كل ما كان مخلوقا للرب تعالى فهو مقضى مرضي مخلوقا له ينبغي له الرضى به ثم انقسموا على فرقتين فقالت فرقة إذا كان القضاء والرضى متلازمين

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٩٢-١٩٣)، وانظر شفاء العليل ص ٢٧٨.

فمعلوم أنا مأمورون ببغض المعاصي والكفر والظلم فلا تكون مقضية مقدرة وفرقة قالت قد دل العقل والشرع على أنها واقعة بقضاء الله وقدره فنحن نرضى بها،والطائفتان منحرفتان جائرتان عن قصد السبيل فأولئك أخرجوها عن قضاء الرب وقدره وهؤلاء رضوا بها و لم يسخطوها هؤلاء خالفوا الرب تعالى في رضاه وسخطه وخرجوا عن شرعه ودينه وأولئك أنكروا تعلق قضائه وقدره بها واختلفت طرق أهل الإثبات للقدر والشرع في جواب الطائفتين"[١] .

ومن الأجوبة التي أجاب بها أهلُ السنة هؤلاء الطائفتين ما قاله ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره، و لم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يُرضى به، ومنه ما يُسخط ويمقت، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه، بل من القضاء ما يَسخط، كما من الأعيان المقضية ما يغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

ويقال ثانياً: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله تعالى، ومقضي: وهو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خير وعدل وحكمة، نرضى به

كله، والمقضي قسمان: منه ما يُرضى به، ومنه ما لا يُرضى به.

---

(١) مدارج السالكين (١٨٩/٢).

ويقال ثالثاً: القضاء وجهان: أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يُرضى به.

والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به.

مثال ذلك: قتل النفس له اعتباران: فمن حيث قدّره الله وقضاه وكتبه وشاءه وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره يُرضى به، ومن حيث صدرَ من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به."[1]

ثم ليعلم العبد أن المطلوب في المصائب الصبر وهو واجب باتفاق المسلمين فقد أوجب الله الصبر، حيث أمر به في غير آية ولم يأمر بالرضا بالمقدور[2]، فلا يجوز للعبد أن يجزع ولا يتسخط قضاء الله وقدره الذي نزل به،بل يجب عليه أن يصبر، وأما الرضا فدرجة أعلى من الصبر ومن بلغها إذا نزلت به المصائب فقد بلغ المترلة العالية.

قال ابن رجب رحمه الله: "إن العبد يجهد على أن يرضي نفسه بما

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٨، وانظر مجموع الفتاوى (١٩٠/٨) و(٧١٠/١٠)، والاستقامة (٢٢٥/٢)، ومنهاج السنة النبوية (٢٠٤/٣-٢٦) ومدارج السالكين (٢٥٦/٢)، وشفاء العليل ص٢٧٨- ٢٨٠، والفتوحات الربانية (٢٦/٤).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٩٠/٨) (٢٦٠/١١)، ومنهاج السنة (٢٠٤/٣).

أصابه فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور فليفعل، فإن لم يستطع الرضا فإن في الصبر على المكروه خيراً كثيراً فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

أحدهما: أن يرضى بذلك وهي درجة عالية رفيعة جداً، قال الله عز وجل: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾[(١)]

قال علقمة:هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى...

والدرجة الثانية: أن يصبر على البلاء وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتمٌ، وفي الصبر خير كثير فإن الله أمر به ووعد عليه جزيل الأجر قال الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[(٣)]...

والفرق بين الرضا والصبر:

أن الصبر: كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم وتمني

---

(١) سورة التغابن الآية: ١١.

(٢) سورة الزمر الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٥٥-١٥٧.

زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع.

والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بألم لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية"(١)

والعبد إذا صبر فلاشك أنه سيرتقي إلى الدرجة التي أعلى من الصبر وهي الرضا فإن الحسنة تجّر إلى الحسنة قال القرطبي رحمه الله:

"فإذا صبر عن معصية الله وصبر على طاعة الله أورثه الله الرضا بقضائه، وعلامة الرضا سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات"(٢) .



(١) جامع العلوم والحكم ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧٤/٢).

المبحث الرابع:

اشتمال الذكر على مراتب الإيمان بالقدر

اعلم رحمني الله وإياك أنه لا يصح إيمان عبد بالقدر حتى يؤمن بمراتب القدر الأربع، إذ إن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بأربع مراتب[1]:

الأولى: الإيمان بعلم الله تعالى

فالله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات، وعلم سبحانه الخلق قبل أن يخلقهم وعلم آجالهم وجميع أمورهم وأحوالهم وأعمالهم من الطاعات والمعاصي وعلم منقلبهم فريقاً في الجنة وفريقاً في السعير.

قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣ ﴾[2].

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٢٩، ومعارج القبول لحافظ الحكمي (٢/٢٢٥-٢٣٨) (ط٣/١٤٠٤ هـ المطبعة السلفية بالقاهرة) ومجموع فتاوى ابن عثيمين (٤/٢٠٤) و (٥/٤٥، ١٣٧، ٢٢٣).

(٢) سورة سبأ الآية: ٣.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾(٢)

وهذه المرتبة هي مما اتفق عليها الرسل ومن تبعهم وسار على منهجهم.

قال ابن القيم رحمه الله: "فأما المرتبة الأولى وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة، وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها"(٣).

ثانياً: الإيمان بكتابة المقادير:

فقد كتب الله سبحانه ما هو كائن إلى يوم القيامة فكل ما هو موجود وكائن وما كان وما سيكون فهو مكتوب في كتاب لم يفرط فيه من شيء، من قبل أن يخلق الله سبحانه السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحشر الآية: ٢٢.

(٣) شفاء العليل ص ٢٩.

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [(١)]

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [(٢)]

وقال رسول الله ﷺ:

« كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء» [(٣)].

ويدخل في الإيمان بمرتبة الكتابة خمسة مقادير[(٤)]:

١ - الإيمان بالتقدير الأزلي: وهو ما كتبه القلم بأمر من الله تعالى قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

٢ - الإيمان بالميثاق: وهو العهد والميثاق الذي أخذه الله على خلقه بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة يس الآية: ١٢.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام (٢٠٤٤/٤) ح ٢٦٥٣، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) انظر: معارج القبول للحكمي (٢٣٠-/٢٣٦).

(٥) سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

٣ - الإيمان بالتقدير العمري: وهو ما يكتب عند تخليق النطفة في الرحم بعد أربعة أشهر وعشرة أيام، فيكتب عمر المرء وأجله ورزقه وسعيد أو شقي، وذكر أو أنثى

٤- الإيمان بالتقدير الحولي: والذي يكون في ليلة القدر كما قال الله عنها: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[1].

٥ - الإيمان بالتقدير اليومي وهو ما يكون في كل يوم ويقع على حسب ما قدر سابقاً، فهو سبحانه وتعالى كل يوم في شأن كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝ ﴾[2].

ثالثاً: الإيمان بمشيئة الله النافذة في الكون، وقدرته التامة الشاملة:

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهو سبحانه على كل شيء قدير.

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[4]

---

(١) سورة الدخان الآيتان ٤-٥.

(٢) سورة الرحمن الآية: ٢٩.

(٣) سورة التكوير الآية: ٢٩.

(٤) سورة المائدة الآية: ٤٨.

وقال جل جلاله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝﴾[١].

قال ابن القيم رحمه الله في بيانه الإجماع على هذه المرتبة من مراتب القدر:

"وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا بمشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم، والقرآن والسنة مملوآن بتكذيب الطائفتين"[٢].

رابعاً: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء:

فما من شيء صغر أو كبر في الأرض أو في السموات وما بينهما إلا والله خالقه لا خالق إلا هو، وما من حركة ولا سكون ولا عمل إلا

(١) سورة آل عمران الآية: ٤٠.

(٢) شفاء العليل ص ٤٣.

والله خالقه، فهو سبحانه خالق العباد وأعمالهم، فالله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ (3).

وهذه المرتبة متفق عليها بين الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

قال ابن القيم رحمه الله:

"وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الأمة فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلوهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم أنه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالاً ولا يضل مهتدياً ولا يقدر أن يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً والمصلي

---

(1) سورة الأنعام الآية: ١٠٢.

(2) سورة الملك الآية: ٢.

(3) سورة الصافات الآية: ٩٦.

مصلياً وإنما ذلك بجعلهم أنفسهم كذلك يجعله تعالى.وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والإيمان من أقطار الأرض وصنف حزب الإسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهي أكثر من أن يحصيها إلا الله"[١] .

- **أما دلالة الأذكار على مراتب القدر:**

فنبدأ أولاً بالمرتبة الأولى وهي مرتبة العلم.

ودل على هذه المرتبة حديث عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة أم المؤمنين أن نبي الله ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل،فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**» [٢].

فقوله: (عالم الغيب والشهادة) فيه دلالة على علم الله بكل شيء.

وكذلك حديث الاستخارة إذ فيه الثناء على الله بعلمه وإثبات جهل العبد.

فعن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في

---

(١) شفاء العليل ص٤٩.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠٥.

الأمور كلها كالسورة من القرآن فيقول: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: في عاجل أمري وآجله، فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته»**(١) .

قال ابن حجر رحمه الله:"قوله: (**فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم**) إشارة إلى أن العلم والقدرة لله وحده وليس للعبد من ذلك إلا ما قدر الله له، وكأنه قال: أنت يا رب تقدر قبل أن تخلق فيّ القدرة وعندما تخلقها فيّ وبعد ما تخلقها"(٢) .

ومن أذكار الصباح والمساء ما ورد من قوله ﷺ:

«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»(٣)

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٧١.

(٢) فتح الباري (١١/١٨٦).

(٣) سبق تخريجه ص ٤٨٤.

فاسم الله "العليم" يقتضي أنه سبحانه عالم بأرزاق العباد وآجالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم، والشقي منهم والسعيد قبل أن يخلقهم .

- **ومما يدل من الأذكار على مرتبة الكتابة:**

فلم أجد ما يدل على هذه المرتبة إلا حديث سيد الاستغفار؛ إذ فيه الإشارة إلى أحد المقادير الداخلة تحت الإيمان بهذه المرتبة وهو العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم في عالم الذر، فقوله ﷺ في حديث سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ما استطعت**»[١].

فيه دلالة على العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "وقال ابن بطال قوله: (وأنا على عهدك ووعدك) يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه"[٣] .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣١.

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

(٣) فتح الباري (٩٩/١١).

وسُئل الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾[1]، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال رسول الله ﷺ:

« إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال:فقال رسول الله ﷺ: **« إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار »**[2].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧٢.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر (٨٩٨/٢) ح١٥٩٢، وأبو داود في سننه: كتاب السنة ، باب في القدر (٢٢٦/٤) ح ٤٧٠٣، والترمذي في سننه: كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف (٢٦٦/٥) ح ٣٠٧٥، وقال: هذا حديث حسن، والحاكم في المستدرك (٥٩٤/٢) ح٤٠٠١ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

● **ومما يدل من الأذكار على مشيئة الله تعالى ما ورد في أذكار** الرفع من الركوع فقد كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[١].

قال النووي رحمه الله: "فقد أخبر النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى أن هذا أحق ما قاله العبد فينبغي أن نحافظ عليه لأن كلنا عبد،ولا نهمله، وإنما كان أحق ما قاله العبد لما فيه من التفويض إلى الله تعالى والإذعان له والاعتراف بوحدانيته والتصريح بأنه لا حول ولا قوة إلا به وأن الخير والشر منه والحث على الزهادة في الدنيا والإقبال على الأعمال الصالحة"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على هذا الحديث: "وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقا و قدرا و بداية و هداية هو المعطي المانع لا مانع لما أعطى و لا معطى لما منع و لتوحيد الإلهية شرعا و أمراً و نهياً"[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله:"فقوله: **(وملء ما شئت من شيء بعد)** يقتضي إثبات مشيئة تتعلق بشيء بعد ذلك"[٤].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (١٩٥/٤-١٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٦/١٤).

(٤) طريق الهجرتين ص١٩٣.

ومن أحاديث الأذكار أيضاً الدالة على مرتبة المشيئة:

ما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[1].

ففي هذا الحديث حثّ رسول الله ﷺ على الإيمان بمقادير الله وبمشيئة الله وإرجاع ما يقع للعبد إلى مشيئة الله، وقوله: (**وما شاء فعل**) فيه إثبات المشيئة لله تعالى.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن نبي الله ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل،فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**[2] .

فقوله: (**من تشاء**) دليل على مشيئة الله تعالى.

---

(١) سبق تخريجه ص ٨١٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٠٥.

وورد فيما يقال للمريض عند عيادته عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده فقال: **«لا بأس عليك طهور إن شاء الله»** قال: قال الأعرابي: طهور! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيرُه القبور قال النبي ﷺ: **«فنعم إذاً»**(١).

وهذا الحديث استدل به البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد على إثبات مشيئة الله ﷻ كما هو واضح في تخريج الحديث، حيث بوّب له باب: في المشيئة والإرادة .

والشاهد منه قوله ﷺ: **«إن شاء الله»** فجعل كون هذا المرض الذي أُصيب به المريض طهوراً له من ذنوبه ومكفراً لها مقيداً بمشيئة الله تعالى وفوض ذلك، فإن شاء الله تعالى جعله كفارة وطهوراً فهو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير، قال ابن علان في شرحه لهذا الحديث: "قوله: (**إن شاء الله**) أتى به للتبرك أو للتفويض أو للتعليق فإن كونه طهوراً مبني على كونه صبوراً شكوراً"(٢).

وفيما يقال عند دخول القبور ما ورد عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله (٦/٢٧١٧) ح٧٠٣٢.

(٢) الفتوحات الربانية (٤/٦٩).

إلى البقيع فيقول: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»**[١].

ومن الأذكار الواردة في القرآن الكريم قوله تبارك وتعالى:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "قال بعض السلف:من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة"[٣] .

فهذه الأذكار كلها دالة على مشيئة الله سبحانه وتعالى .

- **أما مرتبة الخلق والإيجاد فيدل عليها من الأذكار ما ورد:**

عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه سلم: أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: **« وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين...وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين»**[٤].

---

(١) سبق تخريجه ص٣٤٤.

(٢) سورة الكهف الآية: ٣٩.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٨٥).

(٤) سبق تخريجه ص ٣٣٤.

وحديث سيد الاستغفار وفيه أنه ﷺ قال: « **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني...» الحديث**[١] .

ففي الحديث الأول: دلالة على أن الله فطر السموات والأرض أي خلقهن وأبدعهن وأتقن صنعنهن وأوجدهن من العدم على غير مثال سابق، فخلقه سبحانه لهذا الكون من أرض وسموات وما فيهن من رطب ويابس ومخلوقات عجيبة أكبر دليل على هذه المرتبة وأن الله يخلق الخلق بقدرته على ما اقتضاه علمه السابق ومشيئته النافذة.

والحديث الثاني كذلك يدل على شيء مما خلق الله تعالى وهو خلق الإنسان وما احتواه هذا المخلوق من أعضاء وأجهزة يعجز الإتيان بمثلها إلا من هو خالق كل شيء سبحانه، فالناظر في نفسه ودقة تكوينها وعجيب خلقتها يؤمن بأن الله خالق كل شيء"فتضمن هذا الاستغفار الاعتراف من العبد بربوبية الله وإلهيته وتوحيده والاعتراف بأنه خالقه العالم به إذ إنشأه نشأة تستلزم عجزه عن أداء حقه وتقصير فيه"[٢].

ومما سبق نخلص إلى أن الذكر له علاقة وثيقة بالقدر وأنه يدل دلالة واضحة على مراتبه فيجب الإيمان بالقدر وبمراتبه والله الموفق.



(١) سبق تخريجه ص ٢٣١.

(٢) مدارج السالكين (١/٢٢١).

المبحث الخامس:

بيان معنى لا حول ولا قوة إلا بالله[1]

إن كلمة الحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله) هي من الأذكار العظيمة القدر،الرفيعة المترلة، العالية المرتبة، ولها من الفضائل والفوائد والمنافع ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، وقد كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ويحثهم عليها، وتأتي هذه الكلمة في الأذكار المطلقة والمقيدة في مواضع كثيرة جداً.

وقبل الكلام على معناها فسأتكلم في البداية على فضلها حتى تتشوق النفس إليها وترغب فيها ولا تتوانى عن قولها، ثم أتكلم عن معناها، وبعد ذلك على تعلقها بالقدر.

---

(١) ذكر شيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد حفظه الله في رسالته المؤلفة في هذه الكلمة العظيمة (الحوقلة مفهومها، وفضائلها، ودلالاتها العقدية) - وهي رسالة لطيفة جامعة نافعة جزاه الله خيراً - ص ٦١ (ضمن مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١١٧) أنه لم ير من أفرد هذا الموضوع بالتأليف سوى رسالتين:

الأولى: لجلال الدين السيوطي سماها"شرح الحوقلة والحيعلة"كما في كشف الظنون لحاجي خليفة (١٠٤٠/٢)، وذكر شيخنا الفاضل عبد الرزاق أنه لم يقف عليها

الثانية: لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي،واسمها"فضل لا حول ولا قوة إلا بالله".

أما فضلها[١] **فمما يدل على فضلها وعلو مترلتها، ومما يرغّب في** الإكثار من قولها باللسان و إمرارها على الجنان أمور:

١- إخبار النبي ﷺ عنها بأنها كتر من كنوز الجنة:

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: **«أيهـــا الناس أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً، إنكـــم تدعون سميعا قريباً وهو معكم»**، قال: وأنا خلفه وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: **«يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كتر من كنوز الجنة !»** ، فقلت: بلى يا رسول الله، قال: **«قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»**[٢].

قال النووي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه و سلم: (لا حول ولا قوة إلا بالله كتر من كنوز الجنة) قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر ومعنى الكتر هنا أنه ثواب

---

(١) انظر : فضل لا حول ولا قوة إلا بالله لابن عبد الهادي فقد ذكر جملة من فضائل هذه الكلمة الجليلة، و"الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية للشيخ عبد الرزاق العباد ص ٦٧-٧٢ (ضمن مجلة الجامعة).

(٢) سبق تخريجه ص ٥٢٤.

مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكتر أنفس أموالكم"(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والكتر مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع وذلك أنها تتضمن التوكل والافتقار إلى الله تعالى ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم"(٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان الكتر هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كتراً من كنوز الجنة، وأُوتيها النبي ﷺ من كتر تحت العرش،وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أزمة الأمور بيديه وفوض أمره إليه"(٣) .

وقال ابن حجر رحمه الله: "وحاصله أن المراد أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة"(٤) .

وقال ابن الأثير رحمه الله: "قوله: (لا حَولَ ولا قُوّةَ إلاّ بالله كتر من كُنوز الجنة) أي أجْرُها مُدّخَرٌ لقائلها والمُتّصِف بها كما يُدَّخَر الكتر"(١) .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٦/١٧)، وانظر سبل السلام للصنعاني (٢١٨/٤)، وتحفة الأحوذي (٣٠١/٩)، وعون المعبــود (٢٧١/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢١/١٣).

(٣) شفاء العليل ص ١١٢.

(٤) فتح الباري (٥٠١/١١).

فلما كان الكتر هو ما يجمعه صاحبه من نفيس المال وهو أيضاً ما خفي موضعه إلا على القليل من الناس، كانت هذه الكلمة كتراً لمشابهتها لصفات الكتر؛ إذ إنها غراس الجنة، والغراس وما تحمله من ثمار من أنفس وأشهى ما في الجنة، وقائلها كلما قالها وكررها اجتمع عنده من الغراس بعددها، فهي كتر مجتمع، ولكن هذه الغراس مخفية عنه في الدنيا، مدخرة له في الآخرة لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى،فهي كتر مدخر، وكذلك شابهت هذه الكلمة صفة من صفات الكتر وهي الخفاء عن كثير من الناس؛ فهذه الكلمة تحمل من المعاني والمدلولات العقدية والفوائد والفضائل ما خفي على كثير من الناس وخاصة في زماننا هذا، والله المستعان.

وكذلك تشبه الكتر من حيث قوته وصلابته وتحمّله، فقائل هذه الكلمة طالب الإعانة من الله تعالى، والله سبحانه يعين من استعان به ويقويه على بلوغ حاجته ويعطيه قوة وقدرة ليصل إلى ما ابتغاه، وبخاصة أن هذه الكلمة فيها تبري العبد من حوله وقوته، والاستعانة بالقوي القدير جل جلاله، فمن تبرأ من حوله وقوته ولجأ إلى بارئه أعطاه الله من القوة والإعانة والتأييد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وقول: (لا حول ولا قوة إلا

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٠٣).

بالله) يوجب الإعانة،ولهذا سنها النبي ﷺ إذا قال المؤذن: حي على الصلاة، فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله،فإذا قال: حي على الفلاح، قال المجيب: (لا حول ولا قوة إلا بالله) وقال المؤمن لصاحبه: : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[1]، ولهذا يؤمر بهذا من يخاف العين على شيء، فقوله: ما شاء الله، تقديره: ما شاء الله كان فلا يأمن، بل يؤمن بالقدر ويقول لا قوة إلا بالله"[2].

٢ - ومن فضائلها أن الله سبحانه يصدق قائلها ومن صدقه الله تعالى على ما يقول فليبشر بالخير بإذن الله.

فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: « **إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا وحدي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدقه ربه قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي**»[3].

---

(١) سورة الكهف الآية: ٣٩.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٣٢١).

(٣) سبق تخريجه ص ٢١٤.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر،ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال:حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال:حي على الفلاح،قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله،قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة»[١].

٣- ومن فضائلها أن من قالها حين يخرج من بيته مع البسملة والتوكل على الله أنه يوقى ويُكفى ويُهدى، فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: **«إذا خرج من بيته فقال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له حسبك قد كفيت وهديت ووقيت فيلقى الشيطان شيطانا آخر فيقول له كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي»** [٢].

٤- ومن فضائلها أنها من الباقيات الصالحات ومن أحب الكلام إلى المولى جل جلاله قال الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه:كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (٢٨٩/١) ح ٣٨٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٦٢.

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾[١] .

فقد ورد في تفسير هذه الآية عن جمع من الصحابة والتابعين أن الباقيات الصالحات هن:"سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

وسُئل ابن عمر عن الباقيات الصالحات؟ فقال: "لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "هي ذكر الله، قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض"[٣] .

وقد ورد في فضلهن أي الكلمات الباقيات الصالحات أهن يكفرنّ الذنوب فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما على الأرض رجل يقول: لا إله لا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كُفِّرت عنه ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر»**[٤] .

---

(١) سورة الكهف الآية: ٤٦.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/٢٥٥).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/٢٥٥).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/١٥٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة ١٢٣، والترمذي =

"والأحاديث في فضل هذه الكلمات مجموعة ومتفرقة بحرٌ لا تنزفه الدِّلاء ولا ينقصه الإملاء"[(١)]

٥- وكذلك من فضائلها أنها غراس الجنة **فقد ثبت أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مر على إبراهيم عليه السلام فقال: من معك يا جبريل؟ قال هذا محمد، فقال له إبراهيم: مُرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»**[(٢)]".

معنى لا حول ولا قوة إلا بالله

إذا عرف المسلم بعض فضائل هذه الكلمة العظيمة فلا شك أن نفسه ستتوق إلى معرفة معناها ومدلولها حتى يقولها متدبراً في معناها مطمئناً قلبه بها راجياً الحصول على ما فيها من الفوائد والفضائل، وها أنا ذا أنقل بعض النقول عن أهل العلم في بيان معنى هذه الكلمة ومدلولها

= كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (٥/٥٠٩) ح ٣٤٦٠ وحسنه، والحاكم في المستدرك (١/٥٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥٦٣٦.

(١) سبل السلام للصنعاني (٤/٢١٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤١٨)، وابن حبان في صحيحه (٣/١٠٣) ح٨٢١، والطبراني في المعجم الكبير (٤/١٣٢) ح٣٨٩٨، وقال الألباني: صحيح لغيره. كما في صحيح الترغيب (٢/برقم ١٥٨٣).

رجاء أن تتضح حقيقتها ويتبين معناها فقد بيّن العلماء رحمهم الله معنى هذه الكلمة أحسن بيان وقربوه للأفئدة والأذهان.

قال النووي رحمه الله: "قوله صلى الله عليه و سلم: (**لا حول ولا قوة إلا بالله كتر من كنوز الجنة**) قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر ومعنى الكتر هنا أنه ثواب مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكتر أنفس أموالكم.

قال أهل اللغة: الحول الحركة والحيلة أي لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلا بمشيئة الله تعالى.

وقيل: معناه لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلا بالله.

وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونتة وحُكي هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وكله متقارب"[١].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في معناها:

"أنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك من دونه ولا نملك إلا ما ملّكنا مما هو أملك به منا"[٢] .

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/٢٦-٢٧)، وانظر (٤/٨٧) منه، و تهذيب الأسماء واللغات للنووي أيضاً.

(٢) نقله عنه ابن علان في الفتوحات الربانية (١/٢٤٢).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في تفسيره لمعنى"لا حول ولا قوة إلا بالله":

"لا حيلة لأحد ولا تحوّل لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئته المشيئات كلها وعكست إرادته الإرادات كلها وغلب قضاؤه الحيل كلها يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1]"[2].

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يؤكد أن معناها أوسع وأعم مما ذُكر فيقول في تعليقه على حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه السابق:

"فلفظ الحول يتناول كل تحول من حال إلى حال، والقوة هي القدرة على ذلك التحول فدلت هذه الكلمة العظيمة على أنه ليس للعالم العلوي والسفلي حركة وتحول من حال إلى حال ولا قدرة على ذلك إلا بالله ومن الناس من يفسر ذلك بمعنى خاص فيقول لا حول من معصيته إلا بعصمته ولا قوة على طاعته إلا بمعونته والصواب الذي عليه الجمهور هو التفسير الأول وهو الذي يدل عليه اللفظ فإن الحول لا يختص بالحول عن المعصية وكذلك القوة لا تختص بالقوة على الطاعة بل

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٣.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤- ٤٤٥ مع شرحها لابن أبي العز الحنفي.

لفظ الحول يعم كل تحول... وكذلك لفظ القوة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾[(١)]
ولفظ القوة قد يراد به ما كان في القدرة أكمل من غيره فهو قدرة أرجح من غيرها أو القدرة التامة ولفظ القوة قد يعم القوة التي في الجمادات بخلاف لفظ القدرة فلهذا كان المنفي بلفظ القوة أشمل وأكمل فإذا لم تكن قوة إلا به لم تكن قدرة إلا به بطريق الأولى وهذا باب واسع"[(٢)] .

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله فهو الذي بيده الحول كله والقوة كلها فالحول والقوة التي يرجى لأجلهما المخلوق ويخاف إنما هما لله وبيده في الحقيقة فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوة بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه"[(٣)] .

وقال أيضاً في تعليقه على حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه السابق:"فإن العالم العلوي والسفلي له تحول من حال إلى حال وذلك التحول لا يقع إلا بقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة

---

(١) سورة الروم الآية: ٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٧٥)، وانظر بغية المرتاد (١/٢٦٣)، وشرح العمدة لشيخ الإسلام أيضاً (٤/١٢٣)(ط١/١٤١٣هـ العبيكان الرياض تحقيق د/سعود صالح العطيشان).

(٣) الفوائد ص٥٢.

بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل في هذا كل حركة في العالم العلوي والسفلي وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو إرادية أو طبيعية وسواء كانت من الوسط أو إلى الوسط أو على الوسط وسواء كانت في الكم أو الكيف أو في الأين كحركة النبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب والقوة على هذه الحركات التي هي حول فلا حول ولا قوة إلا بالله"[١].

وقال في موضع آخر مبيناً تأثير هذه الكلمة (الحوقلة) في دفع داء الهم والغم والحزن: "وأما تأثير لا حول ولا قوة إلا بالله في دفع هذا الداء أي داء الهم والغم والحزن فلما فيها من كمال التفويض والتبرىء من الحول والقوة إلا به وتسليم الأمر كله له وعدم منازعته في شيء منه وعموم ذلك لكل تحول من حال إلى حال في العالم العلوي والسفلي والقوة على ذلك التحول وأن ذلك كله بالله وحده فلا يقوم لهذه الكلمة شيء وفي بعض الآثار أنه ما يترل ملك من السماء ولا يصعد إليها إلا بلا حول ولا قوة إلا بالله ولها تأثير عجيب في طرد الشيطان والله المستعان"[٢]

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "و**(لا حول و لا قوة إلا بالله)** دليل على إثبات القدر"[٣].

---

(١) شفاء العليل ص١١٢.

(٢) زاد المعاد (٤/٢٠٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧.

وقال ابن الأثير رحمه الله:"الحوقلة بتقديم القاف على اللام ، والمراد من هذه الكلمة إظهارُ الفَقْر إلى الله بِطَلب المَعُونة منه على ما يُحاوِل من الأمور ، وهو حَقِيقة العُبوديَّة."[(١)] .

فهذه النقولات عن أهل العلم تبين لنا حقيقة هذه الكلمة فالعبد لا يمكنه أن يتحول من أي حال مهما كان هذا الحال وصفه إلى حال آخر إلا بحول الله وقوته.

وللذاكر أن يتلفظ بهذه الكلمة بعدة أوجه ذكرها علماء العربية وهي أوجه الإعراب للحوقلة حيث ذكروا فيها خمسة أوجه:

قال النووي رحمه الله: "وقوله: **«لا حول ولا قوة إلا بالله»** يجوز فيه خمسة أوجه لأهل العربية مشهورة:

أحدهما: لا حولَ ولا قوةَ بفتحهما بلا تنوين.

والثاني: فتح الأول ونصب الثاني منوناً.

والثالث: رفعهما منونين.

والرابع: فتح الأول ورفع الثاني منوناً.

والخامس: عكسه"[(٢)] .

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤٦٥/١).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٨٧/٤).

أما عن تعلقها بباب القدر وسبب ذكرها فيه:

فقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه هذه الكلمة العظيمة في أبواب عدة من صحيحه ومن ذلك: كتاب القدر[١] ومعروف أن فقه الإمام البخاري كما يقال في تراجمه، مما يدل على أنه رحمه الله ما وضعها في كتاب القدر إلا لدلالتها عليه، والشارح ابن حجر رحمه الله قد بيّن لنا وجه ذلك فقال:

"قوله بابٌ بالتنوين، لا حول ولا قوة إلا بالله ترجم في أواخر الدعوات باب قول لا حول بالإضافة واقتصر هنا على لفظ الخبر واستغنى به لظهوره في أبواب القدر؛ لأن معنى (لا حول) لا تحويل للعبد عن معصية الله إلا بعصمة الله، (ولا قوة) له على طاعة الله إلا بتوفيق الله، وقيل معنى لا حول لا حيلة وقال النووي هي كلمة استلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى وذكر فيه حديث أبي موسى وقد تقدم في الدعوات وقد جاء في الحديث إذا قال العبد لا حول ولا قوة إلا بالله قال الله أسلم عبدي واستسلم قلت أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة بسند قوي"[٢] .

---

(١) صحيح البخاري (٦/٢٤٣٦).

(٢) فتح الباري (١١/٥٠٠-٥٠١).

قلت: إن كلمة الحوقلة دخلت في باب القدر لكونها تدل على مرتبة من مراتبه وهي المشيئة فقد ذكرنا أن مراتب القدر أربع مراتب ومنها: الإيمان بمشيئة الله النافذة في خلقه وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فعندما يقول العبد (**لا حول ولا قوة إلا بالله**) يعتقد في قرارة نفسه أنه لا يستطيع التحول من أمر لآخر إلا إذا شاء الله له ذلك وقدره له، فلا ينصرف عن المعصية إلى الطاعة إلا بمشيئة الله تعالى، ولا ينصرف من المرض إلى الصحة إلا إذا كتب الله له الشفاء وشاءه له، ولا يتحول من ضعفٍ إلى قوة، ولا من ذلٍّ إلى عزٍّ، ولا من قلةٍ إلى كثرة، ولا من جوعٍ إلى شبع ولا من فقرٍ إلى غنىً، ولا من خوفٍ إلى أمن، ولا من شرٍّ إلى خير إلا بمشيئة الله وإرادته، فلا يتحول ويتقلب من أي حال مهما كان إلى حالٍ غيره إلا إذا شاء له الله ذلك، كما أنه ليس لعبدٍ قوة في نيل مطلوب والحصول على مرغوب أو دفع مرهوب إلا إن أعانه الله سبحانه وأمده بقوة منه، فالعبد بقوله لهذه الكلمة يتبرأ من حوله وقوته، ويعتقد أن الحول والقوة بالله وحده، فهو سبحانه مالك الملك وخالق الخلق، بيده أمور الخلق يتصرف بهم كيف يشاء ويصرّفهم حيث يشاء ويقلّب أحوالهم من حال إلى حال على حسب مشيئته وحكمته وإرادته، لا مانع لما قضى ولا لما أعطى، ولا معطي لما منع، بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

قال ابن القيم رحمه الله:"وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول وهي شافية كافية في إثبات القدر وإبطال قول القدرية"[١].

---

(١) شفاء العليل ص ١١٢.

وقال ابن حجر رحمه الله:

"قال ابن بطال: كان عليه السلام معلماً لأمته فلا يراهم على حالة من الخير إلا أحب لهم الزيادة فأحب للذين رفعوا أصواهم بكلمة الإخلاص والتكبير أن يضيفوا إليها التبري من الحول والقوة فيجمعوا بين التوحيد والإيمان بالقدر"[١].

وقد تضمنت هذه الكلمة الجليلة معان عقدية عظيمة القَدْرِ لمن فقهها غير دلالتها على القَدَر، ذكر جملة منها شيخنا الفاضل الشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ونلخصها فيما يلي [٢]:

١- أنها كلمة استعانة بالله العظيم، ومن استعان بالله جل جلاله، فالله سبحانه يعينه على قضاء حوائجه، وجميع ما يصلحه.والاستعانة بالله من أفضل العبادات وأجلّها وتُعرف مترلتها وعظم شأنها من خلال سورة الفاتحة التي أمر الله سبحانه عباده أن يتعبدوه بتلاوتها يومياً مراراً، وذلك في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ فهذه الآية فيها إخلاص الاستعانة لله لأنه قدم ما حقه التأخير فأفاد حصر الاستعانة بالله وكذلك الحوقلة"كلمة تحتوي على الإخلاص لله بالاستعانة فهي تدل على ما دلت عليه الآية.

---

(١) فتح الباري (١١/٥٠١).

(٢) انظر: الحوقلة مفهومها، وفضائلها ودلالاتها العقدية لشيخنا الفاضل عبد الرزاق البدر ص ٢١-٢٩.

قال البيهقي رحمه الله: "باب استعانة العبد بمعبوده على حسن عبادته علماً منه بأنه لا يمكن ذلك إلا بمعونته قال الله عز وجل فيما علمنا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] يعني قولوا: إياك نعبد وإياك نستعين، وعلمنا رسول الله ﷺ في أخبار كثيرة أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله: يعني لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله"[2].

٢- تضمنها الإقرار بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية:

فقائلها يقر ويعتقد بأن الله وحده المدبر لهذا الكون المتصرف بحكمته ومشيئته فلا يقع فيه شيء إلا بإذنه ومشيئته، كما أنه معترف بأن من كان هذا وصفه فهو بالطبع غنيٌّ عن خلقه قائم بذاته متصف بصفات الكمال من القدرة والعظمة والقوة والعزة، ومن يعتقد هذا في خالقه كان عليه لزاماً أن يؤلهه ويعبده ويقصده ويلتجئ إليه ولا يرجو أحداً سواه، ولا يدعو أحداً إلا هو؛ لأنه بيده التصرف التام وله الملك وهو على كل شيء قدير.

٣- فيها الإيمان بالقضاء والقدر وبمشيئة الله النافذة وقد سبق الكلام على ذلك قريباً.

---

(١) سورة الفاتحة الآية: ٥.

(٢) السنن الصغرى ص ٢٧ (ط١/١٤١٠ هـ، مطبعة الدار، المدينة المنورة تحقيق د/محمد ضياء الرحمن الأعظمي).

٤- فيها الرد على الطائفتين المخالفتين بباب القدر: القدرية الذين يقولون بأن العبد هو الخالق لفعل نفسه وينفون قدرة الله ومشيئته، وهذه الكلمة تثبتهما.

وفيها أيضاً على الجبرية النافين قدرة العبد واستطاعته على الفعل وهذه الكلمة تثبت ما نفوه.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالقبول وهي شافية كافية في إثبات القدر وإبطال قول القدرية"[(١)].

وقد سبق الكلام على هذا بتوسع في المباحث السابقة.

٥- تتضمن التوكل على الله تعالى وتفويض الأمور إليه والاستسلام والإذعان له مع إظهار الذل والافتقار له سبحانه فهو الغني والعبد فقير إليه لا يملك من أمره شيئاً.

قال العلماء في سبب كونها كنزاً من كنوز الجنة لأنها"كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأن العبد لا يملك شيئا من الأمر"[(٢)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قال: (هي كنز من كنوز الجنة)، والكنز مال مجتمع لا يحتاج إلى جمع وذلك أنها تتضمن التوكل

---

(١) شفاء العليل ص ١١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي (٢٦/١٧).

والافتقار إلى الله تعالى ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم"(١) .

وقال رحمه الله في موضع آخر فيما يجب على العبد أن يعلمه:

"أن يعلم العبد أن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه لا رب غيره ولا خالق سواه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ منه إلا إليه وأنه على كل شيء قدير فجميع ما في السموات والأرض من الأعيان وصفاتها وحركاتها فهي مخلوقة له مقدورة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته وملكه، ولا يشركه في شيء من ذلك غيره، بل هو سبحانه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فالعبد فقير إلى الله في كل شيء يحتاج إليه في كل شيء لا يستغني عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له"(٢) .

ويجدر التنبيه هنا على أمر يُخطئ به بعض الناس ألا وهو: استعمالهم هذه الكلمة في غير موضعها اللائق بها ونجم ذلك عن عدم معرفة معناها ومحتواها، فيجعلونها كلمة استرجاع لا كلمة استعانة بالله (٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢١/١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٦/٨).

(٣) انظر: الحوقلة مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية للشيخ عبد الرزاق العباد ص٨٣ (ضمن مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وذلك أن هذه الكلمة هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعاً لا صبراً"[١].

وكذلك مما يقع فيه الناس أنهم يختصرون هذه الكلمة فيقولون:"لا حول لله"فهذا ينبغي تنبيه قائله وإرشاده؛ لأن ذلك يوقع في الإثم من جهة تغيير ألفاظ الأذكار ومن جهة ما في الكلام من مفاسد عقدية إن أراد قائلها اللفظ على ظاهره، إلا أن الأغلب من العوام يقولونها ويريدون بذلك "لا حول ولا قوة إلا بالله"[٢]

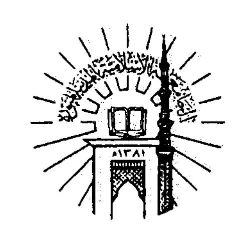
وأخيراً تبين لنا مما سبق أهمية هذه الكلمة العظيمة وبيان ما فيها من المنافع والفضائل والدلالات العقدية كل ذلك يوجب على العبد فهمها وفهم ما تحتويه من معان والله هو وحده الموفق وهو المستعان.



(١) الاستقامة (٨١/٢).

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله (١٢٩/٣)، والحوقلة مفهومها وفضائلها للشيخ عبد الرزاق البدر ص ٨٣.

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٩٢)



المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار

تأليف

الشيخ علي بن عبد الحفيظ الكيلاني

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ



الباب الثالث:

في الذكر غير المشروع

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسباب انتشار الذكر غير المشروع وآثاره السيئة ومظاهر الغلو فيه.

الفصل الثاني: في الأذكار المبتدعة وما ورد في التحذير من الابتداع في العبادات عامة وفي الذكر خاصة، وذكر جملة من نماذج وصور من الذكر غير المشروع.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الأول:

أسباب انتشار الذكر غير المشروع وآثاره السيئة ومظاهر الغلو فيه

وفيه مباحث:

المبحث الأول: أسبابُ انتشار الذكر غير المشروع في العالم الإسلامي.

المبحث الثاني: الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة.

المبحث الثالث: مظاهر الغلو في الأذكار.

المبحث الرابع: ذكر بعض المخالفات العقدية في الأذكار غير المشروعة.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول:

أسباب انتشار الذكر غير المشروع

في العالم الإسلامي

لا ريب أن الله تبارك وتعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ ليطاع ويُتَّبع، ولم يقبضه إليه حتى أتم به نعمته وأكمل به الدين ورضيه لنا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[١].

فالرسول ﷺ بلغ الرسالة وأدى ما عليه على الوجه الأكمل فما من خير يعلمه يقربنا إلى الله تعالى إلا وقد دلنا عليه وأرشدنا إليه، وما من شر يبعدنا عن الله إلا وحذرنا منه ونهانا عنه، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

ودين الإسلام كامل لا يحتاج إلى من يكمله أو يزيد فيه وعلى هذا مضى سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان يتبعون ولا يبتدعون، إلا أنه لما بَعُد المسلمون عن دينهم وعن فهم حقيقته وما أريد منهم وصار الدين غريباً، انتشرت البدع والأهواء في صفوف المسلمين

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

وتعددت الآراء والمذاهب، وصار أرباب البدع أكثر من المتمسكين بالسنة والهدي النبوي، وتوغلوا في ابتداع بدعهم في شتى العبادات، وخاصة الذكر، حيث كثرت فيه البدع.

وصار المرء أول ما يسمع بطريقة ما من الطرق يسأل ما هو الذكر والورد الخاص بهذه الطريقة وصار الذكر - غير المشروع - عنواناً على الطريقة الفلانية والطريقة الفلانية ولكل منها أذكار وأوراد - غير مشروعة - بهيئات وحركات وطقوس مبتدعة - تختلف عن أختها، بل صاروا يتنافسون فيما بينهم في ابتداع أذكار وأوراد وأحزاب وحركات مرافقة لها حتى يصرفوا أنظار الناس إليهم وينتشر مذهبهم وتظهر طريقتهم،ولذلك انتشرت بدعهم وأورادهم في البلاد انتشار النار في الهشيم وانتشار الدخان في الفضـــاء، فلا تكاد تقلّب بصرك في بلد من بلاد المسلمين -إلا من رحم الله- إلا وتجد فيه طريقة من الطرق لها أوراد وأذكار تختلف عن غيرها.

وقد يتسآءل المرء ويقول: هل يعقل أن تكون هذه الأوراد والأذكار المبتدعة - مع وجود الخير الكثير في سنة المصطفى ﷺ والذي يغني عن هذه المبتدعات - قد وجدت بلا سبب؟!!

لا شك أن أي أمر من الأمور لا ينتشر في أمة من الأمم إلا وله دوافع وأسباب تسببت في انتشاره ووجوده ورواجه بين الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" فإن العاقل يعلم أن أمة من

الأمم لم تجمع على أمر بلا سبب [١].

ولذلك يجدر بنا معرفة تلك الأسباب وخطرها على المسلمين مع مراعاة أننا حينما ندرس هذه الأسباب لا ندرسها لمجرد زيادة المعرفة فقط، بل ندرسها ليطلع عليها المسلمون أولاً، وفي نفس الوقت تتضمن معرفتها التحذير من الوقوع فيها؛ فإن في معرفة الشر تحذيراً عن الوقوع فيه، وكذلك لنجد الحلول المناسبة التي تخلّص الأمة من هذه الأسباب والأمراض التي تفتك في جسدها، وبالتالي يتطهر مجتمعنا المسلم من براثن البدع والخرافات ويصبح مجتمعاً نقياً على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

وبالنظر إلى هذه الأسباب نجد أنها قد تجتمع كلها في وقت واحد وفي مكان واحد وفي جماعة واحدة، وقد تكون منتشرة متفرقة من حيث المكان والزمان والجماعات والأشخاص.

هذا وإن الأسباب التي راج بها الذكر غير المشروع -المبتدع- في عالمنا الإسلامي كثيرة نذكر منها ما يلي:

أولاً: الجهل[٢]:

فهو من الآفات المدمرة للدين والدنيا، وهو سبب كل بلية إذ يهوي بصاحبه للردى وهو يظن أنه يحسن صنعاً، فكم من عابد يعبد ربه

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٨/٢٧).

(٢) انظر هداية الحيارى لابن القيم ص١٦.

وذاكر يذكر ربه على جهل دون علم ولا بصيرة ولا هدى قد ضيّع عمره وأوقاته فيما لا يفيده في دنياه ولا أخراه،وهو يظن أنه وصل لمنـــزلة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولو بُيّن له خطؤه لأعرض ونأى، وظن أن جميع من يخالف طريقته على خطأ وضلال كائناً من كان، بل حتى لو جئته بالآيات البينات والأحاديث الواضحات لردها بجهله وعدم بصيرته وقلة بضاعته.

وإن من أخطر الجهل أن يجهل المرء ولا يعلم أنه جاهلٌ بل يظن نفسه من أعلم الناس، وكذلك أن يعمل العمل على جهل وهو يعتقد أن الله يحب عمله الذي يعمله ويرضى به، بل يعدّه من أقرب القربات إلى ربه، وهو على العكس من أبغض الأعمال إلى الله؛ لأنه عمل بُني على جهل مخلوط بأنواع البـــدع والخرافات والضلالات، وعمله هذا يدخل تحت القول على الله بلا علم وقد حذر الله عن القول عليه بغير علم وهى عنه وقرنه بالشرك بالله كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[(١)].

وهذا أيضاً مِنْ تتبُّعِ ورَوْمِ ما ليس له به علم وقد نهى الله عن قفوِ ما ليس للعبد به علم فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[(٢)].

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٣.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٦.

فلما تفشّى الجهل بين أوساط المسلمين عوامهم وخواصهم وقُبض العلماء الربانيون صاروا يبتدعون أذكاراً تناسب أهواءهم، وما تميل إليه نفوسهم غافلين عن هدي رسول الله ﷺ في الذكر، وقد قال ﷺ:

« إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعاً، ولكن يقبض العلماء فيرفع العلم معهم ويُبقي في الناس رؤوساً جُهّالاً يفتون بغير علم فيَضِلُّون ويُضِلُّون »[1]

فالعلم الشرعي الصحيح هو ضد الجهل وبه تقام السنن في الذكر وغيرها من العبادات وبوجوده ينطرد الشيطان ويهرب مولياً، يقول ابن الجوزي رحمه الله عن إبليس: " وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل، فلو قد طلع عليه صبح العلم لافتضح "[2] .

وكما هو معلوم أن " العلم نور وأن إبليس يُحسِّن للإنسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل"[3] .

ورحم الله القرافي إذ يقول: " وأصل كل فساد في الدنيا والآخرة إنما هو الجهل، فاجتهد في إزالته عنك ما استطعت كما أن أصل كل خير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس (١٨٧/٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان ٢٠٥٨/٤ رقم ٢٦٧٣.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠، (ط١٤٠٧/٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت).

(٣) تلبيس إبليس ص ٣٦٧.

في الدنيا والآخرة إنما هو العلم فاجتهد في تحصيله ما استطعت، والله تعالى هو المعين على الخير كله"[١].

ومقصوده بالعلم هنا العلم الشرعي المستند على الكتاب والسنة والفهم الصحيح لهما فهم الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ورحمهم.

وإن السؤال الذي يخطر في البال هو: كيف انتشر الجهل بين صفوف المسلمين؟! مع أن الرسول ﷺ قضى على الجهل والجاهلية التي كانت قبل بعثته، وعلم أصحابه رضوان الله عليهم ونصح لهم وعلمهم كل ما يقربهم إلى ربهم وحذرهم ونهاهم عن كل ما يباعدهم عن بارئهم ورغبهم في العلم والتعلم والتعليم، فتعلموا وعلموا رضوان الله عليهم وعلّموا من بعدهم من التابعين، وهكذا فعل التابعون مع من بعدهم.

ولعل الجواب على هذا واضحٌ: وهو عدم اهتمام المسلمين بالعلم الصحيح من الكتاب والسنة وإهمالهم وإعراضهم عن تدبر كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت.

لقد أدى الجهل بالكتاب والسنة وسوء فهم النصوص وما دلت عليه إلى ترك الأذكار والأوراد الصحيحة التي فيها الأجر العظيم والثواب الجزيل، وفيها رصانة الألفاظ وبلاغتها وفصاحتها، وحسن المعاني وسهولتها وسعة دلالتها مع البعد عن الغموض والتعقيد،وخلوها من

---

(١) الفروق لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي (٢٦٥/٤) (نشر دار المعرفة، بيروت).

المعاني والعقائد الفاسدة والتراكيب الصعبة العسرة الفهم الصعبة النطق، مع اشتمالها في الوقت نفسه على الخير الكثير والمنافع الجمة العائدة على الذاكر في الدنيا والآخرة، وتلبيتها لحاجات المسلم ومتطلباته لعمومها وشمولها ودخولها في كل وقت من أوقات المسلم وكل حال من أحواله وكل تقلّبٍ من تقلباته وكل حركة وسكون.

فأدى الجهل إلى حرمان تلك الخيرات من الأذكار والإعراض عنها بالإضافة إلى استبدالها وإحلال مكانها الأوراد والأحزاب والأذكار المبتدعة التي ابتدعها أُناس تلبيةً لرغباتهم وأهوائهم وروجوها بين الناس، فرتبوا لها أجوراً وفضائل وثواباً من عند أنفسهم حتى تتم لهم مخططاتهم ويحصلون على مآربهم، مع العلم أن هذه المبتدعات من الأذكار والأوراد لا تحمل ولا حتى صفة واحدة من صفات الأذكار المشروعة، فتجدها ركيكة المبنى سقيمة المعنى موبوءة بالشرك والمعتقدات الفاسدة، من يسمعها ويسمع ما رُتّب لها من ثواب وأجر يعلم لأول وهلة أنها مبتدعة لا يمكن أن تكون من مشكاة النبوة والله المستعان، ويصدق أن يقال لمن أخذ بها وترك ما ورد من المشروع كما قيل لبني إسرائيل: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾(١)

قال ابن القيم رحمه الله : "والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جدا فمنها الجهل به وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فإن من

---

(١) سورة البقرة الآية: ٦١.

جهل شيئاً عاداه وعادى أهله فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فإن انضاف إلى ذلك أُلفُه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه قوى المانع من القبول"(١).

وقال الشيخ محمود شلتوت رحمه الله:

"أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التي صحت بها الأحاديث، كما يترتب على الثاني إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع، وقد نبه على ذلك حديث « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً... » (٢).

"فعلم أن شرور الدنيا والآخرة إنما هو الجهل بما جاء به الرسول ﷺوالخروج عنه"(٣).

وإن مما يحزن القلب كثيراً ما فعله بعضهم من دفن كتب العلم التي فيها السنة وكذلك إنكار بعضهم على من يطلب العلم ويسعى في تحصيله (٤).

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم ص١٦.

(٢) البدعة أسبابها ومضارها لمحمود شلتوت ص١٨.

(٣) الرسالة التبوكية ص٤٤.

(٤) انظر تفصيل ذلك وأقوال بعض المتصوفة في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٦٨-٣٧١.

وهذا فيه الصد عن سبيل الله، قال ابن الجوزي معلقاً على فعل أحد الذين ينكرون على من تشاغل بالعلم:

" قلت: من أكبر المعاندة لله عز وجل الصدُّ عن سبيل الله،وأوضح سبيل الله: العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهيين عنه ما تفطنوا لما فعلوا "[(١)].

كما أن البعد عن اللغة العربية وسوء فهمها سبب كبير لانتشار الجهل بين الناس وأدى ذلك لانتشار الأذكار البدعية، فكثير ما يزاد في الأذكار لعدم فهم معاني الأحاديث مثل ما ابتدعه كثير من الناس في بعض بلاد المسلمين في الأذان بزيادة الصلاة على رسول الله فهموا الحديث: « **إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ**... » [(٢)] الحديث، فحملوه على السامع وعلى المؤذن مع أن سياق الحديث كله في شأن السامع [(٣)] .

قال الشيخ علي محفوظ عند كلامه على قول المؤذن بعد إتمام الأذان: (الصلاة والسلام عليك يا رسول الله.... إلخ) جاهراً بذلك:

---

(١) تلبيس إبليس ص٣٧٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ (١/٢٨٨) ح ٣٨٤.

(٣) انظر: البدعة أسبابها ومضارها لمحمود شلتوت ص ٢٠ (ط١/١٤٠٨هـ مكتبة ابن الجوزي، تعليق علي حسن عبد الحميد الحلبي).

" والصواب أنها بدعة مذمومة بهذه الكيفية التي جرت بها عادة المؤذنين في رفع الصوت بها كالأذان والتمطيط والتغني فإن ذلك إحداث شعار ديني على خلاف ما عُهد عن رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح من أئمة المسلمين، وليس لأحد بعدهم ذلك فإن العبادة مقصورة على الوارد عنه ﷺ بإجماع الأئمة فلا تثبت باستحسان أحد من غير هؤلاء ولا بإحداث سلطان عادل أو جائر " (١)

وكذلك ما يفعله الناس في بعض البلاد الإسلامية من قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص والمعوذتين بعد الصلاة بصوت مرتفع.

ومن ذلك أيضاً استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾(٢)، واستدلالهم بقوله ﷺ: « **لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**»(٣).

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ٧٧، (ط٥/١٣٩٣هـ المكتبة العلمية في المدينة المنورة) وانظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد لجمال الدين القاسمي ص١٣٣-١٣٤ (ط٥/١٤٠٣هـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت).

(٢) سورة الأنعام الآية: ٩١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (١٣١/١) ح١٤٨.

على الذكر بالاسم المفرد: الله، الله، وهذا فهم سقيم لا تعرفه اللغة العربية [١].

قال الشيخ محمود شلتوت: " وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسي في جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها "[٢].

فمضار الجهل إذاً خطيرة جداً وعواقبها وخيمة على الجاهل ومجتمعه؛ إذ إن:

" الجهل بالطريق وآفاتها والمقصود يوجب التعب الكثير مع الفائدة القليلة فإن صاحبه إما أن يجتهد في نافلة مع إضاعة الفرض أو في عمل بالجوارح لم يواطئه عمل القلب أو عمل بالباطن والظاهر لم يتقيد بالاقتداء أو همة إلى عمل لم ترق بصاحبها إلى ملاحظة المقصود أو عمل لم يتحرز من آفاته المفسدة له حال العمل وبعده أو عمل غفل فيه عن مشاهدة المنة فلم يتجرد عن مشاركة النفس فيه أو عمل لم يشهد تقصيره فيه فيقوم بعده في مقام الاعتذار منه أو عمل لم يوفه حقه من النصح والإحسان وهو يظن أنه وفاه فهذا كلــه مما ينقــص الثمرة مع كثرة التعب والله الموفق " [٣] .

---

(١) وسيأتي الكلام على هذا الحديث مُفَصّلاً ص١١٦٦.

(٢) البدعة أسبابها ومضارها لمحمود شلتوت ص ٢٣.

(٣) الفوائد لابن القيم ١٧١.

ثانياً: اتباع الهوى:

وهو داء عضال إن تمكن من العبد؛ إذ فيه الضلال والغواية والانحراف عن الصراط المستقيم وإحداث في الدين ما لم يأذن به الله، فكم من بدعة في الأذكار وغيرها سببها اتباع الهوى وتزيين الشيطان، فحب الجاه والرياسة، والكبر والتعالي على الناس وحب الظهور والشهرة، وأكل أموال الناس بالباطل كلها من الهوى الذي يهوي بصاحبه في النار، فتجد أحدهم يريد أن يبرز ويلمع نجمه فيأتي بصيغة جديدة من الأذكار أو هيئة من الهيئات المبتدعة حتى يقال هذه طريقة فلان في الذكر.

ولقد حذر الله سبحانه في أكثر من آية عن الهوى، وبين أنه لا أحد أضل ممن اتبع هواه فقال سبحانه و تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

وقال جل جلاله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾[3]

---

(١) سورة القصص الآية: ٥٠.

(٢) سورة الكهف الآية: ٢٨.

(٣) سورة النجم الآية: ٢٣.

وقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١].

قال ابن رجب رحمه الله :" ومن أحب لهواه وأبغض له ووالى عليه وعادى عليه فإلهه هواه كما قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ قال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى"[٢].

وقد بيّن بعض العلماء خطر اتباع الهوى وضرره على الدنيا والدين، فقال ابن القيم رحمه الله: "فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصداً " [٣] .

وقال أيضاً رحمه الله: "فإن اتباع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات"[٤].

وقال الشيخ شلتوت:" والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان وتقتل كل خير، والابتداع به (أي بالهوى) أشد أنواع الابتداع إثماً عند

---

(١) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢١٠.

(٣) الفوائد ص ٩٩.

(٤) الفوائد ص١٠١.

الله وأعظم جرماً على الحق فكم حرّف الهوى من شرائع وبدّل من ديانات وأوقع الإنسان في ضلال مبين"[١].

وقال أيضاً:"ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن الصراط المستقيم ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[٢]"[٣].

وأكثر البدع الناشئة عن هذا السبب تكون عند من يحبون الرياسة أو الظهور أو التقرب من الملوك والحصول على مآربهم وأطماعهم الدنيوية، فهؤلاء يؤثرون الدنيا على الآخرة ومن كان هذا دأبه فلا بد أن يحكم هواه ويفتري على الله وعلى رسوله حتى يحصل ما يتمناه نسأل الله السلامة.

قال ابن القيم رحمه الله:

" فائدة جليلة: كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه في خبره وإلزامه لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيراً فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهم ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق ولا سيما إذا قامت له شبهة

---

(١) البدعة أسبابها وأضرارها ص ٢٦.

(٢) سورة القصص الآية: ٥٠.

(٣) البدعة أسبابها وأضرارها ص ٢٤-٢٥.

فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته "[١]

وقال الشيخ محمود شلتوت:"والابتداع به -أي بالهوى- يكثر عند أرباب المطامع في خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ولعل أكثر الحيل التي نراها منسوبة إلى الدين -والدين منها بريء- يرجع إلى هذا ولا يبعد أن يكون منه الأذان السلطاني ونحوه من البدع التي لم نرها إلا في صلاة الملوك والسلاطين "[٢]

والأذان السلطاني: هو الأذان الجماعي، قال الشيخ علي محفوظ: "ومن البدع أذان الجماعة المعروف بالأذان السلطاني أو أذان الجوق، فإنه لا خلاف أنه مذموم مكروه لما فيه من التلحين والتغني وإخراج كلمات الأذان عن أوضاعها العربية وكيفياتها الشرعية بصورة قبيحة تقشعر منها الجلود الحية وتتألم لها الأرواح الطاهرة، وأول من أحدثه هشام ابن عبد الملك "[٣].

فالذي يحفظ من الوقوع في مثل هذه البدع هو لزوم السنة ومجانبة الهوى فإن "لزوم السنة هو يحفظ من شر النفس والشيطان بدون الطرق

---

(١) الفوائد ص ١٠٠-١٠١.

(٢) البدعة أسبابها وأضرارها ص ٢٥.

(٣) الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٧٨، وانظر: المدخل لابن الحاج (٢٤٢/٢) (ط٢/١٣٩٧هـ، دار الفكر).

المبتدعة فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصار والأغلال وإن كانوا متأولين فلا بد لهم من اتباع الهوى، ولهذا سمي أصحاب البدع أصحاب الأهواء فإن طريق السنة علم وعدل وهدى، وفي البدعة جهل وظلم وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس"(١) .

ثالثاً: الاعتماد على العقل المجرد

قال الشاطبي رحمه الله: " الإحداث في الشريعة إنما يقع: إما من جهة الجهل، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق، وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة... فأما جهة الجهل فتارة تتعلق بالأدوات التي بها تفهم المقاصد، وتارة تتعلق بالمقاصد.

وأما جهة تحسين الظن بالعقل فتارة يشرك في التشريع مع الشرع، وتارة يقدم عليه، وهذان النوعان يرجعان إلى نوع واحد.

وأما جهة اتباع الهوى، فمن شأنه أن يغلب الفهم حتى يغالب صاحبه الأدلة أو يستند إلى غير دليل، وهذان النوعان أيضاً يرجعان إلى نوع واحد " (٢).

وقال رحمه الله في موضع آخر:" إن الله تعالى جعل للعقول في

---

(١) الزهد والعبادة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٩.

(٢) الاعتصام للشاطبي (٣/٣٥٥-٣٥٦) (ط١/١٤٢١هـ/مكتبة التوحيد، المنامة/تحقيق مشهور آل سلمان).

إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك ما كان وما يكون وما لا يكون إذ لو كان كيف يكون. فمعلومات الله لا تتناهى ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى" [١].

وقال الشيخ محمود شلتوت:

" إن الله جعل للعقول حداً تنتهي في الإدراك إليه ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شيء " [٢]

إذاً فالعقول قاصرة ومع ذلك فهي متباينة الفهم والإدراك فيما بينها لذلك أرسل الله سبحانه الرسل حتى يبينوا للناس ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية والأخروية.

وبعض الناس جعل العقل بمنزلة المشرع بل منهم من جعله مقدماً على الشرع فكل ما خالف العقلُ به الشرع -بزعمهم مع أن العقل السليم لا يخالف الشرع - قدموا فيه العقل على النقل وردوا كثيراً من هذه الشريعة.

قال الشيخ شلتوت: " وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشدُّ الناس حرصاً على التقرب من الله" [٣].

---

(١) الاعتصام (٣/٣٩٦- ٣٩٧).

(٢) البدعة أسبابها وأضرارها ص٢٨.

(٣) البدعة أسبابها ومضارها ص ٣١.

ومن بدع الأذكار التي استحسنها الناس بعقولهم تغميض العينين عند الذكر والتمايل يمنة ويسرى حال الذكر استحساناً منهم لذلك الفعل بزعم أن ذلك أدعى للخشوع، وهؤلاء نسوا أوجهلوا حال أفضل من ذكر الله على وجه الأرض محمد ﷺ حين ذكره، فهو ﷺ لم يكن يفعل ذلك قط.

" هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على الظن أن الأسرار مسوّغات للتشريع وداعية إليه، يترتب أيضاً على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرعٍ ثابت، فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة بدعة بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح، ومن ذلك قراءة القرءان بصوت مرتفع في المسجد وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعاً -كما يقولون - لتحدّث الناس بكلام الدنيا في المسجد والجنائز"(١)

ويدخل في ذلك ما يفعله كثير من المسلمين في أفراحهم من أذكار مبتدعة بزعم أن ذلك خير من جلب المغنيات والمغنين وآلات الطرب.

وكذلك ما يفعلونه في ما يسمونه - بالاحتفال في المولد النبوي - ويتعللون بأن النصارى يفعلون ذلك في يوم ولادة نبيهم فنحن أولى بذلك منهم وما علموا أنهم تشبهوا بهم ووقعوا في النهي عن التشبه بالكفار.

---

(١) المصدر السابق ص ٣١.

" فالحاصل من هذه القضية أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع ؛ فإنه من التقديم بين يدي الله ورسوله، بل يكون ملبياً من وراء وراء.

ثم نقول: إن هذا هو مذهب الصحابة -رضي الله عنهم - وعليه دأبوا، وإياه اتخذوا طريقاً إلى الجنة فوصلوا." [١].

رابعاً: التقليد الأعمى للآباء والسابقين وعلماء السوء والعادات[٢].

إن الناظر في مجتمعات المسلمين -التي لم ترسَ فيها قواعد التوحيد- يجد أن كثيراً من المسلمين يعتقد ويعمل ويتمذهب بما كان عليه أجداده وآباؤه، ويتأقلم مع العادات السائدة في مجتمعه بغض النظر إن كانت عادة موافقة لأصول الإسلام وأحكامه أو مخالفة.

كما يجد طبقة من الناس هم أصحاب طرق إما أصالة أو انتساباً وانتماءً وتبركاً، سلكوا هذه الطرق تقليداً لما كان عليه الآباء والأسلاف، أو اتباعاً أعمى لشيخ ضلالة، ويتضح جلياً في بعض البلاد وخاصة في الطريقة الجيلانية (الكيلانية) والرفاعية والأحمدية (البدوية)، فمما هو مشاهد للعيان أن أوراد هذه الطرق وأذكارها المبتدعة واجتماعاتهم المنكرة قد انتشرت وانتقلت من جيل لآخر ولا تكاد تموت هذه البدع

---

(١) الاعتصام (٣/٤٢٠).

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٥٨٤، ٦٠٦، ٦٨٤، ٦٩٤)، ومجموع الفتاوى (١٩/٢٧٢) و(١٠/٢٦٦)، ودرء التعارض (٥/٣٣٦، ٣٥٩).

في بلد ما إلا ويأتي من يتعصب لآبائه وأسلافه وطريقته فيحيي بدعهم وينشر أذكارهم وأورادهم التي قد تكون مليئة بالشركيات والعقائد الفاسدة، وإذا أُنكر عليه فعله وقيل له: المرجع هو الكتاب والسنة، أقام الدنيا وأقعدها، واحتج بحجج واهية أوهى من بيت العنكبوت.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى في كتابه المقلدين لآبائهم تقليداً أعمى، الذين أبوا أن ينقادوا إلى ما أنــزل الله على رسوله، وإلى ما دعاهم إليه الرسول ﷺ

فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾[1].

وقال تبارك و تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " قد ذم الله تعالى في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الزخرف الآيتان ٢٢-٢٣.

الرسول وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان في سره وعلانيته وفى جميع أحواله وهذا من الإيمان قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ ﴾[2]،وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ ﴾[3]

وقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[4]"[5] .

وقال -رحمه الله - في موضع آخر:

" إن التقليد المذموم هو قبول قول الغير بغير حجة كالذين ذكر الله عنهم أنهم إذا قيل لهم اتبعوا ما أنـــزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبائنا، قال تعالى: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[6]، وقال: ﴿ إِنَّهُمْ

(١) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٢) سورة النور الآية: ٥١.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٦.

(٤) سورة النور الآية: ٦٣.

(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٦٠).

(٦) سورة البقرة الآية: ١٧٠.

أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[١] ونظائر هذا في القرآن كثيرة، فمن اتبع دين آبائه وأسلافه لأجل العادة التي تعودها وترك اتباع الحق الذي يجب اتباعه فهذا هو المقلد المذموم وهذه حال اليهود والنصارى بل أهل البدع والأهواء في هذه الأمة الذين اتبعوا شيوخهم ورؤساءهم في غير الحق كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾[٢] "[٣].

وهؤلاء المُقلِّدة إنما زيّن لهم الشيطان ولبّس عليهم وأغراهم أن التقليد هو أفضل وأسلم، وأن الأدلة كثيرة من الصعب فهمها، وقد فهمها الأسلاف وهم لا يخطئون ونحن نأخذ منهم ونسير على ما ساروا عليه.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - في سياق ذكره للطرق التي دخل منها إبليس في إغواء الناس في عقائدهم وإفسادهم:

" دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف... إلى أن قال: فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشتبه والصواب قد يخفى، والتقليد سليم. وقد ضل في هذا

---

(١) سورة الصافات الآيتان: ٦٩-٧٠.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٦٦-٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٤/١٩٧-١٩٨)، وانظر منه (٤/٢٠٠) و(٢٠/١٥).

الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود و النصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا، وكذلك أهل الجاهلية، واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم ؛لأنه إذا كانت الأدلة تشتبه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع في ضلال... ثم قال:

اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه، وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خُلق للتأمل والتدبير... واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال، وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل، كما قال علي -رضي الله عنه -... عن الحق: "لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله " (١) .

وقال الشاطبي -رحمه الله - في سياق كلامه على اتباع العوائد وتقليد الآباء والشيوخ وأنه سبب من أسباب الابتداع في الدين:

" وهذا الوجه هو الذي مال بأكثر المتأخرين من عوام المبتدعة إذا اتفق أن ينضاف إلى شيخ جاهل أو لم يبلغ مبلغ العلماء فيراه يعمل عملاً، فيظنه عبادة، فيقتدي به، كائناً ما كان ذلك العمل، موافقاً للشرع أو مخالفاً، ويحتج به على من يُرشده، فيقول: كان الشيخ فلان من الأولياء، وكان يفعله، وهو أولى أن يُقتدى به من علماء الظاهر، فهو في الحقيقة رجوع إلى تقليد من حسّن ظنَّه فيه،أخطأ أو أصاب، كالذين قلّدوا

---

(١) تلبيس إبليس ص ٩٤-٩٥.

آباءهم سواء، وإنما قصارى هؤلاء أن يقولوا: إن آباءنا أو شيوخنا لم يكونوا ينتحلون مثل هذه الأمور سدى، وما هي إلا معضودة بالدلائل والبراهين، مع أنهم يرون ويرون أن لا دليل عليها، ولا برهان يقود على القول بها " [١] .

خامساً: سكوت بعض العلماء وكتمهم العلم

إن العلماء قدوة يُقتدى بأفعالهم وأقوالهم وسلوكياتهم، وهم ورثة الأنبياء، والأمور المنوطة في حقهم والمسؤوليات الملقاة على عواتقهم أكثر من غيرهم، فهم أبواب للخير ومفاتيحه، وعن قولهم الناس يصدرون وبأفعالهم يقتدون، فخطؤهم وعدم قيامهم بما أُنيط بهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك إرشاد الناس وعدم إنكارهم للبدع والمحدثات، سيؤثر ذلك سلباً على العوام الذين يقتدون بهم، فإن سكت العالم عن بدعة أو منكر سيقول الناس إن العالم الفلاني سمع بذلك ولم ينكر، مما يدل على أن هذه البدعة حسنة أو نحو ذلك، ويظنون أن ذلك من الشرع وفعله قربة وطاعة، وكم انتشر بين المسلمين من البدع بسبب سكوت بعض العلماء عليها وعدم إنكارهم لها في الحال قبل انتشارها، وبسبب كتمانهم للعلم الذي نهوا أن يكتموه، وأُمروا أن يبينوه للناس.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا

---

(١) الاعتصام (١٤٤/٣).

فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[١]

وقال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[٢]

وقد يكون هناك أسباب منعت بعض العلماء من قول الحق أو السكوت على بدع رأوها، وهذه الأسباب منها ما يعذرون بها ومنها ما لا يُعذرون.

وقد ذكر الشيخ محمود شلتوت بعض هذه الأسباب فقال:

" وقد أهمل جمهور العلماء في زمن بعيد هذا الواجب الديني العظيم (أي بيان ما أنـــزل للناس من الهدى) الذي يتوقـــف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران أهملوه:

إما ضعفاً وخوفاً من تألّب العامة وغضب الخاصة.

وإما مجاملة للعظماء والحكام.

وإما تهاوناً بأصل الواجب وجرياً على قاعدة (دع الخلق للخالق).

التي يبرّرون بها إحجامهم عن البيان.

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة الآيتان ١٥٩-١٦٠.

وإما تواكلاً نظراً إلى أن البيان واجب كفائي ؛ قيام البعض به يُسقط وجوبه عن الباقين، ولما سكت العلماء، وأِلف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلونه، ظن العامة أن ما يفعلون دين وشرع، وربما جاراهم - بحكم الإِلْف والعادة - العلماءُ لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردّهم ما أِلفوا من البدع إلى ما تركوا من السنة شاقّاً على من يحاوله لأنهم يرونه إحداثاً جديداً في الدين لم يعرفوه"[(١)] .

والأذكار المبتَدَعة انتشرت في أوساط المسلمين انتشاراً كبيراً بسبب إقرار بعض العلماء أو سكوتهم وعدم إنكارهم ولذلك يتبجح المبتدعة أول ما يتبجحون عند الإنكار عليهم بطريقة ذِكرهم ويقولون إن الشيخ العالم الفلاني علامة زمانه قد رآنا ولم ينطق بكلمة واحدة ومن أنتم أمام هـذا العالم حتى تنكروا علينا طريقتنا وأورادنا وأذكارنا؟!!

قال الشيخ علي محفوظ:

" ومن بدعهم المحرمة أنهم خرجوا عن الذكر الشرعي إلى ذكر محرف يخالف الكتاب والسنة والإجماع...ويقولون: وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون بحضرة العلماء وهم ساكتون... إلى أن قال: وأما قولهم: وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون بحضرة العلماء فهو لا يصدر إلا من جاهل لجواز أن هؤلاء الأشياخ جاهلون بأمر دينهم... "[(٢)] .

---

(١) البدعة أسبابها ومضارها ص٤٢.

(٢) الإبداع ص ٢٨٩-٢٩٠.

سادساً: الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والمكذوبة والحكايات والمنامات

إن هذا السبب هو من أهم الأسباب التي ساعدت على انتشار الأذكار المبتدعة -غير المشروعة- وذلك لأن كثير من رؤوس الضلال - أصحاب الطرق- لا يميزون بين الأحاديث الصحيحة عن غيرها من الضعيف والموضوع، فليس لديهم الخبرة في علم الحديث ؛ لأنهم في الأصل لا همة لهم في تحصيل العلم الصحيح النافع، إنما همهم حشر جميع الناس تحت لواء طريقتهم، والتنفير من أي طريقة سواها، فراحوا يجلبون بخيلهم ورجلهم على الناس ويحشرون لهم الأدلة الضعيفة والمكذوبة على رسول الله، والحكايات والمنامات والتقائهم بالخضر وأنهم أخذوا منه مباشرة ومن النبي ﷺ يقظة، بل وصل الأمر من بعضهم إلى أن يتقوّل على رسول الله ﷺ شيئاً لم يقله بغية ترغيب الناس في طريقته، ويرتب على أذكار وأوراد طريقته من الفضائل المدهشة والتي فيها من المبالغة الشيء العجيب ووضعوا لها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً لا يكال بمكيال إلا بمكيال الكذب والزور، وينسب ذلك إلى رسول الله ﷺ لكي يُقبِل الناس على بدعته ويتلقوها بالقبول التام دون أي اعتراض.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله – أثناء كلامه على مآخذ المبتدعة في الاستدلال:" اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها،

كحديث الاكتحال يوم عاشوراء [١]... وأن النبي ﷺ تواجد عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبه [٢] وما أشبه ذلك.فإن أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- لا يبنى عليها حكم، ولا تُجعل أصلاً في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك، فهو جاهل أو مخطئ في نقل العلم فلم يُنقل الأخذ بشيء منها عمّن يعتد به في طريقة العلم ولا طريقة السلوك"[٣].

وقال أيضاً رحمه الله:

" وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون رأينا فلاناً الرجل الصالح في النوم فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا.ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، مُعرِضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يُحكم بها شرعاً على حال، إلا أن نعرضها على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن

(١) ونصه: «من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدا » أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/٣٦٧).

وقال ابن رجب في لطائف المعارف ص٦٤: "كل ما روي في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال فيه موضوع لم يصح" وقال عنه الألباني في الضعيفة (٢/برقم ٦٢٤): " موضوع ".

(٢) انظر الكلام عليه ص٩٤٨.

(٣) الاعتصام (٢/١٢-١٤) وانظر درء التعارض (٧/٣٣٦).

سوّغتها عُمِل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام ؛ فلا. كما يُحكى عن الكتاني رحمه الله – قال: " رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادعُ الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت"(١).

سابعاً: تأثر المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى

إن مخالطة المسلمين لغير المسلمين من أصحاب الاعتقادات الفاسدة كان له دورٌ بارزٌ في حصول كثير من المنكرات والبدع وذلك بسبب تأثر بعض المسلمين وتشبههم بغير المسلمين، ولقد دخلت على المسلمين بدع كثيرة من جرّاء هذا الاختلاط، كما أدى دخول كثير من العجم والفرس في الإسلام و الحاقدين على الإسلام – وخاصة الذين تقهقرت وانكسرت دولتهم بمشرق شمس الإسلام – إلى الكيد بالإسلام وأهله ونقل خرافاتهم وضلالتهم إلى صفوف المسلمين.

فكم من البدع التي يعتقدها وينتحلها ويعمل بها كثير من المسلمين تجد أن أصولها أصول غير المسلمين من يهود ونصارى ومجوس وبوذيين ووثنيين.

والناظر في البدع التي ابتدعت في الأذكار يجد أن كثيراً منها، لها أصل عند الكفار وإنما تسربت هذه البدع إلى المسلمين عن طريق المتصوفة

(١) الاعتصام (٢/٧٨-٧٩).

الذين يعتقدون بأن للدين ظاهراً وباطناً وحقيقة وشريعة، ويعتقدون أن بوسعهم الخروج عن شرعة الإسلام كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام، وأن لمشايخهم حقاً في تشريع أوراد وأذكار ولهم الحق في ترتيب الأجر عليها.

ومن البدع في الأذكار التي أصولها غير إسلامية مسألة السماع والوجد والرقص

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في سياق كلامه عن مسألة السماع واستبدال المسلمين للسماع المشروع بالسماع المبتدع -:

"وهذا الأمر يفعله بنو آدم من أهل الديانات البدعية كالنصارى والصابئة وغير أهل الديانات ممن يحرك بذلك حبه وشوقه ووجده أو حزنه وأسفه أو حميته وغضبه أو غير ذلك فخلف بعد أولئك من صار يجمع عليه أخلاطا من الناس ويرون اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس بزعمهم إلى التوبة والوصول في طريق أهل الإرادة وأحدث بعد أولئك أيضا الاستماع من المخانيث المعروفين بالغناء لأهل الفسوق والزنا وربما استمعوه من الصبيان المردان أو من النسوان الملاح كما يفعل أهل الدساكر والمواخير وقد يجمعون في السماع أنواع الفساق والفجار وربما قصدوا التكاثر بهم والافتخار لا سيما إن كانوا من أهل الرياسة واليسار"[١] .

---

(١) الاستقامة (٣٠٦/١).

كما أن التمايل والحركة والدوران والنط والقفز أثناء الذكر كل هذا له أصول عند اليهود والنصارى.

وخذ مثالاً آخر مما هو في الأصل من شعار غير المسلمين: السبحة،وما يتبعها من اعتقادات فاسدة، فهي دخيلة على المسلمين يقول الشيخ بكر أبو زيد:

" تفيد المصادر المعرفية أن السبحة دخيلة على كل دين من عند الله تعالى وأنها في الأديان المختلفة معروفة منذ عصور ما قبل التاريخ وقيل: منذ عام ٨٠٠م وأنها من وسائل التعبد لدى البوذيين، ثم لدى البراهمة في الهند وغيرها، ومنهم تسربت إلى النصارى، لدى القسيسين والرهبان، والراهبات، ومن الهند انتقلت إلى غرب آسيا " (١)

وقال أيضاً: " إن من وقف على تاريخ اتخاذ السبحة، ،وأنها من شعائر الكفار من البوذيين، والهندوس، والنصارى وغيرهم، وأنها تسربت إلى المسلمين من معابدهم، عُلِم أنها من خصوصيات معابد الكفرة، وأن اتخاذ المسلم لها وسيلة للعبادة بدعة ضلالة، وهذا ظاهر بحمد الله تعالى." (٢) .

ومن ذلك أيضاً: الاجتماع للذكر يوم ١٢ ربيع الأول احتفالاً بمولد النبي ﷺ بزعمهم،وما يصاحبه من اعتقادات فاسدة بأن النبي ﷺ يحضر هذا الاجتماع، ويقومون لحضوره - زعموا - وإنما جاءت هذه

---

(١) تصحيح الدعاء ص ١٥٨.

(٢) تصحيح الدعاء ص ١٩٦.

البدعة من قبل النصارى حيث إنهم يحتفلون بميلاد عيسى عليه السلام، أو بيوم نـــزول المائدة من السماء، وقد صرح بهذا التقليد للنصارى بعضهم فقال:" إن الاحتفال بمولد النبي ﷺ يوم ولادته وإظهار الفرح وإقامة المجالس وتوزيع الحلويات مستحب وسبب لنـــزول البركات الإلهية ورحمته... وإن النصارى ليحتفلون بيوم الأحد، اليوم الذي نـــزلت عليهم المائدة من السماء فلماذا لا نحتفل باليوم الذي هو أفضل منه بكثير " (١)

إلى غير ذلك من الأمور المبتدعة في الذكر وهي كثيرة، وعند التحقيق فيها يُعلم أنها إنما تسربت من عند غير المسلمين.

فعلى المسلم إذاً أن لا يتشبه بأفعال الكفرة، ويدع هذه البدع ويرجع للسنة فإن فيها الكفاية والغنى عن كل ما أُحدث في الدين.

وبهذا يتبين لنا شؤم مخالطة المسلمين لغيرهم من أهل الديانات الأخرى، وأنه سبب من أسباب انتشار الأذكار غير المشروعة في صفوف المسلمين.



(١) جاء الحق لأحمد يار (٢٣١/١) نقلاً من كتاب البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ص١٢٥ (ط١/١٤٠٣هـ/الناشر إدارة ترجمان السنة، لاهور).

المبحث الثاني:
الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة.

ما من ريبٍ ولا شكٍّ -عند من له أدنى مسكة عقل- أن كل ما خالف هدي رسول الله ﷺ، اعتقاداً وعملاً وسلوكاً ومنهجاً،ففيه مضرة ومفسدة على صاحبه، ويجر عليه الأثر السيئ والعاقبة الوخيمة والذل والهوان ؛ إذ إن كل ما جاء به النبي ﷺ فيه كل خير ومنفعة للعبد في دينه ودنياه وآخرته بشكل خاص، وللمجتمع بشكل عام، وخالٍ من كل سوء ومن كل ضرر.

فاتباعه ﷺ فيه كل خير والسلامة من كل شر، ومخالفته والاستدراك عليه والزيادة على ما جاء به واتخاذ شرعة غير شريعته وسننٍ غير سنته فيه الخزي والعذاب في الدنيا والآخرة.

والمتأمل في قصص بني إسرائيل يجد عواقب التبديل والتحريف والزيادة وتغيير ما أُمروا به، وخيمة جداً؛ ففيها الخزي والعذاب والعقاب، فانظر على سبيل المثال كيف بدّل بنو إسرائيل ما قيل لهم من الكلام وزادوا عليه و لم يلتزموا بما أُمروا به، وما جرّهم هذا التبديل إلى الرجز والعذاب الأليم في قصة دخولهم القرية فقد قال الله تعالى عنهم:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾(١).

فأُمروا أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا ﴿ حِطَّة ﴾ أي حُطّ عنا خطايانا فبدلوا وحرفوا وزادوا في الكلمة حرف النون فغيروا المعنى فقالوا: (حنطة) فنـــزل على الذين بدلوا وزادوا رجزٌ من السماء بسبب ظلمهم وعدوانهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه.

فانظر ما لقي هؤلاء القوم من البلاء بسبب زيادتهم حـــرفاً واحداً في الكلمة التي أُمروا أن يقولوها فذلك لـــ" يعرفهم أن الزيادة في الدين والابتداع في الشرع عظيم الخطر"(٢).

قال بعض العلماء:

" إذا كان تغيير كلمة في باب التوبة -وذلك أمر يرجع إلى المخلوق- يوجب كل ذلك العذاب، فما ظنك بتغيير ما هو خبرٌ عن صفات المعبود"(٣).

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٥٨-٥٩.

(٢) الحوادث والبدع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ص ٢٧ (ط٣/١٤٢٢هـ، علق عليه: علي حسن بن عبد الحميد الحلبي،طبع في دار ابن الجوزي، الدمام).

(٣) المرجع السابق ص٢٧-٢٨.

وقال القرطبي - رحمه الله -:

" قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا ﴾ الذين في موضع رفع أي فبدل الظالمون منهم الذي قيل لهم وذلك أنه قيل لهم قولوا حطة، فقالوا حنطة على ما تقدم، فزادوا حرفاً في الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا، تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة أوجبت كل ذلك من العذاب فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود هذا والقول أنقص من العمل فكيف في التبديل والتغيير في الفعل"(١) .

فإذا كان هذا التغيير بزيادة حرف في هذه الكلمة أنـزل الله عليهم رجزاً من السماء فما بالك وما ظنك بمن حرّف الأذكار الشرعية التي جاء بها رسول الله ﷺ فزاد عليها ونقص، وبدل فيها وغيّر، وأعرض عنها وأخذ بأذكار مبتدعة، مع العلم أن الأذكار الشرعية إنما هي ثناء على الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله المتصفة بالحكمة، فإذا بدل فيها فكأنما بدل في أسماء الله وصفاته وإذا أعرض عنها إلى غيرها فكأنما أعرض عن أسماء الله وصفاته والعياذ بالله.

فتجد هؤلاء -الذين تشبهوا باليهود في الزيادة والنقصان وتحريف الكلم عن مواضعه- ينقصون من أفضل كلمة في الأذكار

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤١٥).

كلمة التوحيد، فيقول أحدهم: (ليس إلا الله)[١]، وآخر تجده يذكر ربه بـــ (آه، آه)[٢] .

وثالث: يزيد في الأذكار من عند نفسه كما فُعل بالأذان فزادوا فيه الصلاة على رسول الله وزادوا فيه: حي على خير العمل، ورابع يزيد في الذكر فيبتدع حركات وصور خارجة عن الشرع، وخارجة عن آداب الذكر.

فالشارع جعل للذكر آداباً منها الخشوع والتواضع والذلة والسكون، وهم أبَوا ذلك فـــزادوا حركات شنيعة، فوقع لهم مشابهة اليهود من وجه آخر في القصة نفسها السابقة ؛ حيث إن اليهود أُمروا أن يقولوا حطة عند دخولهم الباب وأُمروا أن يدخلوا الباب ساجدين متواضعين خاشعين لله، ثم إذا هم قد خالفوا الفعل والقول فخالفوا الفعل وهو السجود فدخلوا على أستاههم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم**[٣] **فبدلوا وقالوا:**

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥٩٥/٧) فقد ذكر عن ابن سبعين ومن كان على شاكلته أنهم يذكرون الله بهذا الذكر.

(٢) انظر: هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ١٤٥ (ط٣/١٣٩٩هـــ دار الكتب العلمية بيروت).

(٣) قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٥٢/١٨): " وقوله يزحفون على أستاههم جمع أست وهى الدبر ".

حبة في شعرة »[١].

قال ابن حجر – رحمه الله – عند شرحه لهذا الحديث:

"ويستنبط منه: أن الأقوال المنصوصة إذا تعبد بلفظها لا يجوز تغييرها ولو وافق المعنى وليست هذه مسألة الرواية بالمعنى بل هي متفرعة منها وينبغي أن يكون ذلك قيداً في الجواز أعني يزاد في الشرط أن لا يقع التعبد بلفظه ولا بد منه ومن أطلق فكلامه محمول عليه"[٢].

وخالفوا القول ﴿ حطة ﴾ فزادوا فيه وبدلوا، وهذا هو حال أصحاب الطرق يزيدون في ألفاظ الأذكار وينقصون، ويبتدعون حركات لم يؤمروا بالإتيان بها ولم يشرعها لهم الشارع فسبحان الله ما أقرب مشابهتهم لليهود وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن !!»[٣] .

قال ابن حجر – رحمه الله –: " قال عياض: الشبر والذراع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها (١٦٢٧/٤)ح٤٢٠٩، ومسلم في صحيحه: كتاب التفسير (٢٣١٢/٤) ح ٣٠١٥.

(٢) فتح الباري (٣٠٤/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبي ﷺ: « **لتتبعن سنن من كان قبلكم..** » (٢٦٦٩/٦) ح٦٨٨٩.

والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه... قلت:وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك"(١).

إذا كان الأمر كما قلنا فإن:

أول الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة هو حلول العذاب والعقاب بمن اتبع غير المشروع وخالف ما جاء به الرسول ﷺ يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(٢).

- **وثاني الأمور السيئة المترتبة على اتخاذ أذكار غير مشروعة:**

الوقوع في مشابهة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيقع المخالفون في الأذكار في التشبه باليهود وذلك من خلال تغييرهم وتبديلهم النصوص وتحريفها واستبدالها،ونبذ ما أُمروا به، والوقوع فيما نهوا عنه، ثم إنهم شابهوا اليهود أيضاً في بدعتهم هذه في تمايلهم ورقصهم وتواجدهم أثناء الذكر.

فاليهود أصحاب السامري هم أول من أحدث الرقص والتواجد والتمايل لما اتخذوا العجل جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون ويتمايلون، ومن طريقتهم عند قراءة التوراة أنهم يتمايلون ويتحركون ويهتزون، فتجد هناك علاقة بين ما ابتدعه أهل الطرق في الأذكار وبين ما

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٠١).

(٢) سورة النور الآية: ٦٣.

يفعله اليهود[1].

قال القرطبي رحمه الله:

"وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية وأُعلم حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد ﷺ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه ويحضرون شيئا يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا مأجورين وهذا القول الذي يذكرونه:

يا شيخ كف عن الذنـــ ـــوب قبل التفـــرق والزلل

واعمل لنفسك صـــالحا ما دام يـــنفعك العمـــل

أما الشباب فقـــد مضى ومشيـــب رأسك قد نـــزل

وفي مثل هذا ونحوه؟

الجواب: يرحمـــك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٨/١١)، و الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص ٢٩٧-٢٩٨ (ط١/١٤٢١هـ، مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق سعيد محمد)، وكتاب " هذه هي الصوفية " لعبد الرحمن الوكيل ص ١٤٣، وتصحيح الدعاء لبكر أبو زيد ص ٧٩،٧٧.

حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطل.

هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق"[١].

وجاء في كتب اليهود ما يدل على أن هذه الآداب الصوفية من حركات ورقص مأخوذة من اليهود ففي المزمور التاسع والأربعين بعد المائة في العهد القديم:

" ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص، بدفٍّ وعود ليرنموا، هللوا يا، سبحوا الله في قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدفٍّ ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوع الهتاف"[٢].

كما أن البوذية أتباع بوذا يتمايلون ويتحركون أثناء ذكرهم لتراتيلهم وأورادهم، فالصوفية فيهم شبه أيضاً بالبوذية[٣] كما شابهوا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٣٨).

(٢) هذه هي الصوفية للوكيل ص ١٤١.

(٣) البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها للدكتور عبد الله نومسوك ص٣١٩ (ط١/١٤٢٠هـ، مكتبة أضواء السلف).

اليهود في هذا الأمر.

كما أهم يشابهون النصارى وذلك في ما اخترعوه وأضافوه على الذكر من ترانيم ونغمات، وطقوس مبتدعة، فبين النصارى وبين هؤلاء المبتدعة شبهٌ ظاهر، يظهر فيه تأثر المبتدعة بالنصارى وسيرهم على سننهم واتباعهم طرقهم.

يقول بعض العلماء الذين دخلوا إحدى الكنائس:

" ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك أصواتاً خُيّل إليّ أها أصوات طائفة من أهل الطرق يقرؤون حزب البر مثلاً، ثم علمت أهم قسيسون، فهذه البدع قد سرت إلينا منهم كما سرت إليهم من الوثنيين استحساناً منهم ما استحسنوه من أولئك توهماً أنه يفيد الدين أهة وفخامة ويزيد الناس به استمساكاً " (١)

● **وثالث الآثار السيئة التي يجنيها المبتدع** من جراء اتخاذه الذكر غير المشروع أنه ولا بد سيهجر الذكر المشروع، ويُحرم الخير والثواب الذي رتبه الشارع على الأذكار، ويُحرم من الفوائد التي يجنيها الذاكر لربه ذكراً مشروعاً، وبالتالي سيكون هذا المبتدع عُرضة لسخط ربه، لكونه ساعياً إلى هدم السنن النبوية وإشاعة البدع والضلالات بين الناس، فما من بدعة تظهر إلا وتخفى بسببها سنة، ويكون وزرها على من ابتدع.

---

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٧٣/٢) (ط/١٩٧٣م، الهيئة المصرية للكتاب).

- **رابعها:** أنه سيقع في أمر عظيم وهو أنه قد نصّب نفسه مشرعاً للناس، فيحدث لهم من البدع ما تهواه نفسه وما تشتهيه، ويوهم الناس ويلبّس عليهم دينهم، وحاله هذه تشعر بأنه يستدرك على الشرع ويعتقد أن الشريعة ناقصة ويقع بالتالي في معارضة نص القرآن ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[1].

- **ومن آثارها السيئة:** ترويج بدعٍ أخرى فالسيئة تجر إلى أختها والبدعة تجر إلى بدعة والزيادة عليها، وكما أنه يؤدي إلى ترك السنن وبالتالي يكون الانسلاخ من الشريعة

يقول الإمام شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة رحمه الله:

" إن فعل البدع مما يغري المبتدعين الواضعين بوضعها واقترابها والزيادة عليها إذا رأوا رواج ما اقترفوه وانهماك الناس عليه، ويقع لهم الطمع في إضلال الناس واستدراجهم من بدعة إلى بدعة، ويتوصل بذلك إلى إهمال الشريعة والانسلاخ منها، فكان في فعلها إغراء بالباطل وإعانة عليه، وذلك ممنوع شرعاً، وفي اطّراح البدع، وتنفير الناس عنها زاجر للمبتدعين والواضعين عن وضع مثلها وابتداعه، والزجر عن المنكرات واجب عالي المنزلة عند الله تعالى"[2].

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٣.

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٥٢.

● **ومن الآثار السيئة أيضاً**: اعتقاد ما ليس بمشروع مشروعاً، وجرّ العوام إلى الكذب على الله سبحانه وعلى رسوله ﷺ وعلى الشريعة، فالمبتدع أو من يعمل بـــدعـــة وله مكانة عند الناس سيوهم الناس ويوقعهم بالالتباس فيلبس عليهم دينهم ويظنون أن الدين هو هذه البدع، فليحذر كل الحذر من يجر الناس إلى الأذكار المبتدعة فإنه إثم عظيم، وافتراء على الشريعة المطهرة وذريعة إلى الكذب، فسيحمل المبتدع أوزار من اتبعه وما تجره البدعة من المنكرات

قال العلامة أبو شامة رحمه الله:

" إن العالم إذا صلى هذه الصلاة المبتدعة [1] كان متسبباً إلى أن تكذب العامة على رسول الله ﷺ، فتقول هذه سنة من السنن، والتسبب إلى الكذب على رسول الله ﷺ لا يجوز ؛ لأنه يورّط العامة في عهدة قوله ﷺ: « **من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** »[2] .

فلا ينبغي للعالم أن يفعل ما يتورط العوام بسبب فعله في اعتقاد أمر على مخالفة الشرع وقد امتنع جماعة من الصحابة من فعل أشياء إما

---

(١) يقصد صلاة الرغائب والتي تكون في أول أول ليلة جمعة من شهر رجب،وهي صلاة محدثة مبتدعة لم يفعلها رسول الله ﷺ ولا صحابته ولا القرون المفضلة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ (٥٢/١) ح ١١٠، ومسلم في صحيحه:كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم (٢٢٩٨/٤) ح ٣٠٠٤.

واجبة وإما مؤكدة خوفاً من ظنّ العامة خلاف ما هي عليه " [(١)]

● **ومن الآثار السيئة:** ما نراه عند بعض أصحاب الطرق الصوفية، من حبّ السلطنة والسيطرة وحب سياسة الناس وإذلال الناس وخضوع المريدين له وذلهم بين يديه، وعدم مخالفة ما يؤمرون به من مشايخهم، وعدم أخذ الورد والحزب إلا منه، وبعضهم يشترط على مريديه الانسلاخ من كل الأذكار والأوراد إلا من الأوراد التي ابتدعها هو، فمن شروط بعض الطرق: " أن يكون خالياً من أوراد المشايخ أو ينسلخ عنها ولا يعود لها أبداً"[(٢)]، وبالتالي ينصب نفسه مشرعاً مع الشارع، وأنه والعياذ بالله شريكٌ لله تعالى في حكمه وشرعه، ومما يؤكد ذلك أن الله رتب على الأذكار المشروعة أجوراً وثواباً قدره بحكمته وعلمه سبحانه وتعالى " لكن مشايخ الصوفية أراد كل منهم أن ينصب من نفسه مشرعاً لمجموعة من المريدين، وإلهاً يعبده الأتباع الجاهلون، وكان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للمريدين فوضع كل منهم أذكاراً مخصوصة، وكان لا بد أن يضفي كل واحد منهم على ذكره هالة من التقديس فمنهم من زعم أن ذكره أخذه من الرسول ﷺ مناماً ومنهم من ادّعى أنه أخذه يقظة، ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي أوحى له بالذكر"[(٣)].

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص ٥٣.

(٢) الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التيجانية لمحمد الرباطابي ص٤ (ط/ ١٩٥٥م/مكتبة القاهرة/القاهرة).

(٣) الصوفية عقيدة وأهداف لليلى بنت عبد الله (ط١/ ١٤١٠هـ، دار الوطن الرياض)، وانظر الفكر الصوفي لعبد الرحمن عبد الخالق ص ٢٨٣.

• **ومن الآثار السيئة:** الوقوع في الانحرافات العقدية الكثيرة جداً قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" وقد وقع من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـــ (هو) في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد"(١) .

وقال أيضاً رحمه الله:

"وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين،بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع"(٢).

وهذا نوع واحـــد من أنواع الذكر المبتدع يؤدي إلى هذه الطوام من المخالفات العقدية، فما بالك ببقية الأذكار غير المشروعة، فلا شك أن فيها الكثير من المخالفات العقدية.

وسيأتي قريباً -إن شاء الله- الكلام على مظاهر الانحرافات العقدية في الأذكار غير المشروعة

• ومنها أيضاً: الغفلة وقلة الخشوع والتدبر، وعدم فهم المعاني، وذلك بسبب البدع التي ألحقها المبتدعة بالمُبْتَدَع من الأذكار، حيث إنهم رتبوا على بدعهم أعداداً هائلة من الأوراد، فيصرف المريد همته كلها إلى

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٣/١٠).

محاولة الإتيان بالأعداد الهائلة من الأذكار المبتدعة، وتصبح له عادة يعتادها، يقرأها من غير فهم ولا تدبر - هذا إن كانت تحتوي على معنى صحيح ! - فينشغل بها عن قراءة القرآن والأذكار النبوية، فيهجر القرآن والسنة طوال حياته،بسبب تعلقه بترهات وافتراءات، فيُختم على قلبه فلا يعرف للحق في قلبه مسلكاً - إلا أن يشاء الله -

وانظر إلى صحة ما أقول: أنهم يهجرون القرآن والسنة أثناء ذكرهم وخلواتهم ويا ترى قل لي بربك: مـــن هجر هذين الأصلين العظيمين ماذا سيكون حاله ومن سيكون وليه؟!!

يقول الفوتي التيجاني في الشرط التاسع عشر من شروط الخلوة:

" ولا يجوز للذاكر في مذهب أهل الذكر والخلوة، أن يتفكر في معنى آية أو حديث أو غيرهما"[(١)] .

فقوله: (لا يجوز) يعني حرام فعل ذلك، ومن أين له التشريع في دين الله، فالحرام أحد الأحكام الخمسة، ولا يجوز تحريم شيء أو تحليله إلا من قبل الشارع الحكيم، ثم ماذا حرّم هؤلاء حرموا التفكر في ما أمر الله بالتفكر فيه والتدبر ألا وهو كتاب الله تعالى فوقعوا في محظور ثان وخالفوا

---

(١) رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الفوتي (٤٨٦/٢) (ط/١٤١٥ هـــ، دار الفكر، بيروت، مطبوع مع جواهر المعاني وبلوغ الأماني لعلي حرازم)، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أبي حامد الغزالي مثل هذه المقالة، انظر : مجموع الفتاوى (٣٩٦/١٠).

النص القرآني حيث يقول تعالى:﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

ففي هاتين الآيتين حثّ سبحانه وتعالى على تدبّر القرآن الكريم وفهم معانيه ورغّب في ذلك، وذمّ من لا يتدبره، فهؤلاء القوم عارضوا هذه النصوص القرآنية، فيصدق عليهم هذا الذم، فتقفل قلوبهم ويغلق عليها فلا يفهمون كتاب ربهم ولا يكونون من أولي الألباب.

وإذا كان حال أحدهم طول حياته ذاكراً مختلياً –بزعمهم- فمتى سيتفكر في آيات ربه ومعاني أحاديث المصطفى ﷺ، فلا شك أنه ستأتيه منيته إذا كان على هذه الحال وما درى ما الكتاب ولا السنة، نسأل الله السلامة.

و قد ينكر بعض هؤلاء القوم السذّج على أهل الحق وعلى من سار على نهج المصطفى ﷺ في أذكاره، ويقول أنتم من أهل الشريعة والظاهر ونحن من أهل الحقيقة والباطن !!، فهذا من تلبيس مشايخ الضلال وأئمة البدع على طغام الناس وعوامهم وجهلتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" وزادوا أيضاً في الآلات التي تستثار بها الأصوات مما يصنع بالأفواه

---

(١) سورة ص الآية: ٢٩.

(٢) سورة محمد الآية: ٢٤.

والأيدي كأبواق اليهود ونواقيس النصارى من يبلغ المنكرات كأنواع الشبابات والصفارات وأنواع الصلاصل والأوتار المصوتات ما عظمت به الفتنة حتى ربا فيها الصغير وهرم فيها الكبير وحتى اتخذوا ذلك دينا وديدناً وجعلوه من الوظائف الراتبة بالغداة والعشي كصلاة الفجر والعصر وفي الأوقات والأماكن الفاضلات واعتاضوا به عن القرآن والصلوات وصدق فيهم قوله: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾" (١) .

- **ومن الآثار السيئة المترتبة على ما ابتدعه المبتدعون في الأذكار** وما أضافوا عليها من حركات وصراخ وزعيق: تشويه صورة الإسلام، وتسويد معالمه المشرقة، وطمس لروحانيته، وفي ذلك ضرر على الإسلام والمسلمين، وفيه أيضاً صدٌّ عن سبيل الله، فإذا رأى غير المسلمين طقوس الصوفية حالة ذكرهم وما يفعلونه من حركات شنيعة من نط وقفز ودوران وجدب ودفع، وصراخ وصياح وزعيق، لو رأوا ذلك لنفروا من الإسلام ولما رغبوا فيه.

يقول الشيخ محمد بن فهر شقفة:

" وقد أساء الصوفية إلى سمعة الإسلام إساءة كبرى مما سبب نفور الغربيين منه لما شاهدوا من سلوكهم المنحرف وذكرهم الممسوخ بلفظ (الله، الله)، فظنوه هو الإسلام، ونفروا منه مما حدا بأحدهم وهو باحث مستشرق فرنسي يدعى (كيمون) للقول في كتابه (باتولوجيا الإسلام) ما

---

(١) الاستقامة (١/٣٠٧).

ملخصه: " إن الديانة المحمدية جذام تغشى بين الناس وأخذ يفتك فيهم فتكاً ذريعاً، بل هو مرض وشلل عام وجنون يبعث الإنسان على الخمول والكسل، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث على الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة الذهول العقلي وتكرار لفظة " الله " إلى ما لانهاية... "(١).

ويُرَدُّ على هذا المستشرق -لا دفاعاً عن الصوفية وإنما تبييناً للحق ودفاعاً عن الإسلام ورداً على ما افتراه هذا المستشرق على الإسلام الدين الخالص- بأن كلام هذا المستشرق إنما ينصبُّ على هؤلاء الصوفية، أما الإسلام فبريء مما يفعله هؤلاء، وفعل هؤلاء في حكم الإسلام مردود عليهم دل على ذلك نصوص كثيرة، والإسلام ليس فيه خمول ولا كسل بل كله نشاط وعمل، وفي الإسلام دعوة إلى التدبر وإعمال العقل، والنهي عن كل ما يفسد العقل ويذهبه، فهذا المستشرق كالأعور الذي لم ينظر إلا بعين واحدة فنظر إلى مساوئ الصوفية وترك محاسن الإسلام، بل هذا المستشرق كالأعمى الذي رُزق البصر لبرهة فرأى شيئاً يسيراً ثم عمي مرة أخرى فلا يعلم إلا ما رآه في هذه البرهة، ولو أراد الحق لوجده عند أهل السنة والجماعة المتمسكين بنور الكتاب والسنة.

ثم أقول لهؤلاء الصوفية:اتقوا الله ربكم ولا تجعلوا أعمالكم صدّاً عن سبيل الله وتحسبون أنكم تحسنون صنعاً، فتكونوا قد شابهتم اليهود

---

(١) التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفة ص ١٦٢-١٦٣ (ط٣/١٤٠٣هـ، الدار السلفية، حولي، الكويت).

والنصارى في صدهم عن سبيل الله، فنصيحتي لكم الرجوع عن ما أنتم عليه من البدع إلى الأذكار النبوية ففيها ما يشفي وما يروي، وفيها الخير الكثير والنفع العظيم، ولو أخذتم بها كلها لكفتكم كما كفت أصحاب رسول الله ﷺ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾[1].

• **ومن الآثار السيئة** أيضاً: ترك الجمع والجماعات مع المسلمين،وترك الجهاد في سبيل الله تعالى،وكم ترك هؤلاء المنتسبون إلى الطرق الصوفية هذه الفريضة بسبب انهماكهم في خلواتهم وأذكارهم البدعية المزعومة وكم سمحوا للعدو باحتلال البلاد وإفساد مصالح العباد، وهناك القصص الكثيرة التي تشهد على تخاذلهم وتقاعسهم لا مجال لذكرها هنا[2].

وكذلك ترتب على خلواتهم هذه وأذكارهم الهائلة التي فيها التشديد والغلو والتنطع ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي به يتحقق وصف الخيرية لهذه الأمة: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] إضافة لذلك التفريط بالحقوق

---

(١) سورة النساء الآية: ٦٦.

(٢) انظر كتاب: هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ١٧٠ -١٧٥، فقد ذكر قصصاً كثيرة تبين تقاعس هؤلاء القوم عن الجهاد والذب عن البلاد وقمع العدو الفساد، بل والسماح له بدخول البلاد بل وأكثر من ذلك التعاون معه ضد الإسلام والمسلمين.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

التي عليهم والواجبات تجاه الخلق فكم سمعنا في زماننا هذا من الناس أن بعض هؤلاء المنتسبين إلى أهل الأذكار –جهالة- من جلس في ورده يقوله عشـــر ساعات يدخل فيها من قبل الظهر وقد يكون قبل الجمعة !!

ونقول لهم أين ذهبتم بالجمعة والجماعة مع المسلمين؟!! وكيف يروق لأنفسكم أن تفرطوا بالفرائض وتتركوها وتنهمكوا بالنوافل؟!! إن هذا لهو الغبن العظيم.

وكم سمعنا أن بعضهم إذا ألقي عليه السلام لم يرد لاشتغاله بالذكر -بزعمه- فاشتغل عن الواجب بما ليس بواجب، ومنهم من يرى المنكر ويبصره فلا ينكره ومنهم من ترك طلب العلم وانـــزوى في زاوية من الزوايا التي تُعقد بها مجالس الذكر -بزعمهم- ونسي أن مجالس الذكر هي العلم والتعلم للكتاب والسنة...إلخ

نعم إن بعض السلف كانوا يعتزلون الناس أحياناً، ولكن لا يعتزلون الجمع والجماعات ولا يتركون الحقوق و الواجبات، ولا يتركون الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولا يتركون رد السلام بل عزلتهم فيها خير لهم وللناس فلا يلبثون إلا وقد خرجوا بمصنف جديد ومؤلف مفيد يخرجون العلم به للناس، مع تعبدهم لله وقيامه بحقوقه وما عليهم من واجبات وحقوق، واعتزالهم للفتن، بخلاف هؤلاء الصوفية الذين يتركون الحقوق الواجبات. يقول ابن الجوزي رحمه الله:

" كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة

مريض، ولا شهود جنازة ولا قيام بحق، وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين.

وقد لبّس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل في جبل كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاتته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم، وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاقم السعي إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب" (١).

ونحن لم نأتِ بشيء من عند أنفسنا بل هو الواقع المشاهد، والمسطور المكتوب المنقول في كتبهم فانظر مثلاً إلى ما جاء في رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم في شروط الخلوة التيجانية يقول مصنفه وهو من أصحاب الطريقة التيجانية عند الشرط الثالث عشر:

" فالواجب على الذاكر المنقطع في الخلوة حتماً، أن لا يتكلم مع أحد أبداً كائناً ما كان، إلا مع شيخه لغرض واقعة ضرورية البيان....

الرابع عشر: أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام أي كلام الناس، فإن القلب الرقيق يؤثر فيه الخطرات المذمومات، وأثر القليل عليه قليل"(٢).

وإذا أردت أن تعرف كم يختلون بهذه الخلوات البدعية ويزعمون أنهم يذكرون الله فيها فخذ أمثلة من خلواتهم:

---

(١) تلبيس إبليس ٣٢٥ (ط١٤٠٧/٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت)، و انظر التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ١٧٠.

(٢) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للفوتي (٤٨٥/٢) للفوتي .

ففي رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم أن عندهم خلوات كثيرة وذكر منها:

خلوة الأربعين الكليمية وهي أربعون يوماً.

وخلوة فاتحة الكتاب: أربعون يوماً كذلك.

وخلوة البسملة: وتكون تسعة عشر يوماً.

وخلوة الياقوتة الفريدة: وهي عشرون يوماً[١] ولكل منها أوراد وأذكار مخصوصة مبتدعة مؤلفة من قبل زعمائهم فيها من المشقة والعنت مما لم يترل الله به من سلطان وكل فرقة من فرق الصوفية لها خلوتها الخاصة وأورادها الخاصة بالخلوة تختلف عن غيرها من الطرق[٢].

فانظر يا أخي إلى خلواتهم المزعومة فلو أن كل مسلم وكل عالم انعزل عن الناس في خلوته أربعين يوماً كيف سيكون حال المسلمين تراهم في سبات عميق طيلة هذه المدة، ولربما جاء العدو واجتاحهم عن بكرتهم والله والمستعان.

• **ومن المساوئ والآثار المترتبة على الذكر المبتدع: الوقوع بالكذب والافتراء على الله ورسوله** ﷺ كما يدعيه مشايخ الضلال بأن هذا الورد تلقيته عن الله مشافهة أو أخبرني به رسول الله يقظة أو مناماً أو

---

(١) المصدر السابق (٢/٤٨٩-٤٩٠).

(٢) انظر التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص١٦٩.

أخبرني به الخضر أو نحو ذلك، والافتراء على الله ورسوله بترتيب الثواب الكبير على الأوراد المبتدعة، كما هو الحال للتيجاني .

قال في الرماح: "وإنما قلت: حزب الأحمدية مع أن الشارح صاحب القصيدة إنما قال وإنهم حزب الشاذلية، لكون شيخنا أحمد التيجاني رضي الله عنه أخذ هذا الحزب عن النبي ﷺ يقظة لا مناماً، فلذلك نسبته إليه رضي الله عنه"(١) .

- **ومن الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة كثرة الاختلاف وتعدد الفرق والطرق الصوفية، والولاء والبراء للطريقة ومشايخها،** فكل طريقة لها ذكر معين يختلف عن الطريقة الأخرى ولو أنهم كانوا على الحق واتبعوا المشروع من الأذكار لكانوا فرقة واحدة لكن ستذهب في تلك الحالة مصالح مشايخ الضلال التي يكسبون من وراء طرقهم أموال الناس وقرابينهم ونذورهم وطاعتهم العمياء.

- **والرابعة عشر من هذه الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير الشرعية:** تقديس أصحاب الطرق وزعمائهم ورفعهم فوق منـــزلتهم، وذلك لأن المريد من أتباعهم يعتقد أن الأذكار التي تلقاها من أشياخه والأوراد التي لقنوها إياه، وما رتبوا عليها من الأجور العظيمة والثواب الجزيل، وأن لها خاصية لا توجد في غيرها من الأوراد، ولم يسبقهم إليها أحد من لدن آدم إلى زمنهم، وما يلبسون عليهم من كونها أنها أُخذت

---

(١) الرماح (٢/٤٤٩).

شفاهاً عن الرسول ﷺ يقظة لا مناماً، وأن الرسول ﷺ ادخر هذه الأذكار لشيخهم دون سواه حتى الصحابة لم يقفوا على ما وقف عليه الشيخ -بزعمهم- كل هذه الأمور تدعو المريد لأن يغلو في شيخه ويقدسه ويعظمه ويرفع درجته وشأنه، وربما اعتقد أنه أعلى منـــزلة من الصحابة -والعياذ بالله - لأنه حظي بما لم يحظوا به من الأذكار !!

فهذه بعض الآثار السيئة المترتبة على الأذكار غير المشروعة (المبتَدعة) التي ذكرتها والتي لم أذكرها الشيء الكثير، تبين لنا خطورة الابتداع في الدين عموماً وفي الأذكار خصوصاً، كما تبين لنا ضرورة التمسك بالكتاب والسنة وبالمشروع من الأذكار، حتى لا يلحق المسلم ضرر في دينه ومعتقده من حيث لا يشعر، فالذاكر بالمشروع من الأذكار سالم بإذن الله من هذه الآثار السيئة والآفات الرديئة الناجمة عن الذكر المبتدع والله هو وحده الموفق.



المبحث الثالث:

مظاهر الغلو في الأذكار

الغلو لغة: التجاوز عن الحد والخروج عن القصد في كل شيء، وغلا في الدين والأمر يغلو جاوز حده وأفرط فيه.

قال الراغب رحمه الله:" الغُلُوُّ: تجاوز الحد، يقال ذلك إذا كان في السعر غلاءٌ، وإذا كان في القدر والمنـــزلة غُلُوٌّ وفي السهم: غَلْوٌ، وأفعالها غلا يغْـــلو قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾"[1] .

وقال ابن الأثير رحمه الله: " غلا: فيه « **إياكم والغُلُوَّ في الدِّين** » أي التشدّد فيه ومُجَاوَزَةَ الحَدِّ ، كحَدِيثه الآخر: « **إن هذا الدّين مَتِين فأوْغِلْ فيه برفقْ** ». وقيل: معناه البحث عن بَواطِن الأشياء والكشف عن عِلَلِها وغَوامِض مُتَعَبَّداها، ومنه الحديث: « **وحامِل القُران غَيْر الغالي فيه ولا الجافي عنه**» إنما قال ذلك لأن مِنْ أخلاقِه وآدابه التي أُمر بها القَصْدَ في الأمور ، وخَيْر الأمور أوْساطها ، و:

كلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأمور ذَمِيمُ.

ومنه حديث عمر: « لا تُغَلُوا صُدُقَ النِّساء » وفي رواية: « **لا تَغْلُوا في صَدُقات النِّساء** » أي لا تُبَالغوا في كثْرة الصَّداق. وأصل

---

(١) المفردات ص٦١٣ (ط١/١٤١٢هـ دار القلم، دمشق، تحقيق صفوان داوودي.

الغَلاء: الارْتِفاع ومُجاوَزة القَدْرِ في كل شيء. يقـال: غالَيْت الشَّيء وبالشَّيء ، وغَلَوْت فيه أغْلُو إذا جاوَزْتَ فيه الحَدّ."[١] .

قال الشاطبي رحمه الله في تعريفه للغلو: " الغلو هو المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلى حيّز الإسراف " [٢]

وقال ابن حجر رحمه الله:" وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق يقال غلا في الشيء يغلو غلوا وغلا السعر يغلو غلاء إذا جاوز العادة والسهم يغلو غلوا بفتح ثم سكون إذا بلغ غاية ما يرمي "[٣] .

إذا عُلم معنى الغلو فليُعلم أن الغلو في الدين أمره جدٌّ خطير، وضرره شر مستطير، لذا فقد حذّر الإسلام من الغلو بجميع صوره، وذمّ أهل الكتاب لأنهم غلو في دينهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾[٤] .

والغلو سبب هلاك الأمم السابقة، وما وقع في أمة إلا ولحقها الهلاك

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/٣٨٢) وانظر لسان العرب (١٥/١٣١-١٣٢).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/١٦٣) (ط١/١٤٢١هـ، مكتبة التوحيد، البحرين، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان).

(٣) فتح الباري (١٣/٢٧٨).

(٤) سورة المائدة الآية: ٧٧.

والدمار فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ غداة العقبة: « **هات ألقط حصيات من حصى الخذف** » فلما وضعتهن في يده، قال: « **بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين** »(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وقوله: **(إياكم والغلو في الدين)** عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، والغلو هو مجاوزة الحد بأن يزاد في حمد الشيء أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك، والنصارى أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه، فالغلو فيه مثل رمي الحجارة الكبار ونحو ذلك بناء على أنه قد بالغ في الحصى الصغار ثم علل ذلك بأن ما أهلك من كان قبلنا إلا الغلو في الدين كما تراه في النصارى وذلك يقتضي أن مجانبة هديهم مطلقا أبعد عن الوقوع فيما به هلكوا وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه أن يكون هالكا " (٢) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢١٥/١)، والنسائي، وابن ماجة، في سننه (٣٠٢٩) والحاكم في المستدرك (٦٦/١) وصححه وأقره الذهبي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص١٠٦:" إسناده صحيح على شرط مسلم "، وفي مجموع الفتاوى (٣٨٣/٣) قال: وهو حديث صحيح.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٠٦.

وانظر إلى هلاك من سبق ممن غلا في الصالحين وإغواء الشياطين لهم، وتلبيس الشياطين عليهم، فأتتهم شياطينهم من جهة الغلو فظفروا بهم فتسلطوا عليهم وأغووهم وتمكنوا منهم فأهلكوهم.

فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه: "هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[2].

وقد نهى الرسول ﷺ أمته أن تغلو فيه وأن تطريه كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه من تأليه عيسى ابن مريم عليه السلام.

والغلو سبب للمروق من الإسلام والسنة فكم ممن يدعي السنة وهو ليس من أهلها بسبب غلوه في دين الله[3]، فانظر مثلاً إلى الخوارج مع شدة عبادتهم وكثرتها حتى يحقر المرء صلاته إلى صلاتهم، ويقرؤون

---

(١) سورة نوح الآية: ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير باب: ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق (١٨٧٣/٤) ح٤٦٣٦، وانظر تفسير القرطبي (٣٠٨/١٨) وتفسير ابن كثير (٤٢٧/٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٣٨٣/٣).

القرآن ويتهجدون به، لكنهم مرقوا من الإسلام والسنة مروق السهم من الرمية وذلك بسبب تشددهم وغلوهم في أوامر الله.

قال ابن حجر رحمه الله أثناء كلامه على حديث الخوارج وأنهم يمرقون من الإسلام:

" وفيه التحذير من الغلو في الديانة والتنطع في العبادة بالحمل على النفس فيما لم يأذن فيه الشرع وقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة، و إنما ندب إلى الشدة على الكفار والى الرأفة بالمؤمنين فعكس ذلك الخوارج كما تقدم بيانه " (١)

والدين الإسلامي دين التيسير والتسهيل على الناس، والبعد عن التعسير وعن كل ما يشق على الناس ويكلفهم فوق طاقتهم،وهذا أصل من أصول الشريعة، فمن رحمته سبحانه وتعالى أنه لم يجعل على هذه الأمة في الدين من حرج، والغلو في الدين ضد هذا الأصل العظيم من الدين ومنافٍ لما يتضمنه من سماحة ويسر.

قال ابن حجر رحمه الله بعد أن شرح الأحاديث التي أوردها البخاري في صحيحه في باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف والتيسير على الناس :

" وفي هذه الأحاديث أن الغلو ومجاوزة القصد في العبادة وغيرها مذموم وأن المحمود من جميع ذلك ما أمكنت المواظبة معه وأمِن

---

(١) فتح الباري (١٢/٣٠١).

صاحبه العجب وغيره من المهلكات"[١] .

ولا يزال الشيطان يترصد للإنسان حتى يوقعه في المخالفة للأوامر أو ارتكاب النواهي، وذلك إما بالغلو أو التقصير.

" وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نـــزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودينُ الله وسطٌ بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين،فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد وقد نهى الله عن الغلو بقوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾[٢]

والغلو نوعان: نوعٌ يخرجه عن كونه مطيعا كمن زاد في الصلاة ركعة أو صام الدهر مع أيام النهي أو رمي الجمرات بالصخرات الكبار التي يرمى بها في المنجنيق أو سعى بين الصفا والمروة عشرا أو نحو ذلك عمداً.

وغلوٌ: يخاف منه الانقطاع والاستحسار كقيام الليل كله وسرد الصيام الدهر أجمع بدون صوم أيام النهي والجـــور على النفوس في العبادات **والأوراد** الذي قال فيه النبي ﷺ:

« إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا

(١) فتح الباري (١٠/٥٢٦).

(٢) سورة المائدة الآية: ٧٧.

وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »[١] يعني استعينوا على طاعة الله بالأعمال في هذه الأوقات الثلاثة فإن المسافر يستعين على قطع مسافة السفر بالسير فيها.

وقال: «**ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد**» رواهما البخاري، وفي صحيح مسلم عنه أنه قال: « **هلك المتنطعون قالها ثلاثاً** »[٢]، وهم المتعمقون المتشددون، وفي صحيح البخاري عنه: « **عليكم من الأعمال ما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا** »" [٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً:

" وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نـــزغتان: إما تقصير وتفريط و إما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين فإنه يأتي إلى قلب العبد فيستامه فإن وجد فيه فتوراً وتوانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخطة فثبطه وأقعده وضربه بالكسل والتواني والفتور وفتح له باب التأويلات والرجاء وغير ذلك حتى ربما ترك العبدُ المأمورَ جملة، وإن وجد عنده حذراً وجداً وتشميراً ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد وسوّل له: إن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا وينبغي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١/٢٣) ح ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥) ح٢٦٧٠.

(٣) مدارج السالكين (٢/٤٩٦).

لك أن تزيد على العاملين وأن لا ترقد إذا رقدوا و لا تفطر إذا افطروا وأن لا تفتر إذا فتروا وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعا وإذا توضأ للصلاة فاغتسل أنت لها، ونحو ذلك من الإفراط والتعدي فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدي الصراط المستقيم كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ومقصوده من الرجلين إخراجهما عن الصراط المستقيم هذا بأن لا يقربه ولا يدنو منه وهذا بأن يجاوزه ويتعداه وقد فتن بهذا أكثر الخلق ولا ينجي من ذلك إلا علم راسخ وإيمان وقوة على محاربته ولزوم الوسط والله المستعان" [1] .

إذاً نخلص إلى أن الغلو محرم في الشرع والنصوص الدالة على تحريم الغلو في الدين كثيرة[2]، وعلى الرغم من كثرتها ودلالتها على تحريم الغلو في أي عمل كان، إلا أن أقـــواماً من أهل البدع تغافلوا عن هذه النصوص وتجاهلوها فتجاوزوا الـــحد في كثير من الأعمال والعبادات،ومن ذلك غلوهم في الأذكار فغلا فيها قوم منهم وأخرجوها عن مقصود الشارع الحكيم في تشريعها، إذ من مقصود الشارع في الأذكار الثناء على الله تعالى والتقرب إليه والصلة به وعدم الغفلة عنه، وتقواه ومراقبته، وتقوية ركائز العقيدة والتوحيد في نفس الذاكر،وحصول

(١) الوابل الصيب ص٢٦-٢٧.

(٢) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم (١/١٣١) فقد ذكر مبحثاً لطيفاً في الغلو وذكر نصوص عدة في النهي عنه وعن التعدي ومجاوزة الحد.

الثواب في الآخرة عليه وسكون القلب وطمأنينته...إلى غير ذلك من المقاصد الحسنة النافعة الكثيرة.

وقد وضع الشارع الحكيم أسساً متينة وضوابط وقواعد راسية للذكر وآدابه حتى لا يتعدى عليها ولا يتجاوزها أحدٌ كائن من كان كما سبق وأن تكلمنا عليها في الباب الأول، ورغم هذه الأسس والضوابط المنضبطة إلا أن هناك أناساً -ادّعوا حبهم للأذكار وكثرة ذكر الله وعدم الغفلة عنه- خرقوا هذه الضوابط وتعدوها وتجاوزوا الحد فيها فلم يراعوا حرمتها ولا حرمة من شرعها ولم يعظموا قدره ﷺ، وتجرؤوا عليه بأن اعتاضوا عن ما شرعه بديلاً من الأذكار التي شرعوها من عند أنفسهم وغلوا فيها وفي هيئاتها وأوصافها وأعدادها وثوابها وفضلها، ونقض ما جاء به الرسول ﷺ من أذكار غلواً فاحشاً أخرجها عن كونها ذكراً لله وأوقعهم في أصناف البلايا والرزايا من الشرك والاعتقاد الفاسد والتشبه المقيت لأعداء الله تعالى.

وقبل الدخول في أنواع غلوهم فأذكر أولاً أن الغلو في الأذكار منهي عنه ويندرج النهي في عموم قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ (١) .

فكل من ابتدع ذكراً موهماً للناس أنه مُشروع فهو غالٍ.

قال الإمام أبو شامة رحمه الله بعد أن ذكر هذه الآية:

(١) سورة النساء الآية: ١٧١.

" فكل من فعل أمراً موهماً أنه مشروع وليس كذلك فهو غالٍ في دينه، مبتدع فيه، قائل على الله غير الحق بلسان مقاله ولسان حاله " [(١)]

وقال أبو سليمان الداراني: " ليس لمن أُلهم شيئاً من الخيرات أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر فإذا سمعه من الأثر عمل به "[(٢)].

وقال الشاطبي رحمه الله:" فإن النهي ليس عن العبادة المطلوبة، بل هو عن الغلو فيها غلواً يُدخِل المشقة على العامل، فإذا فرضنا من فُقِدت في حقه تلك العلة فلا ينتهض النهي في حقه " [(٣)]

وغلوُّ أصحاب الطرق في الأذكار كان في اتجاهات عدة:

أولاً: غلوهم في الأذكار من جهة ترتيب أعداد هائلة على أذكارهم المبتدعة مع ما يصحب ذلك من بدع أخرى:

إن الوقوف على ما حده الشارع للعبادة من حدود وعدم تجاوزها هو الواجب والمطلوب فعله، فالعبادة متوقفة على أمرين حتى تقبل: هما الإخلاص لله تعالى فيها، ومتابعة الرسول ﷺ في فعلها، فمن لم يحقق هذين الأمرين فعمله مردود على صاحبه، وقد حدّ الشارع الحكيم حداً للأعداد المقيدة لا ينبغي تجاوزه.

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص١٨ (ط٢/١٤٠١هـ دار النهضة، مكة المكرمة).

(٢) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص٢٦.

(٣) الاعتصام (١٧٤/٢).

والعبادات موقوفة على النص ومورده من جهات التعبد الست وهي: السبب، والجنس، والمقدار، والكيفية والزمان، والمكان، فإذا اختلت واحدة من هذه الجهـــات كان الذكر فيه غلو واعتداء وتجـــاوز عما شـــرعه الله[١]، فجهة المقدار والعدد الذي قدره الشارع للذكر يجب أن تُراعى ولا تهمل وإن زاد أحدٌ في أعداد الأذكار المشروعة المقيدة والمحدودة ووضع لها أعداداً من عند نفسه بعدد معين فقد غلا ووقع في الإثم، فما بالك بمن يذكر ربه بذكر مبتدع ويحصره بعدد هائل فيكون وقع في بدعتين أحدهما: كون هذا الذكر مبتدعاً، والأخرى: ما ترتب عليه من بدع أخرى واحدة فأكثر.

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله:

" قد يقول قائل: إن العدّ بالأصابع كما ورد في السنة لا يمكن أن يُضبط به العدد إذا كان كثيراً. فالجواب: إنما جاء هذا الإشكال من بدعة أُخرى وهي ذكر الله في عدد محصور كثير لم يأت به الشارع الحكيم، فتطلبت هذه البدعة بدعةً أخرى، وهي السبحة، فإن أكثر ما جاء من العدد في السنة الصحيحة فيما ثبت لديّ إنما هو مائة، وهذا يمكن ضبطه بالأصابع بسهولة لمن كان ذلك عادته... "[٢].

وقال الشيخ بكر أبو زيد:

---

(١) انظر تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد ص ٤١.

(٢) السلسلة الضعيفة للألباني (١/١٩٢) عند حديث رقم ٨٣.

" ليس في الشرع المطهر أكثر من " المائة " في عدد الذكر المقيد بحال، أو زمان، أو مكان، وما سوى المقيد فهو من الذكر المطلق، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾[1] إلى غيرها من الآيات كما في آل عمران الآية ٤١، والأنفال/الآية ٤٥، والأحزاب/الآية ٣٥، فتوظيف الإنسان على نفسه ذكراً مقيداً بعدد لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ هو: زيادة على المشروع، ونفس المؤمن لا تشبع من الخير، وكثرة الدعاء والذكر، وهذا الأمر المطلق من فضل الله على عباده في حدود ما شرعه الله من الأدعية والأذكار المطلقة، بلا عدد معين، كلٌّ على حسب طاقته وسعته وفراغه وشغله وهذا من تيسير الله على عباده، ورحمته بهم، وانظر: لَمّا ألزم الطُّرُقية أنفسهم بأعداد لا دليل على تحديدها، ولّدَ لهم هذا الإحداث بدعاً: من اتخاذ السُّبَح، وإلزام أنفسهم بها، واتخاذها شعاراً وتعليقها في الأعناق، واعتقادات متنوعة فيها رغباً ورهباً، والغلو في اتخاذها، حتى ناءت بحملها الأبدان، فعُلِّقت بالسقوف والجدران، ووقفت الوقوف على العادّين بها،وانقسم المتعبّدون في اتخاذها: نوعاً وكيفية وزماناً، وعدداً، ثم تطورت إلى آلة حديدية مصنعة إلى آخر ما هنالك مما يأباه الله ورسوله والمؤمنون، فعلى كل عبد ناصح لنفسه أن يتجرد من الإحداث في الدين، وأن يقصر نفسه على التأسي بخاتم الأنبياء والمرسلين وصحابته رضي الله عنهم فدع السُّبحة يا عبد الله، وتأس بنبيك محمد ﷺ في عد الذكر المقيد، ووسيلة العد، وداوم

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

على ذكر الله كثيراً دون التقيد بعدد لم يدل عليه الشرع، واحرص على جوامع الذكر، وجوامع الدعاء " [١] .

وقد غلا المبتدعة وتجاوزوا الحد فيما رتبوه على أذكارهم من أعداد محصورة هائلة فيها العنت والمشقة والتشديد المنهي عنه، والمخالف لسماحة الإسلام ويسره، وفيها إجهاد للحواس في غير طاعة، فالعبادة لا تعتبر قربة وطاعة كما قلنا إلا إذا وافقت السنة، كما أن هذه الأعداد فيها مدعاة لترك كثير من السنن والعبادات الأخرى وبعض الواجبات، وترك المشروع من الأذكار وإليك بعض الأمثلة:

جاء في ذكر خلوة البسملة عند التيجانية أنها تتلى فيها البسملة كل يوم تسعة عشر ألفاً وأما خلوة الياقوتة الفريدة فتتلى كل يوم ألفي مرة،وهذا العدد لا بد منه [٢].

وأما عند الرفاعية فعندهم خلوة يسمونها الخلوة السنوسية وهي خلوة أسبوعية يشترطون فيها على المريد ترك أكل اللحم وعدم الاقتراب من النساء وأن يقول في اليوم " لا إله إلا الله " عشرة آلاف مرة، وفي اليوم الثاني ٢٧ ألف مرة ويقول معها: (اللهم اسقني من خمر المشاهد)، وفي اليوم الثالث: يقول: (وهاب) ٣٢ ألف مرة، وفي اليوم الرابع (حي) ٣٥ ألف مرة....إلخ [٣].

---

(١) تصحيح الدعاء ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) الرماح (٢/٤٨٩-٤٩٠).

(٣) تهذيب الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية ص ٧٣، ٧٩، ومعجم البدع لأبن أبي علفة ص ٢٥٩.

وأوصى أحدهم وصية عامة لكل مريد من أتباعه فقال:

" وليكن ذكره واستغفاره وصلاته على رسول الله ﷺ إلى غير ذلك من الأذكار المطلقة سبعين ألفاً لكل نوع على حدة " (١).

فنقول من الذي أعطاه الحق بأن يقيد ما أطلقه الشارع؟، وليس هذا فقط بل قيده بعدد هائل صعب الضبط فيه المشقة والعنت على النفس

وورد في كتاب الإبريز أن الخضر لقن الدباغ ورداً يذكر به، فقال له: " اذكر كل يوم سبعة آلاف: اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله في الدنيا قبل الآخرة " (٢)

هذا ورد مبتدع بلا شك وأنّى له أن يلتقي بالخضر وقد مات عليه السلام، ثم على فرض لقياه -وهذا بعيد- كيف يعلمه ورداً مشتملاً على بدع كثيرة، فالعدد الهائل الذي حصره بسبعة آلاف مخترع لا أصل له في الشرع، ثم سؤاله ربه بجاه النبي ﷺ بدعة أخرى لم تكن معروفة لدى السلف، ثم سؤاله ربه أن يجمعه بالنبي ﷺ في الدنيا هذا من الاعتداء في السؤال لأن النبي ﷺ لا يُرى يقظة بعد موته وإنما يُرى في المنام، ثم الالتقاء به ﷺ -على حسب زعمه وافتراضه- لا يفيد صاحبه إلا إذا كان مؤمناً به وبما جاء به قائماً بسنته سائراً على منهجه غير محدث ولا مبتدع في دينه، فكم من رجل التقى بالنبي ﷺ وهو على غير دين الإسلام فما نفعه لقياه.

---

(١) تربيتنا الروحية، لسعيد حوى ص ١٢١ (ط/١٩٧٩م/دار الكتب العربية، بيروت).

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ لأحمد بن المبارك ص ١٤ (ط/دار الفكر، بدون تاريخ).

إذاً فهذا الورد المزعوم ظاهر البطلان من أساسه ومن أوله إلى آخره.

فانظر -رحمك الله- إلى هذا الغلو في الأعداد التي رتبوها على أذكارهم مما فيه المشقة والعنت على النفس والضجر من الذكر، ولو كان في كثرة العدد في الذكر المقيد خيراً لدلّنا عليه وأرشدنا إليه رسول الله ﷺ، ولسبقنا إليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

والله سبحانه وتعالى وصف نبيه بقوله:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1].

فالرسول ﷺ يشقّ عليه ما يشقُّ على أمته ويعنتهم، ويحب لهم الخير والتيسير ويكره لهم الشر والمشقة وذلك لرحمته ﷺ ورأفته بأمته، بخلاف هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم مكان الشارع الحكيم فلا رحمة ولا شفقة على أتباعهم بل تعنت ومشقة.

كما أنه من المعلوم من أصول الشرع أن العمل القليل الدائم الموافق للشرع خير من العمل الكثير المنقطع، فما بالك إذا كان كثيراً ومخالفاً للشرع مع انقطاعه فيكون لا خير فيه البتة.

---

(١) سورة التوبة الآية: ١٢٨.

ثانياً: غلوهم فيها من جهة ما رتبوا عليها من ثواب هائل.

لم يقف المبتدعة في الافتراء على رسول الله والزيادة على شرع الله بأن ابتدعوا أذكاراً لا برهان ولا دليل عليها وإنما ادعوا أن رسول الله لقنهم إياها يقظة، أو الخضر عليه السلام، أو رأوها في المنامات، بل تجاوزوا الحد فيها بأن غلوا في ترتيب الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي يفوق الوصف والحد، ويفوق ما رتبه رسول الله ﷺ من أجر على ما شرعه من أذكار بوحي من الله تعالى،وكأن لسان حال أحدهم: إن ما شرعته من الأوراد والأذكار له الفضل والأجر أكثر مما شرعه رسول الله ﷺ، مما يجر أتباعهم إلى تفضيل أذكارهم المبتدعة على الأذكار الشرعية التي سنها المصطفى ﷺ، وهذا حاصل وإن لم يصرحوا به خشية ذم الناس لهم،لكن فعلهم ومواظبتهم على أذكارهم وهجرهم للأذكار النبوية تدل على ما قلت.

وهم إنما فعلوا كل ذلك ليلبسوا على الناس ويجروهم إلى طرقهم المبتدعة، وبالغ كل شيخ وزعيم طريقة في ابتداع فضائل وخصائص لأوراده وأحزابه المبتدعة مبالغة عظيمة، وافترى افتراءات شنيعة ربما تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله أو اعتقاد خلاف ما أجمع عليه المسلمون قاطبة، فأجمع المسلمون مثلاً أن القرآن كتاب الله وكلامه وهو أفضل من كل كلام وفضله على سائر كلام الخلق كفضل الله على خلقه، والتعبد بقراءته لله فيه الأجر العظيم ففي كل حرف منه حسنة، وليس لكلام

دونه مثل ذلك الأجر، إلا أن رأساً من رؤوس الضلالة ادعى أن ورده وما ابتدعه من صلاة على رسول الله ﷺ تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة وأفضل من كل ذكر وتسبيح في الكون !!

فقد جاء في جواهر المعاني في فضل صلاة الفاتح لما أُغلق: " بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني[١] ثانياً أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة"[٢].

وذكروا من فضلها أيضاً: أن من نوى عند إرادة الصلاة بها على النبي ﷺ التعظيمَ والإجلالَ لله تعالى ولرسوله ﷺ، لا لشيء آخر، كانت المرة الواحدة من صلاته، لو ضرب العالم في نفسه مائة ألف مرة وقسمت صلاته عليهم لكفرت جميع ذنوبهم [٣]

وذكروا من فضائلها: " أن صلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، و من صلى بها مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من

---

(١) يعني أخبره رسول الله ﷺ بزعمه الباطل وافترائه العظيم على رسول الله، ورسول الله ﷺ بريء من هذا كله.

(٢) جواهر المعاني (١/٥٧) (ط/١٤١٥هـ، دار الفكر، بيروت،وهو مطبوع مع رماح حزب الرحيم للفوتي).

(٣) انظر رماح حزب الرحيم للفوتي (٢/٤٧٧).

كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها"[١] ويزعمون أن هذا الفضل رتّبه رسول الله ﷺ، وهذا كذب وافتراء عليه ﷺ.

ومن فضلها بزعمهم ما قالوه: أنه " لو قدرت مائة ألف أمة، في كل أمة مائة ألف قبيلة، في كل قبيلة مائة ألف رجل، وعاش كل واحد منهم مائة ألف عام يذكر كل واحد منهم كل يوم ألف صلاة على النبي ﷺ من غير صلاة الفاتح لما أغلق، وجميع ثواب هذه الأمم كلها مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح "[٢].

فانظر إلى هذا الفضل المزعوم لهذه الصلاة المبتدعة من هذه الفرقة الضالة المفترية الكاذبة على ربها وعلى رسوله، والتي قللت من شأن القرآن الكريم ورفعت من شأن بدعها نعوذ بالله من الخذلان، وهذا الفضل المزعوم يدعو إلى الكسل والدعة كما يدعو إلى ترك الغزو والجهاد لأن هذه الصلاة بزعمهم بستمائة ألف صلاة، وكل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة، فالجاهل الذي يسمع هذا الكلام ثم يصدقه كيف له أن يحدث نفسه بالغزو وجهاد الكفار بعده؟ لا شك أنها ستتعطل بذلك شعيرة الجهاد، وهذه دعوة صارخة منهم لذلك نسأل الله السلامة من الزيغ والضلال.

---

(١) جواهر المعاني (١/٥٧).

(٢) جواهر المعاني (١/٥٨).

ثم انظر إلى هذه الصلاة المزعومة التي لها من الفضل ما ذكروا،صلاة الفاتح لما أغلق، لتعرف بنفسك هذا الكذب المزعوم، وأنها لا يمكن أبداً ولا بأي حال أن تصل إلى هذه المنـــزلة، ونصها:

" اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والداعي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ".

فصلاةٌ ركيكةٌ الألفاظ والمباني، غامضة المعاني، أصحابها لا يريدون بها المعنى الصحيح المتبادر، يصل فضلها وثوابها لأن تكون أفضل من قراءة القرآن بستة آلاف مرة !! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

فأصحابها يعتقدون أن روح رسول الله بها افتتح الله الوجود وبها ختمه، ومنها خلقت الملائكة والشياطين ومنها خلقت الجنة وما فيها،والجحيم وما فيها [١] .

فانظر إلى هذا الاعتقاد الفاسد التي تحتويه هذه الصلاة المبتدعة، فهل يعقل أن يترتب على أمر فاسد ذاك الأجر العظيم؟!! أقول: لا، إنما هو الغلو وتجاوز الحد والشرع

ومن أحزابهم المبتدعة أيضاً" الحرز اليماني وهو دعاء السيفي " والذي لا يعطى إلا للخاصة منهم ! وذكروا من فضائله: " أن من ذكره

---

(١) الرماح (٢/٤٥٨-٤٥٩).

مرة تكتب له عبادة سنة، ومرتين بسنتين وهكذا، ومـــن حمله معه كتب من الذاكرين كثيراً ولو لم يذكر"[١] .

وأنه أفضل من قيام ليلة القدر بألوف المرات[٢].

وكأن من رتب الفضل على هذا الحزب يريد أن يقول شريعتي وديني أفضل من دين محمد ﷺ وناسخة لشريعته والعياذ بالله، لأن مجرد حمل هذا الحزب دون الذكر به يُكتب حامله من الذاكرين كثيراً هذا بلا تعب ولا مشقة، ولم يرد في سنة نبينا ﷺ من الأذكار ما شرع فقط للحمل دون الذكر بهذه الفضيلة؟!! أليس هذا افتراء وكذباً وتشريع ما لم يأذن الله به؟ ودعوة إلى الكسل وعدم العمل، وتركاً للمشروع من الأذكار النبوية ؛ إذ بمجرد حمل هذا الحزب يصبح المرء من الذاكرين كثيراً فماذا يريد بعد هذه المرتبة !!

ومن أورادهم وأذكارهم المزعومة المبتدعة والتي يزعمون أن شيخهم التيجاني أخذها من الرسول ﷺ يقظة لا مناماً،والتي فيها المبالغات ما يسمونها " ياقوتة الحقائق " وفيها: الله الله الله، اللهم أنت الله الذي لا إله أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديّتك، التي شئت فيها بوجود شؤنـــك... لله لله لله آه آه آه آمين هو هو هو آمين"، وهي طويلة وفيها من الغموض وعدم الوضوح والاعتقاد الفاسد الشيء الكثير، ثم ذكروا

---

(١) جواهر المعاني (١/٥٢).

(٢) جواهر المعاني (١/٥٨).

من فضلها: أن من داوم على قراءتها تضمن له خير الدنيا وخير الآخرة، ومن ذكرها مرتين في الصباح ومرتين في المساء غفرت له ذنوبه الكبائر والصغائر بالغة ما بلغت، ولا يقع له وهم في التوحيد[1] .

قلت: أي غلو هذا بلغ هذه الدرجة في هذه الأذكار المبتدعة؟!! حيث وصل فضلها لدرجة أن تكون سبباً لغفران الكبائر فضلاً عن الصغائر، فقد فاقت هذه البدعة المزعومة الصلوات الخمس والجمعة وشهر رمضان، إذ إن هذه العبادات هي مكفرات للذنوب الصغائر إذا اجتنبت الكبائر ولم يرد أهمن مكفرات للكبائر، إذ إن الكبائر لابد لتكفيرها من التوبة النصوح، ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

« الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » [2].

قال ابن رجب رحمه الله:

" وأما الكبائر فلابد لها من التوبة لأن الله أمر العباد بالتوبة وجعل من لم يتب ظالما واتفقت الأمة على أن التوبة فرض، والفرائض لا تؤدى إلا بنية وقصد، ولو كانت الكبائر تقع مُكَفّرة بالوضوء والصلاة وأداء بقية أركان الإسلام لم يحتج إلى التوبة وهذا باطل بالإجماع، وأيضاً فلو

---

(١) جواهر المعاني (٢/٢١٨-٢١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب الصلوات الخمس والجمعة إلى... (١/٢٠٩) ح٢٣٣.

كُفِّرت الكبائر بفعل الفرائض لم يبق لأحد ذنب يدخل به النار إذا أتى بالفرائض وهذا يشبه قول المرجئة وهو باطل هذا ما ذكره ابن عبد البر في كتابه التمهيد، وحكى إجماع المسلمين على ذلك واستدل عليه بأحاديث منها قوله ﷺ: « **الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر** » وهو مخرج في الصحيحين من حديث أبي هريرة وهذا يدل على أن الكبائر لا تكفرها هذه الفرائض " [١] .

وأما زعمهم بأن قائلها لا يقع له وهم في التوحيد، فنعم لا يقع له وهمٌ في توحيدهم الفاسد، أما التوحيد الذي جاءت به الرسل فهم بعيدون عنه كل البعد وأوهامهم فيه كثيرة وضلالاتهم فيه عظيمة ؛ إذ نفس هذه البدعة وما رتبوه عليها من فضل لهو أكبر دليل على وهمهم في التوحيد الخالص، ففي آخرها وهمٌ في توحيد الأسماء والصفات ؛ إذ ليس من أسمائه سبحانه (آه) ولا (هو)، وفي ثناياها إيهام بالقول بوحدة الوجود المنافية لتوحيد المرسلين حيث ورد فيها (وجعلت كل الكل في كلك، وجعلت هذا الكل من كلك، وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك روحاً لما أنت أهل له ولما هو أهل لك) .

فنتبين إذاً مما سبق كيف أدى بهم غلوهم في الأذكار إلى ترتيب هذه الأجور والفضائل مما ليس له به من الله برهان ولا دليل ولا سلطان.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٦٩، وانظر التمهيد لابن عبد البر (٤/٤٥).

ثالثاً: غلوهم في الأذكار من جهة ما ابتدعوه فيها وصاحبوه من كيفيات وهيئات منكرة

من آداب الطريقة التيجانية في الأذكار الأدب العاشر:

" أن يذكر بهمة تامة ويميل برأسه إلى الجهة اليمنى بـــ (لا)، ويرجع بـــ (إله) إلى جهة صدره وبـــ (إلا الله) إلى جهة القلب وهي اليسار تحت الثدي الأيسر ويقتطفها من سرته إلى قلبه حتى تنـــزل الجلالة القلب " [(١)]

ولكل طريقة من الطرق حركات خاصة وهزات تختلف عن بقية الطرق وتتميز بها عن أخواتها من طرق الضلال، ولا يحتمل المقام لذكرها وأكتفي بما ذكرت.

ووجه غلوهم في هذه الكيفيات أنهم تجاوزوا الحد المشروع لآداب الذكر، فمن آداب الذكر المشروع السكون والطمأنينة والخشوع وتدبر المعاني، والبكاء عند سماع القرآن الذي هو أفضل الأذكار، وعدم الجهر والصراخ والزعيق والرقص، والبعد عن اللهو والغناء والعبث، والبعد عن كل ما ينافي الآداب الإسلامية، وانظر إلى أوصاف الصحابة ومن تبعهم حال سماع الذكر والقرآن فمن زاد عليهم في آدابهم في حالة ذكرهم فهو غالٍ.

يقول القرطبي رحمه الله: "....قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ

---

(١) رماح حزب الرحيم (٣٩٨/٢).

إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(٢)، هذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجْدٌ وخشوع: إنك لم تبلغ أن تساوي حال رسول الله ﷺ ولا حال أصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك كانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله وكذلك وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٣)، فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم فمن كان مستنا فليستن بهم، ومن تعاطى أحوال المجانين فهو من أخسهم حالا، والجنون فنون"(٤).

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٢) سورة الزمر الآية: ٢٣.

(٣) سورة المائدة الآية: ٨٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٥٩-٦٠) وانظر أيضاً (٧/٣٦٦) منه.

فهذا حال الصالحين فالزمه، فإنهم لم يكونوا يرقصون ولا يقفزوا ولا يتحركون ولا يهتزون ولا يتمايلون ولا يصيحون حال ذكرهم، ولا تغتر بحال الغالين وكثرتهم، واحذر طريقهم ومنهجهم.

رابعاً: ومن الغلو في الأذكار: أن يتخذ العبد ذكراً واحداً طول حياته ويكرره مرات ومرات ويترك باقي الأذكار المشروعة.

سُئل سفيان الثوري رحمه الله عمن يقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ ولا يقرأ غيرها يكررها؟ فكرهه، وقال: " إنما أُ نــزل القرآن لِيُقرأ ولا يُخص شيء دون شيء، وإنما أنتم متبعون و لم يبلغنا عنهم مثل هذا "[١].

فانظر -رحمك الله- كيف كان السلف الصالح ينكرون أشياء لو سمعها بعض الناس في زماننا لأنكر عليهم إنكارهم، فإذا كان من يكرر آية من القرآن العظيم ويترك ما سواها ففعله مكروه وعمله على غير السنة وبخلاف ما عليه الصحابة رضي الله عنهم فما بالك يا أخي بمن اتخذ ذكراً من الأذكار ليس بمشروع بل هو مبتدع وصار هذا الذكر ديدنه طوال حياته يكرره على مرّ الأيام والشهور ولا يتحول عنه، ويدع المأثور عن النبي ﷺ من الأذكار، فلا شك أن هذا غلو في هذا الذكر وتجاوز عن الحد، وبدعة فوق بدعة، وضلالة اتبعتها ضلالة، وهلكة بعدها هلكة والعياذ بالله.

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٥٠.

خامساً: ومن الغلو تخصيص ذكر معين لطائفة من الناس دون طائفة:

من المعلوم أن الأذكار التي شرعها المصطفى ﷺ هي للناس عامة السابق بالخيرات والمقتصد والظالم لنفسه، لا يختص أحد بذكر دون أحد بل كلهم متساوون من ناحية التكليف بها فسابق بالأخذ والعمل بها، ومقصر عن ذلك، ولم يخص رسول الله ﷺ خواص أصحابه والمقربين إليه كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأبي عبيدة و.و.. رضي الله عنهم بذكرٍ خاص به وبهم دون سائر الأمة بل شرع للأمة أذكاراً ورتب عليها أجوراً وثواباً من عمل بها كائناً من كان نال الأجر والثواب بإذن الله تعالى، ومن لم يعمل بها لم ينله.

أما الصوفية وأرباب الطرق فمن غلوهم في الأذكار وتجاوز حدود ما شرعه رسول الله ﷺ، جعلوا أذكاراً خاصة بخواصهم وأذكاراً خاصة بعوامهم.

جاء في الرماح للفوتي: " فذكر العامة كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات، والذكر الخاص مما يكون بتلقين شيخ مرشد عارف بأدواء النفوس يكون أقوى في إزالة الحجب "(١)

فانظر كيف جعلوا ما جاء به الرسول ﷺ من أذكار وأفضلها كلمة الشهادة التي لا يصح الإسلام إلا بها هي من ذكر العامة، وجعلوا باقي أذكارهم من ذكر الخاصة، وكأن لسان حالهم أن ذكرهم أفضل من الذكر الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته ومرتبة شيوخهم أعلى من

---

(١) رماح حزب الرحيم (٣٥٤/١).

مرتبة النبي ﷺ وصحابته نسأل الله السلامة من أقوالهم !! لأن الخواص مرتبتهم أعلى من العوام كما هو معلوم فتأمل ما يفضي إليه كلامهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة وربما قال بعضهم: لا إله إلا الله للمؤمنين والله للعارفين، وهو للمحققين وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على الله الله الله، أو على (هو)، أو يا هو، أو لا هو إلا هو. وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك " (١)

والحاصل أن كل من يتخذ ورداً غير مأثور عن النبي ﷺ بل هو من وضع مشايخه، ويترك الأذكار النبوية فهو غالٍ، لا محالة لأنه اعتدى وتجاوز ما أُمر بالأخذ به، وفعله هذا عيب مشين وعمل مهين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺوإن كان حزباً لبعض المشايخ ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بنى آدم وإمام الخلق وحجة الله على عبادة والله أعلم "(٢) .

(١) مجموع الفتاوى (٥٥٧/١٠).

(٢) المصدر السابق (٥٢٥/٢٢).

المبحث الرابع:

ذكر بعض المخالفات العقدية في الأذكار غير المشروعة

إن الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ كما سبق معنا في المباحث السابقة فيها دلالة واضحة على العقيدة الصحيحة وعلى التوحيد بأنواعه وفيها الإيمان بأركان الإيمان الباقية، هذا لأن مشرعها هو النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، والذي جاء بالتوحيد الخالص الذي لا شائبة فيه، وجاء ليخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد، فما شرعه الرسول ﷺ فيه الشفاء والهدى والبيان والصفاء من كل شائبة تنافي التوحيد، وكان مما شرعه الأذكار والتي من أهم مقاصدها ترسيخ التوحيد والإيمان في نفوس العباد، وهي باب من الأبواب الكثيرة التي رسخ فيها رسول الله ﷺ العقيدة في نفوس صحابته رضي الله عنهم فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم.

أما ما ابتدعه أهل الضلال من أوراد وأحزاب وأذكار وما رتبوا عليها من آداب وكيفيات وهيئات، فهي محشوة بالانحرافات العقدية والتي بعضها يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله، وهي لا تزيد أتباعهم ومريديهم إلا بعداً عن الشرع وعن التوحيد وضلالاً وغياً.

وسأبين بعض هذه الانحرافات التي تمس العقيدة -وهي كثيرة لا يمكن حصرها هنا- لكي تنجلي للغافلين الذين يقلدون مشايخهم بغير علم ولا يعلمون مدى انحراف ما يرددون من أذكار مبتَدَعة وبُعْدَها عن عقيدة السلف.

فأقول ومن الله وحده أستمد العون و التوفيق:

من هذه الانحرافات المترتبة على الأذكار غير المشروعة:

أولاً: القول بوحدة الوجود:

قبل البدء بالكلام على هذا الانحراف العقدي الناتج عن الأذكار غير المشروعة لابد من معرفة معنى "وحدة الوجود".

إن من يعتقد بهذا الاعتقاد يريد أن وجود المخلوقات هو عين وجود الخالق فالخالق والمخلوقات واحد لا اثنين، والكائنات الموجودة كلها هي عين وجود الخالق تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنواع الاتحاد والحلول فقال:" وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التـــتار، وإنما كان الكفر الحلول العام أو الاتحاد أو الحلول الخاص وذلك أن القسمة رباعية لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة فإما أن يقول بحلوله فيه أو اتحاده به وعلى التقديرين فإما أن يجعل ذلك مختصا ببعض الخلق كالمسيح أو يجعله عاماً لجميع الخلق فهذه أربعة أقسام:

الأول: هو الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين وكان أولهم في زمن المأمون وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة كغالية الرافضة الذين يقولون إنه حل بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية منه أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء.

والثاني: هو الاتحاد الخاص وهو قول يعقوبية النصارى وهم أخبث قولا وهم السودان والقبط يقولون إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

والثالث: هو الحلول العام وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين وهو قول غالب متعبدة الجهمية الذين يقولون إن الله بذاته في كل مكان ويتمسكون بمتشابه من القرآن كقوله: ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض ﴾، وقوله: ﴿ وهو معكم ﴾ ، والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث.

الرابع: الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين:

من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين وهؤلاء يقولون مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره.

والثاني: من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً كذلك في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ"[(١)].

ولمزيد الإيضاح ومعرفة أصحاب هذا المذهب القائلين بوحدة الوجود يقول أيضاً رحمه الله: "ما تضمنه كتاب فصوص الحكم وما شاكله من الكلام فإنه كفر باطناً وظاهراً وباطنه أقبح من ظاهره وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد وهم يسمون أنفسهم المحققين .

وهؤلاء نوعان: نوع يقول بذلك مطلقاً كما هو مذهب صاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله مثل ابن سبعين وابن الفارض والقونوي والششتري والتلمساني وأمثالهم ممن يقول: إن الوجود واحد، ويقولون: إن وجود المخلوق هو وجود الخالق لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر بل يقولون الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق ويقولون: إن وجود الأصنام هو وجود الله وإن عباد الأصنام ما عبدوا شيئا إلا الله ويقولون: إن الحق يوصف بجميع ما يوصف به المخلوق من صفات

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/١٧١-١٧٢).

النقص والذم ويقولون: إن عباد العجل ما عبدوا إلا الله وان موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل وإن موسى كان بزعمهم من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء بل يرونه عين كل شئ وأن فرعون كان صادقاً في قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ بل هو عين الحق ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص.

ويقول أعظم محققيهم: إن القرآن كله شرك لأنه فرق بين الرب والعبد وليس التوحيد إلا في كلامنا، فقيل له فإذا كان الوجود واحدا فلم كانت الزوجة حلالا والأم حراماً فقال الكل عندنا واحد ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم"[1].

بعد أن عرفنا ما معنى وحـــدة الوجود فلِنُبيّن الآن دلالة الأذكـــار غـــير المشـــروعة (المبتدعة) على وحدة الوجود.

فأولاً: إن من خلال تعريف الصوفية للذكر تستطيع الحكم على أن أذكارهم المبتدعة فيها انحراف عقدي وفيها الدلالة على قولهم بوحدة الوجود وإليك بعض تعريفاتهم للذكر ومقاصدهم منه:

يقول أبو العباس الدينوري عن الذكر: " اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر وهذا حال فناء الفناء "[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٣٦٤-٣٦٥)، وانظر (٢/٦٣) منه.

(٢) طبقات الصوفية ص٤٧٧، وحلية الأولياء (١٠/٣٨٣).

وقال أحمد الرفاعي في تعريفه للذكر:

" الذكر حفظ القلب من الوسواس وترك الميل إلى الناس والتخلي عن كل قياس وإدراك الوحدة بالكثرة وحسن ملاحظة المعنى"(١) .

فانظر إلى معنى الذكر عند هؤلاء القوم ما أرادوا به إلا الوصول إلى القول بوحدة الوجود، فقوله: (إدراك الوحدة بالكثرة) فيه تصريح بعقيدة وحدة الوجود الفاسدة ومعنى قوله هذا:

" أن ما في هذا الكون مع كثرته في الظاهر ينبغي أن يعتقد الإنسان الصوفي الواصل أو العارف أنه مظاهر، ومجال لله سبحانه وتعالى، وبالتالي فلا موجود إلا الله"(٢).

وكما علمنا من قبل أن معنى الذكر الصحيح هو الثناء على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فالقول بوحدة الوجود ينافي الثناء على الله تعالى بصفاته ؛ إذ من صفاته سبحانه وتعالى العلو والاستواء على العرش فهو مستو على عرشه بائن من خلقه تبارك وتعالى ربنا أن يكون موجوداً في كل مكان كما زعمه هؤلاء الضلال، كما أن الذكر يتضمن تنـزيه الله تعالى عن كل نقص، والقول بوحدة الوجود ينافي هذا التنـزيه، بل فيه

---

(١) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لمحمد الرفاعي الخالدي الصيادي ص ١٤٨.(ط١/١٤٠٠هـ).

(٢) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمد إدريس (٢٦٦/١) (ط١/ ١٤١٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض).

تنقيص وعدم تتريه لله تبارك وتعالى عن قولهم علواً كبيراً.

ويقول أحد مشايخ النقشبندية عبيد أحرار: "كمال الحمد أن يحمده العبد، ويعرف أنه لا حامد إلا هو تعالى، وأنه (أي العبد) عدم محض لا رسم له ولا اسم ولا فعل، وإنما يبتهج سروراً بكونه تعالى جعله مظهراً لصفاته"(١).

ويوضح أهدافهم للذكر ومقاصدهم فيه ما قاله صاحب كتاب المواهب السرمدية -في الطريقة النقشبندية-:

" طريقة الذكر عند النقشبندية تورث في قلب الذاكر سر التوحيد حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في المظاهر"(٢).

قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية: " لا يغترن أحدٌ بكلمة " التوحيد " فليس معناها توحيد الله، وإنما حلوله ووحدته في خلقه"(٣).

فهذه بعض تعريفاتهم وبعض مقاصدهم من ذكرهم تبوح بما تنطوي عليه قلوبهم من معتقد فاسد، وإذا كان هذا في التعريف فكيف إذاً أذكارهم لاشك أنها ستصرح أكثر فأكثر ولننظر معاً إلى بعض أذكارهم

---

(١) الأنوار القدسية ص ١٦١ نقلاً عن النقشبندية عرض وتحليل لدمشقية ص٥٨.

(٢) المواهب السرمدية ص ٩٠نقلاً عن النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ص ٥٧.

(٣) النقشبندية ص ٥٧.

الدالة على عقيدهم الفاسدة من القول بوحدة الوجود:

فالذكر بالاسم المفرد (الله الله) أو (هو هو) أو تحريفهم لكلمة الشهادة أفضل كلمة في الأذكار (لا إله إلا الله) إلى (لا هو إلا هو) كل هذه تؤدي إلى القول بوحدة الوجود، أو يصاحبها هذا الاعتقاد كما يصرح به بعضهم لا موجود إلا الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك أصحاب الرياضة والتجرد فإن صفوهم الذين يشتغلون بذكر بسيط مثل: (لا إله إلا الله)، إن لم يغلوا فيقتصروا على مجرد (الله، الله) ويعتقدون أن ذلك أفضل وأكمل،كما فعله كثير منهم وربما اقتصر بعضهم على (هو، هو) أو على قوله: (لا هو إلا هو) لأن هذا الذكر المبتدع الذي هو لا يفيد بنفسه إلا أنه مطلقا ليس فيه بنفسه ذكر لله إلا بقصد المتكلم، فقد ينضم إلى ذلك اعتقاد صاحبه أنه لا وجود إلا هو كما يصرح به بعضهم ويقول لا هو إلا هو أو لا موجود إلا هو، وهذا عند الاتحادية أجود من قول: (لا اله إلا الله) لأنه مصرح بحقيقة مذهبهم الفرعوني القرمطي حتى يقول بعضهم: (لا اله إلا الله) ذكر العابدين و(الله الله) ذكر العارفين، و (هو) ذكر المحققين، ويجعل ذكره يا من لا هو إلا هو، وإذا قال:

(الله الله) إنما يفيد مجرد ثبوته فقد ينضم إلى ذلك نفي غيره لا نفي إلهية غيره فيقع صاحبه في وحدة الوجود وربما انتفى شهود القلب للسوى إذا كان في مقام الفناء فهذا قريب أما اعتقاد أن وجود الكائنات هي هو

فهذا هو الضلال"[١].

ومن أذكارهم التي يذكرون بها، والدالة على وحدة الوجود قولهم: (ليس إلا الله) والتي جعلوها بديلاً عن كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وابن سبعين وأمثاله من هؤلاء الملاحدة يقولون هكذا لا إشارة ولا تعيين بل عين ما ترى ذات لا ترى وذات لا ترى عين ما ترى، ويقولون في أذكارهم:

(**ليس إلا الله**) بدل قول المسلمين لا إله إلا الله لأن معتقدهم أنه وجود كل موجود فلا موجود إلا هو، والمسلمون يعلمون أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ليس هو المخلوقات ولا جزءاً منها ولا صفة لها بل هو بائن عنها ويقولون أنه هو الإله الذي يستحق العبادة دون ما سواه من الموجودات..."[٢].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: " فظن طائفة من الناس أن ذكر الاسم المفرد مشروع بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول لا إله إلا الله ونحوها، وظن بعضهم أن ذكر الاسم المضمر وهو هو هو أفضل من ذكر الاسم المظهر وأخرجهم الشيطان إلى أن يقولوا لفظا لا يفيد إيمانا ولا هدى بل دخلوا بذلك في مذهب أهل الزندقة والإلحاد أهل

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٦٣-٦٤) وانظر (٢/١٢٤) و(١٠/٢٢٧) و(١٠/٥٦٥) منه.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٩٥-٥٩٦).

وحدة الوجود الذين يجعلون وجود المخلوقات وجود الخالق ويقول أحدهم ليس إلا الله والله فقط ونحو ذلك"[١].

وأوراد أهل الطرق وأحزابهم التي يذكرون بها ويلهجون بها ليل نهار طافحة بهذه العقيدة **وخذ أمثلة على ذلك:**

فمن أوراد الطريقة القادرية: " الحمد الله الذي كيّف الكيف، وتنــزه عن الكيفية، وأيّن الأين وتعزز عن الأينية، ووجد في كل شيء، وتقدس عن الظرفية وحضر عند كل شيء وتعالى عن العندية "[٢].

فقولهم (وجد في كل شيء) فيه التصريح بوحدة الوجود، وأن الله -بزعمهم- موجود في كل موجود تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومن أوراد الطريقة الشاذلية: " وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى و لا أسمع ولا أحس إلا بها " [٣].

فقوله (وأغرقني في عين بحر الوحدة) تصريح بهذه العقيدة الفاسدة.

وأوصى ابن سبعين أحد تلامذته بأن يذكر ربه بأي شيء وأن

---

(١) الرد على المنطقيين ص٣٦، وانظر مجموع الفتاوى (٢٣٣/١٠) ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ص٤٨٢.

(٢) نقلاً من الانحرافات العقدية عند الصوفية (٢٦٧/١).

(٣) النفحة العلية في الأوراد الشاذلية ص ١٦٧، لعبد القادر زكي (ط٣/المكتبة الشيعية، بيروت).

" وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبالِ، وأي شيء يخطر ببالك سمّه به من اسمه " الوجود " كيف بأسماء منحصرة هيهات؟ !

الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض فإن قلت نُسميه بما سمى به أو نبيه، يقال لك: من سمى نفسه " الله " قال لك: إن كل شيء وجميع من تنادي أنا "[١].

فانظر رحمك إلى أذكارهم المنحرفة كيف جرتهم لتسمية الله بأسماء لم يسم بها نفسه ولا سماه بها رسوله ﷺ، فقد يسمون الله بأسماء غير حسنى، بل قد يسمونه بأسماء فيها النقص، تعالى الله عن قولهم، لأنهم يقولون إن الله موجود في كل شيء ومتحد به وبالتالي وقعوا في الضلال في باب الأسماء، ومن المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية لا يجوز لأحد أن يسمي الله إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ.

قال صاحب جواهر المعاني مبيناً ماهية الذكر الحقيقي عندهم، وأنه ليس ذكر العامة الذي يقولونه باللسان: " وهذا الذكر الذي طلبه بالتعظيم، ليس هو ذكر اللسان المعهود في حق العامة، وإنما هو الذكر الحقيقي الذي هو الغاية القصوى من الذكر، وهو إذا أخذ العبد فيه، أخذ عن جميع الدائرة حسه وهمه، فليس في شعوره ووهمته وخياله إلا الله تعالى

---

(١) رسائل ابن سبعين ص١٨٤، لعبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي (تحقيق عبد الرحمن بدوي، نشر المؤسسة المصرية العامة).

في حالة الذكر، وهذا بداية الذكر للمقربين، ونهايته أن يستهلك العبد في عين الجمع، ويغرق في بحر التوحيد، وليس في جميع عوالمه حساً وإدراكاً وذوقاً، وفهماً وعياناً وخيالاً، وأنساً ومساكنة وملاحظة ومحبة وتعويلاً واعتماداً إلا الله في محو الغير والغيرية. وفي هذا الميدان ينمحق الذاكر والذكر، ويصير في حالة أن لو نطق لقال: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي، لاستهلاكه في بحار التوحيد، وهذه المرتبة في مراتب آخر الذكر، وصاحبها صامت جامد لا يذكر ولا يتحرك.... وصاحب هذا الحال لو اجتمع في مكان مع جميع الخلق، وأكثروا اللغط والصخب، لم يعلم من خطابهم شيئاً، ولا يسمع في خطابهم إلا خطاب الحق سبحانه وتعالى يخاطبه، وفي هذا قيل:

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس السرائر والقلوب

وهذه نهاية مراتب الذكر"[١] .

والقول بوحدة الوجود واضح في هذه المقالة.

كما أن الصلاة على رسول الله ﷺ والتي هي كما سبق وقلنا أنها من أفضل الأذكار والتي علمها رسول الله ﷺ أصحابه أحسن تعليم لم تسلم من تحريف هؤلاء المبتدعة أصحاب الطرق ولم تسلم من العبث

---

(١) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني لعلي حرازم الفاسي (٢٣٣/٢).

والغلو والابتداع الذي يحتوي على اعتقادات فاسدة منها القول بوحدة الوجود والحلول، والشرك بالله، وإليك بعض الأمثلة من الصلوات المبتدعة الموبوءة بالعقيدة الفاسدة:

من ذلك قول بعضهم في صلاته على النبي ﷺ: " اللهم صل على محمد الذي تجسد فيه الله، اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صورة الكائنات، اللهم وأسألك بجميع ما تعلم لنفسك من لا يعلمه غيرك أن تنفعني يا ذا الجلال والإكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين التي لا تحتجب عنها شيء في الأرض ولا في السماء، وأفضْ على جميع ذاتي لذة الشهود حتى أكون كلي لذة ذاتية إلهية، سارية في نفسي، وتجلّ لي يا إلهي بمقام الاستواء الجامع للمراتب الخفية الإلهية " [١] .

فانظر -رحمك الله- إلى هذه الصيغة من الصلاة المبتدعة كم حوت من اعتقادات منافية لعقيدة السلف ولو سمعها السلف لشنعوا على قائلها:

فانظر إلى قوله: (على محمد الذي تجسد فيه الله) ومعنى ذلك أنه هو الله، وهذه عقيدة الحلول وهذا كلام كفريّ.

وقوله: (اللهم صلّ على نفسك التي ظهرت وتظهر في صورة الكائنات) وهذا هو عين القول بوحدة الوجود.

---

(١) المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الإلهية وينابيع الحكم الإلهية، نقلاً عن كتاب التصوف بين الحق والخلق لمحمد شقفة ص ١٦٦-١٦٨.

وقوله: (أن تنفعني يا ذا الجلال والإكرام في شهود تجليات ذاتك بالعين...) إلخ فيه أعظم أنواع التعدي في الدعاء وهو سؤال الله أن يكون ذاتاً إلهية فيكون شريكاً لله تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً.

ثانياً: القول بالحلول:

تقدم عند الكلام على معنى وحدة الوجود الكلام الحلول، وهذه العقيدة كسابقتها قد أدى الذكر المبتدع إلى الوقوع فيها:

يقول أحد مشايخ الطريقة النقشبندية محمد بارسال: "إن حقيقة الذكر عبارة عن تجليه سبحانه لذاته بذاته في عين العبد"(١).

نقول أي ذكر هذا الذي عرفته ما هو إلا الذكر المبتدع الموبوء، ومعنى كلامه هذا أن الذاكر يصبح نفس المذكور والمذكور نفس الذاكر وأن الله تجلى في عين عبده، وأنه سبحانه -بزعمهم- حلّ بذاته في العبد وما دام كذلك فلا ذاكر ولا مذكور فالكل واحد.

ويقول الحلاج الضال شيخ الحلولية في تسبيحه ومخاطبته لربه:

أنا أنت بلا شك   فسبحانك سبحاني (٢).

وقال أيضاً:

---

(١) الأنوار القدسية للشعراني ص١٦٧، نقلاً من كتاب النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية ص ٥٦، ومظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمد إدريس (١/٣٤٠).

(٢) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٣٢٩).

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب

حتى بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل الشارب[١]

"فهذه قد بين بها الحلول الخاص كما تقول النصارى في المسيح"[٢].

ويقول أيضاً:

لا أناديه ولا أذكره إن ذكري وندائي يا أنا[٣]

فذكْرُ هذا الضال وتسبيحه دعوة إلى القول بحلول الله في خلقه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وأن الله يظهر في صورة المخلوقات وأنه حل فيها حتى أنه يأكل ويشرب تعالى الله عن قوله، انظـــر كيف ضل هذا الرجل عن عقيدة التوحيد وغفل عن صفات الله العليا وصفة علو الله على خلقه وكونه بائن من خلقه.

يقول شيخ الإسلام في بيانه اتفاق الأمة على أن الله بائن من خلقه غير ممازج و لا حالّ بهم: " ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي

---

(١) ديوان الحلاج ص٣١ نقلاً من مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٣٣١)، وانظر مجموع الفتاوى (٢/٣١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٣١١).

(٣) أخبار الحلاج ص٧٨، نقلاً عن مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٣٢٨).

ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾[١] "[٢].

وإليك مثالاً آخر من الصلوات المبتدعة المشتملة على مفاهيم وعقائد باطلة مشابهة لعقائد النصارى في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام:

قال بعض المتصوفة في صلاته على النبي ﷺ: " اللهم صلّ وسلّم وبارك على طلعة الذات المطلسم، والغيث المطمطم، لاهوت الجمال، وناسوت الوصال، وطلعة الحق هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل، من أقمت به نواسيت الفرق إلى طريق الحق فصلّ اللهم به منه فيه "[٣]

فهذه الصلاة المبتدعة مع فيها من الغموض في ألفاظها (المطلسم، المطمطم) وعدم فهمها، فيها غلو في الرسول ﷺ ورفعه إلى مرتبة الألوهية، كما فيها القول بالحلول فقوله (لاهوت الجمال وناسوت الوصال) معناه أن النبي ﷺ وصل بين الألوهية وبني الإنسان في ذاته فباطنه اللاهوت وظاهره الناسوت، وهذه ألفاظ نصرانية استعملتها النصارى عندما غلوا في عيسى عليه السلام ورفعوه عن مرتبة البشرية إلى مرتبة

---

(١) سورة مريم الآية: ٩٣-٩٥.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٣٤٠).

(٣) مجموع الأحزاب الصوفية ص ١٥ نقلاً من كتاب التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ١٦٦.

الألوهية فكفروا بذلك كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[١] .

فانظر إلى ما أدت إليه الأذكار غير المشروعة من الكفر بالله تعالى فالقائلين بوحدة الوجود والحلول فاقوا كفار قريش في كفرهم فالكفار كانوا يعتقدون بوجود إلهين وهؤلاء جعلوا كل شيء في الكون هو الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً

ثالثاً: الوقوع في الشرك أو ما يؤدي إليه:

أ- **ترك الإخلاص** وعدم مراقبة الله تعالى وذلك بمراقبة الشيخ وتخيله أثناء الذكر وكأن العمل صار للشيخ لا لله تعال.ى

جاء في آداب الطريقة التيجانية: "والسابع: أن يميل خيال شيخه بين عينيه وهذا آكد الآداب" [٢].

وإن قالوا: إنا مخلصون فنقول ما غايتكم الإخلاص؟! فاسمع ما يقوله صاحب الرماح من فائدة الإخلاص:" وبالصدق والإخلاص يصل الذكر إلى درجة الصديقية وهي أن يظهر جميع من يخطر بقلبه من حسن وقبيح لشيخه، وإن لم يظهره كان خائناً والله لا يحب الخائنين"[٣] .

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٧.

(٢) رماح حزب الرحيم للفوتي (٢/٣٩٧).

(٣) رماح حزب الرحيم للفوتي (٢/٣٩٨).

فالغاية إذاً الشيخ لا رجاء الثواب ووجه الله.

وجاء في كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم: في ذكره لشروط الخلوة عندهم: عند ذكره للشرط الثامن: " ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه، فإنه رفيقه في طريقه، وهو معه بمعناه وروحانيته، فإن من هو شيخ حقيقة، تكون روحانيته رقيقة ومتعلقة بروحانية كل واحد من مريديه وإن كانوا ألفاً"(١) .

ومن آداب المريد عند الرفاعية أثناء الذكر -المبتدع- أن:"يستحضر شخصَ شيخه في قلبه أثناء الذكر، ويجعله بين عينيه قبل الذكر فإن شيخه هو باب الدخول على الله ومنه يستمد الهمة، ويكون الشيخ عنده كالقبلة..."(٢).

فانظر إلى سوء الاعتقاد الذي يزرعه ضُلال الطرق في قلوب تلامذهم، فهم يريدون أن يكونوا شركاء لله أثناء الذكر -والعياذ بالله- فالمريد لا بدّ له أن يستحضر صورة شيخه في قلبه !! فأين ذهب الإخلاص لله ومراقبة الله أثناء العبادة والإحسان فيها، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما جاء في الحديث الصحيح، و لم يقل رسول الله ﷺ: الإحسان أن تعبد الشيخ وتجعله في قلبك وتتخيل

---

(١) المرجع السابق (٤٨٥/٢).

(٢) الرفاعية ص ٢٠٦، لعبد الرحمن دمشقية (ط١/١٤١٠هـ، بدون ذكر اسم الناشر).

صورته كأنه ماثل أمامك حاشا وكلا، فهذا من الانحراف في الاعتقاد الذي جره الذكر المبتدع المخالف لهدي النبي ﷺ في الذكر وآدابه، كما أن في أدبهم هذا المبتدع استعانة بغير الله تعالى فقولهم (ومنه يستمد الهمة) يدل على ذلك ؛ إذ جعلوا الهمة في العمل والقوة والقدرة على القيام به إنما تستمد من الشيخ !! فأين ذهب قول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾[1]، الدال على أنه لا يُعبد إلا الله ولا يستعان بأحد على العبادة أو أي عمل إلا به وحده لا شريك له.

وسيأتي مزيد بيان في الفقرة التالية:

ب ــ الاستعانة بغير الله:

من آداب الذكر عند التيجانية: ما ذكره صاحب الرماح حيث قال: " والرابع (أي من آداب الذكر): أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ويستحضره، ويلاحظه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى، وهذا من أهم الآداب، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الاحتياج جاز، قال الشيخ جبريل الخرماباذي قدس الله سره العزيز: فإذا ابتدأ بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه، ويستمد منه ؛ إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية، وقلب النبي ﷺ دائم يتوجه إلى الحضرة الإلهية، فالذاكر إذا تصور واستمد من ولايته تفيض

---

(١) سورة الفاتحة الآية: ٥.

الإمدادات من الحضرة الإلهية على سيد المرسلين ﷺ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعماله الآلة أي الذكر، إذ هو في البداية كالطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث، ويقع محصلاً للغرض...

الخامس: أن يرى استمداده من شيخه، هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه " [١] .

وطلب المدد والعون من الشيخ عند الابتداء بالذكر ليس هو فقط عند التيجانية بل عند أغلب الطرق الصوفية قال الشيخ علي بن محمد الدخيل الله:

"إن عقيدة الاستمداد من النبي ﷺ والمشايخ موجودة لدى كثير من المبتدعة الصوفية والتيجانية من الذين يؤمنون بعقيدة الاستمداد من النبي ﷺ ومن الشيخ التيجاني وأنه يعطي ويمنع ويشفي ويمرض ويجيب دعاء المضطر وغير ذلك"[٢] .

ومن الطرق الصوفية التي عندها نفس الفكرة هذه ونفس المعتقد الطريقة النقشبندية يقول الشيخ عبد الرحمن دمشقية في بيانه لآداب الذكر عند أصحاب هذه الطريقة:

---

(١) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للفوتي التيجاني (٣٩٧/٢).

(٢) التجانية لعلي بن محمد الدخيل الله ص١٨٣، (نشر دار طيبة الرياض).

"حفظ صورة الشيخ في خيال الذاكر واستمداد البركة منه بالقلب وعندئذٍ يقول: (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) والعجيب في ذلك أنه ينادي ربه مع أنه يركز تركيزاً تاماً على وضع صورة الشيخ في المخيلة، فلمن يكون الدعاء والنداء لله أم للشيخ؟!! وكيف يتم الإخلاص في الدعاء لله تعالى؟!!

مع أن الشيخ يشارك الله في وجهة الذاكر ويستحوذ على مخيلة صاحب الدعاء "[(١)].

وبعض أصحاب الطرق لهم أذكار يذكرون بها على السبحة:

يقولون " يا عم يا عم يا مدد يا عم " كل يوم مائة مرة[(٢)] .

وإليك نص آخر عن بعضهم وهو يبين بعض آداب الذكر في طريقتهم: " وأن يستحضر صورة شيخه، فالطريق يحتاج للرفيق وأن يستمد منه عند الشروع فيه (أي الشروع بالذكر) فيقول: " مددك يا أستاذي " وأن يرى أن استمداده منه عين استمداده ﷺ فإنه الواسطة إليه، وأن يستأذن شيخه بقلبه كذلك فيقول: " دستور يا أصحاب الطريق والقدم "...

---

(١) النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ص ٢٣ (ط١/١٤٠٤هـ دار طيبة، الرياض).

(٢) انظر السنن المبتدعات للشقيري ص ٢٥٧، ومعجم البدع لرائد بن صبري بن أبي علفة ص ٢٧٩. (ط١/١٤١٧هـ، دار العاصمة، الرياض).

ثم قال: " وإن استحضار الشيخ من أكبر الآداب الصوفية "[١] .

ومما هو منتشر بين بعض خطباء المساجد الجهلة من الصلاة على رسول الله ﷺ مما فيه شرك قولهم " اللهم صل على محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وصفائها... إلخ

وقولهم: "اللهم صل على الحبيب المحبوب مشفي العلل ومفرج الكروب"[٢]، فهذا فيه شرك بالله واعتقاد أن غير الله بيده الشفاء وبيده تفريج الكروب وهذا منكر عظيم وغلو في الرسول الكريم ﷺ، لا يجوز النطق به [٣] .

قلت: إن من آداب الذكر المشروع الاستعانة بالله على أدائه والإتيان به، كما مر سابقاً من وصيته ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال له:

---

(١) رسالة أحمد عبد المنعم الحلواني في الرد على الكفراوي ص٢٨ـــ ٢٩ ضمن رسائل في فقه التصوف والذكر (ط/١٣٦١هـــ) نقلاً عن كتاب البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها للدكتور عبد الله نومسوك ص٤٦٧.

(٢) انظر السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٩.

(٣) انظر معجم البدع لابن أبي علفة ص٢٦١ – ٢٦٢ فقد ذكر صلوات مبتدعة فيها غلو بالرسول ﷺ.

« **إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** »[١] فأرشده ﷺ أن يطلب العون من الله وحده فيستعين به على القيام بعبودية الذكر على وجه الخصوص، وبجميع العبادات على وجه العموم، ولم يوصه ﷺ أن يطلب العون على الذكر منه ﷺ أو من كبار مشايخ الصحابة فضلاً عن مشايخ الصوفية، فالاستعانة على فعل أي عمل وطاعة لا تجوز إلا بالله تعالى وهي تحقيق قول العبد لا حول ولا قوة إلا بالله إذ تعني هذه الكلمة تحقيق إخلاص الاستعانة بالله وهؤلاء القوم -أعني من ابتدأ بالذكر مستعيناً بشيخه طالباً الهمة والعون منه- قد غفلوا عن قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الذي يرددونه في اليوم مرات عديدة في صلواتهم، والذي يفيد اختصاص الله وحده بالعبادة والاستعانة ؛ أي لا نعبد غيرك يا رب ولا نستعين بغيرك، لا بنبي ولا بولي ولا بشيخ ولا بأي مخلوق كائن من كان.

كما أنهم قد غفلوا عن قوله ﷺ: « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** »[٢]، فهؤلاء القوم لم يحرصوا على ما ينفعهم بل حرصوا على ما يضرهم في دينهم ودنياهم، واستعانوا على ذلك بغير الله، فاستعانوا بمشايخهم -الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً

---

(١) سبق تخريجه ص ٩١.

(٢) سبق تخريجه ص ٨١٦.

ولا حياة ولا نشوراً- على القيام بأذكارهم المبتدعة، فوكلهم الله إلى ما استعانوا به وخذلهم بهم خذلاناً عظيماً، فلم يُوَفَّقوا إلى ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم في دنياهم وآخرتهم، وحُرموا من اتباع السنة والعبودية لله تعالى فوقعوا في البدع ووقعوا في عبودية مشايخهم والإذعان إليهم والخضوع والذل بين يديهم فصاروا عبيداً للخلق لتركهم عبادة خالق الخلق سبحانه وتعالى، فجمعوا بين الضرر والشرك بالله تعالى، اللذَيْن فيهما فساد الدنيا والدين والآخرة نسأل الله العافية.

قال ابن رجب رحمه الله:" وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المُعان، ومن خذله فهو المخذول،وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنــــز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** »، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره

وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً.

كتب الحسن إلى عمر بن العزيز: لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه.

ومن كلام بعض السلف: يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك "[١].

ج ــ ذكر الله عند القبور [٢]: ومما أدت إليه الأذكار المبتدعة من الانحرافات العقدية ما نراه في المسجد النبوي الشريف مما يفعله كثير من الطرقية بالتوجه تجاه القبر النبوي الشريف، فتجد أحدهم في أقصى غرب المسجد أو أقصى الشرق ويتجه بأذكاره ودعائه تجاه القبر، وهذا الفعل أيضاً هو فعل الرفاعية فعندهم من آداب الذكر أن "يعتبر الذاكر عند ذكره جهة مرقد السيد الرفاعي ثم جهة المدينة النبوية " [٣].

ففي هذا منكر عظيم ومخالفة لآداب الذكر المشروع إذ من آدابه استقبال القبلة كما سبق، لا استقبال قبر الولي الفلاني أو مقام وضريح فلان من الناس، بل قد يكون في فعلهم هذا نوع من التوسل غير المشروع، إذ يعتقدون أن شيخهم هو الواسطة بينهم وبين الله كما تقدم قريباً أنه هو باب الدخول على الله، وفعلهم هذا قد يكون ذريعة للشرك وما كان كذلك فهو محرم.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر تهذيب الرفاعية لدمشقية ص٩٠،ومعجم البدع لابن أبي علفة ص ٢٦٠.

(٣) الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية ص ٢٠٦.

د - تقديس الشيوخ ورفع مكانتهم: وذلك بأنه لا يجوز أخذ الورد أو الحزب من الأذكار إلا من شيخ الطريقة، وكلامه ووروده يقع في النفوس أكثر مما يقع كلام الله ورسوله -والعياذ بالله- فورد الشيخ حتم لازم لا ينبغي ولا يجوز الخروج عنه ومن حاول أن يخرج عن ما سنه الشيخ فقد افترى إثماً عظيماً -بزعمهم- ولا يجوز للمريد أن يترك الورد مهما أصابه من فقر أو مرض أو أي آفة من الآفات ولو قصر به قد يقع به بعض المصائب.

جاء في الرماح في شروط الخلوة للذكر:" دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم، ويكون في اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عينه سبحانه للإفاضة عليه، ولا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره، ولو كانت الدنيا كلها مملوءة بالمشايخ، ومتى يكون في باطن المريد تطلّع إلى غير شيخه، لم ينتفع باطنه إلى الحضرة الواحدية... فالربط مع الشيخ أصل كبير في الاستفاضة، بل هو أصل الأصول، ولهذا بالغ المشايخ قدّس الله تعالى أرواحهم في رعاية هذا الشرط....

الحادي والعشرون: (أي من شروط الخلوة بالذكر البدعي) تـرك الاعتـراض على الله وعلى الشيخ،ودوام الرضا بقضاء الله تعالى على ما قدر من المدد والفتح والقبض والبسط والصحة والمرض.... ومتحققاً أن الله سبحانه وتعالى أرحم بالعبد من الوالدة بولدها وأعرف بمصلحة العبد

من نفسه، والشيخ أعلم بمزال المريد ومضاله واتصاله، ومفاسده ومراشده، وقد جرّب الأمور، ومارس الأحوال.. " (١).

فانظر يا أخي -رحمك الله- كيف رفعوا منـــزلة أشياخهم وغلو فيهم وأوصلوهم لدرجة الربوبية والعياذ بالله حيث قرنوا الشيخ مع الله تعالى، وتقديسهم لمشايخهم غير هذا كثير جداً مثل اعتقادهم علم الغيب والتصرف بالكون والإحياء والإماتة مما هو خاص بالرب ﷻ وأمور كثيرة منكرة كثيرة، لم أذكرها وقصدي هو التنبيه إلى ما يقع من سوء الاعتقاد المرافق للأذكار المبتدعة وما شرطوه من شروط في الأذكار.

رابعاً: اعتقادهم بأن ذكرهم المبتَدع يوصلهم إلى رؤية الله تعالى وإلى تكليمه وسماع كلامه (٢)

قال ابن الجوزي رحمه الله: "وقد قال أبو حامد الغزالي في كتاب الإحياء: مقصود الرياضة تفريغ القلب، وليس ذلك إلا بخلوة في مكان مظلم، وقال: فإن لم يكن مكان مظلم فيلفّ رأسه في جبته أو يتدثر بكساء أو إزار، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية..

ثم قال ابن الجوزي معلقاً عليه: انظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذي يسمعه نداء الحق وأن

---

(١) رماح حزب الرحيم للفوتي (٢/٤٨٦-٤٨٧).

(٢) انظر التصوف بين الحق والخلق لمحمد بن فهر شقفة ص ١٨٢.

الذي يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل في المطعم فإنه يغلب عليه الماليخوليا، وقد يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوساوس لأنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه يتخايل هذه الأشياء.... فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة "[١].

وقال الإمام الذهبي رحمه الله معلقاً على كلام أبي حامد هذا عندما ترجم له: " قلت: سيد الخلق إنما سمع يا أيها المدثر من جبريل عن الله وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبدا بل سمع شيطاناً أو سمع شيئاً لا حقيقة من طيش دماغه والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع"[٢].

والقرآن والسنة أخبرا بأن رؤية الله جل جلاله في الدنيا مستحيلة قال الله تعالى لرسوله موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾[٣] ، وقال عن بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٤].

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٣٤).

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٤٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ٥٥.

وغير ذلك من النصوص الكثيرة أما سماع كلام الله فبين الله سبحانه في كتابه أنه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(١).

أما رؤية الله تعالى في الدنيا فمما هو متفق عليه أنه لا يُرى في الدنيا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا و لم يتنازعوا إلا في النبي خاصة مع أن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي والصحابة وأئمة المسلمين، و لم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أهم قالوا إن محمدا رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه... وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ فمن قال: أن أحدا من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنـــزل عليه كتاباً من السماء.والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال: فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا وأن أحدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها... "(٢) .

---

(١) سورة الشورى الآية: ٥١.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٣٣٥-٣٣٦).

وقد بيّن رحمه الله أن الشيطان قد يلبس على بعض الناس فيلقي كلاماً فيظنون أنه من الله فقال: "لكن منهم من يظن إن ما يلقى إليه من خطاب أو خاطر هو من الله تعالى بلا واسطة وقد يكون من الشيطان وليس عندهم فرقان يفرق بين الرحماني والشيطاني، فإن الفرق الذي لا يخطئ هو القرآن والسنة فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو خطأ، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[1]، وذكر الرحمن هو ما أنزله على رسوله "[2] .

خامساً: الإلحاد في أسماء الله الحسنى:

إن من المعلوم أن أسماء الله توقيفية ليس لأحد من الخلق التدخل في إثبات أي اسم إلا عن طريق الكتاب والسنة، وقد سبق وأن وضحت ذلك في بابه، وإن ادّعاء اسم لله تبارك وتعالى لم يدل عليه دليل من الكتاب أو السنة يعدّ إلحاداً في أسماء الله تعالى ولقد نهى سبحانه وتعالى عن الإلحاد في أسمائه فقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[3] .

---

(١) سورة الزخرف الآية: ٣٧-٣٨.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٤١٣).

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

قال الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله:" الإلحاد في أسماء الله تعالى هو: الميل بها عما يجب فيها. وهو أنواع:

... الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه ميلٌ بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينــزه الله تعالى عنها "[١] .

وإن من المؤسف حقاً أن أصحاب الطرق لجهلهم بهذه القاعدة من قواعد الأسماء والصفات، وبسبب توغلهم في ابتداع الأوراد والأحزاب والأذكار راحــوا يسمون الله تعالى بأسماء لا تليق بجلاله تبارك وتعالى، وبعيدة كل البعد عن الوصف الذي وصفت به أسماؤه تبارك وتعالى بأنها حسنى، فمما سموا به الله تعالى وذكروه به في أذكارهم (هو) (هي) (أه) (ايل) (لاها)...إلخ، بل قالوا يجوز أن نذكر الله بحرف واحد كما ورد في أوائل السور التي تبتدأ بالحروف وقالوا أن هذه الحروف هي أسماء لله تعالى[٢] .

ومن إلحادهم تحريف اسم الله الأعظم:فاعتقد بعضهم أن اسم الله الأعظم (ياهم صقك حلع يص) وتعبدوا الله بهذا وذكروا الله به، وذلك

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٣/٢٧٩).

(٢) انظر الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ص٢٩٥-٢٩٧.

لجهلهم فهذه كلمات غير عربية وهي غامضة غير مفهومة.

وبعضهم يقول: إن اسم الله الأعظم هو: (طهور بدعق محببه صوره سقفاً طيس سقاطيم أمون قاف آدم حمهاء آمين)

فانظر إلى هذه الكلمات وكأنها الطلاسم التي ينفخ بها الكهان والسحرة، لا يفهمها صاحب اللسان العربي والقرآن والأذكار كلها بلسان عربي مبين، وهذه الألفاظ مخالفة للكتاب والسنة، وقد نقل عن الإمام مالك رأيه في الألفاظ السريانية والعبرانية، والعجمية فقال رحمه الله:

" وما يدريك لعلها تكون كفراً "[١] .

ومن إلحادهم في أسماء الله تعالى أثناء ذكرهم تقطيع الاسم حتى يخرج عن معناه وقد يودي بمن قطعها إلى الكفر والعياذ بالله.

قال الشيخ بكر أبو زيد: " (هو،هو) هذا من أذكار الطرقية المبتدعة، وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، ولا أصل لهذا الذكر في الكتاب ولا في السنة ولا عمل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وإنكار هذا منتشر في كتب أهل السنة والله أعلم"[٢] .

---

(١) انظر السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري ص ٢٣٩ (ط٢/ ١٣٦٧هـ/مطبعة أنصار السنة المحمدية).

(٢) معجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ص ٥٤٨ (ط٣/١٤١٧هـ/دار العاصمة، الرياض).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد "[١].

سادساً: اعتقاد حضور الرسول ﷺ في مجالس الذكر وما يتبع ذلك من اعتقادات فاسدة، ويأتي في فيما يلي:

سابعاً: التشبه بالكفار:

لقد شابه هؤلاء المبتدعة الكفار في تراتيلهم وتلاوتهم في كثير من الأمور فاستحضار صورة الشيخ عند البدء بالذكر واستمداد العون منه والهمة فيه مشابهة للبوذيين فإنهم يستحضرون صورة بوذا عند البدء بتراتيلهم ويستمدون العون من بوذا [٢] .

ومن مشابهتهم للبوذية اعتقادهم بحضور النبي ﷺ لمجالس ذكرهم والتي يسمونها (حضرة) وينشدون ويقولون كما كنا نسمع من بعضهم:

يا نور النبي يا نور النبي   هذه الحضرة حضرها النبي

وجاء في شروط الانتساب إلى الطريقة التيجانية:

" الثالث عشر: أن لا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية قال في جواهر المعاني: ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية ؛

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧).

(٢) البوذية ص٤٦٧.

لأن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون عند قراءها"[١].

فانظر إلى هذا الشرط الباطل اشتراط الطهارة المائية مع أن الذاكر يجوز له أن يذكر ربه من غير طهارة، والطهارة أفضل، ثم اشتراطه أن تكون مائية ولا تصح بالترابية يعني التيمم مع أن الصلاة المفروضة تصح بالتيمم بشروط مذكورة في كتب الفقه، ثم انظر إلى قوله أن الرسول ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون عند قراءها! يا للعجب العجاب!! الرسول ﷺ يحضر وخلفاؤه الأربعة كيف ذلك ولم يُنقل عن أحد من القرون المفضلة أنهم رأوا رسول الله بعد موته يقظة وكم من نازلة نـــزلت ! وكم مصيبة ومسائل عظام وقعت في المسلمين وكم من خلافات نشبت ! ولم يؤثر أن السلف أخذوا بالذكر كي يحضر رسول الله أو خلفاؤه ليسألوه عن حل ما نـــزل بهم من مسائل وفضّ الخلافات الواقعة، ويترتب على قولهم هذا أن الشريعة ما زالت ولم تكتمل ففي كل يوم يصدر حكم جديد وتشريع جديد لأن كل واحد يدعي أنه رأى الرسول ﷺ يقظة وحضر مجلس ذكره وسأله واستفتاه فأجابه، حاشا وكلا إن الشريعة كاملة وكل من أراد الزيادة عليها فهو مبطل صاحب بهتان وزور.

ثم يقال لهم: يا ملبّسون أنتم فقط ترونه والجموع حولكم من مريديكم لا يرون شخص رسول الله ﷺ فهل صار نظركم ثاقباً يخرق الآفاق ويرى ما لا يراه الحاضرون أم هو تلبيس من تلبيس إبليس حتى

---

(١) رماح حزب الرحيم (١/٣٧٧).

تكسبوا قلوب الطغام من الناس وتجعلوهم تحت تصرفكم وسيادتكم، وإني أعرف شيخاً عندنا في دمشق -من أصحاب الطرق المنحرفة- يكون في درسه يلقي على تلامذته ثم يسكت لدقائق ويحلق بصره في أرجاء المسجد ثم يقول: وعليك السلام يا رسول الله، وبعد دقائق يسأله مريدوه عن سبب سكوته فيجيب: إن رسول الله ﷺ حضر هذا الدرس أو المجلس وألقى عليّ السلام فأجبته؟!! فهل يصدق هذا من له أدنى مسكة عقل كيف يراه هو وحده ولا يراه الجموع الحاضرون من الناس سبحانك ربي إن هذا إلا إفك عظيم !!

ويقول صاحب الرماح في ذكر فضائل من سار على الطريقة التيجانية: " والرابعة والثلاثون: أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة يحضرون مع أهل هذه الطريقة كل يوم، قال -يعني شيخه-: إن النبي ﷺ قال: أن من قرأها سبعاً فأكثر يحضره النبي ﷺ والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها " (١).

وقولهم بإن النبي ﷺ يحضر بذاته في مجالس ذكرهم أمر مبتدع مخالف للإجماع الذي عليه أهل السنة.

قال ابن حزم رحمه الله: " واتفقوا أن محمداً عليه السلام وجميع أصحابه لا يرجعون إلى الدنيا إلا حين يبعثون مع جميع الناس " (٢)

---

(١) الرماح (٤٢٥/٢).

(٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لابن حزم ص ١٧٦ (ط/دار الكتب العلمية، بيروت) بدون.

وهؤلاء في الحقيقة مشابهون للبوذية ؛ إذ إن البوذية يعتقدون حضور بوذا بشخصه وروحه عند قراءة ما يرتلونه من أوراد [١] .

ثامناً:الاستدراك على الشرع:

وهذا ظاهر جلي، فكل من ابتدع شيئاً في دين الله، فكأن لسان حاله أن الشرع ناقص و لم يكمل وهو يستدرك على الشرع ما فاته وما نقص -بزعمه- فأين يذهب هذا المسكين الظالم لنفسه ولغيره ممن اتبعوه بقول الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[٢] .

فالذين ابتدعوا الأذكار ورتبوا عليها أجوراً وكيفيات ووضعوا لها أعداداً يقال لهم: ألم يسعكم ما وسع الرسول ﷺ وأصحابه من الأذكار؟ أم أردتم أن تسبقوهم فاستدركتم بها عليهم؟ ويقال لهم: هل كان رسول الله ﷺ يعلم ما استدركتم و لم يُبيّنه للناس أم كان لا يعلم؟ فإن قالوا يعلم فنقول لهم أنتم اتهمتم الرسول ﷺ بعدم تبليغه الخير الذي يعلمه لأمته، وإن قالوا لا يعلم. فنقول لهم: اتهمتم رسولكم بالجهل وادّعيتم أنكم أعلم منه وهذا يوقع في الكفر، فكفوا عن بدعكم يكن خيراً لكم.

حكم هذه الأذكار: لا شك أن ما أدى إلى فعل محرم فهو محرم

(١) انظر البوذية للدكتور عبد الله نومسوك ص ٤٧٠.

(٢) سورة المائدة الآية: ٣.

لا يجوز فعله، والناظر في أحكام الشرع يجد أن الشارع الحكيم حرم كل ما يؤدي إلى محرم فحرم النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن والاختلاط لأنها تؤدي إلى الزنا، وحرم بيع العنب وعصرها لمن يشربون الخمر، وحرم شهر السلاح بوجه المسلم لأنه قد يؤدي إلى القتل، وحرم الاختصاء والرهبانية وترك الزواج لأن فيه الوقوع فيما لا يحمد عقباه، وحرم الحلف بغير الله والرياء لأنها ذريعة إلى الشرك الأكبر إلى غير ذلك من المنهيات التي هي ذريعة إلى الكبائر، وعلى هذا فالذكر الذي يفضي إلى الكفر والاعتقاد الفاسد فهو محرم ليس مما أمر الله التعبد به.

يقول الشيخ عبد الرحمن دمشقية: "فإن كانت كثرة الذكر كذلك تؤدي إلى هذا الكفر الصريح فالأولى كذلك تركها ؛ لأنه وإن كان الذكر من أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه لكنه يودي بأولئك إلى التلفظ بأقوال فيها الإشارة إلى حلول الله في خلقه وممازجته إياهم وفنائهم فيه -تعالى الله عن ذلك- ثم إنه لا يمكن أن أصدق بحال أن عبادة صحيحة قائمة على اتباع الكتاب والسنة تودي بصاحبها إلى التلفظ بكلمات لم يجرؤ النصارى وغيرهم على قولها، فكل عبادة مهما كان خيرها أودت بصاحبها إلى هذه الأقوال فهي ليست عبادة.

ولقد نهى الرسول ﷺ عن الوصال في الصوم أشد النهي فقال: « **لا صام من صام الأبد ثلاثاً** » مع أن الصيام طاعة ونهى عن اعتزال النساء، واعتبر ذلك من رهبانية النصارى مع أن ترك الزواج قد يمنح العابد فرصة

أوسع وقتاً أوفر في عبادته، لكن فيه خطر جسيم، وهو الوقوع في الزنا.... فما بالك بقوم يحرصون (بزعمهم) على مداومة الذكر حتى يأتيهم بما يسمى (الغَيْبة) فتغيب عقولهم عما يقولون ويصرح الواحد منهم بالكفر البواح ويقول " أنا الحق، وسبحاني ما أعظم شأني، وما في الجبة إلا الله " وغير ذلك من ألفاظ الكفر، ألا يكون هذا النوع من الذكر محظوراً قياساً على صيام الدهر واعتزال النساء وقيام الليل بلا نوم؟!"(١).

فخلاصة الموضوع: أن للأذكار غير المشروعة (المبتدعة) آثاراً سيئة ومن أسوئها أنها تؤدي إلى كثير من الانحرافات العقدية ابتداء من الشرك والكفر بالله وانتهاء بأقل ما يُخل بالتوحيد، وبالتالي أنصح كل من رام السعادة لنفسه في الدنيا والنجاة في الآخرة أن يتمسك بالمأثور من الأذكار عن النبي ﷺ ففيها الغنية والسلامة، وأن يدع ما ابتدعه المبتدعون من أذكار وغيرها فإن فيها الخزي والندامة.

وختاماً لهذا المبحث أورد أرجوزة لأحدهم مبيناً فيها بعض شناعة القوم وبعض انحرافاتهم العقدية في الذكر فيقول:

ومن شروط الذكر أن لا يُسقطا بعض حروف الاسم أو يفرطا

في البعض من مناسك الشريعة عمداً فتلك بدعة شنيعة

والرقص والصراخ والتصفيق عمداً بذكر الله لا يليق

(١) النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ص ٦٠.

وإنما الـــمطلوب في الأذكار الذكـــر بالخشـــوع والوقار

وغير ذا فحـــركة نفســـية إلا مـــع الغلـــبة القـــويـــة

فواجب تنـــزيه ذكـــر الله على اللبـــيب الـــذاكر الأواه

عن كل مـــا يفعله أهل البدع ويقتدي بفـــعل أرباب الورع

فقد رأينا فرقة إن ذكـــروا ابتدعوا وربما قد كفـــروا

وصنعوا في الذكر صنعاً منكرا صعباً فجاهدهم جهاداً أكبرا

خلوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا في أعظم الأسمـــاء

لقـــد أتـــوا والله شـــيئاً إدّا تخرُّ منـــه الشامخات هـــدّا

والألف المحذوف قبل الهـــاء قد أسقطوه وهو ذو خطـــاء

وغرّهـــم اسقاطه في الخـــطّ فكل من يتـــركه فمخطي

قد غيروا اسم الله جل وعلا وزعموا نيل المراتـــب العلا[1]

---

(١) منظومة الأخضري عبد الرحمن بن سعيد المغربي ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٤٧/٢)، وانظر: إصلاح المساجد للقاسمي ص١٠٩-١١٠.


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الثاني:

في الأذكار المبتدعة، وما ورد في التحذير من الابتداع في العبادات عامة وفي الذكر خاصة، وذكر جملة من نماذج وصور من الذكر غير المشروع

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فيما ورد في التحذير من الابتداع عموماً وفي الذكر خصوصاً من الكتاب والسنة وآثار السلف وأقوال العلماء.

المبحث الثاني: في أنواع الأذكار المبتدعة



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

فيما ورد في التحذير من الابتداع عموماً وفي الذكر خصوصاً، من الكتاب والسنة وآثار السلف وأقوال العلماء

وفيه تمهيد ومطلبان:

تمهيد:

سبق وأن رأينا خطورة الابتداع في الأذكار وآثارها السيئة، وما انطوت عليه من مغالاة في الدين وانحرافات عقدية، كل ذلك يجعلنا نقول: إن هذه الأضرار والانحرافات الناجمة عن الأذكار غير المشروعة لتؤكد لنا مدى بُعْدِ هؤلاء المبتدعة عن لزوم الكتاب والسنة في باب الأذكار وغيره من العبادات، وغيابِ هذا الأصل الأصيل عن منهج حياتهم العملية والعلمية، وبُعدهم عن الصراط المستقيم واتّباعهم سبل الضلال. ولو أنهم لزموا السنة وما جاء فيها من أذكار وقضوا أنفاس حياتهم بذكر الله على حسب ووفق ما ورد عن رسول الله ﷺ لسعدوا سعادة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى ؛ لأن الأذكار الشرعية غنيّة بالتوحيد والمنافع والفوائد الدنيوية والأخروية، وفيها السلامة من الانحرافات والمضار التي تنتج من الأذكار غير المشروعة، مع أن موافقة الكتاب والسنة

في أي عمل شرط أساسي في قبوله؛ إذ إن العبادات جميعها مبنية على التوقيف من الشارع الحكيم لا على اتباع المشايخ ولا اتباع العوائد ولا على تقليد الآباء والأجداد.

فيُعْبد الله تعالى بما شرع لا بالعوائد ولا التقليد ولا البدع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن من شرع عبادة يتقرب بها إلى الله و يجعلها وسيلة له إلى الله يرجو عليها ثواب الله إما واجبة أو مستحبة فلا بد أن يكون من الدين الذي شرعه الله وأمر به وإلا كان حظ صاحبها الإبعاد والطرد ولهذا قال الفقهاء العبادات: مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع وقد قال الله لنبيه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1]، فهو داع إلى الله بإذن الله لا من تلقاء نفسه "[2].

وقال أيضاً رحمه الله: "والعبادات مبناها على الشرع والاتباع لا على الهوى والابتداع فإن الإسلام مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وحده وأن نعبده بما شرعه على لسان رسوله لا نعبده بالأهواء والبدع"[3].

والذكر هو من أفضل العبادات فمبناه إذاً على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع.

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤٥.

(٢) الرد على البكري (١/٢٨٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٣/٩٤) وانظر أيضاً: (١/٨٠) و (٢٧/٨٦) و(٢٢/١٨٨)، ودقائق التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٢٠١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان ولا يحيط بها إنسان وما سواها من الأذكار قد يكون محرماً وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس،بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة،فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به،وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب، وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد" [١].

إذاً فكل من عبد الله دون متابعة لرسوله ﷺ فعمله عليه مردود

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٠-٥١١).

كما دلت على ذلك نصوص كثيرة، كلها تقضي بلزوم سنة رسول الله ﷺ ومتابعته وطاعته وعدم الخروج عما شرعه وهذا فرضٌ حتمٌ على كل المسلمين، وتقضي بأن مخالفته ﷺ فيها العذاب الأليم ومن تلك النصوص: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[3] .

وقرن طاعته بطاعته فقال جل شأنه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[5]، وقال جل جلاله مبيناً أن من علامات محبة الله اتباع رسوله ﷺ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[6] .

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٢٤.

(٣) سورة الحشر الآية: ٧.

(٤) سورة آل عمران الآية: ١٣٢.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٣٢.

(٦) سورة آل عمران الآية: ٣١.

"فمن اتبع رسوله في سنته أورثه ذلك محبة الله ﷻ بكسبه البصيرة في إيمانه فيما أحكمه في قلبه ولسانه وبالمغفرة والرضوان في ميعاده"[(١)].

وحذر سبحانه من مخالفة نبيه ﷺ وأخبر أن مخالفته سبب لحصول فتنة أو نزول عذاب أليم فقال:﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[(٣)].

ونفى الإيمان عمن لا يُحكّمه ﷺ في جميع أموره فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[(٤)].

والآيات الدالة على لزوم طاعته ﷺ واتباع أوامره وسنته كثيرة جداً [(٥)].

أما الأحاديث الدالة على ذلك فهي أيضاً كثيرة جداً نذكر منها:

ما ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل**

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٢٢١/١).

(٢) سورة النور الآية: ٦٣.

(٣) سورة النساء الآية: ١١٥.

(٤) سورة النساء الآية: ٦٥.

(٥) انظر الإبانة لابن بطة (٢١٥/١-٢٢٢)، ومعارج القبول (٤١٦/٢- ٤١٨).

الجنة ومن عصاني فقد أبى»[١] .

وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت ملائكةٌ إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان.

فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار و لم يأكل من المأدبة،فقالوا: أوّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فرق بين الناس»[٢] .

" وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة وترجم عليه أهل العلم في الكتب:كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة كما ترجم عليه البخاري والبغوي وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين،وحزبه المفلحين وجنده الغالبين وكان السلف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب الاعتصام بالسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦/٢٦٥٥) ح٦٨٥١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه:كتاب الاعتصام بالسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦/٢٦٥٥) ح٦٨٥٢.

كمالك وغيره يقولون: السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة"[١].

إذا كان الأمر كذلك في أن لزوم سنته ﷺ لازمة وفرض على كل مسلم، فإن ترك سنته ﷺ والاستنان بما سنه غيره من المبتدعة من بدع ومحدثات أمر محرم ينبغي العدول عنه، والنصوص الدالة على تحريم الابتداع كثيرة جداً، وهذا ما سنبحثه في المطلب الآتي:



---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٦٢٣).

المطلب الأول:

فيما ورد في التحذير من الابتداع في الدين عموماً:

إن مما هو متفق عليه بين المسلمين عامة أن الله سبحانه وتعالى لم يقبض نبيه محمداً ﷺ إلا وقد أكمل به الدين وأتم النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

وقد حذر الله سبحانه وتعالى عن الابتداع في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾[4]، وقال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا

---

(١) سورة المائدة الآية: ٣.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٣.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣.

(٤) سورة الشورى الآية: ٢١.

ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة فيها التحذير من الابتداع في الدين منها: قوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » وفي رواية: « **من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد** »[٤].

قال ابن رجب رحمه الله: "وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، كما أن حديث الأعمال بالنيات ميزان للأعمال في باطنها، وهو ميزان للأعمال في أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على

---

(١) سورة الحديد الآية: ٢٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٩.

(٣) سورة الأعراف الآية: ٣٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٩٥٩/٢) ح ٢٥٥٠، ومسلم في صحيحه: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣) ح ١٧١٨.

عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء، وسيأتي حديث العرباض بن سارية عن النبي ﷺأنه قال:

« من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »، وكان ﷺ يقول في خطبته إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺوشر الأمور محدثاتها...

فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه، كما في الرواية الأخرى من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد فالمعنى إذاً: أن من كان عمله خارجاً عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود وقوله: (ليس عليه أمرنا) إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول،ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود.

فأما العبادات فما كان منها خارجاً عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله وعامله يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1]، فمن تقرب

(١) سورة الشورى الآية: ٢١.

إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهي أو بالرقص أو بكشف الرأس في غير الإحرام وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله التقرب بها بالكلية، وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا...

فدل على أنه ليس كل ما كان قربة في موطن يكون قربة في كل المواطن وإنما يتبع في ذلك كله ما وردت به الشريعة في مواضعها وكذلك من تقرب بعبادة نهي عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد أو صلى وقت النهي.

وأما من عمل عملاً أصله مشروع وقربة ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع أو أخل فيه بمشروع فهذا أيضا مخالف للشريعة بقدر إخلاله بما أخل به أو إدخاله ما أدخل فيه وهل يكون عمله من أصله مردودا عليه أو لا؟ فهذا لا يطلق القول فيه برد ولا قبول بل ينظر فيه فإن كان ما أخل به من أجزاء العمل أو شروطه موجبا لبطلانه في الشريعة كمن أخل بالطهارة مع القدرة عليها أو كمن أخل بالركوع أو بالسجود مع الطمأنينة فيهما فهذا عمل مردود عليه وعليه إعادته إن كان فرضا وإن كان ما أخل به لا يوجب بطلان العمل كمن أخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من يوجبها ولا يجعلها شرطا فهذا لا يقال إن عمله مردود من أصله بل هو ناقص،وإن كان قد زاد في العمل المشروع ما ليس

بمشروع فزيادته مردودة عليه، بمعنى أنها لا تكون قربة ولا يثاب عليها ولكن تارة يبطل بها العمل من أصله فيكون مردودا كمن زاد ركعة عمدا في صلاته مثلا وتارة لا يبطله ولا يرده من أصله كمن توضأ أربعا "[١]

وعن العرباض بن سارية[٢] رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل:يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** » [٣]

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٥٩-٦٠.

(٢) العرباض بن سارية السلمي، أبو نجيح، صحابي، كان من أهل الصفة، نـزل حمص، ومات سنة ٧٥هـ بدمشق،تهذيب التهذيب (١٥٧/٧)، و تقريب التهذيب ص ٣٨٨.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب السنة باب لزوم السنة (٢٠٠/٤) ح٤٦٠٧، والترمذي في سننه: كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤٤/٥) ح ٢٦٧٦،وقال: " هذا حديث حسن صحيح "، وابن ماجه في سننه: باب اتباع الخلفاء الراشدين المهديين (١/١٥-١٦) ح٤٢،٤٣ وابن أبي عاصم في السنة (٤٩٦/٢) ح١٠٣٦، والحاكم في المستدرك (١٧٤/١) وقال: هذا حديث صحيح ليسله علة، ووافقه الذهبي، وحكم عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦٧/١) بالصحة، وصحح إسناده الألباني في تحقيقه للسنة لابن أبي عاصم (١/ح٥٤) والصحيحة ح٢٧٣٥.

" وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضاً،قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكاً لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله "[2] .

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه للحديث: " قوله: (**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**) تحذيـــر للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة، وأكدّ ذلك بقوله: (كل بدعة ضلالة) **والمراد بالبدعة**: ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه.

وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺكان يقول في خطبته: « **إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺوشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة** »[3]....

فقوله ﷺ: «**كل بدعة ضلالة** » من جوامع الكلم لا يخرج عنه

---

(١) سورة الشورى الآية: ٢١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٦٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٢) ح٨٦٧.

شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ: « **من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد** » فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين و لم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو بريء منه وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة" [١].

فالخلاصة: " أن لزوم السنة يحفظ من شر النفس والشيطان بخلاف الطرق المبتدعة فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصال والأغلال وإن كانوا متأولين فلا بد لهم من اتباع الهوى ولهذا سمى أصحاب البدع أصحاب الأهواء فإن طريق السنة علم وعدل وهدى وفى البدعة جهل وظلم وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس والرسول ما ضل وما غوى و الضلال مقرون بالغي فكل غاو ضال والرشد ضد الغي والهدى ضد الضلال وهو مجانبة طريق الفجار وأهل البدع كما كان السلف ينهون عنها " [٢] .

كما وردت آثار كثيرة جداً عن الصحابة رضي الله عنهم في التحذير عن البدع وذم أصحابها من ذلك:

ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"[٣].

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٢٦٦.

(٢) مجموع الفتاوى (٥٦٨/١٠).

(٣) أخرجه الدارمي في سننه: (٦٣/١) برقم ٢٢٣، والمروزي في السنة ص ٢٥، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩/٣)، والحاكم في المستدرك: (١٠٣/١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صلاة التراويح ص٦.

وقال رضي الله عنه أيضاً: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة"(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "يا معشر القراء استقيموا والله لئن استقمتم فقد سبقتم سبقا بعيدا فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا"(٢).

والآثار عن الصحابة والتابعين كثيرة جداً ذكرها كثير من أهل العلم في مصنفاتهم(٣).



(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/٨٠)، والمروزي في السنة ص ٢٨ برقم ٧٨ (ط١/ ١٤٠٨هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، تحقيق سالم أحمد السلفي)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها ص٢٦ برقم ١٤، والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٥٤) ح٨٧٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٨١) أخرجه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحيه: كتاب الاعتصام بالسنة باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (٦/٢٦٥٦)ح٦٨٥٣ .

(٣) انظر السنة لمحمد بن نصر المروزي، والإبانة لابن بطة (١/٢٨١)، والبدع والنهي عنها لابن وضاح ص٢٤ (ط١/١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، تحقيق محمد حسن الشافعي)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢/٨٢) وما بعدها، والحجة في بيان المحجة للتيمي (٢/٤٠٥)، وسنن الدارمي في المقدمة.

المطلب الثاني:

في ما ورد من الأدلة على منع الابتداع في الأذكار الراتبة من السنة وآثار الصحابة وأقوال العلماء.

من المعلوم أن الذكر من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف -كما سبق ذكره- فلا يجوز شرع ما لم يشرع ولا الزيادة ولا النقصان على ما شُرع، وقد تكاثرت الأدلة التي تدل على أن الأذكار التي رتبها الشارع وقيدها بزمان أو مكان أو حال أو صفة وهيئة معينة توقيفية لا يجوز الخروج عنها أو الزيادة عليها بكلام أو وصف أو حال.

هذا في الذكر الراتب أما الذكر المطلق فليس من شرطه التقيد بما ورد، ولكن له شروط مرّ ذكرها [(١)]، والأفضل للمسلم والأسلم له أن يذكر ربه ذكراً مطلقاً بما ورد عن الشرع من الأذكار المطلقة فهو أسلم له ؛ لأنه اجتمع فيها من وضوح المعاني وقوة المباني وفصاحة الألفاظ ما لا يجتمع في أي كلام غيره، كيف لا، والرسول ﷺ نطق بها والذي اجتمعت فيه أوصاف الكمال البشري: العلم والفصاحة والنصح.

قال القاضي عياض رحمه الله:

---

(١) سبق ذكرها ص٢٠٦.

" أذن الله في دعائه وعلم الدعاء في كتابه لخليقته وعلم النبي ﷺ الدعاء لأمته واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العلم بالتوحيد، والعلم باللغة، والنصيحة للأمة،فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن دعائه ﷺ، وقد احتال الشيطان للناس من هذا المقام فقيض لهم قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ وأشد ما في الحال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين فيقولون: دعاء نوح دعاء يونس دعاء أبي بكر الصديق، فاتقوا الله في أنفسكم لا تشتغلوا من الحديث إلا بالصحيح"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا ريب أنّ الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والإتباع لا على الهوى والابتداع، فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان، ولا يحيط به إنسان، وما سواها من الأذكار قد يكون محرما وقد يكون مكروها وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها.

وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون، ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس، بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به، بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة، فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى

---

(١) الفتوحات الربانية لابن علان (١/١٧).

محرماً لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك، والإنسان لا يشعر به وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب.

وأما **اتخاذ ورد غير شرعي** واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه ومع هذا **ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها** إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد"[١].

وعموم الأدلة القاضية التي فيها النهي عن البدع في الدين فيها دلالة على النهي عن الابتداع في الأذكار؛ لأن الأذكار من أفضل العبادات وأجلها، وقد وردت أحاديث عدة وآثار عن الصحابة وأقوال كثيرة عن العلماء في ذم البدع في الذكر بشكل عام أو في بعض أنواع البدع المتعلقة بالذكر وبيان أن الذكر المقيد توقيفي.

فالأحاديث الواردة في ذلك منها:

حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

« إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١١-٥١٢).

ولا منجى منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنــزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به قال فرددها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابــك الذي أنــزلت قلت ورسولك قال لا ونبيك الذي أرسلت »[١].

فهذا الحديث نص قاطع ودليل واضح على عدم جواز تغيير شيء من الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ، والحفاظ على الألفاظ لما لها من خصائص ومزايا وفوائد لا تتأتى إلا بها.

قال ابن حجر رحمه الله عند كلامه على حديث البراء رضي الله عنه: "وأولى ما قيل في الحكمة في رده ﷺ على من قال: (الرسول) بدل (النبي) أن ألفاظ الأذكار توقيفية ولها خصائص وأسرار لا يدخلها القياس فتجب المحافظة على اللفظ الذي وردت به، وهذا اختيار المازري قال: فيقتصر فيه على اللفظ الوارد بحروفه وقد يتعلق الجزاء بتلك الحروف ولعله أوحي إليه بهذه الكلمات فيتعين أداؤها بحروفها "[٢]

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول ﷺ خيبر أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ:

« أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون

---

(١) سبق تخريجه ص٥٤٠.

(٢) فتح الباري (١١/١١٢).

سميعاً قريباً وهو معكم »[١].

فهذا الحديث فيه دلالة على أن الأذكار توقيفية في هيئاتها وكيفياتها، فالصحابة ذكروا الله امتثالاً لأمر الله بالذكر، ولكنهم لما رفعوا أصواتهم فيه نبههم رسول الله ﷺ إلى ترك هذا الفعل وعلل لهم نهيه بقوله (إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً...) وخفض الصوت في الذكر وعدم الجهر به مطلوب، إلا ما ورد الشرع فيه بالجهر كالتلبية والأذان وغيرهما، فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعا شديدا[٢]، وذلك لعموم قوله الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[٣].

فدلت هذه الآية الكريمة على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع [٤]، فلما رفع الصحابة رضي الله عنه أصواتهم بالذكر أرجعهم رسول الله ﷺ إلى الأصل في الذكر وهو عدم الجهر به وهو عموم هذه الآية، وهكذا ينبغي لكل ذاكر أن يتقيد بهذه الكيفية الواردة من الذكر يذكر ربه في نفسه تضرعاً وخيفة ودون الجهر ولا يفعل كما يفعله بعض الناس - هداهم الله- عند الذكر من الزعيق ورفع الأصوات بالذكر فإن ذلك

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٢٤.

(٢) انظر الاستقامة (١/٣٢٢).

(٣) سورة الأعراف الآية: ٢٠٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٥٥).

منهي عنه كما رأيت.

ما ورد من مطلق الأحاديث التي رتب فيها رسول الله ﷺ الأجر والثواب على قول وذكر معين بلفظ معين كأن يقول كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك** »[1].

فهذا الحديث ونحوه من الأحاديث من أتى بها على وجهها كان له الأجر والثواب المرتب على ما يذكره من أذكار، ومن لم يأتِ بها فلم يشمله ظاهر الحديث لأنه لم يحقق الشرط الذي في الحديث: « من قال: كذا..»، لأن رسول الله ﷺ رتّب أجور هذه الأذكار على تحقيق الشرط، فلابد من تحقيق الشرط حتى يتحقق الأجر والثواب، ولا بد من اعتبار ما اعتبره الشارع ومراعاة ما شرعه في الأذكار من عدد وصفة ونحو ذلك حتى يتحقق المطلوب ويُنال المرغوب بإذن الله تعالى.

قال ابن حجر رحمه الله: "وقد كان بعض العلماء يقول: إن الأعداد الواردة كالذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتي بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص

(١) سبق تخريجه ص١٨٥.

لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد... وأما القرافي في القواعد فقال: "من البدع المكروهة الزيادة في المندوبات المحدودة شرعاً ؛ لأن شأن العظماء إذا حدّوا شيئاً أن يوقف عنده، ويُعَدُّ الخارج عنه مسيئاً للأدب. اهـ

وقد مثّله بعض العلماء بالدواء يكون مثلاً فيه أوقية سكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به، فلو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع ويؤيد ذلك أن الأذكار المتغايرة إذا ورد لكل منها عدد مخصوص مع طلب الإتيان بجميعها متوالية لم تحسن الزيادة على العدد المخصوص لما في ذلك من قطع، لاحتمال أن يكون للموالاة في ذلك حكمة خاصة تفوت بفواتها والله أعلم"[١].

ومن ذلك ما ورد أن بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين سألوا رسول الله ﷺ أن يعلمهم بعض الأذكار وذلك لما علموا أن الأذكار مبناها على التوقيف، ولو كان الأمر غير ذلك لما سألوا رسول الله ﷺ، إذ إنهم قوم عرب فصحاء بلغاء، أفصح من هؤلاء الذين يذكرون بأذكار غير مشروعة، بل لا مقارنة بينهم مطلقاً، لكن الصحابة رضي الله عنهم عرفوا هذا الأصل الأصيل، وهؤلاء المبتدعة جهلة لا علم لهم بهذا الأصل، وهم بمنأى عن اتباع السنة والعمل بالمأثور من الأذكار دون غيره.

---

(١) فتح الباري (٢/٣٣٠).

ومما ورد من سؤال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ أن يعلمهم إياه من الأذكار:

أ- سؤالهم رضي الله عنهم رسول الله أن يعلمهم كيف يصلون عليه ﷺ ، فقد ثبت في الصحيحين عن كعب بن عجرة[١] رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال: « **قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[٢].

وكما سبق أن الصلاة على رسول الله ﷺ هي من أفضل الأذكار، فَطَلَبُ الصحابة هذا يدل على أن الأذكار توقيفية لا يجوز الابتداع فيها.

ب- وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني شيئا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: « **قل: اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم قله إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك** »[٣] .

---

(١) سبقت ترجمته ص ٧٥٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٥٤.

(٣) سبق تخريجه ص ٣٦٣.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة وهو من هو في الفقه والعلم والدين والفصاحة، ومترلته معروفة لدى العام والخاص من المسلمين، لم يتخذ ورداً وذكراً راتباً في الصباح والمساء يقوله من عند نفسه كما يفعله أرباب الطرق بل علم فضل الاقتصار على المأثور من الأذكار فطلب من رسول الله ﷺ أن يعلمه ويأمره بذكر يقوله في الصباح والمساء.

وهذا كله يؤكد حرص الصحابة على التقيد بما يشرعه رسول الله ﷺ، والإتيان بعين ما يختاره الله لهم ويرضاه منهم من اللفظ الأكمل والأفضل والأسلم والأحكم ووقوفهم في العبادات عند ما حُدّ لهم دون تدخل الرأي أو القياس أو الهوى فيها

ج- ما ورد من الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يعلّم أصحابه ﷺ بعض الأذكار كما يعلمهم السورة من القرآن، ومعلوم أن السورة من القرآن لا يجوز الزيادة فيها ولا النقصان لأنها كلام رب العالمين، فتشبيه الصحابة ﷺ بذلك الغرض منه المحافظة على ألفاظ الأذكار وعدم الزيادة فيها ولا النقصان منها والتأكيد على أنها توقيفية مبنية على الاتباع لا على الاختراع والابتداع.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن فكان يقول:

« **التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها**

النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله »[١] وفي رواية: (كما يعلمنا القرآن).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: « **قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، ونعوذ بك من عذاب القبر، ونعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات »**[٢] .

وكذلك ما ورد في الاستخارة والتي هي مشتملة على ذكر الله والتفويض إليه[٣] .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: « **اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة (٣٠٢/١) ح ٤٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٤١٣/١) ح ٥٩٠.

(٣) فتح الباري (١٨٦/١١).

أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به قال ويسمي حاجته »[١].

وفي وجه التشبيه في تعلّم الأذكار بتعلّم القرآن يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله:" وقال ابن أبي جمرة: التشبيه في تحفظ حروفه وترتب كلماته ومنع الزيادة والنقص منه والدرس له والمحافظة عليه، ويحتمل أن يكون من جهة الاهتمام به والتحقق لبركته والاحترام له، ويحتمل أن يكون من جهة كون كل منهما علم بالوحي.

قال الطيبي: فيه إشارة إلى الاعتناء التام البالغ بهذا الدعاء وهذه الصلاة لجعلهما تِلْوَينِ للفريضة والقرآن"[٢] .

أما الآثار الواردة عن السلف، وأقوال العلماء في لزوم السنة في الأذكار و النهي عن الابتداع فيها سواء في كيفيتها أم الزيادة عليها أو توقيتها في وقت ما فهي كثيرة جداً، وذلك لأن الأذكار هي الباب والمنفذ الذي دخل منه المبتدعة على العوام لينالوا بها غاياتهم ويحققوا بها مآربهم فقام أئمة الدين من عهد الصحابة ﷺ ومن سار على نهجهم بقمع

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٧١.

(٢) فتح الباري (١١/١٨٤-١٨٥). وانظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح(٣/١٧٩).

هذه البدع والإنكار على أصحابها، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً كثيراً، وسأذكر من أقوالهم ما تيسر لي، فالسلف الصالح والعلماء الربانيون لم يسكتوا قط عن بدعة رأوها إلا وأنكروا على أصحابها، وقد ألّف العلماء في ذلك بعض المؤلفات الخاصة في بدع الأذكار[1].

هذا وإن أول من ابتدع في الأذكار بدعاً هم الخوارج بزعمهم أنهم أرادوا الخير وبناء على غلوهم في العبادات ومجاوزة الحد فيها وعدم تطبيقهم للنصوص على حسب ما فهمها الرعيل الأول من صحابة النبي ﷺ فتصدى الصحابة الكرام والأفذاذ ﷺ لبدع هؤلاء الخوارج، وأنكروها عليهم أيما إنكار وهذا الأثر يوضح ذلك:

ففي سنن الدرامي عن عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، و لم أر والحمد لله إلا خيراً .قال : فما هو؟ فقال إن عشت فستراه قال:

---

[1] ككتاب السنن والمبتدعات في الأذكار والصلوات للشقيري، والمدخل لابن الحاج ذكر فيه جملة من ذلك وإنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر لبرهان الدين البقاعي، وتصحيح الدعاء لبكر أبو زيد وغيرها من الكتب العامة في البدع التي ضمن مصنفوها فيها الكلام على بعض البدع في الأذكار.

رأيت في المسجد قوماً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول:كبِّروا مائة فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك. قال:أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: مـــا هذا الذي أراكم تصنعون؟! قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون وهذه ثيابه لم تبل و آنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: **وكم من مريد للخير لن يصيبه**، إن رسول الله ﷺحدثنا: « أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم » وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلَق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج"[١] .

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه باب كراهية الأخذ بالرأي (١/٧٩) ح٢٠٤.

وأثر آخر يبين لنا شدة حرص ابن مسعود رضي الله عنه على لزوم السنة وغيرته على الدين وإنكاره على من يريد أن يبتدع فيه أو يعمل أي عمل ليس على السنة، وهو ما ذكره يسار أبو الحكم حيث قال: "خرج رهط من القراء منهم مِعضد، وعمرو بن عتبة، حتى بنوا مسجداً بالنُخَيلة قريباً من الكوفة، فوضعوا جراراً من ماء، وجمعوا أكواماً من الحصباء للتسبيح، ثم أقاموا في مسجدهم يتعبدون، وتركوا الناس، فخرج إليهم ابن مسعود رضي الله عنه فقالوا: مرحباً بأبي عبد الرحمن انزل.

فقال: والله ما أنا بنازل حتى يُهدم مسجد الخبال هذا، فهدموه، ثم قال لهم: والله إنكم لتُمسكون بذنب ضلالة، أو أنتم أهدى ممن كان قبلكم؟ أرأيتم لو أن الناس كلهم صنعوا ما صنعتم من كان يجمعهم لصلاتهم في مساجدهم ولعيادة مرضاهم، ولدفن موتاهم؟! فردّهم إلى الناس"[(١)].

وجاء في رواية: أن أُناساً بالكوفة يُسَبّحون بالحصا في المسجد فأتاهم ابن مسعود وقد كوّم كلُّ رجل منهم بين يديه كومة حصا فلم يزل يحصبهم بالحصا حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول: " لقد أحدثتم بدعة ظلماً أو قد فُضّلتم أصحاب محمد ﷺ علماً"[(٢)].

---

(١) ذكره الطرطوشي في البدع والحوادث ص١٤٥، وأشار إليه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٠٦/٦) (ط/دار صادر، بيروت).

(٢) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص٢٧ برقم ١٧.

فهذه الآثار تدل على إنكار هذه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري على كيفية الذكر لا على الذكر فالذكر من أفضل العبادات، لكن هذه الكيفية التي اتخذها هؤلاء الناس -والذين أصبحوا فيما بعد من الخوارج لأن البدعة تجر إلى بدعة أكبر منها- هي كيفية ليست مشروعة ولم يعرفها الصحابة الكرام ولم تكن على عهد النبي ﷺ لذلك بادر ابن مسعود في إنكارها في مهدها حتى لا تكبر ولا يُعتقد على مرّ الأيام أنها من الدين، وهذه البدعة من البدع الإضافية التي أضيفت إلى الذكر، فإذا كان ابن مسعود رضي الله عنه قد أنكر هذه الكيفية من الذكر وهي الاجتماع على الذكر وأخذ حصى والذكر بها وعلى رأس كل جماعة رجل يأمرهم بالذكر المحدد، فكيف لو رأى ابن مسعود رضي الله عنه ما ابتدعه أصحاب البدع في زماننا من هيئات وكيفيات مصحوبة للذكر منكرة من الدوران والنط والهز ورفع الأصوات والزعيق والصراخ والرقص والأشعار والدفوف والموسيقا و..و.. إلخ فلو رأى ذلك رضي الله عنه لأنكرها أشد الإنكار ولعنّف أصحابها أشد التعنيف.

وهذا صحابي آخر: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينكر على من زاد لفظة هي في الأصل مشروعة، ولكنها ليست مشروعة ولا مؤقتة في الحال الذي ذكرها فيه قائلها:

فقد ورد أن رجلاً عطس عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: «وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله، ولكن ليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا إذا عطس أحدنا أن يقول: الحمد لله على كل حال »[١] .

فالسلام على رسول الله ﷺ مشروع في الأصل يثاب عليه فاعله، لكنه غير مشروع مع العطاس، بل الإتيان به عند العطاس بدعة منكرة كما أنكرها هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه.

قال ابن علان في شرحه لهذا الأثر: " قال ابن عمر: (وأنا أقول..) إلخ، أي لأنهما ذكران شريفان، لكن لكل مقام مقال كما أشار إليه بقوله: (وليس هكذا) أي ليس ضم السلام إلى الحمد من الأدب المأمور به هنا بل الأدب الاتباع من غير زيادة ولا نقصان من تلقاء النفس... أما ضم ذكر آخر إليه فغير مستحسن لأن من سمعه ربما يتوهم أنه من جملة المأمور به"[٢].

وما ورد أيضاً من كراهية ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم الزيادة في السلام على البركة فقد قال ابن عبد البر رحمه الله:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الأدب باب ما يقول العاطس إذا عطس (٨١/٥) ح ٢٧٣٨، والطبراني في مسند الشاميين (١٨٦/١) برقم ٣٢٣(ط١/١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت تحقيق حمدي السلفي)، والحاكم في المستدرك (٢٩٥/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن الترمذي ح٢٧٣٨.

(٢) الفتوحات الربانية (١٣/٦-١٤).

"وقال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم: "انتهى السلام إلى البركة" كما ذكر الله عز وجل عن صالح عباده: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾[١]، وكانا يكرهان أن يزيد أحد في السلام على قوله: (وبركاته) والله الموفق للصواب[٢] .

وعن محمد بن عمرو بن عطاء أنه قال: كنت جالساً عند عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئاً مع ذلك أيضاً. قال ابن عباس - وهو يومئذ قد ذهب بصره- مَن هذا؟ قالوا: هذا اليماني الذي يغشاك فعرّفوه إياه. قال:فقال ابن عباس رضي الله عنهما: " إن السلام انتهى إلى البركة"[٣].

وروي أن رجلاً كان يلقى ابن عمر رضي الله عنه فيسلم عليه فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومعافاته، قال: يكثر من هذا، فقال له ابن عمر: وعليك مائة مرة لئن عدت إلى هذا لأسوءنك "[٤] .

---

(١) سورة هود الآية: ٧٣.

(٢) التمهيد لابن عبد البر (٥/٢٩٣).

(٣) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب السلام، باب العمل في السلام (٢/٩٥٩) ح١٧٢٢.

(٤) أخرجه معمر بن راشد الأزدي في جامعه (١٠/٣٩٠) ملحق مع مصنف عبد الرزاق الصنعاني (ط٢/١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي،، بتحقيق الأعظمي).

وساق الطحاوي رحمه الله في شرح معاني الآثار[(١)] جملة من الآثار مسندة فيها بيان مدى حرص السلف على اتباع السنة في الأذكار وعدم الزيادة عليها من ذلك:

ـــ عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يأخذ علينا الواو في التشهد: الصلوات والطيبات[(٢)].

ـــ و سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول في التشهد: بسم الله التحيات لله،فقال: له عبد الله أتأكل؟!![(٣)] .

ـــ ولقي الربيع بن خثيم[(٤)] علقمة فقال: إنه قد بدا لي أن أزيد في التشهد ومغفرته فقال له علقمة ننتهي إلى ما علمناه.

وعند الطبراني: "زاد الربيع بن خثيم في التشهد بركاته ومغفرته فقال علقمة نقف حيث عُلّمنا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"[(٥)] .

---

(١) للطحاوي (١/٢٦٦) (دار الكتب العلمية ط١/١٣٩٩هـ/تحقيق محمد زهري النجار).

(٢) وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٢٦٢) برقم ٣٠٠٩.

(٣) وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٢٦٣) برقم ٣٠١٤.

(٤) الربيع بن خثيم بضم المعجمة وفتح المثلثة بن عائذ بن عبد الله الثوري أبو يزيد الكوفي ثقة عابد مخضرم من الثانية قال له بن مسعود لو رآك رسول الله ﷺلأحبك مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين. تقريب التهذيب ص: ٢٠٦.

(٥) المعجم الكبير (١٠/٥٢) برقم ٩٩٢٧.

وسمع ابن عباس رضي الله عنهما رجلاً يصلي فلما قعد يتشهد قال: الحمد لله التحيات لله، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وهو ينتهره:

" الحمد لله؟ إذا قعدت فأبدأ بالتشهد بالتحيات لله"[١] .

وعن قيس بن عباد[٢] رحمه الله قال: "كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الجنائز وعند القتال وعند الذكر"[٣].

فلكون الجهر بالذكر ورفع الصوت فيه -إلا في المواضع التي أباح الشرع فيها رفع الصوت- خلاف آداب الذكر وخلاف النصوص الآمرة بخفض الصوت فيه كره الصحابة ﷺ رفع الصوت في الذكر، وكراهيتهم هذه تدل على إنكارهم على من رفع صوته فيه وجهر به

إلى غير ذلك[٤] من الآثار عن الصحابة والتابعين الدالة على إنكارهم للزيادات في الأذكار، مما هو غير معهود على عهد رسول الله.

وقد سار العلماء الربانيون على منهج الصحابة ﷺ في التحذير

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٢/١) برقم ٣٠٠٨.

(٢) قيس بن عباد بضم المهملة وتخفيف الموحدة الضبعي بضم المعجمة وفتح الموحدة أبو عبد الله البصري ثقة من الثانية مخضرم مات بعد الثمانين ووهم من عده في الصحابة تقريب التهذيب ص: ٤٥٧.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٤/٤) و (١٥٣/٩)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٩١/٨).

(٤) انظر مصنف ابن أبي شيبة (١٦٢/٢)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤٥٦/٦).

من الابتداع في الأذكار، والأمر باتباع السنة فيها دون الزيادة عليها أو النقصان منها وسأذكر جملة من أقوالهم:

فقد سُئل الإمام مالك رحمه الله: هل يقول عند أضحيته: "اللهم منك وإليك "؟ فقال: لا، وهذه بدعة " .

وأما الصلاة على النبي ﷺ عند الذبح قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: وليس أيضاً هذا موضع الصلاة على النبي ﷺ"[1].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عند كلامه على هذه المسألة:" وهل يصلي على النبي ﷺ في هذا المقام؟ (أي عند الذبح) الجواب: لا يصلي على النبي ﷺ، والتعليل:

أولاً: أنه لم يرد، والتعبد لله بما لم يرد بدعة.

الثاني: أنه قد يتخذ وسيلة فيما بعد إلى أن يُذكر اسم الرسول على الذبيحة، ولهذا كره العلماء أن يُصلى على النبي ﷺ على الذبيحة" [2].

وقد كره جماعة من العلماء الزيادة على تلبية رسول الله ﷺ، حكي ذلك عن الإمام مالك، وهو أحد قولي الإمام الشافعي[3] .

---

(١) ذكر هذا والذي قبله عن الإمام مالك الطرطوشيُّ في كتابه الحوادث والنهي عنها ص١٤٤.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤٩٢/٧) (ط١/١٤١٦هـ، مؤسسة آسام، الرياض).

(٣) انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي (١٢٥/٢)، والتمهيد لابن عبد البر (١٢٩/١٥)، وفتح الباري (٤١٠/٣)، وشرح الزرقاني (٣٢٧/٢)، وعون المعبود (١٧٧/٥)، وتحفة الأحوذي (٤٧٥/٣).

واستدلوا بأثر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يلبي يقول: لبيك ذا المعارج لبيك، قال سعد: إنه لذو المعارج ولكن ما هكذا كنا نلبي على عهد رسول الله ﷺ "[١].

قال الطحاوي رحمه الله عقبه: " فهذا سعد قد كره الزيادة على ما كان رسول الله ﷺ علمهم من التلبية فبهذا ينفذ"[٢] .

وممن أنكر الأذكار المبتدعة الإمام الخطابي رحمه الله حيث قال: "وقد أُولع كثير من العامة بأدعية منكرة اخترعوها، وأسماء سموها، ما أنزل الله بها من سلطان.

وقد يوجد في أيديهم دستور من الأسماء والأدعية يسمونه (ألف اسم) صنعها لهم بعض المتكلفين من أهل الجهل، والجرأة على الله عز وجل أكثرها زور وافتـــراء على الله ﷻ، فليتجنبها الداعي إلا ما وافق منها الصواب..."[٣].

وكذلك الإمام أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـــ) في سياق

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧١/١)، و البيهقي في السنن الكبرى (٤٥/٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١٢٥/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٢٩/١٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٣/٣): " وراه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الله لم يسمع من سعد بن أبي وقاص والله أعلم ".

(٢) شرح معاني الآثار (١٢٥/٢).

(٣) شأن الدعاء ص ١٦.

كلامه على الإلحاد في أسماء الله تعالى وذلك بالزيادة فيها وعليها أو النقصان منها عموماً أو من حروف أحدها وتسمية الله بها مما لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة فقال رحمه الله: " كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله إلى غير ذلك مما لا يليق به، فحذارِ منها، ولا يَدْعُوَنَّ أحدٌ منكم إلا بما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي فهذه الكتب هي بَدْء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف وذروا سواها ولا يقولن أحدٌ: أختار دعاء كذا فإن الله قد اختار له وأرسل بذلك إلى الخلق رسولَه" (١) .

وممن أنكر بدعية الزيادة في الصلاة على رسول الله بقولهم: (وارحم محمداً) الإمام النووي رحمه الله: " وأما ما قاله بعض أصحابنا وابن أبي زيد المالكي من استحباب زيادة على ذلك وهي: (وارحم محمداً وآل محمد)، فهذا بدعة لا أصل لها، وقد بالغ الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه (شرح الترمذي) في إنكار ذلك (٢) وتخطئة ابن أبي زيد في ذلك

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي المالكي (٢/٨١٦) (نشر دار المعرفة، بيروت،تحقيق علي محمد البجاوي).

(٢) قال ابن علان في الفتوحات الربانية (٣/٣٢٨): " ووافقه - أي وافق ابنَ العربي في إنكاره- بعضُ الحنفية وانتصر لهم بعض المتأخرين ممن جمع بين الفقه والحديث فقال: ولا يحتج بالأحاديث الواردة في زيادتها فإنها كلها واهية جداً ؛ إذ لا يخلو سندها من كذاب متهم بالكذب ".

وتجهيل فاعله، قال لأن النبي ﷺ علّمنا كيفية الصلاة عليه ﷺ، فالزيادة على ذلك استقصار لقوله، واستدراك عليه ﷺ وبالله التوفيق"(١).

قال الشقيري رحمه الله معلقاً على كلام النووي: "فهذه زيادة خفيفة لا تساوي عشر معشار الزيادات التي زادوها وألفوا فيها ألوف المجلدات العديدة، ومع هذا فقد أنكروا عليها أشد إنكار، فكيف إذا رأوا ما حدث وعمّ وطمّ، وصارت السنة بجانبه نسياً منسياً، وشيئاً لا يُذكر إلا في بطون كتب السنن فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا عباد الله إن الزيادة على تعليم الرسول ﷺ بدعة ضلالة لا تُقرِّبكم من الله، بل تبعدكم عن دار كرامته ورضوانه ؛ لأنه سبحانه لا يُعبد إلا بما شرع لا بالمحدثات والبدع.

يا عباد الله: أتظنون أن ما ألّفه لكم شيوخكم من الصلاة والتسليم أفضل مما خرج من فم المعصوم ﷺ؟ لا شك إنه كذلك عندكم، وإلا فلماذا لا تصلون على النبي ﷺ بما ورد في الصحاح والسنن بل لا تعرفونه بالكلية؟

أَفَضّلْتُم مشايخكم على نبيكم الذي لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعه، ولو نزل موسى فاتبعتموه وتركتم نبيكم لضللتم "(٢)

---

(١) الأذكار ص ٩٨، وانظر: الفتوحات الربانية لابن علان (٣٢٧/٣)، والسنن والمبتدعات للشقيري ص٢٤٧.

(٢) السنن والمبتدعات للشقيري ص٢٤٧.

ومن أنكر بدع الأذكار ابن الجوزي رحمه الله فقد قال عند بيانه لتلبيس إبليس على الناس في الأذان والزيادة عليه: " ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجه عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء. ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ، ويجعلون الأذان وسطاً فيختلط، وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان... وكل ذلك من المنكرات" [1].

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله له باع طويل في إنكاره على أهل البدع بدعهم، وإنكاره على كثير من بدع الأذكار، وقرر أن الأذكار عبادة مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع.

فقد سُئل رحمه الله عمن يقول أنا أعتقد أن من أحدث شيئا من الأذكار غير ما شرعه رسول الله ﷺوصرح عنه أنه قد أساء وأخطأ إذ لو ارتضى أن يكون رسول الله ﷺنبيه وإمامه ودليله لاكتفى بما صح عنه من الأذكار فعدوله إلى رأيه واختراعه جهل وتزيين من الشيطان وخلاف للسنة إذ الرسول لم يترك خيرا إلا دلنا عليه وشرعه لنا و لم يدخر الله عنه خيرا بدليل إعطائه خير الدنيا والآخرة إذ هو أكرم الخلق على الله فهل الأمر كذلك أم لا؟

فأجاب: الحمد لله لا ريب إن الأذكار والدعوات من أفضل العبادات والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الهوى والابتداع

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٥٩.

فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنه لسان ولا يحيط به إنسان وما سواها من الأذكار قد يكون محرما وقد يكون مكروها وقد يكون فيه شرك مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهي جملة يطول تفصيلها، وليس لأحد أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحيانا من غير أن يجعله للناس سنة فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرما لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب؟

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية **ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد** "[١] .

وقال رحمه الله أيضاً في إنكاره على من يترك الأذكار النبوية ويتخذ أوراداً غير مأثورة عن النبي ﷺ: "ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ وإن كان حزبا لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥١٠-٥١١).

النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم وإمام الخلق وحجة الله على عباده والله أعلم"[١].

أما إنكاره رحمه الله على من ابتدع من الأذكار كبدعة الذكر بالاسم المفرد والمضمر وغيرها من البدع المتعلقة بالذِّكر فشيء كثير[٢]. وسيأتي كلامه في المباحث اللاحقة بإذن الله تعالى.

وابن القيم رحمه الله قال في بيانه بطلان الأذكار التي تقال على أعضاء الوضوء:" وأحاديث الذكر على أعضـــاء الوضوء كلها باطل ليس فيها شيء يصح"[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله في إنكاره الزيادة في صفة التسمية عند أكل الطعام: "وأما قول النووي في أدب الأكل من الأذكار: (صفة التسمية من أهم ما ينبغي معرفته والأفضل أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم فإن قال: بسم الله كفاه وحصلت السُنة)[٤]، فلم أرَ لما ادعاه من الأفضلية دليلا خاصاً وأما ما ذكره الغزالي في آداب الأكل من الإحياء: أنه لو قال في كل لقمة بسم الله كان حسناً وأنه يستحب أن

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢٥).

(٢) انظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦ -٢٢٨) الرد على المنطقيين (١/٣٥ -٣٦).

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص١٢٠ (ط٢/١٤٠٣هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة).

(٤) الأذكار للنووي ص ١٩٧.

يقول مع الأولى: بسم الله، ومع الثانية: بسم الله الرحمن، ومـــع الثـــالثة بسم الله الرحمن الرحيم، فلم أرَ لاستحباب ذلك دليلاً والتكرار قد بين هو وجهة قوله حتى لا يشغله الأكل عن ذكر الله "[١].

قال الشقيري بخصوص هذه المسألة: "ولا يسمي عند كل لقمة، ولا يقول بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لأنه لم يرد، وإنما ورد بسم الله، وينبغي أن لا يفعل ما قاله بعضهم: أنه يقول في أول لقمة: بسم الله، وفي الثانية: بسم الله الرحمن، وفي الثالثة: بسم الله الرحمن الرحيم..." [٢] .

والشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله له جهد طيب في إنكاره البدع المتعلقة بالأذكار وذلك في كتابه " إصلاح المساجد من البدع والعوائد " فقد قال في بيانه للبدع الملحقة بالأذان:

" قال في شرح العمدة من كتب الحنابلة: يكره قول المؤذن قبل الأذان: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾[٣] الآية، وكذلك إن وصله بعد بذكر لأنه محدث، ويكره قوله قبل الإقامة: " اللهم صل على محمد "، ونحو ذلك من المحدثات وفي الإقناع[٤] .

---

(١) فتح الباري (٩/٥٢١).

(٢) السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢٨٧.

(٣) سورة الإسراء الآية: ١١١.

(٤) الإقناع لطالب الانتفاع لموسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ص١٢٠و١٢٢ (ط٢/ ١٤١٩هـ توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية، تحقيق عبد الله التركي.

وشرحه من كتبهم أيضاً: وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد ورفع الصوت بالدعاء ونحو ذلك في المآذن فليس بمسنون، وما أحد من العلماء قال أنه يستحب بل هو من جملة البدع المكروهة ؛ لأنه لم يكن في عهده ﷺ ولا عهد أصحابه وليس له أصل فيما كان على عهدهم يُرَدّ إليه فليس لأحد أن يأمر به ولا ينكر على من تركه ولا يعلق استحقاق الرزق به لأنه إعانة على بدعة....إلى أن قال: وقال الإمام ابن حجر في فتاويه: قد أحدث المؤذنون الصلاةَ والسلام على رسول الله ﷺ عقب الأذان ثم ساق تاريخ حدوث ذلك، وذكر بعد ذلك أن الكيفية التي يفعلونها بدعة " [١] .

وقال جمال الدين القاسمي رحمه الله أيضاً في مناقشته من زاد لفظة (سيدنا) في ألفاظ إقامة الصلاة والرد عليه: " فقلت يا أخي إن ألفاظ الأذانين مأثورة متعبد بها رويت بالتواتر خلفاً عن سلف في كتب الحديث الصحاح والحسان والمسانيد والمعاجم ولم يروِ أحدٌ قط استحباب هذه الزيادة عن صحابي ولا تابعي بل ولا فقيه من فقهاء الأئمة ولا أتباعهم وهذه كتبهم بين أيديكم وأنتم تقلدونهم ولا تخالفونهم فما هذا الابتداع وليس تعظيمه صلوات الله عليه بزيادة ألفاظ في عبارات مشروعة لم يسنها ولم يستحبها خلفاؤه الراشدون مما يرضاه صلوات الله عليه، لأن لكل مقام مقالاً على أنه ثبت أنه نهى من خاطبه بقوله يا سيدنا وابن

---

(١) إصلاح المساجد ص١٣٤.

سيدنا....إلى أن قال: وبالجملة فالاتباع خير من الابتداع، والأعجب أن بعض المتفقهة يقول: إن في ذلك تعظيماً له ﷺ فالأحسن ذكره، فلو قلنا له: هل أنت معظم له أكثر أو أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وأبو محذورة وابن أم مكتوم وأضرابهم، فبالضرورة يقول: هم، فنقول له: هؤلاء خلفاؤه الراشدون والبقية مؤذنوه، وقد روى صيغة أذانهم من لا يحصى من حفاظ السنة فأوْجدنا عن أحد لفظ (سيدنا) فإن لم توجد ولن توجد فلا جرم أنك لم تفهم معنى تعظيمه ﷺ، وإن تعظيمه إنما هو باتباع ما سنّه وطلبه بلا زيادة ولا نقصان، لا بالتطرف والانحراف عن سنته وإحداث ألقاب كان نهى عنها لكون الأعاجم كانوا يرغبون فيها ويؤلهون بها رؤساءهم فنعوذ بالله من الجهل بالهدي النبوي ومن عدم الفقه في الدين" [١] .

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: " فيجب على كل ذاكر سواء كان (رفاعياً أو أحمدياً أو بيومياً أو حفناوياً أو شاذلياً أو بكرياً أو عفيفياً أوبرهامياً) [٢] أو غير ذلك من الطرق أن لا يخرج عما ورد عن رسول الله ﷺ ووضحه أئمة المسلمين وإلا فلا يلومنّ إلا نفسه " [٣] .

---

(١) إصلاح المساجد ص ١٣٩.

(٢) هذه أسماء طرق ما أنزل الله بها من سلطان وإن الطريق الموصلة إلى الله تعالى هي طريقة الرسول ﷺ وما كان عليه صحابته الكرام ﷺ، وغيرها من الطرق هي طرق ضلالة.

(٣) الإبداع في مضار الابتداع ص ٢٩٣.

وكذلك الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله هو ممن أنكر البدع المتعلقة بالأذكار وأكد ضرورة اتباع السنة فيها وأنها توقيفية وذلك في كتابه: " تصحيح الدعاء " ومما قاله: " كل ذكر أو دعاء مقيد بحال أو زمان أو مكان فإنه يؤتى به على الوجه الذي ورد في زمانه، أو حاله، أو مكانه، وفي لفظه، وفي هيئة الداعي به من غير زيادة أو نقصان، أو تبديل كلمة بأخرى "[١].

وأكتفي بهذه الأقوال عن أهل العلم والله أعلم.

فهذه أقوال العلماء رحمهم الله وغيرها مما لم أذكر كثير كلها تدل على حرصهم على إنكار البدع، وذبهم عن دين الله، من أن يُزاد فيه أو ينقص منه، وهكذا ينبغي على كل مسلم أن ينكر كل ما يراه من المحدثات إما بيده إن استطاع أو بلسانه أو بقلبه وذلك أدنى الإيمان والله وحده الموفق.



---

(١) تصحيح الدعاء ص٤٢.

المبحث الثاني:

في أنواع الأذكار المبتدعة

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب

تمهيـــد:

لقد تضمنت الأذكار النبوية صفاء التوحيد وبركة الاتباع، ونقاوة اللغة ووضوح المعاني ودلالاتها العميقة المؤثرة في النفوس، وكثرة الفوائد والمنافع والعوائد، وتضمنت حقائق الإيمان وحلاوته، وتضمنت السلامة والأمن من الزيغ والضلال ومن الانحرافات العقدية، كما أنها تضمنت نفي الشريك عن الله تعالى سواء في ربوبيته أو في ألوهيته أو في أسمائه وصفاته، وتضمنت البراءة من المشركين، وموالاة الإسلام والمسلمين وتعزيز الانتماء إليهم وتمكين الرابطة والصلة بهم، وتضمنت الإخلاصَ والتوكلَ على الله والاستعانةَ به، كما تضمنت آدابُ الأذكار الخشوعَ والسكينةَ والطمأنينةَ وحسنَ التوجه إلى الله تعالى.

وكل ذلك لكونها نبعت وصدرت من الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، بأبي وأمي هو ﷺ.

بخلاف ما تضمنته الأذكار والأوراد التي ابتدعها أناس لا همّ لهم

ولا علاقة لهم بالتوحيد ولا اتباع السنة، فإنها مملوءة ومحشوة بأنواع من الشركيات والبدع والمنكرات، والبعد كل البعد عن المسنونات، مع غموض ألفاظها وركاكة معانيها، والشطط والزلل والانحراف في طيات تراكيبها ومبانيها. وعدم الخشوع والطمأنينة والإنابة والاستكانة لله وعدم الإخلاص لله.

فيا سبحان الله بالرغم مما تضمنته الأذكار الشرعية من أمور جليلة وطيبة إلا أن بعض الناس من المبتدعة ومن تمسك بأذيالهم نبذوها وراء ظهورهم واستبدلوها بأورادهم الخالية من بعض الأوصاف التي تضمنتها الأذكار الشرعية، فكانوا من الذين استبدلوا الطيب بالخبيث، والذي هو أدنى بالذي هو خير فأُهبطوا ونزلوا عن مصافّ ودرجات المؤمنين الخُلّص المتبعين للسنة والمعتصمين بها.

وهذه الأذكار غير الشرعية المبتدعة إما أن تكون محتوية على الشرك الذي هو أكبر الكبائر أو تكون غير ذلك لكنها في أصلها غير مأثورة وتكون محتوية على بدعة بوصفها أو هيئتها أو مقترنة بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء وسالكها على سبيل أمان وسلامة والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان ولا يحيط بها إنسان، **وما سواها من الأذكار** قد يكون محرماً، وقد يكون مكروهاً وقد يكون فيه شركٌ مما لا يهتدي إليه أكثر الناس وهى جملة يطول تفصيلها"[1].

(١) مجموع الفتاوى (٥١١/٢٢).

وسأتكلم في المطالب التالية عن بعض أنواع الذكر غير الشرعي: وهي الأذكار التي احتوت على الشرك، والأذكار التي جعلها أصحابها راتبة وهي غير كذلك، والأذكار التي تقال بصورة جماعية:



المطلب الأول

الذكر الشركي

إن أكبر الذنوب وأعظمها عند الله تعالى هو ما يضاد التوحيد الذي جاءت به الرسل وهو: الشرك بالله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يُشرك به، ويغفر ما دون ذلك من الذنوب لمن يشاء.

فمعرفة الشرك أمر ضروري وذلك ليبتعد المرء عنه ويجتنب سبله المـــوصلة إليه،وبالتالي يتضح له التوحيد أكثر فأكثر؛ إذ إن الأمر يزداد وضوحاً إذا عُرف ضده.

فما هو الشرك وما هي حقيقته؟

الشرك لغة: ذكر ابن فارس رحمه الله أن مادة (شرك) (الشين والراء والكاف) لها أصلان:

أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، **والآخر**: يدل على امتداد واستقامة .

فالأول: الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلاناً في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً إذا جعلته شريكاً لك، قال الله جل ثناؤه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة طه الآية: ٣٢.

وأما الأصل الآخر: فالشرك لَقَم الطريق وهو شراكه أيضاً،وشراك النعل مشبهة بهذا ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده"(١).

وقال الأزهري رحمه الله: الشرك بمعنى الشريك وهو بمعنى النصيب وجمعه أشراك"(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: "شرك: الشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً، عيناً كان ذلك الشيء أو معنى، كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية ومشاركة فرس وفرس في الكُمْتَة والدهمة، يقال: شركته وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا " (٣).

وأما معناه في الاصطلاح: فهو ضد توحيد الله وهو أن يتخذ العبد شريكاً أو نداً مع الله في عبادته ومحبته وتعظيمه أو فيما يتعلق بملكه وتدبيره وتصرفه أو بما يتعلق فيما أخبر عنه من صفات جلاله وكماله.

والشرك على نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر

فأما الأول وهو الشرك الأكبر:

"فهو أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله أو يرجوه أو يخافه فهذا مخرج من الدين وصاحبه مخلد في النار،

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/٣) مادة شرك.

(٢) تهذيب اللغة: (١٧/١٠).

(٣) المفردات ص ٢٥٩، وانظر لسان العرب (٤٤٨/١٠).

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وأما الثاني وهو الشرك الأصغر:

فهو عبارة عن الوسائل والطرق المفضية إلى الشرك إذا لم تبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله والرياء ونحو ذلك[2].

كما ينقسم الشرك باعتبار أنواع التوحيد الثلاثة إلى ثلاثة أقسام:

١- الشرك في توحيد الربوبية كشرك فرعون والمجوس وعبّاد الكواكب.

٢- الشرك في توحيد الألوهية كشرك مشركي مكة عند بعثة الرسول ﷺ الذين عبدوا الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، وكشرك القبوريين الذين يعبدون أصحاب القبور ويتقربون إليهم بالنذور والقرابين ويستغيثون بهم ويسألونهم قضاء حوائجهم ويحلفون ويقسمون بهم.

٣- الشرك في توحيد الأسماء والصفات: كمن يشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ويخالفون قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ

---

(١) سورة المائدة بعض من الآية: ٧٢.

(٢) انظر: سؤال وجواب في أهم المهمات ص٦٥ ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي مجلد العقيدة الإسلامية، وانظر مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز (٢/٢٥ -٢٩)، و مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٧/١١٥).

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١].

وكمن يلحد في أسماء الله ويشتق منها أسماء لآلهته الباطلة كاشتقاق اللات والعزى من اسم الله والعزيز.

إذا عُلم هذا ففي نظرة تأمل وتدبر للأذكار الشرعية ومقارنتها بالأذكار غير الشرعية تجد البون الواسع والفرق الشاسع بينهما إذ إن الأذكار الشرعية وكما أسلفت متضمنة للتوحيد الخالص، ونفي ما يضاده من الشرك والبراءة من المشركين.

فقد ورد في أحاديث الأذكار ما يجعل الذاكر مبغضاً للشرك بريئاً منه نافراً عنه بريئاً من المشركين جميعهم، موحداً لربه مخلصاً له دينه ولو كره الكافرون ، مقراً أن الله واحد لا شريك له، وبالتالي يكون محققاً لتوحيد الله الذي هو حق الله على العبيد، **وإليك بعض الأمثلة الدالة على ذلك:**

١ــ ما ورد من الذكر بعد الفراغ من الوضوء ففي الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء** » [٢] .

---

(١) سورة الشورى الآية:١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء (٢٠٩/١)ح ٢٣٤.

٢- وفي استفتاح الصلاة يقول المصلي: « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض **حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين**، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، **لا شريك له**، وبذلك أمرت وأنا **من المسلمين** » [(١)] .

٣- وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» [(٢)].

٤- وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: « **من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(٣)].

٥- وقال رسول الله ﷺ: « **من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله**

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٨.

(٢) سبق تخريجه ص٤١٧.

(٣) سبق تخريجه ص ٤١٨.

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا غفر الله ذنوبه »[١].

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه »[٢].

٧- وقال النبي ﷺ: **«من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر و لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»**[٣].

٨- وفي تلبية الحاج: « لبيك اللهم لبيك، لبيك **لا شريك لك** لبيك ».

فهذه نماذج من الأذكار النبوية وغيرها كثير جداً، وكذلك عموم ما ورد ضمن الأذكار من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل كلها تتضمن الثناء على الله بوحدانيته وتتريهه عن الشريك، وكذلك ما سبق معنا من

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٦٩.

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٥.

(٣) سبق تخريجه ص ٤٨٧.

آداب الذكر: الأدب المهم جداً هو الإخلاص فيه، وطلب العون من الله وحده على الذكر امتثالاً لوصية الرسول ﷺ إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث أعلمه بأنه يحبه وأوصاه بأن يقول دبر كل صلاة: « **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1].

فاستمداد العون على الإتيان بالذكر لا يكون إلا من الله وحده، لا من شيخ ولا من ميت ولا من نبي و لا من رسول.

وبالنظر إلى هذه النماذج كلها من الأذكار الشرعية نلحظ اشتمالها على الإقرار بتوحيد الله تعالى، وإفراده بالألوهية والربوبية والملك والحمد والإقرار بأنه على كل شيء قدير، وتخصيصه بالعبودية بإسلام الوجه له وحده سبحانه، ونفي الشريك عنه سبحانه وتعالى بأي وجه من الوجوه، وفيها البراءة من الشرك ومن المشركين وموالاة المسلمين... إلى غير ذلك.

ثم لننظر نظرة أخرى في الجانب المقابل ونلقي الضوء على ما ابتدعه الذين لم يرضوا بما ورد عن رسول الله ﷺ من الأذكار فابتدعوا أذكاراً وأوراداً من تلقاء أنفسهم أو مما أوحت لهم شياطينهم، أقل أحوالها أنها بدعة، ومنها ما هو شرك صريح.

وقبل البدء بذكر نماذج من الأذكار البدعية الشركية أقول أولاً: إن للمشركين الأوائل قبل الإسلام قصب السبق في الأذكار الشركية

---

(١) سبق تخريجه ص٩١.

وترويجها بين الناس فتجد كل قبيلة لها ذكر شركي يختلف عن أختها، ويظهر ذلك جلياً في أذكار الحج التي من المفروض أن تكون فيها إظهار شعار التوحيد والملة الحنيفية، إلا أنهم حرفوا وبدّلوا ووقعوا في الشرك الواضح الجلي الذي لا يخفى، فجعلوا لله شريكاً في تلبياتهم وإهلالهم للحج.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً الذكر غير المشروع والمنهي عنه:" ومن المنهي عنه ما كانوا يقولونه في الجاهلية في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، ومثل قول بعض الأعراب للنبي ﷺ: إنا نستشفع بالله عليك، فقال النبي ﷺ: « **شأن الله أعظم من ذلك إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه** »" [١] .

والنصارى كذلك أذكارهم محتوية على الشرك كذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله: "لكنِ المشركون لم يكن لهم ثناء مشروع يثنون به على الله حتى تلبيتهم كانوا يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وكذلك النصارى ثناؤهم فيه الشرك وأما اليهود فليس في عبادتهم ثناء اللهم إلا ما يكون مأثورا عن الأنبياء وذلك من ثناء أهل الإيمان وكذلك النصارى إن كان عندهم شيء من ذلك"[٢].

إذاً فجميع من أتى من المبتدعة بالأذكار البدعية الشركية له شبه بهؤلاء الكفار من مشركي العرب والنصارى، فليحذر المسلم من ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٤-٥٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٣٨٣).

فإن من تشبه بقوم فهو منهم.

أما الآن فسأذكر بعض النماذج من الأذكار المحتوية على الشرك فمن ذلك:

الاستعانة بغير الله: قد سبق معنا عند الكلام على الانحرافات العقدية في الأذكار غير الشرعية[1] أن غالب الفرق الصوفية تجعل ضمن آداب أذكارها المبتدعة أدباً يشتمل على الشرك الواضح وهو: أن يستمد الذاكر بقلبه عند شروعه في الذكر همة شيخه ويستحضره ويحضر صورة شيخه في قلبه ويلاحظه ليكون رفيقه في السير إلى الله تعالى، ويطلب العون منه للقيام بالذكر، وهذا من أهم الآداب، ولو نادى المريد عندهم شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الاحتياج جاز، فالذاكر إذا تصور واستمد من ولايته تفيض الإمدادات من الحضرة الإلهية على سيد المرسلين ﷺ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين ﷺ على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه، ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعماله الآلة أي الذكر[2]، وطلب المدد والعون من الشيخ عند الابتداء بالذكر ليس هو فقط عند التيجانية بل عند أغلب الطرق الصوفية فتجده عند التيجانية والرفاعية والنقشبندية وغيرهم

والاستعانة بغير الله تعالى شرك إلا من الحي فيما يقدر عليه فعله وهذا ظاهر دلت عليه نصوص الشريعة.

---

(١) انظر ص١٠١١ من هذا البحث.

(٢) انظر رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للفوتي التيجاني (٢/٣٩٧).

ومما هو منتشر بين بعض الناس من الصلاة على رسول الله ﷺ مما فيه شرك قولهم " اللهم صل على محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وصفائها... إلخ.

وقولهم: "اللهم صل على الحبيب المحبوب مشفي العلل ومفرج الكروب"(١)، فهذا فيه شرك بالله واعتقاد أن غير الله بيده الشفاء وبيده تفريج الكروب وهذا منكر عظيم وغلو في الرسول الكريم ﷺ، لا يجوز النطق به (٢)، فالشفاء بيد الله وحده، وهو وحده سبحانه يفرج الكروب ويزيل الهموم.

وقال بعض المتصوفة في صلاته على النبي ﷺ: " اللهم صلّ وسلّم وبارك على طلعة الذات المطلسم، والغيث المطمطم، لاهوت الجمال، وناسوت الوصال، وطلعة الحق هوية إنسان الأزل في نشر من لم يزل، من أقمت به نواسيت الفرق إلى طريق الحق فصلّ اللهم به منه فيه"(٣)

فيظهر الشرك من خلال قوله: (لاهوت الجمال وناسوت الوصال) وذلك بالنظرة الثنائية للرسول ﷺ بأن ظاهره البشرية وأنه إنسان وباطنه

---

(١) انظر السنن والمبتدعات للشقيري ص ٢١٩، وانظر تصحيح الدعاء لبكر أبو زيد ص ٣٢٣.

(٢) انظر معجم البدع لابن أبي علفة ص٢٦١ - ٢٦٢ فقد ذكر صلوات مبتدعة فيها غلو بالرسول ﷺ.

(٣) مجموع الأحزاب الصوفية ص ١٥ نقلاً من كتاب التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ١٦٦.

الألوهية، فجعلوه جزءاً من الله تعالى الله عما يقولون، وهم بذلك شابهوا النصارى في قولهم في عيسى عليه السلام حيث اعتقدوا به بحلول اللاهوت في الناسوت فوقعوا في الشرك حيث اعتقدوا بألوهية عيسى، وهذا منافٍ للحنيفية السمحة التي تدعو إلى توحيد الله بالألوهية وأنه واحد لا شريك له.

ويؤكد ما قلناه من أنهم يجعلون الرسول ﷺ شريكاً لله وأن الله حلّ فيه والعياذ بالله قول بعضهم في صلاته على النبي ﷺ المبتدعة:

" اللهم صلّ على محمد الذي تجسد فيه الله، اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات"(١).

فهذه الصلاة فيها الكفر والشرك بالله حيث اعتقد قائلها أن الله متجسد في رسول الله وبالتالي جوزوا لأنفسهم أن يستغيثوا برسول الله ويستعينوا به ويدعونه لقضاء حوائجهم وكشف كربهم وتكفير خطاياهم...إلى غير ذلك من العبادات التي صرفوها إلى رسول الله والتي ينبغي ألا تصرف إلا لله وحده لا شريك له، والتي جاهد رسول الله ﷺ الكفار جهاداً عظيماً من أجل أن يصرفوا عباداتهم كلها لله وحده لا لنبي ولا لصنم ولا لوثن.

وقوله في هذه الصلاة: (اللهم صل على نفسك التي ظهرت وتظهر في صور الكائنات) هذا القول كفر لأن فيه جميع المخلوقات والكائنات

(١) المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الإلهية، نقلاً عن التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ١٦٦.

هي آلهة، وهو أشد من كفر من اتخذ إلهين اثنين وإن كان كل ذلك كفر، فالكفر دركات، كما أن الإيمان مراتب ودرجات، فجعلوا كل ما في الكون من شيء إلهاً، فكل شيء بنظرهم شريك لله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فهذا شرك بالله في ربوبيته وفي ألوهيته.

ومن الشرك الواقع في الأذكار المبتدعة قول بعضهم في صلاته على النبي ﷺ: " اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أستاذ كل أستاذ، وصلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ملاذ كل ملاذ"[(١)].

ففي هذه الصلاة المزعومة شيءٌ لا يقره الشرع، بل يمقته مقتاً شديداً ألا وهو الشرك الظاهر في قوله واصفاً الرسول ﷺ بأنه (ملاذ كل ملاذ)، وذلك لأن الملاذ الوحيد والملجأ الذي يُلجأ إليه عند الكربات والشدائد، وفي اليسر والعسر هو الله سبحانه وحده لا شريك له، فلا ملجأ ولا منجى منه سبحانه إلا إليه، أما غيره سبحانه وتعالى فلا يلتجأ إليه ولا يلاذ به لأن كل مخلوق لا يملك لنفسه أي شيء فلا يملك نفعاً ولا ضراً، ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً، فمن باب أولى أن لا يملك لغيره كشف الضر أو تحويله.

وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ

---

(١) مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ص ٤٢، بواسطة مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (١١٤٦/٣).

لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾(١).

ـــ ومن أحزابهم وأورادهم المبتدعة التي تحتوي على الشرك ما يسميه بعضهم بالحزب الكبير وفيه: " اللهم إني أسألك بالحقوق الأزلية والنعوت الإلهية... والأجسام السماوية والملائكة العرشية والأملاك الدائرة النورانية " (٢).

فهذا الحزب يحتوي على اعتداء في سؤال الرب سبحانه وتعالى وذلك بالتوسل إليه بالأجسام والملائكة والأفلاك وهذا توسل غير مشروع، والتوسل المشروع بأن يتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى أو بباقي أنواع التوسلات المشروعة.

ـــ ومن الشرك في أسماء الله الحسنى الإلحاد بها وتسميته سبحانه بما لم يسم به نفسه أو يسميه رسوله ﷺ فمن ذلك ما قاله الفوتي: " فلا حرج على الذاكر ما دام مسلوب الاختيار، يستعمله كيف شاء على أنواع مختلفة كلها محمودة صاحبها مشكور عليها فكلها أسرار فربما يجري على لسانه: الله الله الله، أو هوهو هو، أو لا لا لا لا لا لا لا لا أو آ آ (بالمد) أو أأأأأأأ (بالقصر) أو، آه آه آه آه آه آه، أو ها ها ها ها ها ها أو ه ه ه " (٣).

---

(١) سورة يونس الآية: ١٠٧.

(٢) قلادة الجواهر للصيادي ص٢٥٦، بواسطة كتاب الرفاعية لدمشقية ص١٩٦.

(٣) رماح حزب الرحيم (١٦٨/١).

ـــ وكذلك قول بعضهم: "يا أزلي ياديمومي يا دهري ياقيومي"[(١)] فهذه ليست من أسماء الله تعالى، ومعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية لا يزاد عليها والزيادة عليها إلحاد فيها.

ـــ ومن ذلك ما يسمونه بالحزب الصغير وفيه: " اللهم إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك وبأنواع أجناس أنفاس رقوم نقوش أنوارك... وبعزيز أعزاز أعز عزتك، وبحول طول جول شديد قوتك...وبلوامع بوارق صواعق صحيح وهيج هيج وهيج نور ذاتك..." [(٢)].

فهذا الذكر يحتوي على وصف الله بما لم يرد فيكون من الإلحاد في أسماء الله .

ـــ ومن أذكارهم قولهم ليس إلا الله، أو لا هو إلا هو، وهو هو هو، التي معتقد أصحابها الحلول والاتحاد، وبالتالي الوقوع في الشـــرك، واعتقاد أن كل ما عُبد من دون الله هو إله حق، فالمشركون عندهم على الحق فشركهم كان أشد وأعظم من المشركين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ويقولون في أذكارهم: ليس إلا الله بدل قول المسلمين لا إله إلا الله لأن معتقدهم أنه وجود كل موجود فلا موجود إلا هو، والمسلمون يعلمون أن الله خالق كل شيء

---

(١) انظر معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص٥٧٣-٥٧٤، وتصحيح الدعاءله أيضاً ص ٣٣١.

(٢) قلادة الجواهر للصيادي ص٢٥٨، نقلاً عن الرفاعية للدمشقية ص ١٩٧-١٩٨.

وربه ومليكه وأنه ليس هو المخلوقات ولا جزءا منها ولا صفة لها بل هو بائن عنها ويقولون أنه هو الإله الذي يستحق العبادة دون ما سواه"[١].

ويقول أيضاً في موضع آخر: " ومن كلماهم: "ليس إلا الله" فعبّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم لأنه ما عندهم له غير ولهذا جعلوا قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[٢] بمعنى قدر ربك أن لا تعبدوا إلا إياه إذ ليس عندهم غير له تتصور عبادته فكل عابد صنم إنما عبد الله " [٣].

كما أن بعض أورادهم وأحزاهم تشتمل على التوسل المبتدع فمن ذلك قول بعضهم: " اللهم إني أسألك بجاه محمد المصطفى، وإبراهيم الذي وفى، وبحرمة كل رسول ونبي، وصديق وولي، وشهيد وصالح وتقي" [٤].

وآخر: "أسألك بحرمة الأستاذ بل بحرمة النبي الهادي ﷺ، وبحرمة الاثنين، والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية، وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك ﷺ"[٥].

ولا يقول قائل أن هذه أدعية لأن الدعاء والذكر يترادفان

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٥٩٥).

(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٣.

(٣) مجموع الفتاوى (٢/١٢٤).

(٤) أبو الحسن الشاذلي ص ١٧٥، تأليف د/عبد الحليم محمود،(ط/دار التراث العربي).

(٥) أبو الحسن الشاذلي ص ١٦٥.

ويتلازمان وكذلك في كثير من الأحيان يمتزجان فتجد الذكر مقدماً ثم يأتي الدعاء، وأوراد هؤلاء الصوفية وأحزابهم ممزوجة كذلك بهما.

وغير ما ذكرت من أذكارهم المبتدعة المملوءة بالشرك أو مقدماته شيء كثير، وإنما هذه بعض النماذج تدل على سواها.

فعند المقارنة بما هو عليه حال الأذكار الشرعية من كون صبغتها العامة مصبوغة بتوحيد الله بأنواعه الثلاثة، وبما هو عليه الحال في الأذكار المبتدعة وصبغتها الغالبة بالشرك ووسائله، تتضح لنا ضرورة التمسك بالأذكار المأثورة عن النبي ﷺ وأنها وحدها كافية وفيها الغنية عما سواها من الأذكار وهي تكفي للحصول على أسمى المطالب وأزكى وأنفس وأعلى المراتب.

المطـــلب الثـــاني

الذكر الراتب

إن الشارع الحكيم رتب للأمة أنواعاً من الأذكار منها المقيد بحال أو وصف أو زمان أو مكان، ومنها المطلق، وهذه الأذكار كما أسلفنا وقلنا: توقيفية، فلا يجوز لأي أحد كائن من كان أن يطلق ما جعله الشرع مطلقاً أو يقيد ما أطلقه الشرع بوصف أو حال أو زمن أو مكان أو عدد معين، فينبغي مراعاة الأذكار الراتبة التي رتبها الشارع الحكيم والالتزام بها، والمداومة عليها والتمسك بها، وما سوى ذلك من الأذكار التي وضعها الناس وجعلوها راتبة في وقت معين وفي عدد محدود وفي وصف وهيئة مبتدعة لا يجوز العمل بها، لأن ترتيب عمل لم يرتبه الشارع أمر مبتدع، ومع هذا فقد ترك الناس المشروع من الأذكار وأخذوا بالمبتدع وذلك بتزيين وتلبيس من مشايخ الضلال، فهؤلاء المشايخ من أجل أن يجعلوا أورادهم وأحزابهم تروج بين الناس وتصبح راتبة لازمة عليهم رتبوا عليها أجوراً وفضائل كثيرة وثواباً عظيماً لا يُتصور وقد مرّ ذكر بعض غلوهم في فضائل أذكارهم.

وإنما قلنا: إن هذا الأمر مبتدع لا لأن الذكر بالأصل بدعة بل الذكر هو من أفضل العبادات، لكن ما أُلحق بالذكر، هو البدعة حيث جعلوا ما ليس براتب من الأذكار راتباً، وابتدعوا أذكاراً وجعلوها راتبة

مقيدة بوقت خاص، وكيفية معينة ومكان خاص، فجعلوا لكل يوم من أيام الأسبوع ورداً وذكراً محدداً، لا يجوز أن يُذكر في يوم غيره، وجعلوا بين كل وقتين من أوقات الصلوات أذكاراً لا يجوز بزعمهم أن تقال في وقت غيره، بل ربما رتبوا على كل ساعة من الساعات من ليل أو نهار، في يوم أو أسبوع أو في شهر معين أو سنة ذكراً راتباً معيناً، لا يجوز أن تترك بزعمهم، وكذلك كل ما رتبوه في خلواتهم المبتدعة من أذكار فتجد بعضهم يتخذ ذكراً واحداً طيلة عشرين أو أربعين يوماً أو أكثر لا يتجاوزه إلى غيره أبداً .

مثل ما قاله الفوتي في بيانه لخلوات الطريقة التيجانية: "خلوة الياقوتة الفريدة، وخلوتها عشرون يوماً، تتلى كل يوم في الخلوة ألفي مرة، وهذا العدد لا بد منه، وبعد تمامه يقرؤها دواماً على حسب الطاقة "[(١)].

وهذه البدع من نوع البدعة الإضافية بمعنى أن أصلها بشكل عام وهو ذكر الله بالأذكار المأثورة مشروع، وأما ما أُضيف عليه فهو بدعة.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: " وأما البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان:

إحداهما: لها من الأدلة مُتَعلَّق، فلا تكون من تلك الجهة بدعة.

والأخرى: ليس لها متعلق إلا مثل ما للبدعة الحقيقية.

---

(١) رماح حزب الرحيم (٢/٤٩٠).

فلما كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلص إلى أحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي البدعة الإضافية، أي أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنة ؛ لأنها مستندة إلى دليل، وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل، أو غير مستندة إلى شيء.

والفرق بينهما من جهة المعنى: أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم، ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل أو الأوقات لم يقم معها دليل مع أنها محتاجة إليه ؛ لأن الغالب وقوعها في التعبُّديات لا في العاديات المحضة"[١].

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: " وأما من عمل عملاً أصله مشروع وقربة ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع أو أخلّ فيه بمشروع فهذا أيضاً مخالف للشريعة بقدر إخلاله بما أخل به أو إدخاله ما أدخل فيه.

...وإن كان قد زاد في العمل المشروع ما ليس بمشروع فزيادته مردودة عليه، بمعنى أنها لا تكون قربة ولا يثاب عليها"[٢] .

فمن اتخذ شيئاً من الأذكار غير المشروعة ولازمها على الدوام مدة طويلة فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله وقد ابتدع بدعة ضلالة، وهجر ما كان مسنوناً مشروعاً كقول التيجاني موصياً مريديه: " وليكن من جملة أورادكم التي تحافظون عليها بعد الورد هو لازم الطريقة: الحزب

(١) الاعتصام (٢/١٢٧-١٢٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٦٠.

السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق، فإنهما يغنيان عن جميع الأوراد "[١].

فانظر إلى ما رتّبه من ذكر مبتدع على مريديه، وانظر إلى زعمه بأنهما يغنيان عن جميع الأوراد، وهل هناك شيء يغني عن ما ورد عن المصطفى ﷺ من الأذكار؟ حاشا وكلا، ولكنه الجهل جعل صاحبه يستغني ببدعه من الأذكار عن المشروع الوارد عن الرسول ﷺ.

وكذلك من لازم ذكراً مشروعاً واحداً وجعله راتباً وداوم عليه وهجر ما دونه من الأذكار، مع أن الرسول ﷺ كان يفعله أحياناً ويتركه أحياناً ويفعل غيره، فلا ينبغي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يسن للناس نوعا من الأذكار والأدعية غير المسنون ويجعلها عبادة راتبة يواظب الناس عليها كما يواظبون على الصلوات الخمس بل هذا ابتداع دين لم يأذن الله به بخلاف ما يدعو به المرء أحياناً من غير أن يجعله للناس سنة فهذا إذا لم يعلم أنه يتضمن معنى محرماً لم يجز الجزم بتحريمه لكن قد يكون فيه ذلك والإنسان لا يشعر به وهذا كما أن الإنسان عند الضرورة يدعو بأدعية تفتح عليه ذلك الوقت فهذا وأمثاله قريب.

وأما اتخاذ ورد غير شرعي واستنان ذكر غير شرعي فهذا مما ينهى عنه ومع هذا ففي الأدعية الشرعية والأذكار الشرعية غاية المطالب الصحيحة ونهاية المقاصد العلية ولا يعدل عنها إلى غيرها من الأذكار

---

(١) جواهر المعاني (٢/١٦٤).

المحدثة المبتدعة إلا جاهل أو مفرط أو متعد"[١].

"فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكاً لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله" [٢].

وأُنبّه هنا إلى أمر مهم بأنه لا بد من التنويع في المواطن التي شُرع لها أكثر من ذكر بحيث لا يمكن الإتيان بها كلها كالاستفتاحات في الصلاة، وأنواع التشهدات والصلوات الإبراهيمية في الصلاة، وغير ذلك، ولا ينبغي المداومة على ذكر واحد وهجر باقي الأذكار بل يأتي بهذا تارة وبهذا تارة لأن المداومة على نوع قد يلحق بها أضرار، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لكن هنا مسألة تابعة وهو أنه مع التساوي أو الفضل أيما أفضل للإنسان المداومة على نوع واحد من ذلك أو أن يفعل هذا تارة وهذا تارة كما كان النبي ﷺ يفعل؟ فمن الناس من يداوم على نوع من ذلك مختاراً له، أو معتقداً أنه أفضل ويرى أن مداومته على ذلك النوع أفضل، وأما أكثرهم فمداومته عادة ومراعاة لعادة أصحابه وأهل طريقته لا لاعتقاد الفضل.

والصواب: أن يقال التنوع في ذلك متابعة للنبي ﷺ ؛ فإن في هذا اتباعا للسنة والجماعة، وإحياء لسنته، وجمعاً بين قلوب الأمة، وأخذاً بما

---

(١) مجموع الفتاوى (٥١١/٢٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٦٨، وانظر مجموع الفتاوى (١٩٥/٤).

في كل واحد من الخاصة، أفضل من المداومة على نوع معين لم يداوم عليه النبي ﷺ **لوجوه:**

أحدها: أن هذا هو اتباع السنة والشريعة فإن النبي ﷺإذا كان قد فعل هذا تارة وهذا تارة ولم يداوم على أحدهما كان موافقته في ذلك هو التأسي والاتباع المشروع وهو أن يفعل ما فعل على الوجه الذي فعل لأنه فعله.

الثاني: أن ذلك يوجب اجتماع قلوب الأمة وائتلافها وزوال كثرة التفرق والاختلاف والأهواء بينها وهذه مصلحة عظيمة ودفع مفسدة عظيمة ندب الكتاب والسنة إلى جلب هذه ودرء هذه قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾(٣).

الثالث: أن ذلك يخرج الجائز المسنون عن أن يشبه بالواجب فإن المداومة على المستحب أو الجائز مشبهة بالواجب ولهذا أكثر هؤلاء المداومين على بعض الأنواع الجائزة أو المستحبة لو انتقل عنه لنفر عنه قلبه

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥٩.

وقلب غيره أكثر مما ينفر عن ترك كثير من الواجبات لأجل العادة التي جعلت الجائز كالواجب.

الرابع: إن في ذلك تحصيل مصلحة كل واحد من تلك الأنواع فإن كل نوع لابد له من خاصة وان كان مرجوحا فكيف إذا كان مساوياً وقد قدمنا أن المرجوح يكون راجحاً في مواضع.

الخامس: أن في ذلك وضعاً لكثير من الآصار والأغلال التي وضعها الشيطان على الأمة بلا كتاب من الله ولا أثارة من علم، فإن مداومة الإنسان على أمر جائز مرجحاً له على غيره ترجيحاً يحب من يوافقه عليه ولا يحب من لم يوافقه عليه بل ربما ابغضه بحيث ينكر عليه تركه له ويكون ذلك سبباً لترك حقوق له وعليه يوجب أن ذلك يصير إصراً عليه لا يمكنه تركه وغلا في عنقه يمنعه أن يفعل بعض ما أمر به وقد يوقعه في بعض ما نهى عنه.

وهذا القدر الذي قد ذكرته واقع كثيرا فإن مبدأ المداومة على ذلك يورث اعتقادا ومحبة غير مشروعين ثم يخرج إلى المدح والذم والأمر والنهي بغير حق ثم يخرج ذلك إلى نوع من الموالاة والمعاداة غير المشروعين من جنس أخلاق الجاهلية كأخلاق الأوس والخزرج في الجاهلية...

السادس: أن في المداومة على نوع دون غيره هجراناً لبعض المشروع وذلك سبب لنسيانه والإعراض عنه حتى يعتقد أنه ليس من الدين، بحيث يصير في نفوس كثير من العامة أنه ليس من الدين وفي نفوس

خاصة هذه العامة عملهم مخالف علمهم فإن علماءهم يعلمون أنه من الدين ثم يتركون بيان ذلك إما خشية من الخلق وإما اشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً من الرئاسة والمال...

فإذا اتبع الرجل جميع المشروع المسنون واستعمل الأنواع المشروعة هذا تارة وهذا تارة كان قد حفظ السنة علماً وعملاً وزالت المفسدة المخوفة من ترك ذلك، ونكتة هذا الوجه: أنه وإن جاز الاقتصار على فعل نوع لكن حفظ النوع الآخر من الدين ليعلم أنه جائز مشروع وفي العمل به تارة حفظ للشريعة وترك ذلك قد يكون سبباً لإضاعته ونسيانه.

السابع: أن الله يأمر بالعدل والإحسان والعدل التسوية بين المتماثلين وحرم الظلم على نفسه وجعله محرماً بين عباده ومن أعظم العدل، العدل في الأمور الدينية فإن العدل في أمر الدنيا من الدماء والأموال كالقصاص والمواريث وإن كان واجبا وتركه ظلم فالعدل في أمر الدين أعظم منه وهو العدل بين شرائع الدين وبين أهله فإذا كان الشارع قد سوى بين عملين أو عاملين كان تفضيل أحدهما من الظلم العظيم وإذا فضل بينهما كانت التسوية كذلك والتفضيل أو التسوية بالظن وهوى النفوس من جنس دين الكفار فإن جميع أهل الملل والنحل يفضل أحدهم دينه إما ظنا وإما هوى إما اعتقادا و إما اقتصادا وهو سبب التمسك به وذم غيره.

فإذا كان رسول الله قد شرع تلك الأنواع إما بقوله وإما بعمله

وكثير منها لم يفضل بعضها على بعض: كانت التسوية بينها من العدل والتفضيل من الظلم" [١].

قلت: فإذا كانت المداومة على شيء مشروع من الأذكار وترك ما دونها من المشروع لها هذه الأضرار فما بالك في غير المشروع بأن يتخذ ذكراً راتباً لا يتركه مهما حلت الظروف، بل بعضهم لا يترك ورده الذي تعلمه من الشيخ بأي حال من الأحوال حتى يأذن له شيخه

ومن الأذكار الراتبة -وهي من الواقع المحسوس والمشاهد- ما يفعله كثير من الناس مما يشاهد في مناسك الحج و العمرة، حيث شاهدنا كثيراً من الناس يحملون كتيبات وضعها بعض الناس ليكسبوا من وراءها أموال الناس، تجد فيها تحديد أذكار كل شوط من الأشواط في الطواف والسعي وباقي أركان العمرة أو الحج مما لم يرد به نص عن الشارع الحكيم، فيلتزمون بما فيها في كل عمرة و حج دون النظر إلى ما فيها من صحة أو ضعف أو مشروع أو غير مشروع، بل بعضهم أعاجم لا يعرف ما يقرأ من الكتاب من الأدعية والأذكار، فهذا من البدع المحدثة

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "وأما ما أحدثه بعض الناس من تخصيص كل شوط من الطواف أو السعي بأذكار مخصوصة أو أدعية مخصوصة فلا أصل له، بل مهما تيسر من الذكر والدعاء كفى" [٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٤٧-٢٥٢)، وانظر منه (٢٢/٥١٣).

(٢) التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة ص ٤٤.

والخلاصة أنه قد ترتّب على الذكر الراتب الذي رتبه المبتدعة هجر الأذكار النبوية، مع الاستمرار بالوقوع في البدع والشركيات، وكذلك اعتقاد ما ليس بواجب واجباً وما ليس بمشروع مشروعاً، وكذلك الوقوع في الحرج وجلب المشقة فيما لا طائل وراءه إلى غير ذلك من الأضرار نسأل الله السلامة والعافية

وحتى يتخلص المسلم من هذه الأمور، فأمامه الطريق النبوي واضح فليسلكه فإن فيه النجاة والسلامة.



المطـــلب الثـــالث

الذكر الجماعي

المقصود بالذكر الجماعي: هو ترديد ذكر معين بصورة جماعية، سواء كان الذكر وارداً في الشرع أم كان غير وارد، وسواء كان جهرياً أم سرياً، وسواء كان من الجميع أم كان أحدهم يقوله والباقي يرددونه وراءه، أو يأمرهم بأن يسبحوا أو يحمدوا أو يكبروا ويهللوا كذا مرة، وسواء رافقته حركات وهيئات أخرى أم لم ترافقه، وإذا قُيد بما لم يقيده به الشارع الحكيم كأن يقيد بذكر في يوم محدد كيوم ولادته ﷺ أو في جمع من جموع الحفلات، أو المآتم أو نحوها كان الأمر أشد والبدعة أعظم، إذ إن الذكر بهذه الصور المذكورة ليست من هدي المصطفى ﷺ وما كان صحابته الكرام يجتمعون على ذكر الله بهذه الكيفية بل " كان الصحابة رضى الله عنهم يجتمعون أحياناً يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: يا أبا موسى ذكّرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون، وكان من الصحابة من يقول اجلسوا بنا نؤمن ســـاعة"[1] فيذكرون الله تعالى، فلم يكونوا يرددون القرآن ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢١) وانظر منه (١/٢٢١) وانظر ما نقل عن الصحابة في ذلك: مصنف ابن أبي شيبة (٦/١٧٠،١٦٤) وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٧٨٨).

الأذكار جماعة بصوت واحد.

بل قد ورد نهي بعضهم عن الأذكار الجماعية مثل ما مرّ معنا في قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[١] حيث أنكر على قوم يجتمعون على الذكر قد كوّموا أمامهم أكواماً من الحصى وعلى رأسهم أحدهم يقول لهم سبحوا مائة وكبروا مائة وهللوا مائة فإذا كان ابن مسعود رضي الله عنه قد أنكر هذه الكيفية من الذكر وهي الاجتماع على الذكر، فكيف لو رأى ابن مسعود رضي الله عنه ما ابتدعه أصحاب البدع في زماننا من البدع الملحقة بالذكر الجماعي وهي كثيرة جداً ومتلونة بألوان وأشكال تختلف من طريقة صوفية إلى أخرى، فلو رآها رضي الله عنه لأنكرها أيما إنكار ولشنّع على أصحابها.

وعلى منهج ابن مسعود رضي الله عنه سار غيره من السلف الصالح من الإنكار على المبتدعة والنهي عن الاجتماع للذكر بمثل هذه الصور المذكورة

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" وقد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون، وجاء عنهم النهيُ عن المساجد المُتَّخذة لذلك، وهي الرُّبط التي يشبِّهونها بالصفة "[٢].

---

(١) انظر: ص ١٠٦١-١٠٦٣ من هذه الرسالة.

(٢) الاعتصام ٩٣/٢ (ط/مشهور آل سلمان)، وانظر كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٢٤،٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٥.

وقد كره بعض الأئمة قراءة القرآن -وهو أفضل الذكر- جماعة بصوت واحد فكيف بما دونه من الأذكار، قال الشيخ علي محفوظ وهو يحكي بعض من أنكر ذلك من السلف: " ومن البدع قراءة القرآن جماعة المسماة عندهم: (بالقراءة الليثية)، وهي دائرة بين الحرمة والكراهة، فقد أنكرها الضحاك وقال: ما رأيت و لا سمعت ولا أدركت أحداً من الصحابة يفعلها.

وقال ابن وهب: قلت لمالك رحمه الله تعالى أرأيت القوم يجتمعون فيقرؤون جميعاً سورة واحدة حتى يختموها فأنكر ذلك و عابه، وقال: ليس هكذا كان يصنع الناس إنما كان يقرأ الرجل على الآخر يعرضه انتهى. وقد تؤدي هذه القراءة إلى تقطيع الحروف والآيات لانقطاع نَفَس أحدهم فيتنفس فيجد أصحابه قد سبقوه فيترك بقية الآية أو الكلمة ويلحقهم فيما هم فيه فيشاركهم تارة في ابتداء الآية وتارة في أثنائها، وبذلك يقرأ القرآن على غير ترتيبه الذي أنزل عليه، وفيه ما فيه من التخليط في كتاب الله تعالى، فقد تختلط آية رحمة بآية عذاب وآية أمر بآية نهي وآية وعد بآية وعيد إلى غير ذلك، أضف إلى هذا أنهم يتصنعون بحناجرهم أصواتاً مختلفة تقشعر منها جلود المؤمنين وتطرب لها نفوس الغافلين، وكل ذلك حرام بإجماع المسلمين "[1] .

وهكذا نجد كثيراً من العلماء ينكرون الأذكار التي تكون بصورة

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع ص ٢٧٥.

جماعية ويعدونها من البدع إلى يومنا هذا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام غير الاجتماعات المشروعة فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيدين والحج وذلك هو المبتدع المحدث.

ففرقٌ بين ما يُتخذ سنة وعادة فإن ذلك يضاهي المشروع.

وهذا الفرق هو المنصوص عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة"[١] .

وقد سُئلت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة عن ذكر الله بصفة جماعية بلسان واحد على حسب ما يفعله أصحاب الطرق؟

فأجابت: " ذكر الله بصفة جماعية وختمه بالحضرة وتلاوة كتاب الله بلسان واحد في المساجد وفي البيوت والحفلات والمآتم لا نعلم له أصلاً شرعياً يعتمد عليه لإثبات مشروعيته على هذه الصفة، والصحابة رضي الله عنهم هم أولى الناس باتباع الشرع ولم يعرف عنهم ذلك وكذلك بقية القرون المفضلة، والخير في اتباع هدي رسول الله ﷺ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[٢] .

وبما أنه لم يثبت في ذلك سنة عن رسول الله ﷺ ولم يعمله أحد من

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٠٤.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٤٣.

الصحابة فيما نعلم فيكون بدعة يتناوله الدليل السابق مردود على صاحبه"(١) .

وقالت اللجنة الدائمة أيضاً: " ولم يعرف عنه ﷺ أنه خصص أياماً وليالي من الأسبوع يجتمع فيها هو وأصحابه على ذكر الله تعالى جماعة باسم مفرد من أسمائه الحسنى قياماً أو قعوداً في حلقات أو صفوفاً يترنحون فيها ترنح السكارى ويتمايلون فيها تمايل الراقصين طرباً لوقع الأناشيد ونغمات المغنين ودقات الطبول والدفوف وأصوات المزامير، وبهذا يعلم أن ما يفعله الصوفية اليوم بدعة محدثة وضلالة ممقوتة " (٢)

وقال الشيخ بكر أبو زيد: " إن الذكر الجماعي بصوت واحد سراً أو جهراً، لترديد ذكر معين وارد، أو غير وارد، سواء كان من الكل، أو يتلقونه من أحدهم مع رفع الأيدي، أو بلا رفع لها، كل هذا وصف يحتاج إلى أصل شرعي يدل عليه من كتاب أو سنة ؛ لأنه داخل في عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الإحداث والاختراع ؛ لهذا نظرنا في الأدلة لذلك من الكتاب والسنة فلم نجد دليلاً يدل على هذه الهيئة المضافة، فتحقق أنه لا أصل لها في الشرع المطهر، وما لا أصل له في الشرع فهو بدعة، إذاً فيكون الذكر والدعاء الجماعي بدعة، يجب على كل مسلم مقتدٍ برسول الله ﷺ تركها والحذر منها، وأن يلتزم بالشرع...

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/٥٢٠-٥٢١) (جمع وترتيب للشيخ أحمد الدويش، ط٣/١٤١٩هـ، دار العاصمة، الرياض)

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٢٧٩-٢٨٠).

إلى أن قال: والذكر الجماعي بصوت واحد، سواء كان ذكراً لله تعالى مطلقاً، أم مرتباً باسم من أسماء الله تعالى، كترديد لفظ الجلالة (الله، الله) أو (اللطيف، اللطيف) أو (يالطيف، يالطيف) أو واحدُ يقول: (الله) وآخر يقول: (سبحان الله) وثالث يقول: (والحمد لله) وهكذا من أنواع وكيفيات بصفة راتبة، أو عارضة، بزعم تزكية النفوس، وإظهار الذكر، وغير ذلك، كل هذا بدعة خلاف المشروع الذي علمه النبي ﷺ لأمته.

وربما حصل مع ذلك بدع إضافية أخرى، مثل ترتيب ذلك في ساعة من ليل أو نهار في يوم أو أسبوع، أو شهر أو عام، أو في حال من الأحوال، أو مكان مخصوص من الأمكنة.

ومثل التمايل حال الذكر، والسجود بعد الذكر، وقراءة الفاتحة لحي أو ميت...

كل هذه بدع لم يأذن بها الله سبحانه ولا فعلها رسوله ولم يكن شيء منها من فعل صالح سلف هذه الأمة من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

وأما إن كان الذكر الجماعي لم يشرع، مثل الذكر بالضمير (هو، هو) أو (يا هو، يا هو) فهو ذكر مبتدع بطريق مبتدعة، والله أعلم"[(١)].

وأقوال العلماء كثيرة جداً في التحذير من الأذكار التي تكون بشكل جماعي.

---

(١) تصحيح الدعاء ص ١٣٤-١٣٥.

ومع إنكار بعض الصحابة كابن مسعود وغيره ﷺ على الإحداث في الأذكار وعلى الذين يذكرون بصفة جماعية مع ما يصاحبها من منكرات، وما يلحقها من أضرار وويلات على الرغم من ذلك كله إلا إننا نجد بعض المتصوفة يجعل الذكر جماعة شرطاً من شروط الطريقة فانظر ماذا يقول التيجاني: " من الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الهيللة بعد صلاة يوم الجمعة مع الجماعة، وإن كان له إخـــوان في البلد فلا بدّ من جمعهم وذكرهم جماعة وهذا شرط في الطريقة من غير حد و لا حصر" [١] .

وجاء في الرماح[٢] للفوتي بعد أن ذكر بعض أورادهم اللازمة لطريقتهم قال: "وشروطها أن تقرأ مع الإخوان مجتمعين إن كانوا موجودين غير مسافرين" .

فانظر إلى ما اشترطوه من شروط باطلة لم ترد في الشرع، فمن لم يفعل هذا الشرط يعدّ عندهم مخلاً متهاوناً، وهل كلما أراد الشخص أن يذكر ربه يجب عليه أن يذهب إلى إخوانه ويقول أريد أن اذكر فتعالوا نذكر جميعاً؟ فأين ذهب الإخلاص وأين ذكر الله خفية وأين من يذكر الله خالياً فتفيض عيناه؟ !

ويحذر بعضهم من ترك الذكر الجماعي ويعدّه تهاوناً يتحمل صاحبه مغبته فيقول (وهو تيجاني أيضاً): " وترك الاجتماع من غير

---

(١) جواهر المعاني (١/٥٣).

(٢) الرماح (١/٣٨١).

عذر شرعي يعرض في الوقت ممنوع عندنا في الطريق ويعدّ تهاوناً، ولا يخفى وخامة مرتع التهاون"(١) .

فكيف يأتي بعذر شرعي لشيء ليس بشرعي، وكيف يرتب الوعيد على شيء هو من الشرع بعيد؟! لكنها الأهواء تعمي وتصم.

وهذا الاجتماع الذي يشترطونه لابد أن يصحبه بدع أخرى، فيشترطونها ويلتزمونها من ذلك الجهر بالذكر، فالجماعة المشروطة عندهم ما فائدتها إذا كان الذكر سراً؟

يقول أحد التيجانيين: " ومنها الجهر، لأنه لا معنى للاجتماع إذا ذكر كل واحد وحده سراً وفائدة ذلك شهيرة عند أهل الطريق حتى كاد أن يكون عندهم من الأمر الضروري " (٢)

وهذه الأذكار الجماعية البدعية لم تكن في عهد الرسول ﷺ، ولم يشترط الجماعة في الذكر.

والأذكار الجماعية غالباً ما تكون ظاهرة بشكل علني في البلاد التي قلّ فيها المتبعون للسنة وكثر فيها أهل البدع، فلا يكاد يخلو يوم من أيام الأسبوع إلا وفيه حِلَقُ الذكر الجماعي المبتدع، أما البلاد التي يغلب على

---

(١) الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية لمحمد سعد الرباطابي ص ١٨ (ط/١٩٥٥م، مكتبة القاهرة، القاهرة).

(٢) الدرر السنية للرباطابي ص١٨.

أهلها الالتزام بالكتاب والسنة، فلا ترى مثل هذه الأذكار والاجتماعات بشكل علني، وإنما تكون بشكل مخفي، لذا ينبغي التحذير من هذه الأذكار لما يصاحبها من منكرات جمة كالتمايل والاهتزاز أثناء الذكر، والجهر ورفع الأصوات بالذكر، وتحريف الأذكار وعدم فهم ما يقال والزعق والصعق والغشيان، ومصاحبة المردان والتمايل معهم بل وقد يجتمع أحياناً بعض النساء للذكر الجماعي كما سمعنا في بعض البلاد الإسلامية في يوم الاحتفال ببعض الموالد المبتدعة.

هذا وقد أتي المبتدعة من قبل تحريف الأدلة عن مواضعها بأن يراد من الدليل شيء فيصرفونه إلى شيء آخر.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "إن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلاً، فأتى به المكلف في الجملة أيضاً، كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يُعلم من الشارع فيها التوسعة، كان الدليل عاضداً لعمله من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به.

فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو مقارناً لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار مخيَّلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكانت مقصود شرعاً من غير أن يدلّ الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المُسْتَدَل عليه.

فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله، فالتزم قومٌ الاجتماع عليه على

لسان واحد وصوت واحد، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتَزَم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تُفْهِم التشريع، وخصوصاً مع من يقتدى به، وفي مجامع الناس كالمساجد؛ فإنها إذا أُظهِرت هذا الإظهار ووُضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فُهم منها بلا شك أنها سُنن، إن لم يُفهم منها الفريضة فأحرى أن لا يتناولها الدليل المُستَدل به، فصارت من هذه الجهة بدعة. يدلُّك على ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها، وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندباً في مواضع كثيرة حتى أنه لم يُطلب فيه تكثير من عبادة من العبادات ما طُلب من التكثير من الذكر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾﴾[1]... ومثل هذا الدعاء فإنه ذكر الله ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات، ولا قيّدوه بأوقات مخصوصة -بحيث يُشعر باختصاص التعبّد بتلك الأوقات- إلا ما عيّنه الدليل كالغداة والعشي، ولا أظهروا منه إلا ما نصّ الشارع على إظهاره، كالذكر في العيدين وشبهه، ما سوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه وستره فلذلك قال لهم حين رفعوا أصواتهم: « **اربعوا على أنفسكم**

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤١.

إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً»[١] وأشباهه فلم يظهروه في الجماعات.

فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل أولاً لأنه قيّد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة -وهم السلف الصالح رضي الله عنهم ..." [٢].

وقد انتشر بين الناس كثير من الأذكار الجماعية فمن ذلك:

ـــ أهم يسبحون ويحمدون ويكبرون ويهللون الله تعالى بصورة جماعية دبر الصلوات المفروضة، و حالتهم قريبة من حالة هؤلاء القوم الذين أنكر عليهم ابن مسعود رضي الله عنه، وإن كان من أجل التعليم فلا يفعل دائماً ولا يتخذ تكراراً بل يفعل مرة، كأن يعلم الإمام المأمومين الذين لا يعرفون الأذكار التي بعد الصلاة، ولكن ليس بصورة جماعية وبأصوات مرتفعة، كما لا يتخذ سنة راتبة فتصبح بدعة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وأختار للإمام والمأموم أن يذكرا الله بعد الانصراف من الصلاة ويخفيان الذكر إلا أن يكون إماماً يجب أن يتعلم منه فيجهر حتى يرى أنه قد تعلم منه ثم يُسِرُّ فإن الله عز وجل يقول: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾[٣]، يعني والله تعالى أعلم: الدعاء ولا تجهر ترفع ولا تخافت حتى لا تسمع نفسك"[٤].

(١) سبق تخريجه ص٥٢٤.

(٢) الاعتصام (٢/٥٩-٦١).

(٣) سورة الإسراء الآية: ١١٠.

(٤) كتاب الأم للإمام الشافعي (١/١٢٧) (ط٢/١٣٩٣هـ دار المعرفة، بيروت).

ـــ ومن ذلك ما يسمونه بمجالس الصلاة على النبي ﷺ على شكل جماعي، وهذه المجالس أول من ابتدعها شخص يقال له: نور الدين الشوني (ت٩٤٤ هـــ) وهو شيخ الشعراني صاحب الطبقات الكبرى، لذلك نقل الشعراني أن شيخه هذا (الشوني) هو أول من أسس مجالس الصلاة على النبي ﷺ في جميع أنحاء العالم، وكان قد ابتدعها أول ما ابتدعها في مقامٍ من مقامات الشركية ومعقل من معاقله وهو معروف حتى الآن وهو مقام أحمد البدوي، وبقي هذا المجلس من بعد صلاة المغرب حتى صلاة الجمعة فتصور يا أخي رعاك الله.

قال الشعراني في ترجمة شيخه المذكور: "وتفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي ﷺ التي على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام ومصر والصعيد والمحلة الكبرى والاسكندرية وبلاد المغرب وبلاد التكرور، وذلك لم يُعهد لأحد قبله، إنما كان الناس لهم أوراد في الصلاة على رســـول الله ﷺ فرادى في أنفسهم، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه من أحد من عهد رسول الله ﷺ إلى عصره"[١].

وكما هو معلوم أن من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، وكذلك من ابتدع في الإسلام بدعة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، فالشّوني جاء بشيء لم يعمله الرسول ﷺ ولا صحابته من

(١) الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني (١٧٢/٢-١٧٣) (ط/١٣٧٤هـــ دار الفكر، بيروت).

بعده، فيكون أحدث في الدين ما لم يأذن به الله، ومن عمل بأمر ليس عليه أمر رسول الله ﷺ فعمله مردود

ــ ومن ذلك أيضاً ما أحدثه الناس مما هو مشاهد بشكل واضح جلي في مناسك الحج والعمرة من الأذكار الجماعية، كالتلبية الجماعية، والإتيان بأذكار الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة وباقي أعمال الحج بشكل جماعي فترى أحدهم يقرأ في كتاب وخلفه مجموعة كبيرة خلفه تردد خلفه بصوت عال وزعيق وصراخ، مما يحصل بذلك أذى لبقية الناس فلا يستطيعون أن يأتوا بأذكارهم على الوجه الصحيح كما يصرف أنظار الناس إليهم وربما يذهب الخشوع، وعدم الاستحضار والتدبر لمعنى ما يقول، وهذا الأمر بدعة لكونه جاء بهيئة جماعية وبصوت عال مرتفع، وكذلك لكونهم رتبوا أذكاراً لكل عمل من أعمال الحج أو العمرة مما لم يرتبها الشارع الحكيم

قال الشيخ ابن باز رحمه الله: "وأما ما أحدثه بعض الناس من تخصيص كل شوط من الطواف أو السعي بأذكار مخصوصة أو أدعية مخصوصة فلا أصل له، بل مهما تيسر من الذكر والدعاء كفى"[(١)].

ومن ذلك ما يفعله الناس في بلاد الشام -سواء المؤذنون أو غيرهم- من الصلاة على النبي ﷺ جماعة قبل الجمعة وبعد صلاة الفجر والعصر وكذلك قراءة الفاتحة جماعة وسورة الإخلاص وسورتي المعوذتين، وقد ذكر

---

(١) التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة ص ٤٤.

الشيخ جمال الدين القاسمي هذه البدع فقال: " يجتمع المؤذنون على السدة المقابلة للمنبر في الجوامع ويتحلقون للزعق بالصلوات النبوية قبل صعود الخطيب، وبعد صعوده ينتهون بالصلوات إلى ثلاث مرات، ويزعقون في قولهم (وعلى آل محمد) زعقاً شديداً، وقد رأيت في بيروت في بعض جوامعها شخصاً ينشد مدائح نبوية (يقوم بهذا عن الجمع)، ويُختار لذلك في الجوامع المهمة من يكون صوته حسناً مطرباً، وهي وإن كانت بدعتها أخف من زعق الجمع إلا أن الكل مما لا حاجة إليه، بل السنة هو خروج الإمام إلى المنبر ولا صوت ولا لغط، حتى إذا استقر قام المؤذن فأذّن، ولكن من أين لنا من يكفّ سيطرة هؤلاء المؤذنين الذين لا يدرون شيئاً من الفقه في الدين أصلح المولى أحوالنا وهيّأ لنا من أمرنا رشداً " [١] .

ـ ومن ذلك ما يُفعل عند قبر الرسول ﷺ والبقيع وشهداء أحد وما يفعله الشيعة عند البقيع من أعظم المنكرات الجامعة لكل شر ابتداء من الاختلاط وانتهاء بالتوسلات والاستغاثات الشركية والبدعية.

يقول الشيخ الألباني -رحمه الله- ذاكراً بعض البدع التي تحصل من زوّار المدينة النبوية: " تلقين من يُعرَفون بالمزوّرين جماعات الحجاج بعض الأذكار والأوراد عند الحجرة أو بعيداً عنها بالأصوات المرتفعة، وإعادة هؤلاء ما لُقِّنوا بأصوات أشد منها"[٢].

---

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد ص ١٤٢.

(٢) مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف للألباني ص ٦٣ رقم ١٦٦.

ـــ ومن ذلك أيضاً الأذان الجماعي والذي يسمى بالأذان السلطاني وهو أذان جماعي حيث يقوم بتأدية الأذان عدة أشخاص بصوت واحد، أو يقول أحدهم جملة من الأذان ثم يرددها خلفه مجموعة من الناس.

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: "ومن البدع أذان الجماعة المعروف بالأذان (السلطاني أو أذان الجوق)، فإنه لا خلاف في أنه مذموم مكروه لما فيه من التلحين والتغني وإخراج كلمات الأذان عن أوضاعها العربية وكيفياتها الشرعية بصور قبيحة تقشعر منها الجلود الحية وتتألم لها الأرواح الطاهرة، وأول من أحدثه هشام بن عبد الملك، وقد أمر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بإبطال هذا الأذان، وكان في كل قصر من القصور الملكية يقوم أربعة من المؤذنين معاً وفي صوت واحد..." [1].

قلت: وما زال هذا الأذان موجوداً في زماننا في المسجد الأموي بدمشق، وقد سمعته، ويؤذنون على ما وصفت أحدهم يقول جملة من الأذان ويرددها وراءه مجموعة كبيرة من الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ـــ ومن ذلك ما يفعله الطرقية مما يسمونه بالحضرة فهم يذكرون الله بشكل جماعي يتعجب من يشاهدهم كلهم بصوت واحد على وتيرة واحدة، تارة يرفعون أصواتهم بشدة وتارة يخفضونها، مع التمايل والتصفيق بضرب الكف على ظهر الكف مع اصطحاب الدفوف وغيرها من الآلات المطربة وكذلك النط فجأة وغير ذلك مما كنا نشاهده صغاراً في بلادنا.

---

(١) الإبداع في مضار الابتداع ص ١٦٠.

وقد يستدل بعضهم على صحة اجتماعاتهم ببعض الأحاديث الصحيحة ظناً منهم أنها تدل على ما هم عليه مثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:« **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه** »[١] .

وغيره من الأحاديث. هذا وإن مجالس الذكر الوارد فضلها في الأحاديث ليس المقصود بها الاجتماع على الهيئات المبتدعة والذكر بصوت واحد مع ما يرافقه من منكرات بل هي ما فهمه الصحابة ﷺ حيث كانوا يجتمعون ويتدارسون العلم ويقرؤون القرآن فيقرأ أحدهم ويستمع الباقون، ويذكرون الله وآلائه ونعمه عليهم فيحمدونه ويشكرونه، وهذا هو الوارد، وهذا فهمهم للنصوص، ولذلك أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على أولئك النفر الذين ساء فهمهم للنصوص

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (٢٠٧٤/٤) ح٢٦٩٩.

فاجتمعوا اجتماعاً مخالفاً لاجتماع الصحابة، فشنّع عليهم فعلتهم.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله مبيناً مجالس الذكر الشرعية التي ورد فيها فضل الاجتماع والتي كان عليها السلف الصالح رضي الله عنه:

" فإنهم -أي السلف الصالح- كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم، حتى يتعلم بعضهم من بعض ويأخذ بعضهم من بعض، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثلها من حديث أبي هريرة عنه عليه السلام: « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده** »، وهو الذي فهمه الصحابة ﷺ من الاجتماع على تلاوة كتاب الله.

وكذلك الاجتماع على الذكـــر فإنه اجتماع على ذكر الله، ففي رواية أخرى أنه قال: « **لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة..** » الحديث المذكور، لا الاجتماع للذكر على صوت واحد.

وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون، أو اجتمعوا فذّكر بعضُهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه، وعمل به الصحابة والتابعون، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر الله وهي التي جاء فيها من الأجر ما جاء... وكالذي نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم

يُقرؤهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية أو يجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم ويذكّرهم بالله، ويبيّن لهم سنة نبيهم ليعملوا بها، ويبيّن لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها، ويجتنبوا مواطنها والعمل بها.

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة، وهي التي حَرمَها اللهُ أهلَ البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف "[1].

وبهذا المطلب نختم الكلام عن ما يتعلق بالأذكار غير المشروعة، ولنبدأ الكلام عن بعض الأدلة والشبهات التي تمسك بها القائلون بجواز بعض الأذكار غير الشرعية، والله وحده المسؤول أن يعيننا.



(١) الاعتصام (٢/٩١-٩٢)، وانظر الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٦٥-١٦٧.

الباب الرابع:

شُبَهُ القائلين بالذِّكر غير المشروع ومناقشتها والرد عليها

ويشتمل على تمهيد وفصلين:

الفصل الأول: شبههم فيما احتجوا به من الأدلة الصحيحة ومناقشتها

الفصل الثاني: شبههم فيما احتجوا به من الأدلة غير الصحيحة ومناقشتها


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

الفصل الأول:

شبههم فيما احتجوا به من الأدلة الصحيحة ومناقشتها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: شبههم فيما احتجوا به من القرآن الكريم ومناقشتها

المبحث الثاني: شبههم فيما احتجوا به من السنة الصحيحة ومناقشتها


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

تمهيـــــد:

إن لإبليس أسلحة عدة، ومداخل ومنافذ ينفذ منها لإغواء بني آدم وإضلالهم وإيقاعهم في تيه البدع والانحرافات، وإن أكبر سلاح اتخذه إبليس -لعنه الله- إلقاء الشُّبَه على الناس، وتزيينه الباطل وتلبيسه عليهم بلباس الحق.

ولما كان بعض الناس ليس لهم باع في العلم وليس لهم قدم راسخة في معرفة القواعد والأحكام ونصوص الشريعة ومدلولاتها، ولم تكن لهم الإحاطة الكافية بجميع النصوص، فيأخذون بعضها ويتركون ما بقي منها على حسب ما تهواه أنفسهم. وقعوا في شِباك إبليس وفخاخه، وغرقوا في شبهه وصاروا جنداً من جنوده.

حتى إن بعضهم أخذ يستنبط ويستدل لبدعته من القرآن والسنة كي تروج بدعته وتلقى القَبول بين الناس، لأن أكثر المسلمين -ولله الحمد- لا يرد ما ورد من الكتاب والسنة، بل يتلقونه بالقبول مباشرة، ولكن المشكلة الكبرى والطامة العظمى، أن يُتلاعب بالنصوص، فتُنـــزل في غير منازلها وتوضع في غير مواضعها، وتُفهم على غير مراد الشارع منها، ويُعمل بها على خلاف ما كان يعمله الرسول ﷺ وصحابته الكرام ﷺ.

فكثير من المبتدعة ينسب للإسلام أشياء ويلصقها فيه، والإسلام منها براء لا يقر عليها، ويستدل عليها من النصوص بعد أن لوى أعناقها،

وغيّر مرادها، بل حتى أنه صار مَن هو خارج عن دائرة الإسلام يستدل على صحة ديانته وعلى زيغه وكفره ببعض آي القرآن، ليلبس على الناس دينهم وليضلهم وليكسبهم إلى صفه وحزبه.

قال الشاطبي رحمه الله: "ومن نظر إلى طرق أهل البدع في الاستدلال عرف أنها لا تنضبط لأنها سيّالة لا تقف عند حدّ، وعلى وجه يصحُّ لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسُبَ النِّحْلة التي التزمها إلى الشريعة، فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه استدل على كفره بآيات القرآن كما استدل بعض النصارى على تشريك عيسى مع الله في الربوبية بقوله: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[1] واستدل على كونهم أهل الجنة بإطلاق بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[2].

واستدل بعض اليهود على تفضيلهم علينا بقوله سبحانه: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[3]...

وكذلك يمكن كل من اتبع المتشابهات، أو حرّف المناطات، أو حمّل الآيات ما لا تحتمله عند السلف الصالح أو تمسك بالواهية من الأحاديث أو أخذ الأدلة ببادي الرأي، أن يستدل على كل فعل أو قول

---

(١) سورة النساء الآية: ١٧١

(٢) سورة البقرة الآية: ٦٢

(٣) سورة البقرة الآية: ٤٧

أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يعوز ذلك أصلاً، والدليلُ عليه: استدلالُ كل فرقة شُهِرَت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف...فمن طلب خلاص نفسه تثبّت حتى يتضح له الطريق، ومن تساهل رمته أيدي الهوى في معاطب لا مخلص له منها إلا ما شاء الله"[(١)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: "وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة يحمّلونهما مذاهبهم ويعّبرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة ويظنون أنهم على شيء، ولذلك أمثلة كثيرة كالاستدلالات الباطنية على سوء مذاهبهم بما هو شهير بالنقل عنهم... إلى أن قال: ومنه أيضاً استدلال من أجاز قراءة القرآن بالإدارة، وذكر الله برفع الأصوات وهيئة الاجتماع بقوله ﷺ: **«ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم..»**[(٢)] الحديث،والحديث الآخر: **« ما اجتمع قوم يذكرون الله...»** إلخ، وسائر ما جاء في فضل مجالس الذكر، وكذلك استدلال من استدل على جواز دعاء المؤذنين آخر الليل بقوله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ ﴾[(٣)]... إلى أن قال: فيقال لمن استدل بأمثال ذلك هل وجد هذا المعنى الذي استنبطت في عمل الأولين أو لم يوجد؟ فإن زعم أنه لم يوجد ولا بد من ذلك، فيقال له: أفكانوا

---

(١) الاعتصام (٢/١٢٤-١٢٥) تحقيق مشهور آل سلمان، وهو في طبعة (دار ابن عفان تحقيق/الهلالي) (١/٣٦٣-٣٦٤).

(٢) سبق تخريجه ص ١١٢٤.

(٣) سورة الكهف الآية: ٢٨

زعمك غافلين عما تنبهت أو جاهلين به أم لا؟ ولا يسعه أن يقول بهذا ؛ لأنه فتح باب الفضيحة على نفسه، وخرقٌ للإجماع.

وإن قال: إنهم كانوا عارفين بمآخذ هذه الأدلة كما كانوا عارفين بمآخذ غيرها، قيل له: فالذي حال بينهم وبين العمل بمقتضاها على حتى خالفوها إلى غيرها، ما ذاك إلا أنهم اجتمعوا فيها على الخطأ دونك أيها المتقوِّل.

والبرهان الشرعي والعادي دال على عكس هذه القضية، فكل ما جاء مخالفاً لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه " (١)

وهؤلاء المبتدعة قد أُتوا إما من قِبل جهلهم بالنصوص وما دلت عليه، أو جهلهم بما هو عليه فهم الصحابة ﷺ والتابعين من هذه النصوص،أو جهلهم بكلام العرب أو جهلهم بمقاصد الشريعة، أو بسبب قياسهم الفاسد، واعتمادهم على عقولهم وتحسينهم الظن بها، أو بسبب اتباعهم لأهوائهم، فالأهواء تهوي بأصحابها في الهاوية وتجعلهم بمنأى عن الكتاب والسنة، بعيدين منهما، غارقين في البدع والضلالات،متمسكين بالنصوص المتشابهات وبالأحاديث الواهية المكذوبة والحكايات والمنامات وما ألقت إليهم الشياطين من خرافات وترهات، فتصبح هذه الأمور هي عمدتهم في كل ما يبتدعونه وما يحدثونه في الدين ويخالفون به المنهج القويم.

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة (٧١/٣)، (ط١/١٤١٧هـ، دار ابن عفان، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان)

فهذه بعض الأسباب التي جعلت المبتدعة يتمسكون بأذناب الشبهات، ويلهثون وراءها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً

كاحتجاجهم بقياس فاســد، أو نقل كاذب، أو خطاب ألقي إليهم اعتقدوا أنه من الله وكان من إلقاء الشيطان.

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلاً:

إما أن يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهاناً وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها، كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة إنما يركب حججه من ألفاظ متشابهة فإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل، وهذه هي الحجج العقلية وإن تمسك المبطل بحجج سمعية **فإما** أن تكون كذباً على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل الباطل، فالمنع إما في الإسناد و إما في المتن ودلالته على ما ذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجة أهل العلم الظاهر، وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فإن أهل الحق من هؤلاء لهم إلهامات صحيحة مطابقة كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر**»...

إلى أن قال رحمه الله: **والمقصود** أن هذا الجنس واقع لكن يقع أيضاً ما يظن أنه منه كثير أو لا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الأدلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمر بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب أنه أنسي وقد يقول له أنا الخضر أو إلياس بل أنا محمد أو إبراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على أن هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطاناً لبس عليه"[١].

إذاً فحاصل ما استدل به المبتدعة على بعض الأذكار المبتدعة إما أن يكون نصاً صحيحاً غير صريح وليس فيه دلالة على ما ذهبوا إليه، وإما أن يكون نصاً صريحاً لكنه غير صحيح إما ضعيفٌ أو مكذوبٌ، وإما أن يكون قد استدلوا على أذكارهم بقصص وحكايات ومنامات نسجها لهم ضلالهم وزعماؤهم حتى يروج باطلهم.

ويمكن أن يجاب عن ما استدلوا به إجمالاً بأن يقال لهم:

إن الأصل في الأعمال جميعها أن تكون مبنية على الاتباع، وكل عبادة لم يتعبدها رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام فهي بدعة منافية للشرع.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٦٧-٧١)

كما أن الأصل عند التنازع والاختلاف في أي مسألة كانت أن تُرد إلى الكتاب والسنة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾[1] .

فإن استدل مستدلٌ بمتشابه من الأدلة ليدعم به بدعته نقول له إن المتشابه لابد أن يرد إلى المحكم، وإن وجد نصان صحيحان ظاهرهما التعارض فلا بد من الجمع بينهما إن أمكن أو الترجيح بينهما، إذ إنه أبداً لا يمكن أن يوجد تعارض بين النصوص الشرعية ولا يوجد تناقض في الشريعة، وإنما يأتي التعارض من قلة الفهم وعدم الجمع أو الترجيح، وكذلك يقال بأنه لا بد من جمع جميع النصوص الواردة في المسالة الواحدة حتى تتصور وتفهم على مراد الشرع، فلا يُترك نص ويُعمل في نص على حسب الهوى.

ثم يقال إن الشرع يؤخذ من النصوص الصحيحة الصريحة، أما النصوص الضعيفة والواهية الموضوعة والمنامات والحكايات والقصص المنسوجة فلا يؤخذ منها أحكام ولا يُعبد الله بما دلّت عليه من عبادات

والآن إلى عرض أدلتهم ومناقشتها على وجه التفصيل، ونبدأ أولاً بما استدلوا به من الآيات القرآنية على بعض أذكارهم المبتدعة.

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٩

المبحث الأول:

شبههم فيما احتجوا به من القرآن الكريم ومناقشتها

لقد استُدل لبعض الأذكار البدعية بآيات من القرآن الكريم لا تدل مطلقاً على ما استُدل بها عليه ومن ذلك:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[1] .

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[2] .

فقد استدل بهما جماعة[3] على جواز الذكر بالاسم المفرد (الله،

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٩١

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٩

(٣) منهم ابن عطاء السكندري كما في مفتاح الفلاح ص ٤٢، نقلاً عن الكشف عن = =

الله، الله) وأخذوا ذلك من قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ وفي بيان حقيقة قولهم بجواز الذكر بالاسم المفرد واستدلالهم بهذه الآية عليه يقول شهاب الدين الغزالي: " ما دمت ملتفتاً إلى ما سوى الله، فلا بد لك من النفي والإثبات بلا إله إلا الله، وما دمت تعتمد على رياسة العلم والجاه فلا بد من النفي والإثبات بلا إله إلا الله، وما دمت ترى في الوجود سواه فلا بد من لا إله إلا الله، فإذا غبت في الكل عن الكل استوحشت من نفي لا إله، ووقفت على إثبات إلا الله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبو "[١].

فهذا قول منكر وباطل يترتب عليه أمور فاسدة، إذ إن الرسول ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان كانوا يذكرون الله بلا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد التي يصبح المرء بها مسلماً، فهل تقول أيها المفتري أن رسول الله ﷺ وصحابته كانوا ملتفتين إلى ما سوى الله وكانوا يلتفتون إلى الرياسة والجاه؟

= حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف القاسم ص٣٣٨(ط١/ ١٤٠٨هـ، دار الصحابة، بيروت)، وكذلك شهاب الدين الغزالي كما هو واضح في المتن، ونقل عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف ص١٨١ (ط٢/ ١٣٩٠هـ، مطبعة البلاغة، حلب) عن الخادمي أنه يستدل بهذه الآية: على جواز الذكر بالاسم المفرد .

(١) نور التحقيق في صحة أعمال الطريق لحامد صقر ص ١٨١ (ط٢/١٣٩٠هـ، مطبعة دار التأليف، مصر).

ثم هل يستوحش المسلم من نفي الآلهة عن كل معبود سوى الله، ومن استوحش ذلك فلا بد أن يقع في الشرك لا محالة لأنه من لم ينفِ الآلهة المعبودة من دون الله فإنه يزعم أنها آلهة مع الله.

وقوله (وما دمت ترى في الوجود سواه) وقوله (فإذا غبت في الكل عن الكل) يتضمن القول بوحدة الوجود، وهذا القول من أخبث الأقوال وأشنعها وأخطرها وأشدها توغلاً في الشرك.

فانظر إلى ما آل ذكرهم بالاسم المفرد، كان ذكراً فأصبح وغدا شركاً، وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: " وقد وقع من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد وبـــ (هو) في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد"[١] .

وقال أيضاً رحمه الله: "وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين،بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع"[٢] .

وهؤلاء المتصوفة لم يكتفوا بذكرهم هذا المبتدع بالاسم المفرد الظاهر والمضمر والعمل به والدعوة إليه، وإلزام مريديهم وإجبارهم عليه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢٧/١٠)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٣/١٠)

بل راحوا يقللون من أهمية الذكر المشروع ويقللون من أهمية وشأن أفضل الأذكار وأعظمها كلمة لا إله إلا الله ويحطون من قدرها و من منـــزلتها، فتارة يَسِمون هذه الكلـــمة العظيمة (لا إله إلا الله) بأنها ذكر العامة، وتارة يقولون إنها خاصة بأهل الأهواء، وأخرى يقولون: إنها لأصحاب النفوس اللوامة وغير ذلك من طعوناتهم بهذه الكلمة العظيمة، وكل ذلك ليرتفع ذكرهم المبتدع ويلقى قبولاً لدى المريدين وعوام الناس، وتُستبدل كلمة التوحيد، بذكر لا يعطي معنى تاماً ولا جملة مفيدة، بل التزامه يؤدي إلى أصناف من الضلالات، وانظر إلى صحة ما قلت من أقوالهم لتقف على حقيقة الأمر:

يقول أبو المواهب الشاذلي: " إنما اختار أهل التعريف ذكر (الله، الله) فقط دون (لا إله إلا الله) لوحشتهم من توهم ثبوت الإلهية حتى ينفوها، والذي أقول به: إن من غلب عليه الأهواء فذكر " لا إله إلا الله " أنفع له، ومن خلص من الأهواء فذكر الجلالة فقط أنفع له"(١).

وقال آخر: " للنفس الأمارة: الاستغفار، وللّوامة: لا إله إلا الله، وللملهمة: الله، والراضية: هو، والمرضية: حي، والكاملة: قيوم... " (٢) .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أبي حامد الغزالي أنه

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/٧٧)

(٢) معالم في الطريق إلى الله لمحمود أبي الفيض المنوفي ص ٣٥١، (ط/دار النهضة، مصر، بدون تاريخ).

كان يقول بأن كلمة التوحيد ذكر العامة والذكر بالاسم المفرد ذكر الخاصة وذكر خاصة الخاصة: هو، هو" (١)

فانظر كيف جعلوا أفضل الأذكار " لا إله إلا الله " بهذه المنـــزلة مع أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله بها ويوحده وكذا صحابته الكرام ﷺ، فانظر مدى تعظيمـــهم لرسول الله ﷺ، ثم انظر في أذكاره كلها ﷺ هل تجده قسم مثل هذا التقسيم، ثم لو نـــزلوا كلامهم هذا على رسول الله ﷺ وصحابته لوقعوا في منكر عظيم وإثم مبين، وقد يترتب على تقسيمهم هذا من المفاسد ما الله به عليم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد ذلك ننتقل إلى الجواب عن استدلالهم بالآيتين على جواز الذكر بالاسم المفرد أن نقول:

أولاً: هذا استدلال خاطئ لأنه بني على فهم خاطئ لهاتين الآيتين، فالآيتان لا تدلان على أنه يجوز للإنسان أن يذكر ربه بالاسم المفرد ؛ لأن المفسرين الذين فسروهما لم يذكروا في تفسيرهما قط هذا المعنى وقد أنكر ابن كثير في تفسيره للآية الأولى على من استدل بها على هذا الذكر فقال رحمه الله: " وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي قل الله أنزله، وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لاما قاله بعض المتأخرين من أن معنى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي: لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة،كلمة "الله" وهذا الذي قاله هذا

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٦)

القائل يكون أمراً بكلمة مفردة، من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها "[١].

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله: "وأما قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ بقيله: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾[٢] فأمره باستفهام المشركين عن ذلك كما أمره باستفهامهم إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء عمن أنزل الكتاب الذي به جاء موسى نورا وهدى للناس، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾[٣] كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أنزله على موسى"[٤].

وعلى هذا التفسير جميع المفسرين[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥٧/٢) .

(٢) سورة الأنعام الآية: ٦٣.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٦٤ .

(٤) جامع البيان للطبري (٢٧٠/٧) .

(٥) انظر معالم التتريل للبغوي (١٥/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٨/٧)، وزاد المسير لابن الجوزي (٨٤/٣) وفتح القدير للشوكاني (١٣٩/٢) وغيرها من كتب التفسير .

وأما الآية الثانية فقد قال الطبري رحمه الله عند تفسيره لها:

"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوتك من قومك: أي شيء أعظم شهادة وأكبر؟ ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله الذي لا يجوز أن يقع في شهادته ما يجوز أن يقع في شهادة غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب، ثم قل لهم إن الذي هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بيني وبينكم بالمحق منا من المبطل والرشيد منا في فعله وقوله من السفيه وقد رضينا به حكما بيننا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة أهل التأويل... ثم ذكر عن مجاهد قوله: أمر محمد أن يسأل قريشاً ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم"[(١)].

فلماذا لا يقول هؤلاء المتصوفة: الله شهيد بيني وبينكم بدل الله الله كما دلت عليه الآية وكما فهمه رسول الله ﷺ منها؟

ثانياً: سياق الآية وسباقها ترد على قولهم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم هو مذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ

(١) تفسير الطبري (٧/١٦١-١٦٢).

ﵟٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖﵞ إلى قوله: ﵟقل ٱللَّهُۖﵞ أي الله الذي أنـــزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم مبتدأ، وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول من جاره؟ فيقول زيد، و أما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي و لم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً و إنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحالة ما يفيد بنفسه، وإلا لم يكن له فائدة والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره "[(١)]

وقال **أيضاً**:" فأما ذكر الاسم المفرد فلم يشرع بحال وليس في الأدلة الشرعية ما يدل على استحبابه **وأما** ما يتوهمه طائفة من غالطي المتعبدين في قوله تعالى: ﵟقُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡﵞ ويتوهمون أن المراد قول هذا الاسم فخطأ واضح ولو تدبروا **ما قبل** هذا تبين مراد الآية فإنه سبحانه قال: ﵟوَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖﵞ أي قل: الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى، فهذا كلام تام وجملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر، حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦).

وهذا قياس مطرد في مثل هذا في كلام العرب كقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[١] الآية .

... وقوله:﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾[٢] على قراءة أبي عمرو وتقول في الكلام من جاء؟ فتقول: زيد، ومن أكرمت؟ فتقول: زيداً، وبمن مررت؟ فتقول: بزيد.

فيذكرون الاسم الذي هو جواب من ويحذفون المتصل به لأنه قد ذكر في السؤال مرة فيكرهون تكريره من غير فائدة بيان لما في ذلك من التطويل والتكرير.

... وإنما الغرض بيان حكم ذكر الاسم وحده من غير كلام تام وقد ظهر بالأدلة الشرعية أنه غير مستحب، وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية فإن الاسم وحده لا يعطى إيماناً ولا كفراً ولا هدى ولا ضلالاً ولا علماً ولا جهلاً وقد يذكر الذاكر اسم نبي من الأنبياء أو فرعون من الفراعنة أو صنم من الأصنام ولا يتعلق بمجرد اسمه حكم إلا أن يقرن به ما يدل على نفي أو إثبات أو حب أو بغض وقد يذكر الموجود والمعدوم ولهذا اتفق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات على أن الاسم وحده لا يحسن السكوت عليه ولا هو جملة تامة ولا كلاماً مفيداً ولهذا سمع بعضُ العرب مؤذناً يقول أشهد أن محمداً رسولَ الله، قال: فعل ماذا؟ فإنه لما

---

(١) سورة الزمر الآية: ٣٨.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٨٦-٨٧.

نصب الاسم صار صفة والصفة من تمام الاسم الموصوف فطلب بصحة طبعه الخبر المفيد ولكن المؤذن قصد الخبر ولحن ولو كرر الإنسان اسم " الله " ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً ولم يستحق ثواب الله ولا جنته فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون الاسم مفردا سواء أقروا به وبوحدانيته أم لا، حتى أنه لما أمرنا بذكر اسمه كقوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ ﴾[١]، وقوله:﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ ﴾ ، وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ﴾ وقوله: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٦ ﴾، ونحو ذلك كان ذكر اسمه بكلام تام مثل أن يقول: بسم الله أو يقول سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم ونحو ذلك ولم يشرع ذكر الاسم المجرد قط ولا يحصل بذلك امتثال أمر ولا حل صيد ولا ذبيحة ولا غير ذلك"[٢].

ورد مثل هذا الرد ابن القيم رحمه الله فقال: "ونظير هذا استشهادهم بقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ ﴾ حتى رتب على ذلك بعضهم أن الذكر بالاسم المفرد وهو: الله الله أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وهذا فاسد مبني على فاسد فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلا ولا مفيد شيئا ولا هو كلام أصلاً ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا

---

(١) سورة المائدة الآية: ٤

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٨-٥٦٢)، وانظر أيضاً (١٠/٢٢٨) و(١٠/٣٩٦-٣٩٨)، وكتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ص٣٥-٣٦.

ثواب ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر: الله الله من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر فالذكر بقوله: هو هو بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم الله الله.

وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات فهذا فساد هذا البناء الهائر، وأما فساد المبني عليه فإنهم ظنوا أن قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي: قل هذا الاسم فقل الله الله وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله فإن اسم الله هنا جواب لقوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ إلى أن قال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي: قل الله أنزله فإن السؤال معاد في الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارا كما يقول: من خلق السموات والأرض؟ فيقال: الله، أي الله خلقهما فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه فهذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره"(١) .

ثالثاً: ويقال أيضاً من الأجوبة والرد عليهم: أن الرسول ﷺ بقي ثلاثاً وعشرين سنة يدعو إلى التوحيد ويجاهد من أجل تحقيقه، فما كان أبداً ليشرع ذكراً يناقض هذه الدعوة، فالذكر بالاسم المفرد يفضي إلى حال يناقض التوحيد، وما أفضى إلى باطل فهو باطل، وكذلك يناقض ما

---

(١) طريق الهجرتين ص ٤٩٨-٤٩٩

عليه من الأذكار الشرعية جميعها المتضمنة توحيد الله ﷻ.

الآية الثالثة: قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾[1] .

الآية الرابعة قوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥ ﴾[2]

استدل بعضهم[3] بهاتين الآيتين، على جواز ذكر الله بالاسم المفرد (الله، الله) وخطّؤوا من أنكر ذلك كائناً من كان.

والجواب عن ذلك:

١ ـ أن المفسرين الذين فسروا هاتين الآيتين لم يفسروهما بما ذُكر من أن الله أمر نبيه ﷺ بأن يذكره باسمه المفرد وإنما فسروها بغير ذلك.

فقد قال القرطبي رحمه الله:" قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي: ادعــه بأسمــائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة، وقيل: أي

---

(١) سورة المزمل الآية: ٨

(٢) سورة الإنسان الآية: ٢٥

(٣) ممن استدل بها سعيد حوى في كتابه تربيتنا الروحية ص ٢٢٦ (ط٢/١٣٩٩هـ ـ مكتبة وهبة، القاهرة)، وكذلك حامد إبراهيم محمد صقر الشاذلي في كتابه نور التحقيق في صحة أعمال الطريق ص١٧٩، وعبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف ص١٨٠.

اقصد بعملك وجه ربك، وقال سهل: اقرأ باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك وتقطعك عما سواه، وقيل: اذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتستمر على طاعته" (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾ ،﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ ﴾ ، وهذا كثير وقال: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ كما قال: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ ... لكن هنا يقال بسم الله فيذكر نفس الاسم الذي هو ألف سين ميم، و أما في قوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ فيقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله "(٢) .

٢- أن الله سبحانه وتعالى له أسماء حسنى كثيرة، فلم خصصتم هذا الاسم (الله، الله) مع أن الآية التي استدللتم بها فيها عموم الأسماء ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ ، فالاسم هنا في الآية مفرد عام يشمل كل اسم.

٣- أن الرسول ﷺ لما جاءه هذا الأمر هـل حمل هذا الأمر على ما حملتموه فَذَكَر الله بالاسم المفرد كما فعلتم أنتم؟ وهل فهم هذا الفهم الذي فهمتموه صحابة رسول الله ﷺ؟

والجواب: لاشك أن هذا فهم خاطئ لم يعمل به رسول الله ﷺ،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٤٣)، وانظر تفسير الطبري (٢٩/١٣٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٢١٠)

ولا صحابته الكرام، وإلا فأتونا بحديث أو أثر يؤيد ما ذهبتم إليه! بل ثبت عنه ﷺ بخلاف هذا أن أفضل ذكر قاله ﷺ وقاله النبيّــون من قبله، وأفضل ذكر بعد القرآن هو قول: لا إله إلا الله، فلماذا تعسف هؤلاء المتصوفة وجعلوا الذكر بالاسم المفرد أفضل من كلمة التوحيد، وجعلوا كلمة التوحيد هي ذكر العامة، والذكر بالاسم المفرد للخاصة وخاصة الخاصة؟ فهل يعدّون أنفسهم هم الخاصة وخاصة الخاصة المقربون والرسول ﷺ الذي يذكر ربه بكلمة التوحيد وصحابته من العامة؟ سبحانك ربي هذا بهتان عظيم، وكذب مبين.

٤- أنه جاء الأمر بذكر اسم الله على الذبيحة عند ذبحها فهل يقول الذابح (الله، الله، الله) فيذكر الله بذلك، أم يفعل بما ورد من الشرع فيقول: بسم الله! قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وما في القرآن من قوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ

---

(١) سورة الأنعام الآية: ١١٨ .

(٢) سورة المزمل الآية: ٨ .

(٣) سورة الأعلى الآية: ١.

فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[(١)] وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[(٢)] ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً بل في السنن أنه لما نــزل قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾، قال: « **اجعلوها في ركوعكم**» ولما نزل قوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾، قال : «**اجعلوها في سجودكم**» فشرع لهم أن يقولوا في الركوع: سبحان ربي العظيم وفى السجود سبحان ربي الأعلى وفى الصحيح: أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربى العظيم وفي سجوده سبحان ربي الأعلى، وهذا هو معنى قوله: اجعلوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد "[(٣)] .

وقال أيضاً ـــ رحمه الله ـــ:

" حتى أنه لما أمرنا بذكر اسمه كقوله: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[(٤)]، وقوله:﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾[(٥)] وقوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾ ، وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾، ونحو ذلك كان ذكر اسمه بكلام تام

---

(١) سورة الأعلى الآية: ١٤-١٥.

(٢) سورة الواقعة الآية: ٩٦

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢٩/١٠)

(٤) سورة المائدة الآية: ٤

(٥) سورة الأنعام الآية: ١٢١

مثل أن يقول: بسم الله أو يقول: سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم ونحو ذلك، ولم يشرع ذكر الاسم المجرد قط ولا يحصل بذلك امتثال أمر ولا حل صيد ولا ذبيحة ولا غير ذلك "[١].

٥ – يلزمهم من استدلالهم أن يقولوا في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[٢] أن يقولوا: (نعمة، نعمة، نعمة) وهكذا لأن الله أمر بذكر نعمته، وهذا لم يقل به أحد.، ويلزم المصلي على قولهم هذا أن يقول (الله، الله، الله) لأن الله تعالى قال: ﴿ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾[٣].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٤].

استدل بها بعضهم على جواز الذكر بالاسم المفرد المضمر (هو) وادعوا أنه من أسماء الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

---

(١) المصدر السابق (١٠/٥٥٨- ٥٦٢)، وانظر أيضاً (١٠/٢٢٨) و (١٠/٣٩٦-٣٩٨)، وانظر كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً ص٣٥-٣٦.

(٢) سورة فاطر الآية: ٣ .

(٣) سورة الأعلى الآية: ١٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية: ٧ .

سياق ذكر أدلتهم على الذكر بالاسم المفرد:

" وأغرب من هذا ما قاله لي مرة شخص من هؤلاء الغالطين في قوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1] قال: المعنى وما يعلم تأويل (هو) أي اسم (هو) الذي يقـــال فيه: (هو، هو)، وصنف ابن عربي كتاباً في الهو، فقلت له وأنا إذ ذاك صغير جداً: لو كان كما تقول لكُتبت في المصحف مفصولة (تأويل هو) ولم تكتب موصولة، وهذا الكلام الذي قاله هذا معلوم الفساد بالاضطرار وإنما كثير من غالطي المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة في الكتاب والسنة، وقد يكون المعنى الذي يعنونه صحيحاً لكن لا يدل عليه الكلام وليس هو مراد المتكلم وقد لا يكون صحيحا فيقع الغلط تارة في الحكم و تارة في الدليل"[2] .

وقال أيضاً: "والذكر بالاسم المضمر المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان، فإن من قال: يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه، والقلب قد يهتدي وقد يضل، وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه كتاب الهو، وزعم بعضهم أن قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [3] معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو "الهو". وقيل: هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء

(١) سورة محمد الآية ١٩.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٦٠).

(٣) سورة آل عمران الآية: ٧.

حتى قلت مرة لبعض مَنْ قال شيئاً من ذلك: لو كان هذا كما قلته لكتبت وما يعلم تأويل هو منفصلة "[١].

فالجواب عن ذلك:

أولاً: بما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه لو كان المراد كما قالوا لكتبت في المصحف لفظة (تأويل) وحدها وكلمة (هو) وحدها مفصولة عن الكلمة الأولى، وإنما كتبت موصولة (تأويله).

ثانياً: إن هذا الضمير (هو) لم يثبت مطلقاً في النصوص الشرعية أنه اسم من أسماء الله تعالى، وكما هو معلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز تسمية الله بما لم يسمِ به نفسه أو يسميه رسوله ﷺ.

ثالثاً: يلزم من قولكم هذا أن يسمى الله بأسماء أخرى غير (هو) مثل (الذي) ونحوها، فالله يقول: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢] وهذا لم يقل به أحد.

رابعاً: أن قولكم هذا مخالف لما عليه المفسرون [٣].

خامساً: لو كان الأمر كما يقولون لكان يقال في الوصل: وما يعلم تأويل هو إلا الله ، وقد استدل بعضهم باستدلال سمج حكّم فيه عقله فما

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧-٢٢٨).

(٢) الأعراف الآية: ١٥٨.

(٣) انظر تفسير الطبري (٣/١٨٢)، و تفسير القرطبي (٤/١٨)، وتفسير ابن كثير (١/٣٤٧).

أصاب، من ذلك ما قاله ابن عربي: "دخلت على شيخنا أبي العباس العربي من أهل العليا وكان مستهتراً بذكر الاسم المفرد (الله) لا يزيد عليه شيئاً، فقلت له: يا سيدي لَمِ لا تقول: لا إله إلا الله؟ فقال لي: يا ولدي الأنفاس بيد الله ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عندما أقول: (لا) أو (لا إله) فأقبض في وحشة النفي.

وسألت شيخاً آخر عن ذلك فقال لي: ما رأت عيني ولا سمعت أذني من يقول: " أنا الله " غير الله، فلم أجد من أنفي، فأقول كما سمعته يقول: الله، الله "[(١)] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضاً عن بعض الشيوخ مثل ذلك ورد عليه فقال: "وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات. حال لا يقتدى فيها بصاحبها، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به ؛ إذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت إلا على ما قصده ونواه إذ إلأعمال بالنيات، وقد ثبت إن النبي أمر بتلقين الميت لا إله إلا إله الله وقال: **« من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »**. ولو كان ما ذكره محذوراً لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتاً غير محمود، بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد"[(٢)].

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (٥/١٢٤-١٢٥) (ط/١٩٧٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، تحقيق د/عثمان يحيى).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٧)، وانظر (١٠/٥٥٦)، فقد ذكر هذا القول عن الشلبي.

إذاً فالأصل اتباع السنة ولا يُقتدى بمثل هؤلاء الشيوخ الذين أصابهم من الهوس والاضطراب ما أخرجهم عن الجادة والصواب.

وانظر إلى كلام شيخ ابن عربي الثاني كيف يتجلى فيه القول بوحدة الوجود، فهو لم يجد آلهة أخرى مع الله حتى ينفيها، فنقول له: أين الآلهة والأصنام التي كسرها رسول الله ﷺ بيده والتي عبدت من دون الله، وكم ترى من المشركين الذين يعبدون آلهة ما أنـــزل الله بها من سلطان؟ أفلا تحتاج إلى نفي الألوهية عنـــها وإفــراد الله بالألوهية وتوحيده؟، وكيف يحقق المسلم التوحيد بدون أن يكون حقق ركني الشهادة النفي والإثبات؟ .

فلا شك أن قولهم هذا من أبطل الباطل، وأشنع المقال.

الخلاصة:من مسألة الذكر بالاسم المفرد:

أن الذكر بالاسم المفرد يترتب عليه بعض الأمور الخطيرة:

١- أنه ابتداع في الدين وعمل مخالف محدث لم يكن عليه هدي رسول الله ﷺ ولا صحابته ﷺ.

٢- أنه خطأ في لغة العرب وكلامهم.

٣- أن الشياطين تتترل على من يكرره مراراً.

٤- يفضي إلى الكفر لأن البدع هي بريد الكفر.

٥- يؤدي إلى القول بوحدة الوجود.

٦- يجر إلى بدع أخرى، فالبدعة تجر إلى أختها.

٧- اعتقاد من جرب هذا الذكر أنه يحصل له بذكره هذا - المفتعل مع طقوس أخرى- من الأحوال مثل ما حصل للأنبياء من مخاطبتهم لربهم.

٨- شن الهجوم على أفضل الذكر (لا إله إلا الله) والتقليل من شأنها حتى يروج باطلهم.

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[١].

استدل بعضهم بهذه الآية على الذكر بالحركات والقفز والتمايل والنط والقيام حال الذكر والقعود وهكذا قيام وقعود طوال الذكر وتمايل واضطجاع...

يقول أحدهم في بيانه كيفية الذكر في مجالس الذكر عندهم: " ترتيب الذكر في الحضرة كالآتي: قراءة الوظيفة والذكر بكلمة التوحيد قعوداً، والذكر بالاسم المفرد والمضمر واسم الصدر[٢] قياماً، ثم يجلسون لسماع القرآن ويختمون الذكر بكلمة التوحيد ثانياً، وذلك ليتحقق

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٩١ .

(٢) اسم الصدر يقصدون به: الذكر من القلب بـــ (آه، آه، يوه، يوه، إيه، إيه) وهكذا يعدونه اسماً من أسماء الله، وهو ليس كذلك.

للحاضرين فضل الذين يذكرون الله قياماً وقعودا"[١].

فنقول هذا استدلال باطل يخالف تفسير العلماء المفسرين لهذه الآية.

فقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "ومعنى الآية: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) يعني بذلك قياما في صلاتهم وقعودا في تشهدهم في صلاتهم وعلى جنوبهم نياماً"[٢].

وقال القرطبي رحمه الله: "وذهب جماعة من المفسرين منهم الحسن وغيره إلى أن قوله يذكرون الله إلى آخره إنما هو عبارة عن الصلاة أي لا يضيعونها ففي حال العذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم وهي مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ في قول ابن مسعود على ما يأتي بيانه وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنبه"[٣].

وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾[٤].

---

(١) نور التحقيق في صحة أعمال الطريق ص ١٩٣

(٢) تفسير الطبري (٤/٢١٠)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤/٣١١)

(٤) سورة النساء الآية: ١٠٣

قال القرطبي في تفسيرها: "ذهب الجمهور إلى أن هذا الذكر المأمور به إنما هو إثر صلاة الخوف أي إذا فرغتم من الصلاة فاذكروا الله بالقلب واللسان على أي حال كنتم قياما وقعودا وعلى جنوبكم وأديموا ذكره بالتكبير والتهليل والدعاء بالنصر لا سيما في حال القتال ونظيره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[(١)]، ويقال: فإذا قضيتم الصلاة بمعنى إذا صليتم في دار الحرب فصلوا على الدواب أو قياما أو قعودا أو على جنوبكم إن لم تستطيعوا القيام إذا كان خوفاً أو مرضاً كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [(٢)].

وقال قوم هذه الآية نظيرة التي في آل عمران فروى أن عبد الله بن مسعود رأى الناس يضجون في المسجد فقال: ما هذه الضجة؟ قالوا أليس الله تعالى يقول: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ قال: إنما يعني بهذا الصلاة المكتوبة إن لم تستطع قائماً فقاعداً وإن لم تستطع فصل على جنبك فالمراد نفس الصلاة لأن الصلاة ذكر الله تعالى وقد اشتملت على الأذكار المفروضة والمسنونة والقول الأول أظهر والله أعلم"[(٣)].

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٣٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٧٣/٥-٣٧٤).

الآية السابعة قوله تعالى:

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٨ ﴾ (١).

استدل بهذه الآية بعضهم (٢) على جواز الذكر والسماع بالألحان ووجه ذلك عنده: بأن اللام في قوله: ﴿ ٱلْقَوْلَ ﴾ تقتضي التعميم والاستغراق... أي: يعمّ ويشمل أيَّ قول كائن ما كان فهم يجيزون السماع لكل ما يسمى قولاً سواء كان مما يرضي الله أم مما يسخطه، المهم بأن يفتح على الإنسان الكشوفات والجدبات وغير ذلك مما هو معروف عندهم.

والجواب عن هذا الاستدلال كما يلي:

أولاً: أنه يلزم من استدلالهم هذا جواز سماع كل قول مهما كان ماجناً وفاحشاً وهذا باطل، وهو ما حاولوا تقريره ونسبته إلى رسول الله ﷺ(٣).

ثانياً: أنه مخالف لتفسير المفسرين لهذه الآية:

---

(١) سورة الزمر الآية: ١٧-١٨.

(٢) ممن استدل بها أبو القاسم عبد الكريم القشيري كما في الرسالة القشيرية ص ٦٣٧ (ط/دار الكتب الحديثة القاهرة، تحقيق عبد الحليم محمود) وانظر أيضاً الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٢١٦).

(٣) انظر: الرسالة القشيرية للقشيري ص ٦٤٢.

فقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ فبشر يا محمد عبادي الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد ولا يهدي إلى سداد وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل "[1].

وقال القرطبي رحمه الله:" ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به، وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل:يستمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون أحسنه أي محكه فيعملون به، وقيل: يستمعون عزماً وترخيصاً فيأخذون بالعزم دون الترخيص، وقيل الواجبة لهم والعفو فيأخذون بالعفو وقيل إن أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل الإسلام لا إله إلا الله، وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم أولئك الذين هداهم الله لما يرضاه وأولئك هم أولو الألباب أي الذين انتفعوا بعقولهم"[2] .

فأين قول المبتدعة من تفسير السلف لهذه الآية؟!

---

(١) تفسير الطبري (٢٠٦/٢٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٤٤/١٥).

ثالثاً: أنه يفتح الباب على مصراعيه لأهل الفسق والمجون ليسمعوا ما لذّ لهم وطاب من الغزليات والأغاني والمجون مما حرمه الشرع.وهذا يوافق هوى بعض الصوفية.

رابعاً: يقال لهم: لابد من فهم النص بكامله فلا يؤخذ بعضه ويترك بعضه، فالله سبحانه يقول: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ ولم يقل يستمعون كل قول فيتبعون أسوأه، والألحان والأغاني الملصقة بالذكر من أسوأ الأمور ومن أفسد الأشياء للقلب، والله سبحانه لم يأمر باستماع كل قول بل من الأقوال ما يحرم استماعها كالخوض في آيات الله، والكفر بالله والغناء والغيبة ونحو ذلك [١] .

خامساً: السماع المحمود الممدوح في القرآن والسنة هو سماع آيات الله تتلى، وأحاديث رسول الله تدرس وتقرأ، وليس السماع الشيطاني المصحوب بآلات الطرب وغيرها، وحال السلف الصالح أنهم كانوا يخشعون ويبكون وتفيض أعينهم من الدمع وتوجل قلوبهم ويزداد إيمانهم حال السماع ولم يكونوا يطربون أو يلحّنون أو ينطون وما كانوا يصرخون ويزعقون.

يقول ابن القيم رحمه الله: " أن سماع خاصة الخاصة المقربين هو سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكاً وفهماً وتدبراً وإجابةً، وكل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه فهو هذا

---

(١) انظر الاستقامة (١/٢١٦) .

السماع، وهو: سماع الآيات لا سماع الأبيات،وسماع القرآن لا سماع مزامير الشيطان،وسماع كلام رب الأرض والسماء لا سماع قصائد الشعراء وسماع المراشد لا سماع القصائد، وسماع الأنبياء والمرسلين لا سماع المغنين والمطربين فهذا السماع حاد يحدو القلوب إلى جوار علام الغيوب، وسائق يسوق الأرواح إلى ديار الأفراح ومحرك يثير ساكن العزمات إلى أعلى المقامات وأرفع الدرجات،ومناد ينادي للإيمان،ودليل يسير بالركب في طريق الجنان، وداع يدعو القلوب بالمساء والصباح من قبل فالق الإصباح حي على الفلاح حي على الفلاح فلم يعدم من اختار هذا السماع إرشادا لحجة وتبصرة لعبرة وتذكرة لمعرفة وفكرة في آية ودلالة على رشد ورداً على ضلالة وإرشاداً من غي وبصيرة من عمى...

ونحن نرضى بحكم أهل الذوق في سماع الأبيات والقصائد ونناشدهم بالذي أنزل القرآن هدى وشفاء ونورا وحياة هل وجدوا ذلك أو شيئاً منه في الدف والمزمار ونغمة الشادن ومطربات الألحان والغناء المشتمل على تهييج الحب المطلق الذي يشترك فيه محب الرحمن ومحب الأوطان ومحب الإخوان ومحب العلم والعرفان ومحب الأموال والأثمان ومحب النسوان والمردان ومحب الصلبان فهو يثير من قلب كل مشتاق ومحب لشيء ساكنه ويزعج قاطنه فيثور وجده ويبدو شوقه فيتحرك على حسب ما في قلبه من الحب والشوق " [(١)].

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٨٤-٤٨٥) وانظر في مسألة السماع : تحريم السماع لأبي بكر الطرطوشي وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٩٤ و ٢٥١-٢٨٨، وكتاب =

سادساً: " أن المراد بالقول في هذا الموضع القرآن كما جاء ذلك في قوله: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1].

فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه والتدبر بالنظر والاستدلال والاعتبار والاستماع، فمن أمرنا باستماع كل قول أو باستماع القول الذي لم يشرع استماعه فهو بمنـــزلة من أمر بتدبر كل قول والنظر فيه أو بالتدبر للكلام الذي لم يشرع تدبره والنظر فيه فالمنحرفون في النظر والاستدلال بمثل هذه الأقوال من أهل الكلام المبتدع "[2].

هذه بعض الآيات التي استدل بها المبتدعة على بعض أذكارهم البدعية ونلحظ أن استدلالهم بهذه الآيات غير صحيح ولا تدل أصلاً على ما استدلوا به بل استدلالهم مخالف لما فهم السلف الصالح من هذه الآيات.

وبعد هذا ننتقل لعرض ما استدلوا به من الأحاديث الصحيحة ومناقشة استدلالهم بها والله وحده الموفق.

= كشف القناع عن حكم الوجد والسماع لأحمد بن عمر القرطبي المتوفى سنة ٦٥٦ هـــ، والاستقامة لشيخ الإسلام (٢١٦/١) ومجموع فتاوى شيخ الإسلام المجلد العاشر والحادي عشر، ورسالة في السماع والرقص لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (٢٩٧/٢)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (٢٢٤/١)، وغير ذلك.

(١) سورة القصص الآية: ٥١.

(٢) الاستقامة (٢٢٢/١).

المبحث الثاني

شبههم فيما احتجوا به من السنة الصحيحة ومناقشتها

ومن الأحاديث التي استُدِل بها على بعض الأذكار غير الشرعية:

أولاً: قوله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله»**[١].

استُدل بهذا الحديث على جواز الذكر بالاسم المفرد، وممن استدل بهذا الحديث على ذلك الخواصُ[٢]، حيث سأله تلميذه الشعراني عن هذا الحديث وقال له: لِمَ كرره ﷺ؟ فأجاب الخواص: إنما كرر الاسم مرتين ليثبت لنا بذلك أنه ذكرٌ على الانفراد "[٣].

والاستدلالُ بهذا الحديث على الذكر بالاسم المفرد وأن يتخذ منه عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، باطلٌ وذلك لأمور:

---

(١) سبق تخريجه ص٩٢٠ .

(٢) واستدل به أيضاً عبد القادر عيسى في كتابه حقائق عن التصوف ص ١٨٠.

(٣) الجواهر والدرر لعبد الوهاب الشعراني ص٢٩٦ (ط١٣٠٦هـ/المطبعة الأزهرية، القاهرة)، بحاشية كتاب الإبريز لأحمد بن المبارك، واستدل به البناني والشيخ زروق انظر : كتاب الإبداع لعلي محفوظ ص ٢٩٤

أولها: أن الأذكار كما قلنا توقيفية، والمتتبع لأذكاره ﷺ كلها لا يجد فيها شيئاً مما يفعله هؤلاء المتصوفة، فلم يثبت أنه ﷺ كان يكرر ذكر لفظ الجلالة " الله " ولا كلمة (هو) بأي ذكر من أذكاره، وهذه كتب الأذكار من أولها إلى آخرها متوفرة والحمد لله، لم يذكر مصنفوها مطلقاً حديثاً واحداً يعتمد عليه يدل على ما يفعله المتصوفة، ثم الصحابة من بعد رسول الله ﷺ لم يُنقل ولا عن أي واحد منهم أنه كان يذكر ربه بهذا الذكر بالاسم المفرد، كما أنهم لم يفهموا من هذا الحديث ما فهمه أولئك المبتدعة، بل تجد أذكارهم كلها مما ورد عن المصطفى ﷺ جملاً تامة مفيدة واضحة، لا غموض فيها ولا انقطاع، كلها متضمنة للثناء على الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وداعية إلى توحيده جل وعلا.

ثانيها: أن الحديث ليس المراد منه أن يُذكر الله بالاسم المفرد الذي لا يدل على معنى مفيد، بل وليس هو أصلاً حديثاً من أحاديث الأذكار حتى يُستدل به على هذا الذكر، والأئمة الذين خرّجوا هذا الحديث في مصنفاتهم من العلماء المحققين المشهود لهم بالعلم والفقه في الدين، لم يذكروه في باب الأذكار، وإنما يذكرونه في كتاب الإيمان أو كتاب الفتن أو علامات و أشراط الساعة، ويبوبون عليه مثلاً: باب ذهاب الإيمان آخر الزمان أو وصف الناس الذين يكون قيام الساعة على رؤوسهم [١]،أو نحو ذلك، و لم يُبوِّب واحد منهم قط لهذا الحديث بـــ: باب ذكر الله بالاسم المفرد (الله، الله).

---

(١) انظر : صحيح مسلم (١٣١/١)، وصحيح ابن حبان (٢٦٢/١٥) .

فدلالته إذاً والمراد منه أن الساعة لا تقوم وعلى الأرض مؤمن موحد لله بل تقوم على شرار الخلق وهم الكفرة المجرمين، وهذا الذي قرره شُرّاح الحديث.

فقد قال الإمام النووي رحمه الله شارحاً لهذا الحديث: "لا تقوم الساعة على أحد يقول الله، الله، أما معنى الحديث فهو أن القيامة إنما تقوم على شرار الخلق كما جاء في الرواية الأخرى وتأتي الريح من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين عند قرب الساعة "[١].

ثالثها: قد ورد حديث آخر يفسر هذا الحديث بأنه لا يبقى على الأرض من يوحد الله فلا تجد في الأرض عند قرب قيام الساعة من يقول: لا إله إلا الله، فقد قال رسول الله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا إله إلا الله »[٢].

رابعها: أن يقال لمن استدل بهذا الحديث: تركتم كل الأحاديث الواضحة الجلية المتواترة التي تقضي بأفضلية (لا إله إلا الله) وأنها أفضل

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧٨/٢).

(٢) أخرجه الإمام مسند أحمد (٢٦٨/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٦٢/١٥) ح٦٨٤٨، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٥٤٠/٤)ح ٨٥١٢ وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "، وقال أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٥/٣) بعد أن ساقه بسنده : "هذا حديث صحيح ثابت من حديث أنس "،وقال ابن حجر في فتح الباري (٨٥/١٣) :أخرجه احمد بسند قوي " .

الذكر والكلام بعد القرآن الكريم، وتمسكتم بهذا الحديث البعيد الدلالة على ما تزعمون، ولو أنكم تمسكتم بالمتفق عليه وتركتم المختلف فيه لسلمتم.

خامسها: أن هذا الذكر (بالاسم المفرد) الذي يزعمون، هو من الأذكار المطلقة، والمتأمل في الأذكار النبوية المطلقة يجد البون الواسع والفرق الشاسع بينها وبين هذا الذكر، فلا تكاد تجد ذكراً من الأذكار النبوية المطلقة إلا وقد ورد في فضله الأجر العظيم والثواب الجزيل، فتجد الرسول ﷺ قد رغّب فيه وحثّ الأمة عليه، فأين هذه الميزة للذكر المفرد؟ فلو كان خرج من مشكاة النبوة لوجدته مشابهاً لباقي الأذكار التي من نوعه، فيا مَنْ يدعي تفضيله على سائر الأذكار ائتنا بحديث واحد صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ يدل على فضيلة الاسم المفرد، أو فيه ترغيب وحثٌ من رسول الله ﷺ لأمته عليه، أو فيه أنه من قال: الله الله الله، أو هو هو هو، فله كذا وكذا - مع أن الرسول ﷺ كان شفيقاً بأمته حريصاً عليهم غاية الحرص، محباً لهم أعظم المحبة، يدلهم على كل خير يقربهم إلى الله ويحذرهم من كل ما يباعدهم عن الله من الشرك والبدع وسائر المعاصي- فإن لم تستطع ولن تستطيع فعليك بلزوم ما ثبت من الأذكار؛ فإنها تغنيك عن هذا الذكر، وتنفعك مدى العمر، وعليك بمفارقة ما أحدثه المحدثون وابتدعه المبتدعون، فإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة في النار.

ثانياً: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو»[١].

وقد استدل بحديث الحبشة هذا قوم على جواز الرقص والتواجد أثناء الذكر [٢] واستدلالهم به على ذلك غير صحيح.

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: "وقالوا بجواز الرقص حالة الذكر بدليل فعل الحبشة في المسجد بين يدي رسول الله ﷺ ولم ينكر عليهم وكان رقصهم بالوثبات والوجد...

ونقول لهم: هذا قول باطل مناقض لقواعد الشرع الحنيف لقوله ﷺ:

« شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » [٣]، وقائله كأنه ممن يحرفون الكلم عن مواضعه. والاستدلال بفعل الحبشة في المسجد بحضرته ﷺ استدلال باطل ؛ لأن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : أبواب المساجد باب أصحاب الحراب في المسجد (١٧٣/١) ح ٤٤٣، ومسلم في صحيحه : كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد (٦٠٩/٢) ح ٨٩٢.

(٢) وممن استدل به أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين (٢٥٤/٢)، والسهروردي في معارف المعارف ص ١٠٥ و ١١٠ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٠٤٦.

ذلك كان تمايلاً بالحراب للتدريب على استعمال السلاح كما شرعت المسابقة وكما أبيح التبختر في الحرب، وإن كان ممنوعاً في غيره كما قال عليه الصلاة والسلام: « **إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن** »، وأين هذا من الرقص الذي هو هزّ المعاطف والأكمام، الذي لا يفعله إلا الفساق من العوام، قال في المدخل: وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل"[١].

وقال ابن الجوزي: وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء والحرب"[٢].

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: "هذا الحديث لا يتناول محل النـــزاع ؛ فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء، ولا تحركاً عن هواء، ولا ضرباً بالأقدام، ولا إشارة بالأكمام، بل كان لعباً بالسلاح، وتأهباً للكفاح، تدريباً على استعمال السلاح في الحرب، وتمريناً على الكرِّ والفرّ والطعن والضرب، وإن كان هذا هو الشأن فأين أفعال المخانيث والمجان من أفعال الأبطال الشجعان؟!"[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله : "واللعب بالحراب ليس لعبا مجردا بل فيه

---

(١) الإبداع لعلي محفوظ ص ٢٩٧ -٢٩٨.

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٩٢.

(٣) كشف القناع عن مسألة السماع للقرطبي ص ١٤٥-١٤٦.

تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو وقال المهلب المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه "[١].

وقال أيضاً رحمه الله: "واستدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات الملاهي وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص في اللهو والله أعلم" [٢] .

والرقص مخالف للمروءة، وهو نوع من اللعب واللهو كما هو معروف "والأصل التنـــزه عن اللعب واللهو فيقتصر على ما ورد فيه النص وقتا وكيفية تقليلا لمخالفة الأصل والله أعلم" [٣].

ثالثاً: قول الرسول ﷺ:

«...وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[٤] . وفي رواية « ما من قوم يذكرون الله » .

---

(١) فتح الباري (١/٥٤٩).

(٢) المرجع السابق (٦/٥٥٣).

(٣) المرجع السابق (٢/٤٤٣).

(٤) سبق تخريجه ص ١١٢٤.

استدل بعضهم[1] بهذا الحديث وأمثاله من الأحاديث التي تدل على فضل مجالس الذكر، وأهل الذكر على الذكر بصورة جماعية وبصوت واحد وهيئات متعددة.

واستدلالهم بأمثال هذه الأحاديث ليس في محله بل هو استدلال غير صحيح وذلك لأمور عدة:

أولها:أن الأحاديث هذه تدل على فضيلة مجالس ذكر الله تعالى، وتدل على فضيلة الذاكرين لله تعالى وعلى فضل الاجتماع على الخير من **ذكر**، ويدخل تحت كلمة "**ذكر**" هنا، أمور عديدة كتعلم القرآن وتعليمه وتلاوته وتدارسه وفهمه، ودراسة العلوم الشرعية ومعرفة الحلال والحرام ولا تقتصر مجالس الذكر على التسبيح والتحميد والتهليل المحض لأن جميع علوم الشريعة من توحيد وحديث وتفسير وفقه وغيرها كلها تؤدي إلى ذكر الله والثناء عليه وتسبيحه وحمده وتهليله وتقديسه.

ثانيها: إن مجالس الذكر الوارد فضلها في الأحاديث ليس المقصود بها الاجتماع على الهيئات المبتدعة والذكر بصوت واحد مع ما يرافقه من منكرات، وليس فيها ما يدل على ذلك لا من قريب ولا من بعيد، بل هو ما فهمه الصحابة ﷺ من هذه الأحاديث، فهم ﷺ أعلم الناس بسنة

---

(١) ممن استدل بذلك الفوتي في رماح حزب الرحيم (١/٣٤٥-٣٤٧)، وحسن البنا في كتابه المأثورات ص١٣ (ط١/١٤٠٤هـ،المكتب الإسلامي، بيروت)، وعبد القادر عيسى في حقائق عن التصوف ص ١٦٠.

المصطفى ﷺ، وأفهمهم لنهجه ومراده لجميع أقواله وأفعاله، ففهموا تلك النصوص وطبقوها، ولم يكونوا يعملون مثل ما يعمل هؤلاء المبتدعة من الذكر بصوت واحد جماعة وبصوت مرتفع أو غير ذلك، مع أنهم كانوا أحرص الناس على فعل الخيرات، وأسبق الناس لكسب الفضائل والحسنات التي كان يحثهم رسول الله ﷺ على فعلها، فقد كانوا ﷺ يجتمعون ويتدارسون العلم ويقرؤون القرآن فيقرأ أحدهم ويستمع الباقون، ويذكرون الله وآلائه ونعمه عليهم فيحمدونه ويشكرونه، وهذا هو الوارد، وهذا فهمهم للنصوص، ولذلك أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على أولئك النفر الذين ساء فهمهم للنصوص. فاجتمعوا اجتماعاً مخالفاً لاجتماع الصحابة، فشنّع عليهم فعلتهم [(١)] .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله مبيناً مجالس الذكر الشرعية التي ورد فيها فضل الاجتماع والتي كان عليها السلف الصالح رضي الله عنه: " فإنهم -أي السلف الصالح- كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم، حتى يتعلم بعضهم من بعض ويأخذ بعضهم من بعض، فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثلها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عنه عليه السلام: « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده** »، وهو الذي فهمه الصحابة ﷺ من الاجتماع على تلاوة كتاب الله.

---

(١) انظر قصة إنكار ابن مسعود رضي الله عنه ص١٠٦١-١٠٦٢ من هذا البحث.

وكذلك الاجتماع على الذكر فإنه اجتماع على ذكر الله، ففي رواية أخرى أنه قال: **«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة..»** الحديث المذكور، **لا الاجتماع للذكر على صوت واحد.**

وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله أو التذاكر في العلم إن كانوا علماء أو كان فيهم عالم فجلس إليه متعلمون، أو اجتمعوا فذّكر بعضُهم بعضاً بالعمل بطاعة الله والبعد عن معصيته وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه، وعمل به الصحابة والتابعون، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر الله وهي التي جاء فيها من الأجر ما جاء... وكالذي نراه معمولاً به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يُقرؤهم القرآن أو علماً من العلوم الشرعية أو يجتمع إليه العامة فيعلمهم أمر دينهم ويذكّرهم بالله، ويبيّن لهم سنة نبيهم ليعملوا بها، ويبيّن لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها، ويجتنبوا مواطنها والعمل بها.

فهذه مجالس الذكر على الحقيقة، وهي التي حَرَمَها اللهُ أهلَ البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف"[١].

ثالثها: أن الشارع الكريم إذا ندب على فعل أمر من الأمور، فلا بد أن تؤتى على الوجه الذي شرعه، فلا يزاد عليها شيء لا في كيفياتها، ولا في ماهيتها، ولا في توقيتها ومكانها، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان

---

(١) الاعتصام (٢/٩١-٩٢)، وانظر الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٦٥-١٦٧

مخصوص أو مقارناً لعبادة مخصوصة، والتزم ذلك بحيث صار مخيَّلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدلّ الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المُسْتَدَل عليه.

فإذا ندب الشرع مثلاً إلى ذكر الله، فالتزم قومٌ الاجتماع عليه على لسان واحد وصوت واحد، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتَزَم، بل فيه ما يدل على خلافه ؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تُفْهِم التشريع، وخصوصاً مع من يقتدى به، وفي مجامع الناس كالمساجد ؛ فإنها إذا أُظهِرت هذا الإظهار ووُضعت في المساجد كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف فُهم منها بلا شك أنها سُنن، إن لم يُفهم منها الفريضة فأحرى أن لا يتناولها الدليل المُستَدل به، فصارت من هذه الجهة بدعة. يدلُّك على ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها، وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندباً في مواضع كثيرة حتى أنه لم يُطلب فيه تكثير من عبادة من العبادات ما طُلب من التكثير من الذكر كقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ [(١)]...

ومثل هذا الدعاء فإنه ذكر الله ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات، ولا

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤١

قيّدوه بأوقات مخصوصة -بحيث يُشعر باختصاص التعبّد بتلك الأوقات- إلا ما عيّنه الدليل كالغداة والعشي، ولا أظهروا منه إلا ما نصّ الشارع على إظهاره، كالذكر في العيدين وشبهه، ما سوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه وستره فلذلك قال لهم حين رفعوا أصواتهم: « **أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً** »[1] وأشباهه فلم يظهروه في الجماعات.

فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل أولاً لأنه قيّد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة، وهم السلف الصالح رضي الله عنهم..." [2].

كما أنه " قد جاء عن السلف أيضاً النهي عن الاجتماع على الذكر، والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون، وجاء عنهم النهي عن المساجد المُتَّخذة لذلك، وهي الرُّبط التي يشبِّهونها بالصفة "[3].

رابعها: إن الأحاديث تدل على فضل الاجتماع، ولم تدل على جعل الذكر جماعة شرطاً من شروط الذكر، كما اشترطه بعض أصحاب الطرق فعلى سبيل المثال ما ذكره الفوتي في الرماح[1] بعد أن ذكر بعض

---

(١) سبق تخريجه ص٥٢٤.

(٢) الاعتصام (٢/٥٩-٦١).

(٣) الاعتصام ٢/٩٣) (ط/مشهور آل سلمان)، وانظر كتاب البدع والنهي عنها لابن وضاح ص٢٤،٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٣، ٣٥ .

أورادهم اللازمة لطريقتهم حيث قال: " وشروطها أن تقرأ مع الإخوان مجتمعين إن كانوا موجودين غير مسافرين" .

وفي جواهر المعاني عند التجانية أيضاً: " من الأوراد اللازمة للطريقة ذكر الهيللة بعد صلاة يوم الجمعة مع الجماعة، وإن كان له إخـــوان في البلد فلا بدّ من جمعهم وذكرهم جماعة وهذا شرط في الطريقة من غير حد و لا حصر "[٢] .

خامسها: أنّ ما كان يفعله الرسول ﷺ أحياناً من النوافل، لا يتخذ على الدوام راتباً؛ لئلا يعتقد على مرّ الأيام بأنه فرض، فلا يجعل الاجتماع على الذكر بالطريقة الشرعية راتباً يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وعليك أن تعلم أنه إذا استحب التطوع المطلق في وقت معين وجوز التطوع في جماعة لم يلزم من ذلك تسويغ جماعة راتبة غير مشروعة بل ينبغي أن تفرق بين البابين وذلك أن الاجتماع لصلاة تطوع أو استماع قرآن أو ذكر الله ونحو ذلك، إذا كان يفعل ذلك أحياناً فهذا أحسن فقد صح عن النبي ﷺ أنه صلى التطوع في جماعة أحياناً، وخرج على أصحابه وفيهم من يقرأ وهم يستمعون فجلس معهم يستمع، وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدا يقرأ وهم يستمعون،وقد ورد في القوم الذين

---

(١) الرماح (١/٣٨١).

(٢) جواهر المعاني (١/٥٣) .

يجلسون يتدارسون كتاب الله ورسوله وفي القوم الذين يذكرون الله من الآثار ما هو معروف مثل قوله ﷺ: **«ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونـزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »...**

فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع والشهور والأعوام غير الاجتماعات المشروعة فإن ذلك يضاهي الاجتماعات للصلوات الخمس وللجمعة والعيدين والحج وذلك هو المبتدع المحدث.

ففرقٌ بين ما يُتخذ سنة وعادة فإن ذلك يضاهي المشروع.

وهذا الفرق هو المنصوص عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة"[1] .

وسئل رحمه الله عن عوام فقراء يجتمعون في مسجد يذكرون ويقرؤون شيئاً من القرآن ثم يدعون ويكشفون رؤوسهم ويبكون ويتضرعون وليس قصدهم من ذلك رياء ولا سمعة بل يفعلونه على وجه التقرب إلى الله تعالى فهل يجوز أم لا؟.

فأجاب: الحمد لله الاجتماع على القراءة والذكر والدعاء حسن مستحب إذا لم يتخذ ذلك عادة راتبة، كالاجتماعات المشروعة ولا اقترن به بدعة منكرة... "[2] .

ولكن لا يفهم أحدٌ من كلام شيخ الإسلام من الاجتماع الذي

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٠٤ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢٣)، وانظر : (٢٣/١٣٢).

ذكره هو عين ما يفعله المتصوفة في حلقات ذكرهم من الذكر الجماعي بصوت واحد، وعلى هيئات وكيفيات وطقوس معينة، بل المراد بالاجتماع على الذكر هو ما كان يفعله صحابة رسول الله ﷺ كما بينا قريباً.

لكن ينبغي أن يكون هذا أحيانا في بعض الأوقات والأمكنة فلا يجعل سنة راتبة يحافظ عليها إلا ما سن رسول الله ﷺ المداومة عليه في الجماعات من الصلوات الخمس في الجماعات ومن الجمعات والأعياد ونحو ذلك، وأما محافظة الإنسان على أوراد له من الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء طرفي النهار وزلفاً من الليل وغير ذلك، فهذا سنة رسول الله والصالحين من عباد الله قديما وحديثا فما سن عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات فعل كذلك وما سن المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عمل كذلك كما كان الصحابة رضى الله عنهم يجتمعون أحيانا يأمرون أحدهم يقرأ والباقون يستمعون "[1] .



(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢١-٥٢٢)، و الفتاوى الكبرى المصرية (١/٢١٠-٢١١).

الفصل الثاني:

شبههم فيما احتجوا به من الأدلة غير الصحيحة ومناقشتها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الضعيفة والرد عليها

المبحث الثاني: شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الموضوعة والرد عليها

المبحث الثالث: شبههم فيما احتجوا به من الحكايات والمنامات والرد عليها


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المبحث الأول

شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الضعيفة والرد عليها

ومن الأحاديث الضعيفة التي يستدل بها على بعض الأذكار التي فيها مخالفة لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه:

أولاً: ما روي أن سعد بن مالك رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**خير الذكر الخفي**»[(١)] .

هذا الحديث وأمثاله يستدل به أصحاب الطريقة النقشبندية على

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/١٧٢، ١٨٠)، وابن حبان في صحيحه (٣/٩١) ح٨٠٩، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٨٥) ٢٩٦٦٣، وأبو يعلى في مسنده (٢/٨١) ح٧٣١، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/٢١٧) ح ١٢١، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٤٠٧)، من طريق محمد عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن سعد بن مالك (أبي وقاص) رضي الله عنه، ونقل العجلوني في كشف الخفاء (١/٤٧١) عن الإمام النووي أنه قال فيه : "ليس بثابت"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٨١) :رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة وقد وثقه ابن حبان وقال روى عن سعد بن أبي وقاص قلت وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح "وضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير برقم ٢٨٨٧.

الذكر الخفي وهو الذكر القلبي[١]، وتعطيلهم للذكر اللساني وكراهيتهم له، والذكر بالقلب لا ينكره أحد إذا كان فيه التفكر والاعتبار بأسماء الله وصفاته وشكره على نعمائه وآلائه، وإنما الذي ينكر عليهم استدلالهم بهذا الحديث على الذكر الخفي وإهمالهم للذكر اللساني، وكذلك مما ينكر عليهم طريقتهم في الذكر الخفي وما رتبوا عليه من آداب، ويرد عليهم بأمور:

أولها: أن هذا الحديث الذي استدلوا به ضعيف وذلك لأن فيه علتين:

الأولى: ضعف محمد عبد الرحمن بن أبي لبيبة وهو أحد الرواة الذين رووا هذا الحديث.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمته: "قال يحيى (ابن معين): ليس حديثه بشيء، وقال الدارقطني: ضعيف وقال آخر ليس بقوي"[٢] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ضعيف كثير الإرسال"[٣] .

---

(١) انظر حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية ص ١٢٩-١٣٢ وقد نقل عن الشيخ الكردي النقشبندي أنه لا يعجبه كثرة الأذكار اللسانية والأوراد الظاهرية.

(٢) ميزان الاعتدال (٦/٢٢٦) وتهذيب الكمال للمزي (٢٥/٦٢٠)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٢٦٨).

(٣) تقريب التهذيب (١/٤٩٣) رقم الترجمة ٦٠٨٠.

الثانية: الانقطاع بين محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة وسعد بن أبي وقاص فإنه لم يدركه.

قال العلائي رحمه الله: "محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة أو بن أبي لبيبة قال أبو حاتم: لم يدرك سعد بن أبي وقاص وقال أبو زرعة حديثه عن علي رضي الله عنه مرسل"(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وأرسل عن سعد بن أبي وقاص وعدة وقال أبو زرعة حديثه عن علي بن أبي طالب مرسل"(٢) .

إذاً فالحديث ضعيف لعلتيه فلا يصلح الاحتجاج به.

الأمر الثاني: أن ذكر الله بالذكر الخفي وترك الذكر اللساني فيه منافاة لصريح السنة، فلا يوجد في السنة النبوية ما يفيد كراهية الذكر باللسان، وتخصيص الذكر بالقلب دون اللسان، بل قد ورد أحاديث كثيرة صريحة بذكر الله باللسان،منها أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبث به،فقال: **« لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عز وجل»**(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«كلمتان**

---

(١) جامع التحصيل للعلائي ص ٢٦٦ (ط١٤٠٧/٢هـ، دار عالم الكتب، بيروت، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي السلفي).

(٢) تهذيب التهذيب (٢٦٨/٩).

(٣) سبق تخريجه ص ١٣٣.

خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١).

فذكر الله باللسان هو الذي صحت به السنة وتركه أو كراهته من البدع.

ثم يقال: إن كثيراً من الأذكار يتوقف صحة العمل على التلفظ بها وإسماع المرء نفسه كأذكار الصلاة مثلاً.

الأمر الثالث: أن ذكرهم هذا الخفي المزعوم، يزعمون بأن شيخهم الغجدواني تلقاه عن الخضر عليه السلام لما التقى به(٢)، وعلمه آدابه، فلو كان قصدهم صحيحاً بأنهم يتتبعون السنة في كل شيء كما يزعمون فلماذا حاكوا القصص ونسجوا الحكايات لتأكيد ما يفعلونه

الأمر الرابع: إن ذكر الله جل جلاله بالقلب عمل من أفضل أعمال القلوب، وقد سبق وأن ذكرت أدلته، ولكن ما يفعله هؤلاء الذين قصروا ذكر الله عليه، كما أنهم قد جعلوا لهذا الذكر آداباً وأركاناً ومستحبات ما أنزل الله بها من سلطان منها: الجلوس متوركاً بعكس جلوس الصلاة، وتغميض العينين وقراءة الفاتحة وإهداء ثوابها للنبي ﷺ وإلى مشايخ الطرق وخصوصاً الطريقة النقشبندية، وحفظ صورة الشيخ في خيال الذاكر واستمداد البركة منه بالقلب، ولصق الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة،

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣٥.

(٢) انظر ص ١٢٠١-١٢٠٤ من هذا الرسالة.

ووضع اللسان بسقف الفم (وذلك حتى لا يتحرك اللسان)، ويقولون بأنهم يذكرون بلسان القلب[1]،... إلى غير ذلك من الآداب التي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة و لم تكن معروفة على عهد الصحابة ﷺ.

فينبغي إذاً ترك هذه الأفعال المبتدعة والأخذ بكل ما ورد عن رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً، وعدم أخذ جانب من الأذكار وترك الجانب الآخر.

ثانياً: وقد احتج بعض قاصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: **«أنت مني وأنا منك»** فحجل، وقال لجعفر رضي الله عنه:**«أشبهت خلقي وخلقي»** فحجل، وقال لزيد **«أنت أخونا ومولانا »** فحجل.

استُدِل بهذا الحديث بجواز الرقص والتواجد والاضطراب أثناء الذكر وممن استدل بذلك الغزالي حيث قال: "وقد روي عن جماعة من الصحابة ﷺ أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور وأوجب ذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم ... إلى أن قال والحجل هو الرقص"[2].

---

(١) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب لمحمد أمين الكردي ص٥١٢-٥١٥، والمواهب السرمدية ص ٣٠٦، ٣١٦، نقلاً عن الطريقة النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ص٢٣-٢٤.

(٢) الإحياء (٣٣١/٢) .

وكذلك الفوتي صاحب رماح حزب الرحيم حيث قال في سياق الكلام على الذكر قائماً: "فإذا انضم إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكار عليهم، فإن ذلك من لذات الشهود والمواجيد، وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله ﷺ حين قال له: «**أشبهتَ خلقي وخلقي**» من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه النبي ﷺ فكان هذا أصلاً في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم مما يدركونه من لذات المواجيد، وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة "[١].

والاستدلال بهذا الحديث على ذلك لا يصح وذلك لأمور:

أولها: أن هذا الحديث جاء في صحيح البخاري[٢] ضمن سياق قصة طويلة ولم يرد فيه لفظ الحجل، وكذلك رواه الترمذي في سننه[٣]، ولم يرد فيه ذكر الحجل مطلقاً.

الأمر الثاني: أن ذكر الحجل في الحديث لم يرد في أحاديث صحيحة وإنما ورد في روايات كلها لا تخلو من ضعف:

---

(١) الرماح (١/٣٤٩).

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب عمرة القضاء (٤/١٥٥١) ح٤٠٠٥.

(٣) سنن الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه (٥/٦٥٤) ح٣٧٦٥.

منها رواية الإمام أحمد في مسنده[1]، والبزار في مسنده[2]، والبيهقي في موضعين من سننه[3]، وهي ضعيفة وذلك لأن:

١- في أسانيدها أبا إسحاق السبيعي وهو مدلس[4] قد عنعن و لم يصرح بالسماع.

٢- وكذلك وردت جميعها من طريق هانئ بن هانئ وهو مجهول [5].

وقد رواه ابن سعد في طبقاته[6]، ولكنه أيضاً ضعيف وفيه انقطاع، ففي إسناده محمد بن علي لم يسمع من جده الحسين بن علي رضي الله عنه[7].

الأمر الثالث: أن الحجل لغة ليس هو كما فسره المتصوفة من الرقص والغناء، فقد جاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ما نصه:

---

(١) المسند (١٠٨/١) وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٢١٣/٢) :" إسناده ضعيف... ولفظ الحجل في الحديث منكر غريب".

(٢) مسند البزار (٣١٦/٢) ح ٧٤٤.

(٣) السنن الكبرى (٦/٨) و (٢٢٦/١٠).

(٤) انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر (٥٦/٨).

(٥) قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٧٢/٧) :" هانئ بن هانئ، قال ابن المديني : مجهول " وقال الذهبي أيضاً في المغني في الضعفاء (٧٠٧/٢) : ليس بالمعروف، وقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٢٢/١١) : " وقال حرملة عن الشافعي هانئ بن هانئ لا يعرف، وأهل العلم بالحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله ".

(٦) الطبقات الكبرى (٣٥/٤).

(٧) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر (٣١١/٩-٣١٢).

"الحَجْل: أن يَرْفَع رجْلاً ويَقْفزَ على الأخرى من الفرح. وقد يكون بالرّجْلَين إلاّ أنَّه قَفْزٌ "(١).

وقال ابن منظور: قال الأَزهري: الإِنسان إذا رفع رِجْلاً وتَرَيَّث في مشيه على رِجْل فقد حَجَل. ونَزَوانُ الغُراب: حَجْلُه. وفي الحديث: أن النبي ﷺ، قال لزيد: أَنت مَوْلانا فَحَجَل؛ الحَجْل: أَن يرفع رِجْلاً ويَقْفِز على الأُخرى من الفَرَح، قال: ويكون بالرجلين جميعاً إِلا أَنه قَفْزٌ وليس بمشي"(٢).

فهناك فرق بين الرقص والتواجد والنط والدوران مع شدة الصراخ والزعيق الذي يفعله المبتدعة أثناء ذكرهم، وبين الحجل المعروف في لغة العرب.

وكذلك أجاب ابن الجوزي على استدلالهم بهذا، حيث قال: " فالجواب: أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص"(٣).

الأمر الرابع: أن الصوفية يقصدون في رقصهم ودورانهم وميلانهم وتواجدهم عند الذكر القربة والطاعة لله تعالى، والحجل إنما هو عبارة عن فرح، **ولم يقصد** من حجل أن فعله هذا نوع من العبادات، وقد يمنع

---

(١) النهاية (١/٣٤٦).

(٢) لسان العرب (١١/١٤٤).

(٣) تلبيس إبليس ص٢٩٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/٢١٥).

الشارع الحكيم أمراً مباحاً، لأن صاحبه يعتقد فيه القربة والتعبد والشارع لم يجعل فيه قربة ولا تعبداً

كما منع رسول الله ﷺ أبا إسرائيل من الوقوف تحت الشمس لاعتقاده أن ذلك قربة، مع أن الوقوف تحت الشمس مباحٌ في الأصل، لكن منع منه لئلا يعتقد الناس أن فيه تقرباً إلى الله تعالى والله أعلم.

ثالثاً: ما روي أن علياً رضي الله عنه صلى الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفرًا، بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل -والله ثيابهم- والله لكأن القوم باتوا غافلين" [١].

هذا الحديث يُحتج به على مشروعية الذكر على الصورة التي يفعلها المتصوفة من التمايل يمنة ويسرة وأماماً وخلفاً، والدوران وغير ذلك مما هو معروف في حلق الذكر الصوفي قال الشيخ الألباني رحمه الله: "وبهذه المناسبة لابد من التذكير نصحاً للأمة بأن ما يذكره بعض المتصوفة عن علي رضي الله عنه أنه قال وهو يصف أصحاب النبي ﷺ:

(كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح) فاعلم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٧٦).

أن هذا لا يصح عنه رضي الله عنه فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٦/١) من طريق محمد بن يزيد أبي هشام: ثنا المحاربي عن مالك بن مغول عن رجل (جعفي) عن السدي عن أبي أراكة عن علي...

قلت: وهذا إسناد ضعيف مظلم"[١] .

فهذا الحديث وأمثاله من الأحاديث الضعيفة لا يجوز الاحتجاج به ولا العمل به لأن ذلك من الكذب على رسول الله ﷺ

هذا وإن الناظر في كتب المتصوفة يجد فيها من الأحاديث الضعيفة ما الله به عليم، بل والأحاديث الموضوعة، كل ذلك ليصححون ما هم عليه من البدع وخاصة في باب الذكر.

أسأل الله أن يردنا والمسلمين إلى دينه رداً جميلاً.



(١) السلسلة الصحيحة رقم ١٣١٧.

المبحث الثاني
شبههم فيما احتجوا به من الأحاديث الموضوعة والرد عليها

إن الاعتماد على الأحاديث الموضوعة الواهية هي المصيبة العظمى، والبلية الكبرى ؛ إذ إن خطرها على الأمة جسيم، وضررها جِدّ عظيم، وإن أخطر شيء فيها هو الكذب على رسول الله ﷺ، وتقويله ما لم يقل، والافتراء عليه وهذا ذنب عظيم وهو من كبائر الذنوب لقوله ﷺ:

« من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[١] .

وقال رسول الله ﷺ: **« من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »** [٢] .

وإن من المؤسف حقاً، أن بعض الناس -هداهم الله- يعبدون الله بعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، مستندها الموضوعات والمكذوبات من الأحاديث.

فأهل البدع ليس همهم صحة الأثر عن رسول الله ﷺ وإنما همهم التمسك بكل شيء يقوّي ويدعم بدعتهم ويؤيدها، فهم يبتدعون أولاً ثم

(١) سبق تخريجه ص ٩٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/٨).

يبحثون عن الأدلة مهما كانت صحيحة أو مكذوبة على رسول الله، لتروج بدعتهم وتنتشر بين عوام الناس. بل إن بعضهم هو الذي يكذب على رسول الله ﷺ، فيضع أحاديث تقوّي بدعته وتدعمها.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في أثناء كلامه على مآخذ المبتدعة في الاستدلال وذكر منها: "اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة والمكذوب فيها على رسول الله ﷺ والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليها، كحديث الاكتحال يوم عاشوراء... وأن النبي ﷺ تواجد عند السماع حتى سقط الرداء عن منكبه وما أشبه ذلك.

فإن أمثال هذه الأحاديث -على ما هو معلوم- لا يبنى عليها حكم، ولا تُجعل أصلاً في التشريع أبداً، ومن جعلها كذلك، فهو جاهل أو مخطئ في نقل العلم فلم يُنقل الأخذ بشـيء منها عمّن يعتد به في طريقة العلم ولا طريقة السلوك" [(١)].

فالأحاديث الموضوعة إذاً هي إحدى المطايا التي يركبها من يخالف سنة النبي ﷺ وشريعته ليستدل بها على ما خالف به المنهجَ الرباني والهديَ النبوي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً

---

(١) الاعتصام (٢/١٢-١٤)، وانظر درء التعارض (٣٣٦/٧).

كاحتجاجهم بقياس فاسد، أو نقل كاذب، أو خطاب ألقى إليهم اعتقدوا أنه من الله وكان من إلقاء الشيطان.

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلاً"[١].

هذا وقد استُدِل ببعض الأحاديث الموضوعة على بعض الأذكار المبتدعة، وعلى بعض الأمور الملصقة بالذكر ومن تلك الأحاديث:

أولاً: ما روي من أن أعرابياً أتى إلى النبي ﷺ وأنشده:

قد لسعت حية الهــوى كبدي فلا طبيب لهـــا ولا راقـــي

إلا الحبيب الـــذي شُغِفت بـــه فعنـــده رقيـــتي وترياقـــي

فتواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه، فقال معاوية: ما أحسن لهوكم، فقال: مهلاً يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب " ثم قسم ﷺ رداءه على من كان حاضر بأربعمائة قطعة.

هذا الحديث ساق إسناده السهروردي الصوفي وقال:" فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجْدَ أهل الزمان في سماعهم واجتماعهم وهيئتهم، إلا هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صحّ، ويخالج سري أنه غير صحيح، ولم أجد فيه ذوق النبي ﷺ مع أصحابه وما

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٦٧-٦٨)

كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله"[١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد رواه ابن طاهر في السماع"[٢].

واستدلالهم بهذا الحديث على تواجدهم واضطرابهم ورقصهم في أثناء الذكر، وذكرهم بالذكر الجهري **باطل لأمور عدة:**

أولها: أن الحديث موضوع باتفاق أهل العلم فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وهذا أيضا موضوع باتفاق أهل العلم كذب مفترى "[٣].

وقال في موضع آخر: "حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن....وهذا وأمثاله إنما يرويه من هو أجهل الناس بحال النبي ﷺ وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الإيمان والإسلام"[٤].

وقد حكم على هذا الحديث بالوضع كثير من العلماء [٥].

---

(١) عوارف المعارف للسهروردي ص ١٢٣ .

(٢) لسان الميزان (٤/٢٧٠).

(٣) الاستقامة (١/٢٩٧).

(٤) رسالة في السماع والرقص لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٩ من الجزء الثالث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، وانظر حكم شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا الحديث بالوضع وتشنيع من يقول به في المواضع التالية من مجموع الفتاوى (١١/٥٦٣) (١١/٥٩٨) (١١/١٦٨).

(٥) منهم على سبيل المثال لا الحصر الإمام أبو إسماعيل الأنصاري، وأبو بكر السمعاني، وأبو الفرج بن الجوزي، وابن حجر العسقلاني والعراقي كما في كتاب الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة لمحمد صفي الدين الحنفي ص٥١-٥٤، =

وعلة هذا الحديث عمار بن إسحاق فهو متهم بوضع هذا الحديث

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ترجمة عمار هذا: " عمار بن إسحاق عن سعيد بن عامر الضبعي كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها قد لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات"(١).

فإذا تبين أن الحديث موضوع فلا يجوز العمل بما فيه ولا الاستدلال به على أفعال هي في الأصل مخالفة لما عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

ثانيها: أن الشعر الذي فيه ركاكة لا يتناسب مع أذواق العرب وأشعارهم وجزالة ألفاظهم وقوة تعبيراهم قال ابن القيم رحمه الله: " وركاكة شعره وسماجته، وما تجد عليه من الثقالة من أبيَن الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد السمج فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ"(٢).

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: " الواقف على متن هذا الحديث يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع ؛ لأن الشعر العربي الذي فيه لا يناسب شعر العرب، ولا يلتقي بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم، وإنما يليق

= وذكر غير هؤلاء، وممن حكم عليه بالوضع الإمام الشاطبي كما في الاعتصام (١٢/٢-١٤)، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما سبق، والذهبي، والعجلوني في كشف الخفاء (١٨٤/٢)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣٤/٢) برقم ٥٥٨، وغير هؤلاء من العلماء كثير جداً.

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١٩٨/٥) رقم الترجمة ٥٩٨٨

(٢) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص٣٢٣،(ط١/١٤٠٩هـ ؛ دار العاصمة، الرياض، تحقيق راشد بن عبد العزيز الحمد)

بمخنثي شعر المولّدين، يُدرك ما ذكرناه بالذوق الضروري مَنْ له خبرة بشعر العرب والمولّدين، ولذلك ألفاظ متن الحديث لا يليق بكلام رسول الله ﷺ ولا بكلام أصحابه، ولذلك معناه لا يليق بهم للذي تواتر عندنا من أحوال رسول الله ﷺ، وأحوال أصحابه، من الجد والاجتهاد والوقار والجلالة وحسن الهيئة "[١].

ثالثها: أن سماع الرسول ﷺ وصحابته وذكرهم لله تعالى،يختلف تماماً عن ما أحدثه المبتدعة من سماعات، فالسماع المحدث "لم يفعله أحد من الصحابة لا من أهل الصفة ولا من غيرهم بل ولا من التابعين بل القرون المفضلة التي قال فيها النبي ﷺ: «**خير القرون الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** »لم يكن فيهم أحد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب وإنما كان السماع الذي يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من أهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه فكان أصحاب محمد إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روى أن النبي ﷺ خرج على أهل الصفة وفيهم قارئ يقرأ فجلس معهم وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكان وجدهم على ذلك وكذلك إرادة قلوبهم"[٢].

---

(١) كشف القناع ص ١٥٩-١٦١ .

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٥٧-٥٨)، وانظر الاستقامة (١/٢٩٧).

ثانياً: ما روي أن النبي ﷺ لقن علي بن أبي طالب أن يقول: الله الله ، الله، فقالها النبي ﷺ ثلاثاً، ثم أمر علياً فقالها ثلاثاً ".

هذا الحديث يستدل به من يجوز الذكر بالاسم المفرد، ولا يصح الاستدلال به لأنه حديث موضوع باتفاق العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وربما اقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على (الله، الله، الله) أو على هو أو يا هو، أو لا هو إلا هو، وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك واستدل عليه تارة بوجد وتارة برأي وتارة بنقل مكذوب، كما يروى بعضهم أن النبي ﷺ لقن علي بن أبي طالب أن يقول: الله الله الله فقالها النبي ﷺ ثلاثاً، ثم أمر علياً فقالها ثلاثاً، **وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث** "[١] .

فإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاحتجاج به ولا العمل بما تضمنه، ومن يعمل به معتقداً فقد افترى على رسول الله ﷺ كذباً. وغير ذلك من الأحاديث الموضوعة التي يستدل بها المبتدعة على بدعهم وهي كثيرة.

فعلى المسلم أن يتحرى الأحاديث الصحيحة ويعمل بها ففيها الغنية والكفاية عما سواها من الموضوعات والأحاديث الضعيفة الواهية، وبذلك تبرأ ذمته بإذن الله تعالى.



---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٧)

المبحث الثالث

شبههم فيما احتجوا به من الحكايات والمنامات والرد عليها

لم يأل المبتدعة جهداً كي يضمنوا نَفاق أورادهم وأذكارهم ورواجها بين عامة الناس وقليلي العلم، فلذلك سلكوا شتى المسالك و السبل لكي يقتنع مريدوهم بما هم عليه من الباطل ويقبلوا تلك الأذكار المليئة بالبدع والشركيات.

ومن تلك السبل التي سلكوها أيضاً -إضافة لما ذكرنا سابقاً- الحكايات والمنامات والرؤى، التي جعلوها مصدراً من مصادر التشريع، ومتمسكاً لبدعهم وعباداتهم وأذكارهم المبتدعة، وصار كل من أراد الزعامة والرياسة في طريقة ما، يسوق من الحكايات الكاذبة والمنامات التي هي من وحي الشيطان، ويلبّس على الناس بأنه التقى بالخضر وعلمه ذكراً ووِرداً من أفضل الأوراد والأذكار بل لا يسبقه و لا يفضله أي ذكر أو ورْد.

حتى ادعى بعضهم أنه رأى النبي ﷺ في المنام وعلمه هذه الأذكار، بل منهم من يزعم أنه رآه في اليقظة وعلمه بعض الأذكار وخصه بها من بين العالمين أولهم وآخرهم، وأنه ادخر تلك الأذكار المزعومة له دون غيره، ولم يعطها لأحد قبله ليظهر شرفه ومكانه على العالمين، وجعل

لتلك الأذكار المزعومة أجوراً لم يصل إلى درجتها ذكر من الأذكار النبوية الصحيحة التي تلقاها الصحابة عن رسول الله ﷺ.

ولنذكر نماذج على ما ذكرنا ثم نناقشها:

فمن ذلك: ما جاء عن أحمد بن إدريس أنه قال: "أملى عليّ رسول الله ﷺ الأحزاب يقظة".

وزعم أنه تلّقى تمليله (لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله) من رسول الله ﷺ وأنه قال له: (خزّنتها لك يا أحمد ما سبقك بها أحد، علّمها أصحابك يسبقون بها الأوائل)" [(١)]

وتارة يزعم أن الخضر عليه السلام علمه أوراد الطريقة الشاذلية بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)].

وقيل عن أوراد أحمد التيجاني كما في جواهر المعاني: " أما ورده الذي يُلقَّن لكافة الخلق الذي رتبه له سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ فهو..."[(٣)].

وقالوا أيضاً:

أوراده من رسول الله رويتْ كذاك أفعاله، والسر مأثور

---

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم صادق ص٢٢٩ (ط١/١٤١٥هـ، مكتبة الرشد الرياض).

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٩.

(٣) جواهر المعاني (١/٥٢).

وقد جاء في فضل صلاة الفاتح لما أُغلق كما قال في جواهر المعاني: " بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني[١] ثانياً أن المرة الواحدة تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة"[٢].

أما أوراد الشاذلية وأحزابهم، فحزب البحر الذي يقولونه هو:

"من إملاء رسول الله ﷺ على شيخ الطريقة والحقيقة مولانا أبي الحسن الشاذلي"[٣].

وفي رماح حزب الرحيم: "الفصل الحادي والثلاثون: في إعلامهم أن الأولياء يرون رسول الله ﷺ يقظة، وأنه ﷺ يحضر كل مجلس أو مكان أراده بجسده وروحه،وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وأنه مغيب عن الأبصار..."[٤].

وقال صاحب جواهر المعاني: "وأذن له ﷺ في تلقين الخلق بعد أن كان فاراً من ملاقاة الخلق وعدم ادّعاء المشيخة، إلى أن وقع الإذن منه **يقظة لا مناماً** بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعيّن له الورد الذي

(١) يعني أخبره رسول الله ﷺ بزعمه الباطل وافترائه العظيم على رسول الله، ورسول الله ﷺ بريء من هذا كله .

(٢) جواهر المعاني (١/٥٧) .

(٣) جواهر المعاني (١/٦٢) .

(٤) رماح حزب الرحيم (١/٣٦٦).

يلقنه في سنة ست وتسعين ومائة وألف عيّن النبي ﷺ الاستغفار والصلاة عليه ﷺ...وأخبره عليه الصلاة والسلام بفضل هذا الورد وقدره"[١].

وذكر صاحب الرماح أن طريقتهم وأورادهم إنما تلقاها شيخهم أحمد التيجاني من النبي ﷺ يقظة لا مناماً[٢].

وطائفة من أصحاب الطرق يحيكون قصصاً وحكايات عن الخضر عليه السلام -هذه الشخصية الكريمة التي طالما انتحلها أصحاب الطرق ليُسوِّغوا ما ذهبوا إليه من الأذكار المبتدعة- ويدعون أنهم يقتبسون أذكارهم وأورادهم من الخضر شفاهاً، وتكون القصة مكذوبة مخترعة حتى يعمل المريدون بالذكر الجديد المبتدع.فهذا عبد العزيز الدباغ يدعي أنه التقى بالخضر عليه السلام وأنه لقنه ذكراً يقوله كل يوم سبعة آلاف مرة[٣].

وكذلك الذكر الذي يدعيه أصحاب الطريقة النقشبندية الذكر الخفي على كيفية معينة، من الإثبات والنفي، إنما هو مخترع بقصة يحكونها عن الخضر عليه السلام، فقد زعموا أن الشيخ عبد الخالق الغجدواني [٤] كان يقرأ القرآن عند الشيخ صدر الدين فوصل إلى قول

---

(١) جواهر المعاني لعلي حرازم (١/٢٦)، وانظر الرماح (١/٣٥٥).

(٢) رماح حزب الرحيم (١/٣٥٦) .

(٣) انظر : الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، لأحمد بن المبارك ص ١٣-١٤.

(٤) عبد الخالق الغجدواني متصوف من رؤوس النقشبندية ولد في غجدوان (وهي قرية تبعد ستة فراسخ من بخارى)، واشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة. =

الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[١].

قال للشيخ: ما حقيقة الذكر الخفي، وكيف طريقته؟ فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلع الناس عليه، وإن ذكر بالقلب فالشيطان يطلع عليه لقوله ﷺ: **« إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق»**[٢].

فقال الشيخ: (هذا علم لدني) وإن شاء الله يجمعك الله على أحد من أوليائه فيلقنك الذكر الخفي...، فكان ينتظر وقوع هذه البشارة حتى جاء الخضر عليه السلام إليه ولقنه الوقوف العددي والذكر الخفي، وهو ينغمس في الماء ويذكر بقلبه:(لا إله إلا الله محمد رسول الله) فحصل له الفتح العظيم والجذبة القيومية"[٣].

فالعجب كل العجب من المبتدعة بعضهم يجلب بخيله ورجله

= انظر: الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية ص ١١١ لياسين السنهوتي، والمواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية ص٧٥ لمحمد أمين الكردي.

(١) سورة الأعراف الآية: ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (١١٩٥/٣) ح٣١٠٧، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجة أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليرفع ظن السوء به (١٧١٢/٤) ح٢١٢٧ .

(٣) المواهب السرمدية للكردي ص ٧٧، والأنوار القدسية للسنهوتي١١١-١١٢، نقلاً من كتاب النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ص٢٠.

ويركب الصعب والذلول لإثبات مشروعية الجهر بالذكر والزعيق والصياح، وبعضهم يأتي بالقصص والحكايات وقد تكون مكذوبة مخترعة، ويجمع الأدلة ليثبت مشروعية الذكر الخفي فهم على طرفي نقيض.

وقصة الغجدواني هذه قصة مصنوعة لتعليل هذا الذكر المبتدع، وإن صحت فمردودة لا يعمل بها، إذ إن مصدر التشريع هو الكتاب والسنة، وليس الخضر عليه السلام مصدراً من مصادر التشريع، ومتى عُهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم أن يتلقوا العبادات عن الخضر عليه السلام؟!

والله سبحانه وتعالى لم يقبض محمداً ﷺ إلا وقد أكمل الدين ورضيه لنا وأتمّ النعمة، فله الفضل سبحانه وله الحمد على ذلك، فلا نحتاج لمثل هذه القصص لإثبات عبادات مبتدعة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ ولا على عهد صحابته الكرام رضي الله عنهم.

والذكر هذا الذي ذكر الغجدواني يكون بالانغماس في الماء ليس من الشرع المطهر، ولم يثبت ذكر الله حال الغسل أوحال الانغماس في الماء، بل يذكرنا هذا الفعل بأفعال الهنود البوذيين الذين ينغمسون بالأنهار التي يعتقدون بها القداسة والطهارة واعتقادات فاسدة أخرى، ويقيمون صلواتهم وأذكارهم وهم منغمسون في النهر أو البحر.

فذكرهم بهذه الصورة فيه مشابهة للكفار، ولا يجوز مشابهة الكفار كما هو معلوم شرعاً.

أما المنامات فمن ذلك ما ذُكر عن الكتاني[١] أنه قال: "رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادعُ الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت"[٢].

وادعى محمد صالح الجعفري الإدريسي أن من مِنَنِ الله عليه أن رسول الله ﷺ أجازه في المنام بالصلاة العظيمية[٣].

وهذا أبو المواهب الشاذلي يقول: "رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي قل عند النوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمساً، وبسم الله الرحمن الرحيم خمساً ثم قل: اللهم رب محمد أرني وجه محمد حالاً ومآلاً، فإذا قلتها عند النوم فإني آتي إليك ولا أتخلف عنك أصلاً، ثم قال: وما أحسنها من رقية ومن معنى لمن آمنبه"[٤] ؟

وأخيراً هناك حكاية تحكى -وهي ليست بمنام ولا لقيا النبي ﷺ ولا الخضر- يستدل بها بعضهم وبما فيها من شبهة على جواز الذكر بالاسم المفرد وهذه الحكاية عن الشبلي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) أبو بكر بن محمد بن علي الكتاني، أصله من بغداد، صحب الجنيد والنوري وأبا سعيد الخراز، وأقام بمكة وجاور بها إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة انظر : الطبقات الكبرى للشعراني (١/١١٠).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٧٨-٧٩)، والرسالة القشيرية ص ١٧٧، والطبقات الكبرى للشعراني (١/١١٠).

(٣) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية لصادق سليم ص ٣٢٤ .

(٤) الطبقات الكبرى للشعراني (٢/٧٣) .

رحمه الله فقال: "وربما اتبعوا[1] فيه حال شيخ مغلوب فيه مثلما يروى عن الشبلي أنه كان يقول: الله الله، فقيل له: لم تقول لا إله إلا الله فقال: أخاف أن أموت بين النفي والإثبات"[2].

إلى غير ذلك من الرؤى والمنامات والحكايات، وهي كثيرة جداً[3] التي اعتمدوا عليها في أذكارهم، وجعلوها أوراداً لا يتركونها، ورتبوا لها الأعداد والأجور العظيمة، كل ذلك فقط بمنام ورؤية الله أعلم بصحتهما.

وجميع ما ادعوه من منامات أو حكايات أو لقاءات بالأولياء أو الخضر، أو النبي ﷺ التي تقتضي بتشريع أذكار لم يشرعها النبي ﷺ، وترتيب الأجور العظيمة عليها، وإلصاق الكيفيات والهيئات بها، والأعداد الهائلة، **باطل مردود وذلك لأمور عدة:**

الأمر الأول: أن زعمهم بصحة ما يدعونه من الأذكار التي يتلقونها عن طريق المنامات والحكايات، فيه معارضة شديدة، ومخالفة أكيدة لقوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[4].

---

(١) يقصد الذين يقولون بجواز الذكر بالاسم المفرد الله، الله .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦-٥٥٧) .

(٣) وانظر: عوارف المعارف للسهروردي ص١٠٨، ١١٠، والطبقات الكبرى للشعراني (٢/٤٧-٧٥).

(٤) سورة المائدة الآية: ٣ .

فدينُ الإسلام كامل شامل لا يحتاج إلى من يزيد فيه، والعبادات جميعها إنما تؤخذ من الوحيين الكتاب والسنة فهي توقيفية، ومتى كانت الحكايات والمنامات مصدراً من مصادر التشريع؟!.

قال الشاطبي رحمه الله: "ويلزم أيضاً على ذلك أن يكون تجديد وحي بحُكْمٍ بعد النبي ﷺ، وهو منفي بالإجماع"(١) .

الأمر الثاني: أن هذه الحكايات والمنامات يتطرق إليها احتمال كبير أن تكون كذباً على أصحابها، أو رويت عن مجاهيل، أو ابتكرها أصحابها لهوى في نفوسهم وهي في الحقيقة لم تحصل، أو صاحبها مغلوب على أمره كما هو حال الشبلي، أو هي من وحي الشيطان وتلاعبه وتخييله، لكي يلبّس على الناس دينهم، ويوقعهم في الضلال والخروج عن سنة نبيهم ﷺ وعن شريعته، فيتخيل لأحدهم بزي الخضر أو بزيّ رجل معروف بالصلاح قد مات، ثم يوحي إليه ببعض الأذكار الغامضة غير المفهومة أو يرتب لها أجراً وثواباً عظيماً ليغرر به الجهال ويفتنهم عن دينهم، وإنما يطمع الشيطان بأُناس قلّ توحيدهم لربهم، وقصرت معرفتهم بالكتاب والسنة وقواعدهما.

وإنما يعرف ذلك ويميز هذه الأحوال من كان له إيمان بالله، وبصيرة بكتابه وسنة نبيه ﷺ، واعتصام بالله سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " المنقول في ذلك إما أن

(١) الاعتصام (٢/٨١) .

يكون كذباً على صاحبه...وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقلّ علمه ودينه.

وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روى لنا مثل هذه الحكايات المُسَيَّـــبة في أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت فكيف بالمنقول عن غيره.

ومنها ما قد يكون صاحبه قاله أو فعله باجتهاد يخطئ فيه ويصيب، أو قاله بقيود وشروط كثيرة على وجه لا محذور فيه فَحُرِّف النقل عنه،كما أن النبي ﷺ لما أذن في زيارة القبور بعد النهي عنها فَهِمَ المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها مِنْ حَجِّها للصلاة عندها، والاستغاثة بها، ثم سائر هذه الحجج دائر بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجور استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها، وترْكُه لها مع قيام المقتضي للفعل بمنـــزلة فعله، وإنما تثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن أبناء النصارى وأمثالهم، وإنما المُتَّبَع عند علماء الإسلام في إثبات الأحكام هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين أو الأولين ولا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصا استنباطا بحال"[١] .

وقال أيضاً رحمه الله في موضع آخر: "فمن هؤلاء من يسمع خطاباً أو يرى من يأمر بقضية، ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٤٣-٣٤٤.

الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب، ورجال الغيب هم الجن، وهو يحسب أنه أنسي وقد يقول له:أنا الخضر أو إلياس، بل أنا محمد أو إبراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن، وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على أن هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا لبّس عليه...

فهؤلاء يتبعون ظناً لا يغني من الحق شيئاً ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم أن هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجده وما يجده محبوباً إليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعاً لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما تهوى الأنفس وهؤلاء إذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آبائه وأسلافه"[١].

وقال أيضاً رحمه الله: "والضُلَّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه إما النبي ﷺ، وإما غيره من الأنبياء يقظة ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت وخرج منها النبي ﷺ وعانقه هو وصاحباه، ومنهم من يخيل إليه أنه رفع صوته بالسلام حتى وصل مسيرة أيام وإلى مكان بعيد وهذا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٧١ –٧٢) .

وأمثاله... وكثير منهم إذا صدق به يظن أنه من الآيات الإلهية وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علما قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة خلافاً ظاهراً ومن عنده علم منها لا يقول له ما يعلم أنه مخالف للشريعة ولا مفيداً فائدة في دينه بل يضله عن بعض ما كان يعرفه فإن هذا فعل الشياطين وهو وإن ظن أنه قد استفاد شيئاً فالذي خسره من دينه أكثر"[1].

الأمر الثالث: أننا لو صدقنا كل ما يقال من الحكايات والمنامات المزعومة لفتحنا الباب على مصراعيه يدخل منه كل أحد يضمر للإسلام وللمسلمين الشر، فيزيد ما شاء في الدين، ويحرّف ويبدّل على حسب ما تهواه نفسه ويأمره به شيطانه، فتتبدل الأحكام وتتغير أسس الشريعة وقواعدها بل قد تختفي كما هو ظاهر في بعض البلدان الإسلامية التي ظهرت فيها البدع واختفت فيها السنن نسأل الله لنا ولهم الهداية.

الأمر الرابع: أن رؤيته ﷺ يقظة بعد موته مستحيلة شرعاً وعقلاً، فهي غير ممكنة الوقوع قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سياق كلامه على رؤية الأنبياء بعد موتهم حقيقة: " وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة" [2].

---

(١) المصدر المسابق (٢٧/٣٩١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٢/٣٨٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمن ظن أن أحدا من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أتى"[١].

ولو كانت رؤيته ﷺ يقظة بعد موته كرامة لكان أصحابه أولى بها، كيف وقد كان هناك من الدواعي الداعية لذلك لما نزل بهم من مسائل تنازعوا فيها كانوا بحاجة لفض الخلاف فيها ولو رأوه يقظة ﷺ لسألوه عما وقع بينهم ولأزال لهم ما استشكلوه بعد موته ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكثير من هؤلاء يظن أن النبي ﷺ نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة، ومن يرى ذلك عند قبر النبي ﷺ أو الشيخ وهو صادق في أنه إياه من قال: إنه النبي أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه، لكن غلط حيث ظن صدق أولئك. والذي له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي ﷺ **تارة** لما يراه منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله، **وتارة** يعلم أن النبي ﷺ ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره، فكيف يكون هذا لي، **وتارة** يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا"[٢].

وقال رحمه الله في موضع آخر: "ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر ولا أنه أتى إلى النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدراً

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٩٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٧٨).

من أن يلبِّس الشيطان عليهم،ولكن لبَّس على كثير ممن بعدهم فصار يتمثل لأحدهم في صورة النبي ﷺ، ويقول: أنا الخضر وإنما هو شيطان كما أن كثيراً من الناس يرى ميته خرج وجاء إليه وكلمه في أمور وقضى حوائج فيظنه الميت نفسه وإنما هو شيطان تصور بصورته"(١).

وقال أيضاً رحمه الله: "لم يقل قط أحد من الصحابة إن الخضر أتاه ولا موسى ولا عيسى ولا أنه سمع رد النبي ﷺ عليه وابن عمر كان يسلم إذا قدم من سفر ولم يقل قط إنه يسمع الرد وكذلك التابعون وتابعوهم وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين، وكذلك لم يكن أحد من الصحابة رضوان الله عليهم يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه أشكل عليهم من العلم لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم مع أنهم أخص الناس به ﷺ حتى ابنته فاطمة رضى الله عنها لم يطمع الشيطان أن يقول لها اذهبي إلى قبره فسليه هل يورث أم لا يورث؟ كما أنهم أيضا لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا، ولا قال اطلبوا منه أن يستنصر لكم ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقى لهم وأن يستنصر لهم فلم يطمع الشيطان فيهم بعد موته أن يطلبوا منه ذلك ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة وإنما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة فأضله الشيطان كما أضل النصارى"(٢) .

---

(١) المصدر السابق (١٨/٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٩٢/٢٧-٣٩٣)

قلت: ويلزم كل من ادعى أنه رأى النبي ﷺ والتقى به وأخذ عنه أن يكون في عداد الصحابة، وأن يعتبر نفسه صحابياً، ويلزمه أن يقول إن مرتبة الصحبة لا زالت ولا تزال إلى يوم القيامة، فلا بد إذاً من الاستدراك على الكتب التي أُلّفت وحصرت أسماء الصحابة، وهذا كله محال، يدركه من كان له أدنى بصيرة من علم، وبالتالي فادّعاؤهم لقيا الرسول ﷺ يقظة والأخذ عنه ادعاء باطل وفيه من المخاطر والضرر على الإسلام والمسلمين ما الله به عليم.

الأمر الخامس: أن الخضر عليه السلام انتحل شخصيّته كثيرٌ من المتصوفة وافتروا عليه افتراءات كثيرة باطلة -ينبغي أن يتره عنها لشرفه وكرامته ومترلته- ليثبتوا أذكارهم المبتدعة، كل ذلك كان بسبب اعتقادهم أن الخضر عليه السلام حي وهذا اعتقاد غير صحيح، لأن الخضر عليه السلام ميت بنص القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

وما روي من أحاديث تقضي بثبوت حياته فهي غير صحيحة.

قال ابن القيم رحمه الله: "الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد.. وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: لو كان الخضر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي ﷺ

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٣٤.

ويجاهد بين يديه ويتعلم منه وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: « **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض** » وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ.

قال أبو الفرج ابن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء القرآن والسنة وإجماع المحققين من العلماء والمعقول:

أما القرآن: فقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ فلو دام الخضر كان خالدا.

وأما السنة: فذكر حديث « **أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد** » متفق عليه .

وأما إجماع المحققين من العلماء: فقد ذكر عن البخاري وعلي بن موسى الرضا أن الخضر مات، وأن البخاري سئل عن حياته فقال وكيف يكون ذلك وقد قال النبي ﷺ: « **أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد** »[1] .

قال: وممن قال: إن الخضر مات إبراهيمُ بن إسحاق الحربي وأبو الحسين بن المنادي وهما إمامان وكان ابن المنادي يقبح قول من يقول إنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب السمر في العلم (١/٥٥) ح ١١٦، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم (٤/١٩٦٥) ح ٢٥٣٧.

حي، وحكى القاضي أبو يعلى موته عن بعض أصحاب أحمد[1] وذكر عن بعض أهل العلم أنه احتج بأنه لو كان حيا لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه... ألا ترى أن عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض يصلي خلف إمام هذه الأمة ولا يتقدم لئلا يكون ذلك خدشاً في نبوة نبينا ﷺ.

قال أبو الفرج:وما أبعد فهم من يثبت وجود الخضر وينسى ما في طي إثباته من الإعراض عن هذه الشريعة.

أما الدليل من المعقول فمن عشرة أوجه:

أحدها: أن الذي أثبت حياته يقول إنه ولد آدم لصلبه وهذا فاسد لوجهين:

أحدهما: أن يكون عمره الآن ستة آلاف سنة فيما ذكر في كتاب يوحنا المؤرخ ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر.

والثاني: أنه لو كان ولده لصلبه أو الرابع من ولد ولده كما زعموا و أنه كان وزير ذي القرنين فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا بل مفرط في الطول والعرض وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعد** »، وما ذكر أحد ممن رأى الخضر أنه رآه على

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/٣٣٧)، و الزهر النظر لابن حجر ص ٨٦-٨٨ .

خلقة عظيمة، وهو من أقدم الناس.

الوجه الثالث: أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد.

الوجه الرابع: أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نـــزل من السفينة مات من كان معه، ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، وهذا يبطل قول من قال إنه كان قبل نوح.

والوجه الخامس: أن هذا لو كان صحيحاً أن بشراً من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب وكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع لأنه من أعظم آيات الربوبية وقد ذكر الله سبحانه وتعالى من أحياه ألف سنة إلا خمسين عاما وجعله آية فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر ولهذا قال بعض أهل العلم:ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان

والوجه السادس: أن القول بحياة الخضر قول على الله بلا علم وذلك حرام بنص القرآن أما المقدمة الثانية فظاهره وأما الأولى فإن حياته لو كانت ثابتة لدل عليها القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهذا كتاب الله تعالى فأين فيه حياة الخضر وهذه سنة رسول الله ﷺ فأين فيها ما يدل على ذلك بوجه وهؤلاء علماء الأمة هل أجمعوا على حياته؟ .

---

(١) سورة الصافات الآية: ٧٧ .

الوجه السابع: أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيا لله العجب هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه وكثير من هؤلاء يغتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فأين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟!

الوجه الثامن: أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام ولم يصاحبه وقال له: هذا فراق بيني وبينك، فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى عليه السلام ثم يجتمع بجهلة العباد الخارجين عن الشريعة الذين لا يحضرون جمعة ولا جماعة ولا مجلس علم ولا يعرفون من الشريعة شيئا وكل منهم يقول: قال الخضر وجاءني الخضر وأوصاني الخضر فيا عجباً له يفارق كليم الله تعالى ويدور على صحبة الجهال ومن لا يعرف كيف يتوضأ ولا كيف يصلي.

الوجه التاسع: أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول أنا الخضر لو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا لم يلتفت إلى قوله ولم يحتج به في الدين إلا أن يقال إنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ ولا بايعه أو يقول هذا الجاهل إنه لم يرسل إليه وفي هذا من الكفر ما فيه.

الوجه العاشر: أنه لو كان حياً لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله ومقامه في الصف ساعة وحضوره الجمعة والجماعة وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات وهل

هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له"[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من المعلوم الذي بيناه في غير هذا الموضع أن كل من ادعى أنه رأى الخضر أو رأى من رأى الخضر أو سمع شخصاً رأى الخضر أو ظن الرائي أنه الخضر أن كل ذلك لا يجوز إلا على الجهلة المخرفين الذين لا حظ لهم من علم ولا عقل ولا دين بل هم من الذين لا يفقهون ولا يعقلون"[٢].

وسئل رحمه الله عن الخضر و إلياس هل هما معمران بينوا لنا رحمكم الله تعالى؟ فأجاب: إنهما ليسا في الأحياء ولا معمران[٣].

وقال أيضاً: " الصواب الذي عليه محققو العلماء أن إلياس والخضر ماتا"[٤].

وقال رحمه الله في موضع آخر:" وإلا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حيا على عهد رسول الله لوجب عليه أن يأتِ إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه فإن الله فرض على كل أحد أدرك محمداً ولو كان من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه"[٥].

---

(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ٦٧-٧٦.

(٢) مجموع الفتاوى (٤٥٨/٢٧) .

(٣) المصدر السابق (٣٣٧/٤) .

(٤) منهاج السنة النبوية (٩٦/١-٩٧) .

(٥) مجموع الفتاوى (١٨/٢٧).

والصحابة ﷺ كانوا أحسن حالاً ممن بعدهم، بل هم سادة الأولياء وقدوة الصلحاء، وكانوا على الهدى والنور يحكمون الكتاب والسنة في كل شيء، لذلك لم يطمع الشيطان فيهم كما طمع في من بعدهم، فلم يأتِ أحداً من الصحابة بصورة النبي ﷺ ولا بصورة الخضر عليه السلام، لأنه يعلم أن أمثال هؤلاء الصحابة لا ينطلي عليهم التخييل ولا التلبيس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر، ولا أنه أتى إلى النبي ﷺ فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدراً من أن يلبِّس الشيطان عليهم ولكن لبَّس على كثير ممن بعدهم فصار يتمثل لأحدهم في صورة النبي ويقول أنا الخضر وإنما هو شيطان كما أن كثيراً من الناس يرى ميته خرج وجاء إليه وكلمه في أمور وقضى حوائجه، فيظنه الميت نفسه وإنما هو شيطان تصور بصورته"(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته...وأقوى الأدلة على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ،وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي"(٢).

فهذه جملة من أقوال الأئمة والعلماء من المحققين كلهم ينص على عدم كون الخضر حياً، بل هو بشر من البشر لم يجعل الله له الخلد.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٢٧).

(٢) الزهر النظر في حال الخضر لابن حجر ص ١٦٢ (ط١/١٤٠٨ هـ، الناشر مجمع البحوث الإسلامية، نيو دلهي، الهند، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد).

الأمر السادس: أن الذين استدلوا على بعض أورادهم بالمنامات والرؤى التي رأوها أو رآها مشايخهم، وأخذوا يذكرون الله بناء على منامات قد تكون أضغاث أحلام أو من تلاعب الشيطان، قد جانبوا الصواب، وما هو عليه منهج أهل السنة والمحققين من أهل العلم، ولم يعرفوا فائدة الرؤى والمنامات حتى جعلوها مصدراً للتشريع، ومتمسكاً لعباداهم ؛ إذ إنه مما هو متفق عليه بين العلماء المحققين أن الرؤى لا يعول عليها في ثبوت حكم أو عبادة، ولا تغيّر حكماً ولا تنسخه، ولا يُزاد بها شيءٌ في الدين، وإنما هي بشارة أو نذارة لصاحبها، وإليك بعض أقوال أهل العلم في ذلك: يقول الإمام النووي رحمه الله:"فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع وليس هذا الذي ذكرناه مخالفاً لقوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني** »[1] .

فإن معنى الحديث أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به ؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سيئ الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته؛ لاختلال ضبطه هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٢/١) ح١١٠، ومسلم في صحيحه: كتاب الرؤيا (١٧٧٥/٤)ح٢٢٦٦ .

ما يحكم به الولاة أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه لأن ذلك ليس حكما بمجرد المنام بل تقرر من أصل ذلك الشيء والله أعلم"[١].

وقال الشاطبي رحمه الله في معرض كلامه على مآخذ الاستدلال عند المبتدعة: "وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون رأينا فلاناً الرجل الصالح في النوم فقال لنا: اتركوا كذا واعملوا كذا.

ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها، مُعرِضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يُحكم بها شرعاً على حال، إلا أن نعرضها على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوّغتها عُمِل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة والنذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام؛ فلا.

كما يُحكى عن الكتاني رحمه الله ، قال: "رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادعُ الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١/١١٥).

فهذا كلام حسن، لا إشكال في صحته، وكون هذا الذكر يُحيي القلب صحيح شرعاً، وفائدة الرؤيا التّنبه على الخير، وهي من ناحية البشارة، وإنما يبقى الكلام في التحديد بالأربعين، وإذا لم يؤخذ على اللزوم استقام"[١].

وقال رحمه الله أيضاً:" وأما الرؤيا التي يُخبِر فيها رسولُ الله ﷺ الرائي بالحكم، فلا بدّ من النظر فيها أيضاً ؛ لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته، فالعمل بما استقر من شريعته، وإن أخبر بمخالفٍ، فمحال ؛ لأنه عليه السلام لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ؛ لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية ؛ لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقاً، لم يخبرْه بما يخالف الشرع " [٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: " والرؤيا كالكشف منها رحماني، ومنها نفساني ومنها شيطاني وقال النبي ﷺ:« **الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة فيراه في المنام** »[٣]، والذي هو من أسباب الهداية هو الرؤيا التي من الله خاصة

---

(١) الاعتصام (٢/٧٨-٧٩)، وانظر قصة الكتاني في الرسالة القشيرية ص١٧٧، والطبقات الكبرى للشعراني (١/١١٠) .

(٢) الاعتصام (٢/٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الرؤيا (٤/١٧٧٣) ح٢٢٦٣ بلفظ :

((والرؤيا ثلاثة فرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما =

ورؤيا الأنبياء وحي فإنها معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الأمة ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها، فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟ قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي بل لا تكون إلا مطابقة له منبهة عليه أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه فيتنبه بالرؤيا على ذلك ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحرَ الصدق" [١] .

وقال ابن حجر رحمه الله: "ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي ﷺ يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر فالثاني هو المعتمد"[٢].

فيؤخذ من مجموع كلام العلماء السابق أن الرؤية إنما هي للتبشير وللتحذير، ولا يؤخذ منها حكم ولا تصلح أن تكون حجة على شيء أو قاضية بأمر ما، ولا يجوز لأحد أن يشرّع للناس شيئاً يتعبدون الله فيه بناء على رؤية رآها، فالعبادات لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة، والشريعة كاملة -ولله الحمد- لا تحتاج إلى من يكملها بمناماته وحكاياته وقصصه وترهاته.

= **يحدث المرء نفسه))** ضمن سياق حديث طويل .

(١) مدارج السالكين (٥١/١).

(٢) فتح الباري (٣٨٩/١٢).

الأمر السابع: بالنسبة للحكاية التي تُحكى عن الشبلي ويستدل بها على جواز الذكر بالاسم المفرد **يجاب عن ذلك بأمور:**

١- أن هذه زلة من زلات الشبلي، لا يتابع عليها ؛ إذ إنه كان يغلبه الحال والوجد ويزول عقله أحياناً وكان ربما يؤخذ إلى المارستان " ومن كان بهذه الحالة لم يجز أن يجعل كلامه وحده أصلاً يفرق به بين أئمة الهدى والضلال والسنة والبدعة والحق والباطل لكن يقبل من كلامه ما وافق فيه أئمة المشايخ وهو ما دل عليه الكتاب والسنة "[١] .

وما كان مخالفاً ولم يوافق به الكتاب والسنة وفعل الصحابة لا يقبل مطلقاً سواء كان من الشبلي أم من غيره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذه من زلات الشبلي التي تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده وغلبة الحال عليه فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته وله أشياء من هذا النمط التي لا يجوز الاقتداء به فيها وإن كان معذورا أو مأجوراً"[٢] .

٢- أن من رحمة الله على عباده أنه من نوى منهم فعل شيء فبدأ به ولم يكمله، بل حتى بمجرد أن يهم بفعله ولم يفعله فإنه يُكتب له به حسنة، ويجازى العبد على نيته ، "فإن العبد لو أراد أن يقول لا إله إلا الله ومات قبل كمالها لم يضره ذلك شيئاً ؛إذ الأعمال بالنيات، بل يكتب له ما نواه"[٣].

---

(١) الاستقامة (١/١١٥-١١٦) وانظر نفس المصدر (١/٤٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦-٥٥٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٥٥٦-٥٥٧).

٣- أن رسول الله ﷺ بقي أكثر من عشرين سنة يدعو ويجاهد من أجل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ويعلم أصحابه هذه الكلمة الفاضلة، و لم ينقل عنه مدة دعوته كلها أنه خوّف أمته مما خاف منه الشبلي، بأنه يخاف على نفسه أن يموت بين النفي (لا إله) والإثبات (إلا الله)، الذين هما ركنا الشهادة.

فالحاصل أن كل ذكر ثبت عن طريق رؤيا أو حكاية أو قصة، و لم يثبت عن الوحيين الكتاب والسنة، فهو مردود على صاحبه، فإن كانت الرؤيا أو الحكاية -التي يزعمون من لقيا الخضر أو النبي ﷺ يقظة- موافقة للمأثور، فنأخذ بالأصل المأثور ولا حاجة لنا بالمنامات والحكايات، وإن كانت مخالفة للمأثور فنردها على صاحبها ولا نأبه بها.

والله أعلم وهو الهادي والموفق إلى الصراط المستقيم أسأل الله أن يهدينا ويوفقنا لما يحب ويرضى.

۞ ۞ ۞

ملحق

يشتمل على بعض النماذج من الأذكار المطلقة والمقيدة

بعد أن قطعنا شوطاً مع أذكار أهل البدع نلحق هنا بعض الأذكار التي صحت عن رسول الله ﷺ للعمل بها وترك ما ابتدع من الأذكار ففي الأذكار النبوية هدى وشفاء، وبركة وخير ومنفعة وفوائد في الدين والدنيا والآخرة ،كما فيه غنية عن الأذكار البدعية فمنها :

ــ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه »[البخاري ح٦٠٤٠].

ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » [البخاري ح٦٠٤٢].

ـــ وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده» [البخاري ح ٦٠٤٣].

ـــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » [مسلم ح ٢٦٩٥].

ـــ وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمني كلاماً أقوله ، قال : « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا سبحان الله رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم قال فهؤلاء لربي فما لي قال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني » [مسلم ح/ ٢٦٩٦] .

ـــ وعن مصعب بن سعد حدثني أبي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة » [مسلم ح ٢٦٩٨].

ـــ وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟. قلت يا رسول الله : أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال : إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده »[مسلم ح٢٧٣١].

ومما يقال عند النوم :

– ما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك أموت وأحيا وإذا قام قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » [مسلم ح ٥٩٥٤].

– وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلاً فقال : « إذا أردت مضجعك فقل اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت مت على الفطرة ».

– وعن علي رضي الله عنه أن فاطمة عليهما السلام شكت ما تلقى في يدها من الرحى فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال : « ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم ، وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال التسبيح أربع وثلاثون» [البخاري ح ٥٩٥٩].

ما يقول إذا أصبح

– عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أعوذ بك من شر ما صنعت إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله » [البخاري ح/٥٩٦٤].

ومما يقال عند سماع المؤذن

-« وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمدٍ رسولاً وبالإسلام ديناً »

الذكر المستحب عقب الوضوء

– عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الإبل فجاءت نوبتي فروحتها بعشي فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يحدث الناس فأدركت من قوله :

« ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة » .قال : فقلت :ما أجود هذه . فإذا قائل بين يدي يقول : التي قبلها أجود فنظرت فإذا عمر قال إني قد رأيتك جئت آنفاً قال :

« ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » [صحيح مسلم ح/ ٢٣٤]

ومما يقال دبر الصلاة المفروضة :

– عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام » .

قال الوليد فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار قال تقول أستغفر الله أستغفر الله [مسلم ح / ٥٩١].

– و ورد عن المغيرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم :

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » [البخاري ح/٥٩٧١].

ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ،وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك ولــه الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» [مسلم ح/٥٩٧].

ومما يقال عند الكرب

– ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول : « لا إله إلا الله العظيم الحليم لا

إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم » [صحيح البخاري ح / ٥٩٨٥].

الدعاء عند الاستخارة

– عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن ، يقول : « إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمي حاجته » [البخاري ح/ ٦٠١٩].

ما يقول المرء إذا نزل منـــزلاً

– عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا نزل أحدكم منـــزلاً فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه » [مسلم ح٢٧٠٨].

التسبيح أول النهار وعند النوم :

– عن جويرية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج

من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ » قالت : نعم .قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » [مسلم ح / ٢٧٢٦].

ما يقال عند الخروج من المنــزل

– عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا خــرج الرجل من بيته فقال بسم الله ، توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فيقال له حسبك قد كفيت وهديت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان » [تقدم]

ما يقول عند التعزية لصاحب المصيبة

– عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه إن ابناً لي قبض فائتنا فأرسل يقرئ السلام ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب ، فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ونفسه تتقعقع قال حسبته أنه قال كأنها شن ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء» [البخاري ح١٢٢٤]

إذا عطس كيف يشمت

– عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ،فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » [البخاري ح٥٨٧٠].

ما يقال عند زيارة القبور والدعاء لأهلها

– عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » [مسلم ح ٩٧٤].

إلى جملة يطول ذكرها وإنما هذه فقــط نماذج، وإلا فمن رام أن يكون مــن الــذاكرين الله كثيراً فليراجع كتب الأذكار المؤلفة في ذلك وليعمل بها، ومن أشهر ما اشتهر في زماننا كتاب (حصن المسلم) للشيخ سعيد القحطاني فهو خفيف المحمل، كثير النفع، جزى الله مؤلفه خير الجزاء، والله وحده الموفق .

۞ ۞ ۞

الخاتمـــــة :

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وبفضله يبلغ العبد أعلى المراتب وأسمى الغايات، وتتذلل بكرمه وتهون جميع الصعوبات، فله الحمد في الآخرة والأولى على ما منّ عليّ من إتمام هذا البحث، فبحوله سبحانه وتعالى وقوته وعونه تمّ، ولولاه سبحانه ما سُطّر سطرٌ ولا اجتمع كتاب ولا التم.

فما أصبت في هذا البحث فمن الله وحده وما وقع فيه من زلل وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، نعوذ بالله من وساوسه.

وقد توصلت في هذا البحث -بفضل الله تعالى- إلى نتائج من أهمها:

١- أن ذكر الله تعالى عبادة جليلة لها أهميتها العظمى ومترلتها العالية من بين العبادات، وهي الوحيدة من بين العبادات التي أمر الله سبحانه في كتابه بالإكثار منها، كما أنها من أفضل الأعمال بعد الفرائض، ومما هو كالإجماع بين العلماء أن ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة ودلت على ذلك نصوص كثيرة.

٢- أن لذكر الله تعالى فوائد ومنافع دنيوية ودينية وأُخروية كثيرة جداً، لو نال المرء بعضها لسعد سعادة أبدية بإذن الله تعالى.

٣- أن الذكر متضمن للتوحيد بأنواعه الثلاثة فهو متضمن الاعتقاد بربوبية الله تعالى، وإنه سبحانه وحده الخالق المدبر الرازق المانع المعطي بيده الخير، قيّم السموات والأرض ومالكهما.

ومتضمن لكثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العلا كالحي القيوم والعظيم والأعلى... وغيرها، وصفة العلو، و الكلام والرضا والعلم... وغيرها.

ومتضمن لتوحيد الألوهية، وإفراده سبحانه وتعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

كما دلت الأذكار النبوية على كثير من أنواع العبادات واجتمع فيها ما لا يجتمع في غيرها، ومن ذلك الإخلاص والتوكل والرضا والإنابة والمحبة والرغبة والرهبة، واشتغال اللسان بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل.

وعلى هذا فالذاكر الذي يذكر ربه بالأذكار الشرعية وعلى الطريقة النبوية مستحضراً ومتدبراً لما يتلفظ به من أذكار وفاهماً لمعانيها، يكون في سائر يومه موّحداً لله تعالى مستحضراً لعموم مسائل العقيدة وأبواب التوحيد، سالماً من الانحرافات المخالفة للتوحيد، فإذا ثبت على ذلك يموت موحداً لله بإذن الله.

٤- إن ذكر الله بالأذكار الشرعية فيه السلامة والأمن من الانحرافات العقدية والآثار السيئة.

٥- أن الأذكار غير الشرعية لا تخلو من بدع إما مكفرة أو غير مكفرة، وغالبها تشتمل على انحرافات عقدية قادحة في التوحيد.

٦- أن الذكر-غير الشرعي- الذي ابتدعه المبتدعة هو الباب والمنفذ الذي حققوا به كثيراً من مطالبهم ومآربهم ونواياهم الدنية، ومقاصدهم الخبيثة.

٧- للأذكار غير الشرعية آثار سيئة، ومن أعظمها خطورة على الإسلام والمسلمين هجر القرآن الكريم والسنن الواردة عن الرسول ﷺ، ووقوع الناس في غفلة وجهالة وانحراف، وذلك باستبدالهم الأذكار الشرعية بغيرها.

٨- أن كل فرقة ضالة مهما كانت، تحاول الاستدلال بالكتاب والسنة، وتجعل النصوص الشرعية تخدم ما تدعو إليه، فتلوي أعناق النصوص ليحلو لها الاستدلال والاستنباط القائم على غير فهم السلف الصالح، لتوافق ما هو عليها وينطلي الباطل على متبعيهم ومريديهم. فيبتدعون أولاً ثم يبحثون عن النصوص التي -بزعمهم- توافق بدعتهم، والأصل المتفق عليه عند العلماء أن العبد يعلم الدليل ويعمل بمقتضاه،

فالعلم مقدم على العمل، وعندهم العمل مقدم على العلم والدليل.

٩- أن جميع الأدلة التي استدل بها المبتدعة لا يستقيم لهم الاستدلال بها، فهي إما أن تكون صحيحة غير صريحة، بل لا تدل على ما استدلوا بها عليه، وإنما خُيِّل لهم استقامة الاستدلال بالدليل الصحيح لجهلهم بمدلوله وعدم رد فهم النصوص إلى ما فهمه الصحابة والتابعون.

أو تكون أدلة صريحة ولكنها غير صحيحة فتكون إما أدلة مكذوبة أو ضعيفة لا تقوم بها الحجة، وإن كانت صريحة دالة على بدعتهم. فالموضوع المكذوب والضعيف الذي لا يرتقي إلى المقبول من الأحاديث لا يعمل بها بل ترد على أصحابها.

١٠- وأخيراً : إن الجهل المطبق على كثير من الناس هو من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الأذكار غير الشرعية في أوساط المجتمعات الإسلامية فينبغي على العلماء وطلبة العلم والدعاة السعي الحثيث لنشر العلم وإزالة الجهل عن المسلمين والرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما عند التنازع والخلاف، وتعليم الناس الأذكار الشرعية التي فيها كل خير، وتطهير المجتمعات من الأذكار البدعية التي فيها كل شر.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، مقبولاً عنده، نافعاً لي ولجميع المسلمين.

هذا ووصيتي لجميع إخواني من المسلمين أن يذكروا رهم ذكراً كثيراً صحيحاً مبنياً على الكتاب والسنة، فهو من أحد أسباب نصرهم وعزّهم وتمكينهم، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1]، وأن يتجنبوا ما ابتدعه المبتدعون، وأحدثه المُحْدِثُون من الأذكار المخالفة للشرع في أصلها ومضامينها، والتي هي سبب من أسباب تقهقر المسلمين وتراجعهم وخذلاهم وعجزهم وتسلط الأعداء عليهم.

كما أوصي إخواني طلبة العلم أن ينتبهوا إلى أخطار الأذكار غير الشرعية وضررها وينبهوا عليها المسلمين، وأوصي أيضاً بجعل دراسة مستفيضة وواسعة حول الأخطار والانحرافات العقدية الناجمة عن الأذكار المبتدعة فإنها لو تتبعت في جميع كتب المبتدعة لبلغت مجلدات كباراً[2] .

وأوصي عامة المسلمين بقراءة كتب شيخي الفاضل عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد المتعلقة في فقه الأدعية والأذكار فإنه أجاد فيها وأفاد، ووضح فيها الفهم الصحيح لمعاني الأذكار، فجزاه الله خيراً.

---

(١) سورة الأنفال الآية: ٤٥.

(٢) قلت هذا الكلام عند الانتهاء من الرسالة وذلك في ١٤٢٤/٢/٧هـ وكان ذاك يوم مناقشتها في الجامعة، والآن بدأت في هذا المشروع المهم، أسأل الله إتمامه فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وفي الختام أسأل الله أن يعفو عني وعن المسلمين ويتجاوز عنا جميع الزلات وأسأله الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات عليه،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك...



الفهارس



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

١- فهرس الآيات

سورة النساء		
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم ﴾	١	٧
﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ... ﴾	٣٦	٥٧٧
﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ﴾	٤٨	٦٢٩
﴿ يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله ... ﴾	٥٩	١١٣٧-٧٤٥
﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا ... ﴾	٦٠ ــ ٦١	٦٧٥
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك... ﴾	٦٥	١٠٣٩-٩٣١-٨٦٦
﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً ... ﴾	١٠٣	-١٥٢-٣٩-٣٥ ١١٥٩-١٥٦
﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾	١١٥	١٠٣٩
﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ... ﴾	١١٦	٥٩١
﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾	١٢٢	٨٠١
﴿ ومن أحسن قولا ممن أسلم وجهه ... ﴾	١٢٥	٦٤١-٦١٩
﴿ يأيها الذين آمَنوا آمِنوا ... ﴾	١٣٦	٧٣١-٧١٩-٦٩٩
﴿إن المنافقين يخادعون الله ... ﴾	١٤٢	-٢١٥-١٦٣ ٣٢٩-٢٩٢
﴿ إن المنفقين في الدرك الأسفل ... ﴾	١٤٥	٦٣٠
﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ... ﴾	١٥٠	٧٣٥ -٧٠٨
﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ... ﴾	١٥٢	٧٣٦
﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾	١٦٤	٧١٨ - ٥٥٥
﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾	١٧١	١١٣٢-٩٧٤

﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾	٧٧	٩٦٧-٩٧١
﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ... ﴾	٨٣	٢٧٢-٩٨٣
﴿ اعلموا أن الله شديد العقاب... ﴾	٩٨	٨٣٣
﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله ... ﴾	١٠٤	٩٣٠
﴿ وتطمئن قلوبنا ﴾	١١٣	١٢
﴿ ولا أعلم ما في نفسك... ﴾	١١٦	٥١١

سورة الأنعام

﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض .. ﴾	٣	٥٧٣
﴿ وهو القاهر فوق عباده .. ﴾	١٨	٥٢٧
﴿ قل ي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد ﴾	١٩	١١٣٨
﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ... ﴾	٣٨	١٧٢
﴿ من يشأ الله يضلله ... ﴾	٣٩	٨٤٥-٨٥١
﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب ﴾	٤٤	٥١
﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل ﴾	٥٤	٥٠١-٥٠٧
﴿ وكذلك نفصل الآيات... ﴾	٥٥	٥٣٤
﴿ وعنده مفاتح الغيب ... ﴾	٥٩	٤٠٦
﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ... ﴾	٦٠	٤٠١
﴿ حتى إذا جاء أحدَكم الموت ... ﴾	٦١	٧١١
﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ﴾	٦٣	١١٤٣
﴿ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ﴾	٦٤	١١٤٣
﴿ أتحاجوني في الله وقد هدان ... ﴾	٨٠	٢٦٣

سورة الأنفال		
﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله ...﴾	٢	١٦١-٢٤٤-٢٧١-٣١٢-٣٢٢-٣٤٠-٩٨٩
﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ...﴾	٤	٣١١
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ﴾	٢٠	١٠٣٨
﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾	٢٤	١٠٣٨
﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾	٤٥	١٥٣-١٥٨-١٦٦-١٨٩-٢٩١-٢٩٢-١١٦٠
سورة التوبة		
﴿ وإن أحد من المشركين استجارك ...﴾	٦	٥٥٥
﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ...﴾	٣١	٦٠٧
﴿ لا تحزن إن الله معنا ...﴾	٤٠	٢٠٢
﴿ قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾	٦٥ــ٦٦	٦٣١
﴿ والسابقون الأولون ... ﴾	١٠٠	٥٦٧
﴿ سنعذبهم مرتين ﴾	١٠١	٧٦٦
﴿ وإذا ما أنزلت سورة ...﴾	١٢٤-١٢٥	٣١٣
﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...﴾	١٢٨	٩٨٠
سورة يونس		
﴿ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله ﴾	٦	٣٨٠

﴿ وكل في فلك يسبحون ... ﴾	٣٣	٩٨
﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد .... ﴾	٣٤	١٢١٤
﴿ وهم بذكر الرحمن هم كافرون... ﴾	٣٦	٤٥-٤٩
﴿ ولقدآتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً ﴾	٤٨	٥٠
﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه... ﴾	٥٠	٤٦
﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾	٥٢	٦٧٧
﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض ﴾	٥٦	٣٨٠
﴿ قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم﴾	٦٠	٤٩
﴿ فنادى في الظلمات أنه لا إله إلا أنت ﴾	٨٧	١٨٠
﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ...﴾	٩٠	٦٨٠
﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم ... ﴾	١٠٣	٧٧٧
﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ﴾	١٠٥	٤٨-٥٤
﴿ قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾	١٠٨	١٩٠
﴿ إنه يعلم الجهر من القول ...﴾	١١٠	٥٧٣
سورة الحج		
﴿ وإن الساعة لآتية لا ريب فيها ...﴾	٧	٧٧٨
﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾	١٩-٢٢	٦٢٤-٧٩٦
﴿ وهدوا إلى الطيب من القول..﴾	٢٤	١١٦
﴿ ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله ﴾	٣٤	١٥٩
﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ...﴾	٣٥	١٦١
﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ...﴾	٣٦	١٥٩-٦٩٥

﴿ كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما﴾	٣٧	**١٧٩**
﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ...﴾	٣٨	**٢١٩**
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ...﴾	٥٢	**٧٢٨-٧٢٧**
﴿ ذلك بأن الله هو الحق ...﴾	٦٢	**٤٠٩**
﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلاً ... ﴾	٧٥	**٧٠٨-٧٠٦**
سورة المؤمنون		
﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ...﴾	١٤	٣٥٢
﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ...﴾	١٦-١٥	٧٦٠
﴿ والذين يؤتون مآءاتوا وقلوبهم وجلة ﴾	٦٠	٢٤٥-٢٤٤
﴿ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم ﴾	٧١	٤٣-٥٧
﴿ قل لمن الأرض ومن فيها ...﴾	٩٢-٨٤	٣٨٩
﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش﴾	٧٨-٨٦	١١٤٦
﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء ...﴾	٨٩-٨٨	٤١٩
﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ...﴾	١١٥	٨٥٩
سورة النور		
﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾	٣٧-٣٦	٢٦٩-١٧٦-١٦١
﴿ رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله﴾	٣٧	٤٠
﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ﴾	٥١	٩٣١
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ...﴾	٦٣	١٠٣٩-٩٤٨-٩٣١
سورة الفرقان		
﴿ الذي له ملك السموات والأرض...﴾	٢	٨٢٣-٣٥٠

﴿ واستغفر لذنبك ... ﴾	٥٥	١٧٦-٢٦٦
﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ... ﴾	٦٠	٧٣
﴿ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين ﴾	٦٥	٨٠-٥٩٣
﴿ هو الذي يحيي ويميت... ﴾	٦٨	٣٩٧
﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ... ﴾	٧٨	٧٣٣
سورة فصلت		
﴿ تنـــزيل من الرحمن الرحيم .. ﴾	٢	٥٤٠
﴿ فقضاهن سبع سماوات ... ﴾	١٢	٧٦٦-٨٠٩
﴿ إذ جاءهم الرسل من بين أيديهم ... ﴾	١٤	٥٨٤
﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴾	٣٩	٣٩٨
﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾	٤٦	٨٢٢
﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم ﴾	٥٣	٣٧٥
سورة الشورى		
﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾	١١	٤٤٠-٤٤٢-٤٥٨-٤٩٧-٥١٧
﴿ وقل آمنت بما أنزل الله ... ﴾	١٥	٧١٩
﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ... ﴾	٢١	١٠٤٢-١٠٤٤-١٠٤٧
﴿ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ﴾	٤٩-٥٠	٤٢٤
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله ... ﴾	٥١	٧١٨-١٠٣١
سورة الزخرف		
﴿ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ﴾	٤	٤٣

﴿ أفنضرب عنكم الذكر صفحاً ... ﴾	٥	٤٦
﴿ والذي خلق الأزواج كلها ...﴾	١٢	٧٨٢
﴿ لتستووا على ظهوره ...﴾	١٣-١٤	٧٨٢
﴿ بل قالوا إنا وجدنا آبائنا على أمة ..﴾	٢٢-٢٣	٩٣٠
﴿ فانتقمنا منهم فانظر ...﴾	٢٥	٦١٨
﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه ...﴾	٢٦-٢٨	٥٩٤-٦٠٤-٦١٣
﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن ...﴾	٣٦	١٦٤-١٦٩
﴿ وإنه لذكر لك ولقومك... ﴾	٤٤	٤٤
﴿ إن المجرمين في عذاب جهنم ...﴾	٧٤-٧٥	٨٠١
﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ﴾	٨٠	٥٢٣.
﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه ...﴾	٨٦	٦٠١
﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾	٨٧	٣٥٣
سورة الدخان		
﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة .. ﴾	٣	٥٤٠
﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ...﴾	٤-٥	٨٧٥
﴿ و ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما ﴾	٣٨-٣٩	٨٥٩
﴿ إن المتقين في مقام أمين ﴾	٥١	٧٨٨
سورة الجاثية		
﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ... ﴾	٢١	٦٥

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾	٤٩	٨١٣-٨٢٢-٨٢٣
سورة الرحمن		
﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾	٢٧	٤٩٢-٥١٢-٥١٤
﴿ يسأله من في السموات والأرض ... ﴾	٢٩	٨٧٥
﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾	٧٨	٤٩٣
سورة الواقعة		
﴿ فسبح باسم ربك العظيم ... ﴾	٧٤	١١٥٢
﴿ أفرأيتم الماء الذي تشربون ... ﴾	٦٨-٦٩	٤١٣
﴿ فأما إن كان من المقربين ... ﴾	٨٨-٨٩	٧٦٦
سورة الحديد		
﴿ له ملك السموات والأرض ... ﴾	٢	٣٩٦-٣٩٨
﴿ وهو معكم أين ما كنتم .. ﴾	٤	٥٤٩
﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ... ﴾	٢١	٧٨٨-٧٩١
﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ... ﴾	٢٢	٨١٣-٨٧٤
﴿ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾	٢٥	٧٣٤
﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾	٢٧	١٠٤٣
سورة المجادلة		
﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك ... ﴾	١	٥٢٣
﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾	٧	٥٤٩
﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾	٢٢	٦٢٢

سورة النازعات		
﴿ فالمدبرات أمرا ﴾	٥	٧١٣
سورة التكوير		
﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾	٢٧	١٧١
﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ... ﴾	٢٨-٢٩	-٨٤٩
﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾	٢٩	٨٢٢-٨٧٥-
سورة الانفطار		
﴿ وإن عليكم لحافظين... ﴾	١٠-١٢	٧١١
سورة المطففين		
﴿ كلا إنهم عن ربهم ... ﴾	١٥	٢١١-٧٩٣
سورة البروج		
﴿ والسماء ذات البروج ﴾	١	٧٧٧
سورة الطارق		
﴿ إنه لقول فصل وما هو بالهزل ﴾	١٣-١٤	٥٦٥
سورة الأعلى		
﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾	١	١٧٨-٤٨٩-٥٢٦ -٥٣٥-٥٣٦
﴿ سيذكر من يخشى ﴾	١٠	٥٢
﴿ قد أفلح من تزكى... ﴾	١٤-١٥	١٦٦
﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾	١٥	١٥٧

﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى ﴾	١٨-١٩	٧١٥
سورة الغاشية		
﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل ...﴾	١٧-٢٠	٣٨٢
سورة الضحى		
﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾	١١	٨٨
سورة القدر		
﴿ تنـــزل الملائكة والروح فيها ..﴾	٤	٧٠٥
سورة البينة		
﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا ...﴾	٥	-٥٧٧-١٩٠ ٦٤١-٦٢٠
﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾	٧-٨	٣١١
﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات ... ﴾	٨	٥٦٧
سورة العصر		
﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا	كاملة	٣١٠
سورة الإخلاص		
﴿ لم يلد و لم يولد ﴾	٣	٤٥٨
سورة الفلق		
﴿ قل أعوذ برب الفلق ...﴾	١-٢	٨٣٣

٢- فهرس الأحاديث النبوية

الحديث الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث الصفحة

الحديث — الصفحة

الحديث الصفحة

الحديث الصفحة

الحديث الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث الصفحة



٣- فهرس الآثار





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

٤- فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
زيد بن خالد الجهني	٤١٣
سعيد بن جبير الأسدي الكوفي	١١
سفيان بن عيينة	٧٧
سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب	٣٤٩
عبد الرحمن بن ناصر السعدي	٦٢
عبد الخالق الغجدواني	١٢٠٣
عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم البغدادي الزجاجي	٣٤٧
عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي أبو الفرج	٤١
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي	٥٣٧
عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي	٤١
عبد الله بن جدعان	٧٨
عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي	٦٠
عثمان بن سعيد الدارمي	٥٢٨
عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو ابن الصلاح	١٩٥
عدي بن حاتم الطائي أبو طريف	١٠٥
العرباض بن سارية	١٠٤٦
علي بن أحمد الواحدي النيسابوري	٣١
علي بن اسماعيل الأندلسي الضرير المشهور بابن سيده	٣١
علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي	٨٤٣
علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي	٣٦
علي بن محمد بن علي المعروف الجرجاني	٩٤



٥- فهرس الفرق


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

٦- فهرس المصادر والمراجع

(أ)

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة العكبري ط٢/١٤١٥ هـ دار الراية / الرياض ، تحقيق رضا نعسان معطي وطبعة ١٤٠٤ هـ توزيع المكتبة القبطية مكة المكرمة.

٢. الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري،ط١/ ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، علق عليه عبد الله عمر.

٣. الإبـداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ ط٥/١٤٢١ هـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

٤. الإبريـز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ لأحمد بن المبارك دار الفكر، بدون تاريخ.

٥. أبو الحسن الشاذلي د/ عبد الحليم محمود ط/ دار التراث العربي.

٦. الأحاديث المختارة للضياء المقدسي ط١/١٤١٠ هـ مكتبة النهضة الحديثة / مكة المكرمة، تحقيق عبد الملك بن دهيش.

٧. أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية،ط١/ ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، بيروت، تحقيق يوسف البكري وشاكر العاروري.

٨. أحكام القرآن لابن العربي نشر دار المعرفة بيروت، تحقيق علي محمد البجاوي.

٩. أحكـــام القرآن للجصاص ط/١٤٠٥ هـــ دار إحياء التراث العربي/ بيروت تحقيق محمد قمحاوي.

١٠. إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ط/ ١٤٠٦هـــ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١. الأذكار لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ط/١٤١٣ هـــ، دار الملاح، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط

١٢. الأربعـــين في أصول الدين لأبي حامد الغزالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٣. الأربعـــين في دلائـــل التوحيد ط١/١٤١٤ هـــ. المدينة المنورة ، تحقيق علي بن ناصر فقيهي.

١٤. أرجوزة سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول لحافظ الحكمي ط/١٣٧٣ هـــ مطابع البلاد السعودية / مكة المكرمة.

١٥. أســـاس الـــتقديس لمحمد بن عمر الرازي ط/١٣٥٤ هـــ مطبعة الحلبي.

١٦. الأسمـــاء والصـــفات للبـــيهقي ط١/١٤١٣ هـــ الناشر مكتبة السوادي /جدة،تحقيق عبد الله الحاشدي.

١٧. إصـــلاح المســـاجد من البدع والعوائد للقاسمي ط٥/١٤٠٣هـــ المكتب الإسلامي بيروت، تعليق محمد ناصر الدين الألباني.

١٨. الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب مع حاشيته لعبد الرحمن بن قاسم ط٤/١٤١٨ هـ تحت إشراف الرئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء في المملكة.

١٩. أصول الدين لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ط١/١٣٤٦ هـ بمطبعة الدولة استنابول .

٢٠. أصول الدين للبغدادي وغاية المرام في علم الكلام للآمدي ط/ ١٣٩١ هـ مطابع الأهرام القاهرة ، تحقيق حسن عبد اللطيف

٢١. أضواء البيان للشنقيطي ط/١٤٠٣ هـ المطابع الأهلية للأوفست الرياض و ط/١٣٨٦ هـ مطبعة المدني.

٢٢. أعلام السنة المنشورة للحكمي ط/١٤٢٠ هـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف.

٢٣. إعلام الموقعين ط/١٩٧٣م دار الجيل ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

٢٤. الأعلام للزركلي ، ط/ دار العلم للملايين بيروت.

٢٥. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم ط٢/١٣٩٥ هـ دار المعرفة بيروت،تحقيق محمد حامد الفقي .

٢٦. الإقناع لطالب الانتفاع لموسى بن أحمد الحجاوي المقدسي ط٢/ ١٤١٩هـ توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة ، تحقيق عبد الله التركي.

٢٧. الأم للشافعي ط٢/١٣٩٣ هـ دار المعرفة /بيروت.

٢٨. إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر لبرهان الدين البقاعي ط١/ ١٤٢٢هـ تحقيق مسلم الحرش.

٢٩. الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية لعبد الوهاب الشعراني.

٣٠. أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور لابن رجب الحنبلي ط١/ ١٤٠٥ هـ دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق محمد سيد زغلول.

٣١. الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد ط٢/١٤١٦هـ دار الوطن.

٣٢. الإيمان لابن أبي شيبة ط٢/ ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي / بيروت، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣. الإيمان لابن منده الجامعة الإسلامية / المدينة المنورة تعليق الشيخ علي فقيهي.

٣٤. ابن عطاء السكندري وتصوفه لأبي الوفاء التفتازاني ط٢/١٣٨٩ هـ مكتبة الإنجلو المصرية / القاهرة.

٣٥. اجتماع الجيوش الإسلامية ط١/١٤٠٤ هـ دار الكتب العلمية بيروت وط١/١٤٠٨ هـ الرياض ، تحقيق عواد المعتق .

٣٦. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ط١/١٤٠٤ هـ بيروت.

٣٧. الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١ /١٤٠٣هـ جامعة الإمام تحقيق محمد رشاد سالم.

٣٨. اشتقاق أسماء الله ط٢/١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت تحقيق د/ عبد الحسين مبارك .

٣٩. إصلاح المنطق لابن السكيت ط/دار المعارف.

٤٠. الاعتصام للشاطبي ط١/١٤٢١ هـ مكتبة التوحيد المنامة ، تحقيق مشهور آل سلمان.

٤١. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ط١/١٤١٨ هـ إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض، تخريج فريح بن صلاح البهلال.

٤٢. الاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ط٢/ ١٤٢٢هـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تحقيق د/ أحمد بن عطية الغامدي.

٤٣. اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ط٢/ ١٣٦٩هـ مطبعة السنة المحمدية،القاهرة، تحقيق محمد حامد الفقي.

(ب)

٤٤. الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ط٢/١٤٠١هـ دار النهضة مكة المكرمة.

٤٥. بدائع الفوائد ط١/١٤١٦ هـ دار النشر مكتبة الباز /مكة المكرمة

٤٦. البداية والنهاية لإسماعيل بن عمر بن كثير، الناشر: مكتبة الفلاح الرياض، تحقيق محمد عبد العزيز النجار.

٤٧. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

٤٨. البدع والنهي عنها لابن وضاح القرطبي، ط١/ ١٤١٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد حسن الشافعي.

٤٩. البدعة أسبابها ومضارها لمحمود شلتوت ط١٤٠٨/١ هـ مكتبة ابن الجوزي ، تعليق علي حسن عبد الحميد الحلبي.

٥٠. البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ط١٤٠٣/١ هـ إدارة ترجمان السنة لاهور.

٥١. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد الفيروز آبادي ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد علي النجار.

٥٢. بغية المرتاد لشيخ الإسلام ابن تيمية ط١٤٠٨/١هـ مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، تحقيق موسى سليمان الدويش.

٥٣. بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر دار الكتب العلمية / بيروت.

٥٤. البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها لعبد الله نومسوك.
ط١٤٢٠/١ هـ أضواء السلف، الرياض.

٥٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ط ١٣٩٢/١ هـ مطبعة الحكومة مكة المكرمة،تحقيق محمد ابن عبد الرحمن القاسم.

(ت)

٥٦. تاج العروس للزبيدي ط/١٣٩٢ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥٨. التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ط/ دار الفكر بيروت.

٥٩. التيجانية لعلي بن محمد الدخيل الله ،ط/١٤٠١هـ نشر دار طيبة، الرياض.

٦٠. تجـــريد التوحيد المفيد ط١٤٠٩/٣ هـ مطابع الجامعة الإسلامية /المدينة المنورة تعليق طه الزيني.

٦١. تحفـــة الأحـــوذي بشـــرح جامع الترمذي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت .

٦٢. تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من الأدعية والأذكار لعبد العزيز بن باز ط/ ١٤١٨هـ دار الذخائر الدمام.

٦٣. تحفة الذاكرين للشوكاني ط١٤١٩/١ هـ دار الحديث /القاهرة.

٦٤. التحفة العراقية ط١٣٩٩/٢ هـ المطبعة السلفية / القاهرة.

٦٥. تحفة ذوي الإرب تحقيق د/ سعود صالح العطيشان.

٦٦. التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة للشيخ عـــبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط١٤/ ١٤٢٠هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.

٦٧. التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية لفالح بن مهدي ط١٤١٣/٣ هـ طبعة الجامعة الإسلامية.

٦٨. التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ط/المكتبة العلمية بيروت.

٦٩. تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج ابن الجوزي.

ط١/ ١٤٠٧هـ، مكتبة المعارف الرياض، تحقيق د/ علي حسين البواب.

٧٠. تذكرة الحفاظ، لمحمد بن طاهر بن القيسراني، ط١/ ١٤١٥هـ، دار الصميعي، الرياض، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.

٧١. التذكرة في الوعظ لابن الجوزي. بدون.

٧٢. تربيتنا الروحية لسعيد حوى ط/١٩٧٩م دار الكتب العلمية بيروت، وطبعة ط٢/٣٩٩هـ،مكتبة وهبة، القاهرة.

٧٣. الترغيب والترهيب لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري.

ط١/ ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت / تحقيق إبراهيم شمس الدين.

٧٤. تصحيح الدعاء للشيخ بكر أبو زيد ط١/١٤١٩ هـ دار العاصمة/ الرياض.

٧٥. التصوف بين الحق والخلق لعبد الرحمن شقفة،(ط٣/ ١٤٠٣هـ ، الدار السلفية، حولي، الكويت) .

٧٦. التعريفات للجرجاني ط/١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية .

٧٧. تعظيم قدر الصلاة للمروزي ط١/١٤٠٦ هـ مكتبة الدار / المدينة المنورة ، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي.

٧٨. تعلــيم أصــول الإيمان وبيان موانع الإيمان مكتبة أضواء السلف الرياض، اعتنى به أشرف عبد المقصود.

٧٩. تفسير ابن كثير طبعة دار الشعب، القاهرة، وط١/ ١٤١٩ هـــ دار السلام الرياض و ط١/١٤١٤ هـــ دار الراية و ط/ ١٤٠١هـــ دار الفكر / بيروت .

٨٠. تفسير أبي المظفر السمعاني ط/ دار الوطن.

٨١. التفسير الكبير للرازي دار الكتب العلمية.

٨٢. تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ط/١٩٧٣م الهيئة المصرية للكتاب.

٨٣. تفســير ســورة النصر لابن رجب الحنبلي ط/١٤٠٧ هـــ الدار السلفية الكويت ،تحقيق محمد بن ناصر العجمي.

٨٤. تقديس الأشخاص لـــ د/ محمد لوح ط١/١٤١٦ هـــ دار الهجرة/ السعودية.

٨٥. تقريـــب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني ، ط١/ ١٤٠٦هـــ، دار الرشيد، سوريا، تحقيق محمد عوامة.

٨٦. التكملة للصنعاني ط/١٩٧١ م دار الكتب بالقاهرة.

٨٧. تلبيس إبليس لابن الجوزي ط٢/١٤٠٧ هـــ دار الكتب العلمية بيروت.

٨٨. التمهـــيد لابن عبد البر ط /١٣٨٧ هـــ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية /المغرب تحقيق مصطفى العلوي.

٨٩. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للسعدي ط١/١٤٢٠ هـ مكتبة أضواء السلف الرياض، تحقيق أشرف عبد المقصود.

٩٠. تهذيب الأسماء واللغات للنووي ط/ دار الكتب العلمية.

٩١. تهذيب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني ط١/١٤٠٤ هـ دار الفكر، بيروت.

٩٢. تهذيب الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية.

٩٣. تهذيب الكمال للمزي، ط١/ ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق بشار عواد معروف.

٩٤. تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.مطابع سجل العرب، القاهرة. تحقيق علي هلالي.

٩٥. التوحيد لابن خزيمة ط٦ /١٤١٨ هـ مكتبة الرشد الرياض، تحقيق عبد العزيز الشهوان .

٩٦. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ط١/١٤١٩ هـ مكتبة أضواء السلف.

٩٧. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

٩٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ط١/١٤١٩ هـ مؤسسة الرسالة.

(ج)

٩٩. الجــامع لمعمر بن راشد الأزدي، منشور كملحق مع مصنف عبد الـــرزاق الصنعاني ج ١٠، ط٢/ ١٤٠٣هــ، المكتب الإسلامي، تحقيق الأعظمي.

١٠٠. جامع الأصول لابن الأثير تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

١٠١. جـــامع البيان لابن جرير الطبري،ط/ ١٤٠٥هــ، دار الفكر، بيروت.

١٠٢. جـــامع التحصيل للعلائي ص ٢٦٦ (ط٢/ ١٤٠٧هــ، دار عالم الكتب، بيروت، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي السلفي).

١٠٣. الجـــامع الصـــحيح في القدر للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون.

١٠٤. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ط١/١٤٠٨ هــ دار المعرفة بيروت.

١٠٥. جامع المسائل لابن تيمية المجموعة الأولى والمجموعة الثانية ط١/ ١٢٢هــ دار عالم الفوائد مكة المكرمة ، تحقيق محمد عزيز شمس.

١٠٦. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي، ط٢/ ١٣٧٢هــ دار الشعب القاهرة، تحقيق أحمد البردوني.

١٠٧. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ط١/١٩٥٢ م دار إحياء التراث العربي.

١٠٨. جلاء الأفهام لابن القيم ط٢/ ١٤٠٧ هـ دار العروبة الكويت ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط.

١٠٩. جمهرة اللغة لابن دريد مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد.

١١٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ط١/ ١٤١٤ هـ دار العاصمة الرياض ، تحقيق د/ علي حسن ناصر وآخرين.

١١١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

١١٢. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني لعلي حرازم الفاسي ط/ ١٤١٥ هـ دار الفكر بيروت.

(ح)

١١٣. حادي الأرواح لابن القيم ط١/١٤١١هـ مكتبة دار التراث المدينة المنورة، تحقيق يوسف علي بديوي.

١١٤. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (تهذيب السنن) ط٢/ ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٥. حاشية السندي على سنن النسائي.

١١٦. الحجة في بيان المحجة ط٢/١٤١٩ هـ دار الراية الرياض، تحقيق د/ محمد ربيع المدخلي ، ومحمد بن محمود أبو رحيم.

١١٧. حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، لسعيد القحطاني . ط٢٣/ ١٤٢٠ هـ، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض.

١١٨. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشـافية ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي قسم العقيدة الإسلامية ط٢/١٤١هـ.

١١٩. حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن دمشقية (ط١ /١٤١٩هـ، دار مسلم، الرياض).

١٢٠. حقـائق عـن التصوف لعبد القادر عيسى ط٢/١٣٩٠هـ، مطبعة البلاغ، حلب.

١٢١. حقوق المصطفى على أمته لـ د/ محمد خليفة التميمي.
ط١/ ١٤١٨هـ، مكتبة أضواء السلف. الرياض).

١٢٢. حقيقة التصوف لأول مرة في التاريخ لمحمود عبد الرؤوف ط١/ ١٤٠٨هـ، دار الصحابة، بيروت.

١٢٣. حلية الأولياء لأبي نعيم ط/٤، دار الكتاب العربي.

١٢٤. الحـوادث والبدع لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي ط٣/ ١٤٢٢ هـ دار ابن الجوزي الدمام ، تعليق علي حسن عبد الحميد الحلبي.

١٢٥. الحوقلة: مفهومها وفضائلها ودلالاتها العقدية " للأستاذ الدكتور عـبد الـرزاق بن عبد المحسن البدر في ضمن مجلة الجامعة الإسلامية العدد١١٧ السنة ١٤٢٢هـ.

(خ)

١٢٦. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون ط ١/١٤٠٣هـ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

(د)

١٢٧. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية (ط/ ١٣٩١هـ، دار الكنوز الأدبية، الرياض، تحقيق محمد رشاد سالم).

١٢٨. الدرر السنية في الأجوبة النجدية ط٢/١٣٨٥ هـ دار الإفتاء بالمملكة.

١٢٩. الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التيجانية لمحمد سعد الرباطابي ط/١٩٥٥م، مكتبة القاهرة، القاهرة.

١٣٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. ط/ دار إحياء التراث العربي، بدون.

١٣١. الدرّ المصون للسمين الحلبي تحقيق الدكتور أحمد الخراط.

١٣٢. الدعاء لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ط١/١٤٠٧ هـ دار البشائر بيروت، تحقيق محمد سعيد البخاري.

١٣٣. الدعاء للطرطوشي ط١/١٤١٩ هـ دار الفكر المعاصرة بيروت، تحقيق د/ محمد الداية.

١٣٤. الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية للعروسي، ط١/ ١٤١٧ هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

١٣٥. دقـائق التفسـير لشـيخ الإسلام ابن تيمية ط٢/١٤٠٤هـ مؤسسة علوم القرآن دمشق تحقيق د/ محمد السيد الجليند.

١٣٦. الديـن الخالص للقنوجي طبع بمطبعة المدني، مصر بدون ذكر التاريخ.

١٣٧. ديوان الشافعي جمع محمد عفيف الزعبي ط٣/١٣٩٢هـ مكتبة المعرفة.

١٣٨. ديـوان كعب بن زهير، بشرح ودراسة د. مفيد قميحة، ط١/ ١٤١٠هـ الناشر: دار الشواف، الرياض.

(ذ)

١٣٩. ذم التأويل لابن قدامة ط١/١٤٠٦ هـ الدار السلفية الكويت، تحقيق بدر البدر.

(ر)

١٤٠. رد الامـام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ط١/١٣٥٨ هـ دار الكتب العلمية ، تحقيق محمد حامد الفقي.

١٤١. الـرد عـلى البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ط١/١٤١٧هـ مكتبة الغرباء الأثرية المدينة المنورة ، تحقيق محمد علي عجال.

١٤٢. الـرد عـلى المنطقين لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط/ دار المعرفة، بيروت، بدون.

١٤٣. رسـائل ابـن سـبعين لعبد الحق بن سبعين المريسي الأندلسي المؤسسة المصرية العامة ، تحقيق عبد الرحمن بدوي.

١٤٤. رسـالة أحمد عبد المنعم الحلواني في الرد على الكفراوي ضمن رسائل في فقه التصوف والذكر ط١/١٣٦١ هـ نقلا عن كتاب

١٤٥. رسـالة أهـل الـثغر ط١/ ١٤٠٩ هـ مؤسسة علوم القرآن دمشق ، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي.

١٤٦. الرسـالة التبوكـية لابن قيم الجوزية، ط١/ ١٤١٩هـ، مكتبة الخراز، جدة، تحقيق سليم الهلالي.

١٤٧. الرسـالة القشـيرية لعـبد الكريم القشيري دار الكتب العلمية الحديثة القاهرة، تحقيق عبد الحليم محمود.

١٤٨. رسالة في قنوت الأشياء /مصر، تحقيق محمد رشاد سالم.

١٤٩. رسالة في معنى كون الرب عادلا وفي تنـزهه عن الظلم لشيخ الإسلام ابن تيمية مصر، تحقيق محمد رشاد سالم.

١٥٠. رسـالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في تحقيق التوكل ضمن جامع الرسائل / نشر بمصر، تحقيق محمد رشاد سالم.

١٥١. الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية ط١/١٤١٠ هـ بدون ذكر اسم الناشر.

١٥٢. رمـاح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للفوتي التيجاني ط/١٤١٥هـ دار الفكر بيروت، وهو مطبوع مع جواهر المعاني لعلي حرازم.

١٥٣. الروح لابن القيم ط/ ١٣٩٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت

(ز)

١٥٤. زاد المسير لابن الجوزي ط٣/١٤٠٤ هـ المكتب الإسلامي.

١٥٥. زاد المعاد لابن القيم، ط/٤، مؤسسة الرسالة / بيروت تحقيق عبد القادر الأرناؤوط.

١٥٦. الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري ط٢/ ١٩٨٧ هـ دار الشؤون الثقافية بغداد. تحقيق د/حاتم الضامن.

١٥٧. الزهد لابن المبارك، دار الكتب العلمية.

١٥٨. الزهر النظر في حال الخضر لابن حجر (ط١/ ١٤٠٨ هـ الناشر مجمع البحوث الإسلامية، نيو دلهي، الهند، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد).

١٥٩. زيادة الإيمان ونقصانه، د/عبد الرزاق البدر (ط١/ ١٤١٦هـ، دار القلم والكتاب، الرياض.

(س)

١٦٠. سؤال وجواب في أهم المهمات ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي، مجلد العقيدة الإسلامية ط٢/ ١٤١٢هـ.

١٦١. سبل السلام للأمير الصنعاني، ط٤ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

١٦٢. السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني (ط٢/١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

١٦٣. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني (ط٢/ ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف، الرياض).

١٦٤. السنة للإمام أحمد بن حنبل ط/١٣٧٥ هـ مطبعة السنة المحمدية القاهرة، تحقيق محمد سعيد الفقي.

١٦٥. السنة للخلال ط١/١٤١٥ هـ دار الراية /الرياض تحقيق أحمد ابن محمد الزهراني.

١٦٦. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني،ط/ دار الفكر، بيروت، تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

١٦٧. سنن ابن ماجة ، لمحمد بن يزيد بن ماجة القزويني، ط/ دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦٨. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق أحمد شاكر.

١٦٩. سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ط١/ ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق فواز زمرلي.

١٧٠. السنن الصغرى ط١/١٤١٠ هـ مطبعة الدار بالمدينة المنورة ، تحقيق د/ محمد ضياء الأعظمي.

١٧١. السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقي، ط/١٤١٤هـ دار الباز، مكة المكرمة، تحقيق محمد عطا.

١٧٢. السنن الكبرى للنسائي، ط١/ ١٤١١هـ دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق عبد الغفار البنداري.

١٧٣. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات للشقيري ط٢/ ١٣٦٧ هـ مطبعة أنصار السنة المحمدية.

١٧٤. سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، ط١٠/ ١٤١٠هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(ش)

١٧٥. شأن الدعاء للخطابي ط١/١٤٠٤ هـ دار المأمون للتراث /دمشق بيروت، تحقيق أحمد يوسف الدقاق.

١٧٦. شذرات الذهب لابن العماد.

١٧٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ط٥/١٤١٨ هـ دار طيبة / الرياض ، تحقيق د/أحمد بن سعد الغامدي.

١٧٨. شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب الحنبلي ط/١٩٨٧ هـ مكتبة التراث الإسلامي ، تحقيق أشرف عبد المقصود.

١٧٩. شرح ديوان عنترة، ط/ دار الكتب العلمية .

١٨٠. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، ط١/ ١٤١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨١. شرح صحيح مسلم للنووي ط٢ /١٣٩٢ هـ دار إحياء التراث العربي بيروت.

١٨٢. شــرح الســنة للبغوي ط٢/ ١٤٠٣ هـــ المكتب الإسلامي، تحقيق زهير الشاويش.

١٨٣. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح.المسمى بالكاشف عن حقائق السنن لشرف الدين حسين بن محمد الطيبي، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي باكستان، تحقيق المفتي عبد الغفار، ط٣/ ١٤١٣هـــ.

١٨٤. شــرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام بن تيمية ط/١٣٨٥ هـــ دار الكتب الإسلامية.

١٨٥. شــرح العقــيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي ط٩/١٤٠٨ هـــ المكتب الإسلامي / بيروت، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

١٨٦. شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ط١ / دار ابن الجوزي.

١٨٧. شرح العمدة لشيخ الإسلام ط١/١٤١٣ هـــ العبيكان الرياض.

١٨٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع محمد صالح العثيمين ط١/١٤١٦هـــ مؤسسة آسام الرياض.

١٨٩. شرح المواقف للجرجاني

١٩٠. شــرح نونــية ابن القيم المساماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها محمد خليل الهراس، ط/ دار الفاروق، مصر، بدون.

١٩١. شـــرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ، ضمن مجموع فتاوى ورســائل الشيخ ابن عثيمين عثيمين ط١٤١٤/٢ هـ دار الثريا / الرياض.

١٩٢. شـــرح معاني الآثار لأبي جعفر الطحاوي ط١٣٩٩/١هـ،دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد زهري النجار.

١٩٣. الشـــريعة للآجـــري الناشر أنصار السنة المحمدية تحقيق محمد حامد الفقي.

١٩٤. شـــعب الإيمـــان ط١٤١٠/١ هـــ دار الكتـــب العلمـــية /بيروت،تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول.

١٩٥. شعب الإيمان للبيهقي ط١٩٩٠/١، دار الكتب العلمية.

١٩٦. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض اليحصبي.

١٩٧. شــفاء العلــيل لابن قيم الجوزية، ط/١٣٩٨هـ، دار الفكر، بيروت تحقيق محمد النعساني.

١٩٨. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق للنبهاني.

(ص)

١٩٩.الصاعقة المحرقة على المتصوفة الرقصة المتزندقة، لمحمد صفي الدين الحنفي.

٢٠٠. الصــحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري. ط١٣٩٩/٢هـ، دار العلم للملايين، القاهرة، تحقيق أحمد عطار.

٢٠١. صــحيح ابــن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، ط٢/ ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

٢٠٢. صحيح ابن خزيمة ، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، ط/ ١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.

٢٠٣. صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط٣/ ١٤٠٧هـ دار ابن كثير، بيروت، تحقيق د/ مصطفى ديب البغا.

٢٠٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني. ط٣/ ١٤٠٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٠٥. صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/ دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٠٦. الصفات الإلهية لمحمد أمان الجامي، ط٢/ ١٤١٣هـ مطابع الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٢٠٧. صفة الصفوة لابن الجوزي ط٢/١٣٩٩ هـ دار المعرفة / بيروت، تحقيق الفاخوري والقلعجي.

٢٠٨. الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط٢/١٤٠٦ هـ ،تحقيق محمد رشاد سالم.

٢٠٩. الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية، ط١/ ١٤١٦هـ، دار ابن حزم، بيروت، تحقيق بسام الجابي.

٢١٠. الصواعق المرسلة لابن القيم ط١/١٤٠٨ هـ دار العاصمة، تحقيق علي الدخيل الله.

٢١١. الصوفية عقيدة وأهداف لليلى بنت عبد الله ط١/١٤١٠هـ دار الوطن الرياض.

(ض)

٢١٢. ضعيف الجامع الصغير وزياداته للألباني، ط٣/ ١٤١٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١٣. ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم.تأليف الشيخ محمد باي بلعالم ط/ مطابع عمار، فرفي الجزائر.

(ط)

٢١٤. طبقات الحنابلة لأبي يعلى نشر مكتبة وهبة، القاهرة، تحقيق علي محمد عمر.

٢١٥. طبقات الشافعية للسبكي دار إحياء التراث العربية مصر، تحقيق الطناحي والحلو.

٢١٦. الطبقات الكبرى لابن سعد ط/ دار صادر بيروت.

٢١٧. الطبقات الكبرى لعبد الوهاب الشعراني ط/١٣٧٤هـ، دار الفكر، بيروت.

٢١٨. طبقات المفسرين للداوودي ، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١٩. طبقات المفسرين للسيوطي نشر مكتبة وهبة، القاهرة، تحقيق علي محمد عمر.

٢٢٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ط٢/١٤١٤ هـ دار ابن القيم، الدمام، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر.

(ع)

٢٢١. العبر في خبر من غبر للذهبي، طبعة الكويت، تحقيق صلاح الدين المنجد.

٢٢٢. عدة الحصن الحصين لابن الجوزي ط١ /١٣٨١ هـ مطبعة لجنة البيان العربي.

٢٢٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت تحقيق زكريا يوسف. بدون تاريخ ورقم الطبعة.

٢٢٤. العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية مع شرحها التحفة المهدية لفالح بن مهدي ط٣/١٤١٣ هـ طبعة الجامعة الإسلامية.

٢٢٥. عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ط٢/١٤١٥ هـ مكتبة الغرباء تحقيق بدر بن عبد الله البدر.

٢٢٦. العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط٢/١٤١٢هـ الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء الرياض، تحقيق محمد عبد العزيز بن مانع.

٢٢٧. علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام ط٢/١٤١٩هـ، دار العاصمة الرياض.

٢٢٨. العلم الهيب في شرح الكلم الطيب للعيني، ط٢/ ١٤٢١هـ مكتبة الرشد، الرياض، تحقيق خالد المصري.

٢٢٩. عمل اليوم والليلة للنسائي، ط٢/ ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق فاروق حمادة.

٢٣٠. عوارف المعارف لعمر بن محمد السهروردي (ط١/ ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية بيروت، ضبطه وصححه محمد الخالدي).

٢٣١. عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم الآبادي ط٢/١٤١٥ هـ دار الكتب العلمية / بيروت.

٢٣٢. العين للفراهيدي ط/١٩٨٩ م دار الشؤون الثقافية بغداد.

(غ)

٢٣٣. غاية النفع شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع لابن رجب الحنبلي. ضمن مجموع رسائل ابن رجب ط١/١٤٢٣هـ دار الفاروق للنشر، دراسة وتحقيق طلعت الحلواني.

٢٣٤. الغريبين للهروي ط١/ ١٤١٩ هـ مكتبة الباز

(ف)

٢٣٥. الفتاوى الكبرى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط١/ ١٣٨٦ هـ ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق حسنين مخلوف.

٢٣٦. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ط٣/١٤١٩هـ، دار العاصمة، الرياض، جمع وترتيب الشيخ أحمد الدويش.

٢٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ط٢/١٤٠٩ هـ دار الريان للتراث القاهرة.

٢٣٨. فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن لابن سعدي ط٢/١٤٢٢ هـ دار ابن الجوزي الدمام اعتنى به الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

٢٣٩. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد ط١/١٤٢٠ هـ دار ابن حزم / بيروت.

٢٤٠. الفتوحات الربانية لمحمد بن علان الصديقي المكي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤١. الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي الطائي ط/١٩٧٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، تحقيق د/ عثمان يحيى.

٢٤٢. الفرق بين الفرق للبغدادي ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٣. فرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها ، د/ غالب العواجي ط٣/١٤١٨ هـ دار لينه دمنهور.

٢٤٤. الفروق لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي دار المعرفة بيروت.

٢٤٥. فضل التهليل وثوابه الجزيل للحسن بن أحمد البغدادي المعروف بابن البنا ط١/١٤١٣ هـ مكتبة السوادي، تحقيق عبد الله الحاشدي.

٢٤٦. فضل لا حول ولا قوة إلا بالله لابن عبد الهادي.

٢٤٧. فقه الأدعية والأذكار لـ د/ عبد الرزاق البدر، القسم الأول ط /١ ١٤١٩هـ والقسم الثاني ط١/ ١٤٢٢هـ، دار ابن عفان، الخبر.

٢٤٨. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة لعبد الرحمن عبد الخالق،ط٢/ مكتبة ابن تيمية الكويت.

٢٤٩. الفوائد لابن القيم ط١/١٤٠٣ هـ دار الكتب العلمية / بيروت، وط٢/ ١٩٧٣م دار الكتب العلمية / بيروت.

٢٥٠. فيض القدير للمناوي شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، ط١/ ١٣٥٦هـ المكتبة التجارية الكبرى، مصر

(ق)

٢٥١. القاموس المحيط للفيروز أبادي ط١/ ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥٢. القضاء والقدر لـ د / عمر الأشقر ط٣/١٤١٥هـ دار النفائس الأردن.

٢٥٣. قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر لمحمد الرفاعي الخالدي الصيادي ط١/ ١٤٠٠هـ.

٢٥٤. القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ضمن مجموع فتاويه عثيمين ط ٢/١٤١٤ هـ دار الثريا / الرياض.

٢٥٥. القول السديد في مقاصد التوحيد لابن سعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي ط٢/١٤١٢هـ.

(ك)

٢٥٦. كتاب الأم للإمام الشافعي ط٢/١٣٩٣هـ، دار المعرفة، بيروت.

٢٥٧. كتاب التوحيد لابن خزيمة ط/١٣٩٨ هـ دار الكتب العلمية تعليق محمد خليل الهراس.

٢٥٨. كتاب التوحيد لابن خزيمة ط/١٤١٨ هـ مطبعة الرشد الرياض.

٢٥٩. كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي، ط١/ ١٤٠٨هـ مؤسسة الكتب الثقافية، تحقيق سالم أحمد السلفي.

٢٦٠. الكشاف عن حقيقة التتريل وعيون الأقاويل للزمخشري،ط/ دار المعرفة بيروت.

٢٦١. كشاف القناع عن مسألة السماع للقرطبي ط/١٤٠٢هـ دارالفكر.

٢٦٢. كشف الخفاء للعجلوني، ط٤/ ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق أحمد القلاش.

٢٦٣. كشف الظنون لحاجي خليفة،ط/ ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٤. الكلام عن مسألة السماع لابن القيم (ط١/١٤٠٩ هـ دار العاصمة الرياض، تحقيق راشد بن عبد العزيز الحمد).

٢٦٥. الكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية ط١/١٤٢٢ هـ مكتبة المعارف/ الرياض، تحقيق محمد ناصر الألباني.

٢٦٦. كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب الحنبلي ضمن الجامع المنتخب من رسائل ابن رجب ط١/١٤١٨ هـ دار المؤيد الرياض.

٢٦٧. الكلـيات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي ،ط٢ / ١٤١٩ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، اعتنى به د/ عدنان درويش ومحمد المهدي.

(ل)

٢٦٨. لسان العرب لابن منظور ط٢/١٤١٧ هـ دار إحياء التراث العربي.

٢٦٩. لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط٣/ ١٤٠٦هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، تحقيق دائرة المعارف النظامية في الهند.

٢٧٠. لمعة الاعتقاد للمقدسي ط١/١٣٩٥ هـ المكتب الإسلامي .

٢٧١. لوامع الأنوار البهية لشرح منظومة الدر المضية في عقيدة الفرقة المرضية للسفاريني ط٢/ ١٤٠٥هـ المكتب الإسلامي.

(م)

٢٧٢. المأثورات، لحسن البنا (ط١/ ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي، بيروت).

٢٧٣. المبسوط للسرخسي ط/١٤٠٦ هـ دار المعرفة / بيروت

٢٧٤. مجمع الزوائد للهيثمي، ط/ ١٤٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٧٥. مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات، بدون.

٢٧٦. مجمـــوع الفـــتاوى لشـــيخ الإســـلام ابن تيمية، جمع وترتيب عـــبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط/ ١٤١٥هـــ في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة.

٢٧٧. مجمـــوع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين ط٢/١٤١٤ هـــ دار الثريا / الرياض.

٢٧٨. المجموع شرح المهذب للنووي ط١/ ١٤١٧ هـــ دار الفكر.

٢٧٩. المجموعة الشريفة من جوامع الكلم الإلهية وينابيع الحكم الإلهية.

٢٨٠. المجموعـــة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي ط٢/١٤١٢هـــ، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة.

٢٨١. مجموعـــة فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز ط٢/١٤١٦ هـــــ تحت إشراف رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٢٨٢. محاسن التأويل للقاسمي ط/ دار الفكر، بيروت.

٢٨٣. المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل بن سيده ط١/١٣٩٢ هـــ المكتبة التجارية لمصطفى الباز.

٢٨٤. المحلى لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري.ط/ دار الفكر، بيروت بدون.

٢٨٥. مختار الشعر الجاهلي مصطفى السقا طبعة الحلبي.

٢٨٦. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، عني به محمود خاطر ط/١٤٠١هـــ، دار الفكر، بيروت.

٢٨٧. مختصر الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية ط١/١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية.
٢٨٨. مختصر العلو للألباني ط١/١٩٩٢ م دار إحياء التراث العرب.
٢٨٩. مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ط١/ دار الكتب العلمية.
٢٩٠. المدخل لابن الحاج، ط/ دار الفكر، بدون.
٢٩١. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لابن حزم دار الكتب العلمية بيروت، بدون.
٢٩٢. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ط١/ ١٤١١ه، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.
٢٩٣. مسند أبي يعلى ط١/١٤٠٤ هـ دار المأمون للتراث/دمشق، تحقيق حسين أسد.
٢٩٤. مسند الإمام أحمد ط/ مؤسسة قرطبة مصر.
٢٩٥. مسند البزار، ط١/ ١٤٠٩ هـ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله.
٢٩٦. مسند الشاميين للطبراني ط١/١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت، تحقيق حمدي السلفي.
٢٩٧. مسند الشهاب، لمحمد بن سلامة القضاعي ط٢/ ١٤٠٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي.
٢٩٨. مشارق الأنوار للقاضي عياض، ط/ دار التراث القاهرة.

٢٩٩. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً، تأليف صادق سليم صادق (ط١/ ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض).

٣٠٠. مصنف أبي شيبة ط١/ ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد،الرياض، تحقيق كمال الحوت.

٣٠١. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمد إدريس ط ١٤١٩/١هـ مكتبة الرشد الرياض.

٣٠٢. معارج الصعود للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ط١٤٠٨/١ هـ دار المجتمع جمع د/ عبد الله قادري.

٣٠٣. معارج القبول للحافظ الحكمي ط١٤١٥/٣ هـ دار ابن القيم الدمام، تعليق عمر بن محمود أبو عمر، وط١٤٠٤/٣هـ المطبعة السلفية مصر.

٣٠٤. معالم التنزيل للبغوي ط/١٤٠٦هـ دار المعرفة، بيروت، تحقيق خالد عبد الرحمن العك.

٣٠٥. معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي ط١٤٠١/٢هـ منشورات المكتبة العلمية بيروت.

٣٠٦. معالم في الطريق إلى الله لمحمود أبي الفيض المنوفي ط/دار النهضة، مصر، بدون تاريخ.

٣٠٧. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد التميمي دار الحريري (بدون).

٣٠٨. المعجـــم الأوسط للطبراني ط/ ١٤١٥هـــ دار الحرمين،القاهرة، تحقيق طاهر ابن عوض الله.

٣٠٩. معجـــم البدع لرائد بن صبري بن أبي علفة ط١/١٤١٧ هـــ دار العاصمة الرياض.

٣١٠. معجم البلدان لياقوت الحموي، ط/ دار الفكر، بيروت، بدون.

٣١١. المعجـــم الصغير للطبراني ط١/ ١٤٠٥هـــ، المكتب الإسلامي بيروت، تحقيق محمد شكور.

٣١٢. المعجم الصوفي للدكتورة سعاد الحكيم /بيروت لبنان.

٣١٣. المعجم الكبير للطبراني، ط٢ / ١٤٠٤هـــ مكتبة العلوم والحكم تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي .

٣١٤. معجـــم المؤلفين لعمر رضا كحالة. ط١/ ١٤١٤هـــ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣١٥. معجـــم المـــناهي اللفظية بكر أبو زيد ط٣/ ١٤١٧ هـــ دار العاصمة الرياض.

٣١٦. معجـــم مقاييس اللغة لابن فارس ط/١٣٩٩ هـــ دار الفكر ، تحقيق عبد السلام هارون.

٣١٧. معـــنى لا إلـــه إلا الله للشيخ ابن باز ط١/١٤٢٠ هـــ بجهاز الإرشاد والتوجيه في الحرس الوطني.

٣١٨. المغني لابن قدامة المقدسي ط/١٤٠٥ هـــ دار الفكر / بيروت

٣١٩. مفـــتاح دار الســـعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

٣٢٠. المفـــردات للراغـــب الأصفهاني ط١/١٤١٢ هـــ دار القلم /دمشق تحقيق صفوان داوودي.

٣٢١. المفهم في شرح مسلم للقرطبي ط١/١٤١٧ هـــ دار ابن كثير / دمشق ، تحقيق محي الدين مستو وجماعة.

٣٢٢. مقالات الإسلاميين للأشعري ط/ ١٣٨٩ هـــ مكتبة النهضة المصرية ، تحقيق محي الدين عبد الحميد.

٣٢٣. الملــــل والنحل للشهرستاني دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق أحمد فهمي محمد.

٣٢٤. المـــنار المنيف في الصحيح والضعيف ط٢/١٤٠٣ هـــ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب،تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

٣٢٥. مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة وآثار السلف للألباني.

٣٢٦. منظومة الأخضري عبد الرحمن بن سعيد المغربي ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ط/١٣٤٦ هـــ إحياء التراث العربي بيروت.

٣٢٧. مـــنهاج السنة النبوية لابن تيمية، (ط١/ ١٤٠٦هـــ، مؤسسة قرطبة، تحقيق محمد رشاد سالم).

٣٢٨. المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ط١/١٣٩٩ هـــ دار الفكر لبنان ، تحقيق حلمي فوده.

٣٢٩. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات لمحمد الأمين الشنقيطي ط/١٣٩٥هـ /الجامعة الإسلامية.

٣٣٠. الموافقات في أصول الشريعة ط١/١٤١٧هـ،دار ابن عفان، تحقيق مشهور ابن حسن آل سلمان.

٣٣١. المواهب السرمدية في مناقب السادة النقشبندية لمحمد أمين الكردي.

٣٣٢. موطأ الإمام مالك، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي، ط١/ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق علي معوض، وعادل عبد الموجود.

(ن)

٣٣٤. النبوات ، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،ط/ ١٣٨٦هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٣٣٥. نتائج الأفكار شرح حديث سيد الاستغفار ط٢/١٤٢٢ هـ دار الصميعي / الرياض، تحقيق عبد العزيز الهبدان.

٣٣٦. نزل الأبرار لصديق حسن خان ط/ دار المعرفة.

٣٣٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج ابن الجوزي .

ط١/ ١٤٠٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق محمد الراضي.

٣٣٨. النفجة العلية في الأوراد الشاذلية لعبد القادر زكي (ط٣ / المكتبة الشعبية بيروت).

٣٣٩. النقشبندية عرض وتحليل لعبد الرحمن دمشقية ط١/١٤٠٤ هـ دار طيبة الرياض.

٣٤٠. النكت والعيون للماوردي ط/ دار الكتب العلمية.

٣٤١. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ط١/١٣٨٣ هـ المكتبة الإسلامية.

٣٤٢. نور الاقتباس لابن رجب الحنبلي ضمن مجموعة المنتخب من رسائل الحافظ ابن رجب ط١/١٤١٨ هـ دار المؤيد / جمع محمد العمري.

٣٤٣. نور التحقيق في صحة أعمال الطريق لحامد صقر ط٢/١٣٩٠هـ، مطبعة دار التأليف، مصر.

٣٤٤. نونية ابن القيم المسماة الكافية الشافية ط/١٤١٥ هـ مكتبة ابن تيمية القاهرة

٣٤٥. نيل الأوطار للشوكاني ط /١٩٧٣هـ دار الجيل / بيروت.

(هـ)

٣٤٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ط/ مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٤٧. هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ط٣/١٣٩٩هـ دار الكتب العلمية بيروت.

(و)

٣٤٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، ط١/ ١٤٠٥هـ، دارالكتاب العربي، بيروت تحقيق محمد عبد الرحم عوض.

٣٤٩. الوجـوه والنظائر في ألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها تأليف أبي عـبد الله الحسين بن محمد الدامغاني. ط١/ ١٩٩٨م.مكتبة الفارابي. دمشق. تحقيق فاطمة الخيمي.

٣٥٠.وسطية أهل السنة بين الفرق لـ د/ محمد با كريم محمد با عبد الله.

٣٥١.وفـيات الأعـيان وأنباء أبناء الزمان ، لشمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس، ط/ دار صادر، بيروت، بدون.




تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

٧- فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

